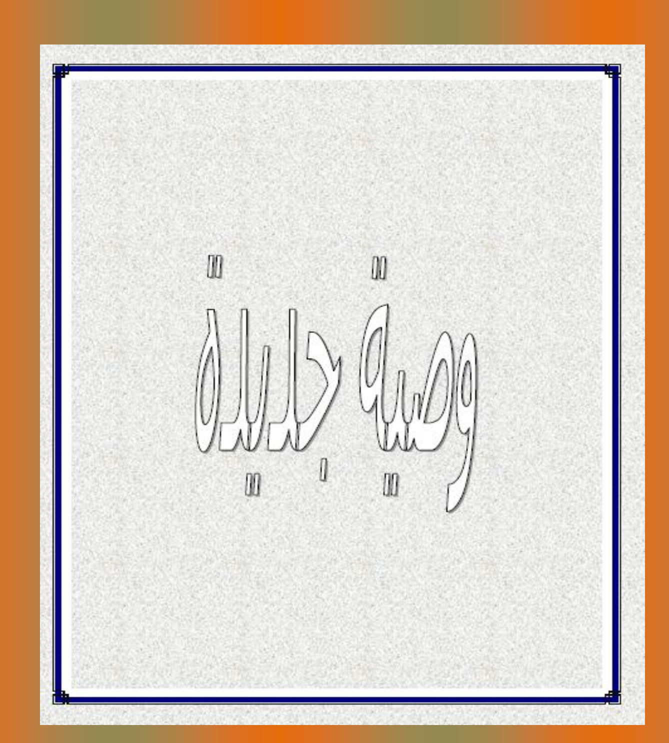
سلسلة التحقيق الجنائي







وصية جديدة

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم






١


التحقيق الجنائي والجريمة

كانت حفلة لإدخال السرور على الأب

تحولت لجريمة اغتيال للأب

لماذا قتل الرجل ؟!

ولماذا كتبت الوصية الجديدة ؟

الجواب خلال هذه الصفحات

جمال شاهين



جريمة

اتصل الطبيب برجال الشرطة وأخبرهم أن الرجل الذي قام بالكشف عليه قد مات مسموما وطلب حضورهم على الفور وذكر لهم العنوان ، وخرج ليتكلم مع أهل الميت ، فوجد رجلين وامرأة ينتظرونه فقال لهم : إن الرجل ميت ، واعلموا أن الأمر خطير والشرطة قادمة ومعها الطبيب الشرعي لمعاينة الجثة .

استمع الثلاثة للرجل باستغراب ، وظنوا أنه يكلم أشخصا غيرهم ، فقالت المرأة للطبيب : ما بك أيها الرجل .. ما الأمر ؟!

فقال الطبيب : يؤسفني أن أقول لكم إن هذا الرجل لم يمت موتا طبيعيا ، فقد دس له السم فمات متأثرا به .. مات مقتولا .

أصابت الثلاثة الصدمة والذهول فقالت المرأة : أبي مات مقتولا !

وقال زوجها :هذا أمر خطير !

وقال الرجل الآخر وهو ابن للميت : مات بالسم .. فعلا إن هذا أمر خطير !

حضرت الشرطة ، وتحدثوا مع الطبيب المعالج الذي وضح لهم أن الرجل الميت تناول سما فمات ، وجاء الطبيب الشرعي ورجال المعمل الجنائي ، وتحدث الضابط مع مرافقي الرجل الميت وسألهم بعض الأسئلة ، وأخبرهم بصورة الجريمة وأنه لابد من البحث عن المجرم والجناة ، ولما انتهى الطبيب الشرعي من فحص جسم الجريمة ، وأمروا بنقلها لعيادة التشريح ثم انتقلوا إلى مكان الجريمة ، وفوجئ الجميع بحضور رجال الأمن ، وأن الرجل مات مسموما أثناء الحفلة ، وكان المحتفلون في انتظار عودة الجثة ليستعدوا لعملية التغسيل والدفن والعزاء ، ولم يظنوا أنه مات مقتولا ، فالسيد نارم مريض مرضا خطيرا منذ سنوات ، فقام بينهم رجل الشرطة وقال بصوت واضح : أيها الاخوة .. السيد نارم قد مات ؛ ولكنه مات بفعل فاعل .. تناول شرابا مسموما.. إذن جريمة حدثت ، قاتل موجود بينكم .. استغل الجاني الحفلة ودس السم له .. هل عبث أحد بالأكواب والفناجين .. ؟

ردت الخادمة : إنها في المطبخ قمت بنقلها للمطبخ لم اغسلها بعد .

ـ ممتاز ..واعلموا أيها السادة أنكم كلكم معرض للسوأل والجواب .. فأرجو مساعدتكم وملاحظاتكم لنصل للمجرم بأسرع وقت ..هل غادر أحدكم المكان عندما نقل السيد نارت لعيادة الطبيب ؟

رد أحدهم : لم نر أحدا انصرف أيها الضابط .. فقد قام البعض للحمام فقط .

أمر الضابط المسؤول عن هذه الجريمة وكشف ملابساتها رجال المعمل الجنائي بالقيام بأخذ البصمات والعينات ، وحصر أسماء الحاضرين وعناوينهم ونوع عملهم ومكانه، كان الموجودون خمسة عشر شخصا سوى الأطفال ، أبناء نارم الثلاثة وزوجاتهم، وابنتاه وزوجاهما ، وامرأته وأختها ، وخادمة المنزل ومسؤول الحديقة ، وسائقه الخاص، وطلب ضابط التحقيق من ابنه الكبير المهندس " راجي" الحديث عن هذه الحفلة فقال المهندس راجي : يا سيدي الضابط كل عام نحتفل بمثل هذا التاريخ بذكرى زواج والدي من زوجته القديمة أمنا التي ماتت منذ سنوات .. وكالعادة يحضر الحفلة أبناؤه بزوجاتهم وأزواجهن ، وأحيانا بعض الأصدقاء ، ونحضر الحلوى والشراب المثلج والمنعش والفواكه ، وبعد الإصغاء لبعض الموسيقى والأغاني التي يحبها الوالد نتناول جميعنا الطعام والشراب ..أكلنا وشربنا.. أحضرت القهوة وشرب منا من يشربها ، وفعل الوالد مثلنا وما كاد ينهي الفنجان حتى كبا ووقع على الأرض ، وكانت الساعة الثانية عشرة ونصف تقريبا فذعرنا في البداية ، وتقدم زوج أختي ماهر وهو طبيب وفحصه ثم قال : إن الوالد مات ! فقمت أنا وماهرا وأختي بنقله للمستشفى ، وهناك أخبرنا طبيب عيادة الطوارئ بموته مسموما واتصل بكم ، وأنا مندهش فعلا لهذا الأمر !.. فمن تجرأ على ارتكاب هذه الجريمة البشعة ؟!.. ولماذا يقتل هذا الشيخ المريض ؟!

ـ هذا ما سنعرفه ونكشفه ونوضحه .

وبعد أن قام رجال المعمل الجنائي بمهماتهم انصرف البوليس حتى يطلعوا على تقرير الطبيب

الشرعي بعد التشريح للجثة ، فقد كان القتيل مريضا بالقلب منذ أكثر من عشر سنوات ، وأن السم دس له في فنجان القهوة فلما شربه ـ مع أنه لا يشرب القهوة إلا نادرا ـ ولما استقر الشراب في معدته أثر عليه سريعا فلقي حتفه ، وبعد أن تم دفنه وانتهت التعزية فيه في الصحف والبيوت ، استعد الضابط المحقق رامي للبحث عن المجرم ، فعلم أن "نارم" رجل مليونير يملك ما يزيد عن عشرين مليونا في بنوك مختلفة وذلك في سبعينيات القرن العشرين ، وترك إدارة أعماله منذ خمسة عشر سنة عندما ظهرت عليه أعراض مرض القلب فلزم البيت ، وقد ماتت زوجته الأولى من سبع سنوات ، فتزوج أختها الأرملة سما ، وللسيد نارم خمسة من الأبناء ، أكبرهم المهندس راجي الذي يعمل مديرا لشركة إنشاءات ومقاولات على مستويات عالية ، وهو متزوج من ابنة خالته سما التي أصبحت بعد وفاة أمه امرأة أبيه ، وهي مهندسة مثله ، وتعمل معه في الشركة، وقد تزوجها من أيام الدراسة في الجامعة ، والابن الأوسط للسيد نارم قد أنهى دراسته الجامعية في العلوم الإدارية وله معرض ضخم يبيع فيه الأثاث الفاخر والأجهزة الكهربائية المنزلية ، ومتزوج من فتاة غريبة عن العائلة ، وهي تعمل سكرتيرة في شركة أخيه المهندس واسمها سمر ، وأما الابن الثالث الأصغر فقد كان ضابطا في الشرطة وقد طرد من الخدمة لمشاكله العاطفية وتعلقه بالمخدرات ، وهو يعالج من الإدمان في أحد مراكز المعالجة من الإدمان ، وزوجته فتاة تعمل موظفة في إحدى وزارات الدولة ، وبينهما مشاكل كبيرة وكثيرة ، وقد حاولت أكثر من مرة بالتخلص منه بالطلاق والانفصال ، ولكن والد زوجها يتدخل ويقنعها بالصبر وبالمال والهدايا فتعدل عن ذلك ، وأما ابنته الكبرى صفاء فهي صيدلانية وتعمل في صيدلية خاصة بها ، وزوجها يعمل محاميا ويعتبر أيضا محاميا لشركة أخيها المهندس ، وأما البنت الصغرى فهي زوجة لطبيب يدعى "سامي" يعمل في مستشفيات ، وله عيادته الخاصة ، وزوجته قد أنهت دراستها الجامعية وتعمل معلمة للآداب الإنجليزية في مدارس القطاع الخاص ، أما زوجته السيدة سما فهي عنده منذ خمس سنوات ، ولها من العمر خمسون عاما ، وأختها التي شهدت الحفلة فهي أرملة من شهور مضت ، وأما

الخادمة فهي تعمل لدى السيد نارم منذ أكثر من عشر سنوات وهي متزوجة ، والسائق الخاص فهو شاب في الثلاثينيات من العمر وله في خدمة السيد نارم سنتين فقط ، وأما البستاني فهو رجل كبير في السن وقريب للعائلة وله أسرة ، هذه المعلومات الأولية التي اطلع عليها المحقق عن الأسرة وبالذات الذين حضروا الحفل وحيث قام أحدهم أو أكثر بوضع السم للسيد نارم بدون شفقة أو رحمة .

كان الدافع للجريمة الظاهر للمحقق المال الثروة الكبيرة التي يملكها المليونير ، فكأن أحدهم استعجل الميراث ، فمن يكون هذا المستعجل ؟ هذا ما فكر فيه الضابط فقام بعد ذلك الاحتمال بالاتصال بمحامي السيد نارم ، ثم عقد معه اجتماعا وسأله عن علاقته بالسيد نارم ومنذ متى له عامل عنده وهل كتب وصية ؟ وهل له أعداء داخل الأسرة ؟

المحامي صبرت صديق قديم لنارم ، وهو محاميه الخاص منذ خمس وعشرين سنة ، وبينهما طرف قرابة ، فقال المحامي للضابط : إن نارم يملك ثروة عظيمة تقدر بعشرين مليونا وبضع مئات من آلاف الدنانير ، وإنه حصل على هذه الثروة من هجرته لأمريكا الشمالية في مقتبل عمره ، ولما عاد للبلد افتتح مصنعا لصناعة الإطارات ، ثم اشتغل في مجالات الإنشاء والتعمير والتأجير والبيع ، ولما مرض مرضه الصعب أخذ بالاهتمام بالعلاج ، وباع كل ما يملك باسمه الخاص من المصنع والشركات الأخرى والعقارات وسافر إلى بريطانيا وغيرها للعلاج ؛ ولكن المرض لازمه وما زال مستمرا معه حتى توفاه الله ، ولم يترك تناول الأدوية الخاصة بهذا المرض ، هذا يا سيدي مجمل حياته يا سيد رامي .. وأنا فوجئت بالطريقة التي قضى بها نحبه وأما علاقته معي فهي علاقة صديق قديم .. والصحيح أنه لم يكن مرتاحا مع أبنائه ، كل منهم مشغول بتنمية ثروته كما علمهم ، فكانوا لا يعاملونه بالحنان والبر المطلوب لضيق أوقاتهم ؛ فلذلك كانت تحدث بينه وبينهم مشاجرات ومنازعات كنت أتدخل أحيانا فيها وألطف الجو والظرف بينهم .. أما أنا فلا أتصور أن يفكر أحدهم أو بعضهم للخلاص منه بهذه الطريقة القاسية .. فهو الذي أمدهم بالمال في أول عمرهم ثم تركهم يعتمدون على أنفسهم ، وقد

نجحوا في البداية ولكن المغامرات قد هدتهم ودمرتهم ، وكنت أجتمع به كل أسبوع مرتين ساعة مساء الجمعة وساعة مساء يوم الثلاثاء إلا إذا طلبني .. وقد ترك وصية .. وأخرجها من ملف خاص ووضعها أمام الضابط رامي فأمسك بها الضابط المحقق وقرأها ثم همس دهشة : أوصى للخادمة بخمسة آلاف دينار إنه مبلغ كبير ؟!

قال المحامي صبرت : إنها تخدم الأسرة من عشر سنوات إن لم تزد على ذلك، فهي مكافأة لها على شكل وصية .. لا أعلم هل تدري هي بهذا المبلغ أم لا ؟ فأنا لم أذكر لها ذلك خشية أن تتغير الوصية قبل الموت ، أما السائق نافز فهو يتقاضى راتبا شهريا جيدا مائة وخمسين دينارا ، وله في نهاية كل سنة مالية مكافأة مالية خمسمائة دينار ، ولم يوص له بدرهم واحد إلا السيارة القديمة الموجودة في كراج القصر .. وأوصى بمبالغ مالية كما ترى لأخت زوجته الأخيرة سما بعشرة آلاف دينار ، وللبستاني بخمسة آلاف دينار ، وبمبلغ يصل لمليون لعدد من الجمعيات التي كانت له بها علاقات اجتماعية ولدور الأيتام والعجزة ولبعض المشافي ولأحد الأندية الرياضية التي كان عضوا في هيئتها الإدارية قبل مرضه منذ خمس عشرة سنة .

أخذ الضابط نسخة عن الوصية وقال : متى سيطلع أولاده على وصيته ومتى سيقتسمون ثروته ؟

ـ سيكون ذلك بعد الانتهاء من هذه القضية كما طلبت مني وبعد معرفة المجرم القاتل .

ـ أنت خدمت السيد نارم من ربع قرن فلم أر لك اسما في الوصية ؟

قال المحامي وهو يخرج وصية أخرى ويقدمها لرامي الذي قال بدهشة : هذه وصية كبيرة جدا ! هل يعقل أن يوصي به ؟ وهل سيسلم أبناؤه لك بهذا المبلغ ؟

فابتسم المحامي وهو يرد على الضابط : مبلغ خمسين ألف من عشرين مليون ليس كبيرا يا سيدي.. وكما قلت فلي عنده خمس وعشرون سنة .. فكل سنة بألفين .

فقال الضابط : مبارك عليك .. أريد منك سيد صبرت أن نتعاون في حل طلاسم لغز هذه الجريمة .. لمعرفتك الجيدة والقديمة بالأسرة .

قال صبرت: أنا في خدمتك وعلى استعداد تام للتعاون .

قال المحقق : شكرا .. وأريد منك أن تكشف أمر هذه الوصية للأولاد ، ولكن بحضور الجميع .. رتب اجتماعا ليليا معهم .. كل من حضر الجريمة في بيت المقتول .. وتحضره أنت بنفسك ، لا تبعث وكيلا عنك .. واكشف لهم أمر الوصية أي تقرأها وليكن مساء يوم جمعة حتى لا يتعلل أحد بالعمل والشغل .. أريد أن أراهم وهم يسمعون هذه الأرقام .



تحقيقات

قبل الاجتماع المقرر زار المحقق منزل نارم ، وطلب الخادمة وتحدث معها وعن أسرتها وأولادها وزوجها وسألها هل تعاني من مشاكل مالية ؟ فنفت ذلك وأنها حزينة لوفاة سيدها نارم ، وقد فكرت بترك الخدمة في هذا البيت بعد انتهاء التحقيق فقال الضابط : كم ترك لك السيد نارم من المال في وصيته ؟

فأجابت بسرعة : لا أدري.. وهل ترك لي شيئا ؟!

فقال المحقق : ألم يخبرك المحامي صبرت بأن السيد ترك لك مبلغا جيدا من المال ؟

ـ لا يا سيدي ما علمت بذلك .

ثم غير الضابط اتجاه السؤال فقال : كيف كانت حياة السيد بزوجته الحالية ؟

ـ علاقته جيدة .. وهو محب لها وما خرج في سفر هنا وهناك إلا كانت برفقته .. وهي أخت امرأته المرحومة وخالة الأولاد فلم ينظروا إليها بغيرة أو مشاركة في الثروة .

وعاد يقول : هل ضربك في بعض المرات ؟

ـ ضرب ! لا ؛ ولكنه أحيانا عندما يثور ويغضب يشتمني ..وأنا أخدم في هذا البيت منذ عشر سنين أيها السيد .. وهو رجل كبير وعليل فعليّ تحمل ساعات غضبه .

ـ مَن من أولاده يجرؤ على قتله ؟

ـ لا أعتقد أن أحدا يفعلها .

فقال الضابط : ولكنه مات مقتولا أيتها السيدة .. وأنت موقفك خطير ألست أنت التي أعددت الشراب والقهوة ؟ .

فقالت بثبات : هذا حق ؛ ولكني لا يمكنني أن ارتكب جريمة .. فأنا لم أضع له السم أيها السيد .. ولماذا أفعل ذلك ؟! طمعا بمبلغ من المال أوصى لي به كما ذكرت !

فقال المحقق : حسنا ، قلت إن علاقته مع أولاده طيبة ؛ ولكن عندنا معلومات تقول غير ذلك

فقالت بغضب : لا أدري أيها السيد .

ـ عليك مساعدتي في الوصول لمن تخلص من مخدومك أيتها السيدة الطيبة .

فعاد الهدوء للخادمة وقالت : أنا تحت أمرك .. أرد كما أعرف .

فقام المحقق وهو يقول : شكرا لك .. أين زوجته الآن ؟

فقالت : هي في الحديقة مع أختها شما .

ـ إني ذاهب إليهما فاصنعي لنا عصيرا واحذري أن يوضع به شيء .

وخرج مسرعا إلى الحديقة ليقابل زوجة السيد نارم سما وأختها شما التي استقبلته بحزن وأسف على وفاة زوجها الثاني بهذه الصورة القسرية فعزاها من جديد وقال : سيدتي الفاضلة من تشكين بأنه قاتل له ؟

ـ سؤال صعب الجواب عليه سيدي الضابط .. لا جواب عندي فما هم إلا أولاده وأصهاره .

ـ أثناء الحفلة قبل أن يشرب كوب الشراب هل أحد من الحاضرين غادر القاعة إلى المطبخ ؟

ـ لا أذكر أني رأيت أحدا يذهب للمطبخ .

ـ الحمام ؟

ـ هذا أمر طبيعي .. لقد قام أكثر من واحد إليه وأنا فعلت ذلك .

ـ رغم أنك خالة الأولاد فبعضهم يشك بك .

ـ لن أغضب هذه قضيتك فابحث عن الجاني .

ـ لقد أخبرني السائق أنك تشاجرت معه قبل موته بيومين في إحدى النزهات وشتمك وبصق في وجهك .

ـ حصل هذا ؛ ولكن هذا لا يدعوني لقتله .. فهو زوجي وزوج أختي من قبل ..وهو مريض وأخلاقه لم تكن ولا بد ، وأنه يحب زوجته الأولى كثيرا ولم ينساها بعد .. وهذه ليست أول مرة يؤذيني بها .

ـ وأنا لا أظن أن الدموع التي ترقرقت في عينيك عندما أقبلت عليك مزيفة .. سيدة شما كيف كنت مع السيد نارم .. وهل دعاك لحفلة قبل هذه المرة ؟

قالت السيدة سما : صدق أنها أول مرة .. ولم يدعوني هو إليها إنما فعلت ذلك أختي ، وكما تعلم أنا أرملة من عدة شهور انقضت فقط .. وإجمالا فعلاقتي مع المرحوم عادية .. فهو يعرف زوجي جيدا ، وكان يعمل معه قديما قبل أن يصفى أعماله .

فقال المحقق : هل تعلمين أنه ترك لك عشرة آلاف دينار ؟ .

أبدت الاستغراب وقالت : لا أعلم ذلك إلا منك الآن .

ـ نعم ، لقد أوصى لك بهذا المبلغ الزهيد بالنسبة لثروته ؛ ولكنه مبلغ يستحق المغامرة

فصاحت وهي تقف : أيها الضابط احترم نفسك .

فقام وقال : سيدتي هذه جريمة قتل مخططة ومدبرة فلابد من إثارة المتاعب لنصل إلى الحقيقة لنصل للقاتل .

أتت الخادمة وهي تحمل أكواب العصير البارد ، فتناول الضابط رامي كوبه وقال وهو يرشف من الكوب : حذار أن تكوني وضعت فيه سما .

فسقط كوب السيدة سما من كلام الضابط الساخر ، فاعتذرت لهم ، وشرب المحقق كأسه ، وسار للقاء البستاني أو السائق ، فوجد البستاني يجلس في طرف الحديقة فناده وسأله عن اسمه وكم له من الأيام في خدمة بستان السيد نارم فقال إن اسمه فريد، وله في الخدمة في هذا القصر منذ خمس سنوات ، وبينه وبين السيد نارم طرف قرابة من جهة الأب ، وعلاقته بالسيد نارم علاقة ودية ، ولا خصومات بينهما ، وراتبه الشهري مائة دينار ، وليلة الحفلة كان موجودا ، وكان يجلس مع السائق في غرفته القريبة من مدخل القصر الرئيسي ، ولما سمعوا الضجة في الداخل تركا الغرفة إلى قاعة الحفلة ، فوجدا السيد نارم قد فارق الحياة وأنهم يريدون نقله للمستشفى ، وعلموا لما جاءت سيارات الشرطة أنه مات مقتولا بالسم فأصابتهم الدهشة والقلق ، ثم سأله المحقق : هل دعوت لهذه السهرة العائلية ؟

رد بسرعة : لا .. ولكن السيدة سما طلبت مني الحضور وقضاء هذه الليلة مع السائق لطفي ، فوافقت ولم أسألها عن السبب ؛ لأنها كانت تطلب مني أحيانا النوم في القصر .

فقال المحقق : كيف صحبتك مع السائق لطفي ؟

ـ هو صديق مقبول رغم فارق السن بيننا .. أنا في الستين وهو في الثلاثين وهو شاب نشيط وقوي .

ثم استفسر منه عن العلاقة بين الخادمة وأولاد الزوج السيد نارم ، وبينه وبين الخادمة والأولاد فقال عن نفسه : بيننا ود واحترام متبادل حتى أنهم يعطونني بعض المال والملابس القديمة و...

وفجاءة قال الضابط : علمت أن السيد نارم أخبرك بأنه قد أوصى لك بخمسة آلاف دينار .

قال البستاني بارتباك وبطء: لا علم عندي يا سيدي .. ومن أخبرك بذلك ؟

ـ أحد الناس على كل سوف نتكلم معك مرة أخرى قبل أن أذهب أتذكر تلك الليلة جيدا ؟

عندما كنت تجلس مع لطفي .. هل غادر لطفي المكان إلى داخل القصر ولو للحظات؟

قال بسرعة : لا أذكر إلا أنه خرج بالسيارة ، وأحضر علبة سجائر من الخارج ..إنه يشرب الدخان كثيرا .

قال المحقق : أحسنت سيد فريد .

والتقى المحقق بالسائق لطفي ، واستمع له وعن نشاطه تلك الليلة وحركته وعلاقته بالسيد نارم ، فقال الشاب : السيد نارم جيد ؛ ولكنه عصبي وكثير السب والإيذاء .. ولكن الراتب الذي يدفعه لي جيد ، فكنت أصبر عليه ، ولكثرة توصية المحامي صبرت لي بالتحمل .. فهو الذي يسر لي العمل هنا ، فكلما يراني يحثني على تحمل غضبه وتوتره وثورته، وأتحمله أيضا لعملي الطويل مع المهندس راجي سائقا في الشركة فأصبر على آذاه الشخصي لي .. فأنا مجرد سائق عند السيد نارم .

ـ ليلة الحادث .. خرجت لشراء علبة سجائر فقط أم اشتريت معها شيئا آخر ؟

ـ أظن أني لم اشترِ إلا الدخان وعدت سريعا .

ـ لما رجعت هل كان فريد في الغرفة ينتظرك أم ... ؟

قال السائق : كان في انتظاري.. منذ دخلنا الغرفة لم أره يخرج إلا مرة واحدة ذهب لقضاء الحاجة ثم عاد بعد فترة .

ـ لا يوجد حمام ملحق بهذه الغرفة ؟

ـ الحمام داخل الفيلا ، ولكن يوجد حوض صغير للغسل .

فقال رامي : كم غاب فريد عنك ؟

ـ تقريبا عشر دقائق .. ولما عاد قال إنهم يستمعون للموسيقى .

ـ من دعاك لهذه الحفلة ؟

ـ السيد نارم بنفسه .. وفي العادة يدعونني لذلك .. فلربما يحتاجونني في شراء حاجة أو أمر أقوم به .

قال المحقق : سيد لطفي .. هل تنام هنا في هذه الغرفة ؟

ـ ليس دائما وإنما عند الضرورة عندما يشتد المرض على السيد نارم .. واعلم أن دوامي يبدأ من التاسعة صباحا للتاسعة ليلا وعند الظهر أترك العمل ساعتين لفترة الغداء .

ـ السيد أوصى لك بالسيارة القديمة في حالة وفاته ؟

قال السائق باسما: أعرف ذلك .. أخبرني ذلك منذ عملت معه .. وأنا استعملها في الذهاب للبيت ثم أعود للعمل .

صمت الضابط فترة من الوقت ثم عاد يقول : أريد أن أعرف منك كيف هي علاقة السيد نارم مع أبنائه وأصدقائه ومحاميه الخاص صبرت .

فقال السائق : اسأل وأنا أجيب .

جلس الضابط مع السائق لطفي جلسة طويلة ، ومع المساء عاد لبيته .



ذهب المحقق لشركة المهندس راجي وطلب الحديث معه ومع زوجته بشأن الحادث ولما جلس قال : علمت أنه كان بينك وبين أبيك مشاكل مالية .. أليس كذلك يا سيدة فاتن ؟

فقالت المرأة : لا أدري أيها السيد عن أي مشاكل تقصد ؟

وقال المهندس : أيها السيد المشاكل المالية لا يخلو منها أحد حتى أصحاب الثروات.

قال الضابط : قد يكون هذا صحيحا ؛ ولكنك كنت ترغب أن يعطيك مليونا فرفض وتدخل المحامي صبرت وأصلح بينكم .. وعلمنا من مصادرنا الخاصة أنكم تمرون في أزمة مالية حادة فاختصر المهندس الإجابة وقال : هذا صحيح ومعروف في أواسط الشركات المنافسة ، وكل هذا لا يدعوني لقتل والدي أيها السيد .

ـ أحسنت ، وأنا لم أقل ذلك .. ولكنه دافع قوي ..ولكن أحب أن استمع منك هل تشك بأحد ؟ .. وحدثني عن قوة علاقة أبيك بالمحامي صبرت .. وكيف كان والدك يتعامل معه ؟

أجاب المهندس إجابة مقتضبة ، وتكررت الأسئلة والزوجان يجيبان عنها حتى وصل الضابط للقول : إذن لقد فكرت بالجريمة والتخلص من الوالد لحل مشاكلك المالية ..وإنني أصدقك بأنك لم تفعل ولا زوجتك السيدة فاتن .. قد أعود إليكم مرة أخرى استودعكم الله أيها السادة .

ثم زار الأخ الأوسط عدليا الذي كان في انتظاره فقال له : لم أجد زوجتك سحر في الشركة سيد عدلي ؟

ـ نعم هي في البيت إنها متعبة .. هل ترغب بالحديث معها ؟

ـ لا مانع من الحديث أمامها .. هل البيت بعيد ؟

فقال عدلي : لا .. بضعة كيلومترات .

وأوصى موظفيه بالمعرض ، وخرج برفقة المحقق إلى منزله، وهناك قامت السيدة سحر بالترحيب به وجلسوا في صالون البيت للإجابة عن أسئلة المحقق الذي قال : سلامتك أولا يا سيدة سحر .. أحب أن أزعجكم بضع دقائق .

ردت قائلة : سلمك الله .. ازعجنا كما شئت هذا واجبك .

فقال المحقق : سيد عدلي .. صراحة .. لماذا كنت تفكر بالخلاص من أبيك نارم أنت وزوجتك سحر ؟

صعق الاثنان لهذا السؤال الصريح والمباشر، ولما زال ارتباكهما قال عدلي بصوت هامس : سيدي .. من قال لك هذا ؟ هذا كذب ! هل يفكر الرجل بقتل والده ؟

قال الضابط : في هذا الزمان يجوز كل شيء ؛ لأن المال يعمي القلب .. وأنت رجل غرقان في الديون وتعشق القمار والشراب .

فقالت سحر : سيدي الضابط .. من أخبرك بذلك ؟

ابتسم المحقق : هذا أمر لا يخفى على أحد من الناس .. فأي صاحب لعدلي يقول لنا إن السيد عدليا مقامر خسران وسكير مدمن .. اذهبي إلى ثلاجتك فستجدين فيها الخمر .

فرفع عدلي من صوته قائلا : سيدي الضابط هذا شأني الخاص .. ولكني لم أقتل أبي لا أنا ولا زوجتي .

ـ أنا لم اقل إنك قتلت أباك إنما قلت إنك تفكر بذلك .. ومع ذلك فقد حاولت من قبل، لقد أغضبت والدك حتى انفعل غضبا ، وحصلت له أزمة وكاد أن يموت، فحرم عليك زيارته في البيت ؛ ولكن قبل الجريمة بأسابيع أصلح بينكم المحامي صبرت ، وعادت المياه لمجاريها كما يقال .

فقال : هذا صحيح ؛ ولكني لما أغضبته لم أقصد إيذاءه .

ـ النيات علمها عند ربي .. فأبوك مريض بالقلب وفي وضع صعب يحتاج للهدوء والسكينة .

ـ لم أقتله أيها السيد .

وحاورهما الضابط واستمع لها ثم ودعهما وانصرف لمقابلة الابن الثالث الذي وجده في حالة إدمان فلم يستفد منه كثيرا ، فجلس مع زوجته واستمع لبعض مشاكلها مع زوجها ومع والد زوجها ، ثم غادرها للصيدلانية صفا وزوجها المحامي وشربوا الشاي معا ثم قال بأدب جم :

تعرفون مهمتي أيها الكرام .. فواجبي يا سيدي المحامي معرفة القاتل.. وهذا يتطلب منكم مساعدتي والإجابة على أسئلتي .

فقال المحامي زاهر : اسأل ما بدا لك يا حضرة الضابط رامي .

قال : المهندس راجي عنده دافع قوي للقضاء على أبيه ليحصل على المال اللازم لإنقاذ شركته من إعلان إفلاسها .. وبان لنا أن السيد عدليا كان يفكر بهذه الأمر بل فعله بطريقة غير مباشرة ليستمر في لعب الميسر وتسديد ديون البنوك .. والابن الصغير مدمن مخدرات ولديه أيضا الدافع للقتل ، ولكن عرفنا أن والده كان يغدق عليه من المال والمصروف الشهري ويعطي الزوجة ما يرضيها للبقاء عند زوجها وعلى ذمته.. وأنتم هل لديكم دافع للخلاص منه أم لا ؟ سؤال عنيف وشرس ولكن لابد منه يا سيدي المحامي ؛ لأنني علمت أيضا أنك متورط في قضية مالية صعبة مع أناس غرباء .. فما تقول ؟

ـ لديكم تحريات جيدة ؟؟ ولكن قضيتي الخاصة لا تدفعني لقتل عمي .

ـ ولكن طلبك من زوجتك بيع الصيدلية للسفر من هذا البلد والهرب لحل مشاكلك المالية القاسية أراه عامل ضغط عليها ودافعا للتخلص من السيد نارم الذي رفض مساعدتكم .. والبنك يحجز على كل العقارات التي تملكونها .. ومغامراتك المالية هنا وهناك جعلت حالك صعبا .. وأنت كما أشرت تحاول الهرب ولا ينقذك من هذه الورطة إلا ميراث الزوجة من ثروة أبيها .. وما قولك أنت يا سيدة رندا ؟

التزم المحامي الصمت ونظرت السيدة لزوجها ثم نظرت للمحقق وقالت : جميل لديكم معلومات مفصلة .. نحن فعلا في ورطة بل ورطات مالية .. وفعلا ضمنت الصيدلية لأحد الأصدقاء وفعلا نحاول الهرب للتخلص من مطاردة الدائنين حتى يتوفى الوالد وأخذ نصيبي من مال أبي المخزون ونسدد ديوننا ولكن لم نفكر بقتل أبي لنرث ثروته .

ـ أنا قلت هو دافع لديكم للتفكير ..أنا لم أتهمكم بالقتل لديكم سبب فقط .

قالت: وإن خطر في قلوبنا ذلك فصدق أننا لا يمكن تنفيذه .. وأقسم لك أننا ما حاولنا قتله

حتى أنا لم أطلب من والدي المساعدة ولكن حصل أن طلبت من خالتي سما بعض المال للسفر .

ـ منذ متى طلبت ذلك منها ؟

ـ منذ شهر تقريبا ولم أسمع منها ردا ولكنها قالت لما تسافري سأساعدك .

فقال المحقق : من من الناس مطلع على مشاكلك المالية الحادة أيها السيد ؟

فقال زاهر المحامي : هذا أمر معروف لدى العائلة حتى لعمي نارم ، ولكن كما أكدت زوجتي نحن لم نقتل والدنا الكبير نحن نفكر بالهرب فقط .

فنهض المحقق وقال : حسنا أيها الكرام سأنصرف على أمل اللقاء بكم قريبا بعون الله وأرجوكم مساعدتي بأي شيء يساعدنا في الوصول للجاني ليتم حصر الميراث وتقسيمه لتستقروا في البلد من جديد ولا تعودون تفكرون بالهرب من الدائنين .. فأي شيء تعرفونه يسهل المهمة .. كلكم خائفون وتخفون كثيرا من الملاحظات والحقائق لأن كل منكم لديه هاجس الجريمة .. وكلكم لديه شوق لمعرفة من الذي سبق بالقتل .. مساء الخير وإلى لقاء آخر .

وخرج الضابط وقد تركهم في حيرة واضطراب وامتقاع لون ، واتجه المحقق للأخت الأخيرة وزوجها الطبيب سامي ، فرحبا به وبلقائه وبأسئلته فقال بعدما رشف من فنجان القهوة الذي وضع أمامه : سيد سامي وسيدة رانيا هل أنتما سعيدان في حياتكما الزوجية ؟

تبادل الزوجان النظرات وقالت المعلمة : أجل نحن سعيدان والحمد لله رب العالمين

وقال الزوج : حياتنا طيبة.. هدوء .. أولاد .. قناعة .. مال .. فهذه هي الدنيا .

فقال الضابط : كيف أنت وعمك نارم ؟.. بل كيف تزوجت السيدة رانيا نارم ؟

فقال الزوج : أسئلتك لطيفة .. تعرفت عليها عن طريق العيادة ..جاءت مريضة ثم تعارفنا وتعمقت المعرفة وتزوجتها كما يتزوج باقي خلق الله ..علاقتي جيدة مع عمي نارم .. لا خصومات ولا مشاكل .. ونحن لا نزوره كثيرا في بيته ، مرة واحدة في الشهر ووقت

المناسبات والأزمات المرضية .

ـ سيدة رانيا ..هل تحبين خالتك سما بعدما أصبحت زوجة لأبيك ؟

ـ أجل خالتي امرأة طيبة وهي صابرة وتتحمل أبي كثيرا .. فأبي كما تعلم مريض وبسبب كثرة المكث في البيت زاد توتره وعصبيته .

قال الضابط : هذه الحفلة السنوية من يقوم على تنظيمها في العادة ؟

قالت : كانت تقوم بها والدتي في حياتها ؛ لتجتمع فيها العائلة ونفرح معا ويرى بعضنا بعضا ، ولما ماتت أمي اهتمت خالتي بهذا الأمر ؛ لأن أبي كان يحب أمي كثيرا ، وكان المحامي صبرت يقوم بمساعدة خالتي في تنظيم هذه السهرة العائلية ، ولكنه هذا العام لم يحضرها ؛ ولكنه شارك في الإعداد لها واعتذر لأمر خاص به عن حضورها .

وبعد جلسة هادئة غادرهم رامي إلى بيته ، وفي اليوم التالي زار المحامي صبرت ولما انتهى الترحيب والضيافة قال رامي : سيد صبرت الأمر محير لحتى الآن ، المهندس لديه دافع للتخطيط لجريمة ، والتاجر عدلي لديه مثل ذلك ، والمدمن لابد أنه يفكر بمثل هذا الأمر ، ولمسنا أن المحامي زاهرا عنده هذا التفكير ، فكل هؤلاء يعانون من مشاكل مالية صعبة .. المعلمة رانيا هي الوحيدة التي ما وجدت لديها رغبة في وفاة أبيها .. والسائق ليس عنده دافع للمغامرة ، ولكنه كان يتحمل الكثير من الإهانات ..وزوجته سما كانت أيضا تتحمله، أما أختها شما فهي بريئة إلا إذا تعاطفت مع أختها .. والخادمة والبستاني سأجتمع بهما مرة أخرى السؤال هل يمكن أن يكون هناك اتفاق وترتيب بين الجميع .. أو بعضهم على الأقل ؟.. ولكن لم ألمس من حواراتي معهم ذكاء خاصا في أحدهم ، هذه جريمة تحتاج إلى ذكاء وقوة قلب .. سيد صبرت بما أن علاقتك مع الجميع مقبولة ويسمعون منك ...

تبسم المحامي وقال مقاطعا : إنني صديق العائلة ، وأعرفهم منذ خمس وعشرين سنة أمضيتها قريبا منهم قبل أن يتعلموا ويتزوجوا ... فقطع الضابط تباهي المحامي بطول معرفته وقال : كلهم يثنون عليك وعلى إخلاصك وتفانيك في خدمة السيد نارم ومع ذلك فإن هناك محاميا

آخر يعمل مع السيد نارم . اصفر وجه المحامي فجاءة وقال : سيد رامي .. ماذا تقول ؟!

ـ لا تنزعج كثيرا .. اتصل بي شاب محامي يقول إن له علاقة عمل مع السيد نارم ، وأثناء موته كان خارج الوطن ، ولما عاد وعلم بموته مسموما اتصل بي وذكر لي أن لديه أوراقا تخص السيد نارم فماذا تقول ؟

رد المحامي : لا علم لي بذلك ، فزوج ابنته محامي أيضا لماذا لم يلجأ إليه؟! .. قابله يا سيدي وافهم منه واطلع على كتاب توكيله وأخبرني بذلك إن أحببت .

فقال المحقق : لقد قابلته فعلا وتأكدت أن نارم يعرفه .. وأخبرني السائق لطفي أنه كان يذهب بالسيد نارم إليه في مكتبه ويقول مرة أو مرتين وقبل موته بأقل من شهر زاره .. وكان السائق ينتظر في السيارة ولا يدخل معه المكتب .

فاستفسر المحامي : وهل كان بينهما عمل أم لا ؟ ـ وجدت عنده وصية غير التي عندك .

كان الضابط يحدق النظر في المحامي الذي قال ببطء : وصية ! وما فيها أيها الضابط؟

قال رامي : تقريبا نفس الوصية التي عندك ؛ ولكنه يوصي فيها لأزواج بناته بمبالغ كبيرة ، وخص زوجة ابنه الصغير بمبلغ اكثر الزوجات الأخريات ، ويوصي لك بعشرين ألف فقط والأهم أنه أعلم المحامي بأن كل الوصايا التي عندك لاغية وفاسدة .

لزم المحامي الصمت وقال بعد حين : من حكم في ماله ما ظلم .

فقال الضابط : ألم تعلم بهذا التعديل سيد صبرت ؟

ـ أبدا أبدا ـ سامحه الله ـ عشرون ألف مبلغ لا بأس به .

قال الضابط وهو ينهض قائما : يوم الجمعة القادم الاجتماع في منزل السيد نارم لقراءة الوصية الأخيرة فالرجاء أن تحضر ومعك الوصية الأخيرة له عندك .. لأن القضية تقريبا انتهت ، وقد وقعت العصابة في الفخ المرسوم .. فعليك أن تحضر لترى المجرمين القتلة .

وودعه وهو يبتسم ، وقبل الجمعة التقى المحقق مع السائق والخادمة والبستاني مرة أخرى وسألهم بعض الأسئلة ثم انصرف بعد أن أكد عليهم على حضور موعد يوم الجمعة .

الاجتماع

في الساعة السابعة من مساء يوم الجمعة كانت أسرة نارم على موعد لسماع وصية الميت ، فكان أفراد الأسرة مجتمعين في إحدى قاعات القصر ، كلهم حضر الجلسة ، وكانوا يجلسون صامتين في انتظار الضابط الذي أتى ومعه عدد كبير من الأفراد والضباط ، ومعه الشاب المحامي ، وأتى صبرت بدوره وهو يحمل حقيبته السوداء ، وجلس الجميع فوقف الضابط أمامهم وقال : أيها الاخوة الأفاضل دعوناكم إلى المنزل الذي حدثت فيه الجريمة لتسمعوا لوصية السيد نارم ومن ثم نلقي القبض على القاتل الأثيم الخائن اللئيم الموجود بينكم .

ثم طلب من المحامي صبرت أن يقرأ الوصية القديمة ، فلما انتهى من قراءتها طلب منه أن يقرأ أمامهم الوصية الخاصة به ، وبعد أن انتهى قال المحقق : أيها الأخوة السيد نارم لم يحتفظ بهذه الوصية لقد لغاها وأمر بوصية أخرى ، وهي صحيحة وقام على تحريرها المحامي الشاب زكي وهي المعترف بها في المحاكم الشرعية وغيرها سيقرئها عليكم السيد المحامي زكي .

فلما انتهى زكي من قراءتها عليهم صمتوا وتعجبوا من تخفيض حصة المحامي صبرت من خمسين ألف إلى عشرين ألف ، وبعد تمتمات وهمسات لزم الجميع الصمت ليعرفوا المجرم القاتل فابتسم الضابط وقال : أيها الاخوة سيقوم رجال الشرطة بتفتيشكم لإخراج ما تحملون من أسلحة .. والأحسن أن يسلم كل من يحمل سلاحا سلاحه بدون تفتيش .

لم يفعل أحد ، فقام رجال الأمن بإخراج الأسلحة النارية ، فوجدوا مسدسا مع السيد صبرت وآخر مع الابن الصغير لنارم مدمن المخدرات ، ولما انتهى التفتيش وقف الضابط يقول أمام أعين الناظرين : أيها السادة .. أعلن أمامكم أن القاتل والمدبر لهذه الجريمة .. هو ..

وسكت وتطاولت إليه الأعناق ثم قال : هو .. المحامي السيد صبرت..

فحدثت ضجة في القاعة واحتجاج ، ولكن الشرطة كانت تلقي القبض على المحامي المدهوش، وتابع الضابط الكلام : وقام بتنفيذ الجريمة البستاني فريد وبمساعدة السيدة شما .

فعندئذ صاح المحامي مقرا : نعم أنا الذي رسمت جريمة القتل .. وأن السيد فريدا هو الذي

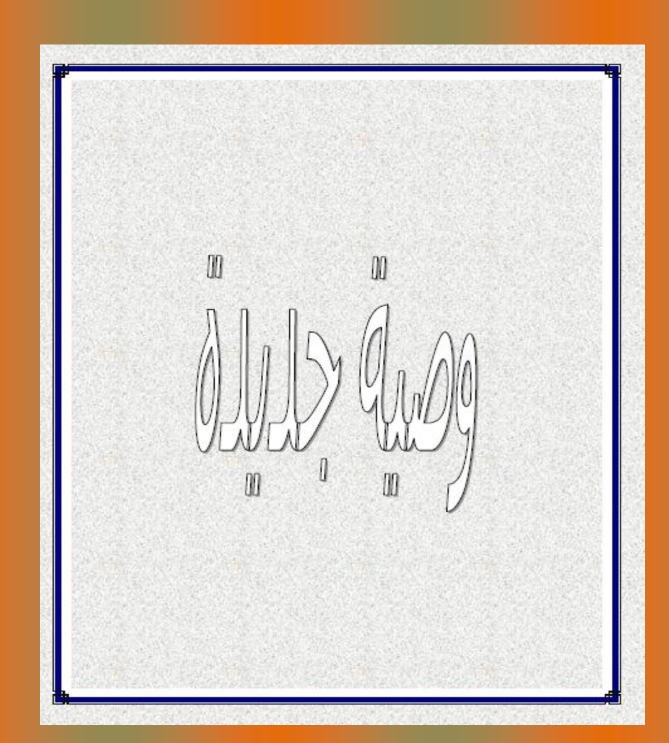
وضع السم ، وأن السيدة شما هي التي أسقته الكوب المسموم .

خيم الذهول على القاعة ، وبدأت العيون تنظر إلى القتلة وهم في دهشة كبيرة وقال المحقق : سأشرح لكم الآن التفاصيل وعلى المحامي صبرت تصحيح ما أخطئ به .. بدأ التخطيط للجريمة بسبب خلاف حاد بين السيد نارم والسيد صبرت.. السيد نارم كان يعتمد كثيرا على السيد صبرت في شئونه المالية والعامة والخاصة وفي سفره وعلاجه وإدارة منزله وحل مشاكله مع أفراد الأسرة .. وهو يتقاضى راتبا جيدا منذ خمس وعشرين سنة ألفي دينار في السنة مقابل هذه الخدمات ، وكل قضية قانونية يرافع فيها عنه يأخذ عليها مكافأة ، ولما تزوج السيد نارم من السيدة سما بعد وفاة زوجته الأولى وتخلص من باقي أعماله وتفرغ لمرضه أكثر خف عمل صبرت القانوني إلا من بعض الاستشارات والخدمات الخفيفة ؛ لذلك قلص السيد نارم راتب المحامي إلى ألف ومائتين دينار ، مائة دينار شهريا ، وقبل السيد صبرت المبلغ على مضض لأنه في الحقيقة لا يعمل لدى نارم وطمعا بالمبلغ الموصى له بعد وفاة السيد نارم الخمسون ألفا ..وبصفته المحامي الخاص والصديق للأسرة كان يطلع على مشاكل الأسرة ، وكان الأولاد يعتمدون عليه في إصلاح الود بينهم وبين أبيهم كلما توتر واشتد .. والمشكلة الكبرى التي دفعت المحامي للتفكير بهذه الجريمة أيها الاخوة .. هو تفكير السيد نارم بتطليق زوجته سما للزواج من أختها شما بعدما ترملت لعلاقة وقصة قديمة بينهما ، ولكن شما لما علمت بذلك انزعجت وصارحت المحامي بما يعرضه عليها نارم .. وخوفها على أختها من الصدمة والأسرة من الدمار والمشاكل ، فطلبت من المحامي أن يصرف نارم عن هذه الأفكار وكان المحامي الأرمل منذ سنوات قد وضع عينه على شما وأموالها التي ورثتها عن زوجها الميت ، فلما تدخل المحامي في الموضوع وأراد أن يمنعه من تطليق زوجته سما والزواج من أختها الأرملة الجديدة طلب منه إلغاء الوصية، وأنه سيحرر وصية جديدة فماطله صبرت ، ثم أخذ يدبر للجريمة والقضاء عليه قبل تغيير الوصية ، وطلب مساعدة شما والبستاني مقابل عشرة آلاف دينار سوى ما لهما في الوصية ، وشعر نارم بالمماطلة والمراوغة فذهب إلى المحامي

زكي وحرر وصية جديدة عنده وأخفى علاقته بالمحامي الجديد عن الجميع إلا السائق بصفته سائقه الخاص، ولم يكن يعرف السائق بالطبع بالمشاكل بين صبرت ونارم ، ولم يعرف لماذا تردد نارم على المحامي الجديد ؟فهو غير مكترث لم يقوم به السيد نارم ، صبرت طمعا بالخمسين ألف التي تكاد تطير من بين يديه ، وشما للتخلص من الزواج من السيد نارم وعدم طلاق أختها، والبستاني الطمع بالثروة والاستفادة من الوصية قبل أن يموت قبل نارم ، ورتبوا الأمر أو رتبه المحامي لهم واختاروا يوم احتفال نارم بذكرى زواجه من أم الأولاد ، وقد أثار المحامي الأولاد على التخلص من أبيهم بطرق غير مباشرة بأن دفعهم للتفكير والتخطيط بالقتل لحل مشاكلهم المالية ، وهذا ما حصل نتيجة ظروفهم السيئة وتم ترتيب الجريمة .. أحضر المحامي السم للبستاني فريد ، والسم المستخدم هو مادة يستخدمها السيد لمعالجة عضلة القلب فاذا أخذت بكمية زائدة عن الجرعة المطلوبة فستؤدي للموت العاجل أو الغيبوبة قبل الموت ، والسيد صبرت يعرف تفاصيل مرض السيد نارم والعقاقير التي يتعالج بها ، أظهر البستاني للسائق حاجته لدخول الحمام بعد الأكل والشرب ، فتسلل للمطبخ ووضع السم في أحد الأكواب حسب اتفاقه مع السيدة شما ، وكانت الخادمة قد أعدت أكواب العصير للجميع والسيد نارم يعد له شراب خاص في كوب خاص ، قامت شما بإعداده وقدمته للسيد نارم بنفسها ، وكان التخطيط أن يتعرض السيد نارم لازمة قلبية ، فيظن أنها السبب وراء موته ؛ لأنه مريض بالقلب ويأخذ أدوية للقلب فيها بعض المواد السمية ولكنها بدرجات ضعيفة .. المهم أن لا ينتبه أنه مات مسموما ، فينسب الموت للأدوية ولكن يبدو أن كمية السم زائدة وقوية ، وظهرت أعراض السم على العيون والبدن واضحة .. وقد أدرك طبيب المستشفى أن الرجل مات بالسم ، وليس بالقلب فاضطر لتبليغ البوليس والباقي تعرفونه .. شما شاركت في الجريمة إنقاذا لأختها سما من الطلاق الذي كان على وشك الوقوع.. وأرملة خير من مطلقة ، وهناك دافع آخر فبعد أن تهدأ العاصفة تفوز بزواجها من المحامي صبرت ، والبستاني فاز بعشرة آلاف ، وكان عنده حقد قديم على السيد

نارم ، فاستغله المحامي لوضع السم في كوب خاص بالسيد نارم ؛ لأنه خاف أن تضعف شما عن ذلك ، وأقنعه أنه دواء خاص للشفاء يرفضه السيد نارم ، وقد يؤدي لوفاته وقد يشفى شفاء كاملا ، ولما مات نارم تحدث مع المحامي فطلب منه لزوم الصمت ، وأنزل له في حسابه في البنك عشرة آلاف فلزم الصمت .. وأخيرا شكرا لكل من ساعدنا في معرفة هؤلاء القتلة ، وشكرا للمحامي زكي جميل على شجاعته وتعاونه معنا ، وشكرنا أيضا للسيد لطفي السائق الذي اطلعنا على كثير من المعلومات التي استطعنا بواسطتها الوصول للعقل المدبر لهذه الجريمة .. وهكذا الطمع في المال والغنى الفاحش دفعهم للقتل والإجرام ، وهكذا انتهت قصة مقتل السيد نارم .

تمت





وصية جديدة

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١





مغامرة النادي

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

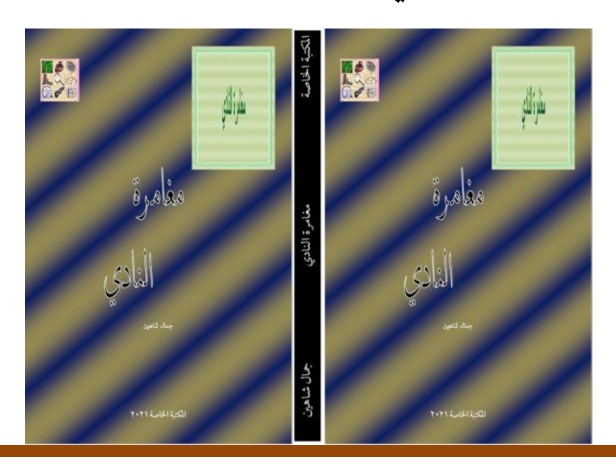
المكتبة الخاصة

مغامرة النادي

جمال شاهين

النشر الاول ١٩٩٥ / النشر الثاني ٢٠١٨

الاخير الثالث ٢٠٢١






٢


التحقيق الجنائي والجريمة

كانا يلعبان

اختفى سعد في غابة النادي

سمع حديثا خطيرا بين رجلين في غابة النادي

ثم تحول السماع لمغامرة ومطاردة لرجل يعمل في النادي

كانت المفاجأة في ملعب كرة السلة

وكانت النتيجة مذكرات رجل يتزعم عصابة مخدرات .



جمال شاهين

المغامر سعد

بطل هذه المغامرة اسمه سعد!

ووالده هو المدرس في إحدى المدارس العليا في مدينة الأزهار الخضراء السيد سعيد محمود.

وبطل هذه المغامرة يقطن في حي من الأحياء الحديثة من أحياء مدينة الأزهار الخضراء واسم هذا الحي الكبير " حي الأمير"

وعندما سألناه عن سبب اسم حمل هذا الحي هذا الاسم قال :" كان يعيش في هذا الحي في ماضي الزمان أمير يقال له زيدان ..وما زال قصره العتيد يدل عليه.. ولكنه قصر قديم ومهجور .. فلما انتشر العمران حول هذا القصر سمي الحي بحي الأمير الذي مات منذ أكثر من مائة سنة ، كما يقول الآباء والأجداد."

وأما سكن هذا المغامر فهو يقع في شارع الأسماك رقم " ٧ " بناية سعيد محمود " وهو منزل كبير مكون من ثلاثة طوابق.

ويحيط في المنزل الكبير حديقة من الأشجار العالية والأشجار المثمرة وأحواض الأزهار الجميلة ، فالبيت يبدو كقصر في قلب غابة صغيرة.

فالأسرة تعيش عيشة كريمة ، فلهم كثير من العقارات المؤجرة في المدينة والبلد قبل رحليهم للمدينة منذ عشرات السنين.

والأزهار الخضراء مدينة تتوفر فيها الخدمات كلها من مياه وكهرباء وهواتف وشوارع منظمة وحدائق عامة ، وتصل إليها السيارات من أماكن مختلفة وفيها نادي كبير يسمى " نادي الأمير زيدان"

مغامرة النادي

نادي الأمير زيدان نادي كبير يقع في مدينة الأزهار وهو قريب من حي الأمير .. وهو نادي رياضي اجتماعي ثقافي ، وكثير من أهل الحي والمدينة أعضاء فيه ، ففيه ملاعب رياضية متنوعة ، قاعات احتفالات ومحاضرات متنوعة .. مطاعم مختلفة أشجار حدائق مسابح ملاهي وغير ذلك.

وكان السيد سعيد محمود من الأعضاء القدامى والبارزين في النادي ، وهو المسؤول عن ترتيب المواسم الثقافية والندوات العلمية التي يقيمها النادي لأهل المنطقة.

قال سعد بدأت حكايتي هذه من نادي الحي ، كنا في العادة نذهب للنادي في المساء بعد صلاة العصر ، ولي أصدقاء كثر في النادي أو زملاء مدرسة ، فإما أن نتشارك في اللعب .. نلعب كرة الطائرة أو كرة السلة أو نذهب لحوض أو حمام السباحة الجميل .. وإما أن نتفرج على اللاعبين في مختلف الملاعب والصالات أو نتنزه في الحدائق الجميلة وبين الأشجار الفاتنة نجلس نتحدث أو ندرس أيام الامتحانات .. الحقيقة أن نادي الحي كان مكانا رائعا وجميلا وهادئا بالنسبة لنا.

ذات مساء كنت أنا وابن عم لي اسمه " حسن " نلعب في غابة النادي مكان كثيف بالأشجار الحرجية كأشجار الصنوبر والسرو والجوز والكينيا والبلوط ، كنت ألعب مع حسن بالقرب من تلك الغابة ، فمزحت معه بيدي فغضب مني فشردت منه نحو الغابة ، وهو يركض خلفي كنت أسرع منه وأخف وزنا ، ولما ابتعدت عنه أخفيت نفسي بين الأشجار، وأخذ هو يبحث عني حتى ابتعد ، فخرجت من دغل قد رميت نفسي فيه ، وما كدت أقف حتى سمعت أقداما فظننت أن حسنا قد عاد فأخفيت نفسي ثانية ، ولكن القادم لم يكن حسنا بل رجلا الشرر يتطاير من عينيه ، ويتكلم مع رفيق له بغضب حتى أنني خفت من منظره ، وكان خلفه رجل مثله في الطول واللباس وسمعت الأول يقول بصوت حاد : يا أبله .. لقد فشلت بالمهمة ولم تعرف أن تعود بالأوراق.

ففرض الموقف عليّ الإنصات لكلامهم فلذت بالصمت وسمعت الآخر يرد وهو يرتجف من الخوف ويقول : يا سيدي .. يا سيدي ! ذهبت بنفسي معهم إلى المكان ، وفتشنا الغرفة تفتيشا دقيقا ، ووجدنا فيها صندوقا فخلعنا قفله ، ولم نجد فيه إلا ورقة .. صدقني يا سيدي .. وهذه هي الورقة.

وأخرج الرجل الخائف من سيده ورقة بيضاء من جيبه وقدمها للرجل الغاضب، بالطبع قال سعد : شعرت بخطورة موقفي ؛ ولكني كتمت أنفاسي ، ولا أدري ما الذي دفعني للحذر والصمت ؟

أخذ الرجل الغاضب الورقة وهو يقول : المهم أنكم فشلتم ولم تحصلوا على المعلوم .. حسنا سوف يغضب الزعيم ..أخشى أن لا يصدقنا ويقتلنا .. هذه هي المرة الثانية التي تهرب من بين أيدينا هذه الأوراق اللعينة.

ثم فتح الورقة وقرأها بصوت مسموع فإذا فيها : " أتعبتم أنفسكم " فسمع سعد الرجل يردد العبارة عدة مرات ثم قال :" أتعبتم أنفسكم " .. يا له من ماكر إنه يعرف أننا نريد الأوراق!

ثم قال وقد خفف من حدة صوته وغضبه : حسن يا أحمق !.. ادفع للرجال أجرهم .. وسوف اتصل بك .. ولا تأت إلى هنا ثانية .. ولكنك أحسنت بلبسك هذه البدلة الجميلة ! .. فأنت كما تعلم هذا مكان محترم لا يدخله إلا السادات من القوم والأهالي . .

فقال الرجل وقد خف أو زال خوفه من الرجل الغاضب : بحثت عنك في كل مكان أعرفك تتردد عليه فلم أجدك ، وكان عليّ أن أبلغك ما جرى معنا .. وعلمت أنك اليوم في النادي فاستأجرت هذه البدلة وأتيت لأراك والحمد لله أنني وجدتك .. فهؤلاء الرجال يريدون ألف دينار .. ولا أملك درهما واحدا.

فعاد الغضب للرجل من جديد وصاح : ألف دينار .. على قصاصة ورق تسخر منكم .. إنك مجنون يا هذا!

فأجابه الآخر : أنت يا سيدي تعلم أن الحرباة لا يعمل بأقل من ذلك المبلغ .. وهو يقول " لو وقعت لا تكفي الألف أتعاب محامين " .. ولا تنسى يا سيدي أنهم ثلاثة.

عاد الهدوء للرجل الغاضب من جديد ، وهز كتفيه عدة مرات وقال : حسنا ـ وأخرج من جيبه رزمة ودفعها للرجل ـ وهو يقول : خذ هذه ألف ، وإذا احتجت إليك فسأتصل بك على ذلك الرقم .. اغرب عن وجهي ولا تعد لهذا المكان ثانية.

قال سعد : فاختفى الرجل وبعده بدقائق انصرف الرجل الغاضب ذو البشرة الحمراء ، فهو لم يكن بالأبيض ولا بالأسود .. هكذا كانت البداية، سمعت كلام الرجلين ووعيته ، وأدركت أن هناك أمرا خطيرا يجري ، ووجدت نفسي انخرط في مغامرة بوليسية ..وهكذا كانت البداية

لما ذهب عني الذهول تساءلت قائلا مع نفسي : ولكن ما هي هذه المهمة التي فشل فيها الرجل وأعوانه وقبض عليها ألف دينار رغم فشلها ؟! ..إنه مبلغ كبير فعلا كبير!

خرج سعد من بين الأشجار مشغول الفكر في هذين الرجلين ، وأخذ يبحث عن ابن عمه حسن ، وترجح لديه أنه مشى لمبنى النادي مبنى الإدارة ، فسار حيث مبنى الإدارة ، وهناك وجد صاحبه وتصافيا وتصالحا، وما زال ذهنه منفعلا مع الحوار الذي سمعه ويسأل عن الخطوة المطلوبة حيال القضية ، فأخذ يتنقل بين المكاتب لعله يرى الرجل الغاضب بين أعضاء النادي وزائريه ؛ ولكنه لم يلتق بالرجل ولم يعثر عليه ، فقال محدثا نفسه: هل أقص ما سمعت على أبي ؟ ماذا أقول له؟ أأقول له أنني سمعت حوارا غاضبا بين رجلين شككت بأنهما مجرمان أو يدبران لجريمة .. ؟!

فقرر سعد الاحتفاظ بما سمع ، وقال بجد وحماس : بداية مغامرة وأنا لها!

بعد أيام من تلك الحادثة نسي أو تناسى سعد الموضوع وغرق في المطالعة وقراءاته المختلفة ، فلدى والده مكتبة كبيرة تجمع فيها من الكتب والعلم الكثير الكثير، فوالده مدرس للغة العربية ، فتجد في المكتبة من كتب الأدب واللغة والمعاجم الكثير ، فمنها لسان العرب المعجم المشهور، وقد صنفه العالم اللغوي ابن منظور، ومنها معجم كبير للفيروز آبادي ، وفيها

المنجد في اللغة والأعلام .. ومعجم أساس البلاغة للإمام الزمخشري ، وغيرها الكثير كالمفردات للراغب الأصفهاني ، ومن كتب اللغة الأخرى البيان والتبيين والحيوان والبخلاء وكلها للجاحظ وله غيرها الكثير أيضا، وكتاب المبرد المشهور في الأدب الكامل ، وهناك دواوين الشعر القديم والحديث ، وفيها من كتب التفسير كتفسير الإمام ابن كثير ومن قبله كالإمام الطبري والزمخشري ومن بعده كتفسير المنار ، وتجد فيها من كتب التاريخ عيون الأخبار لابن قتيبة وتاريخ الطبري والكامل لابن الأثير وتاريخ ابن خلدون المغربي وتاريخ مصر وغيرها من البلدان ، وفيها من كتب الحديث كالبخاري ومسلم وأحمد ، وهناك كتب عن تاريخ أوروبا القديم والأوسط والمعاصر والثورة الفرنسية وتاريخ أمريكا .. وسعد كان عاشقا كبيرا للقراءة منذ طفولته المبكرة ، فهو يقرأ في المجلات والدوريات الحريص والده على شرائها ، ويقرأ الروايات العالمية المترجمة فهو يقضي أيام العطل والإجازات بين الرجال والعلماء والشعراء القدامى والجدد ، وعند المساء يسير للنادي للالتقاء بالأصحاب والأحباب، وأحيانا أخرى يتزاورون ويلتقون في حفلات الشاي الصغيرة.



حكاية مهرب

كاد سعد بعد مضي أيام أن ينسى الحادثة والرجلين والحوار إلى أن ذهب مساء ليلة مع أخيه الكبير "أحمد" إلى زيارة ابن عم لهم اسمه "جابر" وهو أخ شقيق لزميل دربه حسن ، وجابر هذا ضابط بوليس في التحقيقات الجنائية برتبة مقدم في الأمن ، ذهب إليه أحمد في حاجة فاتصل به فطلب منه الحضور ، وبما أن سعدا يحب ابن عمه وعمله أحب أن يرافق أخاه ، فهو يسر بسماع أخباره عن مطاردة المجرمين والعصابات ، فبعد صلاة العشاء قال : تحركت مع أخي وكلي حماس وشوق للجلوس معه ، وبالطبع أخذ أخي معه زوجته وأولاده الثلاثة رامي وراسم ورابح ، فأصبحت الزيارة زيارة عائلية ، استقبلهم جابر على مدخل البيت ورحب بهم كثيرا ، وقادهم لغرفة الاستقبال ، وهو يداعب سعدا ، فهو يعرف عشقه لسماع قصص العصابات والمغامرين ، ولما تحدث أخي معه بما جاء من أجله ، وقد تناولنا العصير البارد ، وأكلنا الفاكهة الطازجة واللذيذة خلال ذلك ، عاد سعد للكلام مع ابن عمه الكبير فقال : يا أبا عبد الكريم .. ما آخر أخبار الجرائم في المدينة ؟

فنظر إليه باسما وقال : للأسف الشر لا ينتهي .. الجرائم يا سعد كثيرة ولا تنتهي ؛ ولكنها تخف أحيانا وترتفع أحيانا أخرى.. فجرائم القتل موجودة رغم قلتها وجرائم المخدرات تزداد .. وجرائم اللصوصية والاحتيال موجودة .. ومشاغبات الملاهي والنوادي الليلية مستمرة ..وشيكات من غير رصيد منتشرة في البلد.

فقطع الكلام سعد وقال : صحيح إن الشر لا ينتهي إلا بانتهاء هذه الدنيا ؛ ولكن ما أغرب جريمة حدثت هذه الأيام ؟

وعلق أخي أحمد ثم قال جابر بعدما سمع كلام أحمد : الحقيقة يا سعد حدثت منذ أيام جريمة غريبة .. وقد تكون أول مرة أسمع بمثلها خلال خدمتي الشرطية الطويلة نسبيا فذكرك كلمة جريمة غريبة نبهني إلى هذه الجريمة.

فقال سعد بحماس ظاهر طالبا الحديث عنها : " حدثنا عنها ؟ " وقد أحس في داخله بأن

هذه الجريمة لها علاقة بما يعلمه عن الرجلين اللذين سمع كلامهما في النادي ، وتعجب أحمد من حماس أخيه للسماع وقال جابر : الحق أن سعدا فتى نبيه ويحب عمل الشرطة فمن أجل هذه تراه متحمسا لسماع هذه القصص ؛ فلعله يكون في المستقبل القريب بإذن الله ضابطا في جهاز الأمن.. سأقول لكم القصة الغريبة قبل أن ننسى ويعتب علينا الفتى النبيه سعد.

فشكر سعد ابن عمه وأصغى لحديثه ، فقال جابر : لقد اطلعت على تقرير وصلني قبل أيام عن رجل أجنبي يسكن في أفخم أحياء العاصمة .. استأجر شقة في عمارة كبيرة في ذلك الحي . وجاء في التقرير أن هذا الرجل تعرض للاعتداء البدني والأذى من قبل ثلاثة أشخاص دخلوا عليه في شقته ، وجاء من أقواله في محضر شرطة تلك المنطقة أن ثلاثة رجال اقتحموا عليه البيت وطلبوا منه أوراقا خطيرة ، ولما أنكر وجودها معه انهالوا عليه بالصفع والضرب بالأيدي والأرجل ، وتورط أحدهم فضربه بكأس في رأسه فشجه وأثناء الاعتداء عليه رن جرس الهاتف في الشقة فتوقفوا عن الضرب فاستغل فرصة الانبهار وخطف السماعة وتكلم مع المتصل ففزعوا وهربوا ، ثم اتصل الرجل بالإسعاف فاقبلوا وأخذوه للمستشفى وهناك تم إبلاغ الأمن والشرطة ، فذكر لهم هذه الأقوال أو هذه القصة والمشكلة الحقيقية أنه لا يعرف هؤلاء الرجال ، ولكنهم كما يقول من لهجتهم وسبهم من أهل هذه المدينة وليس هذا الغريب في الأمر .. الغريب هو الأوراق التي تطارده هذه العصابة من أجلها .. فأثناء وجوده في المستشفى لم يقل شيئا عما في هذه الأوراق ؛ ولكنه لما عاد لشقته وجد أن الأوراق قد اختفت، فأعاد الاتصال في شرطة المنطقة وذكر لهم ما في هذه الأوراق .. وصمت المقدم جابر برهة ثم قال : ماذا تتوقعون أن يكون في هذه الأوراق التي تطارده العصابة من أجلها ؟!

فلما لم ينطق أحد قال جابر وقد ارتسمت على فمه ابتسامة هازئة :اعترف هذا الرجل الأجنبي أن في الأوراق مذكرات رجل مجرم خطير كتبها وهو في سجنه في جزر الفلبين .. يتحدث فيها عن عصابات التهريب العالمية في تلك المنطقة يذكر فيها أساليب تلك العصابات والشبكات المنظمة في تهريب المخدرات .. ويذكر أسماء كبار العملاء في مناطق كثيرة من العالم ، وعرفنا

من الرجل أن هذا المجرم برفسور في إحدى الجامعات هناك ، ويدير شبكة مخدرات عالمية ، ثم وقع في أيدي البوليس ، وقضي عليه بالسجن وأحس بالخطر المحدق به من الرجال الذين يعمل معهم ، فكتب الأسرار التي يعرفها وأمن عليها هذا الرجل الذي أتى لهذه البلاد في انتظار رجل وصفه له الزعيم ليسلمها إليه ليتصرف على ضوئها ، ولكن كما قال كأن العصابة لما تخلصوا من البرفسور ومات أو قتلوه في سجنه أحسوا وعرفوا بكتابته المذكرات .. فلحقوا بحاملها ولهم شهر أو أكثر من شهر يطاردونه من بلد إلى بلد وجاء إلى هنا للالتقاء بالذي يحق له امتلاك هذه المذكرات .. ولكن المطاردين جاءوا إلى هنا ودخلوا الشقة أكثر من مرة يبحثون عن الأوراق حتى وجدوها .. هذه هي القصة الغريبة .. مذكرات رجل مخدرات .. ألستم معي بأنها غريبة ومثيرة ؟! .. وقد حولنا القضية بالطبع لدائرة شرطة مكافحة المخدرات .. ووضع الرجل تحت المراقبة بعد هذه الاعترافات ، ولما نقبض على الرجال الذين سرقوا المذكرات أكمل لكم القصة.

لما سمع سعد هذا الكلام من المقدم جابر أحس إحساسا قويا أن حكاية النادي سيكون لها دور في هذه القضية ، عاد سعد للبيت وذهنه مشغول بما سمع من المقدم جابر وبما سمع من رجلي العصابة ، وبعد تفكير عميق والخطوة المطلوبة اتصل في اليوم التالي بالمفتش جابر ، وذكر له الحوار الذي سمعه صدفة في غابة النادي فأبدى الضابط اهتماما بما سمع ، فاستأذن من أمه بناء على رغبة المفتش جابر بسماعه مباشرة ، وذهب إليه ووجده في انتظاره وأدخله مكتبه واستمع للقصة ثانية ثم قال له : سعد البطل.. ما الذي دفعك لتربط بين الحكايتين ؟

ففكر سعد قليلا ثم رد على المفتش جابر : موضوع الأوراق الخطيرة .. وأنت ذكرت أن الرجل تعرض أكثر من مرة للتفتيش ، وذاك الرجل قال هذه المرة الثانية التي نفشل فيها .. وأن الزعيم سيغضب .. فهذه إشارات قد تجمع بين الأمرين .. وكذلك من كثرة تفكيري بالموضوع ـ حوار النادي ـ وممكن أن نتأكد من ارتباطهما بالتجربة التالية.

فقال جابر بدهشة : ما هي التجربة التالية ؟!

قال سعد : في المرة الثانية عندما فتشوا بيت الرجل وفتحوا صندوقا مغلقا وجدوا فيه قصاصة أو رسالة من الورق سمعت الرجل الغاضب يقول: إنه فيها " أتعبتم أنفسكم " فعلق فقال كان الرجل يعلم أننا نطارده .. فيا أبا عبد كريم اسأل الرجل الأجنبي هل فعل ذلك ؟ والجواب منه بنعم يؤكد ارتباط ما سمعته عن غير قصد بما سمعته منك.

فابتسم المفتش جابر ابتسامة كبيرة وقال مشجعا : كل يوم ازداد اقتناعا بأنك نادر الذكاء وأن لك عقلا بوليسيا وتصلح أن تكون محققا جنائيا ، وسوف أهتم بك أكثر يا سعد وسأرسلك غدا إلى صديق لي في دائرة مكافحة المخدرات والتهريب .. فالقضية من ضمن اختصاصهم وحدثه بما تعلم ، وتعاون معه فسوف يرحب بك وسأوصيه عليك والإصغاء إليك.

بدأ سعد سعيد بشجاعة وبدون تردد بالتعاون مع رجال الأمن والمشاركة في أعمال الشرطة ، سماع حديث غريب بين رجلين ولقاء عابر مع المقدم جابر ، فحشر أنفه في موضوع بوليسي ، وبالفعل ذهب سعد لمقابلة الضابط الكبير في دائرة المخدرات كان زميلا لابن عمه ونائب رئيس الدائرة المقدم طلال نور وبعد التعارف السريع قدم له كوبا من الشاي الجميل المعطر ، واستمع الضابط لقصته بانتباه ، وقد أصاب الخجل والحياء سعد من كثرة ثناء المقدم طلال عليه وعلى شجاعته وحب تعاونه مع الشرطة وذكائه في ربط القصتين معا ، وأعجب بفكرته البسيطة للتأكد من علاقة القصتين معا ، فاتصل المقدم طلال بضابط أصغر منه رتبة وهو النقيب شادي .. المسؤول عن هذه القضية .. فسر النقيب بهذه المعلومات الجديدة التي قدمها سعد ورحب بفكرة الاتصال بالرجل الأجنبي المدعو "جواكر فورش" من مواطني جمهورية الفليبين ، وهو يجيد العربية إلى حد مقبول وعاش في البلاد العربي أكثر من عشر سنوات متنقلا بين عدة أقطار.

وقال النقيب عنه : وهو مهرب دولي .. ولقد حصلنا على معلومات عنه من الشرطة العالمية وهو موضوع تحت مراقبة رجالنا لنعرف من هو الرجل الذي يسعى لمقابلته ليأخذ منه المذكرات المفقودة ؟.

وصمت النقيب لحظات ثم عاد يقول : يا ولدي يا سعد ! .. الرجل الذي رأيته في النادي هل تعرفه إذا رأيته ؟

قال سعد بحماس : بالتأكيد أعرفه وأعرف الرجل الآخر .. والآن بدا لي أنه رجل ذكي وحذر رغم غضبه .. لم يذكر أحد منهم خلال اللقاء اسم الآخر ولا كنيته أو لقبه .. إنما جاء على لسان الرجل الثاني اسم الحرباة .. كان يناديه يا أحمق يا أبله رغم طول الحوار بينهما.

فقال شادي : هذا أمر بديهي بين رجال العصابات عدم ذكر الأسماء أثناء الحديث لخوفهم من رقيب سري .. وأظن أن اسم الحرباة سقط سهوا بينهما.

وتبسم الضابط طلال لذكاء سعد وتحليله وقال : ما القرابة التي تربط بينك وبين زميلنا المقدم جابر ؟

تبسم سعد هو الآخر وقال بتواضع وحياء : هو ابن عمي.

فعلق النقيب شادي : أنت فتى شجاع وفطن .. في أي سنة دراسية الآن ؟

قال سعد : أنهيت تسع سنوات من التعليم وأنا تلميذ في مدرسة الحق المبين.

فقال النقيب : هذه مدرسة أهلية.

قال سعد : نعم ، وأبي الأستاذ سعيد محمود.

ضحك الضابطان وقال طلال : أنا أعرف والدك يا سعد ، كثيرا ما التقينا في النادي أو عند المحافظ .. نشكرك يا سعد ومطلوب منك أن تبحث في النادي وبحذر شديد عن رجل العصابة الذي دفع الألف دينار .. وإذا عرفته لا تفعل شيئا سوى الاتصال بي .. خذ هذه البطاقة ـ وأخرج كرتا صغيرا مطبوعا عليه أرقام هواتف ـ فعليها أرقام يمكنك أن تتصل بواسطتها فيّ في أي وقت .. وسنتعاون في الموضوع .. فأرى لديك حماسا قويا لمساعدتنا .. ولسوف أخبرك عن تحرياتنا في موضوع "أتعبتم أنفسكم" فإذا ثبت أن الرجل كاتب الرسالة فلحادثة النادي ارتباط أكيد مع هذا الرجل .. وسوف نبحث عن الحرباة .. وعن رجل النادي وكتب النقيب رقم هاتف بيت سعد ، وشكراه وهما معجبان به وبحماسه ، وغادر الفتى دائرة

مكافحة المخدرات وهو نشوان من السعادة في سيارة من سيارات الدائرة جزاء تعاونه ولمعرفة منزله ، لقد كان حلما بالنسبة لسعد أن يشارك في قضية بوليسية ، فهو كلما قرأ قصة من قصص المغامرات والمطاردات ظن نفسه أنه البطل لهذه المغامرة ، وأنه هو الذي وصل للمجرم في نهاية كل مغامرة ، فدخل البيت وكله حماس وشوق لمتابعة هذه المغامرة الأولى في حياته ، فعاش لحظات من السعادة والخيال الجميل ، وعند العصر تحرك للنادي بشعور يختلف عن المرات السابقة ، شعور فيه الانفعال الباهر والحماس المندفع والغاية الجميلة وليس لمجرد اللهو والمتعة فقط .. إنه يعيش في مغامرة .. يريد أن يبحث عن الرجل الذي رآه منذ أسبوع وأكثر ؛ ولكنه توقف عن التفكير لحظة وهمس قائلا لنفسه : قد يكون هذا الرجل لا علاقة له بموضوع " جواكر فورش."

ثم عاد يقول : ابحث عنه وانتظر اتصال المقدم طلال أو النقيب شادي .. فإن كان هناك صلة بين القضيتين تابعت نشاطي وبحثي وإلا انهار الحلم...

أمضى سعد ساعات المساء يتنقل في أرجاء النادي يمحص النظر في الوجوه بشكل ذكي ؛ وكأنه لا يبحث عن شخص معين يتحدث مع الأصدقاء والمعارف هنا وهناك وفي النهاية عاد مع حسن في اتجاه البيت بدون نتيجة ، وقد دعا ابن عمه لشرب الشاي الذي علق قائلا : وهل في مثل هذا الجو الحار يشرب إنسان الشاي .. ادعوني لزجاجة من المثلجات " الكولا " " البيبسي " .. العصير..

فتبسم سعد وهو يقول : يا أخي تفضل وادخل .. ثم سوف تشرب أفضل زجاجة من البارد مثلك .. وعصير وشاي .. وفواكه .. بس ادخل وإذا نمت عندنا سيكون لك عشاء من مطعم " آب لو " .. ما تقول في هذا العرض الطموح ؟

هرش" حسن ساعد محمود " رأسه وبعد تفكير سريع قال : الواقع أنها أشياء مغرية .. ولكن عندي مقابلة مع أحد الأخوة في العاشرة ليلا .. مالك الرابع صديقنا في المدرسة القديمة.

وعند مفترق الطرق الذي يؤدي إلى شارع الأسماك وحي الدوحات ومنه إلى حي الميدان الذي يسكن فيه حسن افترق الصديقان وعاد سعد للبيت ولما دخل والتقى بأمه سألها : هل اتصل به أحد اليوم ؟

فنفت أن يكون أحد اتصل به ، فهدأت أعصابه ودخل غرفة الطعام وأكل ما قسم الله له من الطيبات، ثم أسرع إلى حجرة نومه يستريح ويفكر بما زج نفسه به، وأخذ يفكر كيف تنهار أحلامه بالمغامرة الغريبة التي كان يحلم بها ..؟

وفي الصباح استيقظ على يد أمه تهزه قائلة : يا سعد.. اصح .. فأبو عبد الكريم على التلفون .. يريد أن يكلمك في موضوع يهمك..

وكان سعد يحلم فما كاد يسمع ويستوعب كلمات أمه حتى دفع الغطاء عن بدنه ونهض سريعا نحو الهاتف وسمع أمه تقول بدهشة: ماذا جرى في الدنيا ؟!ولما هذه اللهفة ؟! ماذا يريد منك ابن عمك ؟!

استمع سعد بشوق لمكالمة المفتش في البوليس جابر مما دفع الآخر أن يقول : ما بك يا سعد .. مالي أحس بأن صوتك مضطرب ؟!

فقال : آسف .. يا عماه .. لقد أيقظوني من النوم .. كيف أصبحت ؟ .. بخير .. وقد أكرمني المقدم طلال وعرفني على النقيب شادي المكلف بهذه القضية وأعادوني للبيت بسيارة الشرطة ، وكلفوني بمهمة البحث عن الرجل الغاضب رجل النادي.

واستمع سعد للمقدم وصاح فجأة بفرح : حقا .. يا الله !! هو كاتب تلك الرسالة .. على الفور سأذهب للدائرة .. لا تؤاخذني على انفعالي العنيف .. أنا متحمس جدا يا سيدي .. لقد كانت المشاركة في عمل شرطي حلما كبيرا لديّ .. فما أقرأ قصة بوليسية أو لغزا من الألغاز إلا تمنيت أن أكون أحد الأبطال الذين يخدمون العدالة .. معذرة يا سيدي .. في الساعة العاشرة سأكون عنده .. مع السلامة.

وترك السماعة ومسح العرق المنحدر على جبينه وسمع أمه تقول له : ما بك يا سعد تصرخ

وتكاد تطير فرحا ما الذي أسعدك وأفرح قلبك ؟!

فعاد إلى واقعه وابتسم في وجه أمه وقال : لا شيء يا أمي .. أمر خاص بيني وبين أبي عبد الكريم المقدم جابر .. عفوا للإزعاج الذي سببته لك يا أحلى أم !

وفي العاشرة صباحا كان سعد يجلس في مكتب النقيب شادي يسمع ثناءه على قدرته على الربط بما سمعه من رجل النادي والمقدم جابر وقال له النقيب شادي : ذهبت أمس وقابلت فورش هذا وحدثته بعد مقدمات ومسايرات عن الورقة فاستغرب وأقر قائلا : فعلا لقد وضعت هذا الرسالة ليعرفوا أنني أعرف بمتابعتهم لي .. ومع ذلك فقد وصلوا للأوراق والمذكرات ، ولما سألني كيف عرفت ؟ ضحكت بالطبع وقلت له هذه أسرارنا فلزم الصمت والعجيب يا أستاذ سعد أنه مهرب دولي ومع ذلك فهو غير مطلوب من قبل الشرطة الدولية ونحن هنا لا نستطيع القبض عليه لأنه غير مطلوب لنا بقضية تهريب .. وعندما دخل البلاد دخلها بصفة سائح وليس معه أي ممنوعات .. فلا نستطيع القبض عليه لنقدمه للمحاكمة .. بل من حقه علينا أن نقبض على غرمائه ونعيد له الأوراق المسروقة ونتعقب الجناة الذين اعتدوا عليه.

وقال سعد : الحمد لله أننا وجدنا خيطا يربط بينهما، وهذا بالتأكيد سيساعدكم في الوصول للجناة .. وأنا ذهبت أمس للنادي وبحثت عن الرجل هنا وهناك ولم أعثر عليه ولسوف أتابع المهمة .. فكما يبدو من كلامه مع الرجل الآخر ؛ فإنه من المترددين على النادي .. وهل بحثتم عن الحرباة ؟؟

فقال النقيب باسما : طلب مني المقدم طلال أن أتعاون معك لأقصى درجة لأنك الرجل الوحيد الذي رأى نائب الزعيم بناء على كلامك .. فرجل النادي هو الوسيط بين الزعيم والرجل الذي قبض الألف دينار ، وذاك هو الوسيط بين رجل النادي والحرباة وشركائه الذين اقتحموا الشقة ـ شقة جواكر ـ أكثر من مرة ، وقد يكون هناك غيرهم وراء هذه المذكرات .. وبحثنا في ملفاتنا عن شخص يسمى الحرباة فلم نجد .. المهم أنت مهمتك أيها

البطل الصغير واضحة لك تماما .. البحث عن رجل النادي والاتصال بي أو بالمقدم طلال أو حتى بابن عمك المقدم جابر ساعد .. ومعك أرقام هواتفنا.

وأخرج سعد الأرقام التي أخذها في المرة الماضية من المقدم طلال ، فلما نظرها الضابط قال : رائع سعد !.. أتمنى أن أراك رجلا في جهاز الأمن العام ما دمت تحب وتهوى الأعمال البوليسية فأبدى سعد شكره وامتنانه لثقة النقيب به ، ووعده ببذل أقصى جهده في التنقيب والبحث عن رجل العصابة الذي يتردد على النادي ، وودع سعد النقيب وعاد بواسطة السيارات إلى حي الأمير في مدينة الأزهار الخضراء وقد قويت عزيمته بالبحث عن رجل النادي المجهول.

والتقى سعد بوالده على مائدة الغداء فسأله قائلا : سمعت والدتك تقول إنك مشغول هذه الأيام وتتردد على أبي عبد الكريم .. ما القصة ؟!

فقال سعد : موضوع بيني وبينه فيما بعد سأذكره لك بالتفصيل .. هل من نشاطات مثيرة هذا الصيف في النادي يا أبي ؟

لم يشأ الوالد أن يطيل الحديث فيما بين ابنه وابن أخيه الأكبر جابر ساعد فرد على استفسار سعد قائلا : كما تشاء يا سعد .. سوف أنتظر لأسمع منك التفاصيل .. أما بالنسبة للنادي .. ألا تذهب إلى هناك يا سعد ؟

فرد سعد : أذهب كل مساء ..وأعود برفقة حسن.

فعاد الأب يقول : آه .. ما دمت تذهب فلماذا لم تطلع على نشاطات هذا الصيف في لوحات الإعلانات ؟.. فهناك برامج للأطفال والشباب هذا الموسم ..فهناك برنامج رياضي حافل بالمسابقات .. لهواة الشطرنج ولهواة كرة المضرب وكرة الطاولة .. والنادي سوف يشارك ببطولة كرة السلة لهذا الصيف على مستوى الأندية .. وغير ذلك من نشاطات النادي الصيفية وهناك ندوات ثقافية وعلمية .. وسيأتي دكتور من هولندا ويلقي محاضرة طبية عن جهاز طبي جديد شارك في تصميمه .. وهناك محاضرة عن أضرار التبغ لطبيب عربي من الخارج .. وهناك يا ولدي نشاط أدبي وليلة شاعرية مع ثلة من شعراء الوطن .. اقرأ برامج الصيف في مجلة

النادي .. تعرف أخبار ونشاط النادي.

فقال سعد : يا أبي .. ما رأيك بإلقاء محاضرة عن ضرر وخطر المخدرات وانتشارها بين شباب الأمة ؟

فرد سعيد : موضوع طيب .. وقد اقترحه الدكتور مازن .. ولكن لماذا هذا الموضوع ؟ !

قال سعد : علمت أن المخدرات لها أضرار كبيرة على الفرد والمجتمع .. والناس بحاجة دائمة لتوعيتهم في هذا الأمر .. وعلمت أن تجارتها في البلد تزيد ولا تنقص وزاد عدد المدمنين حسب إحصائيات الدوائر المختصة .. فضروري أن يشارك النادي في مثل هذه النشاطات لتوعية الجماهير ..وهناك موضوع آخر يستحق الاهتمام في نظري يا أبي ! وقد قرأت عنه.. وهو مرض العصر وأخطره مرض الإيدز.

فقال الأب وهو ينهض عن مائدة الطعام : وهذا الموضوع يوجد في برامج الصيف ندوة أو أكثر عنه.



ملعب كرة السلة

كان سعد في المساء يتجول في أرجاء النادي في الملاعب الصالات الحدائق، وقد ترك اللهو واللعب ، وكانت مهمته البحث عن رجل الغابة الغاضب ، كان يطمع أن يراه فجأة كما سمع حديثه فجأة ، ومضى النهار ودخل الليل دون أن يراه فخاطب نفسه قائلا : لقد ظهر من كلام الرجلين أنه من رواد النادي وليس عابر سبيل ، وقد أثنى على مساعده بأنه حضر بلباس جميل وأنيق؛ فكأن ذاك الرجل رجل سوق وحرمنه ، ولما أتى لمقابلة زعيمه في مكان محترم لبس ثيابا أنيقة ليبدو أمام رواد النادي رجلا محترما.. سأجتهد في حضور المحاضرات والندوات قد أراه محاضرا في إحداها.

فصار سعد يتردد على النادي في الصباح والمساء ويستمع للمحاضرات دون أن يعثر على ضالته المنشودة ، فاتصل ذات مساء بالنقيب شادي وعبر له عن يأسه من العثور على الرجل المجهول ، فشجعه النقيب على الاستمرار وبين له أن المطاردات والتفتيش يحتاجان إلى وقت ، فربما مرض الرجل أو سافر أو تغيب لأي عذر ، وحذره من اليأس، ولابد أن تراه إن كان من رواد النادي وحثه على المتابعة، وكشف له أنهم وصلوا للحرباة وأنه لص مشهور ومختص في فتح الأقفال والخزائن، وهذا ما يؤكد تعاونه معهم وهو تحت مراقبة رجال المباحث السرية ، ورغم أنه لص فهذه أول مرة يكتشف أن له علاقة مع وسطاء التهريب ، وقد أثنى الضابط من جديد على تعاون سعد وحفظه لاسم الحرباة ، وأمره بالاستمرار بالتفتيش والبحث دون كلل أو ملل ، فعاد الحماس لروح سعد من جديد وأخذ يتردد على النادي صباح ومساء ، وذات مساء التقى بصديق له في النادي وبعد الترحيب والسؤال عن الصحة والأخبار، وذكر سعد لصاحبه اهتمامه هذا الصيف بالنشاطات الثقافية المختلفة.

فقال له الصديق : إذن تعال معي الليلة وغير هذا النمط وشاهد المباراة القوية في كرة السلة بين فريق نادينا ونادي الملاح الأزرق على صالة النادي.

وحاول سعد التملص من مشاهدة هذه المباراة ، ولكنه أمام إصرار صديقه "عماد " وافق

على الحضور للمشاركة في تشجيع النادي ورغبة في سماع المزيد من أخبار ونشاط عماد هذا الصيف ، وللاتفاق على تسيير رحلة جماعية إلى إحدى المناطق الأثرية في الوطن، وكان سعد يعلم أن صديقه من هواة ومشجعي كرة السلة ، فهو يحفظ قانونها أكثر من بعض حكامها وبعض لاعبيها ويعرف أسماء كثير من مشاهير هذه اللعبة ، وهو أيضا يمارس هذه الرياضة ويفضلها على غيرها من ألعاب الكرة ، ومع هذا فهو يحب أن يكون جمهورا ولم ينضوِ في فريقها الرسمي في النادي ، فتراه قد اشترى تذكرتين ، وحجز مقعدين في الصالة ، وقام بشراء اللب والفستق وعلب العصير مظهرا كرمه وتودده لصديقه سعد ، واندمج الصديقان في الحديث والحوار ، وذكر عماد لصاحبه آخر أخبار هذه الرياضة في العالم وتفوق الفرق الأمريكية في هذه الرياضة على سائر فرق العالم ، وأن هذه اللعبة تحتاج للاعبين عمالقة مع اتصافهم بالقوة وثبات الأعصاب واللياقة البدنية العالية وشرق وغرب، وقبل الساعة الثامنة ظهرت الفرق في الملعب ، ولما اكتمل الإعداد بدأ اللعب عندما أطلق حكم الميدان صافرته واندمج الرفيقان بالمشاهدة

وخلال اللعب يحق للمدرب ـ مدرب أي فريق ـ أن يطلب من الحكم اجتماع قصير مع اللاعبين ليوجههم ، وهذا ما حدث فقد طلب المدرب لفريق النادي وقتا مستقطعا فتوقف اللعب والتف كل فريق حول مدربه ، وهنا كانت المفاجأة بالنسبة لسعد عندما نظر لمدرب فريق السلة بدقة وفضول ؛ فإذا هو الرجل الذي يبحث عنه منذ أيام فصدم للوهلة الأولى وقال لنفسه : أمعقول هذا ؟! مدرب فريق السلة يعمل مع العصابة ؟

فأخذ يتلفت يمينا وشمالا ثم ضبط نفسه وأعصابه المتوترة للمفاجأة وقال لعماد : من هو مدرب الفريق ما اسمه يا عماد ؟

استأنف اللعب من جديد ورد عماد : مدرب الفريق يا صديقي هو الأستاذ شوقي مكرمة .. كان لاعبا ماهرا ثم أصبح مدربا ، وله أكثر من سنة يدرب فريقنا .. لقد كان يدرس ويتدرب في الفلبين ، وكان هناك منذ شهور ثم أتى من قريب وعاد لتدريب الفريق.

فهمس سعد : الفلبين ؟!

قال عماد : نعم درس الرياضة هناك في إحدى جامعتها الكبيرة.

فهمس سعد مرة أخرى : إحدى جامعتها ؟ !

فقال عماد : مالك يا سعد .. مشغول ؟! اجلس دعنا نتابع اللعب الجميل.

كان الأمر مفاجأة مثيرة لصاحبنا سعد ، فترك المكان واقترب من مكان جلوس المدرب وسمعه وهو يتحدث مع زملائه ، فتأكد من شخصه ومن صوته العالي ، ثم أشار لعماد مودعا وانسحب إلى خارج الصالة ، واتصل بالنقيب شادي فقيل له إنه في البيت ، فاتصل بابن عمه جابر ساعد، وروى له المفاجأة فقال له الضابط : تمالك أعصابك يا بطل نحن قادمون سأتصل بالنقيب شادي ونأتي سريعا لا تفعل شيئا انتظرنا أمام القاعة.

في أقل من نصف ساعة كان سعد يروي للضابطين الصدفة التي جمعته بالرجل المجهول رجل النادي ؛ فإذا هو مدرب كرة السلة للنادي، وذكر لهم المعلومات التي سمعها من صاحبه عماد عن مدرب فريق كرة السلة من دراسته في الفلبين وأنه يعمل في النادي منذ سنة ذهب خلالها للفلبين ثم عاد من قريب ، وبين لهم أن عدم سبب رؤيته خلال هذه الأيام الماضية ؛ لأنه كان مشغولا في تدريب الفريق وانشغالهم في معسكرات تدريب استعدادا لموسم الكرة ، وسر الرجلان بفطنة وذكاء سعد وربطه بين هذا المدرب والرجل الفلبيني جواكر فورش وأستاذ الجامعة السجين، وتركهم سعد وعاد للجلوس مع صاحبه عماد ، وبعده بقليل دخلوا وهم يرتدون ملابسهم المدنية ، وأشار لهم سعد على المدرب فرسموا صورته في أذهانهم ، وكان سعد يجلس بجوار صديقه مسرورا بما قدم للعدالة والشرطة.



مهمة لسعد

بعد أيام من التعرف على رجل النادي طلب النقيب شادي سعدا في منزله ، وطلب منه المجيء لدائرة مكافحة المخدرات ، وأكد له أنهم يتابعون حركات ونشاط المدرب شوقي ، وبين له أنهم في حاجة إلى خدمة أخرى منه ، وتتلخص هذه الخدمة بأن يذهب سعد متنكرا مع رجال مباحث سريين إلى مقهى عتيق يقع تحت الأرض في سوق أثري قديم يرتاده الغرباء، وأكثر زبائنه من أصحاب السوابق والقضايا الجنائية والجنح ، لينظر بين رواده عن الرجل الذي كان مع شوقي المدرب في غابة النادي ، ولما وصل سعد لدائرة المكافحة أخذه ضابط إلى غرفة خاصة وألبسوه ملابس عتيقة وقذرة تظهر أنه عامل تشحيم في محطة ، ونفش شعره المسترسل ولطخ وجه ببعض الشحمة والسواد ، ثم أخذه النقيب شادي إلى مكان ما وعرفه على رجلين متنكرين في ملابس عمال عتيقة ، وانطلق الثلاثة إلى ذلك المقهى في قلب العاصمة "مقهى الأوحال"، نزل الثلاثة درجا إلى أسفل البناء واجتازوا محلات صغيرة للخضار والفواكه وغير ذلك حتى وصلوا لمقهى واسع قديم ، ويدل على ذلك رائحة المكان والكراسي القديمة ، ودخل سعد مع الرجلين الذي ظهر له أنهم من رواد المقهى ، فكثير من عمال المقهى يعرفونهم ، وأعجب سعد برجال الشرطة وذكائهم وجرأتهم، وكانت مهمة سعد أن يبحث عن الرجل الآخر الرجل الذي رآه مع مدرب السلة في النادي، وهناك عرفه الشرطيان المتنكران على الحرباة ؛ فإذا هو رجل كالوحش ، وجهه ممتلئ بالنتوءات ، شاربه كثيف ، شعره أشيب ، أخذ سعد من خلال شربه الشاي يتفرج على زبائن المقهى ويتفحصهم ، وكلما انتقل الرجلان لطاولة بحجة الحديث مع الجالسين عليها يتبعهم سعد ، ومكثوا في المقهى حتى الليل ، ثم خرج الثلاثة إلى الدائرة ، وخلع سعد ثياب التنكر وارتدى ثيابه وقام الرجلان بتوصيله للبيت وطلبا منه أن يتصل بالنقيب شادي ويروى له ما جرى معهم.

وفي صباح اليوم التالي كانت سيارة خاصة تنقل سعد إلى دائرة المكافحة ، فقد أخبره السائق أنهم قبضوا الليلة على الحرباة في بيت أحد الرجال ، ويريدون من سعد أن يشاهد ذلك الرجل

ودخل سعد إلى قاعة كان في انتظاره بداخلها النقيب شادي الذي قال معتذرا : أهلا يا سعد البطل .. نأسف على إزعاجك .. ولكنك شاهد مهم في هذه القضية ، وشجاعتك ومساعدتك الكبيرة لنا شجعتنا على متابعة التعاون معك .. لقد قبضنا أمس بعد منتصف الليل على الحرباة وهو يزور رجلا خيل لنا من أوصافك له أنه الرجل المطلوب .. تعال معي

وفي غرفة كان محجوزا فيها الرجلان دخل سعد بضع دقائق ، ثم خرج فوجد النقيب في انتظاره وقال : آ .. يا سعد ؟

فقال سعد بكل ثقة : نعم هو الرجل الذي رأيته ذلك المساء يتحدث مع المدرب شوقي.

فاستدعاه النقيب إلى مكتبه وحده وحدثه بذهابه للنادي وقبضه ألف دينار من السيد شوقي مقابل اعتدائه على الرجل الأجنبي ، وأخذ يراوغ و يصيح : أنا لم أفعل شيئا.

فقال النقيب : الإنكار لا ينفعك .. وقص عليه الحوار بالتفصيل ، فتعجب الرجل وأحس أن الشرطة كانوا يسمعون حوارهم كلمة كلمة وقال الضابط : والحرباة هو الذي ساعدكم في فتح الأقفال وخاصة الصندوق ..وأنتم اعتديتم على الفلبيني " جواكر فورش " ونحن عرفناكم لا تنكر .. وفورش قادم بعد قليل لتتم المواجهة بينكم .. قد يتعرف عليكم ، وقد لا يتعرف ؛ ولكننا متأكدون من فعلتكم .. أين الأوراق التي سرقتموها؟

فأقسم له الرجل المدعو "أنور" أنه لم يستولِ على الأوراق فقال الضابط : ولكنك حاولت أنت وهذا ـ وأشار للحرباة الموجود في غرفة أخرى ـ سرقتها أكثر من مرة ، وفشلتم وكتب لكم رسالة في إحدى المرات " أتعبتم أنفسكم " ثم أخبرت رئيسك بفشلك وقبضت منه ألف دينار بالقرب من غابة النادي.. وكررتم المحاولة مرة أخرى ، ولما فشلتم اعتديتم على الرجل وضربتموه وأدميتموه وهربتم، وذهب هو للمستشفى، ولما خرج منه لم يجد الأوراق.. هذه المعلومات لدينا ولدينا المزيد .. فهل تعترف بما قلت ؟

فقال الرجل : سأعترف بدوري .. ولكن صدق أنني لم آخذ الأوراق .. هناك أناس سبقونا إليها .. حاولت فعلا سرقة الأوراق ، وفشلت وقبضت من الأستاذ شوقي ألف دينار ، ونحن

لسنا عصابة إنما كلفنا الرجل بمهمة مقابل مبلغ من المال وفشلنا.. أنا لا علاقة لي بالمخدرات ولا بالتهريب.. أنا شغل نشل ونصب ، وقد أسرق إذا تيسرت لي فرصة.

فقال النقيب : أرجو أن لا يكون لك علاقة بالمخدرات والترويج.

وخرج الضابط وبرفقته سعد ، وذهب لمطعم الدائرة وتناول الطعام والشراب بصحبة سعد ، ثم قابلا المقدم طلال الذي استمع لتلخيص للموقف ، وسُر من سعد وكرر الشكر له وشدّ على يده وتمنى له مستقبلا زاهرا ، وطلب سيارة خاصة لتنقله للبيت وكان سعد يقول : أرجو أن أعرف نهاية القصة وأين استقرت المذكرات ؟

فتبسم الضابط طلال وقال: عند ابن عمك المقدم جابر ستعرف نهاية هذه المصادفات العجيبة إلى اللقاء يا سعد.

هكذا كان دور سعد في هذه القصة؛ ولكنه كان سعيدا به.. المهم أنه قد اشترك في عمل مع الشرطة ، وكانت هذه المغامرة الأولى لسعد وتعاونه مع رجال الأمن وظهور نجابته وفهمه.

بعد فترة من الزمن اتصل به المقدم جابر ، فذهب إليه على وجه السرعة ؛ لأنه يريد أن يسمع منه نهاية القصة ، ولما استقرا جلوسا وشرب سعد كوب العصير الذي قدم له قال له جابر : لقد قمت بدور كبير يا سعد.. واعلم أن رجال الأمن معجبون بك وبشجاعتك وتطوعك وحبك العمل معهم ..ولولا تطوعك وكشفك عما سمعته أمامك في النادي لطال البحث عن المجرمين.. فالفضل الكبير يرجع إليك في القبض على هؤلاء المجرمين.. والقصة تبدأ من أكثر من نقطة .. فلنبدأ من مجيء فورش للبلد .. فقد قدم لتسليم المذكرات الخاصة بزعيم العصابة لصديق له هنا ، وتبين لنا أن هذا الصديق هو مدرب كرة السلة الأستاذ شوقي ، وتبين لنا أنه عضو في شبكة تهريب دولية، وهو عميل كبير لهم هنا ، وقد تم تجنيده أثناء دراسته في الفلبين ، وكان يتظاهر أمام أعوانه أو الرجال الذين يستخدمهم في أعماله بأنه مرؤوس ليأمن من غدرهم وطمعهم ، جاءته رسالة من الزعماء الكبار هناك يطلعونه فيها بموت أحد الزعماء في السجن وهو البرفسور وكاتب المذكرات، وذكروا له أنه ترك رسالة

خطيرة فيها اعترافات خطيرة ، وطلبوا منه أن يعترض طريق فورش ؛ لأنه سيكون تسليم المذكرات في هذا البلد ؛ فكأنهم لا يعرفون أنه المقصود بالأوراق فكلفوه بسرقتها .. وفورش قدم للالتقاء به بناء على وصف الرئيس، ولثقة البرفسور بشوقي لعلاقة قوية نشبت بينهم وهم هناك وأثناء تجنيد شوقي للانخراط في شبكات التهريب العالمية ، وكانت مهمة المدرب شوقي هنا استلام المواد المهربة وتدبيرها إما إخراجها للأقطار المجاورة أو تصريفها هنا .. كان البرفسور يثق بشوقي ، فيريده باستلامها وطبعها وإرسالها للبوليس الدولي ، فاحتار شوقي في الأمر هو يستطيع ترك أمر وطلب الشبكة ، وفي نفس الوقت لابد له من لقاء جواكر ، فحاول سرقة المذكرات من فورش قبل أن يلقاه ، ولكن فورش أدرك الخطر المحيط به ، ولما تعرض للأذى خشي على حياته واعتبر ضربه تمهيدا للتخلص منه ، فلجأ للبوليس ، ولما عاد للبيت وجد شوقيا في انتظاره فأخذ منه المذكرات ودفع له عشرين ألف دولار ، وطلب منه أن يخبر الشرطة بسرقتها ليشغل الشرطة في البحث عنها حتى يستطيع تهريبها للبنان وطباعتها هناك ، ونفذ جواكر دوره وتظاهر لنا بأن الأوراق عثرت عليها العصابة وسرقت من بيته ، وكان يستعد للسفر والرحيل وينتظر الإشارة بذلك من الشرطة عندما تخبره الشرطة بعجزها عن استرداد الأوراق والوثائق .. ولكن تدخلك يا سعد كشف الأوراق المبعثرة ، وجمعها في أيدي رجالنا .. فوصلنا إلى شوقي وأنور والحرباة وغيرهم .. ولكن للأسف الأوراق هربت للخارج أو قل نسخ منها.. فشوقي لديه نسخة ، واعترف فورش نفسه بتصوير نسخة منها .. هكذا المجرمون لا يثقون ببعض .. وقمنا بالقبض على شوقي ، ووجدنا في بيته مخزنا كاملا فيه من أثمن المخدرات في العالم وعلى رأسها الهيروين والكافيين .. وما زالت شرطة مكافحة المخدرات تتابع الموضوع وتحاول القبض على أعضاء شبكته ومساعديه في التهريب .. وهو رجل ذكي ؛ ولكن الصدفة أوقعته وكذلك ذكاء سعد وشجاعته وعدم نسيانه الموضوع .. كم من إنسان قد يسمع حديث شر صدفة ولكنه ينساه !.. واعلم يا سعد أن جهاز الأمن العام سوف يقدم لك جائزة جميلة تقديرا لجهودك الطيبة .. وسوف أتصل بك في الوقت

المناسب لتستعد لذلك ، والآن اذهب وحدث والدك العزيز بما وعدته أن تحدثه به.

فضحك الفتى سعد وقال : أسألك والدي عما بيننا ؟

فقال جابر : نعم .. أبوك أستاذ ومربي ؛ فإذا أنت لم تعترف له فلسوف يبحث عمن يخبره .. لقد حدثته ببعض الشيء عن الموضوع .. وأنت ستكمل له التفاصيل.

فقال سعد ضاحكا : الآن أدركت لماذا لم يكن يلح عليّ بالحديث بما يشغلني؟! .. لقد علم بالدور الذي أقوم به.. آه يا أبا عبد الكريم إنني متحمس الآن لأن أشترك بمغامرة جديدة أخرى.

فقال المقدم جابر مشجعا : هذه البداية وابحث وسوف تجد .. احشر أنفك في أي سرقة أو حادثة في الحي ولسوف تلقى ما يحقق لك حلمك.

فقال سعد : شكرا لك سيدي .. سوف أجد مغامرة أخرى .. إلى اللقاء.

وختم المفتش جابر المغامرة قائلا : لا تنسى أن تستعد لاستلام جائزة مدير الأمن العام لدورك الشجاع في هذه المغامرة.



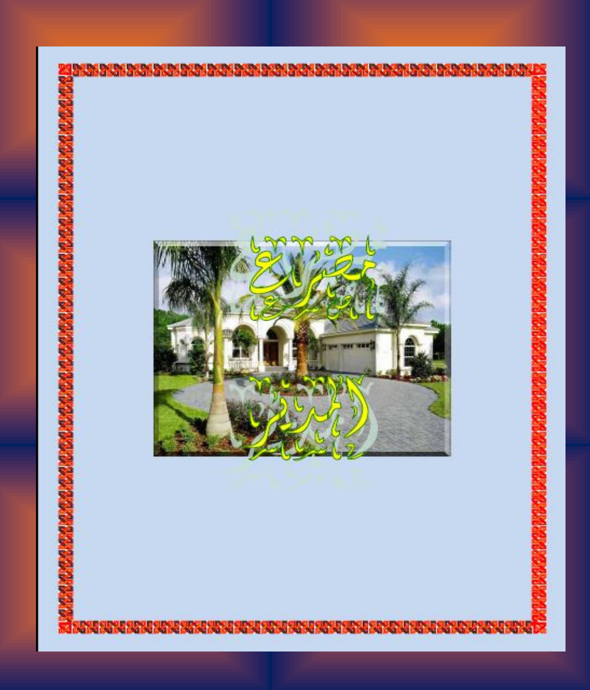




مغامرة النادي

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١





مصرع المدير

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم






٣


التحقيق الجنائي والجريمة

المشتبه به في جريمة قَتل المدير قُتل

من المقصود بالقتل في الجريمة الاولى ؟

المال الدافع للجريمة ولم يوجد مال لدى المدير

لماذا قتل الرجلان ؟

لماذا الزواج السري ؟

هذا ما ستجيب عنه هذه القصة

جمال شاهين



الفصل الأول

١

كان الأخوان أحمد وعماد زكي يتحدثان في منزلهما عن الجريمة الجديدة التي عصفت بالمصرف الذي يعملان فيه ، فهما محتاران في أمر هذه الجريمة ، والسبب أن القتيل في هذه الحادثة كانت تحوم الشبهات حوله في الجريمة الأولى ، وهنا يتردد السؤال " من القاتل في الجريمة الأولى ؟ ومن القاتل في الجريمة الثانية ؟! " ، وبعد حديث طويل جرى بينهما حول هذه الحادثة المثيرة للحيرة والارتباك أيضا قال أحمد : لقد وقع في فكري وظني أن فريجا له يد في مقتل عمه مرعي .. مع أن الشرطة لم تتهم أحدا في مقتل السيد مرعي!

فقال عماد : رغم التحقيق الشامل والدقيق كما يقول رجال البوليس فإنهم لم يصلوا للقاتل .. هناك نقص كبير في الأدلة الجنائية .. وها هو شخص آخر يسقط من العائلة .. فمن يا ترى المجرم القاتل الرهيب في هاتين الجريمتين ؟! لقد دب الرعب في أوصالي ..فهذه أول مرة في حياتي أشاهد جريمة ، وأكون ضمن الأشخاص القريبين من مسرح الجريمة كما يقول رجال الشرطة عن مكان وقوع الحدث ، ثم أكون قريبا من جريمة أخرى ، ولسوف يعود رجال الشرطة للتحدث معنا مرة ثانية وسماع أقوالنا من جديد مع أن الرجل قتل عند مدخل شقته.. إنني أنفر جدا منهم إنهم مزعجون ..لا أدري لماذا ينتابني هذا الشعور من هؤلاء الرجال ؟!

فقال أحمد : هكذا الحياة !! مشاكل .. شقاء .. جرائم !! فعندما ذهبنا لنحضر الاجتماع الشهري التقليدي في قصر الأستاذ مرعي ما كان يخطر ببالنا أننا على موعد مع جريمة .. وأن هناك مجرما سفاحا يتربص بالرجل .. مع أن أجواء وأحوال ذلك اليوم كانت كئيبة وحزينة ، كان العمل في البنك غير طبيعي ، كان المدير متوترا .. وكان ابن أخيه الأستاذ فريج متوترا .. وحتى مازن الهادي بل حتى ماريا خليل قريبة المدير كانت متوترة ذلك الصباح .. تقول كأن الجميع اشترك في معركة فاشتدت أعصابهم .. لقد فكرت بالاعتذار عن اجتماع تلك الليلة .. ألا تذكر ونحن ذاهبان إلى هناك وأنا أقول لك ليس لي رغبة في حضور تلك الجلسة ؟!

فقال عماد متنهدا : آ .. والله ما زلت أذكر هواجسك تلك الليلة المشؤومة حتى أن أحاسيسك الموحشة انتقلت إليّ ليلتها ؛ ولكني قلت لك لم نتخلف يوما ما عن اجتماع المدير في قصره وشجعتك وتابعنا المسير .. وكان ذلك من حسن حظنا وإلا اتهمتنا الشرطة بمصرعه أو المشاركة في اغتياله .. ولكن من قتل المدير ؟! ومن قتل ابن أخيه ؟؟ مازن لا يطمع باستلام إدارة البنك ليمكر بهما بهذا الشكل الجنوني.

فقال أحمد : حتى فريج لم أشعر يوما بأنه طامع بأن يصبح مديرا للمصرف .. حكاية محيرة ! لعل الشرطة تخلصنا من التفكير في مثل هذه القضية .. لقد تعبت أعصابنا وأدمغتنا .. الإنسان أحيانا يقع في ظروف وأحوال لم تخطر له على بال.

ولما سكت أحمد خيم الصمت على المكان فترة ثم عاد عماد يقول : فنحن عندما نشاهد فِلما بوليسيا أو مسلسلا قد نتفاعل معه ؛ ولكننا لا نـفكر كثيرا بمعرفة المجرم ؛ بل نصبر ونتحمل حتى يصل المحققون للمجرم فنبدأ التعليق .. أما أن نعيش الجو البوليسي في حياتنا وأعصابنا فهذا شيء صعب ومؤلم .. اللهم لطفك . فرد أحمد قائلا : والله معك حق ..فهذه أجواء مرعبة ومثيرة ؛ الأستاذ خالد نصري يعمل بكل جد ونشاط ، وعندما يجتمع مجلس الإدارة سوف يرشح مديرا تحت التجربة .. وأعتـقد بأنه سوف يصل لكرسي المدير.

فقال عماد متشككا : ولكنه لا يمت بصلة قرابة للمدير ، وأنت تعلم أن أكثر رأس مال المصرف للمدير مرعي وأقاربه.

وقال أحمد : لقد بدأت أفكر جديا بترك المصرف يا أخي العزيز.

فأجابه أخوه قائلا : رغم كفاءتك في عملك لن تجد مصرفا يدفع لك ما تتحصل عليه من راتب في مثل هذه الأيام الكاسدة .. وعليك ألا تفكر بذلك الآن .. فتثار حولك شبهات أنت في غنى عنها .. فانتظر حتى ينتهي أمر التحقيق الجديد ويكتشف الجاني اللعين.

فقال أحمد : ملاحظتك جديرة بالاهتمام والأخذ بها في مثل هذا الظرف .. فقد كنت أفكر بأن أطلب إجازة فسوف أؤخرها قليلا حتى نرى ما ينتهي به الحال والمآل.

دخلت عليهما أمهما ، فقطعت عليهما خلوتهما ، وكانت تحمل صينية فوقها إبريق الشاي وأكوابه ، فتغير مجرى الحديث وأخذوا بالحوار حول مواضيع عائلية اجتماعية ، وقالت الأم مخاطبة ابنها عماد : ألا تريد تطليق زوجتك ؟! .. فلها أكثر من خمسة شهور في بيت أهلها .. فإما أن تتصالحوا كالعادة المستمرة بينكما أو تطلقها وتخلص من نفقتها الشرعية .. فهذه المرة طال الفراق بينكما!

ودار الحديث عن مشاكل عماد وقرينته الغاضبة منذ شهور ، فرد عماد على أمه قائلا : يا أمي لا تتعبي نفسك في همومي .. لقد اعتدت على ذلك .. لما تتصل فيّ أذهب وأحضرها .. أما الطلاق فلا أفكر فيه حاليا .. لقد كلفني زواجها ما يزيد عن خمسة عشر ألف .. فلن تضيرني بضع مئات أخرى تنفقها على زينتها ..أما زواج جديد فمن أين أحضر له مالا جديدا .. أم تريدين أن يحصل معي كما حصل مع أحمد أفندي.

فقال أحمد : وماذا حصل معي يا أفندي ؟

فقال عمادا ضاحكا : ألم تتزوج أجنبية أمريكية أحضرتها معك من إنكلترا ؟! .. ولم تمكث معك سوى سنة أو أقل ثم عادت لبلادها، ولها أكثر من خمس سنوات هناك لم تحضر إلى هنا.

فقال أحمد : ولكنها في انتظاري ، وزرتها مرتين فلم تعجبها حياة الشرق ، لم يعجبها سحر الشرق .. وعرضت عليها الانفصال .. ولكنها ما زالت تعشقني وتنتظر هجرتي إليها في يوم من الأيام.

فعقبت الأم قائلة : حياتكما عجيبة يا أولادي ! .. أنت تزوجتها من أيام دراستك في لندن ، وما زلتم من غير إنجاب ، وأخوك تزوج من ثلاثة أعوام وامرأته لم تنجب أيضا .. لماذا لم تنجبوا ؟!

فضحك أحمد وقال : كم مرة قلت لك يا أمي إننا رتبنا أمرنا على عدم الإنجاب.. لا أريد أبناء ولكنك تنسين كثيرا ؟

قالت الأم : لا، لم أنس .. ولكن الأولاد بين الزوجين من الأسباب المهمة والمشجعة على

استمرار الحياة الزوجية ، فأمام حب الأولاد ورعايتهم يضطر الطرفان للتحمل والتضحيات وتستمر العلاقات الزوجية.

فقال عماد بعد أن تنهد ووضع الكوب من يده : أما أنا يا أمي فلي مشاكلي الخاصة ، وأنا أتداوى من أجل هذا الأمر؛ ولكن السيدة المحترمة لا صبر عندها .. فهذا نصيبي وقدري فماذا أفعل ؟؟

فقهقه أحمد ومال على أذن عماد وهمس : أنت لا تريد الخلف!

نظره عماد بغضب وأشار له بعينيه بالصمت وقال لأمه : أمي ما أخبار أم سامر هل ولدت ؟

فردت الأم على مضض : إنها في شهرها الأخير .. فأخوكم سعيد أفضلكم فها قد أصبح عنده أربعة أطفال ، وربما عندها ثلاثة وسوف تضع الرابع قريبا.

ولما انتهوا من شرب الشاي أخذت الأم الصينية والأكواب الفارغة وتركتهم إلى حجرتها ، ولما ابتعدت صرخ عماد في وجه أخيه : ويلك كدت أن تفضحني .. أنا أتعاطى ابر منع الحمل لأسباب خاصة بي .. وليس عندي تعلق بالأطفال فلا داعي لكشف سري .. واعلم أن زوجتي لا تعلم ذلك.. فهي تظن أنني مريض وأتـعالج من أجل الإنجاب .. ولكن خطر في بالي أمر .

وسكت لحظات ثم قال : ونحن سائرون للاجتماع الذي قتل فيه السيد مرعي كنت تحمل مسدسا فما قصة المسدس الذي كان معك ؟ ولولا أنني شاهدتك تتركه في السيارة لظننت ليلتها أن لك يدا في الأمر.!

فضحك أحمد وقال بغضب : ويلك أأنا اقتل؟! .. وماذا أجني من القتل ؟ .. فلا ناقة لي ولا جمل في البنك .. المسدس الذي معي كالمسدس الذي معك.

فجحر عماد أخاه مرة أخرى وقال : أو تـعرف به ؟ ! إنك خطير يا أحمد.

فأخذ أحمد بالضحك العالي وقال : الذي أعطاك المسدس هو الذي أعطاني المسدس.

فقال عماد : أمعقول هذا ؟! لم يكن مسدس عماد من نفس المصدر.

قال أحمد وقد سرح ذهنه في يوم الجريمة : صدق يا عزيزي أن أمر هذه الجريمة كان مدبرا ومخططا له تخطيطا تاما وماهرا ؛ ولكن ما يحيرني الآن هو مقتل الأستاذ فريج.

فقال عماد كأنه ملقيٌ قنبلة : أرجو يا أخي العزيز أن لا يكون لك شأن في هاتين الجريمتين فالأمر جد محير ، مقتل السيد مرعي سعد الدين ، وبعده بشهور قليلة قتل ابن أخيه فريج سعد الدين.

فعاد أحمد للقهقهة وقال : اطمئن يا أخي ما ترجوه لي أرجوه لك ، فلقد كانت علاقتك بالأستاذ فريج جيدة جدا.

قال عماد : هذا ما يقلقني لولا أنني واثق من براءتي لوقع في نفسي أن لي يدا في هذه الجرائم.

فهمس أحمد وهو ينهض للذهاب إلى حجرة النوم التي تخصه : سوف يكشف رجال الشرطة هذه المرة الجاني ؛ فإن الصحافة تتحدث عنهم بقسوة هذه الأيام وتتهمهم بالبلادة والتهاون والغباء.

٢

لقد كان مصرع فريج صبري مرعبا لموظفي مصرف الرعاية ، فقد قتل على مدخل شقته ، فتح الباب للقاتل بنفسه قالت زوجته سارة : إن رجلا أو شخصا طرق الباب بعد ساعة واحدة من نصف الليل ، فترك فريج غرفة نومه .. فهو لم ينم بعد ، فمن عادته التأخر في النوم .. فتح الباب .. ثم صرخ صراخا حادا .. فهرعت إليه ، ولم أكن قد استغرقت في النوم ؛ فإذا بزوجي مطروح على باب الشقة مضرجا بدمائه.. فأصابني الذهول والرعب .. اقتربت منه فكان يلفظ أنفاسه الأخيرة وكان مما سمعته وهو بين الحياة والموت "قتلني المجرم .. قتلني اللعين" ثم مات . فأخذت بالصراخ ، فاستيقظ الأطفال الثلاثة على الصراخ ، وهرع بعض الجيران من الشقق المجاورة على الصراخ المرعب ، اتصل أحدهم بالإسعاف الفوري ورجال الشرطة ، ولما حضر الإسعاف، وجدوا الرجل مفارقا للحياة ، فانتظروا رجال الشرطة الذي أتوا مسرعين ، وكان على رأسهم ضابط كبير ، وقام رجال البحث الجنائي بإجراءاتهم

التقليدية فقاموا بالتصوير الفوتوغرافي والفيديو ، وقام رجال المختبر بما يهمهم ، وحضر بعض أهل الزوجة والزوج ، ولما انتهى رجال البحث الجنائي من عملهم أمروا بنقل بدن الجريمة إلى المستشفى ليتم تشريحها ويوافيهم الطبيب الشرعي بتقريره ، وأخذت أقوال الزوجة المنهارة بسرعة ، ومن ثم أذنوا بنقلها للمستشفى لأخذ العلاج اللازم من الصدمة التي ألمت بها ، ونقل الأطفال إلى بيت جدهم والد أمهم السيد " رملي شاهد " ، وتم التحفظ على الشقة ، ووضع شرطي على بابها يمنع دخول أي شخص من دخلوها.

كان موظفو مصرف الرعاية مذهولين للحادثة الجديدة ؛ لأنها كانت بعد مقتل مديرهم مؤسس المصرف السيد مرعي سعد الدين ، فلم يمض على الحادثة الأولى سوى أشهر قليلة ، فهذا ما أزعجهم وأقلق راحتهم ، وإلا فإن الجرائم تحدث يوميا ، ففي مثل هذه المجتمعات الطبقية والمادية تتصارع الناس على جمع المال وتكديسه ، فيحدث النصب والاحتيال والغش والاختلاس والتزوير ، ولقد اختفت القناعة والرضا والإيثار من بين الناس ، ولنقل إنها أصبحت نادرة وضعيفة من الناس.

ولقد علم الموظفون أن هناك تحقيقا جديدا سوف يحدث في المصرف، ويتعرض فيه العاملون للاستجواب من قبل رجال المباحث ، وقد يعاد التحقيق في جريمة مصرع المدير مرعي ، فدب القلق في نفوس الموظفين ذكورا وإناثا ، وممن انزعج جدا لهذه الأخبار المدير المؤقت للبنك الأستاذ خالد نصري ، فكان في صباح أحد الأيام يتحدث مع رئيس المحاسبة والموازنة في البنك الأستاذ فارس عبد الحميد في مكتبه الواسع في عمارة البنك قائلا : أستاذ فارس .. الأمر مزعج للغاية ومثير للشبهات نحن ما كدنا نتعافى من قضية قتل السيد مرعي .. تخرج لنا جريمة مقتل ابن أخيه فريج .. وسمعتنا حساسة لم نعد نستطع الرد على استفسارات كبار عملائنا ، الكل يسأل ما الأخبار ؟! ما الحكاية ؟ .. سمعة البنك حساسة.

رد فارس بعد أن رشف من فنجان القهوة : كان الله في عوننا فالعمل مضطرب منذ الأزمة الأولى ، والقلق والتوتر مسيطران على الجميع ، فالعاملون في توتر عصبي مكبوت، ونحن لنا

ثلاثة أيام ننتظر رجال التحقيق الجنائي ولم يحضروا بعد، فلعل الموظفين بعد انتهاء التحقيق الأولى أن تخف حدة أعصابهم وينسحب بعض القلق من قلوبهم ، فتحقيقات البوليس مثيرة ومخيفة.

فقال المدير المؤقت بعد صمت قصير : لو أن الشرطة أنهت قضية مرعي ما حصلت هذه الجريمة .. فأنا أخشى من جريمة وضحية جديدة ، ولولا أن المصرف لا دخل له في معرفة الجاني لكلفت مكتب تحقيق خاص بمتابعة الموضوع ؛ لكن فريق المؤسسين لا يرون ذلك الاقتراح مهما بالنسبة لهم.

فقال فارس : بل يا سيدي أرى أن البنك له أثر كبير في هذه الجرائم.

فقال خالد نصري : وكيف ؟!

فقال فارس : هناك مبالغ للبنك في ذمة المرحوم فريج صبري.

فقال نصري : وما دخل هذه المبالغ في مصرعه أمام شقته يا عزيزي ؟.. نحن لم نطالبه بها !

فرد المحاسب المالي للبنك : ولكن الأستاذ مرعي ـ رحمه الله ـ حدثه بها وطلبها منه .. ولولا حادثة قتله لحصل المبالغ منه فقد قال له : إنه لم يعد يصبر على إسرافه وتبذيره.

فقال خالد : لم أفهم بعد ما علاقة موت فريج بديون البنك ؟! .. فالأستاذ مازن فريد في ذمته أموال كثيرة للبنك ..ومع ذلك لم يقتل.

فقال فارس بخوف واضح في كلامه : صدق أنني أخشى من جريمة ثالثة.

فقال خالد بتوتر مرتفع : ويلك هل من خطر على الأستاذ مازن ؟!

فبعد تردد في الإجابة قال فارس : لا أدري ! .. ولكني أشعر بأن الأموال المستلفة من البنك هي سبب هذه المشاكل المخيفة.

فرد خالد : ولكن حياة البنك كما تعلم قائمة على إقراض الأموال .. فهل قلت هذا لرجال الشرطة أثناء تحقيقهم في الجريمة الأولى ؟

رد فارس : نعم ، نعم ؛ ولكنهم كما تعلم كانوا يشتبهون فينا جميعنا .. فكل الذين حضروا

ذلك الاجتماع الملعون في تلك الليلة المشؤومة . . كانوا في دائرة الاتهام والشبهات.

فقال خالد باستسلام لقدره : أعصابنا تعبت ومللنا هذا الجو المفعم بالإرهاق والتعب النفسي فلابد أن يعرف القاتل ويكشف أمره .. أمعقول أنه يعيش بيننا في جوانب هذا المصرف سفاح ؟! .. لا أصدق ذلك.

قال فارس : لقد أشرت يا أستاذ خالد إلى محقق خاص فما رأيك أن نكلف مكتبا بكشف غموض هاتين الجريمتين ؟..فهؤلاء المحققون سريعو العمل.

فقال خالد : لا أرى ذلك الآن ، والمؤسسون لا يرون هذا أيضا، والمحقق الخاص يحتاج لمبالغ كبيرة للسير في هذه القضية .. والأمر مربك فلننتظر خطوات رجال المباحث فقد أخبرني أحد الضباط الذين أعرفهم جيدا أن التحقيق يجري على مستوى عال جدا .. فقد يكلف بمتابعة القضية أحد الضباط الكبار المهرة القادرين على حل ألغاز هذه الجريمة ، فقد قال لي إنهم قد يكلفون المقدم عزيز سالم في فك طلاسم هذه الجريمة ، وهذا الرجل كما قال صاحبي من أكفأ الضباط في التحريات وفك غموض الجرائم ، وله سمعة جيدة في مثل هذه القضايا ويكلف عادة في القضايا الاستثنائية لذكائه وشجاعته .. فقد همس في أذني صاحبي هذا أنه من المرجح أن يدفعوا إليه هذه القضية لدور الصحافة المزعج لهم .. وأنا لي معرفة قديمة بهذا المقدم .. فأرجو أن يكلف بها يا سيد فارس.

فقال فارس بارتياح لما سمع : حقيقة نحن بحاجة أن ننتهي من هذه القضية فوضعنا سيئ مع أنني غير متحمس لتحقيقات الشرطة فهي بطيئة ويتركون كثيرا من الملفات للصدف والحظ .. نرجو أن ينتهوا منها بسرعة.



٣

بالفعل كان مقتل السيد فريج على أثر مصرع عمه مزعجا للدوائر الأمنية ، فقد التقى وزير الداخلية بمدير الأمن العام وكبار ضباط الشرطة وكبار موظفي وزارته ، وعقد معهم اجتماعا كبيرا وهاما من أجل هذه القضية التي أزعجت المجتمع والرأي العام في البلد ، وأفسحت لرجال الصحف والجرائد المجال في الثرثرة والتعليق وحتى السخرية من قوى الأمن، ولما انتهى الاجتماع التقى وزير الداخلية بممثلي الصحف ووعدهم بـقرب حل غموض هذه الجرائم ، وأما مدير الأمن فقد أرسل وراء أكفأ ضباطه المقدم الشرطي عزيز سالم لما له من شهرة في تعقب ومتابعة الجرائم الذكية والتي يلفها الغموض ويهتم بها الرأي العام ، وقد عرف هذا الشرطي بذكائه الحاد فاستدعي من الدائرة التي يخدم بها ، وكلف بمهمة الكشف عن ملابسات جريمة مصرع المدير مرعي سعد الدين وابن شقيقه فريج ، وأثنى عليه المدير ثناء حسناء ومهما ، وتقبل المقدم عزيز الثناء بكل احترام وشكر ثقة الرئيس به وكذلك الوزير وعلى الفور انتـقل إلى مكتب الضابط الذي كان يحقق في القضية في الأيام الخالية ، فاطلع على ملف القضية وتـقرير الطبيب الشرعي ، وقرأ ملاحظات زميله ، وقرأ أقوال الزوجة " سارة رملي " وأقوال الجيران الذي هرعوا للبيت عندما سمعوا صراخ الأرملة وبعد أن استوعب كل ذلك قال لزميله النقيب زايد : ما رأيك في الموضوع يا سيدي ؟

فقال النقيب بـعد أن أبدى ترحابه بزميله وأنها فرصة للعمل معه والاستفادة من خبرته وفطنته : حسب المعلومات أن الزوج قتل بثلاث طلقات أخطرها التي أصابت رأسه وهي التي عجلت بوفاته .. ووقت حدوث الجريمة الساعة الواحدة ليلا وحسب أقوال الزوجة والمشاهدة أن فريجا قام بنفسه ليفتح الباب للطارق ، وحسب الآثار والبصمات فتح الباب ، وكأن القاتل عندما رآه أطلق عليه النار سريعا من مسدس وضع عليه كاتما للصوت ، والمسدس من نوع كولت عيار ٣٨ مم ولاذ بالفرار سريعا فمسافة القتل كانت قريبة .. صرخ فريج صراخا حادا ووقع على ظهره وقفاه ، وأخذ يتلوى ويصيح فجاءت الزوجة وهي

مذهولة مصدومة وسمعته يقول "قتلني المجرم ..قتلني اللعين" .. وهذا الكلام يدل على معرفة بينهما سواء كان القاتل رجلا أم امرأة ولم يذكر اسما معينا كما تقول أو أنها لم تفهم عليه ؛ لأنها أخذت بالصياح وهو كان يلفظ أنفاسه الأخيرة.

قال عزيز : هل تشك فيها ؟

قال النقيب: لم يشعر أحد من سكان العمارة ، ولا حتى بواب العمارة بدخول رجل غريب .. وهؤلاء كما تعلم ـ سيدي ـ غارقون في مثل هذا الوقت بالنوم أو ساهرون مع المحطات الفضائية ، والقاتل القادم للقتل يتسلل تسللا وبخفة.

فقال عزيز : أو أحدهم يعرف شيئا وليس عنده الشجاعة ليدلي به الآن.

ـ ممكن .. ولكن صدمة المرأة كانت كبيرة .. ولقد كنت مع كبار الضابط عندما ذهبنا لمعاينة الحادثة فشاهدتها وتألمت جدا لمرآها .. ولم نجد عندهم مسدسا من نفس عيار الرصاص الذي قتل فيه فريج ، فهذان الأمران يرفعان الشبهة عنها في الوقت الحالي.

ـ إذن وجدتم في البيت مسدسا ؟

ـ نعم .. مسدس للسيد فريج وجدناه في جيب جاكيت البدلة ، وهو مسدس مرخص ويحمله دائما.

ـ كيف كانت علاقة فريج بسكان الشقق الأخرى ؟

أجاب النقيب زايد : ظهر لنا أن علاقته بجيرانه باردة جدا لا معاشرة لا اختلاط .. وهو يسكن الشقة منذ شهور قليلة.. ونحن ما زلنا نتحرى عن السكان فردا فردا.

وسكت الضابطان بضعة دقائق ثم عادا للحوار فقال عزيز : أنت ترى أن للحادثة علاقة بالجريمة السابقة ؟

ـ نعم ، أرى ذلك رغم اختلاف الرصاصات القاتلة في الجريمتين ؛ ولكنّ القاتل محترف وجريء ، ويدل على ذلك أنه في الجريمتين لم يترك أثرا مهما يدل عليه .. وهذه الجريمة لم يظهر لها دافع واضح ، فهذا يشير على أنها مرتبطة بسبب الجريمة السابقة .. والجريمة الأولى كان

الرائد حردان مسؤول عن متابعتها.

فقال عزيز : أريد كل ملفات القضية الأولى.. والضابط حردان شخصيا.

ونهض وهو يقول : أنا في انتظاركم في مكتبي .. علينا أن نتعاون أيها الأصدقاء ..لا تتأخرا عليّ.

ـ أمرك سيدي المقدم.

وما كاد عزيز يستريح في مكتبه الذي خصص له في إدارة الشرطة الكبرى ويرشف فنجان القهوة حتى أدركه الضابطان سلموا على بعضهم البعض ، أخذ عزيز ملف القضية السابقة" ملف مصرع مدير مصرف الرعاية" لينظر فيه ، وقد طلب لهما من عامل الخدمة ما يرغبان شربه ، ولما انتهيا من شربهما كان عزيز قد قلب الأوراق الموجودة في الملف الخاص بجريمة مصرع المدير لمصرف الرعاية فقال عزيز : سيدي حردان ما انطباعاتك عن تلك الجريمة ؟

ـ يا حضرة المقدم .. تلك الجريمة لم تكن عشوائية أو بنت ساعتها، تلك الجريمة مدبرة ومخطط لها بشكل جيد ..وتبين لنا أن القاتل كان من خارج القاعة المجتمع القوم فيها ..فالصالة أو القاعة أو قل غرفة الاجتماع أو مسرح الجريمة .. كان فيها سبعة أشخاص .. وهم معتادون على هذا الاجتماع وحريصون عليه باستمرار .. وهذا اجتماع شهري خاص يعقده المدير منذ سنوات في قصره أو فيلته في الأيام الأخيرة من كل شهر، ويكون قبل منتصف الليل بساعة .. في الحادية عشرة ليلا .. يلتقي المدير بمساعديه الكبار ساعة من الزمان .. وعند الثانية عشرة من شاء أن ينصرف انصرف ، ومن أراد السهر ظل ، ثم تدور عليهم كؤوس الخمور والفواكه والحلوى .. هذا غالب ما يحدث في اجتماعهم في بيت المدير .. وفي ليلة الجريمة .. حضر هذا الاجتماع كما قلت سابقا سبعة أشخاص قد يكون لأحدهم يد أو مشاركة في قتل المدير لأسباب مجهولة لدينا ؛ ولكن من المؤكد أن منـفذ عملية القتل كان من الخارج لوجود آثار خفيفة لحذاء ، وأيضا كانت النافذة التي تلي ظهر القتيل مفتوحة .. وعملية الفتح للنافذة لا شك أنها تمت من الداخل .. والقاتل محترف للرماية ، واستخدم

مسدسا مركبا عليه كاتم صوت ، كما في الجريمة الثانية .. وكان الشك يحوم حول السيد فريج؛ لكن لا أدلة كافية تثبت ذلك ؛ لأنه كان بجوار عمه ، وكان من الممكن أن تصيبه الرصاصات القاتلة .. وبعد مقتله أصابتني حيرة .. هل كان هو المقصود في المرة الأولى ؟ وأخطأه القاتل .. ولكن القاتل المحترف في الرماية من الصعب أن يخطئ هدفه ورمايته .. رصاصة في الرأس من الخلف والأخريتان من الظهر حيث القلب .. وأماكن الإصابة تقريبا هي نفسها التي أصابت فريج ولكن من الأمام .. وإذا كان القاتل محترفا كما يبدو لنا هل يمكن أن يخطئ في تحديد ضحيته وهدفه ؟ ولماذا أخطأ في المرة الأولى ؟! .. وقد أجرينا تحرياتنا عن كل شخص حضر تلك الجلسة .. ومن تخلف عنها كالآنسة منيرة يوسف سكرتيرة المدير .. والسيدة ماريا خليل موظفة في الإدارة ومن أقارب المدير.. وقد علمنا أنه كانت مشاكل بين المدير وابن أخيه فريج ومازن وحتى ماريا ، بينهم مشاكل ؛ ولكنها وحدها لا تدفعهم للقتل العمد ؟

فقال عزيز : عمال وخدم القصر ؟

فقال حردان : البواب رجل عجوز ضعيف السمع ، والخادم آسيوي ومعه زوجته وهم أشخاص بسطاء ، وليس بينهم وبين مخدومهم أي مشاكل.

ـ أين الزوجة ؟

فقال حردان : زوجة السيد مرعي امرأة أجنبية أمريكية ، وهي مسافرة من قبل مصرعه بأشهر ثلاثة .. ولا يوجد بينهما أولاد .. تعرف عليها أثناء وجوده في أمريكا وتزوجا ، وهو رجل لا ينجب ، وتأكدنا من سفرها وعدم عودتها للبلاد ولو سرا.

ـ أشكركم .. حقيقة بين أيدينا معلومات كثيرة ومهمة ؛ ولكننا بالتأكيد بحاجة للمزيد من التحريات البوليسية .. وسوف نتعاون في حل غموض هذه القضية وسأقرأ أقوال الشهود في الجريمتين ، وأنت يا أخ زايد رتب لنا لقاء مع الزوجة سارة رملي أرملة فريج صبري.

ـ سأفعل يا سيدي ونحن أخذنا أقوالها .. فهل تظن أنها ستزيد عليها ؟ .. لقد انهارت أمام

مقتل زوجها وأدخلت المستشفى .. على كل سأرتب لقاء معها إذا غادرت المشفى.

وقال عزيز : وأيضا أريد تحريات عن نزلاء العمارة كلهم ؛ لـعل أحدهم لمح القاتل وسوف نخرجه من خوفه ليحدثنا بما رأى .. ويلزمنا تقرير عن علاقة الزوجين سارة وفريج .. فمطلوب منا أن نصل للمجرم بأقصر وأسرع وقت لتتوقف الصحافة من غمزنا والاستهزاء من قدراتنا ، وكما تعلمون المدير العام مهتم بالموضوع شخصيا وكذلك الوزير ، وقد يكون هناك مستويات عليا تنتظر نتائج بحثنا فليقم رجالكم بالمطلوب منهم سريعا.

٤

كانت سارة زوج فريج قد غادرت المستشفى بعد معالجتها من الصدمة التي ألمت بها على أثر مقتل زوجها أمام شقتهم وعلى مسمع منها، وانتقلت بعد خروجها من المستشفى إلى بيت والدها حيث أولادها ، وقد اتصلت الشرطة بها وأبلغتها عن رغبة الضابط المحقق في قضية زوجها الحديث معها في هذا الموضوع ، فرغم الحالة النفسية التي أصابتها والتوتر والخوف وافقت ، فلما قرع جرس الباب ذلك المساء أدخلت الأم الضابط ورفيقه إلى صالة الضيوف وبعد دقائق أقبلت سارة وهي تلبس ملابس الحداد السوداء ، واستأذنت الأم بالخروج فقام الضابطان بالتعزية وذكر الألفاظ المناسبة لهذا المقام ثم قال عزيز : أنت تعرفين يا سيدتي .. أن زوجك مات في ظروف خاصة .. ولابد لنا من الكشف عن الجاني .. المجرم اللئيم الغادر فأرجو أن تعذرينا ولابد من القيام بواجبنا ونصل للمجرم .. لتهدأ نفسك وأنفس الأولاد والمجتمع كذلك ..فعلينا أن نتعاون لمعرفة خصمك وقاتل زوجك.. فأرجوك أن تتعاوني معنا بشكل جيد لتحقيق هذه الأهداف وبسرعة ..وعلى رأسها تقديم المجرم إلى العدالة لينال جزاء ما اقترفت يداه.

أحضرت الأم الشاي للضيوف وسكبته في الأكواب ثم خرجت ، وكانت سارة ترد على الضابط : أنا أقدر واجبكم .. وأنا تحت أمركم .. ولكني رويت ما جرى لزميلك ـ وأشارت بيدها نحو زايد ـ هذا.

فقال زايد : أجل سمعنا منك صفة وقوع الجريمة ..ولكن لم تحدثينا عن أعداء زوجك ، ومن له مصلحة في القضاء عليه .. وعن أصدقاء زوجك .. فنحن نريد معلومات تساعدنا وتقربنا من المجرم.

فقال عزيز وهو يشرب من الشاي : سوف نسمع منك أجوبة عن بعض الأسئلة .. نأمل أن تساعدنا في تحقيق هدفنا جميعا وهو القبض على الفاعل الآثم.

ولما انتهى عزيز من شرب الشاي عاد للحديث فقال : سيدة سارة .. هل تتهمين أو تشكين في شخص ما له غاية في التخلص من السيد فريج ؟

قالت بثقة : لا أشك أو أتهم أحدا .. والحق أنني لا أعرف عن حياة زوجي الخاصة شيئا كثيرا إلا أنه كانت بينه وبين عمه المرحوم مرعي قبل وفاته عدة مشاكل بسبب قروض للمصرف علينا.

بعدما نظر الضابط في وجه المرأة لحظات قال : اسمحي لي بهذا السؤال .. فأشارت برأسها أن نعم فقال : كيف تزوجت السيد فريج ؟ .. آسف لهذا السؤال ولكن قد يفيدنا يا سيدتي في البحث والتحري.

فردت بسرعة : لا حرج عليك ، وأنا يهمني معرفة المجرم أكثر منك ـ ومسحت دموعا ترقرقت في عيونها ـ وقالت : يا سيدي أنا كنت عاملة في مصرف الرعاية .. ولما التحق فريج بالمصرف بعد عودته من أمريكا تعارفنا بسبب العمل ، وبعد سنوات تزوجنا ، ولما ولدت ابني الأول معروفا تركت العمل للتفرغ لرعايته .. ولي عشر سنوات لا أعمل في البنك .. هكذا تزوجت من فريج.

ـ شكرا لك .. أين كنتم تسكنون قبل السكن في الشقة الأخيرة ؟ .. فقد علمنا أنكم تعيشون فيها من وقت يسير.

ـ نعم .. لقد كنا نسكن مع أسرة زوجي .. في قصر أو فيلا السيدة حماتي .. فللمرحوم حماي قصر كبير .. فكنا نسكن في جناح منه ؛ ولكن بعد مقتل السيد مرعي سعد الدين كثرت

المشاجرات بين حماتي وزوجي .. فاستأجرنا الشقة في تلك العمارة التي قتل على بابها زوجي المحترم وذلك كان من أشهر ثلاثة فقط . ومسحت من جديد دمعات متساقطات على خديها

ـ سيدتي المحترمة .. أصدقاء زوجك كيف كانت علاقته معهم ؟

ـ صدق يا سيدي .. أن زوجي ـ رحمه الله ـ لم يكن يأتي البيت بصديق من أصدقائه ، فلم يكن يزرنا منهم أحد ، فكل لقاءاته معهم تكون خارج البيت .. وهذا ليس فقط في شقتنا المشؤومة بل ونحن نسكن قصر عمي لم أره يستقبل صديقا ..كان أكثر وقته في العمل ، وعندما يعود مساء يأكل وينام ساعة أو ساعة ونصف ، ثم يغادر للسهر مع أصدقائه في المقاهي والنوادي كما يقول لنا .. أحيانا نزور أهلي وإخوتي وأخواتي المتزوجين أو أخواته المتزوجات .. وهو وحيد أمه ..وإذا زارنا هؤلاء الناس فمن النادر أن يصدفوه في البيت.

ـ إذن أصدقائه خارج البيت.. ألا تذكرين اسما منهم؟ هل يتأخر في السهر معهم ؟

ـ للأسف لا يعود قبل منتصف الليل وأحيانا قبيل الفجر .. الحق أيها الضابط أن زوجي مولع بالشراب .. الخمر .. تعلق بها أثناء وجوده بأمريكا .. وكذلك أسرة عمي أهل زوجي يتعاطونها من غير حرج .. آسف لقول ذلك.

ـ فاعلمي أن التقرير الطبي أفاد أنه كان ليلة الجريمة شاربا لها.. متى عاد تلك الليلة يا ترى ؟

ـ قبل أن أجيبك على هذا السؤال اعلم أنني الآن لا أذكر اسم صديق له ، وإن سمعت بعض الأسماء يرددها على الهاتف .. نعم عماد نعم نعمان .. فليس بالضرورة أن يكون هؤلاء أصدقاء ربما كانوا عملاء أو أصحاب محلات يتعاملون معه.

ـ شكرا لك سيدتي ..متى عاد ليلتها ؟

قالت : المحير ليلتها أنه فعلا جاء البيت مبكرا ، إنني أذكر ذلك جيدا حوالي العاشرة والنصف ليلا أتى ـ ولم أكن نائمة بعد ـ وجلسنا في الصالة نتفرج على التلفزيون صامتين .. كان فريج قليل الكلام معنا .. وأثناء ذلك استيقظ أحد الأولاد فذهبت إليه أتفقده ، ولما عدت كان فريج يضع سماعة الهاتف فنظرت إليه فرد " تكلمت مع أمي وهي ترغب بلقائنا قريبا "

وطلب كوبا من الشاي .. ثم جلسنا نتابع التلفزيون ، وعند نصف الليل تركته لأنام مع أني قضيت تلك الساعات معه بين النائمة واليقظة .. ولم يلبث بعدي إلا دقائق فإذا هو في الغرفة ، كانت حالته في الحق قلقة ؛ ولكنه لم يكلمني عن ذلك ، وبدوري لم أسأله يا سيدي .. نمت وكلما أصحا من النوم المتقطع على حركاته أجده جالسا ؛ كأنه يفكر في شيء يشغله ، فأعود للنوم ثانية إلى أن ارتفع رنين الجرس فصحوت ؛ ولكني لم أقم من الفراش ، أما هو فعندما سمع الجرس تحرك نحو الباب .. وأنا حقا لم أتعب نفسي بالتساؤل عن من يطرق الباب في مثل هذا الوقت من الليل؟.. ولكني قبل أن أغفى ثانية سمعت فجأة الصراخ فقمت مرعوبة ولما وصلت باب الشقة كان الباب مفتوحا وفريج على الأرض مطروحا والدماء تنزف منه وهو يقول بثقل "قتلني المجرم.. قتلني اللعين" فأخذت بالصراخ ، ففزع عليّ الجيران الساهرين على الفضائيات والباقي تعرفونه .. انهيار عصبي ونـقلوني إلى المستشفى.

فقال الضابط عزيز وهو يقف : أتعبناك معنا .. فندعو لك بالشفاء الكامل من هذه الصدمة والحقيقة أنك أعطيتنا معلومات ممتازة .. وإذا تذكرت سيدتي أمرا مهما فاتصلي بنا على هذا الرقم ـ ودفع لها بطاقة خاصة عليها أرقام هواتفه ـ ثم تابع قائلا : أرجو أن نصل للقاتل بسرعة حتى تسكن النفوس وتعود لهدوئها.

ومشت معهم حيث باب البيت وهنا قال عزيز : نحن نرى يا أم معروف أن هناك علاقة قوية بين مقتل زوجك ومصرع عمه مرعي سعد الدين .. هل ترين من الممكن أن يكون هو المقصود في الجريمة الأولى ؛ ولكن القاتل أخطأه فأصابت الرصاصات عمه؟.

ظهرت المفاجأة على وجهها ولكنها قالت : لا أدري !

ـ ألم يتكلم معك المرحوم عن شيء من ذلك ؟.

هزت رأسها بالنفي ثم قالت بصراحة : فاعلم يا سيدي الضابط أن علاقتنا الزوجية في السنوات الأخيرة لم تكن دافئة أصابها كثير من البرود والفتور.

فقال عزيز وهو يحدق النظر في صاحبه زايد : أحقا ؟!

٥

كان الأخوان أحمد وعماد ينتظران رجال الشرطة في منزل الأسرة فما رن جرس الباب حتى هب أحمد مسرعا لفتح الباب ونظر إلى الساعة فكانت قريبة من العاشرة والنصف ، واستقبل الضيفين وساقهما إلى غرفة الاستقبال وبعد تعارف سريع بين عزيز وزايد وبينهما ، بدأ الحديث حول الجريمة الأخيرة فقال المقدم : هذه الجريمة لها علاقة بالجريمة السابقة .. فمن أجل هذا أحببنا الالتقاء بكم أيها الكرام ، هل كان فريج صديقا لكم خارج إطار العمل ؟

فتلاقت عيون الأخوين ثم أجاب أحمد قائلا : لم نكن أصدقاء نحن زملاء عمل فحسب .. ليس بيننا جلسات عائلية .. ولم نسهر معا إلا في جلسات اجتماع المدير ، والسهرة التي تتبع ذلك الاجتماع الخاص .. وأحيانا ننصرف قبل تلك الحفلة.. أما غير ذلك فمن النادر جدا جدا إلا إذا تصادفنا في نادي أو حفلة زواج أو أي احتفال لأحد الزملاء.

كان رجل الأمن عزيز يسمع كلام أحمد وهو يتابع وينـقل بصره بين الاثنين ، فلما سكت أحمد قال عزيز : أخ عماد هل تؤيد كلام أخيك ؟.. أكيد أنك لم تصحبه في رحلة في سهرة خاصة .. ألم تكن بينكم علاقات خارج نطاق العمل كما يقول أخوك ؟

تململ عماد قليلا وبدأ عليه بعض الارتباك من أسئلة الضابط ثم قال : كنا زملاء عمل فقط ولكني سافرت معه مرة واحدة إلى أوروبا .. رحلة عمل كانت في الأصل ، وذلك إن لم أنس منذ أكثر من خمس سنوات يا سيدي.

فقال عزيز : نافذة الصالة التي كنتم تجلسون فيها ليلة مصرع السيد مرعي في ذلك الاجتماع الأخير .. من فتحها ؟ وهل رأيتم أحدا يقترب منها ؟

فقال أحمد قبل عماد : تقصد النافذة التي أطلق منها النار ؟

رد عزيز : نعم ، يا سيد أحمد هل تذكر تلك الليلة ؟ .. لابد أنكما تذكرانها ؛ فإنها ليلة لا تنسى بسهولة ..هل كان المدعوون يجلسون حول الطاولة أثناء إطلاق النار من تلك النافذة ؟

تمهل أحمد قبل الإجابة ولزم عماد الصمت منتظرا إجابة أخيه وسمعه يقول وهو يـفكر:

كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة ليلا ، ونحن على وشك فض الاجتماع .. وهذا الاجتماع التقليدي لأهم أعضاء المصرف في فيلا المدير يبدأ قبل منتصف الليل بساعة واحدة ويستمر ساعة واحدة فقط .. ثم تتبعه سهرة لمن شاء .. والحق سيدي الضابط أنني لم ألحظ أحدا ترك مقعده خلال الجلسة ، فالمدير لا يحب ذلك ؛ ولكن وصل يومها ابن أخيه متأخرا عن بداية الاجتماع حوالي عشر دقائق ، فأنبه عمه فورا ، وعدنا ننظر في الأوراق التي بين أيدينا .. كانت أثناء وجودنا في الغرفة نسمة باردة .. ولكن لم يخطر على بالنا أن هناك نافذة مشقوقة أو مفتوحة ؛ لأن الستائر السميكة تخفي ذلك .. وكنت أظن أن البرودة تأتي مع الخادم كلما فتح الباب وخرج بين الحين والآخر أقصد باب قاعة الاجتماع .. ولا أدري يا سيدي كنت تلك الليلة منقبضا ومتوترا ، وقد حاولت النكوص عن ذلك اللقاء.. ولكن أخي عماد بين لي أن التخلف عن هذه الجلسة فيه إساءة للمدير ولنا .. لقد كان مديرنا ذلك النهار متوترا وكأنه متشاجر مع أحد الناس..

فقطع عماد استرسال أخيه قائلا : يبدو أنه تشاجر مع السيد مازن فريد .. أو مع فريج .. وقد تخلفت عن حضور الاجتماع الأخير يا سيدي المقدم منيرة يوسف سكرتيرة المدير .

فقال عزيز : علمنا أنها اعتذرت للمدير عن جلسة تلك الليلة لمرض والدها ، وتأكدنا فعلا من مرض والدها وأنه أدخل المستشفى ، وكانت معه حتى وقت متأخر من الليل ..القاتل المنفذ أي الأداة في هذه الجريمة من الخارج ، ولابد له من مساعدة داخلية فله شركاء .. وأيضا لم تحضر اجتماعكم ذلك ماريا خليل .. وبينت لرجال التحقيق أنها غير مواظبة على حضور تلك الاجتماعات .. وتقول عندما يصدف وتحضر جلسة تنصرف قبل سهرة الخمر والسكر .

فقال عماد المتوتر قليلا: هل تظن يا سيدي المقدم أن هناك علاقة بين الجريمتين؟

ابتسم عزيز وقال : ستظهر الحقيقة قريبا .. أليس كذلك نقيب زايد ؟

فهز النقيب زايد رأسه مؤكدا هذا المعنى وتابع عزيز حديثه : ولكن تعاونكم الجدي معنا

يعجل الأمر .. سؤال مهم أيضا فهل تعتقدان بعد مقتل فريج أنه كان المقصود في الجريمة الأولى وأخطأه المجرم ؟.

فقال أحمد بكل صراحة ووضوح: كنت أرى وأظن أن للسيد فريج يدا في مقتل عمه، أما بعد مصرعه بعده بشهور قليلة فقد احترت .. وأنا ذكرت هذه الهواجس في التحقيق الأول ، ولم يكن لدي دليل معين .. لقد كانت الأمور في الأشهر الأخيرة قبل موت المدير متوترة فوق العادة بين المدير وأقربائه في البنك .. فوقع في فكري أن فريجا أراد التخلص من عمه طمعا في وراثته للخلاص من ديونه.. كان ذلك إحساس فقط ؛ ولكن بعد موته مقتول فأقول الحمد لله إنه كان إحساس .. لعله فعلا هو المقصود في المرة السابقة فلم تصبه طلقات المجرم .. أنا حائر لا أدري شيئا ولا أعرف شيئا !

فقال عزيز بعد صمت أحمد : أستاذ أحمد أنت متزوج من امرأة أجنبية .. ألم يكن زميلك فريج المتعلم في أمريكا يسهر معها ؟.. خصوصا بعدما سمحت لها بالسفر مع أخيك عماد وزوجته التي كانت خطيبة يومذاك إلى أوروبا ؟!

تكهرب الجو بـعد هذه المعلومات الخاصة واحمر وجه أحمد وحدق بالضابط برهة وقال بعد تفكير عميق : نعم أذنت لزوجتي الأجنبية " فلورا " بصحبتهم في تلك الرحلة .. هم رغبوا بالاستفادة من قدرتها على لغة قومها وبـعض اللغات الأوروبية.

فقال عزيز مجادلا : ولكن فريجا رفيقهم بالرحلة تعلم في أمريكا، وعاش فيها فترة لا بأس بها وهو يتقن اللغة الأمريكية ولا أظنه يحتاج لمترجم.

فرفع أحمد من صوته قائلا : ماذا تريد وإلى ماذا تريد أن تصل يا سيدي الضابط ؟؟

قال الضابط : أريد أن أصل إلى أن بينك وبين فريج علاقة أكبر مما وضحت لنا سابقا .. ولماذا لا تمتد سهرات الاجتماع الشهري إلى سهرات أخرى ما دامت الزوجة كانت على علاقة جيدة مع زميلك في البنك ؟ .. أكيد لم تكن زوجة فريج تسهر معكم.

فرد أحمد لا شعوريا : امرأة مـعقدة . وكأنه أدرك أنه تعجل في الرد فقال : أو مريضة نفسيا.

فقال عزيز : هل سبب هجرك لزوجتك هذه السهرات أم لعودتها إلى بريطانيا ؟ نحن نريد الحقيقة كل الحقيقة لترتاح أنت وغيرك واعلم أن هذه الأسرار وغيرها لا يعلمها إلا نحن والمصدر الذي ذكرها لنا .. سيد أحمد .. صدق أنني لا أرى لحتى الآن لك مصلحة تدفعك للقتل.

فصاح أحمد قائلا : نعم .. لقد خانتني اللعينة مع السيد فريج .. فمن أجل ذلك تركتها تعود لبلادها .. فهؤلاء الأجانب لا شرف عندهم .. وكنت أنا وفريجا أصدقاء ولكن ذلك قبل سنوات وقبل اكتشافي لعلاقته الآثمة مع ممن تسمى زوجتي.

كان عماد يحدق النظر في وجه أخيه وهو يسمع هذا الاعتراف الجديد على مسامعه ، وهو زنا امرأة أخيه الأجنبية مع فريج ، فكان مصعوقا مما يسمع.

فقال عزيز : رائع هذا الاعتراف !.. لقد كنتم أصدقاء أنا أريد أن أعرف الأماكن التي كان يتردد عليها أيام صداقتكما .. أسماء النوادي الليلية .. الخمارات .. دور الدعارة .. المقاهي أسماء أصدقائكم في مثل هذه الأماكن.

ذكر أحمد الأماكن التي كان يتردد عليها أيام مجونه ورفقته لفريج ، ولما انتهى من اعترافه المهم والمفيد التفت الضابط المحقق نحو عماد قائلا : ألديك شيء تحب أن تبوح به ؟ صدقوا أيها الأعزاء إن كل شيء يصل إلينا يساعدنا في مثل هذه الجرائم .. كلمة .. ورقة .. اسم .. ملاحظة .. تصرف غريب.

فقال عماد : فريج شخص فاسد .. وهو مقامر .. وقد ورطني في هذه الألعاب .. وعندما سافرنا أوروبا كان أكثر الوقت يمضيه على موائد القمار أو ما يسمى بالموائد الخضر .. بل له أصدقاء هناك.

فقال عزيز : وهنا!

عماد : وهنا .. وهو يتردد على نادي" فورمون " للعب القمار .. ومرات على ملهى "شوهو " للميسر.. وأنا تعلقت بالميسر وهو الذي علمني ذلك ؛ ولكن ظروفي وأحوالي المادية لم تكن

تساعدني على الاستمرار معه دائما.

فقال عزيز : والسبب زوجتك .. تتشاجر معك كثيرا من أجل ذلك .. أليس كذلك ؟!

تنهد عماد تنهدا عميقا وقال : أرى أنكم تحريتم عنا هذه المرة جيدا .. فأخي أحمد لا يعرف أن سبب مشاكلي مع زوجتي القمار .. فالأسرة تظن أن سبب ذلك عدم الإنجاب..

فأكد عزيز قائلا : أكدت لنا السبب القمار وليس الإنجاب

فاعترف عماد قائلا : إنها الوحيدة التي تعرف أنني مولع بالقمار .. لأنني اضطررت مرة أن أقامر بعقد لها.

فكان أحمد يضحك وقال ضاحكا : لا يا بطل .. أنا أعلم أنك مقامر صغير أحمق .. أنت مقامر غبي، فصاحبك فريج أخبر كثيرا من الزملاء، وأنا على رأسهم أنك مقامر، وبين لي أن له في ذمتك خمسة آلاف من الدنانير.

٦

عندما خرج رجلا الشرطة من منزل أسرة زكي ، وجلس المقدم على مقعد القيادة وأمسك بمقودها بعد أن أشعل شرارة الانطلاق قال لرفيقه ومساعده في التحقيق بهذه القضية : هذا الذي سمعناه الليلة يؤكد الترابط بين الجريمتين.

فقال زايد : كثير من المعلومات التي سمعناها اليوم لم تكن موجودة في ملف القضية الأولى.

اشتغل الماتور وانطلقت السيارة نحو هدفها وقال عزيز : كان التركيز في التحقيق السابق على السيد فريج المقتول.. ولم تكن زوجة السيد عماد غاضبة على زوجها عندما قتل مرعي المدير .. والناس لا يتكلمون كثيرا في مثل هذه الجرائم ، الكل عنده خوف وهمي من القاتل .. أو الشعور الوهمي أيضا "أنا لا أريد أن أضر أحدا" فتجدهم سلبيين مع التحقيق ، فعلى رجل الشرطة سحب ألسنتهم وجرجتهم بالكلام ويأخذ منهم ما يخشونه ، وأحيانا عليه أن يشعرهم بأنهم متورطون بصمتهم القاتل .. وهكذا تخرجهم من صمتهم وخوفهم .. فانظر غضب الزوجة دفعها لتمدنا بمعلومات خاصة عن زوجها وأخيه .. ومعروف لدينا أن القاتل

المنفذ لم يكن من الحاضرين الجلسة .. وبالتأكيد أن له شركاء شخص أو أكثر ، ومع ذلك ممكن أن يكون دافعه للجريمة من غير الجلساء ، ولكن الأرجح من الداخل .. شخص فتح الشباك سرا .. ولكن القاتل كيف حدد هدفه ؟! .. هذا ما يحيرني الآن ؟ .. أي كيف أصاب المدير دون غيره ؟! .. الإصابة كانت من الخلف بمعنى آخر أنه لم ير وجه الضحية ! .. وعدم اهتمام المحققين السابقين في الحياة الشخصية لهؤلاء الأشخاص ؛ لأنه لم يظهر الدافع الأساسي للجريمة .. المال .. الوارث للسيد المدير فريج صبري ابن أخيه وهناك الزوجة الأمريكية .. فريج كان مع الجلساء فكيف يوجه له اتهام بدون القبض على شريكه؟ أين دليل الإدانة؟ .. ولكن بعد الجريمة الثانية تغير مجرى التحقيق.. المتهم أو قل المشبوه قتل .. هل هو المقصود في المرة السابقة ؟ .. فقد كان يجلس بجوار عمه .. هل العم أراد التخلص من ابن أخيه لسبب ما فأخطأ القاتل ؟ فهو الذي يمكنه فتح النافذة قبل الاجتماع .. السيد فريج بعد مقتل عمه لم يرث شيئا ، ولم يعين مديرا عاما للمصرف .. بل زادت مشاكله وطردته أمه من بيت العائلة .. وزوجته ذكرت أنه لم يكن مهددا بقتل في يوم ما ، بل كان في نظرها ونظر أم زوجها أن له يدا في موت عمه .. فمهمتك الآن يا سيادة النقيب اختراق الملاهي ونوادي القمار التي كان يتردد عليها المذكور لتتعرف على أصدقائه وخصومه في تلك البؤر الفاسدة.

فقال زايد : وهذان الأخوان ألا دور لهما في هذه الجرائم؟

قال عزيز : فالسيد عماد لا أرى أنه يقتل للخلاص من دين .. فالدين لا يسقط عنه بالقتل .. فهو مدين للبنك ببعض المال ومدان للسيد فريج وموت فريج لا يسقط عنه الدين سيدفعه ويسدده للورثة ، ولابد أن فريجا لديه وثائق تثبت هذه الدين .. فالآن علينا القيام بزيارة للأستاذ فارس عبد الحميد رئيس دائرة المحاسبة والموازنة فلابد أنه بانتظارنا رغم تأخرنا الكبير عليه.

فقال زايد : وأحمد هل هو بريء أيضا ؟

فرد المقدم : أظن ذلك الآن .. فهما حضرا الجلسة الأخيرة .. واستئجار قاتل يحتاج إلى شجاعة

وجرأة فلا أرى أن أحمد يستطيع ذلك .. فاستئجار قاتل يحتاج لمال كثير .. ومعناه كذلك الحياة تحت تهديد دائم.

فقال زايد : معك حق ، وحكاية المسدسات التي وهبها مرعي سعد الدين لبعض موظفيه .. لماذا ؟؟

ـ هذا لغز أيضا .. ولكننا سنجد له حلا سريعا .. فالقاتل في الجريمة الأولى ليس من هؤلاء ، أما المدبر فالراجح أحدهم ، وأما في الأخرى فاحتمال أن يكون منهم ممكن ؛ ولكن القاتل في المرتين محترف في الرماية .. متدرب جيدا .. رصاصة في القلب وأخرى في الرأس .. وقول سارة" قتلني المجرم .. قتلني اللعين " يدل على أن فريجا يعرف قاتله جيدا.

كان السيد فارس في انتظارهم رغم تأخر الوقت وهو متوتر وقلق من هذا اللقاء وبعد ترحيب بارد قال المقدم : نحن آسفون لإزعاجنا لكم يا سيد فارس.. وإنما نفعل ذلك ليعود لكم الصفاء والهدوء..

فتمتم فارس : أرجو ذلك .. فأعصابنا متعبة جدا مما أصاب البنك وهذه الأسرة المحطمة.

فقال المقدم : الجريمة هذه لها صلة بالجريمة الأولى .. ونحن نعلم أن الشبهات كانت تحوم على السيد فريج ؛ لأنه هو صاحب المصلحة الأولى من مقتل عمه .. ولكنه لم يعترف بالقتل ولا يوجد دليل ضده .. وكلكم تعلمون أن المجرم قتله من خارج القاعة ، وكل شخص منكم ممكن أن يكون له علاقة بالقاتل الفاعل منفذ الجريمة الغادرة .. ومقتل فريج أكد أن هناك قاتلا يحسن الرماية بل رامٍ ماهر ؛ ولكن من يسير هذا القاتل ؟ فهذا ما نريد أن نصل إليه .. القاتل هو اليد .. فنحن نريد الوصول للعقل المدبر .. لديّ سؤالان أولهما وضع البنك المالي الآن وعندما قتل المدير السابق .. والثاني لماذا أهداكم المدير المسدسات ؟

تنهد المحاسب تنهدا عميقا وقال : وضع البنك المالي حاليا صعب .. وقبل وفاة المدير كان الوضع على الأوراق لا بأس به .. فقد تبين لنا أن كل الأموال التي كنا نحولها للخارج قد اختفت .. كل استثمارات البنك الخارجية قد سحبت وأغلقت أكثر تلك الحسابات .. ولا

أحد يدري أين تحولت ولما حولت ؟

فقال المقدم بقلق : سيدي .. كيف هذا ؟؟!

ـ نعم ، قلت كيف ؟! .. كل مال لا يمكن استثماره هنا في البلد .. كنا نحوله لبعض البنوك الكبيرة في أوروبا .. أو بمعنى آخر نستثمره هناك خارج القطر لنستفيد من أرباحه بدلا من تجميده هنا .. وهذا المال لا أحد يستطيع التصرف فيه سوى المدير الكبير للمصرف .. فكان مديرنا كل فترة من الزمن شهرين أو شهر ونصف على الأقل يغادرنا إلى هناك لمراجعة مصرف أو مصرفين من أجل حساباتنا عندهم فيقوم بإيداع أو سحب من الأرصدة .. وأحيانا يسافر وحده أو برفقة ماريا خليل موظفة مهمة في قسم الودائع .. والحق أنها من أقاربه يا سيدي وبعد عودتها يقدمان تقريرا سريا للإدارة العليا .. ولكن بعد موت المدير وانتهاء فترة التحقيقات البوليسية ذهب المدير المؤقت خالد نصري وأنا برفقته لترتيب الأمور المالية مع تلك البنوك وإخطارهم بموت المدير السابق .. تبين لنا أن الأرصدة مسحوبة وأن الأموال قد سحبها المدير مرعي ونقلها لبنوك أخرى مجهولة.. فلا نعلم أين وضعها؟ .. ولما سألنا السيدة ماريا عن تقاريرها ردت قائلة بأنها كانت تكتب ما يملأ عليها من قبل السيد المدير ويـقدم لها الأوراق والمستندات اللازمة.. وأنها كانت تقضي رحلتها في الفندق والنزهات ولم تدخل مصرفا مع المدير .. والسيد مازن ابن أخت المدير .. لا علم عنده بذلك بل تفاجأ بالأمر.. وكذلك السيد فريج؛ بل صدم عندما اكتشف أن عمه المقتول لا يملك باسمه دينارا واحدا في أوروبا أو أمريكا ؛ إنما هي بضعة آلاف وعقارات هنا ، فهو قد كان يعتقد أن عمه من أصحاب الملايين .. فوضع البنك بعد فقد هذه الأموال صعب .. فأكثر من عشرة ملايين من الدولارات في الخارج قد فقدت ..

فقال المقدم ببطء : غريب .. وما الإجراءات التي اتخذتموها على المدير؟

قال فارس : قدمت الدائرة القانونية ملفا مهما للبنك الرئيسي المركزي وملفا آخر موضوعا أمام المدعي العام .. وعلى أثر ذلك أمر بالتحفظ على أموال المدير وأملاكه حتى يتبين لنا أين

اختفت تلك الملايين ؟ .. فهناك يجري تحقيق سري للكشف عنها .. وظهر لهم أن أرصدته في الخارج كلها فارغة .. صفر .. وهذه معلومات يا سيدي كما تعلم غير قابلة للنشر من أجل ذلك لم توزع تركة مرعي الموجودة هنا على ورثته.

وبعد تفكير وصمت قال عزيز : من يرثه غير ابن أخيه وزوجته ؟

فقال فارس : الزوجة لا ترث لأنها على ملة غير ملته .. زوجته أمريكية كما تعلمون ولم تدخل الإسلام .. فهي لا ترث في قانون الميراث ؛ ولكن هناك وصية لدى المدير القانوني للمصرف ، فقد كتب لها مائة ألف دولار ومنزلا في ضاحية الأحلام ..وكتب أو أوصى بمبلغ لبواب فيلته بألف وخمسمائة دينار ، وهناك مبلغ للخادمين الآسيويين اللذين يخدمونه في القصر ، وألف دينار لسائقه جبري نعيم عند موته .. وقد أوصى بمبلغ خمسة آلاف دينار لجمعية خيرية ، وكان قد أوصى لابن أخته مازن ثم ألغاه ..والوارث الشرعي الوحيد له ابن أخيه فريج ، ولكنه لم يرث بعد ، وقد لا تنفذ الوصية إذا لم تظهر أموال البنك المختفية .. فالحقيقة أرى أن الجريمة تعقدت بعد مقتل فريج .. فلماذا قتل ؟؟

فقال عزيز : وسؤالنا الثاني .. المسدسات ؟؟

فارس أجاب : الغريب أن المصرف كان يمر بفترة توتر وشد أعصاب قبل موت المدير .. فكان المدير كثير الغضب .. واجتماعات مستمرة .. فشجار مع صبري .. وثاني مع مازن .. الوضع النفسي لمديرنا قبل الحادث بأشهر كان مقلقا لماذا لا ندري ؟! فهو مدير للمصرف منذ ثلاثين سنة .. أما المسدسات فقد أهداها أو اشتراها للموظفين الذين يلتقي بهم في بيته لحماية أنفسهم وحماية الأوراق التي معهم من اللصوص ، فذات مرة من سنوات تعرض الأستاذ خالد نصري لعصابة من اللصوص وهو منصرف من الاجتماع الشهري عند المدير وكادوا أن يسطوا على الأوراق التي معه، وهي مهمة بالنسبة للمصرف ؛ ولكن الله سلم فعلى أثرها اشترى هذه المسدسات وطلب من كل واحد منا أن يرخصها لدى مكتب ترخيص الأسلحة النارية والحرص على إحضارها معه عند الاجتماع .. فيكون الاجتماع عادة ساعة من الزمن

ويتبعه ساعات من اللهو والسهر .. فهذا سبب حملنا للمسدسات والأكثر منا يتركها في السيارة لا يدخل بها القاعة.

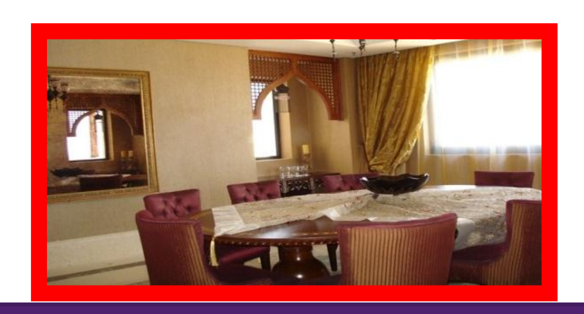
فقال عزيز : المجموعة التي حضرت الاجتماع كلها تملك مسدسات ما عدا السيد عماد زكي ؟

فرد فارس : فالأخ عماد ضم لهذا المجلس منذ سنة واحدة تقريبا .. وكان ذلك بضغط من فريج وفي العادة يأتي مع أخيه ؛ فكأن سيادة المدير رأى أنه لا يلزمه ذلك .. وعن نفسي كثيرا ما كنت أنساه في المنزل .. ولا أذكر أني أطلقت منه طلقة منذ رخصته.

عندئذ نهض الضابطان وقال عزيز وهو يصافح فارس : شكرا لك يا سيد فارس .. فمعلوماتك ثمينة وإلى لقاء آخر .

ـ أنا رهن إشارتكم .. مع ألف سلامة.

وقال لنفسه وهم يبتعدون : ولكن السيد عمادا يملك مسدسا .



٧

وفي أثناء عودة الضابطين لمكتبهما في دائرة الأمن الكبرى قال عزيز لصاحبه : الأمور فيها نوع من التعقيد أيها الصديق .. إفلاس البنك .. أو قل إفلاس البنك في أوروبا .. لم يذكر في التحقيق السابق فهل يا ترى ليس له دخل في مصرع المدير ؟ هذه الأموال أين أخفاها المدير ؟ لمن حولها ؟ .. المسدسات كذلك لم يجر التحقيق بشأنها في السابق لماذا ؟!

فقال زايد : إنها مذكورة في التحقيق السابق .. عندما قتل المدير وجدنا مع بعض الجالسين أسلحتهم الشخصية .. وكان فريج يحمل مسدسا وكان ناقصا طلقتين مما أدهشنا أثناء التحقيق .. وفارس هذا الذي كان يتحدث معنا قبل قليل لم يكن معه مسدسه أثناء الجلسة ، ولم يكن في السيارة وجدناه فعلا في بيته .. والأستاذ خالد كان يحمل مسدسه ؛ ولكنه لم يستعمله ولو مرة واحدة ، والمدير نفسه مع أنه في بيته أو قصره كان يضع المسدس في درج الطاولة التي يجلس خلفها أقصد طاولة الاجتماع .. أما مازن وأحمد فلم يكونا يحملان مسدسيهما .. وبما أن الجريمة قد ثبت من تحاليل المعمل الجنائي أنها من الخارج فما كان هناك داع لمتابعة قضية هذه المسدسات ، والقانون يخول لكل شخص بالغ حمل سلاح مرخص ..فأعتقد أن الرائد حردان لم يكترث للأداة التي ارتكب بها المجرم جريمته .. وتقرير الأطباء الجنائيين أو الشرعيين بين أسباب وصفة الوفاة .. ونوع الطلقات القاتلة التي أدت للقتل وهي طلقات من نفس عيار المسدسات المظبوطة مع الموجودين.

قال عزيز : هذا كلام صحيح .. ولكن لم يذكر التحقيق أن هذه المسدسات كانت هدية من المدير .. هذا قصدي أيها الأخ العزيز غدا ـ إن شاء الله ـ سنزور المرأتين منيرة وماريا ، ولنا لقاء مع المدير الجديد خالد نصري .. ثم نأخذ مازن فريد إلى الفيلا إلى قاعة الجريمة فجهز لنا تصريح دخول القصر.

ـ أمرك يا سيدي المقدم .

وقضى المقدم ساعة من الزمن في مكتبه وقام ببعض الاتصالات الهاتفية ، ثم أغلق المكتب

وعاد لبيته قبل الفجر بساعة ، وكان يقول لنفسه قبل النوم : " من المستفيد من قتل فريج ؟ فهو لم يرث شيئا عن عمه ليقتل من أجل المال .. وهو المستفيد الأفضل من موت عمه .. ولكن هناك الزوجة مستفيدة مبلغا مهما أيضا ..مائة ألف وفيلا .. وواقع الحال لا يدل على أن سارة هي القاتلة .. هل لها شريك .. أو عشيق ؟ .. ممكن ! حاول العشيق قتله في منزل عمه وفشل ..فهي تعلم بأيام الاجتماع من زوجها وتعرف الفيلا .. ولقد كانت موظفة في نفس المصرف ؛ ولكنها زوجة ولها أولاد .. هل فعل ذلك عشيقها من دون علمها ؟ .. هل يوجد عشيق فعلا ؟ .. إنها إنسانة طيبة .. جاءت طلقات القاتل بالمدير خطأ ؛ ثم أعاد الكرة فنجح هل تفعل ذلك تلك المرأة ؟ علمت أو لم تعلم ؟ هي المستفيدة الوحيدة من مقتل فريج لو ورث ..لابد من القيام بالمزيد من التحريات عنها .. ثم عاد يهمس : ولكن من هو هذا العاشق السفاح ؟

هذا إذا كان موجودا ..ماذا سترث عن فريج غير الديون ؟.. فلقد حزن فريج لاختفاء أموال عمه .. وعاد يقول : سارة امرأة وديعة ..صادقة .. هل كانت تمثل عليّ ؟!.. لا يبدو عليها الذكاء والفطنة لتخطط لمثل هاتين الجريمتين .. القاتل اللعين رام ماهر طلقة في الرأس وأخرى في الصدر هذا فعل رجل قناص متمرن .. والقاتل معروف لفريج .. أم أن سارة كاذبة في هذه العبارة التي نطق بها الرجل قبل الموت لتضليل الشرطة .. الجريمة الأول ، فأقوال الشهود وحتى أقوال فريج غير الواعية ترشد على أن له يدا في القتل ؛ ولكن لا يوجد بين أيدينا دليل قطعي .. إذن له شريك من هو هذا الشريك ؟ .. ثم غدر به هذا الشريك .. فعماد زكي جبان وكان موجودا في القاعة ليلة مقتل المدير .. وأخوه لا غيرة عنده فهو ابن أوروبا .. وفارس لماذا ترك مسدسه في البيت ليلة مصرع مديره ؟ ..عليّ معرفة أوضاعهم المالية .. قد يكون عليه ديون للمدير ليناموا عن أفعاله في أوروبا ..قد تكون هناك مصالح خفية بعد .. أين أخفى مرعي أموال البنك ؟ ولماذا السفر إلى أوروبا كل شهرين ؟ فوسائل الاتصال متقدمة ومتطورة .. إني على وشك الوصول للحقيقة .. عندما أسمع أقوال

السكرتيرة منيرة يوسف قد نعرف أشياء جديدة ومهمة .. ماريا ما دورها في اختفاء أموال العم مرعي .. ولماذا كانت تسافر معه ؟ .. ملايين تضيع بسهولة .. إنه المدير!!



الفصل الثاني

١

في صباح اليوم التالي كان المقدم عزيز ومساعده النقيب الشرطي زايد يجلسان مع الآنسة منيرة في مكتبها في مبنى المصرف ، ولما تمت المجاملات التقليدية همس عزيز قائلا : أنت سكرتيرة المدير السابق وموظفة في البنك منذ ما يزيد عن عشر سنوات ، وأصبحت السكرتيرة الخاصة من قبل سنتين وأشهر ، وقد كنت ثقة المدير ، ويعتمد عليك بترتيب أموره كثيرا كما قيل .. فيا آنسة كانت هناك مشاكل في الآونة الأخيرة بين فريج والمدير وبين مازن والمدير وبحكم موقعك ووظيفتك لابد أنك سمعت وعلمت شيئا من هذه المشاجرات ؟!

نظرت الفتاة في وجه المحقق وقالت : أحب بداية أن أوضح لك يا سيدي فأنا علاقتي بالمدير علاقة عمل فقط وأثناء العمل فحسب ، وأحيانا أشارك في مؤتمراته وندواته وحفلاته المتعلقة بالعمل.. هذا ما أحب أن تفهموه .. علاقات عمل وبس .. وفي بعض الأحيان أحضر اجتماعهم الشهري المنزلي وأنصرف فور انتهاء الاجتماع لا أشاركهم السهر نهائيا .. والسيارة التي أملكها هي هدية من المدير وذلك منذ سنوات حتى لا أتأخر في الوصول لمكان العمل .. وقد تأكد رجال الأمن من مرض والدي ليلة مقتل السيد المدير .. وتأكدوا من وجودي معه في المستشفى .. هذا ما عندي يا سيدي .

وكانت تتكلم بسرعة وتدافع وتـعب فلما انتهت قال الضابط وهو يبتسم : أحسنت على هذه التوضيحات !.. أنا سألتك يا سيدتي العزيزة عن مشاكل المدير مع أفراد الأسرة .. الأقارب ؟

قالت : بصراحة فريج مدين للمصرف بحوالي سبعة عشر ألف دينار .. وكذلك الأستاذ مازن وقد تكون ماريا أيضا مدينة ؛ ولكن لا أعلم عنها شيئا .. قبل شهور من موته طالبهم فريجا ومازنا بتسديد ديونهم ملمحا لهم أن البنك يمر بضائقة مالية فعليهما بإبراء ذمتهما نحو البنك فغضب فريج واعتذر عن السداد لإفلاسه فأشار عليه عمه أن يبيع الفيلا التي ورثها عن أبيه صبري فاحتد وقال : سدد عني أنت واخصم من راتبي . فأجابه المدير : راتبك .. نحتاج

عشرين سنة حتى يسدد ما عليك دبر نفسك .. المهم جرى بينهما حديث حاد .. هذا حصل ولكني لم أسمعه يهدده بالموت أو القتل .. وطلب من ابن أخته مازن تسديد الدين الذي عليه وهو حوالي عشرة آلاف فوعده بالتسديد قريبا .

فقال الضابط : هل جرت هذه المشاجرات أمامك ؟!

ـ طبعا .. لا .. ولكن من مكتبي هذا يمكنني سماع ما يجري في مكتب سيادة المرحوم .. وبعد ذلك توترت العلاقات داخل البنك .. قل المزح والمداعبة بين الزملاء .. الكل صامت يراقب الوضع عن كثب .. فأصبح يخيم على الوجوه النكد والوجوم .. وكرر المدير أكثر من مرة الطلب على السيد فريج ببيع الفيلا وهو يقول إن والدته وأخواته والورثة لا يريدون البيع ويرفضون هذه الفكرة بشدة .

فقال الضابط : هل تظنين أن يقتل فريج عمه للتخلص من هذا القرض ؟ .

فكرت الفتاة قليلا وقالت : لا .. فلو قتل عمه فلن يتخلص من الدين ، فهناك أوراق مكتوبة عليه وعلى مازن .. إلا إذا ورثوا ثروته ؛ ولكن ظهر بعد موته أنه لا يملك شيئا .. فكل الحسابات الأوروبية صفر ، وهناك تحقيق سري حولها .

فقال الضابط : أخلاق فريج كيف هي ؟

قالت : هو هادئ أثناء العمل يدخل مكتبه في قسم القروض ولا يفارقه حتى انتهاء الدوام إلا لمهمة.. وهو قليل الكلام .. ولكنه يشرب الدخان بشراهة .. وأسمع من الزملاء أنه يعشق الخمر والنساء .. ولا أعتقد أنه يحترم الحياة الزوجية .. واعلموا أنه قبل أن يتزوج الزميلة سابقا سارة كان بيني وبينه مشروع خطبة ؛ ولكنه لما التقى بسارة تحول إليها وانتهى مشروع زواجنا، وحاول أن نبقى أصدقاء فرفضت .

ابتسم عزيز لهذه المعلومة الأخيرة وقال : كنت أريد أن أسألك فعلا عن هذه الخطبة ..الحق أنني تحدثت مع فراش قديم في المصرف تسمونه " أبا موسى " عن الموظفين العاملين هنا .

فقطعت الكلام قائلة : نعم هو أقدم فراش ..استمرت فترة التعارف بيننا حوالي ستة أشهر ،

ثم أحب سارة وتزوجها ، وابتعدت عن حياته ، وما زلت عزباء يا سيدي .

قال المقدم مشجعا : أنت متعاونة جدا إجابات صريحة وواضحة من غير لف ودوران .. حدثينا عن السيد مازن .

قالت : هو الآخر نشيط في عمله ، وهو الآخر يحب الخمور والسكر وقد تورط فترة بالمخدرات ولكن تم إنقاذه منها .. ولا أعلم له مغامرات نسائية .. وهو يخاف من خاله جدا ويبدو لي أنه يعلب القمار .. لقد سمعته يتحدث عن خسارته مرة مع الأستاذ عماد زكي .. موظف عندنا في قسم الكمبيالات .

فقال عزيز : والسيد فريج صبري يمارس القمار .؟

سكت منيرة وحملقت في وجه الضابط لحظات ثم تكلمت وهي تهز رأسها : الحق أنني أسمع بذلك من همسات العاملين ولم أسمع ذلك منه ..

وتحدث معها الضابطان في أمور أخرى حول البنك والحياة الخاصة للمدير الميت ، وبعد ذلك طلبا الموظفة الأخرى ماريا التي جاءت بعد وقت يسير ، وبعد ترحاب بارد وتعريف سريع تركت الآنسة منيرة لهم المكتب وخرجت ، فلما أغلق الباب قال لها عزيز : أنت كنت تسافرين مع المدير إلى أوروبا ..ماذا كان يفعل هناك؟ .. أين يذهب؟ أين يمشي ؟؟

فردت بتكبر وعجرفة : أنا جئت لتسألني عن مقتله هنا .. فهو لم يقتل هناك كما أعلم !

فنظر الضابطان إليها بدهشة وقال عزيز : قد يكون لاختفاء الأموال من بنوك أوروبا شأن في مصرعه يا سيدتي العزيزة .

فقالت بقوة : لا أعتقد ذلك .. فقاتله من هنا .. لا أعداء له هناك .

ـ الله ! .. أواثقة مما تقولين ؟ أعندك برهان أيتها السيدة الفاضلة ؟!

فقالت : أنا لا أعرف قاتله ولكن أحوال الأيام الأخيرة والصراع في داخل العائلة كان يوحي بوقوع شيء .

ـ ولكن القتل وإثبات جريمة القتل يحتاج إلى أدلة مادية قطعية واعتراف صريح من غير

ضغط أو تأويل ليس وحي وعلامات وقرائن فقط .. فهل يعقل أن يؤدي الصراع على القروض بينه وبين أقربائه إلى القتل والجرائم ؟! .. وقد يكون لفريج يد في قتل عمه ؛ لأنه هو المستفيد الوحيد من مصرعه طمعا بميراثه .. أما مازن فلا يرث فكيف يتخلص من قروض البنك بموت خاله ؟ .. ثم إن السيد مرعيا لم يترك شيئا كبيرا مهما وراءه ليتنازع عليه يا سيدة ماريا ..

فقالت : القصر والعقارات الأخرى .

ـ ولكنها مجمدة للمصرف ..وهل قيمتها تساوي عشر ملايين ؟

فقالت : قد تظهر في يوم ما ..

ـ لم تجيبي عن نشاط المدير أثناء سفركما ؟ حسنا .. يوم مقتل المدير الساعة الحادية عشرة وخمسون دقيقة ليلا أين كنت ؟

ضحكت وقالت بنبرة تهكمية : في البيت أتفرج على فضائية فرنسية .. أنا أتقن اللغة الفرنسية جيدا ..جيدا

فقال مقاطعا : وماذا شاهدت ليلتها ؟

فردت بسخرية : لا أذكر .. بل فِلما عن مقتل مدير بنك زراعي .

فقال الضابط باسما: رائع ! لا أريد معرفة اسم هذا الفِلم ولا من هي القائمة بدور البطلة ؟ هل كان معك أحد في البيت ؟ فنحن نعلم أنك تسكين في شقة وحدك .

فقالت : نعم ، أسكن وحدي ولكن عندي خادمة .. فأنا قد تزوجت قديما من شخص اسمه " يوسف قدا " كان موظفا في البنك ، ثم انتقل بعد انفصالنا إلى عمل آخر ، ولي منه ولد عمره الآن تسع سنوات ، وهو في رعاية والده ، ويزورني هذا الابن نهاية كل أسبوع .

فقال : أنت الآن من غير زوج ؟

ـ أجل .

فقال عزيز : ليلة الحادث أكان ابنك عندك والخادمة ؟

قالت بتردد : لا أدري أنا كثيرة النسيان .

فقال : جيد.. لماذا لم تحضري الاجتماع تلك الليلة أتخافين من رؤية الدم والموت ؟

صعقت المرأة لهذا التلميح وقالت بحدة وهي تنظر في عيني المقدم : تتهم ! .. أنا قلت في التحقيق السابق لماذا لم أحضر الاجتماع ارجع إليه .. ولكن لا بأس أنا لا أريد أن أتعبك .. أنا تخلفت لأن المدير طلب مني عدم الحضور .. واعلم أنني لا أستطيع التصويب في المسدس رغم أنني أضع في حقيبتي مسدسا ..

ـ المسدس هدية من المدير .

قالت : نعم .

فقال عزيز : الخادمة شهدت بأنك كنت في البيت ليلة مقتل السيد مرعي .

قالت بغضب : رشوتها لتقول ذلك .

قال بهدوء : ممكن .. سيدتي .. هل تستفيدين من موته ؟!

ـ لا إلا إذا جعلني في قائمة الوصية .

ـ ألم تطلعي على وصيته ؟ .

ـ بأي صفة ؟

ـ هل تتهمين فريج صبري بالتآمر على حياته ؟

ـ كما قلت أنت سابقا .. الأمر يحتاج لدليل قاطع .

ـ هذا اتهام له !

ـ المهم أنا لست قاتلة ولم استأجر قاتلا .. ولا يفيدني موته العاجل .

ـ صارحينا بشكوكك لدينا معلومات كثيرة .. من قتل فريج ؟

ـ لست أنا ، ولم أقتله .

ـ أشكرك يا أم فريد .. هل ترغبين بإضافة ملاحظة كلمة ؟

ـ اعلم أن أوروبا لا دخل لها في مقتل السيد مرعي ، بل لو كانت أخبار أوروبا معروفة في

البنك ؛ لربما لم تحدث أي جريمة .

هتف الضابط فرحا وهو يقف : صح .. هذه معلومة ممتازة لآخر درجة ؟؟ ولكن ما الدليل أن فريجا هو القاتل ؟

قالت وهي تقف مودعة لهم وتبتسم : هذه مهمتك يا سيدي.. فأنا لست شرطيا ولا محققا !

فقال عزيز: ولكن قد يكون المقصود فريجا في الجريمة الأولى وقتل مرعيا بالخطأ ؟

ضحكت وقالت بقلق : فريج المقصود بالقتل! وفكرت قليلا ثم أردفت : والله ممكن ! .. ولكن لماذا يقتل ؟!

فقال باسما : ولكنه قتل ؟!

ـ على كل سوف تصل للقاتل إني أراك نبيها فتابع أعمالك .. وإذا تذكرت شيئا أرى أنه يفيد التحقيق سأقوله لك.. هات عنوانك هاتفك.

انصرفت وتركت الضابطين مذهولين من جرأتها على الاتهام ، فقال عزيز وهو يقعد ثانية : امرأة تتظاهر بالكبر والتعالي .. هذه المرأة تحتاج لمراقبة رجالك يا زايد ، ونريد المزيد من المعلومات الخاصة عن حياتها الخاصة لديها كلام.. فلنتحدث مع السيد مازن فريد .

وأرسلوا إليه ، فجاء بعد دقائق ودخل وهو يدخن والاضطراب والخوف واضحان على وجه فبعد ترحيب معتاد قال عزيز بصوت هامس : كيف أنت يا أخ مازن ؟

رد بعجلة : بخير .. اسأل .. اسأل ما بدأ لك .

ـ هل عندك معلومات تفيدنا في البحث والتحري عن الجاني ؟

ـ لا معلومات زيادة عما قلته في التحقيق السابق .. فبينما نحن نستعد لإنهاء اجتماعنا انطلقت رصاصات ، فرأينا المرحوم مرعي ينقلب أو ينحني على المكتب .. فاتصل الأستاذ خالد بالإسعاف والشرطة على الفور.

ـ ما رأيك بأن تذهب معنا لموضع الجريمة لتصف لنا المشهد بالتفصيل .. أم لا تحب ذلك ؟

فقال مازن : أنا تحت أمرك .

فقال عزيز : شكرا لك .. فلنأخذ المدير الجديد أيضا معنا .. وبعد ربع ساعة كانوا يغادرون المصرف برفقة الأستاذ خالد نصري ونائبه مازن فريد إلى قصر السيد مرعي سعد الدين ..

وتنفس العاملون في المصرف الصعداء لخروج المحققين من المصرف .

٢

كان قصر السيد مرعي منذ مصرعه تحت حراسة الشرطة ، وما زال البواب والخدم في أعمالهم والبستاني ما زال يتفقده باستمرار ، والبنك يصرف لهم معاشاتهم وأجورهم حتى يتم تصفية تركة المدير ، إما بالمصادرة لصالح البنك أو إلى الورثة ، وقبل أن تصل سيارة المقدم عزيز إليه كانت سيارتا أمن في انتظارهما في واحدة منهما الرائد حردان الذي خاطب المقدم عزيز قائلا : آثار أقدام المجرم تدل على أنه دخل من الباب الخلفي الصغير للقصر .. وأكد البواب يومها أن المفتاح الذي معه لم يأخذه منه أحد ، ومنه نسخ أخرى مع السيد مرعي ، ووجدنا مفتاحا مع السائق وآخر مع الخدم والباب لا يستعمل كثيرا .. ولم يوجد أي عنف أو خلع لتجاوزه .. ويقول البواب من الممكن تركه مغلقا من غير المفتاح وذكر لنا أنه لا يذكر ليلة الحادثة هل كان مغلقا أم لا ؟ وذكر الخادمان مثل ذلك ، والبستاني كان في نهار الجريمة قد دخل منه ومعه المهندس الزراعي ، ومكثا ساعة من الزمن ، ثم غادرا منه ورداه ورائهما.. ومن عادة البستاني الدخول والخروج منه منذ أكثر من عشر سنوات .

فقال المقدم عزيز : لا تهمنا الآن قضية المفتاح والباب .. المهم آثار حذاء القاتل تؤكد دخوله منه وسار نحو قاعة الاجتماع .

فقال حردان : آثار الأقدام تدل على أنه دخل منه وخرج منه ، ومن جهة النافذة التي تم إطلاق الرصاص منها على المدير لا توجد إلا أقدام شخص واحد يلبس حذاء خفيفا كأحذية الرياضة الخفيفة .. وبتتبع هذه الآثار من النافذة تنتهي عند الباب الصغير .. ويقول خبير الآثار إنها تدل على أن الرجل يعرف المكان الذي يسير فيه ، خطوات متتابعة ومستمرة وضغطها خفيف على الأرض .. فلا توقف في الخطوات ..ومن الصعوبة أن يشعر الخدم أو

البواب بخطوات ذلك الحذاء فهي غير مسموعة وقياس درجة هذه الحذاء بين ٤٢ و ٤٤ كما بينها الرسام .. دخل المجرم من الباب الصغير بخفة كما نتصور وسار جهة المطبخ ومخزن الأثاث القديم ـ وأشار لهم الضابط إلى المطبخ ـ وكانت هنا خطواته واضحة .. ولما وصل نهاية المطبخ من الخارج واجهه فراغا صغيرا ثم أتى طرف قاعة الاجتماع ..وهناك مقعد قديم قريب من النافذة تبين لنا أنه صعد عليه وأزاح الستائر والنافذة كانت مفتوحة من الداخل وغطاء النافذة الخشبي كانت مفتوحا أيضا ، وهذه الأشياء في الغالب لا تفتح إلا من داخل الفيلا .. والخدم بينوا لنا أنهم لا يفتحون هذه النوافذ إلا في الصبح بضع ساعات ثم يغلقونها بقصد تجديد الهواء في الغرف ، ويذكر الخادم أنه فتحها في الصباح كالمعتاد ، ويؤكد أنه أغلقها بعدما نظف ومسح الغبار عن مقاعد وطاولات القاعة .. وكل هذا يا سيدي يدل على أن هناك ترتيبا مدبرا .. وأتصور أن المجرم عندما وقف على المقعد القديم ـ وأشار لمقعد بالقرب من جدار النافذة التي تم إطلاق النار منها للداخل ـ حرك الستائر بإحدى يديه بخفة وصوب مسدسه على رأس ضحيته فأصابه من الخلف ثم رصاصتان أخريان في الظهر أصابت واحدة العمود الفقري فانقلب الرجل على المائدة وقد مات فورا ..طبعا القاتل كان يضع كاتم صوت على مسدسه ..والذي ساعده في سرعة الإصابة أن المقاعد التي كان المجتمعون يجلسون عليها لها مساند ظهر قصيرة .. فرأس الضحية يرى من الخارج وخاصة إذا وقف على الكرسي .. المهم في القضية كيف عرف وميز المجرم ضحيته من بين كل هؤلاء الرجال ؟

عزيز : سنعرف هذا بعد قليل .

دخل الضباط القاعة التي كانت مسرحا للجريمة الأولى ، فشاهدوا طاولة مكتب كبيرة من الطاولات المخصصة للاجتماعات ، ويدور حولها مقاعد وثيرة ولكن مساند الظهر قصيرة لم تكن مرتفعة مما ساعد القاتل على إصابة الهدف ، وأشار الرائد حردان إلى مكان وقال : كان هنا يجلس المدير وظهره للنافذة وعن يمينه قدر نصف متر كان فريج يجلس على مقعده ، وعن يساره يجلس ابن أخته الأستاذ مازن .

فهز مازن رأسه مؤكدا قول الرائد ، وتابع حردان الوصف وكان على يمين فريج مقعد فارغ ثم عماد وأخوه أحمد وكان في مقابل المدير يجلس خالد نصري وبجواره فارس .. ودخل عليهم الخادم مرة بفناجين القهوة ثم انصرف .. ونهض فريج مرة أو مرتين نحو الحمام وشهد الخدم أنهم رأوه يدخل المرحاض ، وعلل ذلك بأنه مريض ويصيبه بول كثير ، وقال الشهود إن غيبته لا تطل أكثر من بضع دقائق، ولما كانوا يستعدون لفض الاجتماع .. أطلقت النار على المدير فلم يفق الحضور من الصدمة حتى كان المجرم قد أصبح خارج المبنى من الباب الصغير الخلفي .. والعجيب يا سيدي المقدم أن البواب يشهد أنه لم ير فريجا في القصر منذ أكثر من أسبوع ، وكذلك الخدم لم يروه إلا ليلة الاجتماع لنقول إنه فتح الشباك للمجرم إن كان متآمرا معه كما يشك الكثيرون .. وكان السؤال المهم كيف عرف القاتل شخص المدير من وراء ظهره ! .. هذا ما عندي يا سيدي المقدم .

فقال عزيز : إنها جريمة محكمة التدبير والتنظيم ، مخطط لها قبل الاجتماع بدقة .. لا يوجد عند النافذة إلا أقدام شخص واحد ؟

ـ نعم يا سيدي .. وشاهدوا الجلسة اتفقوا جميعهم على أن أحدهم لم يقم بفتح النافذة أثناء الجلسة تحت أي ذريعة من الذرائع .

ولم يزد خالد نصري ومازن شيئا على إفادة الرائد حردان سوى أنهم قالوا بأنهم كانوا يهمون للقيام حيث يسهرون ويروحون عن أنفسهم فقال مازن : قمت .. فإذا بالمدير ينكفئ على الطاولة وتتطاير منه الدماء وسمعنا أزيز الرصاصات الغادرة فأصابنا الهلع والخوف ، فقام خالد بالاتصال بالإسعاف السريع والشرطة ، ولم يتحرك أحد منا من الغرفة حتى أتى رجال البوليس وقاموا بالإجراءات اللازمة .

فقال عزيز موجها الخطاب لمازن : هناك مشاكل مالية بينك وبين خالك ؟

ـ نعم للبنك عليّ عشرة آلاف دينار ، وكان يطالبني بها في الآونة الأخيرة باستمرار ولكن ظروفي لم تكن تسمح بالتسديد ، وخالي يعلم ذلك ولكنه كان يصر على تسديدها .. والحقيقة

أنه في الشهور الأخيرة كان كثير الغضب والعصبية .. ولكن لم أفكر بالقتل يا سيدي لحل مشاكلي ..وأنا مديون للمصرف .. ولا استفيد من موته بأي شعرة .. وبعد موته تمكنت من تسديد نصف المبلغ ، ويخصمون الباقي من مرتبي .

فكر الضابط قليلا ثم قال : هل من أسرار تعرفها عن خالك يا سيد مازن ؟

فرد مازن بقلق : خالي كله أسرار ؛ ولكنه لا يثق بإنسان ليكشف له خزانة أسراره .. واعلم أن علاقتي الشخصية لم تكن على ما يرام مع السيد الخال .. وحتى مع أسرتي كلها ، وقال بغضب مكبوت : فهو شخص أناني وحقود وأضف حسود .. ولا أحبه يا سيدي ومع ذلك ما تمنيت موته في أي لحظة .

ـ علمنا أنه أوصى لك ببعض المال ثم ألغاه .. أكنت تعرف ذلك قبل موته ؟

ـ لا يهمني ذلك لست بحاجة لمال منه ، ولكنه هو نفسه حدثني بذلك قبل موته بأيام فشكرته وبينت له أنني بغنى عن ماله .

ـ أوروبا ؛ هل تعرف عن أسراره في أوروبا شيئا ؟

ـ أكيد له أسرار فيها ولكني لا أعرفها .. فرفيقته في السفر السيدة ماريا خليل

ـ ولكنها لا تعرف شيئا .

رد مازن بسرعة : تعرف الكثير ؛ ولكنها لا تريد الكلام .. بل تدعي أنها تعرف قاتل السيد مرعي .

ـ أخيرا سيد مازن علمنا أنك تلعب القمار .. في أي محل تمارس هذه الهواية ؟!

رد مازن بقرف مثير : أحيانا أمارس هذه الرغبة المجنونة في نادي الكلب الذهبي لصاحبه صبحي موسم .

فقال الضابط : هو أحد الأماكن التي يلعب بها فريج القمار .

ـ نعم ؛ ولكنه يلعب في نادي شوهو أكثر ..

شكر المقدم مازنا والتفت للسيد خالد قائلا : سيدي المدير ما تقول في هذه الجريمة ؟ أو

الجرائم ؟

فقال خالد بتمهل : حقيقة أرى أن الجريمة بعد الثانية تعقدت أكثر وأكثر .. فكنا نرى أن مقتل السيد المدير يصب في مصلحة فريج ومصلحة زوجته ؛ ولكننا بعد مقتل فريج ذهب بنا التفكير بأنه قد يكون هو المقصود في الأولى ؛ ولكن مقتله لمصلحة من ؟ فهذا ما يحير بالتأكيد !

تحرك عزيز في الغرفة قليلا ثم قال : هيا نخرج وقريبا جدا ـ إن شاء الله ـ ستعرفون الجاني القاتل الذي رتب لهذه الجرائم .

وأشار المقدم لأحد سائقي سيارات الشرطة بأن يوصل الرجلين لمكان عملها ، وقال لزميليه زايد وحردان : علينا أن نحل لغز النافذة .. أي كيف فتحت وهيئت للمجرم ؟ ولغز كيف عرف ظهر المدير دون الآخرين ؟ ..كيف فتحها المجرم أو من فتحها له ؟ ..عليك يا أخ زايد أن تلتقي بخادمة السيدة ماريا التي شهدت بأن ماريا ليلة مقتل السيد مرعي كانت في البيت فعلا ، وتضغط عليها لتأخذ منها معلومات مهمة حول العلاقة الخاصة بين ماريا والمدير ما نوعها وأهميتها .. وأنت يا سيد حردان اجتمع بصاحبي النوادي التي كان يلعب بها فريج القمار .. شوهو .. الكلب الذهبي .. والنادي القديم فورمون ..اعرف منهم أصدقاء فريج ومع من كان يكثر الجلوس واللعب ؟ .. وغدا نلتقي في مكتبي لنحل هذه الألغاز .. وسأقوم الآن ببعض الزيارات الخاصة .

وركب سيارته وحيدا وانطلق بها إلى مكان ما أو أكثر .



٣

في صباح اليوم التالي اجتمع مدير الأمن العام بالضابط عزيز واستمع له ، فأوجز المقدم له نشاطه منذ استلم القضية وقال في النهاية : يوم أو يومان بإذن الله يكون المجرم بين يدي العدالة وبين يديك ملف كامل حول القضية التي شغلت الصحف والأخبار .

فرد عليه رئيسه : أنا واثق بذكائك مقدم عزيز .. أرجو أن تظفر بالقبض على المجرم سريعا .

وانصرف عائدا لمكتبه فوجد صاحبيه في انتظاره ، فلما جلس خلف المكتب قال لهما : وعدت المدير أن ننهي القضية اليوم أو غدا على الأكثر .. هات ما عندك يا زايد ؟

فقال زايد بانفعال ظاهر : عندي مفاجأة حقيقية .

قال المقدم بحماس : تكلم أيها الصديق ؟

رد الضابط وما زال في انفعاله الظاهر : تبين لنا من الحديث الحاد مع خادمة ماريا أنها خادمة جديدة تعمل عندها من بعد مقتل السيد مرعي بأيام .. فقد صرفت القديمة وأتت بأخرى جديدة .. فمشينا إلى القديمة ...

الضابطان : فعلا إنها أخبار مدهشة . . رائع نقيب زايد !

فقال عزيز: أين المفاجأة يا صاحبي ؟

رد زايد: المفاجأة أن الخادمة بعد كلام مثير اعترفت لنا أن السيد مرعيا كان متزوجا من ماريا خليل سرا .. سرا عن زوجته الأمريكية وسرا عن الأهل

والأقارب وقل عن موظفيه . وقبل مصرعه بشهرين تقريبا انفصل عنها وطلقها

وقال المقدم مفكرا: الآن أدركت لماذا لم يذكر لها شيئا في الوصية مع أنها قريبته ؟ .. مرعي تزوجها سرا .. كم مكثت زوجة له ؟

قال زايد : إنها لا تدري ، فالخادمة قضت عندها سنة ومنذ عملت عندها وهو يتردد عليها كزوج .. ثم حصل الطلاق والفراق .

فقال حردان متسائلا : هل تكون قاتلة لسبب ما ؟! ومن أجل ذلك أشاعت أن فريحا هو

القاتل ؟

فقال عزيز :علينا بالقبض عاجلا على الفاعل المنفذ ليحل لنا هذه الألغاز .. وأنت يا رائد حردان ما الجديد عندك ؟

أجاب الرائد حردان قائلا : العمارة التي قتل فيها فريج ، تبين لنا أن هناك شقة أسفل شقة فريج كان يسكنها رجل وحيد ، ومنذ مقتل فريج لم يظهر في العمارة ، ويقول حارس العمارة إنه مهندس كيميائي ، ولا أحد من الجيران يعرف عنه شيئا ، ولا حتى موضع عمله ، وقد استأجرها لمدة شهرين ؛ ولكنه قبل الحادث بيومين لم يره أحد ، وكان من عادته أن يلقي التحية على البواب كل صباح ؛ ولكنه قبل الجريمة لم يظهر للبواب ، وذكر لنا أوصافه ودخلنا شقته فلم نجد بها شيئا مهما سوى أكوام الصحف والمجلات السياسية الأجنبية وعلب طعام فارغة ، ونحن مستمرون بالبحث عنه .

ـ مفتاح الشقة أما زال معه ؟

ـ أجل ، وهو غائب وقد انتهت مدة الإيجار من قريب كما أخبرني البواب ، ويريد أن يعرف هذا البواب هل نشمع الشقة أم نسمح لهم بتأجيرها ؟ .

ـ ما دمت قد ألقيت نظرة عما بداخلها.. دعهم يحتفظوا بما في الشقة من أشياء في مخزن ثم ينظفوها ويؤجروها. . واستمروا بمراقبة العمارة وإجراء التحريات عن سكانها، واعلموا أني علمت من السيد خالد نصري مدير المصرف الجديد أن السيد أحمد زكي كان صديقا لماريا ، وقد أراد الزواج منها بعد أن هجرته امرأته ، وأن المدير مرعيا اعترض على هذا الزواج .. فقد اتصلت به لأسأله عن ماريا وأخلاقها وطباعها فذكر لي هذه القصة .. وها أنتم جئتم بخبر عجيب .. سنقوم بزيارة لها في بيتها .. فخذوا لنا معها موعدا وقبل ذلك سنمر على المصرف ونتحدث مع بعض الموظفين وأرى أحمد وزكي .. النوادي .. نوادي القمار ما فعلت فيها ؟

قال حردان : تحدثت مع مدير نادي الكلب الذهبي فجمعني مع المسؤول عن صالة القمار فأخبرني أن فريجا فعلا كان يتردد على صالة القمار ويلعب مع المقامرين ، وكان يحضر مرات

قليلة بصحبة السيد عماد زكي وأكثر مع مازن ، وأحيانا مع شخص اسمه شاهر براعمي الشهير بالمكار ، وهو مقامر بارع .. هؤلاء فقط يحضر مع أحدهم .. وأكثر الوقت يأتي وحيدا ويأتي النادي في كل أسبوع مرة أو مرتين ، أما نادي شوهو لا يكاد يمضي نهار إلا ويدخله يلعب أو يتفرج ، فنادي شوهو صاحبه رجل إنجليزي أو مؤسسه أما المدير الحالي السيد برصوم فقد قال : إن فريجا من زبائن النادي الدائمين لا يكاد يمر يوم إلا وشاهدناه بيننا ، فإن لم يلعب يعاقر الخمر ثم ينصرف مع نصف الليل ، وكل رواد الملهى يعرفونه وقد حزنوا لمقتله ، وكان أكثر الناس صحبة له صاحبه شاهر براعمي ، فهما صديقان حميمان في النادي .. والبراعمي هذا رجل أعمال فاشل ، ورث عن أبيه ثروة عظيمة .. وقال لنا برصوم : إنه كان ضابطا في الجيش ، فلما ورث الثروة الكبيرة ترك الجندية ، وكثر تردده على الملاهي والخمارات ، وسمي بالمكار لخبثه وبذاءته ، فهو يعتبر من أكثر الناس جلوسا مع فريج ؛ ولكنه قبل مقتل السيد فريج كما علمنا من برصوم أراد السفر إلى باريس ، وقبل سفره مرض وسقط في الملهى فنقل إلى المستشفى ومن يومها لم يظهر في النادي ، ولا أحد يعرف مكان عمله ؛ لأنه لا يعمل ، ولا حتى مكان سكنه بالضبط إلا أنه يسكن في حي ليلى أما البيت فلا يعرفه أحد .

ـ هذا الشخص يجب أن نلتقي به ما دام هو من أكثر الناس صحبة لفريج في مثل هذه الأماكن ..اذهبوا إلى المستشفى الذي كان نزيلا فيه واعرفوا صفة مرضه ومتى خرج وهل سافر إلى باريس ؟ اعرفوا ذلك عن طريق رجالنا في المطار الدولي .. فنحن بحاجة لمثل هذا الصديق لفريج .. قوموا الآن بواجباتكم ودعوني أزور البنك ورتب لي يا زايد لقاء هذا المساء مع السيدة ماريا وليكن في بيتها لن أتحدث معها في المصرف ، وسوف أمر على بواب القصر وأتحدث معه ومع الخادمين علينا التحرك بسرعة للوصول إلى الجاني اللعين قبل أن يرتكب جناية جديدة .. نسيت أن أسألكم عن سارة ما أخبارها ؟

أجاب زايد : هي تحت المتابعة الأمنية لم تخرج من بيت والدها سوى بضع مرات لمدارس الأولاد وتعود إلى البيت ثانية .. راجعت العيادة مرة واحدة ثم عادت إلى البيت تحدثت مع

حماتها مرتين وكان كلاما مقتضبا وحول مصاريف الأولاد .. أمور عادية والمراقبة مستمرة .

عزيز : الليلة بعد لقائنا بماريا سنضع تصورنا لهذه الجريمة .. فلدينا معلومات كثيرة سأقوم بترتيبها جيدا .. السلام عليكم وإلى لقاء .



٤

رحب المدير خالد بالمقدم عزيز ترحيبا حذرا والذي استفسر منه عن أموال البنك الضائعة في الغرب ، ثم تركه بعدما سمع الإجابة، ثم التقى بالسيد مازن وسأله عن سبب حذف اسمه من وصية الخال فقال مازن : خالي رجل مزاجي عندما يكون راض عن شخص والعلاقات طيبة تأخذ منه ما تشاء وإذا ساءت العلاقة يغضب ويتحامق .. السبب يا سيدي أنه تشاجر مع والدتي أخته ؛ لأنها تدخلت في موضوع القرض الذي بيني وبين المصرف وعاتبته في الأمر فنـقم منا وغير وصيته .. وهذه ليست أول مرة .

قال المقدم عزيز : هل تعلم أن خالك .. وسكت لحظات ثم أردف قائلا : كان متزوجا من ماريا خليل ؟

فغر مازن فمه استغرابا وحدق في المقدم بدهشة وقال : سيدي ماذا قلت ؟! .. وضحك قليلا وقال : خالي متزوج من ماريا .. هل هذا ممكن ؟!

ـ أمعقول أنك لم تعرف هذا وأنت تشتغل في البنك ؟

قال مازن : هذه أول مرة أسمع بذلك .. ولا أظن أن أحدا يعمل في هذا البنك يعرف ذلك ! لابد أنك تسخر مني يا سيدي وتريد أن تصل لشيء .

ـ أبدا ، لقد تزوجها بسرية تامة وطلقها بسرية تامة .

ـ آه ! .. تذكرت الآن لماذا ؟

ـ ماذا تذكرت ؟

ـ ذات يوم أراد السيد أحمد زكي الزواج من ماريا ..فالأخ أحمد متزوج من فتاة غربية ؛ ولكنها تركته وعادت لوطنها ، ثم التف حول ماريا وبعد قصة حب من طرف واحد ابتعد عنها، وعلمنا أن المدير أو الخال أوقف هذه المهزلة .. فهذا سبب معقول لابتعاد ماريا المطلقة عن أحمد .. ثم نسينا الأمر.. وماريا هي التي كانت تصاحب المدير في رحلات أوروبا .. ولكنك قلت إنه طلقها .. هل لهذا دخل في مصرعه؟

أجابه المقدم عزيز : ليس بالضرورة .. تحياتي لك سيد مازن وشكرا على تعاونك معنا .

وغادره إلى مكتب رئيس قسم المحاسبة والموازنة السيد فارس واستفسر منه "هل كان يصرف السيد المدير أموالا إضافية على السيدة ماريا ؟ "

فقال : لا .. راتبها المقرر شهريا فقط ؛ ولكنه كلما عاد من أوروبا يأمر بصرف مبلغ خمسمائة دينار فقط لها على سبيل الأتعاب التي سببها لها السفر والمكافأة أيضا .

ـ هل لديكم رصيد شخصي للسيد مرعي في البنك ؟

ـ مبلغ بسيط حوالي عشرة آلاف .. كان يحب ادخار أمواله في الخارج .

ـ هل لديك علم عن علاقته مع زوجته الأجنبية ..هل كان بينهم مشاكل غير طبيعية؟

ـ الحق .. نعم .. كثيرا ما يتشاجران .. حتى أنهما كانا يتشاجران عندما نكون معه في البيت أثناء سهرنا معهم فنسمع مشادات بينهما ، وكانت دائما تعيبه وتعيره بعقمه ، فلقد كان الرجل عقيما وقد يئس من العلاج هنا وهناك ولم يتحقق له المطلوب ، وكانت امرأته تضغط عليه ليتبنى طفلا ولكنه رفض ولم ينحنِ للضغط .. على الإجمال لم تكن حياته الزوجية سعيدة .. فأحيانا تشكو لنا من سوء أخلاقه معها ؛ ولكننا لم نكن نرى ذلك فيه .. إنما السبب هو عدم الإنجاب بينهما ورفضه لفكرة تبني طفل أو طفلة.. أنا أعرفه قديما ، فقد كانت تتركه وتسافر إلى أمريكا بالسنة أحيانا وبالشهور ولا يكترث لغيابها ومع ذلك يرسل لها أموالا ومصروفا .

ـ ألم تطلب منه الطلاق ؟

ـ حسب معلوماتي لا ..وهو أيضا لم أسمعه مرة يفكر بالطلاق .

ـ هل تصدق أن السيد مرعيا كان متزوجا من قريبته ماريا سرا ، ثم طلقها قبل حادث مقتله بشهرين أو ثلاثة ؟

تظاهر فارس بالدهشة وقال : حقا ! هذا شيء جديد .

ابتسم عزيز وقال : ولكنك لم تفاجأ بالخبر كثيرا ؟

قال فارس : الحق أنه كانت لديّ شكوك في ذلك .. ولم أحاول تأكيدها فعلاقات المدير

الخاصة لا تهمني ، نحن أصدقاء عمل في الغالب يا سيدي ..وقد تردد من سنتين تقريبا تهامس بين الموظفين أن المدير يتقرب من ماريا .. ثم خفت الموضوع .. وعندما أراد السيد أحمد زكي الاقتران بها منعه المدير بشدة ، ولم نعر الأمر اهتماما فظنّنا أنها شكت له فأوقفه عند حده ثم انتهى الأمر عند هذا الحد وعادت ماريا للهدوء بعد قصة عاطفية قصيرة من قبل السيد أحمد .

ـ العلاقة الشخصية بين فريج وعمه مرعي كيف كنت تراها ؟

ـ لم تكن حميمة .. ولكنها صحبة كأس وميسر .

ـ المدير يلعب القمار ؟!

ـ هو متعلق بها أشد من أقربائه يا سيدي المقدم .

ـ أين يمارس هذه القمار ؟

ـ هنا في هذا القطر .. لابد أنك تعلم أنه يوجد نادي خاص في البلد لا يدخله إلا علية القوم للعب القمار .

فقال المقدم : وما أدراك به ؟

ـ لقد حاول جر رجلي كما يقولون لهذا الوكر ..ابتليت بها قديما ؛ ولكنني أبغضها اليوم بشدة مع شدة ابتلائي بالشراب اللعين .. ما استفدنا من تعلمنا في الغرب إلا التعلق بمثل هذه الموبقات .

ـ ما اسم هذا النادي؟

ـ لقد رافقته إليه بضع مرات .. إنه يقع في الشارع السابع .. عمارة الغراب .

ـ لقد عرفته .. فعلا هناك ملهى لرجال المال الكبار .. فهذه أول مرة أعرف أنهم يلعبون الميسر .. كنت أظنه مشربا للخمور والجلسات الشاعرية .. شكرا سيد فارس .

وتركه ليتحدث مع السيد أحمد زكي الذي انزعج لما رآه وقال هامسا : نعم أيها السيد .. إنني لا أحب الجلوس والكلام مع رجال الشرطة والأمن .

ـ الضرورة لها أحكامها .. لولا وجودك على مسرح تلك الجريمة لما وجدتنا بقربك أيها البطل

ـ أنا لست بطلا .. ماذا تريد مني اليوم ؟

ـ جئت لأتحدث معك عن علاقتك بماريا .. وقصة الحب التي كانت بينكم ..

ولماذا منعها المدير من الزواج منك ؟؟

فرد أحمد بدون تفكير : لأنه يحبها!

نظر المقدم في عيني أحمد وقال : يحبها .. ومن أعلمك أنه يحبها وهو أكبر منها بأكثر من عشرين سنة ؟

ـ هي أخبرتني بذلك .. صارحتني بعشق المدير لها .

ـ وهل تعلم أنه تزوجها ؟

ـ قالت لي ذلك بعد أن أمرني بالابتعاد عنها .. جعلتني مطية لتتدلل عليه .

ـ وهل تعلم أنه قبل أن يموت بفترة قد طلقها ؟

قال أحمد بدهشة : هذه أعلمها منك يا سيدي !

٥

كانت السيدة ماريا خليل العاملة في مصرف الرعاية في ذلك المساء على موعد هام مع رجال الشرطة في قضية زوجها السابق السيد مرعي سعد الدين مدير المصرف الذي تعمل فيه ، ولما دق الباب كانت الخادمة تفتح لهم باب الشقة وتدخلهم إلى غرفة الاستقبال أو الزوار ، وما كادا يستريحان حتى أقبلت عليهم بثوب جميل وزينة كاملة ترحب بهم وبعد السلام والكلام المعتاد أمرت الخادمة بإحضار القهوة لهم ، قالت موجهة الكلام للسيد عزيز : عجبت لك حضرة المقدم .. فأنت اليوم كنت في البنك وتكلمت مع السيد فارس والسيد مازن والسيد المحترم أحمد ولم تأت إليّ لتسألني ما دمت كنت تريد الحوار معي .. فقد انتظرتك في مكتبي .. فلم تحضر .. نعم أنا كنت زوجة للسيد مرعي منذ سنتين وهو الذي اشترى لي هذه الشقة التي نجلس فيها الآن وكتبها باسمي .. كان المسكين يأمل أن ينجب ولدا يرثه .. مع أنه كان موقنا

أنه عقيم ، فقد عرض نفسه على كل أطباء أمريكا وأوروبا وحتى اليابان ، كان يرى أن زوجته هي المريضة ولا تستطيع الحمل .. ولما علم بأنني أنا المطلقة التي لديها ولد أريد أن أتزوج من السيد أحمد اشتد غضبه واعترف بحبه لي .. وأعطاني هذه الشقة وخمسين ألف دينار رصيدا في أحد البنوك .. على القبول به زوجا ؛ لعل الله يرزقه ولدا مني فوافقت .. بيت ومال وزوج .. ولكنه أراد أن يبقى هذا الأمر في غاية الكتمان عن أقاربه وزوجته .. وهذا ما حصل

ـ ولماذا انفصلتما ؟

ـ لما يئس من حملي وزاد يقينه أنه هو العقيم بردت العلاقة بيننا ..فلما عدنا من فرنسا في المرة الأخيرة ، وكنا قد تغاضبنا هنالك طلبت منه الطلاق ولكنه رفض .. فشتمته وعيرته بعقمه كما تفعل زوجته الأمريكية ، وهددته بكشف أمر زواجنا فوعدني بالطلاق على شرط أن لا أتزوج السيد أحمد زكي فوافقت .. ولما عدنا تم الطلاق خفية عن الأصحاب والمعارف كما كان الزواج خفية .. ولكن زواجي موثق في أوراق دائرة الزواج والطلاق .. إنه زواج شرعي وطلاق شرعي .

ـ سؤال آخر أيتها الحسناء .. القمار هل كان زوجك أو طليقك يقامر في باريس لندن ؟ .

ـ هو مدمن خمر وقمار ..أما في أوروبا فعندما كنا ننزل في فندق يتركني أفعل ما أشاء ، وينصرف لأعماله ، فلا يحب صحبتي في تحركاته .. ومن النادر أن تتجاوز رحلتنا الثلاثة أيام أيها المقدم .

اعتدل المقدم وهو يأخذ القهوة من الخادمة ويرشف منه رشفة ثم يضعها أمامه ، ولما انصرفت الخادمة قال : سيدة ماريا .. نحن وضح لدينا أن السيد فريج صبري قد شارك بقتل عمه، وله دور مهم في الجريمة ، فقد تبين لنا أن السيد المذكور دخل قصر عمه ليلة الجريمة قبل الاجتماع المذكور ..وفتح له الخادم الآسيوي ، وكان عمه يجلس في مكتبه ، فقد ذكر لنا هذا الخادم بعد التدقيق والتحقيق أنه ترك السيد فريجا في صالون الفيلا ؛ لأن من عادة المدير أنه لا يخرج للاجتماع إلا في الوقت المحدد بالضبط عندما ترتفع دقات الساعة معلنة الحادية عشرة ليلا ،

وبعد أن تركه الخادم قليلا ناداه فريج وقال له : إنه نسي صندوق السجائر في السيارة .

ففتح له الباب وخرج فريج ، ويبدو أن السيد فريجا في هذه الدقائق التي دخلها دخل قاعة الاجتماع وفتح النافذة والأباجور الخشبي غطاء الشباك ـ وهو يعرف القصر جيدا ـ وتظاهر للخادم بأنه نسي صندوق السجائر.. فهذه الدقائق لم يذكرها أحد في التحقيق ؛ لأنه لا ينتبه لها أحد ولم يشاهدها إلا الخادم .. خرج من الباب الخلفي للقصر ويبدو أنه دخل منه؛ لأن البواب لم يذكر أنه رآه عندما دخل أو خرج لجلب صندوق الدخان .. قد تبين لنا أنه يملك مفتاحا للباب الخلفي فقد ترك الباب الخلفي مفتوحا ، ودار حول القصر حيث الباب الكبير حيث ركن سيارته أمام الفيلا وسلم على البواب ، وكانت الساعة قد زادت عن الحادية عشر فدخل قاعة الاجتماع متأخرا ، فظن الحاضرون أنه قدم متأخرا ، وعاتبه عمه على هذا التأخير ، فلم يذكر أمامهم أنه دخل وخرج بل تظاهر أنه تأخر فعلا .. فهذا هو حل لغز النافذة .. ولما رفع رجل المختبر الجنائي البصمات عن حافة الشباك ورفعوا البصمات لم يجدوا له أي بصمة .. فهذا يؤكد أنه كان يخطط لهذه الجريمة مع شريك آخر يعرف المدخل جيدا .. قد يكون فريج دخل به القصر من الخلف بدون أن يشعر بهم البواب العجوز قبل الجريمة بفترة مع أن الخادمين لم يروهم لأنهم في العادة مشغولون بالداخل ولو سمعوا حركة ظنوا أنه البواب أو البستاني .. لأن آثار القاتل تدل على حركة رجل يعرف المكان .. ولم يذهب فريج في الآونة الأخيرة للفيلا للمشاكل التي بينه وبين عمه ولتنفيذ الجريمة المدبر لها بإتقان ، فلما تعين يوم الاجتماع نفذ فريج الدور المطلوب منه وهو تسهيل مهمة القاتل .. والشريك سوف نصل إليه قريبا فهو تحت المطاردة .. والراجح أنه شاهر البراعمي وهو مختف من قبل مصرع فريج بأيام .. وهو من أهم أصدقائه على موائد القمار.. سيدة ماريا ما الذي دفعك لاتهام السيد فريج ؟

قالت : هل يعني هذا أنك لا تشك بي ولا تتهمني بمقتله ؟

فقال المقدم باسما : نحن لم نتهم أحدا بعد .. نحن ليس لدينا دليل ملموس على القاتل .. إنما

هي تخيلات تصورات من المعلومات المتوفرة بين أيدينا .. دائما المستفيد الأول من جريمة القتل هو موضع اشتباه ..والمستفيد بعد التمحيص في هذه الجريمة إن ثبت أن الهدف هو المال هو السيد فريج وزوجته وثبت لدينا أن زوجته منذ غادرت البلاد لم تعد .. ويظهر أن فريجا هذا لم يكن يعرف باختفاء ثروة عمه قبل قتله وإلا غير رأيه وخططه ، المهم أنه قام بالجريمة بالاتفاق مع قاتل محترف أو شخص محترف بالرماية كالسيد شاهر .. ثم تنازعا فقام الشريك بالتخلص من فريج لتضليل العدالة وحماية شخصه أو الانتقام من فريج الذي خذله ولم يدفع له أجره إذا كان قد طمعه بميراث عمه .. أعندك دليل على ضلوع السيد فريج بالجريمة ؟

قالت : دليل مادي .. فأنا لم أشاهده يقتل ؛ ولكني سمعت فريجا يهدد عمه بالقتل إن لم يكف عن المطالبة بالقرض .. وذلك كان في بيتي قبل طلاقي من السيد المدير .. جاءني فريج بحكم القرابة التي تربطنا وطلب مني مالا سلفة .. فهو مقامر خاسر دائما ، وبينما نحن نتحدث أتى السيد مرعي ، ولما علم بغرض فريج من هذه الزيارة زجره وشتمه ورغبه ببيع البيت الكبير الذي ورثه عن أبيه لسداد ديونه بدلا من التسول ، واحتد النقاش بينهم وارتفع الصياح فغضب فريج وهدد وتوعد عمه بالقتل ؛ ولكننا لمعرفتنا بضعف شخصية فريج لم نحمل كلامه على محمل الجد ونسينا الأمر ؛ ولكن لما قتل مرعي احترت هل اتهم فريجا أمام الشرطة ؟ ولكنّ فريجا كان مع الحاضرين الاجتماع ، والمشاجرة التي حدثت عندي لم يسمعها إلا أنا فلزمت الصمت ، هذا ما أعرفه .. وليس كل شخص يهدد شخصا بالموت لابد أن يقتله .



٦

رجع المقدم عزيز لمكتبه المؤقت بدائرة الأمن الكبرى ، وأخذ يقلب بالأوراق والمعلومات التي جمعها من الأشخاص الذين شاهدوا الجريمة الأولى والثانية ، وكان قد أحضر له ملف سيرة ذاتية عن السيد شاهر البراعمي أثناء خدمته في الجيش ، فلما قرآه بإمعان ودقة قال لصاحبيه : هو ضالتنا المنشودة ، فحل الألغاز كلها عنده ، والأدلة اعترافه الذي لابد منه .

قال حردان بعدما تحدثوا حول الجريمتين : ليلة مصرع السيد مرعي كان شاهر في المستشفى .. فهو يعاني من آلام في الكبد ، وسببها إدمانه الكحول ، وعنده أمراض أخرى .. وهو يسكن في شقة وحيدا ، لم يتزوج لليوم مع أنه زاد عن الخمسين ومخالطته لأهله قليلة .. وبالفعل قد ورث ثروة كبيرة عن أبيه نمر البراعمي الذي أدخله الجيش ضابطا ، وبعد عشر سنوات من الخدمة استقال على أثر وفاة أبيه ، وأهمل أعمال أبيه ، ثم تخلص منها وباعها ، وبعد سنوات ماتت أمه ، فلم تعد له علاقة بالأقارب ،ولم يختلط بهم ، فهو يقضي وقته بين الخمارات والمقاهي ، وقد تعرف على فريج من سنوات يسيرة في خمارة، فجرفه فريج إلى نوادي القمار ، هذه المعلومة عرفناها من عماد زكي ، وقد تأكدنا منها .. وبيته تحت المراقبة والمثير أنه ترك المستشفى يوم مقتل فريج .. لقد صرفه الطبيب صباحا بناء على رغبته وقال لهم إنه مسافر إلى فرنسا ، ثم عاد في صباح اليوم التالي وهو في وضع صحي صعب كما قال الدكتور المعالج ، وأمضى ثلاثة أيام أخرى ثم غادر المستشفى بعد ذلك .

قال عزيز : لم يسافر إلى باريس ؟

رد حردان : لم يغادر البلد عن طريق المطار شخص يحمل الاسم شاهر نمر البراعمي من قبل تاريخ مقتل فريج بأسبوع إلى اليوم هذا إلا شخصا واحدا اسمه الأول شاهر فقط .

قال عزيز : هذا الرجل يجب أن نقبض عليه فورا .. فالأدلة تشير أن له يدا في الجريمتين .. فهو ذو أخلاق سيئة في وحدته العسكرية ، وهو ممن يجيدون الرماية بالمسدس ، وكان قد رشح مرة لحماية الشخصيات الهامة ، ولولا سوء سلوكه لسمح له بذلك العمل ، فتصوري للجريمة

هكذا ..فريج بعد مشاجراته المتكررة مع عمه ، وفي كل مكان يلتقيان فيه يتنازعان ، فكر بقتله وقد يكون تحدث بهمومه أمام البراعمي أو عنده معلومات عن شاهر، فرتب معه صفقة .. وصفة قتل السيد مرعي .. ذهب فريج ليلة الجريمة إما وحده وإما معه القاتل حيث الفيلا ، طبعا وصل قبل الموعد دخل من الباب الخلفي للفيلا فهو معه مفتاح له قد وجدناه ضمن مفاتيحه ، وهو لم ينكر ملكيته للمفتاح كما في التحقيق الأول معه ، فهو بصفته مساعد عمه يدخل ويخرج كما يشاء ..وقد يكون الباب مفتوحا أصلا لدخول البستاني أو خروج الخدم منه دخل الفيلا واستقبله الخادم وكان عمه في المكتب يستعد للاجتماع ، فلم يتقابلا فجلس بالصالة ، وتركه الخادم وعاد لمطبخه أو غرفته فتسلل فريج حيث قاعة الاجتماع ففتح الغطاء الخشبي بواسطة السحاب وضغط زر النافذة الزجاجي أو شقها والستائر السميكة تخفي ما فعل وعاد لمكان الجلوس ، ثم تظاهر للخادم بأنه نسي صندوق التبغ وخرج من باب الفيلا الخلفي وتركه مغلقا من غير مفتاح ، ودار بالسيارة حول القصر ثم جاء من الباب الرئيسي كباقي الشباب وجاء متأخرا عشر دقائق حتى لا يثير الشبهة حوله لو جاء أولا لربما شكوا بأنه سبقهم وفتح النافذة .. فجاء القاتل في الموعد المتفق عليه بينهما ، وهو كما قلنا يعرف طريقه جيدا ، وصعد المقعد القديم الذي يستعمله البستاني ، وأزاح الستائر شيئا فشيئا وأطلق الرصاص على الهدف وهرب سريعا .

فقال زايد : قلنا هذا حل لغز فتح النافذة .. ولكن كيف عرف السيد مرعيا من بين هؤلاء الرجال ألا يحتمل أن يخطئ فتصيب رصاصته رجلا آخر ؟

رد عزيز : هذا أيضا لغز مهم .. ولكن الأمر رتب له ، السيد فريج يجلس على يمين السيد مرعي فيكون مرعي على يساره ، فلابد أن فريجا كان حريصا على هذه الجلسة والذي فهمته من كلام مازن وغيره أن فريجا دائما يجلس على يمين عمه ليتناول أي ورقة أو ملف من الزملاء ويضعه بين يدي عمه .. وهناك علامة أخرى كما علمت من بعض الحاضرين السيد فريج يلبس جاكيتا سوداء فعندما دخل القاعة متأخرا متظاهرا بالحرارة من الجو والعجلة فخلع

الجاكيت فظهر قميصه الأبيض ، وقبل نهاية الاجتماع كان يحرك يديه يمينا ويسارا بضع مرات متظاهرا بالإرهاق ، وكان القوم يستعدون للانصراف ينتظرون دقات الساعة نصف الليل ؛ ولكن الرصاصات انطلقت قبل دقات الساعة ، فهكذا عرف المجرم هدفه وهو لا يبعد عنه سوى ثلاثة أمتار ..هذا ما تذكره السيد خالد نصري وعماد زكي عن لباس فريج وحركاته ، وارتبك القوم من المفاجأة ، وانصرف القاتل بكل هدوء ، وأنا لا أرى أن فريجا هو الذي رتب هذه الخطوات ، فهو من مجمل كلامهم ليس بالذكي الفطن ، فلابد أن شريكه هو الذي رسم له كل هذا الرسم ، فاعتراف هذا الشريك هو الفيصل في هذه القضية .. اتصل يا زايد بالسيدة سارة وأنت يا نقيب حردان ابحث عنه في المستشفيات قد يكون غير المستشفى فهو رجل مريض فهو مفتاح هذه الجرائم .

خرج حردان لينفذ تعليمات عزيز ، واتصل زايد بالسيدة سارة ولما أصبحت على الخط قال لها إن المقدم عزيز يريد أن يتكلم معها .

ودفع السماعة للمقدم عزيز الذي ألقى عليها تحية المساء مع الاعتذار الشديد لهذا الاتصال الليلي فقال : سيدة سارة مع أسفي الشديد لهذا الإزعاج .. ليلة مقتل السيد فريج ذكرت أنه تحدث بالهاتف .. ألم تسمعي شيئا ؟ .. هل هو الذي اتصل أم رن جرس الهاتف فرد عليه ؟ تذكري جيدا يا سيدتي الفاضلة .

قالت : الحق يا سيدي أنني لم أسمع صوت جرس .. فعندما خرجت من غرفة الأولاد لمحته يضع السماعة ، قد يكون تكلم أو لم يتكلم ؛ ربما كان يعبث ولكن وضعه يؤكد أنه كان يتكلم وأنهى المكالمة لما شعر بخروجي من غرفة الأولاد وادعى أنه يكلم أمه .

ـ شكرا سيدتي سؤال أخير؟ .. لماذا تركتم البيت بيت أم فريج ؟ .. أرجوك صارحيني بالإجابة نحن على وشك القبض على القاتل الحقيقي .. قاتل زوجك !

فردت : آسفة يا سيدي الضابط .. ليتك توجه هذا السؤال لزوجة عمي أم فريج .. هي التي طردتنا .

فقال : وصل الجواب يا سيدتي شكرا لك ووضع سماعة الهاتف وقال : إنها تشك بأن زوجها قتل عمه والأم تشك بذلك .. فزر يا زايد هذه الأم وتحدث معها غدا .

وبينما هما يتحدثان أقبل حردان متهلل الوجه قائلا : لقد صدق حدسك يا سيدي العزيز فلقد قام رجالنا بالاتصال بعد كبير من المستشفيات في آن واحد فذكر لنا موظف الاستقبال في مستشفى النهضة أن لديهم نزيلا بهذا الاسم ، والمستشفى مستشفى خصوصي وكبير ويقع في ضاحية الأصدقاء الخضر .

فقام عزيز وهو يقول: عجلوا بالذهاب إلى هناك قبل أن يشعر بكم هذا اللعين .. "ألم يقل فريج قتلني المجرم قتلني اللعين ؟!" إنه يعرف قاتله .. فريج لم يدفع له ؛ لأنه لم يرث شيئا، فخاف الرجل فقتله ليضلل العدالة وأيضا لينتقم لنفسه .. أسرعوا أرجو أن يكون الساعة أمامي .. فسوف يتحدث معه موظف الاستقبال عن حسن نية أن أحدهم اتصل يسأل عنك أو يقول له الشرطة تسأل عنك فسيدرك أننا وصلنا إليه .



٧

بعد ساعتين كان وزير الداخلية يتلقى مكالمة مهمة من مدير الأمن العام يعلمه فيه بإلقاء القبض على القاتل في جريمتي مقتل السيد المدير مرعي والسيد فريج ، فاتصل الوزير بدوره عن طريق سكرتيره بعدد من كبار الصحافيين يعلمهم برغبته بعقد مؤتمر صحفي لكشف ملابسات مقتل مدير مصرع الرعاية وابن أخيه في العاشرة صباحا في قاعة المؤتمرات الصحفية في مبنى وزارة الداخلية .

ذهب رجال الشرطة مسرعين إلى مستشفى النهضة للقبض على السيد شاهر نمر ، فلم يجدوه في غرفته فقد غادر سريره ، واعترف لهم موظف الاستعلامات أنه تكلم معه عن طريق الهاتف وسأله عن سبب سؤال الشرطة عنه ، فتظاهر أنه لا يدري وقطع المكالمة .. وشاهدته إحدى الممرضات العاملة وهو يغادر غرفته متسللا فأخبرت أمن المستشفى فورا ، فأدركوه قبل أن يقفز عن سور المستشفى وقبضوا عليه ، وهم يعتقدون أنه يحاول الفرار للتهرب من دفع الأجرة المستحقة عليه ، فاتصلوا بالمسؤول في المستشفى فقال : احجزوه حتى أحضر .

وقد حاول إغراء ورشوة الموظفين ورجال أمن المستشفى ليدعوه ، ولكنهم لم يفلتوه ، وبينما هم يتحاورون معه أتى مدير المستشفى ، وكان رجال الشرطة قد أتوا لغرفته فلم يجدوه ، فأخبرتهم الممرضة التي لمحته وتعمل في ذلك الجناح بأنه حاول الهرب ، وقد أمسك به رجال أمن المستشفى ، وبعد دقائق معدودة كان رجال البوليس يستلمونه من المدير ، وبعد حديث يسير مع المقدم عزيز أدرك أن الشرطة تعرف عنه كل شيء فاستسلم قائلا : سأعترف لكم .. بدأ تفكيري بالقتل .. من كثرة شكوى فريج من عمه .. وضغطه عليه لتسديد ديونه وإلحاحه عليه باستمرار ببيع بيت العائلة وأخذ نصيبه من الميراث لتسديد ديون البنك .. فكثر شجاره مع والدته من أجل ذلك ، وذات مرة بعد خسارتنا مبلغا كبيرا على مائدة القمار جلسنا نتحسر فقال فريج : آه .. لو يموت عمي مرعي قد أورث عنه بضعة ملايين .. إنه يملك ثروة هائلة في بنوك أوروبا !

فسألته : وكيف سترثه وهو عمك ..وأغلب الميراث يذهب للأبناء؟ فأخذ بالحديث عن عقم عمه ، فلما انتهى من الحديث عن عمه همست بأذنه قائلا: نحن نعجل بموته .

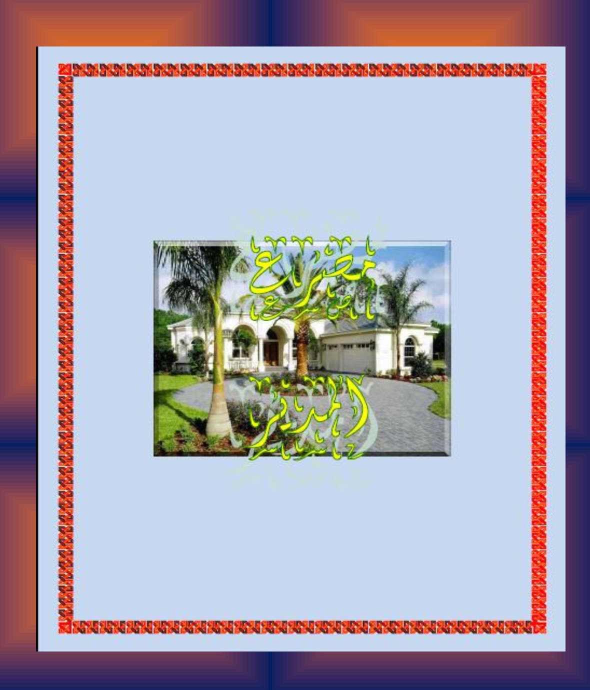
فبعد صمت ممل قال: وكيف ؟؟ .. فقد أخذت موافقته على اغتيال عمه مرعي .. والسبب الخمر والقمار هما أساس الإجرام .. المهم أننا أخذنا نخطط للقضاء على المدير المليونير ليرث فريج هذه الملايين ويعطيني نصيبي منها .. وأي نصيب ؟! .. فرسمت له الخطة بعد أن عرفت معلومات عن عمه .. ونفذ فريج ما طلبته منه بالتفصيل .. زرت القصر أكثر من مرة لمعرفة المكان .. وتم تنفيذ عملية القتل كما خطط .. أنا مريض دخلت المستشفى ، فريج داخل القاعة كغيره من الموجودين لم يطلق الرصاص .. القاتل من الخارج .. القضية ضد مجهول.. وهذا ما حصل فعلا ؛ ولكن بعد الجريمة ظهر لنا أن السيد مرعيا قد أخفى أمواله وأموال البنك المدخرة في أوروبا ؛ ولكن فريجا يعتقد أن عمه قد خسرها في أندية قمار أوروبا ، المهم خرجنا من الجريمة من غير شيء ديون فريج ما زالت باقية ، نصف الميراث الذي وعدني به تبخر في الهواء ، الشرطة تشك فيه ، الأسرة تتهمه بالغدر في عمه حتى أن أمه قد طردته من البيت ، فأصبح يشكل عليّ خطرا فرسمت خطة للقضاء عليه .. اسودت حياتنا بعد موت عمه ، وكان كثيرا ما يبكي بين يدي ويظهر ندمه ، فخشيت على نفسي ، وسولت لي نفسي بالخلاص منه لحماية نفسي .. فتعرفت على العمارة التي سكن فيها ، وكذلك الطابق الذي ينزل فيه ، والشقة التي يحيا فيها ، وأخذت أتحين الفرصة لاقتناصه وإزاحة كابوس الخوف منه على روحي المجرمة إلى أن كان ذات ليلة اتصل بي وحدثني عن ضيقه فقلت إني قادم إليك فلا تحدث زوجتك بشيء قد لا أحضر .. فريج من الناس الذين لا يتكلمون أمام زوجاتهم بشيء عن أصدقائهم .. وكانت الأمور في العائلة متوترة وسيئة كما كان يقول لي .. بعد منتصف الليل ذهبت إليه بسيارتي وركنتها في مكان بعيد عن العمارة ثم تسللت خفية، وفتحت الباب الخلفي للعمارة بهدوء مظهرا أنني لا أريد إزعاج البواب إن لم يكن يغط في سباته، وصعدت بخفة الفهد إلى شقته .. ولما فتح الباب كان يقول : " شاهر إنني متعب لا أريد الخروج " وما

كاد ينطقها حتى واجهته بطلقة في جبهته واثنتان في صدره من مسدس قد وضعت عليه كاتما للصوت وهبطت سريعا وقد تناثرت عليّ بعض الدماء ، ولما وصلت الشارع سمعت صراخا عاليا ؛ ولكنني كنت قد ابتعدت وركبت سيارتي إلى بيتي ، وكنت في صباح يوم ارتكابي لجريمة مقتل صاحبي قد غادرت المستشفى مدعيا أنني أريد السفر لباريس للعلاج .. فلما حدثت الجريمة رجعت للمستشفى ثانية مدعيا بأنني أصبت بنكسة جديدة ، ولا أستطيع السفر فعدت إلى نفس الغرفة والسرير، ومن لا يدقق في الأمر لا يظن أنني قد خرجت ، وكنت أتابع مجريات التحقيق عن طريق الصحف .. لقد قتلت أول مرة من أجل المال والثروة ومن أجل القمار والخمر ، وقتلت في الثانية لحماية نفسي وخوفا من ضعف صاحبي ..ولكن ما يدهشني كيف عرفتم أنني القاتل .. أنني المجرم ؟

قال المقدم: أنت كشفت نفسك بنفسك ، نحن تيقنّا منذ البداية أن لفريج يدا في مقتل عمه ، ولكن من هو شريكه ؟ والحق أنه حدثت ملابسات أبعدتنا من الوصول إليك عاجلا ، وقد يكون اختفائك عن الملهى هو الذي وضعك في الشبهة ، فأنت المنفذ والمدبر ، والعدالة لا يمكن الهرب منها وإن طال الزمن فإن هرب الإنسان من عدالة أهل الأرض فهناك عدالة رب السموات والأرض التي لا مفر منها .. المهم كنا مقتنعين أن فريجا له شريك ، وهذا الشريك لابد أن يكون محترف في الرماية ولديه قوة قلب ، وأنت كنت محترفا فملفك العسكري واختفائك عن مسرح الأحداث بعد مقتل فريج ساعدا في الوصول إليك .

وشكر مدير الشرطة العام الضباط الثلاثة على جهودهم الكبيرة ومحاصرتهم للمجرم ، وفي الصباح كان وزير الداخلية يتحدث أمام الصحفيين عن إنجازات رجال الشرطة وكفاءتهم ونشاطهم .

وكان المقدم عزيز يحمل حقيبته السوداء الصغيرة ، ويركب سيارته منطلقا بها إلى الدائرة التي يعمل فيها في محافظة أخرى حيث كان يدير شؤون الأمن فيها .. فالمقدم عزيز لا ينتظر حتى يأتي المشتبه بهم إلى مكتبه ؛ بل مكتبه متحرك هو يمشي إليهم .. فهذه إحدى الجرائم التي ساعد في الكشف عنها المقدم عزيز فإلى لقاء آخر في قصة بوليسية أخرى .



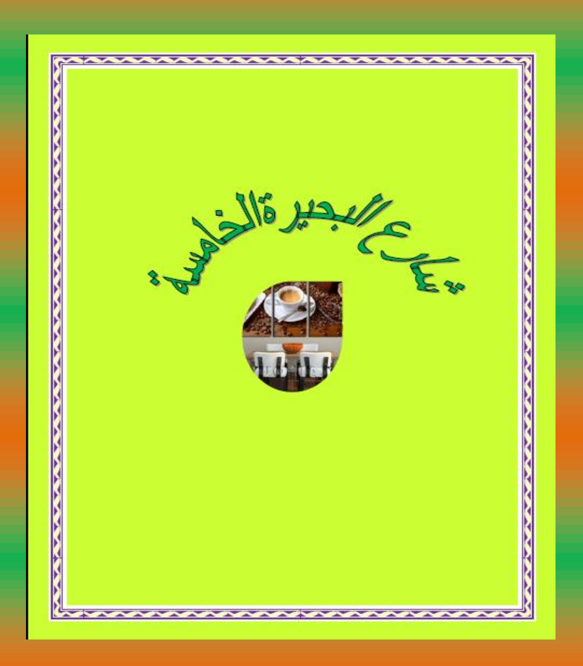


مصرع المدير

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١





شارع البحيرة الخامسة

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

المكتبة الخاصة

جمال شاهين

شارع البحيرة الخامسة

النشر الاول ٢٠٠٠ / النشر الثاني ٢٠١٨

الاخير الثالث ٢٠٢١






٤


التحقيق الجنائي والجريمة

تأسس المركز لإثراء النشاط العلمي

لما رجع الدكتور اسعد من رحلته الاخيرة قتل

احتار البوليس في دوافع الاغتيال

لا يوجد دافع واضح

تحركت الاحداث فكشفت عن دافع عميق

فصرع على أثرها سكرتير المركز

القاتل تدثر بثياب العلماء

وقع القاتل في النهاية

هذه قصة مركز الابحاث الصناعية

بقلم

جمال شاهين



الفصل الأول

شارع البحيرة الخامسة من الشوارع الطويلة في قلب المدينة الكبيرة ، في منتصف هذا الشارع المكتظ بالعمارات الشاهقة البنيان ، وفي عمارة تتكون من عشرة طوابق ، وفي الطابق الثاني منها يوجد المركز العلمي الذي يديره الدكتور جميل عازلي.

وهذا المركز مركز علمي مهم ومعروف في طول البلاد وعرضها ، وخصوصا لطلبة العلوم والفيزياء والصناعة، فهو مركز يهتم بالاختراعات والصناعات المهمة، فأي باحث أو مخترع لديه اختراع أو بحث علمي مفيد ، يمكنه التعاون مع هذا المركز لنشر بحثه أو تصميم اختراعه ، فيتقدم صاحب الاختراع أو البحث إلى مدير المركز الدكتور جميل أسعد عازلي ببحثه ، فيطلع عليه الرجل هو وفريق العمل المتعاون معه ، وبعد الدراسة يتعاونون مع المخترع أو الباحث لتنفيذ الاختراع وعرضه على الشركات الصناعية المهتمة ، وبمعنى آخر المركز همزة وصل بين الباحث وشركات الإنتاج والصناعة أو مراكز علمية خارجية ، فالدكتور جميل هو مدير "مركز الأبحاث العلمية والصناعية". فالطابق الثاني في عمارة الطيارة العربية ، بل قل نصفه يشغله المركز الآنف الذكر ، وهذا المركز مربوط بمراكز بحث أوروبية وأمريكية تقوم على تمويله ، فهو وسيط بين شباب هذا البلد وبلاد الدول الصناعية الكبرى العالمية.

أما الدكتور جميل فهو رجل في الخمسينيات من العمر ذكي ونشيط ، أرسله والده أسعد للدراسة في مقتبل العمر في بريطانيا ، فتخصص في الفيزياء العامة ، ولما عاد للبلد التحق للعمل في أكبر الجامعات ، قضى عشر سنوات فيها ، ثم عاد لبريطانيا لنيل شهادة الدكتوراه في نفس تخصصه ، ولما حصل عليها وعمل فترة في لندن عاد للقطر ، وأنشأ هذا المركز الذي عرفناه سابقا ، فهو يديره ، ويتعاون مع جامعات ومراكز علمية أجنبية ، فهو يقوم بالاستفادة من مواهب الطلاب والباحثين في البلاد وتحويل أحلامهم أو أفكارهم لتطبيقات عملية ، إذا وجد البحث قبولا ، فيقوم المركز بشراء البحث من صاحبه أو يتشاركون في تطبيقه ، وهو

رجل معروف في الوسط العلمي والثقافي وعلى مستوى الحكومات والصحافة، ولكن ما حدث مساء يوم الاثنين في العاشر من إبريل سنة ١٩٩٥ أثار دهشة الناس والصحف والمفكرين، وما هو الذي جرى مساء يوم الاثنين ؟؟!

جميل عازلي بحكم عمله في إدارة مركز الأبحاث العلمية والصناعية، فقد كان كثير السفر والسياحة ، وذلك الصباح كان السكرتير الدكتور فرج حسيب تامر يدخل العمارة مسرعا ، وصعد للطابق الثاني حيث المركز، وألقى التحية على الفراش "أبي سالم" وهو يقول : هل وصل أحد من الموظفين ؟

وكان أبو سالم الفراش قد انتهى من تنظيف المكاتب ، فنظر إلى ساعته قبل الرد وقال : لم تبلغ التاسعة يا سيدي! ظل عشر دقائق .

وكان الدكتور فرج يتقدم نحو مكتبه والفراش يتبعه ، فلما جلس على كرسيه خلف المكتب قال : فعلا ! .. لقد جئت مبكرا .. إذن هات لي فنجان قهوة .. وعندما يصل الدكتور المحامي وليد بكرز أخبرني بذلك .. أو أدخله عليّ فورا..

وغادر الفراش المكتب ، وأخذ السكرتير فرج يقلب في الملفات والأوراق التي أمامه ، ويضع بعضها في حقيبة سوداء أمامه ، وبينما هو منهمك في أوراقه دخل عليه الدكتور المحامي وليد ، فقام يرحب به ويصافحه ثم عاد لمقعده ـ وهو يشير للمحامي بالجلوس ـ فقال المحامي وهو يجلس : هل من وقت للجلوس ؟؟.. فالطائرة سوف تصل قبل العاشرة كما علمت من استعلامات المطار.

ـ اجلس .. نشرب القهوة ، ثم ننطلق.

وضغط على جرس الفراش ، وطلب منه فنجانا آخر للدكتور وليد بكرز.

الدكتور فرج حسيب قصير القامة بعكس الدكتور جميل فهو طويل القامة إلى حد ما، ولكنه ليس بالقصير البشع ، ممتلئ الجسم ؛ ولكنه كثير الحركة وخفيفها ، وهو يعمل في المركز ، وبرفقة الدكتور بعد أن فتح المركز بخمس سنوات ، التقيا في سهرة فاتنة من سهرات الدكتور

جميل ، وبعد عدة لقاءات قبل الدكتور جميل عمل الدكتور فرج سكرتيرا له وللمركز ، وأثبت فرج نشاطا متميزا ، فتمسك به الدكتور جميل ، وكان يعتمد عليه اعتمادا كليا أثناء رحلاته الخارجية في إدارة المركز ، فلقد كان السيد جميل يمكث الشهر والشهرين في أوروبا ، فيقوم السكرتير بالأعمال الموكلة إليه خير قيام ، وأما السيد المحامي وليد بكرز ، فهو يعمل من خمس سنوات محاميا للمركز فقط ، فله مكتبه الخاص ، ولكن قضايا المركز القانونية والعقود هو الذي يقوم بها نيابة عن المركز العلمي ، وكانا قد تلقيا أمس مساء فاكسا من الدكتور جميل يخبرهما بأنه قادم في طائرة الخطوط الإيطالية من روما لبلده صباح الاثنين العاشر من إبريل، ويرغب برؤيتهما في المطار، فالدكتور جميل رجل عملي لا يحب الإجازات ، وقبل خروج الرجلين للمطار كان موظفو المركز قد استلموا أعمالهم ، فهناك سكرتيرة للدكتور فرج وهي الآنسة "ريما حسان"، وهناك محاسبان لمتابعة دفاتر المحاسبة وأموال المركز ، وهناك موظفو قسم الكمبيوتر والطباعة والمراسلات ، وهناك سائق المركز ، وهناك أيضا السائق الخاص بالدكتور جميل ، والفراش الذي مر ذكره قبل قليل ، فبعد أن مر الدكتور فرج على مكاتب الموظفين وأعلمهم بعودة المدير، أشار للسائق عماد سامح الربيع بأخذهم للمطار ، فهبطوا حيث تقف السيارة في انتظارهم أمام مدخل العمارة ، فلما ركبوا انطلق بهم مسرعا حيث يوجد المطار الدولي لاستقبال الدكتور القادم من روما بعد عشرة أيام غياب ، فقد سافر للندن ومنها لباريس ، ومن ثم روما لحضور بعض المؤتمرات العلمية هناك، وفي الموعد المحدد وصلت الطائرة الإيطالية التي كان على متنها مدير المركز ، ولما التقى جميل بأعوانه قاموا بالسلام على بعضهم والتهنئة بالسلامة ، ثم انطلق بهم السائق عماد نحو المركز في شارع البحيرة الخامسة ، وخلال رحلة العودة كان الدكتور فرج يقدم تقريره عن المركز خلال فترة الغياب ، ويقدم له بعض الأوراق ، وأخبره أن بعضهم تقدم ببحثين جديدين للمركز للنظر فيهما ، وهما من دكاترة الجامعات ، ولخص له موضوعهما الإجمالي ، ومدى أهميتهما ، ويبدي الدكتور إشاراته وملاحظاته ، ثم استمع لمشاكل المركز القانونية ثم قال : قضية الدكتور خالد

الضبرة ما آخر أخبارها ؟

فرد الدكتور المحامي وليد : جرت جلسة منذ يومين فقط ، فهو يتهمنا بالاحتيال والخديعة ، وأننا سرقنا بحثه وهربناه لخارج البلد للاستفادة منه دونه ، ومن أجل ذلك رفضنا التعاون معه ثم أجلت القضية لجلسة أخرى بعد شهر للنظر في أدلة الاتهام والادعاء.

فعلق جميل قائلا : الحق أن بحثه جميل!.. ولكنه يحتاج لدراسات أكثر للتأكد من صحة النتائج التي توصل إليها .. ثم إجراء المزيد من الأبحاث عليها..

ولما سكت المدير قال المحامي : لا تهتم يا سيدي ! سنخرج منها كما خرجنا من أعقد منها .. فهو يريد أن يصبح مليونيرا في يوم وليلة.

فعقب الدكتور جميل من جديد : ألم يكن من الأفضل له قبض خمسة آلاف دينار والابتعاد عن المحاكم ؟.!

ـ يعتبرها رشوة ..ولكنه يهددنا بالويل والموت إن اكتشف أننا خدعناه وبعنا بحثه لجهات أجنبية.

وعندئذ وصلوا لمدخل العمارة ، فنزلوا متوجهين للطابق الثاني حيث كان الموظفون العاملون في استقبال حضرة المدير والسلام عليه ، ذلك الرجل المديد القامة النحيف الحجم ذو الشعر الأشيب ، وكان الفراش أبو سالم قد هيأ مكتب الدكتور منذ الصباح ، وبعد جلوس قصير غادر المحامي المركز ، وهو يستمع للدكتور يدعوه إلى بيته مساء هذا اليوم للترحيب بضيف قادم من باريس وهو الدكتور "شارل برس" عالم في الأحياء المائية.

وبعد الظهر غادر الدكتور جميل عازلي المركز العلمي برفقة سائقه الخاص عماد أحمد متوجها إلى منزله الجميل في الضاحية الجميلة "حي الشجرة" ، وهو من الأحياء الحديثة في العاصمة الكبيرة حيث تنتشر فيه القصور والفيلات المبنية على الطراز الأوروبي الحديث ، وفي شارع النهر العظيم وأمام فيلا فخمة توقف السائق عماد، وهبط مسرعا ليفتح باب السيارة لولي نعمته ومخدومه الدكتور المشهور الذائع الصيت جميل عازلي ، وقبل أن يدخل الدكتور من

باب الفيلا الرئيسي قال عماد: هل أعود في المساء يا سيدي ؟

فكر الدكتور قليلا وقال : لا داعي .. شكرا لك عد في الصباح.

ودخل الدكتور الباب ، وركب عماد السيارة منطلقا إلى بيته ، ولقد كان في استقبال الدكتور على مدخل الفيلا نفسها من الداخل الخادم الخاص به " صدقي عمران " ، وخادمة الفيلا "سعدى عبد القادر" ، وبعد أن صافحهما ورحبا به أحر ترحيب قال : أين أبي ؟ وكيف حاله اليوم ؟

رد صدقي وقد اجتازوا الباب الجميل للفيلا وأصبحوا في داخلها : إنه في حجرته .. وهو يعاني من وعكة صحية ، ولقد زاره الطبيب صباح اليوم.

فقال الدكتور: سعدى ! اعدي لي الطعام ، وأنت يا صدقي أخبر أبى بقدومي .. سوف أدخل مكتبي بضع دقائق..

يحسن بي أن أصف لكم فيلا الدكتور جميل ، فبعدما يدخل المرء من الباب الحديدي المطل على الشارع والرصيف يمشي عدة أمتار في ممر محاط ببعض الأشجار الباسقة من الطرفين ، وبينهما أشجار قصيرة من الورود الجميلة ذات الروائح العطرية والألوان الخلابة ، وقبل الوصول لسلم الفيلا هناك ممر يقود المرء إلى حديقة واسعة تحيط بالفيلا ، وهذا الممر وغيره من الممرات بين أشجار الفيلا الملتفة حولها مرصوف بالأحجار الملونة ، وإذا سرنا في الحديقة نرى أحواض الأزهار والورود ، وفي نهاية الحديقة نافورة ماء ذات بهجة ورونق ومحاطة بأسود تخرج من أفواهها المياه ، وقريب منها عريش ذات قبة حمراء داخلها منضدة كبيرة حولها مقاعد وآرائك وثيرة ، وبعدما يصعد المرء الدرج أو السلم الذي أبدع الصانع في تركيبه حتى أصبح شكلا جميلا ، فبعد صعود الدرجات السبع يواجه المرء باب ضخم أمامه ساحة صغيرة ، وهذا الباب الضخم المزخرف بأيدي فنانين مهرة في داخله باب أصغر وهو المستخدم للدخول والخروج ، فعلى هذا الباب الكبير رسومات لبعض الجوارح من الطيور ، يخالها المرء طيورا حقيقية من إبداع النحات والرسام الذي رسمها ، ويمكن فتح الباب كله أو جزء منه ، وبعد

الدخول من هذا الباب التحفة تواجه الداخل صالة كبيرة في وسطها بضع موائد وحولها مقاعد على شكل نصف دائرة بيضوية ، وعلى يمين الداخل باب يؤدي إلى مكتب الدكتور جميل وهو مزخرف ومكون بشكل مثير ، وبعد المكتب درج يصعد بالمرء إلى الطابق الثاني من الفيلا ، وبعد الدرج حمام واسع ، وغرفة خاصة بملابس الزوار ، وفي الطابق الثاني غرفة نوم الدكتور، وغرفة نوم والده أسعد المعلم المتقاعد منذ سنوات ، وغرفة الدكتور فيها مكتب صغير خاص بالدكتور ، وهناك مرافق حمامات خاصة بالدكتور وحده ، وهناك غرفة المكتبة ثم المطبخ والحمامات الأخرى ، وغرفة تنام فيها الخادمة، أما الخادم فهو ينام في مكان داخل المكتبة كان في الأصل مخزن ، وهناك مخرج آخر للفيلا من الخلف حيث كوخ أغراض الفلاحة من أدوات وأدوية وبذور وبئر الماء وموقف لسيارة الدكتور الخاصة ينفذ على الشارع الآخر ، هذا وصف عام للمكان فعندما يصير المرء في الطابق الثاني على يمنيه غرفة المكتبة ومقابلها غرفة نوم الدكتور وبجوارها غرفة نوم الأب ثم الحمامات ثم المطبخ في جهة المكتبة وحجرة الخادمة ثم السلم الصغير الذي يؤدي للحديقة من الخلف ، هذا هو المكان الذي حدثت فيه الجريمة المعقدة مساء يوم الاثنين العاشر من إبريل عام ١٩٩٥، وهو نفس اليوم الذي وصل فيه من روما كما قصصنا من لحظات ، كيف كان ذلك فهذا ما ستوضحه السطور القادمة ؟

في الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين وقفت سيارة صغيرة فخمة أمام فيلا الدكتور جميل عازلي ، ونزلت منها الطبيبة فريدة حسن حمدان وبصحبتها زوجها الدكتور خضر جبر الصابر فاستقبلهما خادم الدكتور أولا ، ثم أقبل جميل مرحبا ، وتصافح الأصدقاء ، وقادهم الدكتور حيث العريش عند النافورة في طرف الحديقة ، وجرت بينهم المجاملات التقليدية، ولما استقروا على مقاعدهم في العريش ذات القبة الحمراء والمزدانة بالأزهار والورود عادت الطبيبة تقول: الحمد لله على سلامتك يا دكتور .. كيف صحتك اليوم ؟ لقد أخبرني سكرتيرك العتيد بأنك سوف تقوم ببعض الفحوص الطبية في لندن.

فضحك الدكتور خضر وقال : هل يعني هذا أن "الدكتور جميل " بدأ يستغني عن خدماتك

يا حضرة الدكتورة ؟

فضحكت الدكتورة لتلميح زوجها الماكر وقالت :لا أظن ذلك.

وجاراهم جميل في الضحك وقال : أنا أثق بصديقتنا فريدة ، ولن أتخلى عن خدماتها .. فأهلا وسهلا بكم ، والحقيقة أني أسر برؤيتكم فمرحبا بكم .. ويشرفني أنكم قبلتم دعوتي للعشاء الليلة .. فهناك ضيف آت من فرنسا .. سيذهب الدكتور فرج لاستقباله ويأتي به إلى هنا .. إن طائرة باريس تأتي بعد السادسة مساء كما علمت من استعلامات المطار .. فالدكتور فرج له معرفة سابقة بالدكتور العالم شارل برس .. لقد التقينا بباريس ، وأخبرني أنه آت قطرنا ، فدعوته لزيارتي في أول ساعات وصوله ، فرحب بذلك ، وأخبرته أن سكرتيري الخاص سيكون في انتظاره في صالة الاستقبال.

وتحدثوا في مواضيع متفرقة في الطب والأمراض ، وبينما هم مندمجون في الحديث أتى المحامي وليد بكرز ، فاقترب منهم وألقى عليهم تحية المساء وجلس ، وعاد الجميع للثرثرة ، وقد قدم لهم الخادم صدقي أنواعا مختلفة من العصير والفواكه اللذيذة ، وقبل السادسة بدقائق وصل الدكتور فرج فرحبوا به ، وجلس يدخن ، فقالت له الطبيبة فريدة حسن : مالك مرهق يا دكتور فرج ؟! تلهث كأنك هابط علينا من القمر؟ أين دعابتك ؟ أم أنت متضايق من مشوار المطار ؟

ضحك الجميع على غمز الطبيبة بالدكتور ، وضحك فرج نفسه ورد على الطبيبة : لا شيء، ولكن قبل المجيء إليكم مررت على طبيبي الخاص الدكتور سلامة فوزي فأخبرني أن قلبي يحتاج إلى فحوصات وتخطيط قلب فأقلقني على صحتي..

فقال خضر : أكيد من السجاير الغريبة التي تدخلها صدرك!

فقال فرج : معك حق ..

ودار الحديث بينهم حول الدخان وأمراضه، وتعلق الناس به رغم اشتهار ضرره وخطره بين الناس ، فعقب المحامي الدكتور وليد بكرز : فكلنا يعرف خطر الدخان والتبغ ومع ذلك كلنا

ندخن.

فقال خضر : ولكن سجائرنا تختلف عن سجائر الدكتور فرج..

فقالت الطبيبة : كله دخان ، وكله مسبب للأسقام والقحة والرائحة السيئة..

فقال جميل : ائذنوا لي أيها السادة بالدخول لمكتبي قبل أن يحضر ضيفنا العزيز الدكتور العالم شارل .. وأنت يا دكتور فرج متى ستذهب لإحضار الضيف ؟

فقال فرج : عشر دقائق ثم أنطلق .. هات لي يا صدقي كوبا من الشاي .. هل يريد أحدكم الشاي ؟

فقال الدكتور المحامي : لا بأس يا صدقي نشرب الشاي بمعية صاحبنا فرج.

فقال الدكتور جميل وهو ينصرف : يا صدقي .. أحضر لهم الشاي وأحضر لي القهوة على مكتبي .. أعتذر أيها الأصدقاء.

فتمتم الجميع قائلين " خذ راحتك يا دكتور فالجلسة أمام هذه النافورة وبين هذه الأزهار وهبات البرد الناعمة رومانسية .. فهذا من النعيم الذي يتمتع به الإنسان في هذه الدنيا"

وتركهم جميل إلى مكتبه داخل الفيلا، أحضر لهم صدقي الشاي ، وعاد للفيلا، ولما شربه فرج نهض وهو يقول : استأذنكم للذهاب إلى المطار .. فالساعة السادسة والربع وعلمت أن الطائرة سوف تصل في السابعة إلا ربع.

فقال المحامي : هل تحب أن أرافقك يا دكتور فرج ؟

قال فرج وهو ينظر في وجوههم : لا .. ابق مع ضيوف الدكتور جميل.

فقال خضر : أنت تعبان يا دكتور فرج .. دعه يذهب معك ؟

فقال فرج : صحيح أني مرهق ؛ ولكني ما زلت قادرا على القيام بواجباتي.. شكرا لكم أيها الأصدقاء .. ساعة وأكون عندكم.

فقال وليد : على راحتك يا فرج .. تعود سالما إن شاء الله.

وغادرهم فرج ، وعاد الرجلان والمرأة للثرثرة حول الدخان وأمراض القلب من جديد،

وتغير حديثهم بعد ذلك عن الضيف القادم، وفجأة قالت فريدة: دكتور وليد! ..اتصل بي الدكتور خالد الضبرة .. وأطلعني على بعض مشكلته معكم.

ـ ماذا يريد منك ؟!

ـ كما تعلم، فهو يعلم أني الطبيبة الخاصة للدكتور جميل فيريد أن يوسطني بينكم.

ـ ولكنه يتهم الدكتور بسرقة بحثه!

فضحكت وقالت : وهل هذه غريبة على الدكتور جميل؟. !

فغـر المحامي فمه لحظات وقال : أوه !.. ماذا تقولين ؟!

فقالت وهي ضاحكة : مالك دهشت ؟! ..ففي أوساط العلماء معروف اعتداءات الدكتور على أبحاث الآخرين .. لا تخف هكذا ؟! .. ألم يطلب منك الدكتور أن تدفع مبلغا من المال للدكتور خالد ؟

فتعجب المحامي من جراءتها وقال : طلب ، ولكن خالد أفندي رفض ويريد مبلغا كبيرا أو المشاركة في تطبيق المشروع أي البحث.

فضحكت الدكتورة ورغبت في هز أعصاب المحامي وقال : أرأيت؟! فهذا يؤكد أن الدكتور استولى على أصول البحث وإلا لماذا يدفع ؟

ـ يدفع بدل التأخير الطويل في الرد على السيد خالد.

فعادت تقول : أظن أن السيد خالدا صادق في اتهامه.

فتمالك المحامي نفسه وقال : ولكن ما دليله ؟.. نحن لم نتفق مع أي جهة لتبني البحث والدكتور نفسه أكد لي أنه لم يستفد من البحث ولم يقدمه لأي جهة.

فقالت : على كل حال سوف أتحدث مع الدكتور جميل حول ذلك .. فالدكتور خالد صديقنا كما هو معروف لديكم ، وربما خلصناكم من تعب المحاكم.

ـ والله يا حضرة الدكتورة لو قدمنا البحث لمؤسسة علمية خارج البلد أو جرى شيء من ذلك لاتفقنا معه ، ولكن الدكتور يريد أن يدفع الخمسة آلاف دينار للتأخير الذي حصل منا ،

ودفعا لشوشرة وأقوال الصحف ، فأنتم تعرفون أن مركز الدكتور يقوم على السمعة والشهرة المتميزة والصدق.

فنطق خضر بعد صمت طويل فقال : ولكن يا دكتور وليد منذ سبع سنوات ـ كما أذكر ـ حدثت مشكلة شبيهة بذلك ، ثم تبين أن الدكتور قدم البحث لشركة عالمية خارجية ، واكتشف الأمر عندما ظهر الجهاز موضوع البحث في الأسواق ، وشركة أخرى كانت قد اشترت البحث من صاحبه اتهمت الشركة بسرقة البحث ، وأصبح صراع بين الشركتين وتبين أن سبب المشكلة الدكتور جميل ، فقد باع البحث من وراء صاحبه للشركة الأولى .. ومن سوء حظ الدكتور جميل أن صاحب البحث قدمه لشركة أخرى ، ولم يلقه على رف مكتبة أو جامعة فافتضح هذا المركز.

فقال المحامي ممتعضا مما سمع : أنا لم أكن أعمل يومها مع الدكتور جميل .. فعلى صاحبكم خالد أن يقدم بحثه لشركة ما ..أأنا أرضى بالاحتيال والنصب يا سادة؟! .. وذلك البحث المشار إليه لابد أن ظروف معينة حدثت.. فأخطأ

الدكتور جميل .. وقد يكون الخطأ من العاملين في المركز.

فقال خضر : قد يفعل الدكتور خالد ويقدمه لشركة أو مؤسسة علمية أخرى .. ونحن سنحاول التوسط للملمة الموضوع.

وبينما هم يتجادلون ، فتح شباك من طابق الفيلا الثاني ، فالتفوا إليه فإذا رأس صدقي الخادم يبرز منه قائلا : تلفون يا دكتورة فريدة ؟

فرفعت صوتها قائلة : ممن ؟

ـ من العيادة .. القاعة فيها هاتف.

فقامت وهي تقول : شكرا يا صدقي إنني آتية.

وغادرتهم الدكتورة إلى داخل الفيلا ، وكانت قد نظرت لساعتها فقالت لزوجها : السابعة إلا ثلث وأنا قد أخبرت الممرضة نهاد أنني الليلة استراحة.

وغابت بضع دقائق ، ثم عادت تقول بعدما سألها خضر " ما الأمر ؟ " : مريضة تريدني.. ومصرة على ذلك ، فاتصلت الممرضة في البيت فأعطوها رقم هذه الفيلا ، فاعتذرت لها لانشغالي وأعطيتها موعدا صباح الغد.

فقال الدكتور المحامي : سأدخل أتكلم تلفونا مع أمي بالإذن أيها الأصدقاء.

وسار إلى الفيلا ، وبعد انصرافه بقليل قال الدكتور خضر : هيا ندخل نجلس في الداخل بدأت أحس بنسمات برد تسري في بدني.

فقالت الدكتورة : وأنا كذلك هيا بنا.

وتمشيا نحو باب الفيلا ، ولما صعدا الدرج ـ كان وليد يفتح الباب خارجا إليهم ـ فالتقوا فقال : أين ذاهبون ؟

رد خضر : شعرنا بالبرد.. الجو بدأ يبرد مع الظلام .. فقلنا نجلس في صالون الفيلا.

دخلوا إلى الصالة الكبيرة ، وجلسوا على المقاعد الوثيرة ، وكان صدقي يرحب بهم من جديد ، وهو يقول : لابد أن البرد أثر عليكم .. هل أصنع لكم شيئا ؟

فقال وليد : هات ماء أيها الرجل المحترم.

ـ حاضر .. وحضرات الدكاترة ؟

قال خضر : أنا أشرب قهوة مرة يا سيد صدقي.

قالت فريدة : قهوة للجميع مع الماء يا محترم.

صعد صدقي للطابق الثاني حيث المطبخ ليحضر لهم المطلوب .. وبعد شربهم للقهوة والماء نظر وليد في ساعته وقال : الساعة تقترب من السابعة والنصف ، ولم يحضر فرج بعد !.. لقد تأخر.. وبرامج التلفزيون هذه الأيام مملة .. والدكتور جميل قابع في مكتبه.

فقال خضر : قد تكون الطائرة تأخرت كعادة مطارات العرب.

وقالت الدكتورة : سأقرع الباب على جميل مع معرفتي أنه يتضايق من ذلك .. أين صدقي منذ أن أحضر القهوة لم يتفقدنا ؟

ومشت حيث الدرج الذي يصعد للطابق الثاني ، وأخذت تنادي على الخادم صدقي ، فأقبل مسرعا وهو يقول: آسف أيها السادة .. آسف أيها السادة .. لقد انشغلت عنكم .. كنت مع والد الدكتور .. فهو متعب منذ أيام.. وقد زاره الطبيب مساء اليوم وأنتم تجلسون في الحديقة مع الدكتور جميل .. ماذا تريد حضرة الدكتورة ؟

فقالت : متى العشاء يا سيد صدقي ؟

فقال : في التاسعة ، عشاء من مطعم فخم .. وهو وجبة فرنسية تكريما لضيف الدكتور الفرنسي .. وقد تكلمت مع المطعم وأكدت الحجز.

قالت : لا بأس ، سنصبر ساعة وزيادة .. نريد أن نتكلم مع الدكتور جميل اقرع عليه الباب.

فقال : ولكنه أمرني أن لا أفتح عليه الباب حتى يصل الضيف المحترم.

فقالت بملل : كما تشاء يا صدقي .. فالساعة تجاوزت السابعة والنصف ، ولم يحضر حضرة المحترم.

فقال الخادم بثقة : سيحضر بعد قليل .. اتصلت بالمطار وأخبروني بوصول الطائرة القادمة من باريس في موعدها السابعة إلا خمس دقائق .. وبناء على هذا اتصلت في المطعم .. وأكدت موعد الحجز .. فلابد أنهما قادمان من المطار الآن.

فعلقت فريدة ساخرة : على ذلك ـ يا صدقي ـ لو لم يحضر الفرنسي فلن نأكل الليلة.

فقال وهو يبتسم : لا.. لا.. يا سيدتي .. ستأكلون بإذن الله.

فقالت : مع السلامة .. وسلم على الأستاذ أسعد ..آ.. ما أخبار سعدى ؟

فقال : بخير.. فهي قابعة في المطبخ.. وقد أطعمت والد الدكتور، وقد سهت عيناه.

وبعد اختفاء الخادم اقتربت الدكتورة من مكتب الدكتور جميل وطرقت على الباب طرقا خفيفا ، ثم كررت الطرق ، ثم التفت نحو القوم وقالت : الله أكبر! ..هل يعقل أن الدكتور لا يسمع كل هذا الطرق ؟!

فعقب خضر قائلا : لابد أنه مستغرق في بحث من الأبحاث المهمة..

فوضعت الدكتورة يدها على مقبض الباب وحركته ، فلم يفتح فقالت بدهشة : الباب مغلق عليه من الداخل .. أما عجيب هذا الدكتور !

ثم عادت للجلوس ، وأخذت تقلب في محطات التلفزيون المختلفة ، وبينما هم يتذمرون نزل عليهم فجأة صدقي عمران وهو يصيح صياحا غريبا : اتصال غريب ..اتصال غريب!!

ففزع الثلاثة عليه، وأغلقت الدكتورة التلفزيون ، ومشوا خلف صدقي الذي أسرع نحو المكتب ، فقال وليد : ما بك يا رجل ؟!

فقال باضطراب : أتاني تلفون مخيف .. يخبرني فيه المتصل بأن الدكتور جميل ميت في مكتبه!

أصاب الذعر الجميع وصاحت الدكتورة : ماذا قلت ؟! ميت . .! ومن أدرى المخبر بموته ؟ فنحن هنا ولم ... ـ تذكرت الطرق عليه الباب ـ فسكتت

فقال الخادم : أخبرني المنحوس الخبر ، وأغلق السماعة .. وكان يحاول فتح الباب فقال : الباب مغلق .. ليس من عادة الدكتور غلق الباب

حاول فتحه بالقوة وقال : الأمر غريب.. سأحضر المفتاح من فوق .. فمعي نسخة منه لأقوم على تنظيفه أثناء غياب الدكتور..

وغاب إلى الطابق الثاني، ثم أتى مسرعا وهو في غاية التوتر والاضطراب والخوف ، وفتح الباب ، وأنار الإضاءة .. وعلى المكتب الكبير كان الدكتور يجلس على مقعده الأوروبي المتحرك ورأسه وصدره على المكتب ؛ كأنه نائم فوق الأوراق .. دماء سائلة على الأرض المفروشة بالسجاد العجمي ، وعلى طاولة المكتب وضع مسدس كولت ٤٥ ملم .. اقترب الأربعة إلى المكتب وهم في غاية الذهول ، فقال المحامي بقوة وذهول : مقتول ! ..لابد أنه مقتول .. فهذه الدماء تملأ الأرض والسجاد .. وهذا المسدس!!

ثم خرج مسرعا للصالة واتصل بالبوليس وعاد يقول : أيها الأصدقاء لا تلمسوا شيئا .. جريمة اغتيال حدثت هذا المساء..

ولكن الدكتورة قد اقتربت من الجثة وفحصت النبض وقالت : لا نبض .. لا أوكسجين إنه

ميت .. هل قتل أم انتحر؟!

وبينما هم كذلك دخل الدكتور السكرتير فرج وحيدا وهو يقول : ما بكم؟!.. أمعقول ما يقوله المحامي ؟! ..كان وليد قد عاد للصالون لما طلب منهم عدم لمس أي شيء ، لم يستطع الوقوف ارتخت ساقاه من الصدمة، وأخذ السكرتير الحزين يتطلع إلى المكتب والجثة فقالت فريدة : أين الضيف ؟ أين صديقه يا دكتور فرج ؟

فقال : لم أجده .. إنني أسمع سيارات البوليس تقف أمام البيت.

دخل عدد من الضباط ورجال البحث الجنائي والمختبر الجنائي والتصوير والطبيب الشرعي ووكيل النيابة أو نائب المدعى العام ، وتقدم كبير هؤلاء الضباط وهو رائد في التحقيقات الجنائية نحو الجثة ، وبرفقته الطبيب الشرعي ، وبدأت الإجراءات التقليدية لرجال الشرطة ، فحص الدكتور الجثة وأكد الوفاة بعيارات نارية وقال : رصاصة أو أكثر في الصدر والقلب .. وعن قرب ، وقد تكون الجريمة حدثت منذ ساعتين أو أقل بربع ساعة .. لم تبرد الجثة بعد .. موت سريع .. التشريح لابد منه سيدي الضابط !

رفع الضابط المسدس بمنديل وقال : أداة الجريمة على ما يبدو .. يبدو أن لا بصمات عليه .. ممسوحة .



الفصل الثاني

كان الدكتور جميل مدير مركز الأبحاث مصروعا على كرسيه ، وقد اسند أو انحنى رأسه وصدره على المكتب ، وتحته ملفات وأوراق يبدو أنه كان يقلب بها قبل حدوث الجريمة ، وقد قام أحد أفراد الأمن بتفتيش جيوب القتيل وأخذ ما فيها من أشياء ، وبعد أن قام فريق التصوير بتصوير المشهد ، أشار ضابط التحقيق الرائد عوني بصارة بنقل الجثة إلى سيارة الإسعاف ، ومن ثم إلى مستشفى التشريح ، ولما أخرجت الجثة من المكتب الفاره ، قال الضابط بعد أن قلب بصره في الغرفة : من الذي أبلغنا بالحادث؟

فتقدم الدكتور المحامي وهو مكفهر الوجه : أنا يا سيادة الرائد .. أنا المحامي وليد بكرز محامي المقتول.

فقال الضابط : كيف عرفتم أنه مقتول ؟

قال المحامي : هذا المقتول اسمه الدكتور جميل أسعد عازلي .. مدير مركز الأبحاث العلمية والصناعية المشهور في شارع البحيرة الخامسة ألا تعرفه ؟!

فكر الضابط قليلا ثم قال : آه! تذكرته .. أجل ، مدير مركز الأبحاث ! .. هو هذا الميت ، أنا وأنا أنظر إلى هذه الوجه قلت لنفسي إني سبق أن رأيته .. الآن أدركت أين رأيته ؟! لقد رأيته عددا من المرات في برامج تلفزيونية .. كيف اكتشفتم الجريمة ؟

فقال وليد : كنا مدعوين وثلة من الأصدقاء على العشاء هنا على شرف الدكتور شارل برس ضيف قادم من فرنسا ، فجلسنا بعض الوقت في الحديقة .. نحن وإياه أنا والدكتور خضر وزوجته الدكتورة فريدة وهي طبيبته الخاصة أيضا ، ثم أتى الدكتور السكرتير للمركز فرج ، وفي السادسة تقريبا تركنا الدكتور جميل لإنجاز بعض الأشياء قبل وصول الضيف من باريس فدخل المكتب ثم غادرنا بعده بقليل الدكتور فرج إلى المطار لاستقبال الضيف ، ولما زاد الظلام علينا في الحديقة، وكانت عيادة الدكتورة قد اتصلت بها فدخلت ترد على الهاتف، فقمنا ودخلنا للبيت، والدكتور ما زال في مكتبه ، وكانت الساعة لما دخلنا الصالون هذا لم

تبلغ السابعة ، وعلى ما أظن كانت السابعة إلا الربع ، جلسنا في الصالون نحتسي القهوة التي أعدها لنا خادم الدكتور ، وجلسنا نقلب في محطات البث التلفزيوني المختلفة ، وقد أصابنا الملل والضجر ، فقامت الدكتورة فريدة تتحدث مع الخادم وتسأله عن موعد العشاء ، وحاولت دفعه لدخول المكتب ، ولكنه أخبرنا أن الدكتور طلب منه أن لا يزعجه أحد حتى يصل الضيف ، فعاد إلى حجرته ، وطرقت الدكتورة الباب ـ باب المكتب ـ عدة مرات ، فلم تتلق جوابا ، ثم حركت أكرة الباب عدة مرات فوجدت المكتب مغلقا ، فدهشنا ولزمنا الصمت ، وعدنا نتفرج على التلفزيون ، وعللنا عدم الرد باستغراق الدكتور في النظر في الأوراق والملفات ، فهو قد وصل صباح اليوم من روما ، وله غائب عن المركز عشرة أيام ، وبينما نحن هكذا في انتظار وصول الضيف والعشاء ؛ فإذا بصدقي ينزل من الطابق الثاني يصيح ويولول ويقول : اتصال غريب ! .. اتصال غريب ! .. ففزعنا على صراخه وذعره .. وأصابنا القلق والخوف ، ثم قال وهو يسير نحو المكتب : جاءني تلفون من شخص مجهول يقول " إن الدكتور ميت في مكتبه " فدهشنا .. وهجمنا على المكتب ، فوجدناه مغلقا ـ ونحن نعرف ذلك، عندما حاولت الدكتورة فتحه والتشويش على الدكتور ـ فتفاجئنا أن صدقيا تفاجأ مثلنا ، فأحضر مفتاحه الخاص وهو يقول لنا : الدكتور لا يغلق الباب ! .. وهو موجود في داخل المكتب .. أمر غريب !.. ولما فتحنا الباب وأضأنا النور الكهربائي كانت المفاجأة أمامنا كما شاهدتها يا سيادة الرائد!.. فأدركنا أن أمرا كبيرا قد حدث فاتصلت بكم.

ولما صمت المحامي قال الضابط عوني وهو ينظر في الموجودين : أين صدقي ؟

فهمس صدقي الذي كان غارقا بالبكاء ويبكي بحرقة وحرارة قال : أنا هو يا سيدي إنها ضربة قاصمة .. عشرة عمر .. لي في خدمته أكثر من عشر سنوات.

فعزاه الضابط وقال : صبرك الله يا سيد صدقي ! ..ذكر الدكتور المحامي أن باب الغرفة كان مغلقا وأنك فتحته بمفتاحك ؟

مسح الرجل الحزين دموعه المتساقطة وقال : نعم، يا سيدي !.. الدكتور يفتح ويغلق مكتبه

بنفسه .. وإنما أفتحه للتنظيف من الغبار أو للتخلص من النفايات المكونة من أوراق تالفة أو أعقاب سجائر .. ومن عادة الدكتور أن يترك الباب مفتوحا عندما يكون في الداخل ؛ لأدخل عليه كلما احتاجني ، ويكون ذلك بالضغط على زر خاص عنده فيرن الجرس فوق فأهرع إليه سريعا .. فهذه أول مرة أراه مغلقا والدكتور في داخله ، ويمكن غلق الباب من الداخل بدون مفتاح فهناك زر خاص لذلك .. وأما من الخارج فلا بد من المفتاح ليغلق هذا الباب . وأشار إليه.

فقال الرائد : متى آخر مرة رأيت الدكتور حيا أو آخر جرس تلقيته منه بعدما ترك الحديقة وضيوفه؟

فرد صدقي قائلا : كما قال الدكتور وليد يا سيدي ، بعدما وصل السكرتير فرج بقليل وطلب السيد فرج الشاي ، وقد تحدث معه الدكتور جميل عن الذهاب إلى المطار ، فقال لما أشرب الشاي سأنطلق ، فاستأذن الدكتور من الضيوف ودخل للمكتب ، وطلب مني قهوة وها هو الفنجان في مكانه .. فأرسلت الشاي إلى السادة في الحديقة ، ثم عدت وتناولت فنجان القهوة من الشغالة سعدى ودخلت به على الدكتور ، وكان يتحدث بالتلفون ، ولما دخلت وضعه .. وأشار لي بوضع القهوة وقال " هل ذهب فرج ؟ " قلت " إنه يشرب الشاي ويستعد للذهاب .. فرن جرس الهاتف فتناول السماعة وأمرني أن لا أزعجه حتى يحضر الضيف وأشار لي بالخروج .. فتركته يتكلم بالهاتف ، وخرجت وأغلقت الباب خلفي ، وصعدت للطابق الثاني حيث الخادمة ووالد الدكتور السيد أسعد عازلي المريض .. فهو موعوك الصحة من أيام .. وقد زاره الطبيب مساء هذا اليوم.

وبعد صمت قصير عاد الرائد عوني يسأل صدقيا قائلا : كم كانت الساعة عندما وضعت القهوة للدكتور وخرجت ؟؟

فكر صدقي قليلا ثم قال : تزيد عن السادسة بقليل إن لم تكن السادسة .. أنا لا أهتم بالوقت كثيرا يا سيدي.

ـ بعدها لم تدخل عليه ؟

ـ لم يتصل بي .. حتى جاءني الهاتف المرعب.

فقال الضابط مخاطبا المسؤول عن رفع البصمات : هل انتهيتم ؟

فقال المخاطب : نعم.

فأخذ الضابط يتنقل في المكتب الواسع ، واقترب من خزائن الكتب والملفات ، وعاد يقول لصدقي : ألم تسمع صوت رصاص أثناء تحركك في المنزل ؟ .. وأنتم أيها السادة ـ وأشار للدكاترة ـ ألم تسمعوا صوتا وأنتم في الحديقة ؟

فقال وليد : الحقيقة أننا لم نسمع صوت طلقات مسدس .

وأكد الباقون كلام المحامي فقال الضابط: ولكن المسدس لا يوجد عليه كاتم صوت، ولا يوجد هنا خرقة قماش لنقول إن المجرم خنق المسدس بها ليخفف من صوته .. ولكن القاتل يبدو محترفا بمعنى آخر إنه يجيد استعمال المسدس ..ويعرف أين يصوبه ؟! ..آ.. يا صدقي هل سمعت صوت رصاص ؟.

فهز صدقي رأسه نافيا ثم قال : لا ، يا سيدي لم أسمع صوت رصاص.

وهنا غير الضابط اتجاه التحقيق فقال للدكتورة ـ التي كانت صامتة وهي في ذهول كامل ـ قال : يا دكتورة هل يعاني الدكتور جميل من حالات نفسية ؟ .. باختصار هل يمكن أن ينتحر؟!

حملقت الدكتورة في الضابط ثم قالت : لا أعتقد ذلك يا سيدي !.. فجميل حيوي ويحب الحياة.

أخذ الرائد عوني يبحث في جرارات المكتب فترة من الوقت ثم قال : أيها الدكاترة المحترمون أرجو أن تشرفونا صباحا في دائرة الأمن.. مركز شرطة حي الشجرة مكتب الرائد عوني بصارة لتسجيل أقوالكم ، وأنا في انتظاركم ، أرجوكم أن تتعاونوا معنا في كشف غموض هذه الجريمة .. والآن يمكنكم الانصراف .. أما أنت يا صدقي فلي حديث معك الليلة وعلى

انفراد .. وأرجو يا دكتورة فريدة أن تخبري السيد أسعد بوفاة ابنه قبل انصرافك ، قد يحتاج لمساعدة طبية فكما أشرتم فهو مريض اذهب معها يا صدقي.

خرج صدقي والدكتورة حيث يرقد الوالد المريض ، واستأذن الدكتور فرج بالانصراف فأذن له الرائد بعد أن تأمله بضع لحظات وسأله : ألم تذهب للمجيء بضيف الدكتور فأين الضيف الفرنسي ؟ !

فقال فرج : بلى يا سيدي.

ـ هل أتى معك أم أوصلته للفندق ؟

فقال فرج وهو يظهر الأسف : لم أجده .. لم يكن على متن الطائرة الفرنسية التي وصلت في السابعة إلا خمس دقائق.

ـ أتعرفه ؟

ـ أكيد ، لقد حضر مرة قبل لقاء اليوم ، من سنوات زار القطر.

ـ غير موجود على الطائرة ؟

ـ أجل .. عجيب !

ـ يمكنك الانصراف ، ولا تنس لقاءنا غدا صباحا في مركز الأمن لأخذ أقوالكم وانطباعاتكم حول المجني عليه والجريمة بشكل عام.

ـ تحت أمرك.

ثم تبعه الدكتور وليد بكرز ، وركب كل منهما سيارته، وانطلق بها إلى هدفه ،

وكانت الساعة قد زادت عن منتصف الليل عندما انصرفا.

ولما نزلت الدكتورة فريدة قالت : الوالد قد عرف بالأمر؛ فإن الشغالة قد أخبرته بذلك ، وقال لي إنه بخير وتمنى أن لم يمت ولده هذه الميتة.

فتعجب الرائد وقال : هكذا قال !..سنسمع أقواله في الوقت المناسب.. يمكنك الانصراف أنت وزوجك وموعدنا غدا إن شاء الله.

وضعت حراسة مناسبة من أفراد الأمن على الفيلا ، وانصرفت سيارات الشرطة والمختبر الجنائي ، ولم يبق في الفيلا إلا الرائد عوني ومساعده الملازم دشمان علي ، وأفراد الحراسة الثلاثة ومكث الرائد ومساعده الملازم الأول دشمان علي ساعة من الزمان في داخل الفيلا والمكتب ثم الحديقة ، وعرف بعض المعلومات عن السيد جميل ، ثم قال للخادم : صدقي عمران سنلتقي غدا بإذن الله .. إياك أن تغادر البيت ..

***

لما دخل الرائد عوني مكتبه صباح يوم الثلاثاء ، وجد معاونه في انتظاره، وبعد تحية الصباح ، وقد جلس على كرسي المكتب قال مستفسرا : ما الأخبار؟

وكان قد ضغط على زر كهربائي أمامه ، فلبى نداؤه فراش المكتب ، فطلب منه كوبين من الشاي، وبعض قطع البسكويت ، ولما خرج الفراش ، قال دشمان : وصلنا تقرير يؤكد لنا أن المسدس الذي وجدناه على المكتب هو أداة الجريمة.. ثلاث طلقات في القلب والصدر ، وأكد الطبيب أن الجريمة كانت عن قرب ، لا يبعد القاتل عن جسم القتيل سوى بضع سنتمترات ، بل قد تكون فوهة المسدس على صدر القتيل ببضع سنتيمترات فحسب ، وخلال هذا اليوم سيكون تفصيل التقرير الطبي بين أيدينا هذا ما قاله لي الطبيب عواد.

فقال عوني : إذن المسدس الكولت الأمريكي هو أداة القتل ولابد أن القاتل ذو معرفة بالدكتور جميل ، لقد كانت قسمات الوجه عندما رفعناه عن المكتب تدل على الدهشة والصدمة والمفاجأة .. نريد معلومات دقيقة وكاملة عن الخادم صدقي عمران فهو آخر شخص رأى الدكتور أمس ، وهو المسموح له بإدخال زوار الدكتور عليه ، ولولا المكالمة الغريبة التي تحدث عنها أمام الدكاترة لاتهمته ، أريد كذلك سجلا بالمكالمات التي حدثت في الفيلا من السادسة مساء حتى الثامنة مساء ، فصدقي هذا يدعي أن شخصا من الخارج أخبرهم بموت الدكتور ، لماذا تحدث القاتل بذلك؟ تأكدوا من ذلك من شركة الهاتف الدولية فإذا ثبت أن اتصالا جرى قبل الثامنة بقليل فيكون كلام صدقي صحيح ويكون في صالحه ..

ونريد معلومات شخصية عن الأشخاص الذين تواجدوا في القصر أو الفيلا الكبيرة ذلك المساء .. فهذه القضية لا تبدوا لي هينة وسهلة ، فهي جريمة مدبرة بذكاء .. والدكتور الفرنسي شارل نريد أن نعرف هل تخلف عن رحلة السابعة فعلا كما يزعم فرج ؟ ففرج يؤكد وصول الطائرة الفرنسية ، ولم يكن فيها حضرة الدكتور .. هذه خيوط أطلب من رجالنا إحضار معلومات كافية عنها .. فمقتل الدكتور جميل أسعد سيثير ضجة صحفية داخل القطر وخارجه .. فها هي الصحيفة التي أمامي تكتب " جريمة في حي الشجرة .. ضحيتها الدكتور البرفسور العالم جميل أسعد عازلي " ورفع الصحيفة الأولى ونظر في الثانية الموضوعة أمامه " يد غادرة تصرع الدكتور الفذ المعروف جميل عازلي"

وقال الرائد وقد عاد يرشف الشاي ويأكل قطع البسكويت : هل قرأت الجرائد ؟

فرد دشمان ـ وهو يضع الكوب الفارغ على المنضدة الصغيرة التي بجانبه ـ فقال : عناوين مثيرة وتفاصيل اكتشاف الجثة ، ويبدو أن بعض الصحفيين اتصل بزملاء الدكتور .. فهناك حوار مع الدكتور فرج فيقول فيه " كنا نجلس في الحديقة نشرب الشاي ، فدخل الدكتور البيت أو مكتبه في البيت، وشربت الشاي وسرت للمطار بكل سرعة لاستقبال ضيف الدكتور العالم الفرنسي الكبير في الأحياء المائية، ولما عدت من المطار بدون الزائر وجدت الدكتور مصروعا بيد مجرم .. ثم قال لهم : ليس لدي معلومات تفيد الصحفيين فالأمر كله بين يدي رجال الأمن .. والمحامي اعتذر عن أي تعليق حول الجريمة ، بل بعض الصحفيين حاول أخذ أقوال من السيد صدقي خادم الدكتور، فادعى أن الشرطة منعته من الكلام إلى الصحافة حتى ينتهي التحقيق.

هزّ عوني رأسه مرات وقال مادحا : خادم ذكي!.. جريمة ستشغل الرأي العام في القطر .. وجه رجالك لإجراء اللازم ، وهيا بنا نرى مسرح الجريمة على ضوء النهار، وقبل مجيء أصدقاء الدكتور لنسمع أقوالهم.

انتقل الرجلان بعد إجراء اللازم إلى الفيلا ، وبعد حديث قصير مع رجال الحراسة التقى

الرائد بالسيد صدقي فقال : يا سيد صدقي .. الصوت الذي تكلم معك في التلفون هل شعرت أنك سمعته من قبل ؟

قال محاولا التذكر : لا أذكر يا سيدي! ..فهو عندما أخبرني بموت الدكتور، فقدت السيطرة على نفسي ، فأول كلمة نطقها قال : أليس هذا منزل الدكتور جميل ؟ فقلت : بلى هو ، فقال : هو ميت في مكتبه ، فصعقت للخبر وقلت: من أنت ؟! وكيف علمت ؟! فأغلقت السماعة من الطرف الآخر فوضعت السماعة أنا الآخر ، وأنا مضعضع الفكر، ونزلت مضطربا وأنا أصيح بصوت مرتفع وأنا في غاية الصدمة .. كان الأمر صعبا يا سيدي!.. لا أدري هل سمعت هذا الصوت من قبل أم لا ؟! .. ولكن هل هذا يفيد في البحث ؟

ـ ربما .. هل تلقى الدكتور تهديدا ما قبل سفره إلى أوروبا أو أي شيء من هذا القبيل ؟

قال : حسب اطلاعي وقربي من سيدي الدكتور .. لا .. ولكن يوجد في المكتب هاتف خاص مستقل أي ليس له تفريعات في الفيلا .. فهو خط مستقل للمكتب

ـ ذكرت لي سابقا يا صدقي أنك دخلت بالقهوة على سيدك الدكتور فوجدته يتكلم بالهاتف ألم تسمع كلمة .. جملة ؟ تذكر جيدا كل شيء يقدم معنا شيئا في الوصول للجاني.

بعد تفكير وصمت قال الخادم : للأسف لا .. فعندما دخلت كان يضع السماعة .. ولما أراد أن يتكلم مرة أخرى صرفني.

ـ ولا كلمة.

ـ ولا كلمة يا سيدي.

قال الضابط : سيد صدقي هل للدكتور أعداء حسب علمك وعشرتك للدكتور خلال السنوات الماضيات ؟

ـ أعداء .. أعداء .. لا أظن .. ولكن هناك بعض الخصوم الذين بينه وبينهم مشاكل بسبب العمل.. خصوم قضايا.. وقد تجد تفصيل ذلك عند الدكتور المحامي بكرز.

قال الضابط : قلت سابقا يا سيد صدقي .. إنك تركت الدكتور قريبا من الساعة السادسة

مساء .. ألم تنزل إلى الدور الأول مرة أخرى بعدما صعدت ؟.

ـ لا يا سيدي .. إلا عندما دخل ضيوف الدكتور الجالسين في الحديقة فنزلت أرحب بهم من جديد .. وطلبوا مني بعض فناجين القهوة المرة.

ـ ما شعرت بأي حركة تحت وأنت فوق ؟

ـ من الصعب إذا كان الإنسان مشغولا فوق أن يشعر بحركات الذين تحت .. فهناك جرس خاص يضغط عليه الدكتور إذا أرادني.

قال الضابط عوني : المسدس الذي كان على المكتب أمس هل رأيته قبل هـذه المرة يا سيد صدقي ؟

ـ هناك في غرفة نوم الدكتور مسدس مثله يا سيدي! ولكني بعد انصرافكم أمس تأكدت من وجوده .. قد يكون لديه مسدس آخر.. ولكن المسدس الذي كان على المكتب أول مرة أراه.

ـ ثبت لدينا بالفحص أنه قتل فيه .. ولكن كيف لم تسمعوا الطلقات ؟ ولا يوجد كاتم صوت على مسرح الحادث ؟! .. حتى ولو ألصق المسدس على صدر القتيل لابد أن يخرج صوت الانفجار ولو ضعيفا.

ـ إذا قتل يا سيدي بالوصف الذي تقول فمن الصعب أن يسمع من فوق ، ومن في الحديقة كذلك وخصوصا أن النوافذ مغلقة.. ولا يوجد أحد في الصالة.. فأرى أن عدوه قتله والقوم في الحديقة .. ونافورة الماء والأسود ربما تمنعهم من سماع صوت الطلق المخفي.

ـ جيد تفسيرك هذا يا صدقي ! سنجرب ذلك فيما بعد .. فما تقول في ضيوف الدكتور تلك الليلة؟ وهل يمكن أن يفعلها أحدهم ؟

ـ صعب ذلك .. وما الفائدة التي يجنونها يا سيدي من مقتله ؟!

فقال الضابط : هل علمت يا صدقي أن الضيف الذي كنتم تنتظرونه لم يحضر ؟

فقال صدقي : عجبت من ذلك ..فلقد تحدثت مع الدكتور فرج عن سبب ذلك ، فأخبرني أن الطائرة وصلت في موعدها ، ولم يكن الدكتور شارل فيها.

ـ عجيب .. أجل .. أخبر الخادمة أنني أريد الحديث معها قبل الانصراف للقسم.

ـ إنها مرعوبة يا سيدي .. ولا أظن أن عندها شيئا .. فهي لا تنزل من فوق إلا نادرا .. فهي تتنقل بين غرفة السيد أسعد والد الدكتور جميل وغرفتها والمطبخ.

ـ لابد من سماع أقوالها؛ لعلها شاهدت شيئا وخائفة منه .. قد تكون رأت القاتل وهو يغادر الفيلا أو وهو يدخل .. وكذلك لنا حديث مع الأب أخبرهم بأننا نقصد اللقاء بهم.

فقال صدقي : إنه مريض جدا .. لقد استدعينا الطبيب ليلة أمس مع الفجر مرة أخرى يا سيدي من أجله.

ـ نلقي عليه التحية ونعزيه .. هيا أخبرهما.

وخرج صدقي لتنفيذ رغبة الضابط ، وعاد الضابط يقلب في الأوراق والملفات ويحدث زميله قائلا : نحن لم نحدد الهدف والدافع لهذه الجريمة يا دشمان!

فقال دشمان : ما زال الغموض يلف هذه الجريمة .. فهدف الجريمة غير واضح أمام أعيننا ، فليس للدكتور زوجة ، ولا أولاد .. ليس في الصورة إلا والد مريض كبير في العمر .. ولا أعتقد أن مشاكل قانونية من المتعاملين مع المركز تؤدي إلى هذه الجريمة المحكمة التدبير والتخطيط .. ماذا يستفيد الدكتور خضر أو زوجته من مقتل جميل؟ ماذا تكسب ؟ بل خسرت رجلا كان يتردد على عيادتها .. والمحامي مثلها .. وحتى السكرتير إلا إذا كان هناك فضائح يعرفها الدكتور عنهم قد تدفع أحدهم لهذه الجريمة المرتبة بذكاء .. علينا أن نتابع حركات هؤلاء الضيوف منذ حضروا للبيت وحتى مقتل السيد جميل أسعد .. كلهم غادر بعد حدوث واكتشاف الجريمة.. إلا فرج شرب الشاي معهم في الحديقة ، ثم انطلق إلى المطر للإتيان بضيفهم ، ولما عاد بعدما تأكد من عدم مجيء الدكتور كانت الجريمة قد حدثت واكتشفت ..على كل رجالنا يتحرون عنهم ، وسنسمع أقوالهم ، وقد نضعهم تحت المراقبة إلى حين من الزمن.

وأتى صدقي يقول لهم : إنهم في انتظاركم يا سيدي الرائد.

أغلق الرائد المكتب وأوصى الشرطي الحارس بعدم السماح لأي شخص بالدخول، وصعدا إلى الطابق الثاني حيث تحدث الرائد مع الخادمة ، ولم يجد عندها شيئا يذكر سوى الدموع والخوف ، ودخلا حجرة الوالد أسعد وقاما بتعزيته بموت ابنه، وكان في حالة سيئة ، ثم انصرفوا مسرعين إلى دائرة الأمن في حي الشجرة حيث وجدا الدكاترة الأربعة في انتظارهم .



الفصل الثالث

وقبل أن يبدأ الرائد عوني بأخذ أقوال أصدقاء الدكتور المقتول الذين كانوا زواره، وعنده ليلة الحادث ، كان عامل المقسم في القسم الأمني يقول له " إن مدير الأمن اتصل به "، فطلب منه أن يصله به ، وطلب القهوة للدكاترة الأربعة ، وما كاد يصدر أمره لفراش المكتب حتى كان معه عبر أسلاك الهاتف مدير الأمن العام قائلا له : رائد عوني .. ما آخر أخبار جريمة حي الشجرة ؟

ـ ما زالت غامضة يا سيدي! وسيكون مساء هذا اليوم بين أيديكم تقرير مفصل عنها ..عندما نستلم تقرير الطب الشرعي ، وتقرير المختبر الجنائي .. والآن عندي الأخوة الذين كانوا في بيت الدكتور عندما اكتشف موته لأخذ أقوالهم وانطباعاتهم عن الجريمة.

ـ أريد أن تمر عليّ عندما تنتهي من أخذ أقوالهم واستجوابهم .. لقد تحدث معي السيد " نهري بربش " صاحب شركة الحماية الخاصة ، وأخبرني أن الدكتور جميلا كان يتفاوض معهم أو معه حول حمايته الشخصية .. وذلك قبل سفره الأخير لأوروبا .. وقد طلب منهم حراسا لمرافقته.. ولم يتحقق ذلك ..وأمس عندما وصل اتصل به من مكتبه في الشركة ليؤكد الموضوع ولقد كان بينهم موعد نهار اليوم .. ولما قرأ الصحف التي تتحدث عن مقتله اتصل بي..

كان عوني يسمع كلام مديره وهو يهز رأسه ، وأحيانا يحدق النظر في الموجودين فلما سكت المدير قال : سألتقي به .. نعم ، سوف أمر عليك بعد قليل .. شكرا سيدي .

ووضع السماعة وقال : أخبار جديدة .. وقد تكون مهمة .. أهلا بالسادة الكرام ..

استدعى كاتب التحقيق ، ولما أعد أوراقه قال الرائد : فالأفضل أن نبدأ بالأستاذ المحامي .. اذكر يا سيدي اسمك وسنك ومكان إقامتك وعملك ؟

ولما كتب الكاتب المعلومات التعريفية قال الرائد عوني : متى وصلت منزل الدكتور جميل وسبب تواجدك هناك ؟.

قال السيد المحامي : أتصور أنني وصلت بعد الخامسة وقبل الخامسة والنصف، فوجدت

الدكتور جميلا يجلس مع ضيفيه الدكتور خضر وزوجته الدكتورة فريدة في عريش الفيلا تحت الأشجار الباسقة .. وأمامهم نافورة الماء الجميلة .. وذهبت بدعوة من الدكتور جميل نفسه للمشاركة في الترحيب بضيفه الفرنسي ..وتناول العشاء بمعيتهم .. وقريب من السادسة مساء أتى الدكتور فرج كئيبا وحزينا على غير عادته أ فحدثنا أنه كان عند طبيبه الخاص .. فأخبره أنه يعاني من مشاكل في صدره وقلبه، وسببها الدخان والسجائر .. وكان الدكتور مكلفا بالذهاب للمطار للمجيء بالضيف.. فلما شرب الشاي غادرنا إلى المطار .. وقبل انصراف فرج استأذن الدكتور بدخول مكتبه لإنجاز بعض الأعمال لغيابه عن أرض الوطن خلال الأيام العشرة الماضية ، وذلك قبل مجيء الضيف ، ومن بعد انصرافه لم أره إلا جثة هامدة ، في السابعة إلا ربع أو إلا ثلث طل علينا الخادم صدقي من نافذة الطابق الثاني يخبرنا أن هاتفا يطلب الدكتورة فتركتنا الدكتورة لترد على الهاتف ، والتلفون موجود في صالة أو صالون الفيلا ، وبعدها دخلنا الفيلا لإحساسنا بالبرد الليلي، وجلسنا في الصالة نتفرج على التلفزيون ، وننتظر عودة السيد فرج ، وقدم لنا الخادم المحترم قهوة ، ثم حاولت الدكتورة إزعاج الدكتور جميل فاستدعت الخادم ليطرق الباب ؛ لكنه رفض وقال : إن الدكتور طلب منه عدم الدخول إلا عندما يصل شارل برس .. فانصرف إلى حيث يجلس .. فطرقت الدكتورة الباب عدة مرات فلم يرد، فحركت أكرة الباب فوجدته مغلقا فعجبنا من ذلك التصرف .. وبينما نحن نتحدث ونستمع لمحطات البث ونعلق عليها هبط علينا صدقي يصرخ ويصيح قائلا " اتصال غريب " وفهمنا منه أن مجهولا يخبره بموت الدكتور جميل داخل مكتبه، والباقي تحدثنا به في مكان الجريمة .. اقتحمنا الغرفة المغلقة فوجدناه ميتا فعلا فاتصلنا بالبوليس فورا.

فقال الرائد : حسنا يا سيدي المحامي .. ألم تشعر وأنتم تجلسون في الحديقة بأن أحدا دخل الفيلا ؟

ـ الحق من الصعب رؤية القادم أو الشعور به .. فالعريش في آخر الحديقة ، وهناك الأشجار

الكثيفة تحجب الرؤية .. ولا تنسى انسجامنا في الحديث والثرثرة فذلك يشغلنا عن الانتباه .. فكما سمعنا من صدقي أن الطبيب حضر لمعالجة والد جميل ولم نحس به داخلا وخارجا.

ـ وبصفتك محامي الدكتور والمركز .. هل يمكن لأحد من خصومه أن يحقد عليه حقدا يدفعه لقتله؟

ـ سؤال كبير ..ولا يوجد خصوم بيننا وبينهم قضايا كبيرة .. فهناك الدكتور خالد الضبرة رفع على المركز قضية بسبب الأبحاث التي قدمها وردت إليه ، متهما المركز بسرقتها والغدر به فقام بالتهديد والوعيد ؛ ولكن لا أعتقد أن يصل

الخصام إلى رغبة في الانتقام والقتل وإلا لما رفع علينا قضية غش وسرقة بحثه.

فعاد الضابط يستفسر فقال : ما قضية هذا الدكتور؟

فعاد وليد يوضح الموضوع قائلا : قضيته – يا سيدي الضابط – تتلخص أنه قدم للمركز بحثا علميا مهما عنده طبعا لندرسه أو يدرسه الدكتور جميل ، ثم يقدمه لمراكز العلم في أوروبا وأمريكا التي يتعاون معها المركز.. ويكون الدكتور جميل وسيطا بين الباحث والمراكز الغربية ولكن الدكتور جميل رآه غير مناسب ، فاعتذر لصاحب البحث ، وأعاد له أوراق البحث ولأن المركز تأخر في الرد على الدكتور خالد لانشغال الدكتور في السفر والترحال ..فاتهم الدكتور بسرقته ، وأننا نريد أن نستفيد منه وحدنا من ورائه ..فرفع علينا قضية اختلاس بحث علمي رصين ومهم في نظره .. ونحن نراه غير مفيد للصناعة ، فهدد وتوعد .. فحاول الدكتور إنهاء المشكلة من غير شوشرة بمبلغ من المال .. خمسة آلاف دينار .. فرفض وقال " هذا المبلغ توكيد أنكم سرقتم البحث " ولكن قصد الدكتور إنهاء الموضوع بدون شوشرة وحفاظا على سمعة المركز العلمي .. وللزمالة بينهما ولتأخره في الرد عليه .. فرفض واتهم ، ورفع علينا قضية ، وقد حضرنا جلسة واحدة من أجلها في المحكمة .. وطلب منه القاضي أن يقدم أدلة الاتهام.

وهنا تدخلت الدكتورة فريدة قائلة : اسمح لي أن أتكلم في الموضوع يا حضرة الضابط اتصل

بي الدكتور خالد الضبرة ظهر أمس عندما علم بوصول الدكتور جميل من الخارج .. وهو صديق وزميل لي .. وهو يعرف أنني طبيبة الدكتور جميل .. فاتصل وطلب مني التوسط بينهم وإنهاء الإشكال .. وعلى الفور تحدثت مع الدكتور جميل في عمله مهنئا له بالعودة من السفر سالما.. وأشرت لموضوع الدكتور خالد فدعاني للعشاء مع ضيوفه.. وخاصة الدكتور شارل برس .. وكنت أريد أن أحدثه فيه بعد العشاء.. ولكن سبق السيف العذل كما يقال في الأمثال القديمة .. آسف لهذه المداخلة.

فقال الرائد : أبدا لا داعي للأسف بل هي مداخلة ومعلومة في محلها ؛ ولكنها قد تكون لصالح خالد وقد تكون ضده .. شكرا لك .. اكتب يا عماد طلب استدعاء للدكتور خالد الضبرة لسماع أقواله .. وخذ عنوانه وهاتفه من الدكتورة فريدة .. إذن سيدي المحامي لم تلاحظ دخول شخص غيركم قد دخل الفيلا.. وأنتم تجلسون في الحديقة أليس كذلك ؟

ـ فعلا لم أرَ أحدا يدخل الفيلا للعوائق التي ذكرتها لك.

ـ أنتم بعد دخول جميل لمكتبه هل دخلتم الفيلا ؟

ـ قلت لك سابقا إن الدكتورة طلبتها العيادة فدخلت ثم دخلنا بعدها بقليل.

ـ شكرا لك سيدي المحامي نرجو توقيعك على المحضر ، وضع بصمتك على هذه البطاقة إبهامك الأيسر والأيمن وبعد ذلك يمكنك الانصراف.

فقال المحامي : أرجو أن تسمح لي بالبقاء .. وسأنصرف برفقة الدكتور فرج لنقوم على استلام الجثة من المشرحة وعلى إعدادات الدفن.

فقال الرائد : كما تشاء ، فأنا لحتى الآن أعتبركم أصدقاء الدكتور الميت ، وأتصور أنكم أبرياء من قتله .. أنت يا دكتور فرج سكرتير لحضرة المدير من سنوات كثيرة

قال فرج : أظنها تزيد عن عشر سنوات.

ـ رائع .. اسمك وعمرك وعملك وعنوانك.

وذكر الدكتور للكاتب أجوبة تلك الأسئلة التقليدية ولما انتهى منها قال الرائد : جميل يا

دكتور !.. دخلت الحديقة قبل السادسة بقليل ؟

ـ نعم سلمت على الجميع .. تحدثنا عن الصحة والدخان.. استأذن الدكتور لدخول مكتبه .. شربت الشاي ، وغادرتهم حوالي السادسة والربع .. ولم أرجع إلا عندما تأكدت من عدم وصول الدكتور على طائرة باريس الساعة السابعة ليلا ، ولما عدت وجدت الدكتور وليدا قد أخبر الشرطة بالجريمة .. وسمعت الخبر المرعب منه فصدمت بعض الوقت.. ثم دخلت للمكتب فشاهدت الدكتور الفقيد منحنيا على مكتبه مفارقا للحياة ودماء نازفة على المكتب والأرض.

ـ وأنت تغادر الفيلا ألم تلاحظ شيئا شخصا سيارة أمام الفيلا ؟

ـ الحق أنني لم أنتبه لشيء ، ولكن أمام سيارتي كانت سيارة ألمانية صغيرة سوداء اللون .. وهي لم تكن لأحد الأصدقاء ؛ وربما تكون لأحد سكان الفلل المجاورة .. والذي لفتني إليها عندما أتيت كانت سيارة الدكتور وليد تقف أمام الفيلا ، فصففت أمامه ، ولما خرجت كانت تلك السيارة تقف أمامي وملاصقة جدا لسيارتي ، فلم أتمكن من الخروج بسهولة، فضغطت على المنبه ، ثم نزلت من سيارتي لأكلم الرجل الذي يجلس فيها ، فوجدت شابا أشقر اللون ؛ كأنه أجنبي ذو شعر طويل فكلمته بالعربية ليتقدم للأمام قليلا حتى أخرج براحتي، فلم يفهم ، فحادثته بالبريطانية فحركها للأمام قليلا ، فركبت سيارتي وخرجت بسهولة ، وانطلقت إلى المطار .

قال عوني لما انتهى فرج من كلامه: ما تقول في مقتل صديقك الدكتور جميل؟

ـ الأمر مذهل ومفاجئ للجميع! .. واعلم يا سيدي الرائد أن علاقتي بالسيد جميل أسعد علاقة عمل فقط.

وبعدما ران الصمت على غرفة التحقيق لحظات ، سأل الرائد فرجا قائلا : من سيصبح مديرا للمركز يا دكتور فرج ؟

فرد فرج بعد تردد: لست أدري .. ولكني أرسلت فاكسا للجامعة المسئولة عن دعم هذا

المركز ماديا أخبرتهم بوفاة الدكتور .. فإما أن يعينوا مديرا جديدا أو يغلقوه يا سيدي .

ـ ألا تصبح مديرا له؟

ـ هذا يرجع للممولين للمركز ليس بالضرورة أن أعين مديرا..

أشار الرائد لمسدس أمامه على طاولة التحقيق وقال: هذا المسدس .. هل رأيته مع الدكتور جميل ؟

حدق الدكتور نظره في المسدس وقال : لقد شاهدته على مكتب الدكتور مساء أمس ، ولولا الهيئة التي وجد عليها الدكتور لظننت أن هناك انتحارا .. لقد رأيته أكثر مرة ، لم يكن يخفي الدكتور أنه يحمل مسدسا.

ـ أكان الدكتور يعاني من خوف من تهديد ما ؟

ـ لست أدري .. ولكن قبل سفره الأخير أخبرني أنه ينوي استئجار حارس مسلح لحمايته .. فظننت أن ذلك من باب الموضة والعصرنة والتقليد .. فهو لم يحدثني عن تهديد يتعرض له شخصيا.. وأما مسألة خالد الضبرة فلا أعتقد أنها تصل للقتل، فالدكتور خالد رجل طيب.. وكان يبني آمالا كبارا على بحثه إذا تحول لشركة صناعية ؛ ولكنه فوجئ بسقوط هذا الحلم ، وخصوصا أن الدراسة أو البحث مكث عندنا ما يقارب سنة ، وقد أخطأ الدكتور جميل عندما عرض المال.. وقد نصحته ألا يفعل حتى لا يساء تفسير ذلك ، فقال "مساعدة للدكتور مقابل التأخير الذي سببناه له .. فالبحث بين أيدينا من سنة وأكثر" ، فهذا سبب تقوّل الدكتور علينا بأننا سرقنا البحث.

ـ لا بأس هل من أقوال أخرى؟!

ـ لا، يا سيدي .. وإذا تذكرت شيئا سأخبرك به ، إن مقتل الدكتور جميل صدمة لي وللعاملين في مركز الأبحاث العلمية والصناعية.

ـ وقع على أقوالك وابصم بإبهاميك .. وعليكم اليوم استلام الجثة من المشرحة وموارتها التراب .. شكرا لكم.

فبعدما وقع فرج على أقواله حول جريمة حي الشجرة ، وبصم على البطاقة الخاصة بالبصمات انصرف مع المحامي وليد بكرز حيث المستشفى لاستلام جثة جميل أسعد ، وتابع المحقق الحديث مع الزوجين خضر وفريدة فقال مخاطبا الدكتور خضر بعدما ذكر اسمه الكامل وسنه وعمله وعنوانه : وأنت يا سيدي الطبيب .. أعندك شيء حول هذه الجريمة ؟

فقال الدكتور وهو يداعب نظارته : لقد كان شهودي لهذه الجريمة صدمة لي! .. لقد ذهلت وأنا أرى الدكتور العالم صريع الغدر .. نحن يا سيدي الرائد وصلنا بعد الخامسة ، فقد دعانا الدكتور جميل للعشاء مع ضيوفه ، وكان واجب التسليم عليه مطلوبا منا لصداقتنا الخاصة معه .. وزوجتي هي طبيبته الخاصة وهو يعرفها منذ كانت طالبة في كلية الطب .. وظلا أصدقاء وبعد زواجي منها عرفتني عليه ، وكثيرا ما نلتقي ونتقابل في سهرات وحفلات ومناسبات وحتى مؤتمرات وندوات، فيمكن أن تعتبرنا من أعز أصدقاء الدكتور جميل عازلي أما لماذا قتل؟! .. فهذا ما يحيرني منذ ليلة أمس ، لماذا قتل الدكتور العالم ؟! لا يخلوا عملا من مشاكل وهموم .. أما أن يصل الأمر للقتل والدم فهذا صعب وشنيع يا سيدي الضابط .. جلسنا بصحبة الدكتور ساعة من الزمن في الحديقة ، ثم غادرنا لمكتبه .. ولم نره بعد ذلك إلا مقتولا مضرجا بدمه .. ونحن نجلس في الحديقة الجميلة لم أحس وأشعر بدخول أي إنسان ، ومن الصعب الشعور بالقادم إلا إذا أراد الداخل لفت نظرنا بحركة ما .. فصوت الماء في النافورة يمنع سماع حتى خطوات الماشي.

ولما سكت الطبيب عاد عوني يسأل : صدقي عمران .. أتعرفه معرفة جيدة ؟

ـ أتعتقد أن صدقيا يقتل ؟! .. لا .. لا .. ماذا يجني الرجل من مصرعه ؟! .. ولا أعتقد أنه بهذا الذكاء الذي دبرت فيه الجريمة .. وراءها يا سيدي عقل كبير.

ـ مدفوع من ناس ؟!

بحلق الطبيب في الرائد قليلا وقال : وماذا يستفيد ؟

ـ الآن لا نعرف .. فهو بإمكانه أن يدخل عليه ويصرعه غيلة ، وكأن شيئا لم يحدث ، ويغلق

الباب بحجة أن الدكتور يريد إنجاز أعماله لحين قدوم الضيف ، ولما قرب موعد الزائر تظاهر أن أحدا اتصل به وأخبره بموت الدكتور.

كان الطبيبان يسمعان كلام المحقق وهما في غاية الذهول ، وكان كلامه منطقيا ، وهو الوحيد الذي يمكن أن يرتكب الجريمة كما حدثت ، وهو آخر من رأى الدكتور وقدم له القهوة فقال خضر ببطء : من ناحية نظرية ممكن ولكن لماذا ؟ ومن دفعه للقتل ؟

ـ هل لديك شيء يفيد التحقيق ؟

ـ الآن .. لا

ـ أحسنت !.. وقع وابصم أيها الطبيب المحترم على هذه البطاقة .

ووضع أمام الطبيب بطاقة ليضع بصمات إبهاميه عليها ثم قال : وأنت يا دكتورة فريدة .. عرفينا على اسمك الكامل والسن والعنوان والعمل .. وما تقولين في هذه الجريمة التي شاهدتيها ؟

فبعد أن ذكرت المعلومات الأولية قالت : كما قال الدكتور خضر .. أنا حائرة في أحداث هذه المصيبة !.. ومن هو المستفيد منها ؟ ..فالدكتور ليس له إلا أخ واحد في فنزويلا منذ سنوات طويلة .. وهو طبيب اسمه جلال ، ولهم أخت كما أذكر أيضا في إحدى بلدان أمريكا اللاتينية قد تكون فنزويلا متزوجة من صديق للطبيب جلال .. وكلهم يملكون من المال الكثير .. ووالد الدكتور مدرس متقاعد قديما ..وهو معتل الصحة .. وللحق أقول إنه لا يحب ولده جميلا كثيرا لأسباب أجهلها .. ولكن يشعر بها المرء من برود العلاقة بين الرجلين .. ولقد كان الأب يسكن وحيدا ؛ ولكن لما كثرت عليه أمراض الشيخوخة أسكنه جميل في قصره ، وكلف خادمة وهي سعدى على رعايته .. وأما صدقي فماذا يكسب من موت سيده ؟ لست أدري ماذا يستفيد؟ .. بل سيفقد عمله ، وله ولد متزوج وهو يعيله أكثر راتبه .. فهو بحاجة للعمل في كنف الدكتور .. المال قد لا يكون دافع هذه الجريمة.

ـ قد يكون أحدهم حرضه فالطمع يؤدي لكثير من الجرائم.

ـ الله أعلم .. وهذه مهمتك يا سيدي .. ومرة أخرى أقول أن الدكتور خالدا الذي أعرفه جيدا لا أعتقد أن غضبه وكرهه للدكتور جميل يدفعه لسفك دمه .. وأنا تحت خدمة العدالة في أي وقت .. وهذه ـ وأخرجت بطاقة تعريفية ـ أرقام هواتف البيت والعيادة.

وشكرهم الرائد عوني بصارة على حسن تعاونهم ، وسمح لهم بالانصراف وهو يقول : أرجو ألا تبخلوا علينا بأي ملاحظة أو حركة أو همسة حدثت مساء يوم الاثنين .. قد تكون معلومة تافهة ؛ ولكنها تساعدنا على حل غموض كبير.

ـ ولا يهمك سيدي الرائد .. نحن متشوقون حقيقة لمعرفة المجرم الأثيم.

صافحهم الرائد وهو يقول : رافقتكم السلامة.



الفصل الرابع

بعد أن اجتمع عوني المحقق مع مدير الأمن العام ، وحدثه عن الجريمة والمعلومات المتوفرة بين يديه ، غادره متوجها إلى موقع شركة الحماية الخاصة التي يديرها لواء متقاعد من المباحث " نهري بريش " ، فاستقبله المدير استقبالا حسنا ، وقال : أهلا بالرائد عوني بصارة أعلمني مديرك أنك المكلف بالتحقيق الآن في هذه القضية ؟

ـ أجل ، يا سيدي .. وأعلمني المدير أن حضرة الدكتور جميل كان على وشك أن يوقع على عقد حماية معكم ..هل ـ يا سيدي ـ حدثك بشيء يمكن أن يساعد على كشف غموض هذه الجريمة؟!

تمهل اللواء نهري قبل الإجابة ثم قال : الأشخاص المتواجدون على مسرح الجريمة هل ثبتت براءتهم ؟

ـ نحن لم نتهم ، ولم نبرئ ، الأمر غامض جدا .. فما زلنا نتحرى عنهم ، فمع وجودهم على مسرح الحدث فلا دليل يدل الآن على ارتكاب أحدهم للجريمة .. لأن الدافع للجريمة ما زال مجهولا .. وأقوى الشبهات تحوم حول الخادم .. خادم الدكتور ولكن السبب ، لا يوجد لديه سبب يدفعه إلى القتل.. وليس هو بالذكاء الذي يخطط لمثل هكذا جريمة .. بل مصلحته الآن في بقاء سيده حيا .. وإذا خطط له ، ودفع له مال مغري.. فمن هو المخطط والدافع له ؟ .. لحساب من يقتل ؟ هذا ما زال مجهولا .. وأنت يا سيدي ما عندك ؟

ـ قبل سفر الدكتور الأخير اتصل بي .. فأنا أعرفه منذ كنت في الخدمة الشرطية.. ثم التقينا .. وأخبرني أنه يرغب بحارس شخصي له .. ويريده حارسا محترما ليس كحارس مصنع أو مؤسسة.. وهمس لي بأنه بدأ يحس بخطر مجهول على حياته ؛ ولكنه لم يحدد لي نوع الخطر .. وهذا النوع من الحراسة غير متوفر لدينا .. الحراسة الشخصية .. ثم أجلنا الموضوع ريثما يرجع من سفره .. ولما رجع صباح أمس كلمني صباحا في الموضوع .. ثم تكلمت معه بعد الظهر..

قال عوني : عفوا يا سيدي هل اتصلت به بعد السادسة مساء ؟

ـ الحق أنني تكلمت معه مرتين ، مرة بعد الظهر في مكتبه في المركز ، والثانية بعد السادسة على ما أذكر.

فقال عوني : الخادم صدقي عمران يقول إنه أدخل له القهوة بعد السادسة فوجده يتكلم بالهاتف ، فلما دخل صدقي عمران كان قد أنهى المكالمة وبعد دقائق رن الهاتف مرة أخرى فرفع السماعة وقد صرف الخادم .. فهل تذكر يا سيدي كم كانت الساعة بالضبط عندما اتصلت به ؟

ـ بالضبط لا أذكر .. أما أكيد بعد السادسة وقبل السادسة والنصف ، وكان حديثنا في المرتين حول استئجار حارس أجنبي من فرنسا أو أمريكا .. ولكنه أبى ذلك وقال إنه يرغب بحارس عربي ممن خدم مع القادة والأمراء والشخصيات الرسمية الكبرى ، ثم وعدته أن أحقق رغبته في أقرب وقت وانقطع الاتصال.. ولكنه كما بدا لي أثناء حديثنا في هذا الموضوع أنه يعاني من خوف شديد ؛ ولكنه لم يفصح بذلك صراحة ..ولم يفصح أيضا بشيء يساعدك في كشف غموض هذه الجريمة.

ـ حتى سكرتيره الدكتور فرج حسيب قد علم برغبته باستئجار حارس خصوصي ، ولكنه كان يظن أن ذلك من باب المحاكاة والتقليد لرجال الأعمال الكبار .. وأنا لما أخبرني المدير العام للأمن ظننت أن أعود من عندكم بكم هائل من المعلومات يا سيدي الفاضل.

ابتسم اللواء المتقاعد نهري قائلا : آسف آسف.. أنا لم أقل للمدير إلا أن الرجل كان يحس بخطر مجهول دفعه للبحث عن حارس خاص .. وأنا طلبت لقاءك لأمر آخر..

فضحك الرائد عوني وقال : خير ـ إن شاء الله ـ خير

ـ خير بالتأكيد .. نحن يا سيدي الرائد .. كما تعلم شركة أمنية خاصة .. مهمتها الرئيسية توفير الحراس ورجال الأمن المدنيين للمؤسسات والشركات الكبرى.. وعندنا أيضا مكتب خاص للتحقيقات الجنائية والتحريات الخاصة .. وممن يستفيد من خدماته شركات التامين

المختلفة الصور .. والدكتور جميل كان بينه وبين شركة التأمين " الأمان الوطنية للتأمين" عقد تأمين على الحياة بمبلغ كبير يزيد عن مائة ألف دولار أمريكي .. وهذا المبلغ أصبح الآن من حق الورثة .. وهم أبوه وأخته وأخوه .. فلما علم مدير شركة التأمين بمصرع الدكتور جميل اتصل بي وكلفنا بمهمة البحث عن القتلة أو القاتل .. وأنا بدوري اتصلت مع المدير العام للأمن وأطلعته على الأمر.. وقلت له : بدل أن تتبعثر جهودنا في التحريات ، فليكن هناك تعاون بين الضابط المكلف بمتابعة الجريمة والتحري من عندنا وهو من زملائك القدماء .. بالطبع التحقيق بالأمور المشتركة التي تخص الجريمة ، وليست من اختصاص الدائرة .. بمعنى آخر تسمح له بمعاينة مسرح الجريمة ، والاطلاع على تقرير الطب الشرعي ، ومحاورة أصدقاء الدكتور .. تعاون من أجل الوصول للجاني .. فهذا السبب الأهم للاتصال بك يا حضرة الرائد.

فكر عوني وقال : جميل هذا.. المدير العام على علم بذلك ؟

ـ نعم .. والهدف الوصول للجاني الأثيم..

ـ من هو الضابط المكلف بالبحث عندكم في هذه الجريمة ؟

ـ عقيد شرطي متقاعد.

وضغط المدير على جرس أمامه فردت السكرتيرة قائلة : نعم ، يا سيدي

فقال نهري : أين أبو خالد؟

ـ خرج في مشوار إلى البقالة..

ـ حسنا .. أرسلي لي أبا أسماء الأستاذ جرير خالص.

ـ أمرك . وأغلقت الباب وراءها ، وبعد دقائق كان جرير خالص في مكتب المدير نهري وبعد تعارف بينه وبين الرائد عوني قال عوني : يا مرحبا بك سيد جرير .. لابد أن يكون لديك فكرة عن الجريمة.

فرد المحقق الخاص في شركة الحماية الخاصة : لقد قرأت كل ما كتبته الصحف الصادرة صباح

هذا اليوم .. ولكن يسرني أن أسمع من الزميل الفاضل عوني.

فقص الرائد عوني القصة ، كما علمها منذ اتصال المحامي وليد بكرز ولغاية التحقيق مع الأشخاص الذين كانوا على مسرح الجريمة وختم أقواله قائلا : وسأسمح لك بالتأكيد الاطلاع على محاضر الاستماع للشهود..

فأبدى جرير شكره ، وطلب من عوني الإذن له بزيارة غرفة الجريمة فقال عوني : هل تحب أن تذهب وحدك أم أرافقك ؟

ـ مرافقتك أفضل .. حتى نسمع ملاحظاتك .. إذن نلتقي في الرابعة مساء في شارع النهر العظيم حي الشجرة أمام فيلا المغدور الدكتور جميل أسعد عازلي.

فكر عوني قليلا ثم أجاب : جيد يكون الأهل قد انتهوا من دفن الجثمان.

ـ متى تسمح لنا بقراءة تقرير الطب التشريحي للجثة ؟

ـ الليلة أيضا ..والآن اسمحوا لي بالانصراف.

فقام اللواء المتقاعد نهري ، وكذلك العقيد المتقاعد جرير يصافحان الرائد ويشكرانه على تعاونه ، فقال المدير بعد ذلك : لا بأس أن تتحدث مع مديرك في الأمر حتى يطمئن قلبك نحونا . وضحك الجميع.

وقال عوني : العفو .. أيها السادة .. ما دام المدير أرسلني إليك ؛ فإنه موافق على تعاوننا ، والغاية كما أشرت سابقا واحدة وهي تحقيق العدالة والوصول للجاني والجناة وتقديمهم للقضاة .. ولحتى الآن لا يوجد أسرار في القضية .. جريمة في وضح النهار تقريبا وبأعصاب باردة.

فقال جرير معلقا : يبدو مما حدثتنا به أنها جريمة محبوكة ، ولكن لابد أن نجد ثغرة ننفذ منها فمهما أوتى القاتل من ذكاء وفطنة فرجال الأمن والبوليس أعطوا من هذا الذكاء والدهاء.

وشكرهم عوني بدوره مجددا ، وعاد لدائرته وتحدث مع مديره وسأله عن مدى تعاونه مع شركة التحقيق ، فقال له المدير : أنت تقدر المناسب .. وأنت تعلم أن هذه الشركات رديف

لأجهزة الأمن والمباحث .. هم يبحثون عن القاتل لأجل شركة التأمين حتى تحاول التخلص من قيمة التأمين أو التقليل منها .. ونحن يهمنا الوصول للقاتل من أجل إقامة العدالة وأمان المجتمع يا سيدي الرائد.

عاين الشرطي السابق جرير خالص مكتب الدكتور جميل الكائن في بيته، وتحدث مع الخادم صدقي عمران ، ثم غادرا المكان هو والرائد عوني حيث الأقارب والأصدقاء مشغولون للذهاب بالميت للمدافن حيث يوارونه الثرى بعد أن سمحت لهم الشرطة بنقل الجثة من المشرحة ، فقال جرير وهم يقتربان من سيارتيهما : ما رأيك بأن نلتقي غدا في مكاتب المؤسسة نسمع أقوال الموظفين والفراشين قد نجد شيئا هناك ؟

ـ كنت أفكر بذلك.. التاسعة صباحا نلتقي أمام العمارة .. ألا تريد زيارة المركز الأمني للاطلاع على بعض التقارير والتحقيقات ؟.

ـ سأفعل الليلة .. سوف أمر على مكتبك يا سيدي الرائد.

ـ أنا في انتظارك حتى الثامنة ليلا.

ـ أشكرك يا أخي .. قد أعود إلى هنا لأتحدث مع الخادم وأقدم العزاء للوالد.

ـ افعل ما تراه مناسبا .. نلتقي ليلا.

وصافحه ودخل سيارته ، وانطلق بها نحو مركز عمله ، وأما جرير فجلس في سيارته قليلا ثم قال لنفسه : لماذا لا أذهب معهم إلى المدفن لعلي أسمع شيئا ؟

بعد قليل تحركت السيارات في موكب جنائزي حزين حيث تتم إجراءات الدفن، لم يكن في رفقة الجنازة سيارات كثيرة .. موظفو المؤسسة وعلى رأسهم السكرتير فرج حسيب ، والدكتور خضر، والمحامي وليد ، وبعض الأقارب ، وبعض أصدقاء الدكتور ، وبعض أنسبائهم ، وأما الوالد أسعد فلم يسير معهم ولا الخادم صدقي ، وكان مع الجنازة رجل أجنبي أدهش وجوده جرير فسأل عنه فقيل له " هذا الدكتور الفرنسي شارل برس " ، وعلم من بعض موظفي المركز أنه الدكتور الذي كان ينتظره على العشاء ، وعلم منه أنه كان قد

وصل البلاد في الصباح صباح الاثنين من باريس ، وهم كانوا ينتظرون طائرته في الليل ، وهذا أدهش جريرا بالطبع ، فلذلك لما التقى بعوني وحدثه عن ظهور شارل برس على المسرح ، وأنه كان في العاصمة من الصباح ، والجماعة ينتظرون مجيئه في المساء ، تفاجأ عوني من ذلك فدهش وقال متعجبا : لابد من مقابلته .. لماذا لم يتصل بالدكتور جميل يخبره بوصوله ؟! .. أم لم يعلم بوصول جميل ؟

ـ لا تنسى أن الدكتور كان موعده ليلا .. قد لا يعلم فعلا بوصول جميل للبلد صباحا أيضا.

ـ كان لابد أن يتصل بالمكتب في المركز أو ببيت الدكتور .. تصرفات غريبة .. الدكتور أرسل سكرتيره للمطار يسأل عنه في طائرة فرنسا السابعة ليلا ..نحتاج لمزيد من التحريات لجلاء غموض هذا الرجل ...فعمران والضيوف كانوا ينتظرون مجيء الرجل من المطار بصحبة فرج للعشاء سوية على مائدة الدكتور جميل.

ـ ما رأيك بالذهاب إلى الفندق الذي ينزل فيه شارل برس ونسمع منه قبل أن يغادر البلد ؟

فقال عوني وهو يفكر في الأمر : ولكنه من الرعايا الفرنسيس قد يحتاج الأمر إلى مخاطبة السفارة الفرنسية.

ـ ليس هناك تحقيق رسمي ، إنما هي دردشة عادية ، فلا تحتاج لمحضر ولا لسفارة.

ـ ألا تريد الاطلاع على محاضر التحقيق ؟

ـ تؤجل .. لا عليك .. المعلومات التي سمعتها منك تؤدي الغرض .. هيا.

وغادرا المركز الأمني إلى حيث ينزل الدكتور شارل في الفندق الكبير، وبعد اتصالات يسيرة كانوا يجلسون في صالة من صالات الفندق مع الدكتور العجوز شارل برس ، وبعد تعارف مناسب بينهم كان الحديث يجري بينهم باللغة البريطانية التي يحسنها الرجلان ، وكذلك العالم الفرنسي فقال عوني : أنا يا سيدي الدكتور الضابط المكلف في البحث عن مرتكب جريمة قتل صاحبك وصديقك الدكتور جميل أسعد .. ولقد علمنا أنكم ليلة أمس كنتم على موعد.

فرد شارل ببطء : نحن نعرف بعضنا البعض ولسنا أصدقاء .. تعرفت عليه منذ سنوات.. قد

التقينا في بعض المؤتمرات وصار بيننا تعارف ومجاملات .. وقبل أيام التقيت به في باريس في مؤتمر علمي .. وأخبرته برغبتي بزيارة بلده ، فرحب بي وواعدني اللقاء مساء يوم الاثنين العاشر من إبريل ، وكنت فعلا قد حجزت على الطائرة الفرنسية مساء الأحد ، ولكن الشركة اعتذرت لي مساء الأحد أخبروني بإمكاني السفر صباح الاثنين أو مسائه ، فاخترت المساء ، وأخبرت الدكتور جميل بذلك فقال: سيكون أحد أفراد المركز في استقبالك وإحضارك للعشاء معي في البيت ، ولكن بعد حين عادت الشركة التي حجزت لي وألغت حجز المساء ، وأبلغوني أنه يمكنني السفر برحلة الظهر ، فوافقت وأنا قادم إلى هنا بدعوة علمية من جامعة العلوم الجيولوجية ، وقد حجزت لي الجامعة في هذا الفندق.

فقال جرير : يا سيادة الدكتور .. أنت تعلم أن الدكتور جميلا عائد من روما صباح الاثنين.

ـ لا أعلم .. أيها الضابط .. أنا أعلم أن الدكتور سيرسل سكرتيره فرجا في المساء لينتظر قدومي في السابعة مساء ؛ لذلك اتصلت في السادسة والربع في مكتب جميل فقيل لي إنه غادر منذ ساعات للبيت وإن المؤسسة قد أغلقت وانصرف العاملون .. فاتصلت بمنزل الدكتور فلم يرد عليّ أحد..

فقال عوني مفكرا : لطفا .. متى كان الاتصال ؟

ـ بعد السادسة والربع عندما تكلمت مع مركز العمل ولم أجده .. حاولت الاتصال برقم آخر أعطانيه الدكتور.

ـ هل يمكننا الاطلاع على هذه الأرقام ؟

ـ إنها في الغرفة.

فقال جرير : إذا كان رقمه الخاص ـ الهاتف المستقل ـ فهذا يدل على أن مقتله كان بعد السادسة والربع وقبل السادسة والنصف .. هل لديك شيء يمكن أن يساعدنا في تحرياتنا يا سعادة الدكتور ؟

ـ ليس عندي شيء أقوله.

قال جرير : كم ستمكث هنا يا سيدي ؟

ـ أسبوع من أمس.

ـ أتسمح لنا إذا احتجنا شيئا أن نتصل بك ؟

ـ في المساء بعد العاشرة ليلا.

ـ شكرا سيد شارل برس.

وصافحوا الدكتور شارل مودعين وهم في حيرة جديدة ، وفي أثناء الطريق قال جرير : رائد عوني.. نحن بحاجة لمعلومات كثيرة وغزيرة عن حياة الدكتور جميل ، ولادته حياته علاقاته الخارجية نحتاج لملف سيرة ذاتية .. غدا ـ إن شاء الله ـ نلتقي في مكاتب مؤسسة الدكتور جميل العلمية.



الفصل الخامس

صباح يوم الأربعاء التقى المحققان أمام مركز الأبحاث العلمية والصناعية وبعد التحية صعدا إلى الطابق الثاني حيث مكاتب المركز ، ولما علم الدكتور فرج بحضورهم هرع إليهم مسرعا ومرحبا، وقادهم إلى مكتبه وبعدما شربوا القهوة استأذنوا السكرتير بالدخول لمكتب الدكتور جميل والحديث مع الموظفين ، فأخذهم أبو سالم إلى مكتب الدكتور ، وهناك أخذا يتطلعان على أثاث المكتب ورفوف الملفات، وفتحوا جوارير المكتب يتطلعون فيها ، وقال جرير لأبي سالم : يا أبا سالم كيف حالك ؟

فرد بعجلة وقلق : بخير يا سيدي؟

ـ مالك خائف ؟

فقال باضطراب ونافيا الخوف : أأنا خائف؟! .. لست خائفا يا سيدي .. ولكني حزين لمقتل الدكتور .. لقد كان رجلا لطيفا معي، بل مع كل العاملين معه.

فتدخل عوني قائلا : أخ أبو سالم هل تعرف أعداء للدكتور ؟؟

فرد : لا ، يا سيدي .. الدكتور رجل حسن الأخلاق.. لا أظن أن له أعداء في الدنيا.

جرير : كيف كانت علاقة الدكتور جميل الطيب مع الموظفين ومعك .. ومع السكرتير فرج .. مع الآنسة ريما..

فقال أبو سالم : قلت لكم أيها السادة ..إنه لطيف المعشر حلو اللسان.

فقال : هل تعرف الدكتور خالد الضبرة ؟

سكت الفراش قليلا وقال : نعم ، أعرفه لقد تردد كثيرا على هذا المكتب.

أخرج الرائد عوني المسدس الذي ارتكبت به الجريمة ، ووضعه أمام الفراش أبي سالم على المكتب وقال : أبا سالم .. هذا المسدس هل رأيته قبل الآن ؟

فرد الرجل بتردد واضح : نعم، إنه مسدس الدكتور جميل .. كان يضعه في الدرج الأول من المكتب الذي تجلس عليه.

قال عوني بدهشة : ماذا؟!

ـ أجل، يا سيدي .. واقترب من درج المكتب وفتحه ، وقال مؤكدا كلامه عن المسدس : كان يضعه ـ وأشار للدرج المفتوح ـ هنا يا سيدي .. ولما حدثنا عنه الأستاذ فرج وجدنا أن المسدس قد اختفى من درج المكتب.

فقال جرير : أخبركم فرج بذلك .. ولماذا يخبركم ؟

ـ سألنا هل رأى أحد منكم رجلا أو امرأه قد أخذ المسدس من الجرار .. يبدو أن الدكتور قتل بمسدسه الذي كان يحتفظ به في المكتب ؟ بالطبع لم يشاهد أحد منا من أخذ المسدس؟

فقال عوني : بحثتم عن المسدس المختفي ؟

ـ بحثنا في المكتب ثم ترجح لدينا أنه هو المسدس الذي كان مع المجرم.

فقال جرير : من يدخل مكتب الدكتور غيرك يا أبا سالم ؟

ـ زوار الدكتور .. ومن يطلبه من الموظفين العاملين هنا.

ـ يوم الاثنين عندما قدم الدكتور من سفره ..هل شاهدت السلاح وأنت تنظف المكتب ؟

ـ لا أذكر يا سيدي .. لأنني لم أفتح الجرار .. ومفاتيح الجرار مع الدكتور .. ومن النادر أن يتركه الدكتور مفتوحا .. ومفاتيحه موجودة هنا على ذلك الرف لا يأخذها الدكتور للبيت ؛ لأننا قد نحتاج شيئا منه أثناء غيابه من سفر وغيره.

فقال عوني : لا بأس .. شكرا لك يا أبا سالم الطيب .. خذنا إلى مكتب السكرتيرة ريما حسان.

فسار بهم إلى مكتب السكرتيرة ريما حسان التي كانت في انتظارهم على وجل وقلق ، فرحبت بهم وقالت باضطراب باد في صوتها وحركاتها : أرغب بمساعدتكم أيها السادة..

أخذا بالتطلع إلى المكتب الأنيق، وقلب جرير الأوراق والملفات الملقاة على المكتب ، وكان عوني يقف عند خزانة الملفات وسمع رفيقه يقول : ألا يوجد عندك أي معلومة تفيدنا في البحث عن الجاني يا آنسة ؟؟

فقالت وهي ما زالت تنظر إليهم بتوتر ملحوظ : صدقوني .. لا أعرف شيئا .. إلا أن الدكتور

جميلا قد تشاجر مع والده قبل سفره الأخير بأيام ..وهدده بالقتل أمامنا في المركز .. ولا أدري هل يمكن لوالد مريض أن يقتل ابنه ؟!

صمت المحققان ردحا من الوقت ثم قال جرير : هذه معلومة جديدة .. ولكن من دفعك للتصريح بها ؟

فقالت بسرعة : لا أحد .. ولكن من متابعتي للصحف وقع في خلدي ذلك .. قلت فلربما فقد الرجل الكبير المريض أعصابه وفعلها.

التفت عوني لأبي سالم وقال : هل سمعت بهذا الشجار؟

قال أبو سالم وهو ينظر للسكرتيرة بغضب خفيف : الحق يا سيدي .. أن هذا حدث ؛ ولكن لا أعتقد أنه يصل للقتل ..كان الأستاذ الفاضل أبو جميل غاضبا من ولده ذاك اليوم .. ويبدو أنهما تشاجرا داخل المكتب لأمر بينهم ، وخرج الأب مغضبا وتبعه ابنه وارتفع صياحهما على بعض ، وقبل أن ينصرف الأب سمعه العمال يقول : "آخرتك أن تموت على يدي يا لعين " وركب المصعد ونزل ، وعاد جميل لمكتبه بعد أن طلب مني قهوة ، وأغلق باب المكتب على نفسه بقوة.

فقال عوني : هذا كلام خطير! .. لم يحدثنا به فرج .. الفضل للآنسة ريما .. ألم تعرفا أسباب هذا الشجار ولو كلمة؟

ردت الآنسة وقد بدت مزهوة بتعاونها مع الشرطة : أنا لا .. إنما سمعت التهديد ، ولما سمعت بالجريمة أحببت أن أقول ذلك ليرتاح ضميري.

فقال عوني : أحسنت أيتها الآنسة ! .. فأرجو غدا أن تحضري لمركز أمن حي الشجرة لأخذ أقوالك بمحضر رسمي .. وأنت يا أبا سالم لو تشرفت معها .. لا تخافا كلنا يخدم العدالة .. خذنا إلى السائقين.

وتحدث الضابطان مع السائق عماد أحمد سائق الدكتور الخاص ، ولم يخرجا منه بأي معلومة سوى أنه أكد قصة الشجار بين الأب وابنه قبل السفر الأخير للدكتور جميل إلى أوروبا ،

وتكلموا مع السائق الآخر الذي ينقل الموظفين من منازلهم إلى المركز ، والتقوا بموظفي المحاسبة والكمبيوتر والصيانة ، ثم رجعوا مرة أخرى لمكتب الدكتور فرج ، فطلب لهم شايا وقال لهم : أرجو أن تكونوا قد استفدتم من لقاء الأخوة الزملاء.

فقال جرير : بالتأكيد استفدنا .. كلهم متوترون يرددون نفس العبارات عن محاسن الدكتور جميل.

فقال عوني : دكتور فرج .. هل سمعت بالشجار الذي حصل في المركز بين الوالد أسعد عازلي وولده جميل عازلي ؟

فقال وهو يتظاهر بالبراءة مما جرى في المركز : كنت أود من العاملين المحترمين الصمت عن هذا الشجار .. فهل يعقل أن يقتل الوالد الطيب ولده ؟! إنما هو تهديد في ساعة غضب وضيق لذلك ما رأيناه يهجر منزل ابنه غضبا ؟

ـ سيدي الفاضل .. ألا تعلم ما سبب الشجار بينهما ؟

ـ للأسف لا أدري .. ولا يمكن سؤال الدكتور عن ذلك .. ولم يتحدث الدكتور لي ولا أتصور لغيري عن سبب ذلك .. لعل السيد صدقي عمران يفيدكم بشيء من ذلك.

فقال جرير : عزيزي الدكتور.. لماذا أخبرت الموظفين عن سرقة مسدس الدكتور؟! وأنه هو المسدس الذي ارتكبت به الجريمة ؛ ربما يكون مسدس الحادث شبيها به.

حدق السكرتير فرج في عيني جرير قليلا ثم قال : حقيقة أنا لديّ الرغبة بمساعدتكم للانتهاء من هذه القضية سريعا .. فأنا لما رأيت المسدس على مكتب الدكتور يوم الجريمة .. وأكد لي الرائد عوني أنه هو فعلا أداة القتل .. ونحن نعرف أن الدكتور يضع هذا المسدس في جرار المكتب.. فلما تأكد أبو سالم من عدم وجوده في المكتب ..حاولت أن أعرف لعل أحدهم شاهد من أخذه .. فهذا يسهل عليكم عملية البحث .. ولكن للأسف مرة أخرى ادعى الزملاء أنهم لم يروا أحدا يختلسه من المكتب .. وللعلم أعتقد أن كل الموظفين يعلمون أن الدكتور يخفي مسدسه المرخص بالتأكيد في درج المكتب .. وقد يكون الدكتور هو الذي أخذه للبيت .. لولا

حالة الدكتور النفسية الطيبة لقلت إن في الأمر انتحارا!

فقالا بتعجب : انتحار!!

- ربما!

قال عوني : تقرير الطب الشرعي يقول غير ذلك.

وقال جرير : ولو انتحر لكتب رسالة .. ولسمعتم صوت الرصاص أقصد الذين كانوا في الحديقة أو فوق كصدقي .. على كل هذا الاحتمال وارد ، وإن كان حدوثه بعيدا.

فقال عوني وقد انتهيا من شرب الشاي وقاما : شكرا لك دكتور فرج وللموظفين، طلبنا من بعضهم المرور علينا في القسم لأخذ أقوالهم بشكل رسمي حول المشاجرة فأرسلهم لنا غدا صباحا .. السلام عليكم.

وانصرف الضابطان إلى دائرة الأمن في حي الشجرة ، وفي مكتب عوني جلس جرير يرشف الشاي، ويقرأ محاضر التحقيق وأقوال الشهود الأربعة، وبعد نصف ساعة قال له عوني :علينا أن نسمع أقوال الدكتور خالد الضبرة .. وأقوال الوالد .. ونعرف منه أسباب تهديد لولده .. فإخواننا في المركز سمعوا التهديد ، ولم يسمعوا بداية المشاجرة .. والآن بعدما قرأت أقوال الأخوة الشهود ما عندك من تعليق ؟

فقال جرير وهو يفكر بعمق : القاتل معروف جدا للدكتور مائة بالمائة.

- كيف ذلك؟!

- أولا هو يعرف أن جميلا يضع مسدسا في درج مكتبه ، وأبو سالم لا يذكر أو لا يتذكر آخر مرة شاهد فيه المسدس ..وقد نستطيع معرفة ذلك ببضع أسئلة له وضغط أن يتذكر ، وثانيا القاتل دخل مكتب جميل واقترب منه ووضع فوهة المسدس قرب صدره وأطلق النار بحيث لم تحدث الطلقات صوتا عاليا أو كان يضع كاتما للصوت ثم أخذه معه ..فالطبيب يثبت وجود حرق في فتحة الدخول والشعر القريب من الفتحة .. ووجود سواد عند فتحات الرصاص ، ويوجد نمش بارودي حول الجرح ..فهذه علامات تدل على قرب الإطلاق ..لا

يزيد عن عشر سنتيمترات.

فقال عوني :قد يكون شخص اختبأ بالمكتب أثناء جلوسهم في الحديقة ، ولما أحضر المدعو صدقي القهوة ، وخرج ظهر وارتكب جريمته.

ـ ممكن ؛ ولكنه شخص يعرف البيت والمكتب ، ويملك مفاتيح المكتب على الأقل ، ويعرف مسدس جميل .. ولكن الغريب كيف يعرف مسدسه؟ وكيف حصل عليه ؟ .. ولو كان شخصا غريبا عن جميل لأطلق النار عن بعد ولم يلتصق به .. الصدفة في جريمة كهذه الجريمة لا مكان لها يا عوني.

ـ ربما طلب منه التوقيع على ورقة أو شيك ، فرفض فهدده بالمسدس ورفض جميل ثانية فأرداه قتيلا.

ـ لكن تقاريركم لا تشير إلى وجود عراك بين الجاني والمجني عليه ، بل الغدر تم بسرعة وعجلة.. والقاتل يعرف المكان جيدا ، فانسل بخفة الغزال .. وهو يملك مفاتيح للمكتب فأغلقه بعد جريمته.

فقال عوني وهو يتذكر مشهد الجثة : الحق أن وجه الضحية كانت تعابيره توحي بالمفاجأة والاستغراب رغم بعض الدماء الملطخ بها الوجه .. ولكن لو كان أسعد الفاعل كيف حصل على مسدس جميل بالذات ؟ وكيف لم يره صدقي أو الخادمة ؟ ولو كان صدقي الخادم هو الفاعل فكيف أتى بالمسدس من المركز ؟ .. ولو كان القتل في لحظة انفعال حاد لسمع صوت الرصاص في الفيلا .. فالقاتل لابد أنه استعمل كاتم الصوت فهي يا صاحبي جريمة مدبرة ومرسومة بإحكام قبل عودة الدكتور من سفره .. وتحركاته الأخيرة من طلب الحماية من شركتكم تدل على أن هناك خطرا معروفا له ؛ ولكنه لم يكن يظنه بهذه السرعة .. ولا أعتقد أن المربي القديم الأستاذ أسعد يدبر ويخطط لقتل ولده رغم الكلمات التي قالها يوم الوفاة عندما بلغه الخبر قال "يا ليته لم يمت هذه الميتة " .. تمنى لو أنه لم يمت قتلا .. إنه يعرف شيئا.

فقال جرير : ملاحظتك جيدة ، والدكتور شرب القهوة بعد السادسة مساء ، وعرفنا أنه

تحدث أو تحدث معه قبل دخول صدقي بها ..وعند دخوله انتهت المكالمة ، ثم رن الهاتف ، فصرف الخادم وتحدث مع شخص ما.

ـ الراجح أن يكون السيد نهري.

ـ قد تكون الأولى مع نهري ، وقد تكون الثانية .. والدكتور شارل ذكر لنا أنه اتصل قبل السادسة والنصف ، ولم يرد عليه جميل ، كان يسمع رنين الجرس ، فإذن كان صاحبنا مقتولا.

فقال عوني : قد تكون اتصالات أخرى جرت لم يرقبها الخادم .. وأنا طلبت من رجالنا تقرير حول المكالمات من الساعة الخامسة والنصف حتى الثامنة والنصف.

قال جرير : موضوع المكالمات قد لا يفيدنا كثيرا إلا في تحديد وقت الجريمة بالضبط ، وهو محصور كما تعلم بين السادسة والسادسة والنصف ..وهذا يؤكده تقرير الطب الشرعي فالأشخاص الأربعة في هذه الفترة كانوا في الحديقة فإذا اتصل شارل على الخط الخاص قبل السادسة فلم يرد عليه الدكتور جميل لأنه في الحديقة.. وإذا بعد السادسة وربع فيكون الرجل ميتا .. سنزور الفيلا مرة أخرى ونتحدث مع الخادم مرة أخرى ومع السيد أسعد عازلي.

ـ السيارة التي أشار لها فرج عندما خرج من الفيلا متجها للمطار.. السيارة التي تقل شخصا أجنبيا أترى أن لها علاقة في الجريمة ؟ .. وجميل كل علاقاته مع الأجانب .. وخوف جميل كما أرى من ملاحظات الأستاذ نهري تشير أن خوفه من الأجانب .. فهو يريد حارسا شخصيا عربيا ليطمئن من ناحيته.. فهذا يوحي بشيء .

ـ أنت ترى أن الخطر من الخارج .. ولماذا ؟ فالخارج هم الذين يدعمون ويمولون المركز.. فأعداء الدكتور من الداخل .. فهو وسيط بين العلماء هنا ومراكز البحث هناك ..وهذه السيارة الأجنبية كيف نصل لسائقها ؟ وليس لديك رقم لها .. وأنا مصر أن القاتل يعرف جميلا معرفة كبيرة .. ويعرف منزله معرفة جيدة علينا بالمزيد من التحريات الشخصية عن ضيوف الدكتور.

قال عوني والحيرة في معنى ألفاظه : أكيد .. والدكتور شارل الذي غير موعد رحلته من المساء

إلى الظهر ، ولم يتحدث مع جميل بذلك .. لو ترك خبرا مع حارس المركز .. لماذا تأخر في الاتصال ؟ بل هل حقا اتصل في منزل الدكتور ؟ ولم يرد عليه أحد.

قال جرير : اتصلت بالجامعة التي استدعت الدكتور شارل ، وتأكدت من دعوتهم له وحجزهم له ولغيره من ضيوف الجامعة في ذلك الفندق الكبير .. سأنصرف الآن وأراك غدا أيها الزميل أمام منزل جميل الساعة الحادية عشرة صباحا ..يلزم أن نسمع كلام السيد أسعد وعلى رجالك جمع المزيد من المعلومات عن صدقي ومعرفة ظروفه المالية وأحواله هذه الأيام ، وعن علاقاته مع هذا وذاك ..وكذلك مطلوب منا أن نعرف الدافع الحقيقي للآنسة ربما لمصارحتنا بمشاجرة أسعد وجميل مع أنها بدت لنا خائفة ، ولا تريد أن تقول شيئا ، ثم قالت أمرا خطيرا ومثيرا.

فعقب عوني على طلبات صاحبه :إنك رجل شرطة ماهر يا جرير فيسرني حقيقة التعاون معك ومع ذكائك..

ـ بوركت يا صديقي ، المهم عندما نصل للمجرم يحق لنا أن نثني على بعضنا البعض .. فأقوال السيد أسعد أخشى أن تقلب الجريمة رأسا على عقب .. ونبدأ من جديد.

ـ فعلا.. لماذا يهدد الوالد ابنه بالقتل علنا وهو يعيش في كنفه ورعايته ؟ .. بل له طبيب خاص على حساب ولده .. وكان الطبيب يوم الحادث قد زار المريض لتوعك صحته أثناء جلوس القوم في الحديقة.

ـ يبدو أن علاقة الرجل بولده باردة جدا .. فالطبيب يدخل ويعالج الأب والابن غير مكترث ولا يسأل عن ذلك.

قال عوني : هذا ما لاحظته يا سيدي.. من كلام الموظفين ، ومن كلام صدقي وحتى من ضيوف الدكتور .. بل قال ليلة مقتله عندما صعدت الدكتورة فريدة لتخبره بالواقع وتقوم باللازم إذا لزم فقال لها :" إنه بخير وتمنى لابنه أن لم يمت تلك الميتة .. هكذا قال للدكتورة كأنه يتوقع مقتل ولده"

ـ كلامه غريب ! وتصرفه غريب ! إننا بشوق لسماع أقواله.

ـ ولكن صحته قد لا تساعدنا.

ـ ولكن لابد من الحديث معه.

كان الرائد عوني نائما في بيته ليلة الخميس ، وبعد نصف الليل بثلاث ساعات جاءه هاتف من الضابط المناوب في مركز أمن شرطة حي الشجرة ، فنهض سريعا وارتدى ثيابه ، وأسرع إلى قصر الدكتور جميل ، فوجد أمام البيت عددا من سيارات البوليس ، وتقدم منه أحد الضباط وقال : نأسف لإزعاجك يا سيدي .. نعرف أنك عدت للبيت متأخرا ، ولم تأخذ حظك من النوم ..

فقطع عوني استرسال الضابط في الاعتذار فقال : لا بأس يا سيدي .. فهذا واجبنا ما الأمر؟!

ـ الأمر يا سيدي .. أن الخادم صدقي عمران اتصل بنا قبل ساعة في الثالثة إلا ربع ، وأخبرنا أن شخصا مجهولا كان في مكتب الدكتور جميل .. قال : كان والد الدكتور متعبا هذه الليلة ، أيقظت الخادمة سعدى حوالي الساعة الثانية فجرا صدقي عمران ليتصل بالطبيب .. فتردد الخادم في الاتصال بالطبيب ، وجلسوا في غرفة المريض يحاولان مساعدته وتصبيره حتى الصباح .. وأعطوه بعض الأدوية والمهدئات ، ولكن الألم لم يخف ، فترك الخادم الغرفة وذهب ليتصل بالطبيب واتصل فعلا .. وبينما هو يقف على نافذة مطلة على مدخل الفيلا ينتظر مجيء الطبيب شاهد شخصا يخرج من باب الفيلا متسللا .. فدهش وشاهده يركب سيارة تقف بعيدا عن باب الفيلا بضعة من الأمتار .. فاتصل بنا على الفور.

فقال : إنه خادم ذكي!

فرد الضابط : بالتأكيد يا سيدي .. فاتصلنا بك وسبقناك إلى هناك .. ووجدنا الطبيب قد حضر لمداواة الرجل المريض .. ولقد وجدنا المكتب مفتوحا ..فكأن اللص لما استيقظ أهل البيت على وجع السيد أسعد أحس وشعر بهم وبحركاتهم .. وخصوصا لما استعمل صدقي الهاتف هرب مسرعا ، ولم يغلق الباب خلفه ، ولكن لما عايننا المكتب ، فقد عجبنا ، فالمكتب لم

يتحرك شيء من مكانه .. وخطوات الرجل موجودة في المكتب وإن كانت واهية .. فعن ماذا كان يفتش الرجل ؟ .. فهذا ما لم نكتشفه بعد يا سيدي.

فقال عوني بعدما سمع التفاصيل : دعونا ندخل.. نحن سحبنا الحراسة، فقد غلب على ظنّنا أن الأمر انتهى .. فعل المجرم جريمته واختفى .. وهذا شيء جيد يحرك الجريمة !.. ولكن عن ماذا كان يبحث هذا اللص ؟ .. لابد أن شيئا مهما يبحثون عنه دفعهم للمجازفة بهذه السرعة.

أعاد الضابط إضاءة أنوار المكتب كلها ، وأخذ يتتبع الخطوات التي أشار لها الضابط المعاين كان اللص يتحرك في الغرفة إلى أكثر من اتجاه .. ثم أعاد التفتيش في رفوف الخزائن ، ويقلب في الملفات والكتب المرصوصة في بعض الرفوف بحذر.. وأعاد التحديق في المكتب ، وقام بفتح أدراجه ، وبعد نظر دقيق هنا وهناك لم يشعر بأن شخصا دخل المكان وقال لنفسه : ومن يؤكد كلام الخادم أنه رأى شخصا ما يخرج من الفيلا ؟!.. أليس مع الخادم مفتاح ؟ ولكن ما غاية هذا الخادم من اختلاق هذه القصة وهذا الكذب ؟؟ .. هل سعدى الخادمة لمحت شيئا فيريد هذا الخادم إخفاءه ؟؟ وإذا كان صادقا فماذا يريد القاتل أو اللص ؟ ..هذه الجريمة تزداد غموضا .. لابد من سماع أقوال هذا الوالد بأسرع وقت .. يا الله ساعة من الزمن نتمكن من أخذ أقواله ؛ لعلها تنير لنا الطريق إلى المجرم اللعين

هذا ما كان يفكر ويحدث عوني به نفسه ، وهو يتحرك يمينا وشمالا ، ثم اقترب من الخادم صدقي الذي يقف منكمشا على نفسه قرب الباب ، ووضع يده على كتفه بلطف وقال له : سيد صدقي .. هل رأت الخادمة اللص مثلك ؟

ـ لأ يا سيدي .. لقد كانت في غرفة السيد أسعد .. وأنا قمت بالاتصال بالطبيب ووقفت بجوار النافذة أراقب المدخل حتى أهبط وأفتح للدكتور عندما يصل .. وبينما أنظر للبوابة لمحت ظلا يسير نحو باب الفيلا مسرعا .. وفتح الباب وخرج وأنا أنظر إليه وكلي دهشة وحيرة ، ثم سمعت السيارة تتحرك وتبتعد.. ولما زال ذهولي اتصلت بكم .. وهرعت نازلا فوجدت المكتب مفتوحا فتركته وباب الفيلا الكبير مفتوحا.

ـ أتستطيع وصفه ؟

رد صدقي : أنا رأيته وهو يدير ظهره لي ، وشعرت به عندما اقترب من باب الفيلا الخارجي .. والإضاءة ليست قوية عند المدخل .. ولكن بدأ لي أنه رجل مثلنا ليس بالطويل ولا النحيف .. وكان يضع على رأسه قبعة ؛ وكأنه يلبس بدلة هذا ما ارتسم له في مخيلتي يا سيدي.

ـ صدقي هل تعلم أن هذا تطور مهم على مصرع الدكتور ؟

ـ والله يا سيدي نحن في حيرة !.. نرغب أكثر منكم بمعرفة الجاني .. لماذا قتل الدكتور لماذا ؟

ـ نريد أن نسمع أقوال السيد أسعد.. نريد وقتا قصيرا نتحدث معه نسمع أقواله ورأيه في هذه الحادثة .. لقد علمنا أنه قد تشاجر مع القتيل قبل سفره الأخير بأيام وهدده بالموت ؟!

فتريث صدقي قبل الإجابة ، ثم أجاب على استفهام الرائد قائلا : هذا يا سيدي الرائد ليس جديدا .. صراحة فعلاقة الرجلين متوترة وكثيرا ما سمعت السيد أسعد يشتم ولده ويهدده بالتدمير والموت .. ولكن هذا كلام في كلام.. فالرجل ضعيف ؛ بل ضعيف جدا.

ـ ألا تعرف أسباب هذا التوتر بينهما ؟؟

قال صدقي مستفسرا : لا أدري يا سيدي ! هل يحق لي الحديث عن ذلك ؟؟

ـ هذا يكون بسبب وقوع هذه الجريمة .. ولولا الحادثة ما طلبنا منك الإجابة .. وتأكد أن ما نسمعه ونكتبه يبقى سرا ، لا يطلع عليه أحد إلا اضطرارا لمجريات التحقيق ورجال القضاء إذا كان له أثر في القضية.

فعاد صدقي يقول : هو ليس سرا خطيرا لهذا الحد .. منذ تقاعد الوالد أسعد من سلك التعليم والمعارف قبل أكثر من عشر سنوات والأمور طبيعية وهادئة .. فكلٌ له حياته الخاصة .. فالوالد كان يسكن مع زوجته أم الدكتور في منزله القديم ..وكان جميل يتردد عليهما بين الفينة والأخرى ليطمئن على أحوالهما .. ولما ماتت الزوجة أم جميل منذ ست سنوات ، واشتداد الأسقام على الوالد أسكنه جميل في الفيلا لنقوم أنا وسعدى على رعايته ، والاهتمام به فوق واجباتنا الأخرى نحو شخص الدكتور جميل ، ومع أنهما يعيشان تحت سقف بيت واحد..

فكانت علاقتهما كما كانا بعيدين.. قد يكون ذلك بحكم العادة والإلف.. وقبل سنتين على الأقل أخذ جميل والده أسعد في إحدى رحلاته إلى أوروبا.. منها استجمام وراحة ، ومنها علاج .. فالوالد يعاني من متاعب في القلب والضغط في الدم .. وقبل سنة ونصف تقريبا عاد السيد أسعد من رحلة إلى أوروبا غاضبا جدا على ولده .. وبدا يتحدث عنه باحتقار.. ويكثر من لعنه .. ويتمنى موته .. ويدعو عليه بالهلاك ؛ ولكنه لم يحدثنا عن سبب هذا الانقلاب الجديد والعنيف على ابنه .. ولم يعودا يلتقيان أو يتحدثان معا إلا صدفة أو اضطرارا .. وكلما لقيه يقول بنبرة حادة : يا جميل .. هل انتهيت من هؤلاء الكفار؟ .. من هؤلاء الملاعين ؟

فيرد جميل بحدة : يا والدي .. أرجوك الزم حجرتك ، ولا تتدخل فيما لا يعنيك.

فيهدده الوالد بالموت والقتل وغير ذلك من ألفاظ الوعيد .. لماذا يفعل ذلك لا أحد يعرف ؟!

هذا ما أعلمه فقط.



الفصل السادس

لما ظهرت الشمس اتصل عوني برفيقه جرير في منزله باكرا ، ولم تمض نصف ساعة حتى كان التحري الخصوصي يستمع للرائد عوني في مكتب الدكتور جميل المنزلي عن الحادث الذي جرى قبل ساعات، وأحضر لهم الخادم قهوة الفجر، وكانت سيارات الشرطة قد انصرفت بعد استلام الرائد عوني الموضوع ، وقد أمر بإعادة الحراسة للفيلا والمكتب حتى ينتهي التحقيق في هذه الجريمة ، ولما انتهيا من شرب القهوة ، وظلا وحدهما في المكتب الفاره الجميل قال جرير : هل ترى أن هناك رابطا بين الحدثين ؟

ـ هل المجرم لم يتمكن من أخذ ما قتل من أجله الرجل يوم الجريمة؟

ـ أو أخذ شيئا ولم يكن هو المطلوب.

ـ لقد فتحت كل الملفات .. فلم أجد فيها شيئا مثيرا .. جداول إحصائيات .. فواتير حسابات بيانات جامعية .. أسماء مراكز علمية في الداخل والخارج وغير ذلك من الأوراق التي ربما تكشف غموض هذه الجريمة .. أسماء .. أرقام..

قال جرير : لقد وجدتم باب الفيلا والمكتب مفتوحين من غير عنف ؟

ـ تأكدت من ذلك ، فالبابان مفتوحان بمفاتيح أصلية أو مقلدة.

ـ كما اتفقنا وقررنا سابقا .. المجرم يعرف البيت من الداخل والخارج .. وها هو يثبت لنا أنه يملك مفاتيح الفيلا والمكتب.. ما هو الشيء الذي جعله يسرع بالعمل؟ .. فهو يعلم أن الحراسة رفعت عن الفيلا ، فهو يبحث عن شيء مهم من أجل ذلك خاطر بنفسه بهذه السرعة وهذا يدل على أنه لم يتمكن من أخذ ما يريد يوم ارتكابه الجريمة ، وهذا الشيء يستحق المخاطرة.

فقطع عوني حديث صاحبه: هذا إذا كانت قصة الرجل حقيقية ولم تكن مصطنعة

ـ أتشك في صدقي يا سيد عوني ؟

ـ ماذا يستفيد الخادم من مقتل مخدومه ؟.. وهل كان جميل يبحث عن حراسة خوفا من هذا

الخادم ؟.. أشعر بأن الأمر أكبر من ذلك ؟ جريمة جريئة من قلب قوي.. ولكن لهجة الرجل لا توحي بالكذب ..ولما سألت الخادمة قبل قليل أكدت أنها أيقظته ليتصل بالطبيب ، وبعد اتصاله فعلا بالطبيب أخذ يراقب الشارع ، وأثناء ذلك انصرف اللص واتصل بنا ، وكان قد صرخ : يا أم ماهر رجل يخرج من الفيلا ، ثم هبط مسرعا للمكتب فوجده مفتوحا ، وباب الفيلا مفتوحا ، ثم استقبل الطبيب وساقه لغرفة المريض.

فقال جرير مؤكدا خلاصة كلام عوني : علينا أن نفترض الصدق في كلامه حتى يثبت العكس ودع رجالك يسرعون في تحرياتهم عن أهله وأسرته وماضيه .. ومن المهم أن نعرف ماذا أراد اللص من هذه المغامرة السريعة ؟ .. أسئلة مهمة .. هل نسي الرجل يوم الجريمة شيئا فعاد لأخذه أم يبحث عن شيء معين ؟ ..رائد عوني علينا بطلب خبراء لتفكيك المكتب والمقاعد قطعة قطعة قد يكون فيها جيوب سرية .. أو لعلنا نجد خزانة سرية في جدران هذا المكتب .. أين صدقي لنسأله ؟

فنادى عوني الشرطي الذي يقف أمام باب المكتب وقال له : استدعي لنا صدقيا من فوق ؟

فقال الشرطي الحارس : إنه يجلس في القاعة هنا يا سيدي .

ـ فليدخل يا أحمد.

نادى الشرطي على صدقي الخادم الذي أتى مسرعا ، فأدخله على الرائد عوني بصارة وهو يهتف : نعم يا سيدي ؟!

نظر جرير في عيني الرجل وقال : يا صدقي .. أنت رجل طيب ومتعاون جدا مع العدالة ويهمك أن تعرف القاتل الرهيب..

ـ بالتأكيد يا سيدي .. كلي شغف لمعرفة هذا السفاح .. وأخذ يكيل الشتم والسب للمجرم ، وتركه الضابطان على سجيته حتى قال جرير : سيد صدقي.. هل في هذا المكتب خزائن سرية معدنية أو من نفس البناء ؟

فرد الخادم : يوجد خزانة سرية في غرفة نوم الدكتور أو قل مكتبه الصغير الثاني.

ـ هنا .. هنا في هذا المكتب ؟

ـ لا أدري ، لم أره يستعمل خزانة سرية هنا.

ـ الرجل المجهول الذي لمحته يخرج من باب الفيلا الخارجي ، هل كان بين يديه شيء أثناء هربه ؟

قال بعد تفكير قصير :الحق يا سيدي لم أنتبه ؛ لأنني فوجئت به يخرج من باب الفيلا بسرعة.

ـ الخزانة السرية الموجودة فوق من ركبها أو من أي شركة اشتراها يا صدقي ؟

قال صدقي : لا أدري يا سيدي .. فلما تعاقدت على الخدمة مع السيد جميل كانت موجودة.

فقال عوني : لابد أن اسم الشركة الصانعة أو الموردة مكتوب على نفس الخزانة.

فقال جرير : صدقت يا صاحبي .. هل مفاتيحها موجودة ؟

فقال صدقي : لابد أن مفاتيحها ضمن سلسلة المفاتيح التي يحملها الدكتور ، وقد علمت أنكم تحرزتم عليهن ..لأن الدكتور يضع تلك المفاتيح في جيب الجاكيت باستمرار.

فقال عوني : سنرسل وراءها.

واقترب من الهاتف واتصل مع دائرة البحث الجنائي ، وطلب المفاتيح وطلب منهم إرسال خبراء تفكيكك مكاتب وفتح خزائن معدنية وسرية وبحث عن خزائن سرية .

ولما انتهى من اتصالاته التفت إلى صدقي قائلا : شكرا لك يا أخ صدقي .. أخي جرير هيا نذهب لمطعم قريب نتناول بعض الطعام.

فضحك جرير وقال : لابد أنك جائع فأنت هنا منذ ساعات الفجر الأولى.

فقال صدقي : أيها السادة يمكنني أن أقدم لكم وجبة الإفطار.

عوني رد قائلا : نشكرك يا سيد صدقي .. سنتناول طعامنا في مطعم قريب من هنا .. يكفي ما نشربه من قهوتك وشايك ، ولما نعود سنشرب شايا من بين يديك.

وكان الرائد قد أصبح خارج المكتب فقال للشرطي الحارس : احترس جيدا.. نحن ذاهبون للأكل قريبا من هنا ..وهل تحب نوعا معينا من الساندويتشات يا أحمد ؟

ـ ما شئت يا سيدي.

ـ سأحضر لك ولزميلك طعاما خفيفا .. انتبها جيدا .. وقد يحضر رجال من البحث الجنائي ، فلا تدخلا أحدا هذا المكتب حتى نعود فلينتظروا في القاعة .. صدقي أغلق الباب .. باب المكتب جيدا حتى نعود.

بعدما أكلا في أحد مطاعم حي الشجرة شارع (حسن باشا) عادا أدراجهما إلى الفيلا ، فدفعا الساندويتشات للحارسين، ووجدا في انتظارهما عددا من رجال المباحث ذوي الاختصاصات المختلفة ، وقد جاء صدقي لما علم بعودة الرجلين ، وقام بفتح غرفة المكتب المغلقة ، وقد تناول الرائد عوني من أحد الأفراد مغلفا مغلقا ففتحه ، وأخرج منه سلسلة المفاتيح التي وجدت في جيب جاكيت الدكتور جميل، ودخلوا المكتب وأعطى صدقيا المفاتيح وهو يقول : أي مفتاح الخزانة فيهن ؟

أخذها الخادم ، وأخذ يقلب في المفاتيح مرة ومرتين ثم نظر للرائد قائلا : لا يوجد فيها مفتاح الخزنة ؟!

فقال جرير: أتعرفه ؟

ـ أجل يا سيدي .. لقد كان يسمح لي في بعض الأحيان بفتح الخزنة ..لأخذ بعض المال النقدي منها أو يطلب ورقة أو دفترا معينا.. فأنا أعرف المفتاح مائة بالمائة.

فقال جرير : ولماذا كل هذه المفاتيح ؟

فرد صدقي : بعضها لجوارير هذا المكتب ، وبعضها الآخر لخزائن المركز .. أما مفتاح الخزنة التي في غرفة نومه فهو غير موجود.

فقال عوني : هذا ما توقعته أيها السادة .. من أجل ذلك طلبت خبير فتح الخزائن؛ لأن القاتل أخذ مفتاح الخزنة أو الخزائن ..هذه خطوة سوف تقودنا للمجرم.

التفت عوني لخبير فتح الخزائن وقال : هل أتيت بعدتك يا سامي ؟

فرد سامي : نعم ، يا سيدي.

فقال الرائد : صدقي خذ ساميا لغرفة نوم الدكتور وأره الخزنة .. وعندما تفتح أرسلوا وراءنا ولما خرجا قال الرائد : وأنت يا غازي! ويا عماد ! المطلوب منكم فك هذا المكتب قطعة قطعة لنرى هل يوجد فيه جيوب سرية .. وأنت يا حسن ورجالك ابحثوا في هذا المكان عن خزانة سرية في الجدران في السقف تحت السجاد والموكيت .. ونحن يا جرير علينا أن نصعد لفوق نتابع ساميا في فتح الخزنة ؛ ولعلنا نتمكن من الحديث مع السيد أسعد.

لحقا بالخبير الشرطي في فتح الخزائن والحقائب والأبواب ، ولم يجد السيد سامي صعوبة في فتح خزانة المكتب الصغير ؛ لأنها خزانة معدنية سميكة ، ولكنها منتشرة في الشركات والمكاتب ، ولم تكن أقفالها بالمعقدة ، فما كاد الضابطان يدخلان حتى وجدا الخزنة مفتوحة الأقفال الرقمية واللسانية .. كان بداخلها عملات مختلفة عملات نقدية محلية .. ماركات ألمانية .. فرنكات فرنسية .. دولارات أمريكية ..وهي مبالغ على مجموعها لا تتجاوز العشرة آلاف دينار .. أوراق مكتوب عليه باللغة الإنجليزية ، وبعضها بالفرنسي ، ووجدوا كتابا شبيها بالقاموس الصغير .. ووثائق ملكية أراضي وعقارات في مناطق متفرقة من العاصمة والقطر .. أقلام حبر سائل وجاف ثمينة ومطلية بالذهب ، وبينها قلمان مزينان ببعض الجواهر حب لؤلؤ صغير .. ولاعات جميلة .. عقود بيع وشراء أراضي ، ولما فرغت الخزنة ، قال عوني : لا يوجد شيء يساعد في كشف شيء من الغموض المحيط بنا .. عقود بيع وشراء أراضي وملكيات عقارية .. وهذا القاموس .. أقلام.

فقال جرير : تحفظ عليها فلربما نحتاجها بعد قليل ..

فقال عوني : سيد صدقي هل يمكننا الحديث مع السيد أسعد ؟

ـ لست أدري ، فهو ما زال متعبا .. بل عرضت عليه أن ننقله إلى المستشفى ؛ ولكنه يرفض ويصر على الرفض.

فقال جرير : دعنا نلقي عليه التحية.

فقال الخادم : تفضلوا.

فأمر الرائد الشرطي ساميا بإغلاق الخزنة ، والتحريز على كل الموجودات فيها ، وانتظاره تحت عند الزملاء ، وكان صدقي قد أخبر سعدى برغبة الضابطين بالدخول على السيد أسعد فقالت له : إنه شبه نائم.

فقال جرير : دعينا نسلم عليه.

ودخل الرجلان يتقدمهما الخادمان حجرة السيد أسعد ، وكان الخادم قد وضع لهما مقعدين ، فجلسا يراقبان الرجل الضعيف الذي لم يشعر بتحيتهما فقال عوني : ألا ترغبان بنقله للمستشفى ؟

ردت سعدى : نصحه الطبيب ؛ ولكنه يريد أن يموت في البيت ، إنه يكره المستشفيات جدا جدا.

فقال جرير : رزقه الله العافية ندعو له بالسلامة .. هيا بنا سيدي الرائد نرى قومنا ماذا فعلوا ؟ إنه رجل يحتضر..

ولما عادوا لمكتب السيد جميل كانت في انتظارهم مفاجأة متوقعة ؛ ولكن قبل أن يسمعوا المفاجأة رن جرس الهاتف فرفع صدقي السماعة وقال : آلو.. نعم .. الرائد عوني ..آ .. تفضل وأخذ الرائد عوني السماعة من يد صدقي وقال : آ .. نعم .. ملازم دشمان .. عندك ريما حسان وأبو سالم .. جيد خذ أقوالهم حول المشاجرة التي جرت في المركز بين السيد أسعد والسيد جميل .. فالآنسة ريما سمعت والد الدكتور يهدده بالقتل .. وكذلك أبو سالم مع السلامة.

ووضع السماعة وهتف قائلا : لقد وجدتم خزنة سرية .. إنها مفاجأة كبيرة..

كانت خزانة مختفية في الجدار بدقة وهي تشبه الخزانة في الطابق الأعلى ، بل أكد سامي أنهما من نفس المصنع ونفس شركة التجارة ، وكانت الخزنة في زاوية الحجرة بالقرب من الشباك الكبير في الجدار المطل على الحديقة ، ومخفاة بأوراق مصورة كبيرة ملصقة على الجدران تشكل غابة كبيرة من الأشجار وصور الحيوان لا يكتشفها إلا خبير ودقيق النظر .. انشغل سامي بفتحها وكان النجارون قد فكوا المكتب قطعة قطعة ، وتحسسوا في تجاويفه فلم يجدوا فيه شيئا خفيا ،

فأمرهم عوني بإعادة تجميعه ، ولما فتحت الخزانة الخفية بشكل متقن تقدم عوني ليرى محتوياتها فوجد فيها أجهزة لاسلكي صغيرة ودقيقة ، وكاميرات تصويرية دقيقة مما يستعمل في دوائر الأمن السري والاستخبارات ، وخرائط جغرافية أجنبية ، وبعض الجواهر الثمينة ، وجوازات سفر غير مستعملة لدول مختلفة ، وأختام تخص دول تلك الجوازات ، ولما انتهى عوني من جردها التفت لجرير وقال : ما هذا يا أخ جرير ؟

فقال الرجل باستغراب : هذه أشياء تصيب المرء بالحيرة ؟

فقال عوني بصوت خفيض : هذه أشياء تحتاج لضابط استخبارات يا أخ جرير؟

فقال جرير همسا : هل هذه جريمة جاسوسية ؟

- إنها تبدو هكذا يا صاحبي .. فهذه أجهزة متطورة في عالم الاتصالات اللاسلكية .. وهي أمريكية الصنع .. أغلق الخزانة يا سامي.

وكان الشباب قد انتهوا من تركيب المكتب ، وأتى صدقي بالشاي بناء على طلب عوني ، فتناول الحاضرون أكواب الشاي بصمت ، ثم صرفهم الرائد جميعهم ، وطلب من سامي الانتظار في صالة الفيلا ، وأغلق باب المكتب من الداخل وقال جرير : ماذا سنفعل الآن ؟ .. وماذا سرق اللص ؟ .. أم خرج هاربا قبل أن يصل للخزانة ؟ .. فإذا لم يحصل على مبتغاه سوف يعيد الكرة .. فهو مجرم خطير ولابد أنه يعمل ضمن عصابة أو منظمة سرية .. إذا كانت الجريمة جريمة تجسس ما دور جميل فيها ؟ ولماذا قتل ؟!

قال عوني بعد تأمل وصمت : لا تنسى الصراع الخفي بين الأب والابن .. هو صراع غامض وجديد .. هل عرف الأب أسعد أشياء خطيرة عن ولده ؟ .. لقد ذكر لنا صدقي أنه كان يخاطب ابنه قائلا " هل أنهيت علاقتك مع هؤلاء الكفار وهؤلاء الأجانب ؟.. لابد أنه رأى شيئا مزعجا.

فأجابه جرير : ماذا رأى ؟! والدكتور كما نعلم دائم التعامل مع الأجانب، بل المركز العلمي يتلقى مساعدات مالية من جامعات ألمانية وأوربية .. ولكن هل يعرف المجرم موقع الخزانة ؟

وهل كان يبحث عن هذه الأجهزة ؟

فقال عوني متأملا : سرقوا المفتاح يوم مصرعه من جيبه ، وحاولوا سرقة الخزانة ، ولكن اشتداد مرض السيد أسعد ويقظة صدقي واستعماله الهاتف أزعج المجرم .. فهرب قبل أن يفتح الخزانة .. ولكن ساميا يقول إن الخزانة قد فتحت قريبا.

ـ حاول فتحها أو فتحها فلما سمع صوت الهاتف أثناء الدق على الأرقام شعر بالخطر فأغلقها وتسلل هاربا.

ـ أو أنه أخذ شيئا آخر يهمه .. أوراق .. فنحن لم نجد أي ورقة أو وثيقة .. سأكتب تقريرا لمدير الأمن ليخاطب الاستخبارات سريعا ، ثم نرى ما يجري بعد ذلك.

جرير : لا بأس بذلك .. ولكن علينا أن نذهب للمركز ونرى الخزانات المعدنية هناك قد نجد فيها شيئا.

فقال عوني : نحتاج لإذن النيابة العامة ، ونحتاج لمحقق من الدائرة الأمنية السرية .. فلنذهب للدائرة الآن.

أمر بإغلاق المكتب ، وأمر سامي بالانتظار ، وانصرف إلى دائرته ثم قابل مدير الأمن وشرح له التطورات الأخيرة ، ولما سمعها مدير الأمن اتصل على الفور برئيس دائرة الاستخبارات العامة ، وبعد حديث قصير وضع الهاتف والتفت للرائد عوني قائلا : عد لمركز عملك فسيأتيك رائد أمن دولة.. عبدالله أحمد أبو العبد ومساعده النقيب يوسف صابر يوسف.

فشكر الرائد مدير الأمن ، وقفل عائدا لدائرة أمن حي الشجرة ، وقال مدير الأمن لرئيس الدائرة العقيد حمدي حسان : عقيد حمدي .. أخبروني بالتطورات أولا بأول.

ولما استراح الرائد عوني بعض الوقت حضر الرائد عبد الله أحمد أبو العبد ومساعده النقيب يوسف صابر ، ولما التقيا بزميلهما عوني ومساعده دشمان والمقدم المتقاعد جرير وبعد تعارف سريع قال الرائد عبد الله : مدير الأمن سمح للزميل المتقاعد المشاركة في حل غموض هذه القضية لحساب شركة التأمين.

ـ نعم ، هو مكلف بالمساعدة من قبل شركة الحماية التي يديرها اللواء نهري ، والمديرية وافقت على التعاون الكامل بيننا..

ـ أريد أن أسمع شرحا مفصلا منك يا سيدي .. ثم الاطلاع على ملفات الجريمة والأشياء التي صادرتموها من فيلا جميل.

فشرح عوني قصة الجريمة بإسهاب للزميلين ، وكان شرطي قد أحضر ما تم التحريز عليه في فيلا جميل ، وبعدما انتهى الرائد عوني من ذكر ملابسات الجريمة أخذ الرائد عبد الله مندوب دائرة المخابرات يتفقد ويتحسس أجهزة اللاسلكي والكاميرات الصغيرة ، ثم عقب : إنها فعلا أدوات تجسس .. وهي أجهزة حديثة ، ولكن لماذا وجدت في بيت جميل عازلي ؟!

فقال عوني : لما اكتشفنا الخزانة السرية وجدنا فيها هذه الأشياء كلها؟

فقال عبد الله : ذكرت لي أن أحدهم قد قام بفتح الخزانة أو محاولة فتح الخزانة .. ولما شعر بالحركة في الطابق الأعلى غادرها سريعا .. والخادم صدقي لم يتمكن من رؤية أي شيء يحمله بين يديه.

ـ نعم ، لم يتمكن من رؤية شيء ..لأنه انتبه لحركته عندما وصل الرجل الباب الخارجي للقصر

ـ هناك احتمال يا سيدي الرائد أن يكون الشخص قد وضع هذه الأشياء في الخزنة لأمر ما..

بهت الرائد عوني لهذا الاحتمال الجديد ؛ ولكنّ جريرا قال مقاطعا : لقد خطر في ذهني هذا الاحتمال ، ولكن اختفاء مفاتيح الخزانة بعد مقتل جميل يدل على أنهم يبحثون عن شيء ما.

فقال عبد الله : نحن نريد أن نعتبر الدكتور نظيفا حتى يثبت غير ذلك.. فيمكن أخذ المفاتيح لوضع هذه الأشياء لإثارة الشبهات حول الدكتور ، ثم تشويش مجرى القضية .. ولكن يظهر أن هؤلاء المجرمين يملكون مفاتيح للفيلا والمكتب .. فأرى يا رائد عوني أن تسحب الشرطة العلنية ونضع رقابة خفية .. وكذلك نضع رقابة خفية حول المركز ، ما دامت القضية قد أصبحت من اختصاص دائرة مكافحة التجسس .. وكذلك نراقب شخصيات المركز ؛ لأنه هو قلب العمل .. وأنتم تابعوا البحث الجنائي كالمعتاد .. وأنا ويوسف سنتابع حياة جميل

الشخصية .. وعليكم سماع السيد أسعد بأسرع وقت ممكن.. وسآخذ ملف القضية لأقرأه أو قد انسخه على الآلة .. وخذ يا سيدي هذه البطاقة لتتصل بي مباشرة .. وسأطلعك من جهتي على أي تطور.

فقال عوني : أمرك يا سيدي .. ولكن الزميل جرير يقترح عليّ زيارة المركز العلمي وتفتيشه وخصوصا الخزائن السميكة الحافظة .. فما رأيك ؟

ـ لا بأس .. وإن هذا قد يلفت الانتباه إلى تحول مجرى القضية .. ولكن ستبقى الشكوك تحيرهم .. خذ أمر النائب العام ؛ لأن المركز تابع لجامعة أجنبية .. وما جميل إلا مديره ووكيل لهم.

وغادرهم الرائد عبد الله ومساعده ، وقد حملوا معهم الأجهزة والأقلام والأوراق والخريطة الأجنبية والقاموس الصغير ، ولما ابتعدا قال الرائد عوني : كلما نقول اقترب الحل ازدادت القضية تعقيدا .. هل يمكن أن يكون جميل جاسوسا ؟! .. وجاسوسا لأي جهة ؟! .. ولماذا قتلوه إذا كان جاسوسا ؟ ومن قتله ؟!

فنهض جرير قائلا : هيا بنا نسرع بأخذ تصريح النيابة بمداهمة المركز .. فالوقت يمضي ونحن نتخبط لا ندري من أين نبدأ ؟.. لقد نسينا لقاء الدكتور خالد الضبرة والدكاترة الذين كانوا في بيت جميل أثناء الحادث وقتل صاحبهم وهم نائمون.

فقام عوني أيضا وهو يرد على صاحبه : غريب أمر هذه القضية! .. مع أنها تبدو سهلة ولكنها تتصعب .. مالك ملازم دشمان صامت ؟

ضحك الملازم الشرطي دشمان وقال : إذا أنتم الخبراء في التحقيقات البوليسية في حيرة فكيف أنا الضابط الصغير ؟! .. قضية محيرة .. فنحن لم نحدد بعد دافع وسبب هذه الجريمة .. فالدافع في الجرائم سبب أساسي لكشف غموضها .. فالورثة في جريمتنا خارج القطر ، والأب مريض لم نستطع أخذ أي كلام منه .. موظفون لا يعرفون شيئا عن رئيسهم .. ألهذه الدرجة حضرة الدكتور غامض ؟! .. مع أنه ملء أبصار الناس .. ندوات في التلفزيون ،

مقابلات في الإذاعة والصحافة ، محاضرات في الجامعات والفنادق ، مؤتمرات علمية، سهرات في النوادي والملاهي.

فقال جرير : حتى الدكتور المحامي لا يعرف عنه شيئا ، بل سكرتيره علاقة عمل وبس .. لا يوجد بينهم علاقات اجتماعية ..الدكتور مع أنه تجاوز الخمسين لم يتزوج .. عجيب .. ما رأيك يا رائد عوني بالحديث مرة أخرى مع الدكتور شارل برس .. نسأله عن حياة جميل الخاصة .. عن حياته في باريس الفرنسية ؟.

قال عوني : ونحن منصرفون من المركز العلمي نمر عليه ليلا ، قد نجد لديه جديدا.

وبعد ساعة من عمر الأيام كان بين أيديهم تصريح لتفتيش المركز العلمي في شارع البحيرة الخامسة ، وكالعادة كان في استقبالهم السكرتير فرج المدير المؤقت للمركز ، فرحب بهم ، ولما اطلع على التصريح أرشدهم للخزائن المعدنية الصلبة الخاصة بالمركز ، بل قام بفتحها لهم خزانة خزانة فهو يملك حق فتحها ، وقاموا بتفتيشها ، ولم تكن تحوي إلا أبحاثا دقيقة ووثائق علمية تخص المركز وأموال نقدية وأقراص للحواسيب اطلعوا على بعضها بواسطة أجهزة الكمبيوتر .. وكان الضابطان قد أخفيا أنهما اكتشفا خزانة سرية في منزل الدكتور جميل ، فحتى صدقي عمران لم يعرف بالأشياء التي أخذوها من الخزانة السرية.

الفصل السابع

كان رائد الاستخبارات والأمن السري للدولة عبد الله أحمد ومساعده النقيب يوسف صابر وعدد آخر من الضباط والخبراء يجلسون حول مائدة بيضوية كبيرة ، وقد وضعت أمامهم الجوازات الأجنبية والأختام والخريطة والقاموس وأجهزة الاتصال الدقيقة الثلاثة وكاميرات التصوير الخمسة والجواهر وأقلام الحبر الثمينة ، وكان الرائد قد قرأ ملف القضية الجنائية لمهلك الدكتور الأكاديمي جميل عازلي مساء يوم الاثنين العاشر من إبريل سنة ١٩٩٥ ، ولخصه أمام الجميع ، ولما انتهى قال : ما ترون يا حضرات الضباط ؟

فقال أحدهم : دكتور معروف في الوسط العلمي والوسط الاجتماعي المرفه .. هل يعقل أن يتاجر بالجوازات والتزوير؟!

فرد عليه زميل آخر : يا صاحبي هذه الجوازات قد تلزم للجواسيس للتنكر والهرب .. فهذه أدوات تجسس من غير خصام أو نظر .. كاميرات خطيرة لتصوير الوثائق والأماكن .. وهذه الخريطة تستعمل في الشيفرة ، وكذلك القاموس .. أرى أن نبحث عن حياة الدكتور الخاصة الدقيقة.

فقال عبد الله أحمد : أحضرنا ملف سيرة ذاتية وعمل الدكتور في الجامعة .. لا شيء عليه .. سلوكه حسن ، دراسته كلها في الخارج .. شخصية نظيفة.. اهتمام كبير بالمؤتمرات العلمية .. رحلات كثيرة .. وإجازاته كلها في أوروبا وأمريكا .. ثم ترك الجامعة بهدوء .. يعشق السهرات والحفلات الصاخبة في الفنادق .. أعزب .. علاقات مثيرة مع طالباته في الجامعة .. ولكن لم يسجل عليه أي قضية أخلاقية طيلة فترة التدريس والعمل بالجامعة .. هذا ملخص ما جاء في تقرير إدارة الجامعة وتقرير موظف الأمن في الجامعة عن الدكتور المقتول جميل أسعد عازلي .. فلماذا قتل هذا الرجل الأكاديمي ؟! ولماذا دخلوا مكتبه بعد موته ؟! ولماذا يملك هذه الأدوات والأجهزة المريبة ؟؟ فمهمتنا الإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة وغيرها.

فقال النقيب يوسف : عندي اقتراح يا سيدي .. علينا أن نختار عددا من أصدقائه القدامى في

الجامعة .. أصدقاؤه بعد ترك الجامعة .. طلابه القدامى ..ونجمع منهم أكبر قدر من المعلومات والخفايا .. وكذلك نعرف أماكن اللهو والسهر التي كان يتردد عليها ؛ فلعلنا نصل إلى شيء يضعنا في المسار الصحيح لفك هذه الألغاز.

وفجأة قال أحد الضباط : يا رائد عبد الله .. فمن عادة رجال العلم الكبار كتابة مذكرات يوميات ..ألم تجدوا في أوراقه شيء من هذا القبيل ؟

نظر الرائد عبد الله لزميله بدهشة وقال : إي والله ! أين دفتر المذكرات الخاص به ؟ .. سأسأل زميلنا الشرطي الرائد عوني بصارة المكلف بتحقيق هذه الجريمة .. المجرم القاتل ذكي ودبر الجريمة بحيث لم يترك وراءه شيئا ؛ ولكن غلطته الأخيرة بزيارة البيت ليلا هي التي طورت القضية .. عندما اكتشف رجال الشرطة ضياع مفتاح الخزانة المعدنية القوية من سلسلة مفاتيح الدكتور ، وتم نتيجة لذلك الكشف عن خزانة سرية مخفية في الجدار والديكور بمهارة .. نبحث عن أجندة مذكرات الدكتور وعن ماضيه وخفايا حياته بأسرع وقت.. فكل منكم يتصل بشخص صديقا للدكتور قديما أو حديثا .. وأرجو أن تجري تحرياتنا بذكاء وسرية كاملة وحذر .. ويقوم رجالنا بالتعاون مع رجال عوني بمراقبة المركز العلمي ومنزل الدكتور سرا .. وأرجو خلال ثمان وأربعين ساعة أن يكون لدينا معلومات كافية ومهمة عن جميل عازلي .. وتفرق الضباط إلى مكاتبهم الخاصة للقيام بمهمة التحري اللازمة لمعرفة المزيد من المعلومات الشخصية عن الدكتور جميل .. وسار عبد الله ومساعده يوسف إلى مركز أمن حي الشجرة للقاء الرائد عوني .. ودار بينهما نقاش وحوار حول الجريمة وحول الأشخاص الذين كانوا على مسرح الجريمة ، وآخر أخبار الرقابة السرية على البيت والمركز، وبعد ساعة انصرف الرائد عبد الله ومساعده ، وقد طلب من عوني البحث عن مذكرات أو يوميات جميل..

اتصل الرائد عوني بعد انصراف ضيوفه على الفور بالخادم صدقي وسأله عن مذكرات الدكتور جميل، فأكد صدقي ذلك وقال : كان الدكتور يهتم بكتابة مذكراته. ووعد الضابط بالبحث عنها ولكن الضابط قال : إني قادم إليك لنبحث سوية.

وخرج مسرعا نحو فيلا الدكتور جميل ، وصعد للطابق الثاني للبحث في المكتبة الخاصة للدكتور المقتول عن مذكرات جميل ، ولقد وجد بعض الدفاتر والمذكرات القديمة للدكتور جميل ، وأما أحداث السنوات الأخيرة من عمره فلم يجد منها شيئا ، ووجد المذكرات القديمة تتحدث عن لقاءات ومواعيد مع شخصيات مختلفة وتواريخ مقالات كتبها للصحف والمجلات والإذاعات ، لم يكن فيها سيرة ذاتية وأحداث عصفت به ، وقلب المكتبة والمكتب عن مذكرات أخرى ، فلم يظفر بشيء ، ولما تسلم الرائد الأمني عبد الله أحمد أوراق الدكتور جميل، وجلس هو ومساعده يوسف ينظرون فيها، ويدرسونها فلم يجدوا فيها ما يدل على أعمال سرية وخاصة بالدكتور.. إنها خواطر صحفية أو تعليقات على مقالات صحفية ، وتضبط مواعيد خاصة بشخصيات مختلفة من المجتمع المحلي والقطري وقال عبد الله في آخر الجلسة : يجب أن نعرف لماذا كانت هذه الأجهزة الخطيرة بحوزة الدكتور؟ .. ولا أعتقد أن أحدا يتهادى مثل هذه الأجهزة .. وهذه الكاميرات الصغيرة هي كاميرات تصوير خاصة.. كاميرات تجسس وتصوير وثائق وتصغيرها إلى حد كبير .. وهذه الخريطة حدثني الخبير بالخرائط في مركز فك الشيفرة السرية ربما تستعمل في كتابة نوع من الشيفرة .. فهي تحتوي على رموز وإشارات تختلف عن الرموز المتعارف عليها في الخرائط الجغرافية العادية المنتشرة بين يدي الناس .

وبعد تفكير عميق بين الرجلين عاد الرائد يقول : يا يوسف .. المركز علينا بمراقبته أكثر .. فإن تكن لنا قضية تجسس لابد أن يكون المركز له علاقة بها .. فهؤلاء الأجانب يستغلون هذه المراكز العلمية للتجسس على قدرات الدول الصديقة والعدوة .. قد يكون هذا المركز الغطاء لشبكة تجسس عالمية .. أريد مراقبة رجال المركز بسرية دقيقة وحساسة ..هواتف رسائل أشخاص .. وتقارير شخصية عن كل العاملين من الفراش للمدير ..لا تكفي المعلومات عن الدكتور فقط .. ورفع الهاتف واتصل بالرائد عوني قائلا : سلام عليك .. القضية خطيرة يمكن أن تكون قضية تجسس .. وإن لم يتأكد لنا ذلك .. وقد يكون مصرع هذا الرجل بسبب

صراع تجسسي .. ألم يتكلم حضرة الوالد المحترم ؟

ـ لا، بل نقلوه صباح اليوم للمستشفى .. فوضع القلب صعب ، وأخشى موته قبل أن نسمع أقواله.

ـ يفعل الله ما يشاء .. اسحبوا رجالكم من حول المركز العلمي .. سيتولى رجالنا المهمة كاملة وسؤال أخير؟

ـ تفضل.

ـ هذا الخادم .. عمران .. هل يتذكر أن أحدا من الناس طلب منه مفتاح المكتب قبل مقتل الدكتور؟ .. وهل كان مسموح لأحد بدخول المكتب بغياب الدكتور ؟ .. وهل استمعتم لأقوال الضبرة ؟!

ـ أتى إلينا ، وأدلى بأقواله ، وأنكر أي قتل للدكتور ؛ بل ادعى أن قتل جميل خسارة له ولبحثه وبينه وبين الدكتور قضية في المحكمة.

ـ اتصل بي بعدما تسمع رد صدقي عمران.

ترك الرائد عبد الله السماعة وقال لزميله يوسف : القاتل .. لابد أنه يملك مفتاح المكتب ، فهو قد قتل الدكتور ، ثم أغلق الباب وخرج بهدوء ، والتحريات تؤكد أنه يعرف الدكتور والمنزل مثل صاحبه ، وكان يعلم أن عند المجني عليه زوارا ويجلسون في الحديقة فاستغل الفرصة واغتال الرجل.

فقال يوسف : قد يكون القاتل مأجورا ؟

ـ لو كان مأجورا لا يقتل في أول الليل .. فغالب هؤلاء السفاحين يقتلون بعد منتصف الليل وإذا فعلها بالنهار فيكون ذلك في اجتماع حاشد من الناس ليتمكن من الاختفاء بين الناس .

اتصل عوني مساء الجمعة بعد التاسعة بالرائد عبد الله ، وأخبره أن الزميل جريرا تبين له أن الدكتور المحامي وليدا لم يكن دقيقا وصادقا في تسجيل شهادته وأنه قد ترك "الدكتور خضر" وزوجته في الحديقة ، ودخل الفيلا يتحدث بالتلفون، وأخبره أنه اتصل بالدكتورة

وتأكد من ذلك ، وأقرت أن الفترة التي قضاها الرجل وحده داخل الفيلا قصيرة ، ثم قاما بترك الحديقة على أثره لشعورهما بالبرد والتقيا على مدخل الفيلا الأمامي ، وكان طبيعيا ، ولا يبدو عليه أثر انفعال وتوتر ، وأن وقت اتصاله كان قبل السابعة بعشر دقائق ، وثبت لدى دوائر الشرطة أن الجريمة وقعت بين السادسة والثلث والسادسة والنصف ، وتقول إنها دهشت لإخفاء المحامي اتصاله ودخوله للفيلا عن المحققين ، ولما سألناه عن ذلك قال إنه غفل عن ذلك الاتصال ، وليس له مصلحة في مقتل الدكتور ، ولم يكتب له الدكتور شيئا في الوصية ، هذا كله ذكره عوني للرائد عبد الله ، ولما سأله عن سؤاليه الأخيرين رد عوني قائلا : نحن نقوم بالتحري اللازم حول المدعو وليد مع أن شهادة الدكتورة تؤكد أنه لم يكن معه وقت لارتكاب جريمة.

فعاد عبد الله يقول : تحروا عنهم جيدا ، فلربما يكون الثلاثة مشتركين في الجريمة ولكن لماذا ؟ هذا ما ستكشفه الأيام القريبة .. هل قابلت أسعد ؟ ومن يسمح له بدخول المكتب في البيت ؟

قال عوني : ذهبت للمستشفى لمقابلته ، وكان أسعد في غرفة العمليات، فيبدو أنه في الساعات الأخيرة كما فهمت من بعض الأطباء ، ولما سألت صدقيا أكد لي أنه لا يمكن لأحد دخول مكتب الدكتور أثناء غيابه ، هكذا التعليمات من جميل .. أما أثناء وجوده فكثيرا ما يستقبل ضيوفه في داخله ، ويمكنه أن يخرج منه ويتركهم فيه لأمر ما ، ولا يترك ضيفا فيه لوقت طويل بالكاد ثلاث أو خمس دقائق .. والدكتور معه مفتاح ، وصدقي مفتاح ليقوم على تنظيفه وإزالة الغبار ومسح المكتب والخزائن والمقاعد وأحيانا تنظيف السجاد بالآلة الكهربائية "المكنسة" ولكنه ذكر شيئا خطيرا أن "الدكتور فرج" صباح الاثنين يوم عودة جميل من السفر ويوم مقتله فيما بعد حضر السكرتير مبكرا حوالي السابعة والنصف ، وطلب منه فتح المكتب لإخراج ملف اتصل جميل من أجله من روما ، ويحب الاطلاع عليه أثناء استقبالهم له في المطار لأن من العادة المتبعة كلما عاد من سفر أن يتلقاه فرج السكرتير وسائقه الخاص في المطار ليسمع منه عن نشاط المركز ، وفي ذلك اليوم كان معهم المحامي ، واستقبلوه وذهب لمركز

عمله ، المهم أن فرجا أتى لأخذ ملف بناء على طلب الدكتور كما قال لصدقي ؛ ولأن صدقيا يعرف السكرتير جيدا فتح له الباب بمفتاحه فدخل ، وقد طلب منه فنجان قهوة ، وأخذ يبحث في الملفات عن الملف المطلوب ، ولما عاد بالقهوة وجد ملفا أمام السكرتير وشرب فنجان القهوة ، وخرج متجها للمركز العلمي وبيده الملف.

ـ صدقي هذا أكيد ترك المفتاح في الباب عندما ذهب يجلب القهوة ؟

ـ سألته عن ذلك فقال : نعم .. فهل تشك يا سيدي بالسكرتير؟

ـ المعلومات التي بين أيدينا تشير أن المصلحة في مصرع الدكتور جميل تعود فائدتها على الدكتور فرج بقيادة المركز .. ولكن الأجانب الذين يمولون المركز هل يرضون إدارته؟ .. ودخول التجسس على القضية يزيد من تعقيد القضية .. وعلى كل تابع تحرياتك أنت والزميل جرير .. وقد علمنا من سكرتيرة فرج ريما حسان أن فرجا هو الذي لفت نظرها إلى والد الدكتور؛ بأنه قد يكون القاتل ، فأحب أن يصل الخبر إليكم عن طريقها ، فحثها على ذكر ذلك لكم كما حدث.

ـ لكنها لم تصرح بذلك في التحقيق معها ؟

ـ لا بأس ، فرجالنا في الميدان الآن .. عليك أن تتحرى عمن سرق المسدس من مكتب الدكتور في المركز .. ونريد معرفة سبب اقتناء الدكتور للمسدسات في مكان عمله وبيته .. ونريد المزيد من التحريات عن سبب رغبته بطلب حراسة وحماية لشخصه بعد كل هذه السنوات في إدارة المركز .. وسألتقي بك مساء يوم السبت للتداول والحديث .. ولابد أن يتوفر لدينا المزيد من المعلومات عن شخص جميل شكرا.

وترك السماعة بعد هذه المكالمة الطويلة وقال لنفسه : أخشى أن تكون هذه المكالمة مراقبة من أجهزة الخصوم والأعداء! .. ولكننا نجري دائما الفحوصات اللازمة حول مراقبة خطوط دائرتنا.

ونزل الرائد حيث مطعم الضباط أو نادي الضباط ليتناول طعاما ، ويسهر مع زملاء المهنة ،

وبينما هو يتسامر مع زملائه حضر مساعده النقيب يوسف وأسر في أذنه خبرا صغيرا فقال : شكرا لك.

واستأذن من الزملاء ، وذهب إلى حيث الهاتف ، واتصل بالبيت فردت عليه زوجته قائلة: إن ابنته الوحيدة مريم مريضة ، وإن الطبيب ينصح بنقلها للمستشفى

وبعدما شرحت له الموقف وضع السماعة لحظات ، ثم اتصل برئيسه واستأذن بالعودة لبيته، ولما وصل للبيت كانت سيارة إسعاف المستشفى تقل ابنته وزوجته، فانطلق خلفها حيث المستشفى الخاص بالضباط من مختلف الرتب ، وأدخلوا الفتاة قسم الطوارئ ، فابنة الرائد عبد الله لديها مشاكل صحية في الجهاز التنفسي تسبب لها ضيقا في النفس حتى يصبح أحيانا وجهها أزرق من الألم.



الفصل الثامن

بعد الواحدة ليلا وبينما الرائد عبد الله أحمد أبو العبد يجلس هو وبعض أفراد أسرته في انتظار خروج ابنته الوحيدة من غرفة العمليات ، رن جرس الهاتف المحمول الخاص به ، ففتح الجهاز واستمع ، كان الاتصال من دائرته ، فلما أغلقه التفت لزوجته وأخيها وقال : مهمة أيها الأحباب!

فالتزم الجميع الصمت ، فهم يعرفون طبيعة عمل أبي مريم ، فانسحب بهدوء وركب سيارته منطلقا بها نحو شارع البحيرة الخامسة ، وإلى عمارة كبيرة تسمى عمارة " زكي الملاح " ، فلما وصلها وجد عددا من سيارات الأمن والشرطة والنجدة تقف أمام البناية الكبيرة ، فتحدث مع أحد رجال الشرطة فقال: إنهم في الطابق الثامن.

فركب المصعد الكهربائي إلى الطابق الثامن ، ولما خرج من باب المصعد ، وجد أيضا أعدادا من رجال الأمن منتشرين ، فتحدث مع أحدهم فسأل عن مكان الحادث ، فأشار إلى أحد المداخل ، فاتجه إليه ولما وصله ، وجد لوحة صغيرة على يمين الباب مكتوب عليها "جمعية أصدقاء العلم الأوروبية " ، ففتح الباب ودخل فوجد عددا من كبار الضباط داخل شقة الجمعية ، فألقى عليهم السلام ، ووجد مساعده يوسف صابر بينهم ، وكذلك الرائد عوني بصاره ، والملازم دشمان فاقترب من مساعده وقال هامسا : حدثني بالتفصيل.

فقال بصوت هامس : اتصل بنا المخبر فايز .. حوالي الساعة الواحدة وعشر دقائق ، وأخبرنا أنه سمع إطلاق نار مسدس في هذه المكاتب التي نحن فيها الآن .. فهو كما تعلم يراقب السكرتير فرج حسيب حسب التعليمات .. خرج فرج من شقته حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا فهو يسكن في حي الشجرة شارع الدكتور جميل شقة بالإيجار ، وهو غير متزوج مثل مديره الميت .. جاء إلى شارع البحيرة فظن فايز رجلنا أنه ذاهب للمركز العلمي في ذلك الليل فكما تعلم المركز يقع في هذا الشارع في عمارة قريبة من هنا ، ولكنه نزل أمام هذه العمارة ، ولما اختفى فرج داخل العمارة ، ترك زيادا في السيارة قريبا من العمارة ، وسار خلف فرج ونظر إلى

لوحة المصعد فرآه يصعد للطابق الثامن ، فتبعه بعد قليل ، فكانت كل المكاتب مغلقة إلا بصيص من النور يتسرب من تحت باب شقة الجمعية هذه ، فتوارى في أحد الزوايا ، وكان أحيانا يقترب من الباب بخفة القط ، وكما قال لي : إنه كان يسمع أحيانا بعض الصراخ العالي المكتوم.

وبعد نصف الليل جاء شخص للعمارة ، وكان زياد قد أخبر فايزا على الجهاز فأخفى نفسه .. وكان الشخص يضع على رأسه قبعة تخفي جزءا كبيرا من وجهه، وهو طويل القامة نحيف البدن .. اقترب من باب الجمعية ودخل ، وبعد حين سمع فايز صوت طلقات الرصاص .. فألصق أذنه في الباب ، فكان المكان هادئا ، وانتظر فترة فلم يسمع صراخا ولا صوتا، وبينما هو يتابع الموقف والحيرة تنتابه اتصل به زياد قائلا : ما الأمر يا فايز؟ .. لقد خرج الرجل ذو القبعة ومعه آخر .. ولكنه ليس فرج من هيئته ومشيته.

فدهش فايز ورد : ولكني لم أرهما يخرجان .. انتظر قليلا.

واقترب من باب الجمعية وحركه يمينا وشمالا ، فوجده مغلقا من الداخل ، فدفع الباب بكتفه بقوة ففتحه ، ثم دخل المكان المعتم حتى وصل إلى هذه القاعة الموضوع فيها المقاعد الخمسة حول هذه المائدة البيضوية ، فأضاء الإنارة فوجد السيد فرجا مجندلا بدمه ، فاتصل بزياد وقام زياد بإخبار الشرطة والإسعاف .. فحضروا وها هم يقومون بواجباتهم ، فلما عاين الضباط والطبيب الشرعي الجثة نقلوا الجثة إلى المستشفى ..ويقوم رجال المختبر الجنائي والبصمات بما يلزمهم.

فقال عبد الله : الرجلان الهاربان ماذا فعلتم بهم؟

ـ لا شيء .. لأن رجالنا يراقبون فرجا فقط .. ولم يقع في خلد فايز أن هناك جريمة قتل هو سمع صوت رصاص .. ولم يخرج أحد من الباب الذي يراقبه ، فقد تبين أن للجمعية بابين الذي دخلت منه ، وآخر الذي خرج منه القتلة .. فهل هذا يدل على أنهم يعلمون أننا نراقب فرجا فتخلصوا منه ؟.. ولكنّ زيادا أخذ أرقام السيارة التي ركبها الرجلان وقد بلغت دوائر

السير والمرور بذلك.

فلما استمع الرائد أقوال مساعده يوسف ، عاد حيث يقف الضباط ، فقال أحدهم وهو عقيد في الشرطة : رائد عبد الله يقول الرائد عوني أن رجال الاستخبارات في القضية ؟؟ هل هي قضية تجسسية ؟

اقترب الرائد من العقيد السائل وهمس بصوت ضعيف : يبدو أنها كذلك ، فرجلنا هو الذي أخبركم بوقوع الجريمة .. فأنتم تابعوا الموضوع ؛ كأنها قضية شرطة جريمة قتل عادية .. فهذا الرجل المقتول كان تحت مراقبتنا على مدار الساعة .. ولكن ما توقعنا أن يقتل بهذه السرعة .. فكأنهم شعروا بنا .. ولكن لماذا قتل ؟ هذا هو المهم ؟!

فقال العقيد : إذا شعر هؤلاء الخصوم بأنه تحت المراقبة تخلصوا منه ؟!

ـ ولكنهم يعلمون أنه تحت المراقبة فلماذا غامروا ؟!

ـ الخوف .. والخطر.

ـ على كل يا سيدي نرجو تقريركم بسرعة وعجلة .

فقال العقيد : لقد تحركنا بسرعة ، فصاحب العمارة في الطريق إلينا ، وعرفنا منه أن بواب العمارة يتغيب عن العمارة بعد عصر الجمعة حتى صباح السبت ، فهو يقوم بزيارة عائلته .. والبواب رجل مسن تجاوز الستين من السنوات ، وسيمر عليه السيد زكي الملاح ، ويأتيان معا لنسمع منهما قصة هذه الجمعية.

وما كاد الضابط العقيد ينهي كلامه حتى أخبره أحد صغار الضباط بحضور المدعو زكي ملاح ، فأمر بمجيئه إليه ، وبعد التحايا قال العقيد الشرطي : يا سيد زكي هذا المكان كان مسرحا لجريمة قتل رجل ..علمنا أن اسمه فرج حسيب هات ما عندك من أقوال ؟

كان السيد زكي رجلا طويل الجسم يضع على عينيه نظارة طبية، وهو قد تجاوز العقد الخامس وبصحبته شاب وهو ابنه والبواب الذي كان في غاية الوهن والخوف فقال زكي : ماذا تريد بالضبط ؟؟

فقال العقيد بهدوء : يا هذا .. من هؤلاء المستأجرون عندك ؟

فقال الشاب ابن زكي : عفوا يا سيادة الضابط .. نحن نملك هذه البناية ، هذه الشقق والمكاتب يقوم على تأجيرها محامي الوالد .. فنحن لا نعرف شيئا عن هؤلاء المستأجرين .. فالأستاذ المحامي وليد بكرز هو محامي الوالد وهو الذي يستطيع الإجابة عن هذا السوأل ؟

لما سمع عوني اسم وليد بكرز نظر في عيني الرائد عبد الله ، وعلى وجهيهما علامات استفهام وقال مخاطبا العقيد : نحن يا سيدي العقيد .. نعرف هذا المحامي، وهو أحد شهود جريمة مقتل الدكتور جميل.

ـ أتعرفونه ؟

ـ نعم ، نعم ، يا سيدي.

فعاد العقيد يقول : إذن يا سيد زكي أنت لا تعرف عن المستأجرين عندك شيئا .. حسنا وأنت ـ وأشار للبواب ـ بواب هذه العمارة .. لماذا تركت العمارة ؟.. ومن هؤلاء المستأجرون هنا في هذه الجمعية ؟

فقال البواب والخوف مرتسم على وجهه : يا سيدي .. يا سيدي الضابط .. أذن لي السيد أبو موسى .. بزيارة أسرتي مساء كل جمعة والمبيت عندهم لصباح السبت .. لأن العمارة تكون شبه خالية يوم الجمعة.

ـ جميل هذا !.. إجازتك تبدأ عصر الجمعة منذ متى هذا النظام يا سيد زكي ؟

فرد السيد زكي ببطء : نعم ، سمحنا له بترك العمارة عصر كل جمعة لقضاء بضعة ساعات عند أسرته ، وخلال ساعات النهار يمكنه أيضا الانصراف بضع ساعات ثم يعود .. وهذا المحترم يعمل في هذه البناية ..وهذا نظام اتفقنا عليه منذ وظفناه بوابا عندنا .. أعتقد منذ عشر سنوات أو أكثر

فنقل العقيد بصره إلى البواب أبي أحمد وقال : وما تعرف عن هذه الجمعية ؟

فقال أبو أحمد وما زال في صوته اضطراب : استأجروا هذه الشقة .. وصارت جمعية منذ أكثر

من خمس سنوات أو ست ، وأكثر روادها من الأجانب .. قليل من العرب يعملون بها أو حتى يدخلوها.. وقبل سنة غادروا الجمعية وذكروا لي لما سألتهم أنهم استأجروا مكانا آخر .. ولكن السيد الدكتور فرج حسيب وكان من ضمن أعضائها قال إنهم سيبقون مستأجرين الشقة على أنها فرع للجمعية الرئيسية، وكان يتردد عليها هو والدكتور جميل عازلي مدير المركز العلمي القريب من عمارتنا هذه .. وقد قتل منذ أيام .. وهو الذي جدد العقد مع حضرة المحامي وليد بكرز .. وكانت في الحقيقة لا تفتح إلا مساء يوم الجمعة من كل أسبوع يحضر بعض الأجانب ، ويلتقون ليلا .. ولا أعرف أكثر من ذلك يا سيدي.

فقال العقيد : أفهم من كلامك أيها السيد أن الدكتور فرجا كان يدير الجمعية بعد رحيل الأجانب إلى مكان آخر.

فتدخل الشاب ابن زكي ملاح : يا سيدي العقيد .. كل المعلومات تجدها عند المحامي بكرز.

فقال البواب : هذا الحق يا سيدي العقيد.

وقبل أن يرد عليهما العقيد تقدم أحد الضباط وقال : يا سيدي .. انهينا عملنا وشغلنا ، ورفعنا البصمات عن المكاتب والملفات ، وتحفظنا على كل شيء مهم موجود هنا ، وفتشنا الخزانة المعدنية ولم نجد فيها شيئا ذا بال.

فقال العقيد : أحسنتم !.. شمعوا الأبواب بالشمع الأحمر ، وضعوا الحراسة المناسبة .. وشكرا لك يا سيد زكي أنت وابنك.. وشكرا لك يا أبا أحمد .. قد نضطر لأخذ أقوالكم بشكل رسمي وتقليدي .. وأنت رائد عوني أحضر لي المحامي وليدا إلى مديرية الأمن لنسمع أقواله .. هيا بنا يا حضرات الضباط.

انطلق عبد الله الرائد بسيارته وراء الرائد عوني نحو مركز أمن حي الشجرة، ومكث عنده نصف ساعة، ثم انتقل إلى المشفى فوجد أن ابنته قد خرجت من غرفة العمليات الجراحية بسلام وأمان ، وما زالت تحت تأثير المخدر الذي خفت حدته فقبلها ، ودخل على الطبيب المعالج في مكتبه واطمئن على نجاح العلاج ، وبعد حين يسير عاد لمركز عمله في دائرة

الاستخبارات قسم مكافحة التجسس يتابع قضية مصرع الدكتور فرج سكرتير المركز العلمي الصناعي ، فوجد مساعده النقيب يوسف في انتظاره ، وقال له : اتصل الأخ عوني بدائرة المرور، وحصل منها على اسم مالك السيارة ، وتبين أن السيارة مسروقة يوم الأربعاء ، وهناك بلاغ رسمي بذلك ، وتم وضع مالكها تحت المراقبة ؛ فلربما يكون أمر سرقتها مدبرا ومرتبا لارتكاب هذه الجريمة .. وهم قد كثفوا البحث عنها في جميع أنحاء القطر

قال الرائد عبد الله : نريد معلومات عن جمعية أصدقاء العلم .. وما علاقة جميل وفرج معها ؟

فقال النقيب : عندما يتم استجواب السيد بكرز قد يضيء لنا بعض الطريق.

فقال عبد الله بتشاؤم واضح : لا أعتقد أن لديه كثيرا من المعلومات .. فمنظمات التجسس عادة يتحركون بذكاء وحنكة .. فهو لا يعرف عن موكله جميل شيئا .. فهو هنا مجرد محامي يقوم بتوثيق العقود نيابة عن السيد زكي ، وربما يحصل الإيجارات له .. من المهم أن نعرف الآن متى بدأت علاقته بالسيد جميل وفرج ؟ .. ونريد أن نعرف مدى الارتباط بين مركز البحث العلمي والجمعية بالجامعات الألمانية .. فلذلك علينا مخاطبة السفارة سفارتنا للتأكد من ذلك الارتباط.. وليكن ذلك في غاية السرية والكتمان وبعجلة .. أرسل فاكسا باسم مدير الدائرة .. وأريد مراقبة كل موظفي المركز بدقة من الفراش حتى أكبر موظف .. هل لقطتم شيئا من مراقبة الهاتف والبريد؟

ـ لا شيء .. جاءنا تقرير يفيد أن المكالمات الهاتفية عادية.

ـ قد يكون فيها إشارات وشيفرة ورموز معينة ؟

ـ هي مسجلة ، وهي طبيعية لا غريب فيها .. وأما الرسائل فمنذ مقتل السيد جميل أرسلوا فاكسات وبرقيات نعي وإخبار بموت الدكتور إلى جهات مختلفة من أوروبا، واستقبلوا كثيرا من برقيات التعزية والمواساة .. قد لا يكون نشاطهم من ضمن المركز .. ربما من خلال هذه الجمعية أو غيرها.

ـ يوسف فلتبق على اتصال مع الرائد عوني ، ولما يأخذوا أقوال حضرة المحامي حاول

الحصول على نسخة للاطلاع عليها .. وأما أنا فإني بحاجة لقسط من الراحة والنوم.

ـ لا حرج يا سيدي.. اذهب إلى منامك .. وسوف أتابع القضية هنا وهناك وستجدني عند حسن الظن يا سيدي.

ـ أنت دائما عند حسن الظن.

وتركه عبد الله وذهب حيث ينام ضباط جهاز الاستخبارات ، وما ألقى بنفسه على سريره حتى استغرق في نوم عميق ، ولم يكد يأخذ حاجته من النوم حتى جاءه أحد العاملين يخبره بأن ابنته تطلبه في المستشفى ، وترغب برؤيته ، فقفز قائما ، وارتدى ملابسه ، وأسرع نحو المستشفى وهو في قلق وترقب فوجدها قد استيقظت تماما من البنج .. وهي تريد رؤيته شوقا وحبا .. فاقترب منها وقبلها من جبينها المرهق ، وحمد الله على سلامتها وجلس بجوارها يداعب خصلات شعر متدليات على ووجهها المتعب ، وهو في غاية السعادة فإنها ابنته الوحيدة .. عندما ولدتها أمها أصابها مرض منعها الأطباء من تكرار الحمل حتى تشفى منه تماما .



الفصل التاسع

في التاسعة من صباح يوم السبت ترك الرائد عبد الله المستشفى إلى مركز شرطة حي الشجرة ، والتقى بالرائد عوني ، ووجد عنده التحري الخاص جريرا، ولما علم الأخير بمقتل السكرتير فرج ليلة أمس أصابه الذهول وعلق قائلا : جريمتان في أسبوع واحد .. إن هذا المجرم لجريء أيها السادة ! وهل يعقل أن للسيد بكرز يدا في هاتين الجريمتين ؟!

فقال عوني : إنه لم يصدق معنا في أقواله عند مقتل جميل .. لكن لا أرى أنه القاتل .. فوقت حدوث الجريمة ، كان يجلس مع الدكتور خضر وزوجته ، وعلاقته في عمارة زكي ملاح علاقة أجرة وإيجار فحسب.

فقال الرائد عبد الله : بيت أو شقة فرج تحتاج لتفتيش ومراقبة شرطية ، فهيا نتحرك نحوها الآن.

وتحركت بهم سيارة نحو العمارة التي يقطن فيها السكرتير فرج ، وتحدثا مع البواب الذي فاجأهم قائلا : يا سادة بعد منتصف الليل حضر رجلان ودخلا شقة فرج الدكتور.. وكان معهما مفاتيح الشقة ، وامضيا ساعة من الوقت ، وخرجا وبين أيديهما حقيبة كبيرة ، وتركا المفتاح عندي قائلين " إن السيد فرجا سوف يسافر بضعة أيام ثم يعود"

فأخرج الرائد عوني بطاقته للبواب ثم قال : نحن يا هذا رجال مباحث شرطة .. فاذكر لنا صفة هذين الرجلين.

فقال البواب : كنت يا سيدي أجلس في هذه الغرفة ـ وأشار لغرفة صغيرة في مدخل العمارة ـ فلما سمعت صوت سيارة تقف فتحت نافذتها وأخرجت جزءا من رأسي وقلت "من؟!" فقال أحدهم : أصدقاء فرج .. أما أحدهما فطويل ونحيف وذو وجه رفيع وشارب كثيف جدا ، ويضع على رأسه قبعة عميقة .. وأما الثاني فاقصر من الأول وجسمه أسمن منه.. وكان يلبس بدلة زرقاء قاتمة ، ويضع على عينيه نظارة خضراء، وله شارب سميك كصاحبه .. وظللت مستيقظا حتى هبطا وحيياني بعدما دفعا لي المفتاح ، وأخبراني بسفر الدكتور فرج ،

واختفيا في جنح الظلام الدامس.

فقال عوني : هات مفتاح الشقة واصعد بنا لشقة فرج .. واعلم أيها الرجل أن السيد فرجا قد قتل .. وهذان الشخصان الراجح أنهما قاتلاه .. واكتم الأمر حتى تعلن الشرطة عن مقتله مفهوم.

تباكى الرجل وقال : حاضر .. إيه كان رجلا محترما .. آه .. لقد كان كريما معي!

وأتى البواب بمفتاح شقة فرج ، وصعد إلى الطابق الثاني حيث الشقة ، وفتحها وأضاء الأنوار وقال : تفضلوا.

كانت الشقة مقلوبة رأسا على عقب لا شيء في مكانه .. ملابس متناثرة، وكتب مثل ذلك ، وكثير من الأوراق مطروحة على الأرض ، وخزانات فارغة ، فبدا لهم أن الرجلين فتشا الغرف تفتيشا دقيقا ، وأخذا ما يلزمهما من أشياء فرج ، وما قد يلقى ضوءا على الجريمة فقال عبد الله : علينا أن نعيد ترتيب هذه الأشياء بسرعة لعلهم تركوا لنا شيئا يعجل في مطاردتهم والقبض عليهم .

وبعد ساعة من العمل السريع أعيد ترتيب الشقة ، ولكنهم لم يجدوا ما يساعد على كشف الغموض المحيط بهذه الجريمة ، ووجدوا في أحد أدراج مكتب السيد فرج وفي ركن من أركانه مفتاحين صغيرين ، لما شاهدهما عوني وتأملهما جيدا قال : إن لم أخطىء فهذان مفتاحان خزائن الدكتور جميل اللذين اختفيا عند بحثنا عنهما .. أخذا من سلسلة مفاتيح جميل بعد مقتله.

فقال جرير بعد أن قلبهما بدوره : أكيد أنهما هما .. ولكن قد يكونا قد وضعا بكيد من العصابة للمزيد من التضليل ؟

فقال عبد الله : أرى أن السيد فرجا له يد في مقتل جميل.

فقال الآخران بدهشة : كيف ؟!

ـ أما كيف ؟! .. ففرج سكرتير جميل ، فهو الذي يستطيع أخذ المسدس من مكتب جميل بدون

أن يشعر به أحد ، وجاء متأخرا إلى الحديقة وشرب الشاي ، وأشغل أصدقاء الدكتور بمرض قلبه ، ولكنه قبل أن ينصرف للمطار للمجيء بشارل برس ضيف الجامعة والدكتور جميل دخل على الدكتور ، وجرى بينهما حديث قصير قام السكرتير بالغدر بجميل ، ورتب الأمور بسرعة وخرج مسرعا ، وقد ادعى أنه شاهد أجنبيا بسيارة أمام الفيلا لتضليلنا ، ولابد أنه هو الذي اتصل بصدقي لما لم يجد الزائر مغيرا صوته مخبرا بموت الدكتور ليصل رجال البوليس قبل عودته .. وإن لم يفعل هو الجريمة بنفسه ، قام أحد الذين يعملون معه بفعلها .. والراجح لديّ أنه هو ؛ لأنه هو الذي يعرف تفاصيل بيت جميل ، وأن جميلا يجلس في المكتب وحده ، وأن ضيوفه في الحديقة يثرثرون ، وهو الذي يعرف مسدس جميل ، وهو الذي يعرف هذه المفاتيح التي بين أيديكم ، وأرى أنه هو الذي تسلل للبيت لسرقة الأجهزة وغيرها ، ولكن للاتصال المفاجئ بالطبيب أغلق الخزانة السرية وتسلل هاربا .. وهو الذي أتى مكتب جميل صباحا ، وطلب القهوة من صدقي ليتمكن من أخذ شكل مفتاح المكتب والفيلا ؛ لأن صدقيا يضع المفاتيح في سلسلة واحدة ، ويخيل لي أن الرجلان جميلا وفرجا عضوان في جمعية سرية أو عصابة تجسس .. ولكن لماذا قتلوا جميلا ؟!.. هل أصبح يشكل عليهم خطرا ..؟ ولماذا قتلوا فرجا ؟ هذه تصفيات لرجال انكشفت أوراقهم ! .. لكننا نحتاج لأدلة دامغة على تجسس هؤلاء .. وتصفية الحسابات التي تجري ستعجل بالقبض عليهم ..قضيتكم قضية جاسوسية.

فقال جرير : ترتيب جيد للأحداث ! ..ولا لأحد مصلحة في مقتل جميل إلا لفرج .. وهو رجل ذكي وماكر .. ولكن من يحركهما إذا كانا جاسوسين ؟ ولحساب من يعملان ؟

فقال عوني : وفرج هو الذي دفع الآنسة ريما للتحدث عن صراع الوالد أسعد وابنه .. وهو الذي كان مهتما باختفاء المسدس من مكتب جميل في المركز ؛ ليرى هل أحد شاهده وهو يأخذه ؟.. ولذلك سنعيد التحقيق مع أفراد المركز بهذا الاتجاه الجديد.

فقال عبد الله : ركز على الفراش أبي سالم .. لعله رآه وهو يأخذه ، وخجل أن يحدثنا بذلك لاستبعاده أن يقتل فرج جميلا أو تعرض لتهديد شديد منه.

ـ سأطلبه في المركز.

ـ والد الدكتور عنده كلام خطير ومهم .. دعوه يكتب إقراره ما دام لا يستطيع الكلام .. لابد أن كرهه لولده أن له سببا مهما .. وأقوال صدقي تدل على أنه يعرف عن ولده أشياء بغيضة قد يكون عرفها أثناء تواجده معه في الغرب.

ـ إني أتابع حالته باستمرار .. وهو في وضع صحي حرج لا يتكلم ، ولا يستطيع الحركة ، ويرى الأطباء أن حالته صعبة وعلى وشك الرحيل ومفارقة الدنيا ، فقلبه منهك جدا وضعيف وقد غيرت بعض الشرايين أكثر من مرة.

فقال عبد الله بأسف : نسأل الله له العافية .. هيا بنا .. اطلب حرس على الشقة وتشميع بالختم الأحمر قبل رحلينا.

ولم تمض نصف ساعة أخرى حتى كانت الشقة تحت حراسة الشرطة ، وقد حضر رجال المباحث والأمن للقيام بإجراء اللازم.

لما عاد الرائد عوني لمكتبه وبصحبته الضابطين الآخرين ، وجد مساعده دشهان يخبره بأن رجال المرور والأمن قد وجدوا السيارة التي كان يركبها القتلة في منطقة خاصة بتصليح السيارات ، وتم الحجر عليها وتفتيشها ، ولم يجدوا بها شيئا حتى البصمات ممسوحة عن مقود السيارة وغيره ، وأبلغ مالكها وطلبوا منه أن يراجع دائرة المرور لاستلامها وحصر ما فقد منها.

فلما استمعوا لتقرير دشهان عقب الرائد عبد الله : إنهم يتحركون بذكاء ، ولكنهم سيقعون فهم يعملون بسرعة ، والسرعة تجلب الخطأ ، فهم يشعرون أنهم مطاردون .. وهل وصل محضر التحقيق مع المحامي بكرز.

فقال دشهان : اتصل العقيد بنفسه ، وقد أخذ أقوال المحامي ، وعرف منه أنه مجرد وكيل عن السيد زكي ملاح .. وتعرف على الدكتور جميل وفرج عندما استأجروا منه شقة للجمعية المعروفة في عمارة ملاح .. ثم تعاقد مع جميل لرعاية مصالح المركز القانونية بعدما فصل محاميه السابق الدكتور "مجدي سعدانة" ، وقبل سنة عرف أن رجال الجمعية نقلوا عملهم إلى

مكاتب أخرى ، ولكنهم استمروا يدفعون الأجرة عن هذه الشقة، ولكن باسم الدكتور فرج ، وقال إنهم كثيرو السفر للخارج وخصوصا الدكتور جميل.

فقال عبد الله : الرجل صادق .. فقد تحرينا عنه منذ استلمنا القضية .. كان هؤلاء القوم يعملون بحنكة وفطنة وحذر شديد.. وهذا يؤكد لنا أنهم يرتبطون بأجهزة مخابرات دولية .. وأنهم يسيطرون على شبكة تجسس أو أكثر .. فالخريطة التي وجدت في بيت جميل تستخدم في كتابة الرسائل السرية والشيفرة .. كما يؤكد الخبراء لدينا ، وكذلك القاموس الخاص يستعمل لفك الرسائل المشفرة .. والخطر المخيف أن يكون لهم أعوان في وزارات الدفاع والأمن والصناعة والبحث العلمي والمصانع الحربية .. فالكاميرات التي وجدت لدى جميل متطورة جدا.. وتستخدم في التجسس الصناعي والعسكري.

فقال جرير : هذه قضية مرعبة وخطيرة! ..هل كان جميل يدير هذه الشبكة أم فرج أم شخص ما زال مجهولا ؟

فقال عبد الله : قد لا يكون جميل الرأس الكبير في هذه الشبكة ، وقد يكون .. فهو رجل معروف على المستوى الرسمي للدولة والجامعات ومراكز العلم.

فقال عوني : هل كان المركز وكرا للعمالة والخيانة والتجسس ؟.. فعلاقة جميل بخضر الدكتور وفريدة زوجته والمحامي علاقة طيبة وبريئة.

فقال جرير : حتى موظفي المركز .. أم المركز تغطية وجر رجل ؟

فقال الرائد عبد الله : فلماذا قتلوه ؟ هذا السؤال الكبير؟ هل أصبح يشكل خطرا على الشبكة أو طلب منهم أشياء خطيرة حتى اضطروا لتصفيته؟ .. ولماذا صفوا سكرتيره فيما بعد؟ .. لابد أن فرجا يعرف الكثير .. تخيلوا لو لم يكن رجلنا يراقب فرجا وتبعه للجمعية لظل فترة فيها ميتا .. ومع أنهم يعرفون بمراقبتنا له أقدموا على الجريمة.

فقال عوني : الحقيقة أن السيد فرجا كان شديد الذكاء والحذر معنا.. وكان يتظاهر بالسذاجة والبلاهة وعدم الاكتراث ونحن نحقق مع موظفي المركز.

فقال الرائد عبد الله : على كل نحن مستمرون في مراقبة عمال المركز، وقد أرسلنا لسفيرنا ورجلنا الأمني في ألمانيا للتأكد من تابعية المركز لإحدى الجامعات الكبرى هناك ، وطرق تمويله.. وأوصيناهم بالعمل في سرية تامة وحذر شديد.

وغادرهم عبد الله أحمد إلى مقر عمله وتحدث مع المستشفى فاطمئن على ابنته مريم وأمها، وذهب حيث يعقد كبار الضباط اجتماعا خطيرا للنظر في قضية مقتل جميل وسكرتيره فرج ، واطلع على المعلومات التي تجمعت لديهم عن جميل منذ بداية حياته وأثناء تدريسه في الجامعة وعلاقاته مع أصدقائه وزملاء التدريس، ولما عاد إلى مكتبه تحدث مع مساعده النقيب يوسف وكلفه بمهمة عاجلة وسرية ، ثم مشى نحو المطعم ليأكل بعض الأكل ويشرب الشاي وهو يفكر في هذه القضية المعقدة ومن يسير هذه الأحداث المتسارعة .. قتل جميل .. سرقة سيارة .. سرقة بيت جميل .. مصرع فرج .. سرقة شقة فرج .. ظهور السيارة المسروقة .. ثم اتصل بأحد العاملين معه ، وأرسله للمطار الدولي والمجيء بكشف بأسماء القادمين يوم الاثنين العاشر من إبريل.. وما حل مساء السبت حتى تجمعت معلومات كثيرة عند الرائد عبد الله ، ومكث هو ومساعده يوسف يتناقشان حتى الساعة العاشرة ، ثم غادر الرائد إلى المستشفى والتقى بابنته ثم أخذ زوجته وعادا للبيت بعد أن أوصى الممرضات على ابنته الوحيدة ، وفي البيت تناول العشاء مع الزوجة ، ثم ذهب لسرير النوم فألقى نفسه عليه ليستريح وينام ، فإنه منذ ثمان وأربعين ساعة يتحرك ويعمل بجد وتفكير وانشغال بال على الابنة ؛ ولكن جاءه هاتف ليلا فسمع الصوت يقول : لقد وجدوه نزيلا في فندق شعبي.. لا ينزل فيه إلا رعايا الدول الفقيرة.

فقال : راقبوه جيدا .. ولا تغفلوا عنه لحظة .. هذا الرجل سيقودنا إلى قيادة الشبكة واحذروا أن يسافر لابد أنه يستعد الآن للرحيل .. يوسف دعهم يراقبوه مراقبة فقط .. مراقبة دقيقة .. وإذا حاول المغادرة عوقوه بطرق دبلوماسية .. قد يكون هو رجلنا .. فتركه الفندق بهذه الصورة يجعله موضع ريبة وشك .. ولكن علينا أن نتعامل معه بحذر وذكاء فهو من رعايا

دولة أجنبية ، والخطأ بألف خطأ.. وضجة وفضيحة على مستوى العالم .

وترك السماعة وعاد للنوم من جديد وهو يقول : يقول عامل الاستقبال في ذلك الفندق إنه خرج مساء يوم الجمعة ولم يرجع إلا عند الصبح.. ومكث قليلا من الزمن ثم اعتذر من مندوب الجامعة.. وادعى أن برقية عاجلة جاءته فهو يعتذر عن الاستمرار بحضور باقي الندوات والمحاضرات وراغب في السفر .. ولكنه لم يسافر كما ظهر من كشوف المغادرين .. بل نزل في فندق قديم وشعبي .. هل هو خائف من الرحيل أو أن مهمته لم تنته بعد ؟ .. من سيقتل هذه المرة ؟ من يا ترى سيكون الضحية الثالثة ؟! آه .. مستر شارل برس أمعقول أن يكون هو الرجل الخطير ؟!.. أمعقول أنه هو الرجل الذي قتل جميلا وفرجا ؟!.. أمعقول أنه دكتور في البيولوجيا؟! ولكن رجال الجامعة يؤكدون أنه عالم كبير ودكتور مشهور في البيولوجيا.. ولكن جميلا أيضا كان رجل علم وبحث علمي .. وقد غرق في أوحال وعالم الجاسوسية ..وهذا لم يثبت عليه بعد ! .. ولكن كل الإشارات والدلائل تؤكد ذلك .. ولماذا يحتفظ بأجهزة تجسس دقيقة وجوازات سفر لدول مختلفة وكاميرات تصوير وتصغير؟ .. فمقتل فرج يعجل في النهاية .. سوف تكون فضيحة مدوية في القطر والعالم .. رجال العلم عندما ينحرفون .. ولكن جواسيس هذه الأيام أكثرهم علماء ويحملون شهادات علمية كبيرة هل سنصل لكل أعضاء الشبكة التي تلوح بالأفق ؟! .. هل ستكون شبكة علمية فقط ؟! .. أم ستتبعها شبكة سياسية واقتصادية وعسكرية ؟؟ .. وعاد يقول في نفسه : شارل برس دكتور بيولوجيا أحياء مائية أجنبي جاء من باريس لتصفية جميل زميله .. ما خطأ جميل ؟ هل تورط جميل معهم حديثا ثم ندم فعاجلوه بالموت ؟ .. ولكنه منذ خمس سنوات وهو عضو ورئيس جمعية أصدقاء العلم الأوروبية .. لابد أن يكون معهم منذ فترة طويلة .. قد تطول إلى أيام الدراسة الأولى أم أثناء عمله هناك في أوروبا بعدما استقال من التدريس في الجامعة .. ولكن ملفه في الجامعة يؤكد شدة حذره .. لا يتكلم في السياسة إلا لماما ..لا ينتقد الشخصيات الكبيرة ، بل كان حريصا على التعرف على الشخصيات الكبيرة وعلى رجال المال

الكبار.. رجال البنوك.. اقترب الفجر يا عبد الله ارقد ساعة من الزمن .. فوراءنا عمل وحركة في الصباح ، وعاد يفكر قائلا : من الذي كان معه في عمارة الملاح تلك الليلة ؟ قد لا يكون شارل هو المطلوب أو من هو الرجل الذي كان مع الشاب الطويل ؟؟

ونام عبد الله وهو يحلم بالقبض على عصابة الجواسيس وتفكيك الشبكة الخطيرة.



الفصل العاشر

استيقظ الرائد عبد الله في السادسة صباحا وتناول إفطاره وخرج للدائرة مبكرا وجلس مع معاونيه وقال ليوسف : ما أخبار مستر شارل ؟

فقال يوسف : ما زال ينزل في فندق الأمراء متنكرا بجواز سفر آخر ، ورجالنا حول المكان يتأهبون للقبض عليه في اللحظة التي تأمر بها.

ـ جميل! .. نحن نريد أن نعرف شريكه في القتل ونعرف أعضاء جمعية العلم .. أريد تفتيش حقيبته من غير أن يشعر بنا .. وأخذ كل الأوراق والوثائق الموجودة فيها من غير أن يحس بكم وكذلك رصد كل المكالمات الهاتفية التي يتلقاها أو يرسلها مع تسجيلها.

فبعد أن تابع الرائد خطوات العمل خطوة خطوة استأذن من رئيسه لزيارة ابنته مريم في المستشفى ساعة من الزمن ، وطلب من مساعده يوسف الاتصال به أولا بأول، وأثناء وجوده في المستشفى جاءه اتصال من يوسف يخبره فيه أن شخصا تكلم مع شارل في الفندق ، وظهر من الحوار بينهما أن شارل غاضب ، وكان يتكلم بصوت حاد ، فقال عبد الله : أنا قادم .. أريد أن أسمع تسجيل المكالمة كاملا سلام.

ودع الضابط أسرته ودخل إلى مكتبه في الدائرة بسرعة ، وكان النقيب قد أعد جهاز التسجيل والشريط الذي سجلت عليه المكالمة ، كان وقت المكالمة حوالي التاسعة وعشر دقائق صباحا .. رن جرس الهاتف في الفندق .. استدعي شارل برس باسم " وليم برناس " ، أخذ وليم السماعة من عامل الفندق بغضب ورد بعربية ضعيفة : نعم ، أنا وليم برناس .. أين أنت ؟؟

الصوت : هدأ أعصابك .. لا تقلق الصحف لم تنشر خبرا عن السيد.

فقال شارل : لا صحف السبت ولا صحف الأحد ؟!

الصوت : لا .. فجرائد أمس واليوم لم تذكر شيئا عنه.

شارل : أخشى أن يكون حيا لم يمت .. ابحثوا في المستشفيات.

الصوت : أليس حولك أحد؟

ـ لا .. لقد انصرف العامل إلى الداخل .. إنه يشرب الشاي أو يأكل الطعام .. ولماذا لم تحضر أمس؟.

ـ الوضع خطير ومقلق .. فالتعتيم على موت ... يثير التوتر والقلق ..وقد سألوا عنك في الفندق الكبير فاصبر بضعة أيام حتى أجهز لك تذكرة سفر إلى كينيا أو أديس أبابا .. لا تصرخ .. اهدأ.

وكان شارل قد أخذ بالصراخ والشتم بلغته الفرنسية ثم قال : الموظف اللعين مقبل نحوي كأن صراخي أزعجه كيف أراك ؟.. أنا في غاية القلق.

اقترب العامل وقال : مستر وليم أما زلت تتحدث.

التفت إليه شارل وقال : قليلا مستر فؤاد ، فرد فؤاد : خذ راحتك مستر وليم وعاد شارل يقول لمخاطبه بغضب : متى تأتي ؟.

الصوت : الليلة بعد العاشرة سوف أمر عليك .. احذر كل من حولك وانقطع الاتصال.

ولما انتهى الرائد من سماع المكالمة الخطيرة ، أخبره النقيب يوسف أنه تلقى اتصالا من رجالهم أن السيد شارل ترك الفندق ، ولسوف يدخل رجالنا غرفته للبحث في حقائبه ، ثم قال النقيب : وما ترى في هذه المكالمة ؟

فقال : يبدو أنهم قلقون على مصير فرج وعدم نشر خبر مصرعه في الصحف ، وأرى أن المكالمة طبيعية لا يوجد فيها الغاز وخفايا .. فهو يريد أن يغادر البلد بأسرع وقت ممكن .. لماذا لم يسافر بعد ارتكاب الجريمة ؟.. هل جهزتم الملف لتقديمه للنائب العام لأخذ التصريح اللازم للقبض عليه ؟

ـ لقد جهزنا ملفا للمدعي العام للدولة ، وآخر للمدعي العام الأمني والعسكري .. فلربما يكون معه أفراد من وزارة الدفاع..

قال الرائد : جيد ، علينا بالحصول على التصاريح اللازمة .. الليلة سنرى من هو شريك شارل ؟ .. أتكلم معكم الرائد عوني ؟

ـ أجل .. وأخبرني أن تقرير الطب الشرعي حول وفاة فرج قد جهز ، وقد تبين لهم أن هذه الجمعية لا أوراق رسمية لها.. ليس لها أوراق صادرة عن وزارة ثقافية ولا صناعية .. وعقد الإيجار هو عقد إيجار شقة فقط .. وكان باسم الدكتور جميل وفي السنة الأخيرة أصبح باسم فرج .. ثم وضعت لوحة صغيرة تقول : جمعية أصدقاء العلم الأوروبية " لا ترخيص ولا تصريح.

ـ أمعقول هذا ؟

أجاب يوسف : نعم .. ولقد اتصلت وتابعت ذلك.. فتحدثت مع وزارات فلا يوجد لها اسم عندهم حتى في دليل الهاتف هي باسم جميل .. ونحن في بلادنا كما تعرف إذا رأينا مؤسسة أو شركة تنتمي لجهة أوروبية أو أمريكية لا أحد يدقق في شأنها.

ـ أخشى أن يكون المركز هو الآخر لا أصل له .. ولا ارتباط له في جامعة معينة.

ـ لا تستغرب ذلك .. ولكن المركز معروف على مستوى الجامعات لا أعتقد هذا الاحتمال .. وأعتقد أنه سيغلق أبوابه بعد مصرع فرج .. أوراق تقدم للدوائر المختصة ، وعليها أختام رسمية فيتم ترخيصها والسماح لها بمزاولة العمل ، ولا يوجد في القوانين الوضعية ما يمنع فتح مثل هذه المراكز ما دامت لا تشكل خطرا على الأمن الاجتماعي والسياسي في البلد.

فعاد يسأل الرائد : ألم يأت شيء من ألمانيا بعد ؟

ـ لا .. والأمر يحتاج لوقت لعدة أيام إن لم يكن أسابيع .. ولكن سيأتي الخبر اليقين بإذن الله وهذا لا يقدم كثيرا على التحقيق نريد أن نقبض على المتورطين والاعتراف سيد الأدلة.

ـ القرائن تضعف المتهم وتدفعه للاستلام ..ويكتمل الموضوع أكثر فأكثر.

بعد الظهيرة كان رجال الاستخبارات الذين قاموا بتفتيش حقائب برس أو وليم قد عادوا بما حصلوا عليه من أوراق ووثائق ، وكان من بينها خريطة أجنبية كالتي وجدت في بيت جميل ، وكل الوثائق مكتوبة باللغة البريطانية والفرنسية ، فأمر بتحويلها لمترجمين ، وقد وجد رجال الأمن أدوات تنكر من أقنعة وشوارب رفيعة وسميكة ولحى طويلة وقصيرة ونظارات وأقلام

غريبة ومسدس صغير جدا وقالوا : لم يبق سوى الملابس وبعض كتب العلم باللغة الفرنسية وبعض صور الأبحاث.

رجع شارل للفندق عند السابعة مساء ، ودخل غرفته بعض الوقت ، ثم نزل حيث الهاتف واتصل برقم معين ، ولكن الرقم المطلوب لم يرد عليه فعاد لغرفته مرة أخرى ، ثم هبط وهو يحمل حقيبته وقال لفؤاد عامل الفندق : كم حسابك وأعطني جواز سفري ؟؟

وكان يقف بجوار فؤاد شخص ، فلما سمع وليم يطلب جوازه قال : مستر وليم .. اليوم اكتشفنا لصا يخرج من غرفتك.. فظنّنا أن أحدا سرق شيئا من عندك ؟ فلما جئت ونزلت قبل قليل ظّننا أنك جئت تبلغ عن السرقة ..كان أحد الشغالين قد صعد لينظف حجرتك عندما تفاجأ بخروج رجل منها ، ودفع العامل أرضا وفر سريعا .. فاتصلنا بالشرطة فجاءت ونظرت في الغرفة وانتظروك .. ولكنك تأخرت وقالوا لما يعود النزيل يراجعنا عليك مراجعتهم لمعرفة ما أخذ منك لمتابعة الأمر.

فقال فؤاد : أين كنت طول النهار مستر وليم ؟.. هل فقدت شيئا ؟

تريث قليلا وليم قبل الرد ثم قال : لا .. لم يسرق مني شيء .. ولكني اليوم التقيت بصديق وأكلنا معا ودلني على فندقه فأريد أن أذهب إليه .. أرجوك كم حسابك ؟

فتح فؤاد دفتره ونظر فيه وقال له : عشرة دنانير يومان سبت أحد.

وسمع شارل الرجل الآخر يقول : أمتاكد يا مستر وليم أنه لم يختف من حجرتك شيء؟.. فاحذر أن تأتي بعد خروجك وتقول فقدت كذا وكذا .. سأخبر رجال البوليس بأنه لم يسرق منك خيط.

لم يرد وليم على الرجل ، ودفع الأجرة وأخذ جوازه وقال : مستر فؤاد ممكن أتكلم بالتلفون ؟

قرب إليه فؤاد التلفون وهو يقول : تكلم مستر وليم.

فضرب رقما معينا وقال : آلو .. آلو .. أنا وليم .. نلتقي في البحيرة الخامسة .. أمر مهم .. لا تتأخر أمام نفس المكان .. أنا الآن منصرف .. لا تمر .. سنلتقي هناك.

ووضع السماعة وشكر فؤاد ورفيقه ، وأردف حقيبته على ظهره وخرج بسلام وهو يقول : لص دخل غرفتي وسرق الأغراض .. لا .. إنه لص محترف في المخابرات .. لص لم يسرق مالا رجال المخابرات وصلوا إليّ ؛ ولكن منذ متى ؟ لا بد أني مراقب الآن .. وأكيد تنصتوا على مكالمتي هذه ، بل هذا الرجل الذي يقف مع فؤاد رجل مخابرات وليس عامل فندق .. كما يتظاهر أنه لا يعرف شارل برس .. ولكن لماذا لم يقبضوا عليّ بعد؟! .. إنهم يريدون الرجل الآخر .. أخطأت أنا بالاتصال به .. ولكني أصبحت كالفأر وقع في مصيدة .. كيف وصلوا إليّ؟ أخطأت خطأ كبيرا بمجيئ إلى هذا البلد من غير حرس .. جئت بثوب عالم باحث .. عندما قتلنا فرجا وركبنا السيارة لم يلحق بنا أحد ..والرجال الذين كانوا يراقبون فرجا ألم يعرفوا بموته؟ لقد كان أحدهم يتجسس علينا في الطابق الثامن .. هل فرج لم يمت؟ لقد تأكدت من موته .. سكتت أنفاسه كليا هو الذي دفعني لقتله .. أصبح يشكل خطرا على الشبكة كلها .. لقد سقط كما سقط جميل .. لقد أصبح تحت مراقبة رجال الأمن السري .. لقد فضح نفسه بمغامرته تلك الليلة ومحاولة سرقة الأجهزة والكاميرات والأوراق المهمة .. هرب كالأرنب .. سأذهب الآن إلى فندق وأضع هذه الحقيبة .. وأحاول تضليل من يتبعني .. ولكنهم إذا سمعوا المكالمة فسيعرفون شارع البحيرة الخامسة ويذهبون لانتظاري هناك أمام الجمعية ..مشى شارل على قدميه في شوارع المدينة .. وكان يتوقف أمام المحلات .. ويحاول كشف وجوه مراقبيه ..واستمر المشي والتفكير ساعة من الزمان .. ودخل أحد الفنادق الصغيرة الشعبية ، وحجز فيها سريرا في غرفة مشتركة ، ومكث نصف ساعة في الفندق وهو مازال يشعر بأنه متبوع ..ثم خرج وذهب إلى دار سينما اشترى تذكرة ودخل .. كان الفِلم قد بدأ منذ وقت طويل .. جلس على مقعده بضع دقائق .. ثم ذهب لدورة المياه .. ثم تسلل خارجا يتلفت يمنة ويسرة .. كان يرى في كل رجل يراه أو امرأة رقيبا عليه ومطاردا له .. أحس إحساسا قويا بأنه سقط ، وأن ذكاءه في الاختفاء والتنكر قد خانه .. عاد يتجول في شوارع المدينة الكبيرة .. ثم اقترب من سوق المجوهرات واجتازه ، ودخل شارعا صغيرا ذا

أضواء خافتة ، وكانت الساعة تقترب من العاشرة ليلا ، وفي زاوية من زوايا الشارع الصغير كان هناك مقهى صغير ما زال مفتوحا .. إنه مقهى البحيرة الخامسة .. مكان تواعد شارل وشريكه المجهول .. كان الشارع الخلفي الصغير خاليا من المارة .. إلا رجلا يقف أمام كابينة تلفون تبعد عن المقهى حوالي مائة متر .. نظر إليه شارل لحظات ودخل المقهى الصغير .. كانت هناك جماعات من البشر تلهو بأوراق اللعب "الكوتشينة" ، جلس على مقعد في عمق المقهى .. طلب كوبا من الشاي .. وأشعل سيجارة .. وأخذ يتفرس في الوجوه الموجودة بالمقهى خلسة .. أتاه الشاي فنقر على الطاولة بقطعة نقدية مرة ثم سكت ، وبعد برهة نقر مرتين متتابعتين وسكت ، وبعد حين شرب الشاي وضرب بقطعة العملة الطاولة ثلاث ضربات متتابعة .. وبعد حين اقترب منه رجل كان يجلس وحده يدخن النرجيلة.. وهمس : ما الأمر .. رجال الأمن يراقبونني؟

ـ وأنا كذلك .. نلتقي في مسجد إبراهيم ياسين صباحا الساعة العاشرة والربع.

وفجأة امتلأ المكان برجال ، وأغلق الباب بحراسة رجال الأمن السري ، وسمع صوتا يقول : مستر شارل .. لا تتحرك ولا تستعمل مسدسك .. وسلم نفسك.

وضع المنادى عليه يده ليخرج مسدسه ، ولكن كان رجال الأمن قد قبضوا عليه وعلى صاحبه وتقدم الضابط عبد الله أحمد منه ، وخلع الباروكة عن رأسه ورفع الشارب الرفيع واللحية الصغيرة ، وهو يقول : مرحبا مستر شارل .. الآن انتهت شخصية وليم!

وتقدم من الرجل الآخر ، ورفع الباروكة عن رأسه، وخلع النظارة عن عينيه والشارب الرفيع واللحية الصغيرة ، وصاح بدهشة : سيد عماد سامح !.. ولماذا هذا التنكر؟! هو أنت شريك برس في جريمة عمارة زكي ملاح ؟! .. ألست سائق الدكتور جميل ؟! .. إنك ذكي جدا يا هذا مع مراقبتنا الشديدة لكل أفراد المركز .. لم يخطر في بالنا أن تكون أنت .. نحن دهشنا عندما اتصل بك مستر وليم الليلة في بيتك .. قلنا تضليل ومكر.

قال شارل بقهر وغيظ : إنها غلطة كبيرة ! ولكنني أصبحت كفأر في مصيدة فاضطررت

للاتصال به.

فقال الرائد بثقة كبيرة : ها نحن التقينا في البحيرة الخامسة .. أنت تريد منا أن نذهب لشارع البحيرة الخامسة وليس المقهى .. ولكن رجالنا معك في كل خطوة تخطوها .. في الشارع أمام المحلات في السينما .. حتى وصلت إلى هنا .. وأنت سيد عماد خرجت من البيت وركبت سيارة أجرة .. إنها سيارتنا.. ونزلت في شارع معتم .. ولبست أدوات التنكر شعر طويل نظارة شارب رفيع ولحية صغيرة ـ أما يوم مقتل فرج فقبعة واسعة نظارة سوداء وشارب كثيف من غير لحية ـ ثم وقفت تنتظر سيارة بعدما تنكرت .. ركبت سيارة أجرة .. وسرت في شوارع المدينة شرقا وغربا ثم جئت إلى هذا الشارع بعدما نزلت في الشارع المجاور وسرت على قدميك وأنت تظن أنك ضللت رجالنا إذا ما زالوا يتبعونك.

تم وضعهما في صندوق سيارة عسكرية ، وتسليمهما لمركز أمن حي الشجرة ليتم استجوابهما بشأن الجريمتين ، وكان الرائد عبد الله قد اتصل بعوني وأخبره بذلك التطور ، فكان الضابط في استقبالهما هو ورجال الأمن في المركز ، فقال عوني وهو مستغرب عندما رآهما : أنتما ! .. مستر شارل عالم البيولوجيا الفرنسي .. أخشى أن تكون منتحلا لهذه الشخصية يا هذا ! .. يا لك من رجل ماكر ..ونظر لعماد وقال : عماد! .. سائق الدكتور .. السائق الهادئ الذي ليس له عمل إلا نقل وتوصيل الدكتور .. يا مرحبا بكم أيها السادة.

قال عبد الله : خذ اعترافاتهم بمقتل الدكتور جميل وفرج ودوافع ارتكاب الجريمتين ، ثم سوف ننقلهما للتحقيق معهم في قضايا التجسس لنعرف باقي أعوانهما.

الفصل الأخير

جلس عدد من الضباط من جهازي الأمن والشرطة والأمن السري الاستخبارات حول مائدة كبيرة ، وأحضر الرجلان مكبلين بقيود البوليس ، وبعد أن فتح المحضر قال الرائد عوني : نحن رجال الشرطة نريد سماع أقوالكم واعترافاتكم حول الجريمتين .. وأما التحقيق في نشاطكم التجسسي فيكون في دوائر الأمن الخاصة.

فقال شارل : أنا لن أتكلم بشيء قبل أن أتصل بالسفارة وأمام محامي دولي.

فقال عوني : ما رأي وكيل النيابة ؟

قال وكيل النائب العام : لك ذلك يا مستر شارل .. وأنت يا سيد سامح ..عماد سامح .. هل تريد أن تقر بما تعلم أم نحضر لك قانونيا ؟

فالتفت عماد إلى عيني رفيقه شارل وقال : سوف أتكلم ، ولكل شيء نهاية .. أريد أن أقول ما عندي.

فأمر الرائد عوني بإخراج شارل بناء على تشاور الضباط ، وطُلب لعماد كوب من الشاي ، ثم بدأت اعترافات عماد الخطيرة التي طال انتظارها ، فبعدما عرف بنفسه من ذكر اسمه وسنه وعمله وعنوانه قال : أنا التقيت بالسيد جميل في بون قبل ما يزيد عن عشر سنوات .. كان لي أخ يشتغل هناك ذهبت لزيارته ، وكان من أصدقاء جميل ، وكان متزوجا من فتاة ألمانية ، وأنا لم أنجح في المدرسة ولم أحصل على الثانوية العامة .. ولما كنت هناك في زيارة أخي أعجبتني حياة الانفلات والملاهي، فكان أخي جاسر ينفق عليّ ، وكان الدكتور جميل يدس عليّ خفية عن أخي كثير من الماركات الألمانية .. وفجأة مات أخي بحادث سير رهيب هناك .. وزوجة أخي الألمانية لم تنجب أي طفل لأخي .. فعندئذ فكرت بالعودة للبلاد بعد ثلاث سنوات أمضيتها هناك .. في تلك الفترة لما رأى السيد جميل رغبتي القوية بالعودة أقنعني بالعمل لديه في المركز العلمي سائقا خاصا له .. ولما عاد من سفره ذهبت وقابلته فكنت سائقه الخاص ، وأصبح السائق القديم سائقا للمركز ، وكان يعطيني راتبا ممتازا وساعدني في الزواج ، ولكني

فشلت فيه ولم يدم سوى بضعة أشهر ، وكان أحيانا يكلفني جميل برحلات خارجية لنقل وثائق ورسائل لجهات مختلفة ، وكنت أظنها أول الأمر أبحاثا علمية .. واستمر هذا الوضع لأكثر من خمس سنوات حتى التحق بالعمل الدكتور فرج السكرتير .. فعرفت منه بعد عدة مهمات خاصة أنني أعمل ضمن منظمة سرية تجسسية تخدم دولة أوروبية مقرها في ألمانيا الغربية .. وللحياة التي أعيشها من ترف ومجون لم أكترث لهذا الاكتشاف .. وظللت السائق الخاص للدكتور جميل ، وأحيانا فرج إلى أن حدث أمر خطير وهو أن الدكتور جميل عازلي أخذ والده أسعد عازلي المريض بالقلب للعلاج في أوروبا في بون عاصمة ألمانيا ، وذات يوم والدكتور يجلس مع جماعة من هذه المنظمة السرية استمع الوالد لحديثهم من غير علمهم .. والسيد أسعد مدرس قديم ويتقن اللغة الإنجليزية والفرنسية كالناطقين بها .. المهم عرف الأستاذ أسعد بأن ابنه عميل لمنظمات تجسسية غربية.. فهو جاسوس كبير لهم.. وهو يدير شبكة تجسس في وطنه لصالح هذه المنظمة السرية التي عرف أنها تعمل لصالح المخابرات الأمريكية والإسرائيلية في أقطار العالم العربي أو الشرق الأوسط .. فهذا الأب لم يحتمل تورط ابنه فانفعل سريعا .. واقتحم عليهم الغرفة وتشاجر معهم ومع ابنه وحقره أمامهم وبصق عليه أمامهم .. وقطع جميل العلاج أو متابعة العلاج وعادوا إلى هنا .. وقد اشتد الصراع بينه وبين أبيه .. وهنا دخلت المنظمة السرية .. وطلبت منه إنهاء حياة والده بأي طريقة .. فصعب عليه الأمر وتوسل وترجى ومن غير فائدة .. فرفض تنفيذ القتل أشد الرفض وفي كل سفرة كان يستعطف القوم وأن والده لا يمكن أن يكشف الأمر ويفضحه .. ولكنهم لم يقتنعوا .. فتكفلوا له بتنفيذ المهمة فرفض .. وفي الرحلة الأخيرة ذهب إليهم ليتفاهم معهم .. وهناك رفضوا أعذاره وأقواله ، فهددهم بتسليم نفسه للسلطات المختصة أو الانتحار .. وقبل عودته جاءت الأوامر للسيد فرج بالخلاص منه بأسرع وقت ، وقدم شارل المتسربل بثياب العلماء والحكماء للإشراف على المهمة وضبط الأمور هنا بعد مقتل جميل .. وكان جميل يعتقد أن مجيء الرجل باسم حضور ندوات الجامعة للتفاهم معه على حل وسط .. قد تقولون لماذا لم يقتلوه

هناك عندهم ؟ فقتل الدكتور جميل هناك سهل وميسور ؛ ولكنه خطير ، وقد يدفع والده بكشف أوراق كانوا يخشون أن تكون عنده .. فقد كانوا يظنون أن جميلا يخبئ أوراقا تخص المنظمة والشبكة هنا ؛ فإذا قتل هناك فيقوم الوالد بعد موت ابنه بإخبار دوائر الأمن السري.. فيتم تفتيش كل شيء عند جميل فتسقط شبكتهم هنا .. المهم تلقى السيد فرج الأمر الخطير ، ووصل شارل دون علم جميل صباحا .. واتصل به من الفندق الكبير والتقيا بعد الظهر .. وكلفه بمهمة تصفية جميل بأسرع وقت .. والرفض مستحيل عند هذه المنظمات الرهيبة .. ذهب فرج مساء لبيت الدكتور جميل بعدما استولينا على مسدس جميل من المكتب .. وركب له كاتم صوت.. وكانت مهمة فرج أمام الدكتور وضيوفه هي الذهاب للمطار واستقبال الدكتور شارل وإحضاره إلى بيت جميل للعشاء .. وشارل قادم لإلقاء محاضرة علمية في أسبوع ونشاط الجامعة ، وموعد الطائرة كما تعلمون السابعة مساء .. فشارل عالم حقيقي معروف في علم الأحياء ؛ ولكنه مجرم وعالم من علماء المنظمة السرية .. الدكتور جميل لا يسمح لأحد بدخول مكتبه أثناء غيابه إلا لي ولأبي سالم الفراش .. اتصل بي فرج .. وطلب مسدس جميل فأخذته خفية عن عيون الفراش ودفعته لفرج .. وكان فرج قد رتب قتل الدكتور بأسرع وقت .. والدكتور هيأ الفرصة لفرج بقتله .. عندما شرب القوم الشاي كان الدكتور في مكتبه ، فدخل عليه فرج قبل أن يغادر للمطار والذين يجلسون في الحديقة يظنون أنه ذهب للمطار ، ولم يعرج على مكتب جميل .. دخل الفيلا بدقة وخفة وسرعة يمتاز بها فرج ودخل المكتب.. فلو رآه صدقي أو غيره سيفهمه أنه يريد الحديث مع الدكتور ..وكان فرج قد صمم لباب مكتب جميل مفتاحا وللباب الأمامي آخر بغفلة من صدقي منذ عهد قريب .. منذ بدأت مشاكل جميل تزيد مع المنظمة السرية .. دخل على الدكتور وبعد حديث يسير قتله بمسدسه .. وأخذ كاتم الصوت ، ومسح بصماته عن المسدس والمكتب والمقعد الذي جلس عليه وأغلق الباب على الدكتور .. وانطلق إلى المطار .. وكما قال لي العملية لم تستغرق ثلاث دقائق .. وقد تأخرت الطائرة الفرنسية أو الطائرة التي من المعتقد أن على متنها شارل ..

تظاهر بالسؤال عن الدكتور شارل أمام الموظفين ليشهدوا أنه أتى فعلا لاستقبال الضيف.. ثم اتصل بشارل وأخبره بتنفيذ الجريمة والقضاء على جميل .. ثم اتصل بمنزل جميل قريبا من الثامنة مخبرا بموت جميل .. فهو يريد أن يرى هل اكتشفت الجريمة أما بعد ؟.. فلما أدرك أن صدقيا لا يعرف شيئا أخبره بموت جميل .. وأغلق الهاتف .. وأتى مع دخول رجال الشرطة متظاهرا بأنه قادم من المطار .. فرج هو الذي قتل صاحبه جميل رهبة من المنظمة الرهيبة وتنفيذا لأمرهم .. هذه الأولى أيها السادة .. ولكن الغلطة التي حصلت أن الدكتور فرج أخذ مفاتيح الخزائن السرية الخاصة بالدكتور جميل .. وتسرع بالمجيء لبيت جميل للاستيلاء على الأشياء المهمة والخفية من حياة جميل قبل أن تهدأ الأمور .. والسبب الخشية أن يكون فيها أوراق مهمة أو مذكرات مهمة .. أما الأجهزة فلم تكن تشكل خطر علينا مع أنها أدوات تجسس ، لكنها لا تساعد على كشف الجريمة بل تزيدها غموضا وتعقيدا .. أنتم عجلتم بسحب الحراسة عن الفيلا .. فأسرع فرج لتنفيذ المهمة الدقيقة .. وبينما هو يعالج الخزانة السرية طقق جرس الهاتف .. وترك الخزانة واستمع للمكالمة المفاجئة وسمع شخص يقول : إني قادم إني قادم لا تخافوا.

فلم يظن أنهم يكلمون الطبيب كما فهمنا بعد وإلا لبقي قابعا حتى ينهي الدكتور مهمته ثم يغادر المكتب.. إنما ظن أن أهل البيت شعروا به وكلموا الشرطة فهم قادمون ، فأخذ دفتر مذكرات الدكتور ، وأغلق الخزانة المخفية بدقة ، وخرج مسرعا ظانا أن أحدا لم يره ، ثم عرفنا أن الخادم صدقيا لمحه فارتبكت الأمور لدينا ولما شعرنا بمراقبته ، وأن المركز قد أصبح تحت المراقبة ، جاءت الأوامر لشارل بتصفية فرج ، فجاءني شارل متنكرا إلى مقهى البحيرة الخامسة حيث نلعب القمار خفية متظاهرين بلعب الورق .. وكما تعلمون بجواره خمارة وملهى ليلي .. فرتب معي خطة تصفية فرج ، وأعطاني النظارة والشارب الكثيف ، وكلفني بسرقة سيارة، ورتب لقاء مع فرج ليلا في الجمعية، وطلب منه دفتر مذكرات جميل، ولما حضر فرج للجمعية حسب الموعد أخذ منه دفتر المذكرات، وتحدث معه بشؤون المنظمة وإدارة المركز وتسيير أمور

الشبكة بعد موت جميل ـ وكنا نعرف أنه مراقب ـ فأمرني بتصفيته .. فنفذت سريعا .. ثم خرجنا من الباب الثاني ؛ لأننا رأينا رجلكم يقف أمام الباب باب الجمعية المعروف.. ثم ذهبنا لمنزل فرج بالسيارة المسروقة ، وأخذنا ما يلزمنا.. ثم ذهبت به إلى الفندق في سيارتي الخاصة بعد أن تركنا السيارة المسروقة بالقرب من ورشة تصليح ـ لنثير شهوة الشرطة نحوهم أي أنهم سرقوا السيارة لبيعها قطعا ـ فأخذ حقيبته من الفندق ، وغادر وقد غير شكله في السيارة وانتحل شخصية وليم برناس.. ونزل في فندق شعبي والباقي تعرفونه.

فقال عوني : صحيح ؛ ولكن المحضر لا يعرفه .. تكلم بكل شيء.

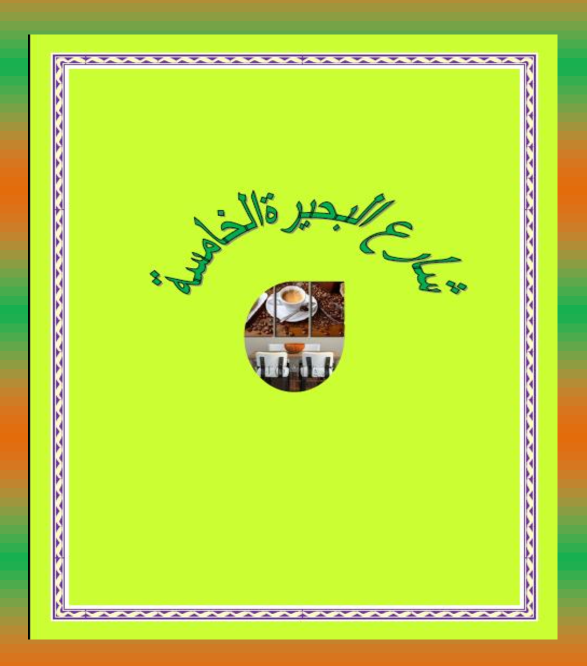
وتابع عماد اعترافه الذي يعرفه القارئ من مطاردة البوليس له حتى سقط في مقهى البحيرة الخامسة.

وبعد أيام يسيرة ألقي القبض على شبكة تجسسية رهيبة في طول البلاد وعرضها ، وكشفت الصحف والمجلات الصادرة صباح الخميس تفاصيل هذا الموضوع للرأي العام.



تمت بفضل الله





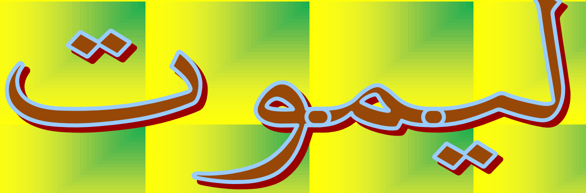
شارع البحيرة الخامسة

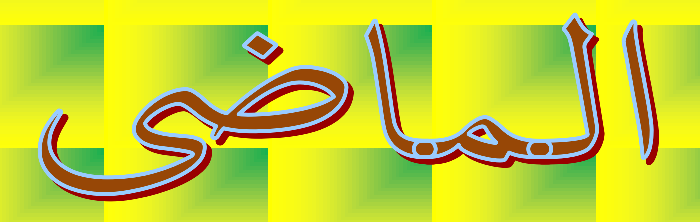
جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١





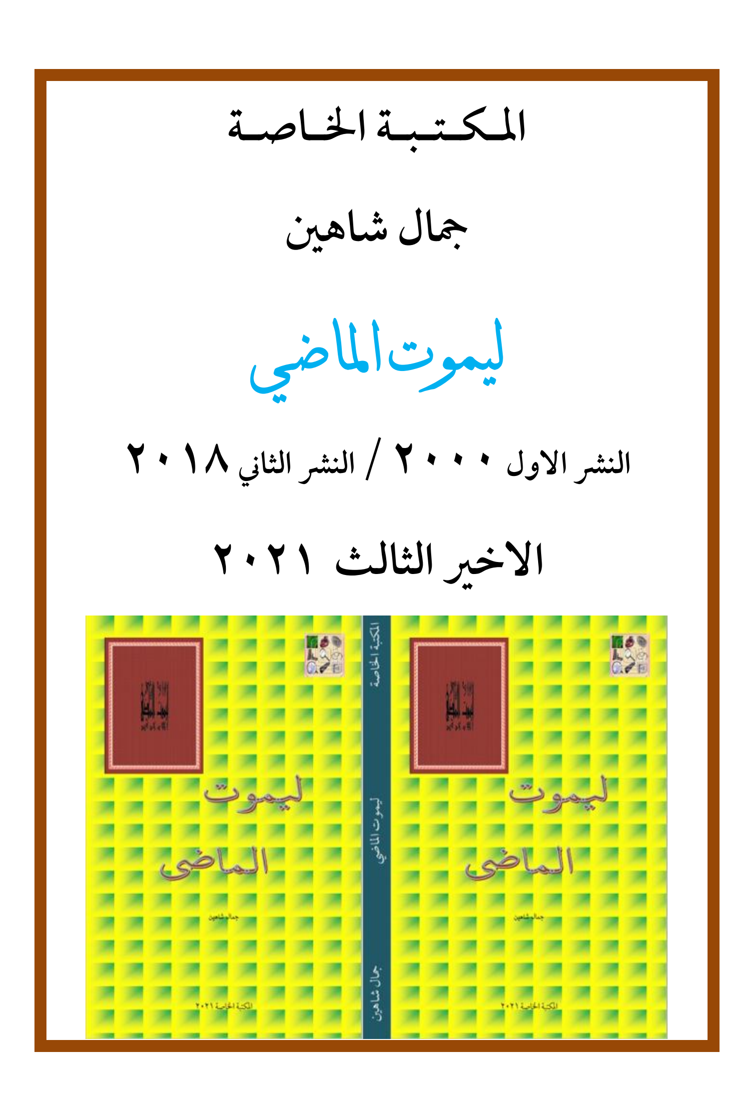




جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم






٥


التحقيق الجنائي والجريمة

هل يموت الماضي ؟!

كانت الجريمة ليموت الماضي ولكنه رفض الموت

كان الضحية يستغل الماضي للابتزاز

ولم يكن امام الضحايا لوقف الابتزاز الا القتل

فهل اصابوا ونجحوا

اعرف ذلك في هذه السطور !

جمال شاهين



١

كما هو معروف للجميع في بلادنا الشتاء قارص ، وخصوصا في شهر فبراير المعروف بشدة برده وزمهريره وكثرة أمطاره ، كان الضابط المناوب في مركز أمني "حي الأمير زين الدين" الكائن في "شارع الأمير زين الدين" يتلقى في السابعة صباحا من يوم الأربعاء هاتفا من عامل المقسم في القسم الأمني: " نقيب مالك .. مكالمة خطيرة .. هل أحولها إليك أم إلى الشاويش ضرغام ؟؟"

فرد النقيب مالك بكسل : "هاتها"

ثم قال للطرف الآخر على الهاتف : " نعم معك النقيب مالك"

ـ في حي الشمارخة في منزل قديم تحت الأرض عمارة أبي العنان شارع الفرسان القديم توجد جثة رجل مقتول .. هل تسمعني ؟؟

تنبهت خلايا الضابط وطار الكسل عن بدنه وقال : أسمعك .. من...

وقبل أن يكمل الضابط المستمع استفساراته أغلق الطرف الآخر الخط الهاتفي ، فاتصل الضابط مالك بالضابط خلدون قائد الدورية الليلية القريبة من ذلك الحي ، وأمرهم بالبحث عن شارع الفرسان القديم عمارة أبي العنان مسكن تحت الأرض ، والتأكد من وجود جثة رجل هناك ، وإجراء اللازم ، ولم تكد تصل الساعة إلى السابعة والنصف حتى تلقى النقيب مالك مكالمة من الدورية تؤكد وجود جثة ميتة قتلا في ذلك المنزل ، وعلى الفور تحركت الجهات المسؤولة من رجال الشرطة والبحث الجنائي ووكيل النيابة العامة والمعمل الجنائي والمصور نحو المكان، وأخبر الطبيب الشرعي بمكان الجريمة ليلحق بهم ، تقدم المقدم جعفر عزام نحو الغرفة الموجود فيها جثة القتيل ، فهبط إليها من درج رفيع ، وله أكثر من عشر درجات ، وفتح له الشرطي الباب وكانت الغرفة مضاءة ، ورائحة الرطوبة والعفونة تملؤها ، دخلها المقدم وبعض من معه ، وأكثرهم وقف في خارجها لصغرها ، هي غرفة صغيرة لها نافذة واحدة صغيرة ، وعليها شبك حديد ليمنع الناس من الدخول لها ، وفي إحدى جهاتها

مطبخ صغير ، مائدة فوقها غاز صغير، وبجواره مرحاض صغير هو الآخر، وفي الغرفة خزانة ملابس صغيرة ، وفي وسط الـغرفة مائدة صغيرة حولها مقعدان قديمان ، وفي إحدى زوايا الـغرفة سرير معدني يتسع لشخص واحد فقط ، مسجى عليه الميت حيث كان مصرعه، ومغطى بعضه بلحاف خفيف، وأسفل السرير دماء متساقطة جامدة متجمعة على سجادة أرضية عتيقة مفروشة على بلاط الغرفة ، تأمل المقدم ومساعدوه الغرفة والمطبخ والمرحاض وقلّب في خزانة الثياب، فوجد فيها حقيبة جلدية قديمة جدا ، فيها عدد من الأوراق مثل فواتير كهرباء وماء ووصفات أطباء وغير ذلك، وكان في الخزانة عدد من البدلات العتيقة، فأمر بتفتيشها جيدا ، وكان في أرضية الخزانة تحت كومة من الملابس المختلفة حقيبة أخرى متوسطة الحجم ، وكان بداخلها ملابس داخلية أقلام دفاتر صغيرة دفاتر شيكات، منها ما هو قديم ، ومنها ما هو حديث لبنوك مختلفة الأسماء ، علب سجائر ، مسدس صغير ، البوم صور ، ولما انتهى من تقليب الحقيبة قال للطبيب الذي كان يفحص الجثة قبل نقلها لغرفة التشريح : ما تقول يا سيدي الدكتور ؟

رد الطبيب وهو يرفع السماعة الطبية عن أذنيه ويضعها في حقيبته : تم القتل عن قرب ، أكثر من رصاصتين، واحدة في الصدر ، وأخرى في الجبهة هشمت الرأس والجمجمة ، ويبدو أنه قـتل وهو نائم.

المقدم جعفر : يبدو أنه قتل الليلة الفائتة ؟

رد الطبيب : أظن أنه قتل قبل أقل من اثنتي عشرة ساعة .. قبل منتصف ليلة أمس .. سيكون الوقت محددا بالدقة بعد إجراء التشريح الكامل.

نظر الضابط إلى الجثة ووجهه القتيل والثقب الموجود في الجبهة ، ثم أمر بتفتيش جيوب الميت ، وقام رجال المعمل الجنائي بما يلزمهم ، وتم أخذ الصور المناسبة، ثم أمر المقدم جعفر بنـقلها إلى سيارة نقل الموتى ، وفتش الضابط السرير ونظر أسفله ، ثم خرج ليتابع رجال المعمل الجنائي عملهم من البحث عن بصمات وأخذ العينات من الدم المتجمد على الأرض أعقاب

السجائر وما يهم رجال البوليس.

صعد الضابط الدرج الذي يهبط على غرفة الميت ، وأصبح في فناء خلف العمارة ، كان أحد رجال الأمن يقدم له صاحب العمارة أبا العنان ، وبعد التحية والمصافحة قال جعفر: أبا العنان بالتأكيد تعرف المجني عليه نزيل هذه الحجرة.

أبو العنان رجل كبير في السن ، دخل في الـعقد الثامن من العمر ، متوسط القامة بين البدين والنحيف ، يضع على عينية نظارة طبية فرد على المقدم جعفر قائلا : ساكن هذه الحجرة يا سيدي هو السيد عزمي لماعة ، وهو مستأجر قديم منذ عشر سنوات قل إحدى عشرة بل اثنتي عشرة سنة .. هو رجل غلبان ليس له أهل في العاصمة إلا أخ يعمل موظفا في وزارة الصحة ، فهو قد جاء العاصمة من سنوات طوال من قرية يقال "ثلجة" أو "الثلجة" ، وهي تبعد عن العاصمة أكثر من مائتي كيلو متر غربا .. وهو منذ سكن عندي كان أعزبا من غير امرأة وأولاد كما أعلم.. والحق أنه منذ استأجر هذه الغرفة الصغيرة لم يقصر في دفع الإيجار الشهري بل كثيرا ما يدفع مـقدما لبعض الأشهر ، ولما كان يسافر وتطول غيبته يرسل الأجرة مع أخيه أو صاحب له.

فقال جعفر: هذا السكن لماذا هو صغير؟.. وكله برودة وعفونة .. كيف يسكنه بنو آدم ؟!

فقال أبو العنان: يا سيدي! عندما بنينا هذه العمارة منذ أكثر من ثلاثين سنة جعلنا هذه الغرفة ومن الجهة المقابلة غرفتان أكبر منها كمخازن للأثاث القديم وأدوات العمل ، وقامت هذه العمارة فوقهن ، ومع الأيام وكثرة الأيدي العاملة الخارجية حولتهما لسكن العزاب من المغتربين ، وفصلت هذا الـغرفة عن الـغرفتين الأخريين ، وجعلت بينهما سورا مرتفعا، ولكل منهما مدخل منفصل، والسبب سكن رجل وزوجته، وفتحت لهذه الغرفة مدخلا ثم هذا الدرج ، فأصبحت هذه الغرفة تطل على الشارع الخلفي من العمارة .. وأنا يا سيدي سكنت في العمارة سنوات كثيرة ، ثم تركتها منذ عشرين سنة هذا أقل رقم، وسكنت في عمارة أحدث فلا معرفة لي كبيرة بالمستأجرين سوى أسمائهم وأجرتهم .. وهذا الرجل المقتول تعرفت عليه

من عشرة أعوام كما ذكرت قبل قليل ، وهو مستأجر ملتزم بالأجرة ، ولم أسمع أنه تشاجر مع أحد السكان منذ عرفته.

فقال الضابط : إذن اسم الرجل المقتـول عزمي لماعة .. وهو من مواطني البلد .. أبا العنان كم مستأجرا عندك في هذه العمارة ؟

ـ في العمارة ست شقق سوى هاتين الشقتين الصغيرتين .. فكان عزمي ينزل في هذه الغرفة ، وأما الشقة المقابلة فينزل فيها ثلاثة عمال أجانب.

ـ أبا العنان .. نريد قائمة بأسماء سكان العمارة ، وأخبرهم بأن رجال التحقيق سوف يتحدثون معهم قليلا حول القتيل السيد عزمي لماعة ، ومن عنده شيء يفيد التحقيق فليخبرنا به مشكورا ، شجعهم على التعاون معنا.

التفت المقدم جعفر لمساعده مالك وقال : انظر هل يوجد في هذا الشارع مطعم أو مـقهى أو بـقالة أو محل ؟ واسألهم عن السيد لماعة ومدى اتصاله بهم.

فقال أبو عنان : هذا حي شعبي كما تعلم يا سيدي الضابط .. وهذا الشارع شارع خلفي ، ولا يوجد إلا في آخره بقالة صغيرة لصاحبها وجدي حمامي أو الحمامي .. فكل المحلات في الشارع الأمامي حيث مدخل العمارة ، وهو الشارع الرئيسي في الحي.

فعاد الضابط جعفر يخاطب أبا العنان قائلا : أبا العنان لم نجد هوية أو جواز سفر في غرفة المجني عليه.. هل أنت متأكد من اسم ساكن هذه الغرفة ؟

ـ بالتأكيد يا سيدي .. فعندما يستأجر عندي شخص ما وقبل أن نوقع العقد أطلع على هويته أو جواز سفره إلا إذا جاءني المستأجر من طرف أحد الأصحاب الذين أثق بهم قد لا أسأل الشخص عن بطاقته الشخصية .. والسيد عزمي كما قلت معرفة قديمة ، وقد يكون هو أقدم مستأجر عندي ، ولابد أني اطلعت على هويته الشخصية ، قد يكون لديّ نسخة من العقد القديم الذي بيننا ثم نسينا بعد زمن تجديد العقد.

ـ إذن قد نجد عندك عقدا للإيجار؟

ـ عقد قديم .. هو قد استأجر هذه الحجرة بعشرين دينار شهريا ، وبعد سنوات زادها من نفسه إلى ثلاثين.

ـ شكرا أبا العنان ..فنحن بحاجتك في المركز الأمني لأخذ أقوالك وملاحظاتك في محضر رسمي لتوقع عليها .. وعليك مساعدة النقيب أبي جاد الله أثناء لقائه مع سكان العمارة لسماع إفاداتهم وملاحظاتهم .. لعل معلومة تساعدنا في الوصول للمجرم.

واستمر رجال التحقيق في البناية حتى الظهر، ثم رجع المقدم جعفر ومساعدوه لمركز الأمن الكبير في حي الأمير زين ، وبعد ساعة من الزمن ركب المقدم ومساعده مالك وطلبا من السائق توصيلهما إلى مستشفى الشفاء ـ وهو أحد المستشفيات الحكومية الكبيرة في العاصمة ـ ودخلا على رئيس الممرضين في أحد أقسام المستشفى ، وبعد تعارف سريع ومعرفة الرئيس الغاية من وجودهم ، أرسل وراء الممرض شوكت لماعة أخو الضحية ، الذي جاء بدوره مسرعا فإذا هو شاب نحيف البدن قصير القامة ، وهو يعمل ممرضا في المستشفى منذ سبع سنوات ، فبعد أن قدمه الرئيس للضابطين ، وقدمهما له ، انسحب رئيس الممرضين بكل هدوء، فقال المقدم: أستاذ شوكت آخر مرة رأيت فيها أخاك عزميا متى كانت؟

وضع شوكت يده على صدره وحملق في الضابط السائل لحظات وقال : سيدي الضابط هل ارتكب عزمي جرما جديدا ؟!

استغرب الضابطان من هذا الاستفسار وقال المقدم بدهشة : جرما جديدا !! .. لا .. لا .. متى رأيت أخاك ؟

ـ لا أراه إلا إذا فعل أمرا سيئا ومخالفا للقانون .. قل لي ماذا فعل هذه المرة ؟

ـ سيد شوكت .. هون عليك .. هذه المرة أخوك عزمي وجد في غرفته مقتولا .. قد مات.

فارتفعت أنفاس شوكت وقال بصوت مضطرب : مات ! .. قتل ! .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. إيه .. هذا ما كنت أخشاه عليه .. إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم سقط على كرسي، وقد تساقطت من عينيه الدموع، فقام الضابطان بتعزيته بالكلمات

الدافئة المخففة لهذا الألم والمصاب، وبعدها قال المقدم : نحن جئنا إليك لتساعدنا وتضيف إلينا بعض المعلومات عن أخيك يا سيد شوكت.

ـ غفر الله لك يا عزمي كم نصحته ؟!

ـ متى تكلمت معه آخر مرة ؟

مسح الشاب دموعه ورد قائلا : منذ شهور .. لقد زارني مرة منذ نصف سنة .. علاقتنا الاجتماعية ضعيفة يا سيدي لأسباب .. فمنذ أن خرج من القرية قطع عزمي علاقته بالأسرة .. ولما أتيت المدينة للدارسة والعمل هنا التقيت به صدفة، وعرفته على بيتي ، وعرفني على بيته في عمارة الحاج أبي العنان ، وكلما قبض عليه في قضية أصبح يتصل بي.

ـ سنسمع لكل أقوالك بالتفصيل سيد شوكت ؛ ولكن بعد مشاهدتك لجثة أخيك للتعرف عليه ، وبعد إجراءات الدفن فيا حبذا لو شرفتنا في مركز أمن

الأمير زين .. ونرجوك أن تسير معنا الآن.

وقام رئيس الممرضين بتعزية شوكت عندما علم بموت أخيه قائلا : صبرك الله وعظم عزاءك في أخيك ، واعتبر نفسك في إجازة حتى تنتهي من مراسم الدفن والعزاء.

ضحك أو تظاهر به شوكت وقال : أي عزاء يا سيدي ! سأذهب أيها الناس للبس ملابسي وأعود إليكم.

تعرف السيد شوكت لماعة على جثة أخيه ، وأكد أنها جثة أخيه ، وأن المقتول ابن أبيه.



٢

نشرت صحف نهار الخميس من فبراير نبأ مصرع الشاب عزمي لماعة في صفحات الحوادث كأي خبر من أخبار السرقة والاحتيال التي تنشرها عادة معظم الصحف ، ولكن هذا الخبر الصغير كان مهما بالنسبة إلى رجل يسكن في حي أزهار المربع شارع الشمس ، إنه رجل كبير تجاوز الستين من سنوات العمر، مصاب بمرض شديد أقعده البيت منذ سنوات ، يتحرك في المنزل أو الفيلا على كرسي متحرك ، إنه السيد حازم عبشل الذي تعرض لحادث سير قلب سيارته، خرج منه بإصابة قوية في عموده الفقري أصابته بشلل دائم ، وكان من عادة هذا الشيخ الكبير المريض بعد أن يتناول إفطاره أن يجلس في صالون الفيلا ، وتكون الخادمة قد هيأت له المكان بإشعال المدفأة الصغيرة مع وجود التدفئة المركزية في أنحاء البيت ؛ لكنه يحب النظر إلى شعلة نار المدفأة ليشعر بالدفء ، فيجلس يشرب القهوة ، ويطلع على الصحف التي أحضرتها له الخادمة من المتجر الكبير ، فكان هذا الرجل يقرأ كل صحيفة بين يديه من أولها لأخرها ، فلما وصل صفحة الحوادث وقرأ خبر اكتشاف جثة عزمي لماعة ، لمعت عيناه ببريق خاطف ، فقد تذكر الاسم على الفور ، ولا يعتقد أنه سوف ينساه في يوم من الأيام ، فهو يعرف هذا الاسم حق المعرفة ، فكرر قراءة تفاصيل الخبر ، خبر صغير " تم اكتشاف جثة السيد عزمي لماعة مقتولا في منزله ، وذكر مراسل الجريدة أن شخصا مجهولا اتصل برجال البوليس ، وأخبرهم عن وجود القتيل في منزله مقتولا بعدة رصاصات ، والتحقيق جار لكشف غموض هذه الجريمة"

ولما قرأ السيد حازم الخبر عادت به الذكريات إلى أكثر من خمس وعشرين سنة للوراء .. كان يجلس في متجره الصغير في وسط المدينة عندما دخل عليه شاب صغير ذو خمس عشرة سنة ، شاب جميل الصورة يرتدي ثيابا رثة ، الفقر والبؤس مرتسمان على وجهه النحيل ، دخل الفتى يسأل صاحب المحل عن عمل عنده ، نظر الرجل في الفتى المرهق ، وسأله بضعة أسئلة عن اسمه وأهله ، فكانت ردود الفتى قصيرة ومختصرة .. اسمه عزمي.. من قرية ثلجة .. بعيدة

عن العاصمة .. هرب من المدرسة لا يحبها .. ثم هرب من القرية للعمل والشغل .. أمه ماتت من سنوات طويلة .. وامرأة أبيه لم تحسن رعايته كإخوته الآخرين ، فترك القرية وجاء للشغل في العاصمة ، وله يومان يبحث عن شغل .. وكان صاحب الدكان حازم عبشل يفكر بتوسيع العمل ، فقد استأجر منذ فترة قريبة مشغلا لصناعة الثياب وتطريزها .. فرحب بالفتى وعطف عليه ، واحتضنه ، واسكنه مع العاملين اللذين يعملان عنده ، وكبر عزمي وبلغ العشرين من عمره ، وأصبح السيد حازم يعتمد عليه ويثق به ثقة كبيرة ، فكان يتركه في المحل أو المعرض الذي كبر أو يرسله للشركات الكبرى لشراء لوازم الخياطة من أقمشة وخيطان وأزرار وابر ومقصات ، بل كان يصحبه في بعض رحلاته إلى الخارج إلى قبرص واليونان لشراء الملابس الأوروبية المرغوبة في البلد ؛ بل تطور الأمر وأصبح القروي الساذج مساعدا كبيرا للسيد حازم ، فكان يستضيفه أحيانا على الغداء أو العشاء في بيته الكائن في شارع الشمس، ولما أنهت ابنته الوحيدة الجامعة أصبحت تمارس العمل في المعرض الكبير ، وأخذ الوالد يعتمد عليها في إدارة العمل وتطويره ، فهي ابنته الوحيدة وليس له في هذه الدنيا سواها ، ثم كان يأخذها معه في رحلاته إلى قبرص واليونان لتتعلم أسرار المهنة ، بل كان يسمح لها بالسفر مع السيد عزمي للسياحة والاستيراد ، فكان الرجل يعتبر السيد عزميا كولد له وشقيق لوحيدته ، كان السيد حازم يرى أن عزميا كابن له وأخ لابنته شيرينة إلى أن كان يوم عصيب في حياته استيقظ على أثره من سباته ، قد طلب منه الشاب عزمي يد ابنته للزواج ، فأصابت السيد حازم صدمة، ورفض بشدة .. ولكنه اكتشف مع تسارع الأحداث أن بين الاثنين علاقة عاطفية حميمة تجري من تحت قدميه منذ زمن بعيد من أيام الجامعة، حاول الوقوف في وجهها ، وفي أثناء ذلك ماتت زوجته أم شيرينة ، ولما مضت شهور على الوفاة أعاد عزمي الكرة ، وطلب الفتاة للزواج فثار في وجهه من جديد ، ولكن تبين له أن ابنته خليلة وعشيقة له من سنوات ، فبكى قهرا وسما ، وعض أنامله ندما ، وعرف أنها ذهبت لليونان وعملت عملية إجهاض لحمل سفاح ، فجن جنونه وقضى في المستشفى أياما ، ولما

تعافى وافق على إعلان الخطبة وتأجيل الزواج إلى حين آخر.

وكان حازم يعتبر نفسه أنه هو السبب في تدمير فتاته ، وأن كل الحق عليه لسماحه لعزمي بدخول بيته والجلوس مع ابنته والسفر مع ابنته، وبعد مضي سنة من إشهار الخطبة ، اتفق عزمي مع والد خطيبته أن يكون الزواج بعد عودته من رحلة اليونان ، يكتب عقد الزواج الشرعي ، وتجري مراسيم الزواج ، وتذكر الرجل المشلول.. أن عزميا لما عاد من اليونان ألقي القبض عليه في المطار، وهو يدخل كمية من المخدرات ، فعرف الناس أنه يتعاطى الهيروين ، وحبس خمس سنوات، وفرح السيد حازم لوقوع عزمي بقبضة البوليس ، وفرح لخلاص ابنته منه ، وبعد سنتين من حبس عزمي تعرفت الفتاة على طبيب أسنان كان يتردد كثيرا على المحل ـ معرض بيع الملابس الأوروبية الثمينة ـ وبعد شهر من هذا التعارف تزوجت الفتاة من الطبيب بعد أن وافق على السكن في فيلا والدها الذي ما كاد يفرح بزواج ابنته الوحيدة حتى قلبت به السيارة ، وأصيب بشلل كبير جراء هذا الحادث المؤلم ، فأصبح قعيد البيت بعد خروجه من المستشفى ، وأصبحت السيدة شيرينة هي المسئولة الأولى عن المعرض والمشغل والفروع الأخرى التابعة لشركة والدها والبيت.

كل هذا تذكره السيد عبشل وهو يقرأ خبر مقتل خطيب ابنته السابق .. ولبث دقائق أخرى يفكر في عزمي ، ثم عاد يتذكر أن هذا الرجل بعد أن قضى فترة الحبس جاء يسأله العمل من جديد ، فطردته ابنته وبينت له أن الماضي بالنسبة لها انتهى ، وأنها أضحت على ذمة رجل آخر.. واختفى بعد ذلك اليوم من حياتهم، ذلك منذ أكثر من عشر سنوات.. وها هو اليوم يقرأ نبأ مقتله ، والشرطة لم تجد قاتله بعد، لذلك ما صدق عبشل أن عادت ابنته من العمل وزوجها الطبيب باسل نصري ، وكالعادة بعد العشاء الخفيف جلسوا في غرفة التلفزيون، وتحدثوا بمواضيع الساعة حتى قال الأب المريض مخاطبا ابنته : يا ابنتي العزيزة .. هل قرأت صحف اليوم ؟

نظر إليه الزوجان وقالت البنت : لأ ، يا أبي .. هل من شيء فيها ؟!

طلب السيد حازم من الخادمة إحضار الجرائد التي كان يقرأ بها في الصباح ، ثم قال : هل تذكرين الرجل الذي كان يعمل عندنا منذ أكثر من عشرين سنة .. السيد عزمي لماعة ؟

تبادل الزوجان نظرات الدهشة، ثم قالت وفي صوتها رنة اضطراب وضيق : نعم ، يا أبي وكيف أنساه ؟! ألم يكن خطيبي في يوم من الأيام ؟ .. أجل إني أذكره.

فقال الأب بفرح طاغ : لقد قتل ! مات قتلا!

قالت : قتل!!

وردد الطبيب مثلها وقال : قتل .. كيف ؟!

وتناول الشيخ عبشل الصحف من الخادمة ، وفتح على صفحة الحوادث وأعطى الجريدة لشيرينة، وهو يقول والحقد على القتيل ظاهر في نبرات صوته: تقول الصحف إنه وجد مقتولا في قبو في حي الشمارخة .. وقال بحقد وغضب : هذا الرجل جاءنا صبي فقير .. فشغلته معنا حتى كبر وتمرد علينا ، ورغب في الزواج من شيرينة؛ ولكن الله صرفه عنها بقضية مخدرات.. فقد تبين أنه يتعاطى المخدرات .. وها هو يلقى جزاءه.

كان الطبيب باسل يسمع هذا الكلام ، وهو ينظر بطرف خفي إلى زوجته التي كانت تقرأ الخبر، وفي نفس الوقت تسمع كلام أبيها الحاقد ، وكانت شيرينة تـقرأ وفي يديها رجفة لحظها الأب فقال : ما بك يا شيرينة ؟

قالت بضعف : لا شيء .. تذكرت الماضي.

فقال الدكتور : أي ماض يا عمي ؟

تظاهر الشيخ بالضحك وقال : هذا الرجل كان في يوم من الأيام خطيبا لابنتي الوحيدة قبل أن نعرفك يا حضرة الدكتور .. فأنا أذكر أن شيرينة حدثتك بأنها كانت مخطوبة قبل أن تتـعرف عليك ، وهذا الخطيب قبل الزواج قبض عليه بمحاولة تهريب كمية مخدرات ، فحبس على أثرها بخمس سنوات فتخلصنا منه ، فهذا الرجل المعلن عن مقتله اليوم هو الخطيب السابق لابنتي .. الحمد لله الذي كفانا شره يا ولدي يا باسل .. لقد كان كابوسا كبيرا

يجثم على صدري ، كان يدعي أنه يحب شيرينة حبا كبيرا حتى صدقته ابنتي الغالية ، وقبل أن يقع في قبضة العدالة جاءني قائلا : يا عم حازم .. بعد رجوعي من اليونان سنكتب الكتاب لقد طالت فترة الخطبة .." ولما سمعت بالقبض عليه فرحت فرحا كبيرا ، لقد كان كابوسا وقد انزاح عن صدري.

فهمس الطبيب : لعلك حزينة عليه يا شيرينة ؟

وضعت شيرينة الصحيفة وقالت وهي تحدق النظر في عيني زوجها : أبدا يا باسل .. هو ماض بالنسبة لي ، وكما قال والدي لقد كان كابوسا ضخما يخيم على قلوبنا .. وهذا مصير كل مجرم ـ وقالت العبارة الأخيرة وهي تضغط على أسنانها ـ ثم أردفت قائلة وهي تـقوم : أريد أن أنام أشعر بصداع شديد في رأسي.

قال الطبيب وهو ينهض : على كل حال هو كابوس وانزاح عن صدور الجميع يا شيرينة .. نامي نومة هادئة .. في غرفة النوم العلبة الخضراء فيها أقراص مهدئة .. تصبح على خير يا عمي .. سأتحدث بالهاتف من المكتب ثم ألحق بك يا شيرينة.



٣

اطلع المقدم الشرطي جعفر على ملف عزمي لماعة الموجود في دائرة مكافحة المخدرات ، فتبين له أنه متعاطي أكثر منه تاجر ومروج ، وقد أمضى محكوميته الأولى في السجن كاملة ، وقد تمت معالجته في مستشفى الإدمان التابع للسجن ، ولكنه بعد سنتين من خروجه قبض عليه مرة أخرى مع مجموعة على شاكلته يتعاطونها ، فعوقب بالحبس بضعة أشهر ثم عفي عنه ، وبعد سنوات وجد معه كمية من المخدرات يحاول ترويجها ، وفي السنوات الخمس الأخيرة من عمره لا يوجد له أي قضية مخدرات ، فلما قرأ هذه المعلومات مفصلة قال لمساعده النقيب مالك مستـفسرا من غير أن ينتظر إجابة: هل كان مقتله بسبب المخدرات ؟!

رد النقيب مالك بحيرة : لم نجد في البيت منها شيئا.. حتى الشباب الذين يجالسهم على المقهى ذكروا أنهم لم يعرفوا عنه مثل هذا الأمر ـ وهو التعاطي للأفيون أو الهيروين ـ وسكان العمارة لا يعرفونه ، ولا يختلطون به نهائيا ، وهو نفسه لم يختلط بهم .. صاحب المطعم القريب من العمارة في الشارع الرئيسي في الحي قال "إنه من النادر أن يأكل عنده ".. ولكن الشاب الذي يبيع في المحل الصغير في ناصية الشارع الخلفي ذكر لنا أنه في التاسعة مساء تقريبا ليلة مقتله شاهده واشترى منه صندوق سجائر ، وقد لحظ أن شخصا كان معه ينتظره في وسط الشارع وأخذ العلبة وسار نحو بيته .. وبما أن الليلة كانت ماطرة وباردة فكل الناس في بيوتهم.

فقال جعفر : ما العمل الذي كان يعمل به قبل مصرعه ؟

ـ صاحب المقهى الشرقي يقول إنه بطال لا يعمل منذ عرفه من سنتين أو ثلاث لم يسمعه يتحدث عن مهنة أو وظيفة ويقول " العجيب أنه يدفع كل ما عليه وأحيانا كثيرة يدفع عن جلسائه.."

فعاد المقدم يهمس : لماذا قتل إذن ؟! لماذا قتل ؟ كيف كان يحصل على المخدرات والمال؟ لابد من مراقبة المقهى جيدا .. هؤلاء الرجال الذين يجلسون معه لا يعرفون منزله .. إنها صحبة مقهى فقط .. حقيقة أن منزله لا يوحي أنه كان يستقبل فيه أحدا ..فلا يوجد فيه إلا غطاء

لشخص واحد .. ثلاجة صغيرة فيها خمر .. من المهم أن نعرف المكان الذي كان يشتري منه قوارير الخمر .. من أي خمار يا مالك؟ .. نريد خيطا نمسك به .. تقرير المشرحة يقول إنه قتل بعد العاشرة ليلا بخمس رصاصات ومن مسدسين مختلفين .. لماذا هذا أيضا ؟

ـ غريب فعلا !.. المقهى تحت المراقبة وكذلك البيت.

ـ الصور الموجودة في الألبوم كم عددها ؟

ـ ثلاث وعشرون صورة .. كلها صور على شاطئ البحر .. والعجيب أنه وحده في الصور أو بعض الآدميين البعيدين عنه إلا في صورة واحدة أو اثنتين مع ممثلة شابة ، كما قال خبراء الصور وهي ممثلة أجنبية .. هذا الشاب مغرم بالسفر كما فهمت من أخيه شوكت .. ولكن أين جواز سفره ؟ .. أين بطاقته الشخصية ؟ .. لم نجدهما في القبو ؟!

قال جعفر : حتى أرصدته في البنوك ضئيلة ، وجدنا له في بنك الأمة خمسمائة وستين دينارا ، وفي بنك أهل السعادة مائتين وعشرين دينارا.

ـ سنقابل المحامي الذي كان يترافع عنه أمام المحاكم.

ـ لا بأس من ذلك.

ـ قد نجد عنده شيئا .. أو طرف الخيط كما قلت.

ـ المهم يا مالك المقهى .. دع رجالنا يهتموا به كثيرا ، وسأتحدث مع المقدم سالم عبده ليهتم بأمره .. والآن أرسل لي الحقيبة أنظر فيها مرة أخرى.

ـ الصغيرة أم الكبيرة ؟

ـ الكبيرة يا صاحبي قد أجد فيها شيئا جديدا.. أخو القتيل شوكت هل سمعتم أقواله ؟

ـ أتى أمس السبت وحدثنا عن أخيه ، فأخبرنا أنه هرب من القرية وعمره أربع عشرة سنة ، وكان قد أخبر أحد أبناء القرية برغبته بالهرب للمدينة ، ولم يكترث والده بهربه ، ولا أم شوكت التي هي زوجة أبيه ، ولقد كان وحيد أمه الميتة ، وله أخت من أمه كانت أصغر منه بسنين ، ولما بلغت سن الزواج زوجها أبوها لرجل من البلدة .. ونسوا السيد عزميا ، ولم

يهتموا بهربه كثيرا ؛ لأنه أرسل إليهم بعد وصوله المدينة بشهور رسالة يذكر لهم فيه أنه حي ، وأنه يكرههم ، ولا يريد العودة للقرية ، ولا يسألون عنه ، وقال شوكت " وكان له ذلك ، ولم نعد نهتم به أو نسأل عنه لـقد نسيناه ؛ ولكن قبل سنوات تخرجت من الجامعة كلية التمريض والتحقت بالمستشفى الحكومي في العاصمة.. فالتقيت بأخي صدفة في قسم الطوارئ .. لقد جيء به مدعوما بسيارة في أحد الشوارع .. ولما عرفوا اسمه ، اتصل بي زميل في قسم الطوارئ في اليوم التالي أن شخصا يحمل اسم عائلتي تم إسعافه ليلة أمس وإدخاله المستشفى أثر حادث سير، فذهبت إليه وهكذا التقيت بأخي .. ولما تعافى خرج بدون معرفتي.. وقبضت عليه الشرطة مرة ، فاتصل بي على المستشفى فذهبت إليه ، وحاولت مساعدته، وهكذا كنت ألتقي به .. ولما سجن عدة مرات كنت أحيانا أمر عليه في سجنه .. وأدفع عنه أجرة الغرفة للسيد أبي العنان .." وقال إنه يتعاطى الهيروين وسجن أكثر من مرة بسبب ذلك .. وقال أيضا علمت مرة أنه متزوج ؛ ولكني لم أر زوجته يوما ما ، ولا أعرفها ولم تتصل بي قط".

قال جعفر : الدنيا عجايب .. شخص مثل هذا ليس له صديق وصاحب.

ـ لابد أن له أصدقاء ؛ ولكنهم خائفون من الظهور .. وهذه جريمة قتل .. والناس تخاف من جرائم القتل .. وهي جريمة لحتى الآن غامضة.

فعاد جعفر يسأل قائلا : وزوجته التي أشار إليها شوكت هل سألتم عنها ؟؟

ـ من نسأل ؟!.. شوكت لم يرها ولم يعرفها ..والبيت الذي قتل فيه لا يصلح للزواج .. لا يوجد فيه لوازم بيت الزوجية، موقد غاز صغير، ثلاجة صغيرة لا يوجد بداخلها شيء .. ماء وخمر فقط .. خزانة ملابس صغيرة.

ـ لقد نشرنا خبر مقتله في صحف مختلفة ، فلو كانت له زوجة لابد أن تسأل عنه وتتصل بنا .. ولكن ممن علم شوكت قصة زواجه ؟.

ـ قد يكون منه.. عزمي أخبره بزواجه؛ كأن يقول له " إنني تزوجت " .. ويمكن زوجته يا سيدي إذا كان له زوجة لم تعلم بخبر موته بـعد إذا كانت موجودة حقا .. وإذا كان هناك

زوجة معنى ذلك أن له بيتا آخر ، ولكن شوكت لم يشر إلى ذلك

فقال جعفر : لابد أن له بيتا آخر يا مالك..

ـ كيف نصل إليه ؟

ـ سوف نصل إليه .. أين جواز السفر؟ وقد علمنا أنه كثير السفر.. أين الهوية الشخصية ؟ ..

هذه قرائن تدل على سكن مجهول.

قال مالك : قد يكون القاتل يا سيدي قد أخذ هذه الوثائق!

هز جعفر رأسه وهتف قائلا : لماذا يأخذها ؟! لماذا قتل السيد عزمي لماعة ؟!



٤

بينما كان الممرض شوكت لماعة يجلس مع زملائه في العمل في قاعة استراحة الممرضين يشربون الشاي والقهوة ، اقترب منه المقدم جعفر محييا فنهض مسلما على المقدم ، وبعد السلام والترحيب المعتاد قال المقدم : هل يمكن أن ترافقني خارج القاعة بضع دقائق ؟

فرد شوكت : على طول .. أنا في خدمتك يا سيدي.

فاستأذن شوكت من الزملاء ، ومشى مع المقدم جعفر الذي قال : نأسف لإزعاجك مرة أخرى .. نحن أخذنا أقوالك بالتفصيل ؛ ولكن كما تعرف يا سيد شوكت أننا نحقق في جريمة.. جريمة قتل غامضة.. فيخطر في بالنا أفكار وملاحظات وخواطر أثناء مراجعاتنا لما يتجمع لدينا من معلومات ..فنحتاج لمساعدة أهل الضحية أو أصدقائه للاستفسار والمعرفة.

ـ تكلم يا سيدي .. واستفسر عما تشاء.

توقف الضابط وشوكت في طرف الممر الذي يمشيان فيه وقال جعفر : سيد شوكت .. جاء ضمن أقوالك أن أخاك متزوج .. كيف عرفت هذا ؟ وأين زوجته الآن ؟؟

ـ نعم ، ذكرت لكم أنه متزوج ، ولكني لم أر زوجته ألبته .. هذا حدث منذ أكثر من ثلاث سنوات أو أكثر .. كنت مع زوجتي في عيادة نسائية .. فوجدت أخي عند نفس الطبيبة في قاعة الانتظار.. فاستغربت من وجوده ، فأخبرني أنه أتى ببعض الفحوص المخبرية ليعرضها على الطبيبة.. ولما سألت عن هذه الفحوص لمن ؟ .. قال لي " إنه تزوج امرأة منذ شهور.. وتراجع الزوجة عند هذه الدكتورة ولادة بخصوص الحمل وأمراض النساء" .. ولما خرجت زوجتي من عند الطبيبة ودعناه وانصرفنا .. ليس بيننا زيارات عائلية ، فلذلك لم أفكر بالتعرف على زوجته أو أدعوهما للبيت..

قال الضابط : جيد سيد شوكت .. متى كان هذا اللقاء بالضبط عند الدكتورة ؟؟ أتحتفظ بأوراق ووصفات طبية تساعدنا بمعرفة هذا التاريخ ؟

ـ كان هذا منذ سنوات يا سيدي .. ولا أذكر الآن لماذا زرنا الطبيبة بالضبط ؟.. ولكن يمكنني

أن اسأل زوجتي إذا أحببت .. ولكن لماذا كل هذا الاهتمام ؟

فردد الضابط كلمة "لماذا ثلاث مرات " ثم قال : سأقول لك لماذا ؟ نريد أن نصل لهذه الزوجة .. لعلنا نعرف منها شيئا ينير لنا طريق الوصول للمجرم .. فإذا عرفنا تاريخ اليوم الذي زرتم أو التقيتم فيه في العيادة .. فقد نتعرف من سجلات الدكتورة على عنوان الزوجة المجهولة .. رغم نشرنا للحادث بالصحف لم تتصل بنا هذه الزوجة!

ـ قد لا تحتفظ الدكتورة بأي عنوان.

ـ ممكن ذلك ؛ ولكن كما هو معروف أن المريض يذكر اسمه وسنه ومكان إقامته لطبيبه إذا كان له ملف عند طبيبه.. أريد منك عنوان الطبيبة يا سيد شوكت .. هل ترى أن أخاك صادق بموضوع زواجه ؟

ابتسم شوكت وقال : وإلا ماذا كان يفعل في عيادة نسائية ؟! ..هي طبيبة معروفة في قلب العاصمة "ولادة محمد محمد" أخصائية توليد ونساء .. عيادتها في شارع النجمة الرابعة.

ـ فإذا عرفنا تاريخ لقائك بأخيك داخل العيادة ، فلربما من سجلات المواعيد القديمة عند الدكتورة نتعرف على مكان سكن عزمي أو سكن زوجته إن كان هناك زوجة ..فمن غير المعقول أن يتزوج أخوك في القبو الذي يستأجره عند أبي العنان ؟! ..وربما يكون قد تزوج وطلق أو ماتت زوجته .. المهم نتأكد من موضوع زواجه .. فرغم نشرنا خبر مقتله فلم تتحدث معنا زوجته.

ـ ربما لم تقرأ الخبر؟

ـ ربما.. ولكن غياب الزوج عن البيت عدة أيام مقلق للزوجة والأولاد مما يدعوهم للاتصال هنا وهناك .. أليس كذلك ؟

ـ بلى يا سيدي إلا إذا كان مطلقا أو أرملا .. سأبذل جهدي .. وأنا تحت أمرك وإذا وجدت شيئا سأتصل بكم على السريع.

ـ تحياتي سيد شوكت أي معلومة أو خاطرة ترى أنها تساعدنا.. تساعد العدالة فلا تبخل بها

علينا .. شكرا والسلام عليكم.

ـ شكرا لك سيدي الضابط .. في رعاية الله.

غادره المقدم جعفر إلى حيث عيادة الدكتورة ولادة ، وتحدث مع السكرتيرة بضع دقائق ، ذكرت له أنها تعمل عند الدكتورة منذ شهور قليلة فقط ، ولما خرجت المريضة من عند الدكتورة دخلت عليها السكرتيرة لتستأذن للضابط ، فقامت الدكتورة بنفسها ترحب بالمقدم وأدخلته مكتبها وطلبت له فنجان قهوة ، ولما جلست رحبت به ثانية، وبعد المجاملات التقليدية قال لها جعفر : سيدتي ..أنا المقدم جعفر ضابط أمن وشرطة .. ـ وقدم لها بطاقة العمل ، وتناولتها من يده ، ونظرت إليها ثم أعادتها له ـ وقالت : ما المطلوب مني يا سيدي الضابط ؟!

أوجز لها الضابط القضية والغاية من الزيارة ، فلما استوعبت الموضوع قالت : على كل حال الأجندات ودفاتر العيادة كلها موجودة عندي ..ولكن إذا لم نعرف اسم تلك المريضة فمن الصعب أن نصل إليها.. فأنا لا أكتب اسم الزوج في بطاقات الفحص أو المراجعة والمواعيد حتى العناوين ليس دائما نسأل المريض عنها .. فإذا عرفنا اليوم والسنة التي التقى فيها الأخوان تسهل المهمة نوعا ما ..وإذا لديك طريقة معينة فالدفاتر والسجلات كلها بين يديك .. فهي في مخزن صغير فوق هذا الحمام الصغير..

ـ اللقاء بين الأخوين حدث قبل سنتين أو أكثر .. لو رأيت صورته .. أيمكن أن تتذكريه ؟

ردت بابتسامة صغيرة : ليس بالتأكيد .. فصور رجال كثيرة رأيتها خلال السنتين الماضيتين .. فقد قابلت وجوه كثيرة ..مئات بل ألوف .. إلا إذا كان فيه شيء مميز عن باقي خلق الله..

ـ الحق أن وجهه ورأسه ليس بهما شيء ملفت للنظر .. هذه صورته.

وقدم لها صورة من صور الألبوم الذي وجدوه في الغرفة ، دققت الطبيبة النظر في صورة القتيل ، وقد سرت في جسدها رجفة عندما تصورت أن هذا رجل قتيل ، وبعد نظر دقيق وطويل قالت وهي تهز رأسها بالنفي : للأسف يا سيدي .. لا أذكر أني رأيت هذا الوجه ..

وإذا جاءني مرة لا أعتقد أني رأيته غيرها.

أخذ الضابط الصورة وهو يقول : حسن .. إذن الأمل الوحيد أن نـعرف متى كان عندك في العيادة .. على كل سنحاول معرفة يوم التقاء الأخوين ، وقد نعود إليك مرة أخرى.. أشكرك أيتها الطبيبة واعتذري عنا للمرضى .. شكرا على القهوة أيضا.

ورشف آخر الفنجان ونهض مودعا وهو يقول لنفسه : سأزور المقهى الشرقي وأشرب كوبا من الشاي وأطمئن على رجالنا .. الجريمة ليست عليها بصمات المهربين .. وعزمي لا يبدو من ملفاته القديمة مهربا ..إنه متعاطي .. وإذا قام بالترويج إنما للحصول على بعض المال .. منذ خرج من السجن أول مرة قبل خمس عشرة سنة ويلف حياته الغموض .. وقبل ذلك أيضا .. دخل المدينة ابن أربعة عشر عاما .. ماذا كان يعمل ؟ ما مهنته ؟ ماذا كان يفعل باليونان ؟ قبض عليه في المطار قادما من اليونان ؟ من شركائه ؟ أخوه شوكت لا يعرف عنه شيئا .. أو يعرف ولا يريد الكلام .. لا إنه شاب طيب وهادئ ومتعاون ..بعد المقهى سأمر على صديقي "حمداني " فهو رجل بوليس دولي مقتدر وبارع ..فقد أثبت للجميع على قدرته في حل كثير من غموض الجرائم ..فيستعان به في دول أخرى ..قد أجد عنده نصيحة ومساعدة تنير لنا الطريق أكثر فأكثر.



٥

كان السيد حمداني في العاشرة ليلا في استقبال صديقه أيام الخدمة الشرطية المقدم جعفر عزام في بيته الكبير وفي مكتبه الخاص ، وبعد العناق والترحيب والعتاب اللطيف بينهما قال حمداني : لقد ذكرت لي أيها الصاحب القديم الجديد عندما كلمتني على الهاتف أنك بحاجة لمساعدتي وذكائي في قضية تشغلك منذ أيام.

ـ أجل أيها الصاحب القديم الجديد .. إنني مكلف بالبحث والتحري في جريمة غامضة.. مع معرفتنا للضحية معرفة كاملة.. لا نجد شخصا يفيدنا مع كثرة ملفاته في دوائر البوليس .. أعتقد أنك قرأت حوادث صحف الخميس .. لقد نشرنا خبر تلك الجريمة .

ـ نعم .. قرأت عن جريمة حي الشمارخة .. وجدتم رجلا مقتولا في بيت كالقبو ولكن الجرائد لم تسهب في الشرح والتفصيل...

عندئذ طرق الباب فقال حمداني : ادخل يا سامر.

دخل سامر حمداني يحمل فناجين الشاي ، فألقى السلام وقدم للضيف ووالده المشروب ، ووضع الصينية على مائدة صغيرة ، وصافح الضابط ، ورحب به الضابط ، ولبث قليلا ثم انصرف فعلق الضابط جعفر : ما شاء الله!.. أصبح ابنك رجلا يا حمداني.

ضحك حمداني وقال: ألم تر الشيب قد ملأ رأسي ؟ ..إن سامرا أنهى جامعته منذ شهور .. فهو صيدلاني .. والأسرة في زيارة .. ولا يوجد في المنزل سوانا .. فهو الذي صنع لحضرتكم الشاي فأرجو أن يطيب لك .. فأنت أتيت من أجل جريمة الشمارخة ؟

ـ نعم أيها الصاحب ، نعم من أجلها.

استمع حمداني لتفاصيل الجريمة من البداية من الاتصال الغامض إلى تقريري الطب الشرعي والمختبر الجنائي ، ولخص جعفر كل الجهود المبذولة للوصول للجاني أو الجناة في هذه الجريمة حتى وصل لحديث البحث عن الزوجة المجهولة للميت ، ولما ذكر كل المعلومات التي بين يديه فقال : وبعد تأمل عميق رأيت أن أضع هذه المعلومات بين يديك ، فإما أن تحاول حلها

بنفسك أو نتعاون في فض غموض هذه الجريمة أو تستعين بي لتنفيذ خطوات عملك وخطتك.

وخيم الصمت على المكان إلى حين ثم قال حمداني : تسلل شخص أو أكثر إلى بيت عزمي المنعزل عن العمارة وقتله أو قتلوه .. لم يسمع أحد من السكان صوت الرصاص ولا صراخ في الليل .. فقط صاحب البقالة شاهد عزميا حيا حوالي الساعة التاسعة ، وخيل له أن شخصا كان معه ينتظره أثناء شراء علبة دخان .. وهذا الزائر بعد نشر خبر الجريمة لم يتحدث مع الشرطة نهائيا .. قد يكون هو القاتل ، وقد يكون هو المخبر عن الجريمة في الصباح ، وقد لا يكون المجرم ، وقد لا يكون أيضا المبلغ ، ولم يلحظ صاحب البقالة ـ إن كان من أهل الملاحظة ـ عودته من نفس الشارع لـعله انصرف من ناحية الشارع الرئيسي للحي المذكور .. مالك العمارة لا يعرف عن المستأجر عنده من عشر سنوات سوى اسمه، وأنه ملتزم بدفع الإيجار ، وأن له أخا يعمل في مستشفى .. وهذا يدل على أن عزميا يملك من المال ما يغطي نفقة الأجرة باستمرار ، ولم يحصل له عجز في التسديد رغم دخوله السجن خلال هذه المدة أكثر من مرة .. وله رصيد في البنك ؛ ولكنه لم يكن بالمبلغ الكبير..

وصمت حمداني بضع دقائق ثم عاد يقول: على كل يا صديقي جعفر إنني سأتعاون معك وأبذل قصارى جهدي وخبرتي لنصل للجناة .. فلنكن على اتصال دائم .. أنت تابع خطواتك حتى نصل إلى خيط نمسك به فنسير بعدئذ سوية .. إنها جريمة مخطط لها بمهارة ، لم تكن عشوائية أو بنت ساعتها كما يقال ، واختيار مساء الثلاثاء يوم البرد والرعد والشتاء اختيار محكم ، أو الحظ .. والمكان أيضا معروف للقاتل فاختيار مدروس بعناية ويساعد على إخفاء الجريمة .. والشتاء أزال أثار الأقدام .. كأن البيت أعد لارتكاب جريمة.. سبحان ربي.. ولكن كما هو معلوم لدى رجل الأمن أنه لا جريمة كاملة ، ولابد أن نصل لطرف خيط ، ولو كان رفيعا نجر به المجرم ويقودنا لحل هذا اللغز.

وعاد الصمت يرسم نفسه على المكان وقطعه جعفر : لا اقتراحات عندك الآن.

ـ نعم .. لا اقتراحات يا صديقي .. سأفكر الليلة بهذه الجريمة وسأكون على اتصال معك غدا فاستمر بمحاولة التفتيش عن الزوجة المجهولة .. سكان العمارة لم يروا هذه الزوجة في بيته ولو مرة واحدة .. وأبو العنان لا يعرف بزواجه .. أكيد لهذا الرجل بيت آخر كما قلت وتوقعت يا صاحبي .. فأين وثائقه المهمة مختفية ؟!

ـ الجيران لا يعرفونه كثيرا ، ومنهم من لا يعرف أن أحدا يسكن في العمارة من الخلف في مخزن تحت الأرض.. وهذا يدل أن هذا المنزل للنوم فقط .. فالأطفال الذين يلعبون في الشارع أمام المنزل يقولون إن صاحبه لا يأتي إليه إلا في الليل ، ويغادره صباحا قبل الظهيرة ، وأحيانا يظن الأطفال أن البيت مهجور ، ويقفزون عن الجدار لأخذ الكرة التي يلعبون بها إذا سقطت في فناء البيت .. قالت إحدى النسوة الساكنات في إحدى شقق العمارة .. إنها ذات نهار ومنذ شهور لا تعلم عددها وهي تـقف على نافذة تطل على الجهة الخلفية للعمارة رأت المستأجر عزميا يتحدث مع امرأة عند باب المنزل الخارجي أي الباب المطل على الشارع ..بالطبع لم تسمع شيئا ، وانصرفت المرأة بعد أن أعطته شيئا أخرجته من حقيبتها ، وركبت سيارتها واختفت وهو هبط لحجرته ، ولا تعرف طراز السيارة وتظن أن لونها أحمر .. وتقول إنها المرة الوحيدة التي شاهدت فيها هذا المستأجر الذي قتل.. وهذا حدث منذ شهور وقد تكون سنة كما تقول المرأة .. فهذا كما ترى يا صاحبي خيط ضعيف جدا جدا.

فقال حمداني : على كل حال يا صاحبي العزيز .. فليبق البيت تحت المراقبة الخفية .. كل قضية أو لـغز له حل .. ولسوف نصل بإذن الله لهذا الحل.

قام جعفر مودعا وهو يقول : الشكر لك يا سيدي ..واستودعك الله.

وتصافح الرجلان وسار حمداني مع صاحبه حيث الباب الخارجي، وركب جعفر سيارته مختفيا في ظلام الليل البارد، وعاد حمداني إلى مكتبه، واستلقى على أريكة كبيرة وراح في تفكير عميق في أحداث هذه الجريمة.. ليلة مطيرة .. مجرم بعد العاشرة ليلا دخل غرفة المجني عليه ، لا أثر لعراك في الغرفة .. القاتل معروف للقتيل كما يبدو .. قتل فوق سريره بخمس طلقات

من مسدسين .. هل هذا لتضليل المحققين أم هناك أكثر من قاتل ؟.. المهم قتلوه ودثروه في لحاف وانصرفوا بهدوء دون أن يتركوا أثرا خلفهم .. آثار الأقدام في الغرفة غير واضحة وفي الخارج المطر الشديد أزالها .. البوم صور المجني عليه صور بدون أصدقاء إلا صورة واحدة مع ممثلة أجنبية الراجح أنها يونانية لكثرة تردده على اليونان .. لماذا اليونان ؟ .. صور أكثرها على شواطئ البحر.. صور من غير تاريخ .. ولكنها قديمة لحد ما ، لابد لي من الاطلاع عليها لعلي أجد ما لم تجده الشرطة .. ومكث حمداني يـفكر ويـفكر في الجريمة حتى سمع صوت زامور سيارة أمام البيت فاستوى جالسا وقال لنفسه : أتت العائلة.

ونظر للساعة فإذا هي بعد نصف الليل بساعة فقال معلقا على تأخر الأسرة : هذه سهرة طويلة لابد أنها جميلة.!

وأغلق المكتب وخرج إلى استقبال الأسرة والاطمئنان عليهم وسماع أخبار من ذهبوا يزورونهم ، وبـعد دقائق دخل كل واحد من أفراد الأسرة إلى غرفة منامه واستغرقوا في النوم فهل استطاع الضابط المتقاعد من جهاز الشرطة منذ سنوات أن ينام كباقي أفراد الأسرة ؟ هذه ما سنعرفه غدا إن شاء الله.

٦

دخل حمداني مقهى الشرقي صباحا فوجد عمال المقهى يقومون على نظافته ، ولا يجلس على موائد المقهى إلا بعض الأفراد والزبائن ، فسأل عن المسؤول عن المقهى ، فرد أحد العمال الذي يجلس في مكانه : لم يحضر بعد .. أي خدمة يا سيدي ؟

ـ أريده شخصيا لأمر مهم.

ـ يأتي بعد صلاة الظهر .. هل تحب أن أبلغه شيئا ما ؟

فنظر حمداني إلى ساعته وقال : كم بقي للظهر يا شاب ؟

نظر الشاب إلى ساعة معلقة على الحائط ثم قال : ساعة تقريبا.

قال حمداني : حسنا سأذهب للمسجد وأصلي الظهر ، ثم أعود ، فلما يأتِ أخبره أن السيد حمداني يرغب في لقائه.

فقال الشاب : أنت حمداني ؟

ـ نعم ، أنا حمداني ضابط شرطة متقاعد.

فقال الشاب بأدب أكثر : حاضر يا سيدي سأخبره بما تريد.

ـ بعد الصلاة فلينتظرني.

ـ حاضر يا سيدي الضابط.

غادر حمداني المقهى يتمشى في شوارع المدينة الواسعة حتى أعلن المنادي للصلاة بصلاة الظهر فقصد أقرب مسجد وشارك الناس المصلين صلاتهم جماعة ، ثم تمشى في الشوارع ربع ساعة ، ثم اتجه نحو المقهى ، ولما دخل رآه الشاب الذي كلمه صباحا فرحب به وهو يقول : سيدي أبو عصام في انتظارك.

وتقدمه الشاب مسرعا نحو مسؤول المقهى قائلا : هذا هو السيد حمداني يا أبا عصام.

فنهض أبو عصام واقفا ومصافحا للسيد حمداني ومرحبا به ، ولما جلسا قال حمداني : أحببت أن أتحدث معك يا سيد .. أبا عصام.

ـ أنا في خدمة الشرطة والأمن والحق.

ـ جميل هذا! .. نحن نبحث عن قاتل لأحد رواد مقهاك وهو السيد عزمي لماعة .. وقد تحدث معك رجال الشرطة سابقا في الموضوع .. وقد زارك أمس المقدم جعفر

فكان أبو عصام يسمع ويهز رأسه مؤكدا كلام حمداني ، ولما سكت حمداني قال : نعم ، المرحوم عزمي من رواد المقهى ، وله شلة يلعب معهم الورق .. ولا أحد منهم الآن إنهم يأتون في المساء في الليل.

ـ أعرف هذا كله يا أبا عصام .. ولكن سؤالي هل كان يلعب معهم عن مال ؟

تلفت الرجل يمينا وشمالا ثم قال : أنت تعلم أننا لا نتدخل في خصوصيات الزبائن، نحن نأخذ ثمن المشروبات والخدمات .. وإذا لعبوا عن مال فهو أمر خفي بين بعضهم البعض.

ـ ولكن الذين يلعبون القمار لا يخفون عليك.

ـ معك حق .. بصراحة هم يفعلون ذلك.

ـ أحسنت يا أبا عصام! الصراحة راحة .. سؤال آخر من معرفتك وخبرتك .. هل يكسب عزمي هذا أم يخسر؟

ـ هم إجمالا يلعبون عن مبالغ قليلة.. عشرة دنانير .. عشرين دينار لا أكثر، وهو نادر ما يكسب ، هو لا يحسن لعب الورق .. المهم المشاركة عنده .. وعند العاشرة ليلا ينصرفون ولهم صخب ، ثم ينزلون إلى المطعم الذي في أسفل المقهى ليأكلوا ثم يتفرقون.

ـ سؤال ثالث .. ليلة مقتله .. يوم الثلاثاء .. أتذكر متى غادر المقهى ؟

ـ كما قال بعض شلته .. لقد التقى بأحدهم على باب المقهى قبل صعودهم الدرج لهذه القاعة وأخبره أنه لا يريد الليلة السهر .. فهو على موعد مهم .. وطلب منه الاعتذار للشلة.

ـ لم يذكروا غير ذلك .. مع من الموعد؟.. متى وأين ؟؟

ـ كما قال فرجي للمقدم جعفر .. لم يذكر شيئا غير ذلك .. كان يتناول طعامه في المطعم ، وعندما خرج التقى بفرجي وقال له " الليلة لن أسهر معكم .. فأنا على موعد مهم " وهذا

أمر معتاد في حياة عزمي يعتذر من العصابة ، ولا يذكر لهم مع من لقائه ولا مكان لقائه ، وكل موعد عنده مهم ، ولا أحد يفهم ما المهم عنده؟.. وهو قليل الكلام في مجالسه في المقهى.

ـ جيد أبا عصام هؤلاء الشباب الذين يجلس معهم كيف تعرف عليهم ؟

ـ حسب معرفتي .. تعرف عليهم هنا .. صحبة مقهى.

ـ المخدرات .. يا أبا عصام هل يتعاطى المخدرات أحد من الناس الذين يترددون هنا ؟

ـ صدق يا سيدي ! لم أعلم أن لـعزمي علاقة بالمخدرات إلا من البوليس ..وأنكر الشباب معرفتهم بالمخدرات .. اعترفوا بشربهم للخمور والكحول المنتشرة في

البلد.

قدم حمداني شكره الجزيل لأبي عصام وصافحه مودعا وقائلا : ربما اضطر للعودة ثانية .. قلت إن المطعم في الطابق الأسفل.

ـ نحن في خدمة العدالة يا سيد حمداني ..المطعم تحت .. مطعم شماري.

ـ شكرا وإلى لقاء آخر.

هبط حمداني إلى مطعم شماري ، وتحدث مع مديره وبعض العاملين ولم يجد لديهم خبرا يفيد التحقيق بشيء " يدخل عزمي يأكل ويشرب ويدفع الحساب ثم ينصرف إما إلى المقهى وإما لخارج المقهى إن كان قد دخل المقهى أولا ، لا علاقات مع العاملين في المطعم سلام سلام فقط " فخرج حمداني آيبا لبيته وهو يتمتم : الحديث مع رفاق عزمي في المقهى هل هو ضروري ؟ أليس بينهم صديق حميم ؟ .. كيف التم عليهم ؟ هل فقط تجمعهم أوراق اللعب والشراب الحرام ؟ .. عليّ بدراسة حياته منذ قدم المدينة أول مرة .. قال جعفر : إنه جاء المدينة منذ عشرين سنة أو أكثر منذ أن كان صبيا .. الزوجة المجهولة كيف نصل إليها .. كيف ؟!

وصل البيت وهو مشغول الفكر في طريقة للتحقق من وجود الزوجة إن كانت موجودة .. الجريمة لها أسبوع ألم يبلغ الزوجة خبر الوفاة ؟! ألا تقلق لغياب الزوج عن البيت أسبوعا ؟! لكنه كثير السفر ولماذا يسافر؟ ما العمل الذي يمارسه؟ كيف يحصل على المال؟ إذا لم يكن

يتاجر في المخدرات .. قضية المخدرات الأولى التي حبس بسببها خمس سنوات عليّ بمعرفة تفاصيلها .. كيف عرف البوليس بالمخدرات التي كانت معه وجاء بها من اليونان؟ ولكنها قضية قديمة .. فلما استراح من مشواره وأخذ حظه من الطعام دخل المكتب واتصل بالمقدم جعفر وسأله قائلا : آ .. يا جعفر .. هل من جديد ؟

ـ لا جديد ..وهل استـفدت من زيارتك للمقهى ؟

ضحك حمداني وعلق قائلا : أتريد أن تفهمني أن رجالك نشيطون !.. لم استـفد كثيرا الآن.

ـ اتصل بي شوكت لماعة بعدما سأل زوجته عن اليوم الذي التقى به مع أخيه في عيادة الطبيبة ، فتبين أنها كانت تذهب لمجرد فحص دوري مرة كل شهر خلال فترة الحمل .. فلا تأخذ من الطبيبة وصفات مؤرخة ، إنما كانت تنصحها بأخذ مقويات كالفيتامينات والحديد وإن أعطتها وصفة مكتوبة تتركها عند الصيدلية.

ـ هذا توقعته لك يا جعفر .. لكن متى كانت هذه المراجعات أي سنة أي شهر ؟

ـ ذكرت أن ذلك كان سنة ٨٤ ، فهي ولدت ولدها الذي كانت تراجع به عند الدكتورة ولادة في آخر سنة ٨٤ شهر نوفمبر ، ولا تذكر شهر التقاء الأخوين.

ـ جيد .. تحديد سنة جيد الآن .. لو حصلت على أجندة الطبيبة لعام ٨٤ ممكن أن تجد شيئا ، ولكن احتمال كبير ألا نجد شيئا .. ولابد من معرفة اسم الزوجة .. قد لا نجد عنوان الزوجة في دفاتر الدكتورة .. ولكن جاءتني فكرة قد نصل بها إلى اسم هذه الزوجة .. أنت على الخط ؟

ـ نعم .. أنا معك على الخط يا سيدي.

ـ علينا مقدم جعفر بسجلات المحاكم الشرعية سنة ٨٤ أو ٨٣ ، فهي توثق عقود الزواج .. من خلال اسم عزمي وعقد زواجه نعرف اسم الزوجة .. لقد ذكرت لي أنه أخبر أخاه أنه تزوج منذ شهور.

ـ جيد .. نرجو أن يكون عزمي هذا صادقا .. فسجلات المحاكم الشرعية فيها إحصاء وأسماء المتزوجين.

ـ إذن عليك أيها الصديق بالبحث سريعا .. فإذا ثبت موضوع الزواج فهذا يكون بداية طرف خيط لفك طلاسم هذه الجريمة .. قد نجد معلومات قيمة عند الزوجة المجهولة .. دائرة إخراج الوثائق هل بحثتم فيها ؟.

ـ لم نجد له شيئا حديثا.. له ملف قديم منذ استخرج أول بطاقة شخصية .. وبعدها لم يراجع الدائرة في أي معاملة .. وله في دائرة الجوازات ملف ، وقد استخرج عددا من الجوازات ، ولا يوجد في ملفه اسم الزوجة ولا حتى مكان سكن خاص.

ـ شكرا وإلى اللقاء.

وضع حمداني الهاتف وخاطب نفسه قائلا : عقد الزواج .. هناك احتمال كبير أن يجد جعفر عقد الزواج .. أرجو أن لا يجد عقبات في سجلات هذه المحاكم .. وإذا كانوا يستخدمون الحاسوب سيكون العمل أسهل وأسرع.

وأخذ حمداني يحاول ترتيب المعلومات ، ويتخيل القاتل وهو يتسلل على سكن عزمي .. ثم همس محدثا نفسه بعد تفكير عميق : ولكن لماذا قتل ؟! .. ثروته لم تصل الألف دينار .. لو كان تاجر مخدرات لكانت أمواله أكثر من ذلك .. ولم يكن بالمقامر الكبير .. لماذا اغتالوه ؟!

٧

التقى حمداني وجعفر في الصباح التالي أمام دائرة الأمن الكبرى ، فركب حمداني بجوار جعفر وانطلقت بهما السيارة إلى دائرة مكافحة المخدرات ، وبعد لقاء قصير مع مدير الدائرة سمح لهم بالدخول على أرشيف الدائرة والاطلاع الكامل على ملفات القتيل عزمي لماعة منذ اعتقاله في أول قضية مخدرات والحكم عليه بالسجن خمس سنوات أمضاها كاملة في السجن ، وبعد سنة اعتقل بضعة شهور لحيازة المخدر ولم يحاكم ، ثم معاودة معالجته من الإدمان، ثم أفرج عنه بعد علاج شبه كامل ، ووجدا أنه ما كادت تمضي سنة على الشفاء حتى حاول إدخال كمية مخدرات من جديد للاستعمال الشخصي فحبس وكرر العلاج .. ولما خرج من حبسه عاد للسفر من جديد ، وقضى في اليونان نصف سنة ، ولما عاد للبلد وجدوا معه شيئا يسيرا من المخدرات فتعرض لعقوبة جديدة أمضاها في السجن ، ولما خرج سافر لليونان ، ولما عاد لم يكن معه مخدرات ، فوضع تحت المراقبة بضعة شهور ، ثم تبين لهم أنه تخلى عنها وابتعد عن تعاطيها ، مما أدهش رجال الأمن فرفعت عنه المراقبة والمتابعة الأمنية ، وخلال السنوات الخمس الأخيرة من حياته لم يسجل عليه أي قضية مخدرات وغيرها ، هذه رحلة عزمي مع المخدرات في ملفات البوليس والأمن ، ولما قبض عليه في القضية الأولى وجدوا أنه كان عاملا عند تاجر كبير في استيراد الملابس الأوروبية السيد حازم عبشل ، وأنه كان خطيبا لابنة الرجل السيدة (شيرينة)، وبعد ثبوت قضية المخدرات عليه فسخت الخطبة ، وانقطعت صلتهم به منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، ولما خرج من السجن أول مرة وجد خطيبته متزوجة من طبيب ولم يبق له أثر في حياتهم ، ورفضوا عمله عندهم ، وثبت لدى دوائر المكافحة أنه لا علاقة للسيد عبشل بالمخدرات وهذا مذكور في الملفات ، ولما سجن لماعة مرة ثانية بعدما عرف بزواج خطيبته ، فقد حاول اتهامهم بالقضية الأولى ، وأنه تحمل القضية عنهم ؛ ولكنه فشل في إثبات ذلك ، فقام حمداني بنقل عنوان السيد عبشل لزيارته ومعرفة المزيد من المعلومات عن العامل عنده أكثر من عشر سنوات.

فقال جعفر : إنه عنوان قديم.

ـ قد نستفيد منه يوما ما .. أريد أن أعرف ماضي السيد عزمي من الخطوة الأولى له في المدينة .. فأول مرة قبض عليه كان يعمل عندهم ، وكان خطيبا لابنته .. ولا نخسر شيئا لو زرنا هذا الرجل إذا كان حيا.

ـ كما تشاء سيدي الفاضل .. هل نعود الآن للدائرة فلعل مالكا اتصل بنا.

ـ دعنا نمر على المدير نثني عليه.

قدما الشكر للكادر الموجود في غرفة الأرشيف ، ثم شكرا المدير وتوجها إلى مركز عمل المقدم جعفر في شارع الأمير زين الدين ، ولما دخلا باب الدائرة سأل المقدم جعفر شرطي كوخ الاستعلامات عن النقيب مالك فرد الشرطي : قبل قليل دخل يا سيدي.

فأسرعا الخطى نحو مكتب النقيب مالك ، فتلقاهما بابتسامة واسعة ضاحكة قائلا : يبدو أننا بدأنا أو أمسكنا بطرف الخيط فعلا.

وتعانق مع السيد حمداني الضابط المتقاعد منذ سنوات من جهاز الأمن وقال بعدئذ معلقا : عندما نبأني المقدم جعفر أنه استعان بك قلت له اقترب الوصول لقاتل السيد لماعة .. فأنت من أمهر رجال البوليس الجنائي في البلد ، ولك باع قوي في تحليل الجرائم والوصول إلى فاعليها مهما برعوا في إخفائها.

ـ لقد أخجلتني يا بني .. أشكرك لقد كبرنا ، فالبركة فيكم الآن .. ولكن الخبرة لها دور لا ينكر في عالم التحقيقات الجنائية .. ولسوف تصبحون خيرا منا .. هات ما عندك ؟ فإنك مسرور ، فبريق عينيك يقول ذلك ويلمع بشدة !

قال مالك وهو يبتسم ـ وهو أيضا ينشر بين الضابطين صورة عن وثيقة زواج ـ: هذه صورة لوثيقة زواج السيد لماعة.

فتبين لهم أنه متزوج منذ أربع سنوات في أواخر سنة ٨٣ ، والزوجة فتاة أجنبية تحمل جواز سفر يوناني مدون اسمها بالعربية واللاتينية ، ومذكور رقمه وسنة إصداره ، فقال حمداني :

مفاجأة كبيرة لنا !.. كيف نصل إلى هذه المرأة اليونانية ؟ .. ما اسمها المكتوب يا جعفر ؟

تبسم المقدم وقال : قرأت أن اسمها "ستيلا داميان" من أهالي اليونان وعمرها عند العقد ثلاثين سنة.

ـ من كاتب العقد ؟

قال مالك : قاضي شرعي المحكمة ، وكان في ذلك الوقت القاضي داود بسمان .. وقد تحدثت معه هاتفيا من المحكمة الكبرى ، فبين لي أن أي زواج يكون بين مواطن مقيم وأجنبي يتم كتابة العقد في داخل المحكمة أمام القاضي ، وكذلك زواج المسلم من غير المسلمة يكون بين يدي القاضي ، وأنه لا يتذكر هذين الشخصين نهائيا.

ـ أحسنت نقيب مالك !.. وعقود الزواج لا يذكر فيها عنوان المتعاقدين تذكر فيها المدينة التابعة لها المحكمة ، وعنوان الدائرة التي عقد فيها العقد .. ولكن يمكننا أن نصل لعنوان السيدة ستيلا عن طريق السفارة اليونانية ؛ ولكن هذا الأمر فيه نوع من الحساسية، قد نحتاج لإذن من وزارة الخارجية بناء على خطاب من وزارة الداخلية .. فلنضع هذا الاقتراح الآن جانبا ..علينا بالبحث في سجلات الدكتورة ولادة سجلات عام ٨٤ على الأرجح ، وإذا لم نجد فيها نبحث في ٨٣ .. قد تكون أصابها بعد الزواج أمراض نسائية كما هو شائع فلجأت إلى الدكتورة ، فطلبت منها تحاليل مخبرية أو صور أشعة ، فلما فعلت ذلك ذهب الزوج بها ـ أي نتائج التحاليل ـ لعيادة الطبيبة وحيدا فالتقى بأخيه .. من سيقوم بهذه المهمة ؟

رد جعفر : سأذهب أنا ومالك هو يبحث في مواعيد ودفاتر ٨٣ ، وأنا في ٨٤ قد نجد العنوان وقد لا نجده أليس كذلك ؟

ـ بلى .. توكلوا على الله .. وأنا في البيت في انتظاركما.

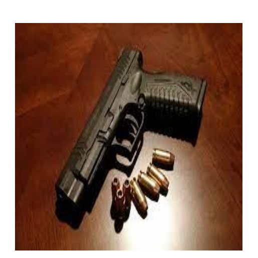
وخرج الرجال الثلاثة من مركز الأمن مرة أخرى ، فأشار حمداني إلى سيارة أجرة تنقله لمنزله، وانطلق الضابطان بسيارة إلى وسط العاصمة حيث عيادة الدكتورة ولادة ، التي رحبت بهما بدورها، ولما ذكرا لها اسم المريضة قالت بعد فكر: نعم لقد مر عليّ مثل هذا الاسم.

وأحضر حارس العمارة سلما صغيرا لتصعد عليه الطبيبة إلى مخزن حفظ الأوراق والأجندات القديمة ، وبعد بحث وجدت دفتر مواعيد وبطاقات تشخيص المرضى منذ سنوات ، وتناول الضابطان السجلات منها وعلى الفور بدأا عملية تـقليب الأوراق وقراءة الأسماء ، وفي شهر مايو من عام ٨٤ وجدوا اسم ستيلا داميان يونانية تعاني من التهابات مهبلية ، ومشاكل صحية في الرحم ، وتسكن في بنسيون اسبرطة شارع الوليد بن عبد الملك الأموي .. نقل جعفر هذه المعلومات ، وشكر للطبيبة تعاونها واعتذروا لها عن المضايقة والإزعاج وتعطيل العمل، وقال جعفر : هل تذكرينها يا دكتورة ؟

ـ على ما يخيل لي أنها فتاة نحيفة البدن .. صغيرة الوجه جميلة الشعر .. تكررت زيارتها للعيادة أكثر من مرة لا أذكر بالضبط .. فالمرضى كثر لديّ ..لا أذكر كثيرا مشاكلها الطبية عندي.

ـ بارك الله فيك والسلام عليكم

ـ وعليكم السلام .



٨

انطلق النقيب مالك إلى مركز عمله، وركب المقدم جعفر سيارة إلى بيت السيد حمداني ، وكان في استقباله أمام البيت بناء على اتصال من جعفر، وتصافحا من جديد ، ولخص المقدم الموضوع لحمداني، وبعد أن شربا الشاي وتذاكرا القضية ، أخرج حمداني سيارته الخاصة من موقفها الخاص ، وانطلقا بها جهة ضاحية يغلب على سكانها الرعايا الأجانب ، فيسميها العامة "ضاحية الأجانب"، وفي قلبها يـقع البنسيون اليوناني " بنسيون اسبرطة "، فلما نزلا من السيارة قريبا من الفندق قال حمداني : هل يسكن الزوجان هنا ؟

ـ ربما.. فهذا فندق قديم جدا شيد أيام الاستعمار.. ثم تملكه رجل أثيني ، والآن تديره امرأة عجوز ورثته عن زوج أختها ، ويتكون من طابقين كبيرين .. الطابق الثاني للنزلاء ، والأول فيه صالة واسعة للجلوس، وشقة للعجوز مديرة الفندق.

ـ إنك تعرفه جيدا ؟

ـ لقد زرته أكثر من مرة .. ولكني تحدثت قبل المجيء إليك مع موظف كبير في وزارة السياحة لي به علاقة طيبة ، فذكر لي هذه المعلومات المتواضعة.

ـ هل تظن يا صاحبي أن عزميا كان يسكن فيه ؛ لأن زوجته يونانية فحسب ؟

ـ سنعرف بعد قليل ، قد يكون هو مجرد عنوان للمرأة وليس عشا للزوجية ، فسوف نعرف الآن معلومات عن السيد عزمي.

ولما أصبحا أمام مدخل البنسيون نظر حمداني لساعته ثم قال :السادسة والنصف مساء.

وضغط جعفر على مفتاح الجرس الكهربائي ، ثم دخلا مسرعين من شدة تساقط الأمطار ، وصعدا بضع درجات ، فأصبحوا أمام الباب الداخلي للبنسيون ففتحوه ودخلوا ؛ فإذا هم في بهو الفندق ، ويقف أمامهم شاب أبيض مرحبا بهم ، ثم تقدمهم نحو مكتب كان يجلس خلفه ، وأشار لهم بالجلوس على مقاعد كبيرة في البهو، ثم كرر الترحيب ثانية ، فشاهدوا عددا من الناس الأجانب يجلسون في صالة الفندق يتفرجون على جهاز التلفزيون ، ولما

جلسوا أمام شاب الاستقبال كانت عيون الناس تنظر إليهم بدافع الفضول ، فأشار لهم جعفر محييا ، ثم قال حمداني للشاب : أين صاحبة النزل ؟

ـ نحن في الخدمة .. ماذا تريد أيها السيد المحترم ؟

ـ نريد صاحبة البنسيون ؟

وقال جعفر : السيدة كاتي ملاطيوس.

ـ نعم .. من أنتم ؟

وضع جعفر بطاقته أمام الشاب وهو يقول : شرطي ، المقدم جعفر.

بحلق الشاب في البطاقة ، ونهض قائما وهو يقول مرتبكا : ما الأمر؟!

ضحك جعفر لارتباك الشاب وقال : ستعرف بعد قليل.

فطلب لهم قهوة وهو يقول : مرحبا بكم ..وأخذ يضرب على رقم معين ثم يقول : أنا ناجي .. يا سيدتي .. رجلا بوليس هنا يريدان الحديث معك .. لا أدري ما الموضوع .. يريدان الحديث معك شخصيا .. حاضر.

ووضع ناجي موظف الاستقبال في البنسيون السماعة وقال : إنها قادمة أيها السادة .. أهلا بكم ومرحبا مرة أخرى.

وأخذ الضابطان يتحدثان معه عن عدد نزلاء الفندق ، ومن هو مالكه حتى أقبلت السيدة العجوز نحوهما وهي تعتمد على عكازة ، فلما وصلت كان ناجي قد أشار لهما أن هذه هي السيدة كاتي مديرة وصاحبة البنسيون، فنهض الضابطان وتبادلا التحية معها فرحبت بهما وقالت : أأنتما رجلا بوليس ؟

رد جعفر : نعم يا سيدتي أنا المقدم جعفر .. وقدم لها بطاقته ، فأخذتها وهي تنظر لناجي فقال : أجل يا سيدة كاتي هما رجلا أمن.

قالت بلكنة عربية : أهلا بكم .. وسهلا .. فأنا أحسن العربية، فلي في بلادكم أكثر من عشرين سنة .. ما الأمر ؟

فقال جعفر : نتكلم في البهو .. الأمر مهم.

فأشارت السيدة كاتي لناجي ، فأسرع وفتح لهما غرفة ، فلما دخلاها أدركا أنها مكتبة متواضعة فلما جلسوا قال جعفر : سيدة كاتي .. هل تعرفين امرأة اسمها ستيلا داميان ؟

فغرت العجوز فمها دهشة ورددت قائلة : ستيلا داميان! ..ما الأمر ؟! ..كيف لا أعرفها ؟ أنا خالتها .. أين هي ستيلا مقدم جعفر ؟!

تبادل الضابطان النظرات وقال جعفر : نحن نريد رؤيتها ؟

ـ تريد رؤيتها .. ولماذا تريدون رؤيتها ؟!

فقال حمداني : عفوا سيدتي .. هل السيدة ستيلا داميان متزوجة من شخص اسمه لماعة .. عزمي لماعة ؟

فقالت : أوه .. هذا كان قديما مقدم..

ـ حمداني.

ـ كان هذا قديما مقدم حمداني تزوجا سنة ثم تطلقا.

تنهد حمداني وقال : عزمي تزوج من ستيلا ثم انفصلا .. سيدتي الأمر باختصار .. أن عزميا هذا قد قتل منذ أسبوع.

صاحت بذهول : قتل عزمي !.. أوه مؤلم هذا ! .. مؤلم هذا !.. إنه شاب أديب وحزين .. رحمه الله .. فعلا له أكثر من أسبوع لم يزرنا .. ولكن ما دخل ستيلا في مقتله .. فابنة أختي تزوجته من أربع أو خمس سنوات وعاشا سوية عاما واحدا ، ثم فشل زواجهما .. وغادرت ستيلا إلى اليونان، ولم ترجع من ذلك الوقت .. ما شأنها في الموضوع ؟

فقال حمداني بهدوء تام : لا شيء .. إنما علمنا أنها زوجته ، فقلنا ربما نجد لديها شيئا يساعدنا في الوصول للجاني .. قد نستفيد منها معلومة تقربنا من القاتل ؟

ـ لم تعرفوا المجرم بعد .. إنكم تبحثون عنه.. إيه .. لا بأس .. ماذا تريدون منا ؟

قال حمداني بتردد : سيدتي علمنا أنه كان يسكن هنا أيام زواجه.

ـ أجل .. سكنا أيام الزواج هنا ، بناء على رغبة ابنة أختي لتبقى بجواري ، ولما انفصلت عنه ستيلا ظل نزيلا عندنا .. ولكنه عودنا الاختفاء الأيام والليالي ، ثم يعود ، فمن أجل ذلك لم ننتبه لموته.

فقال جعفر بدهشة : هل للسيد عزمي حجرة هنا ؟!

فقالت : نعم ، بـعدما انفصلا قرر عزمي البقاء في البنسيون .. لقد كان يحب ابنة أختي حبا عارما ، وبعد سفرها ظل مستأجرا للحجرة ، وهو مازال يضع لها رسما كبيرا داخل الحجرة يجلس أمامه يبكي على حبه لها ..ولقد حاولت إرجاعها إليه ؛ ولكنها أصرت على الابتعاد عنه

فقال حمداني : سيدة كاتي نحن نحقق في مصرعه .. فهل تسمحين لنا بمشاهده حجرته ؟ .. حجرة الوفاء والحب والذكريات.

استدعت ناجيا وقالت له : رافق الرجلين حيث غرفة عزمي ، وبـعد خروجهما أو في الصباح اجمعوا أشياء الرجل الخاصة وضعوها في المستودع حتى نرى ماذا نفعل بها ؟ .. وأنزلوا بها من يشاء من المستأجرين في البنسيون .. هل من سؤال آخر أيها السادة ؟

قال حمداني : الآن فلا ، أما بعد رؤية حجرة عزمي قد نحتاجك في بعض الأسئلة .. ممكن أن يكون ذلك بواسطة الهاتف .. ونأسف لإرهاقك شكرا جزيلا .. خذنا يا سيد ناجي لحجرة لماعة لنر ما فيها .. أنتم لم تقرؤوا عن مقتله في الصحف كما يبدو؟

رد ناجي المستغرب مما يسمع قائلا : من النادر أن أقرأ صفحة الحوادث، ولا أدري هل تـقرأ السيدة ذلك ؟

ردت وهي تبتعد عنهما نحو مدخل شقتها : لا أهتم كثيرا بقراءة الصحف العربية .. آسف أيها السادة وداعا .

فرد حمداني قائلا : مع السلامة وإلى لقاء.

صعد الضابطان برفقة ناجي إلى حجرة عزمي في البنسيون ـ فلم تكن مغلقة بمفتاح إنما هي مغلقة بلسان القفل فقط ـ فسبقهما ناجي ، وفتحها وأشعل النور، فسأل جعفر الشاب عن

سبب عدم إغلاقهم الغرفة بالمفتاح، فأجابه ناجي قائلا : تبقى الغرف أثناء خروج أصحابها مفتوحة ليقوم العمال بتنظيفها، ومن يملك شيئا مهما وثمينا عليه أن يضعه في صندوق حماية في الفندق أو في بنك .. وأما عندما يدخلها النزيل يغلقها كيف يشاء.

كان في الغرفة سرير لشخص واحد وبجواره طاولة صغيرة ، وخزانة ثياب وعلاقة ثياب عليها ثياب نوم يبدو أنها خاصة بعزمي ، وتلفاز ، وصور معلقة على الجدران ، تأمل الرجلان الغرفة جيدا، ثم فتح جعفر خزانة الثياب التي لم تكن مغلقة بأي مفتاح ، وجد فيها بدلات، ملابس نوم ، تفحص جعفر جيوب الجاكيتات والقمصان والبنطالات، لم يجد فيها شيئا ، وكان في أرض الخزانة حقيبة رقمية حجم صغير أخرجها جعفر ووضعها على المائدة الصغيرة، وكان حمداني يتفقد السرير لعله يجد في الفراش أو تحت السرير شيئا ، وبينما هو يحرك الأباجورة الكهربائية وجد عندها بطاقة تعريف ؛ ولكنها قديمة بعض الزمن فيها اسم وعنوان طبيب أسنان ، فقال لنفسه " لعلنا نجد عند هذا الطبيب معلومة عن عزمي" فوضعها في جيب قميصه وقال : قد تلزمنا في لحظة من اللحظات.

ولما انتهيا من التفتيش سألا الشاب عن عزمي وأخلاقه فقال بحزن : الأخ عزمي .. رجل مريض .. مريض نفسيا .. ومما علمته منه أنه كان وحيدا في هذه الدنيا لا أخ ولا قريب ولا أب ولا أم .. تركهم بعد وفاة أمه منذ الصغر ، وأتى العاصمة هاربا من أهله، واشتغل عند تاجر ملابس معروف السيد حازم عبشل؛ ولكن علمت منه أنه مشلول الآن وابنته الوحيدة هي التي تدير أملاكه .. فقد تعرض عبشل لحادث سير أصابه بكسر قوي في عموده الفقري، فأصبح على أثره مقعدا في البيت، وابنته السيدة شيرينة المسؤولة عن المحلات والمشاغل .. فعزمي يعرفهم جيدا ، وكان يقول إنه كاد أن يصبح زوج ابنة عبشل لولا سقوطه في قضية مخدرات منذ سنوات مضت .. كان يخبرني السيد عزمي بذلك في ساعات الفضفضة .. وللعلم فالسيد عزمي كان سكيرا من الطراز الأول.

فقال جعفر : اكمل يا ناجي فأنت تعرف عزميا جيدا ؟

ـ أجل .. أجل .. فلي في هذا الفندق عشر سنوات قد تزيد قليلا .. من قبل أن يسكن فيه المرحوم عزمي .. المهم أيها السادة عمل عزمي منذ صغره عند عبشل حتى أصبح شابا وكبرت ابنة المعلم فعشقها عزمي ، وبعد قصة حب عنيفة رضخ الأب الثري لرغبة شيرينة وعشيقها فوافق على خطبتهما لبعض ثم بعدئذ الزواج ، وبعد سنوات تقرر تحديد موعد الاقتران، وكان السيد عبشل له علاقات تجارية في اليونان وقبرص، وكان السيد عزمي ينوب عنه في استيراد البضاعة وعقد الصفقات، وسافر في استيراد صفقة وتحدد أن يكون الزواج بعد عودته من السفر من اليونان ، فلما رجع ودخل المطار تم القبض عليه ووجدوا بحوزته مخدرات ممنوعات ، فحكم عليه خمس سنوات سجن فعلي ، وعلى أثر الحكم فرط الزواج والحب ، وخلال فترة الحبس تزوجت المعشوقة من طبيب أسنان وهو الذي وجدتم اسمه مكتوب على البطاقة الدعائية.

فقال حمداني: هل كان يرى عزمي أن السيد حازما دس له المخدرات أو اتصل بالبوليس ووشى عليه ؟.

ضحك ناجي وقال : أبدا أبدا ، فالسيد حازم ليس له إلا ابنة واحدة ، ولا يستطيع منعها من الزواج ممن أحبته وعشقته عشقا قاتلا .. ويمكن أن أقول بصراحة كما أخبرني عزمي أنهما كانا يعيشان كزوجين قبل التفكير بالزواج ، بل حملت منه سفاحا وذهبت لليونان وعملت على التخلص من الحمل والجنين ..فالوالد بعدما عرف كل ذلك لم يستطع منع الزواج ..ولكن السيد عزمي والسيدة شيرينة أثناء رحلاتهما لليونان تعاطيا المخدرات ، وأدمنا عليها ، وكلما يعودان يدخلان الكمية المناسبة حتى يأتي موعد السفرة التالية ، وكانا يسافران كل فصل مرة فكما جاء أثناء المحكمة أن إشارة أرسلت من بوليس أثينا إلى شرطتنا تخبرهم بالمخدرات الموجودة في حوزة عزمي .. فتم القبض عليه وإيداعه الحبس خمس سنوات .. ولما خرج وجد المحبوبة متزوجة ، وقد نسيت الحب والغرام والأحلام ، ودفع إليه السيد عبشل عشرة آلاف دينار مكافأة عن سنوات الخدمة التي أمضاها لديهم ، وخرج من حياتهم فسافر إلى اليونان ،

فعاد وهو يحمل مخدرات.. وعزمي متعاطي لا يتاجر بها ، واستمرت حياته بين المخدرات والسجن حتى التقى بالآنسة ستيلا ابنة أخت مدام ملاطيوس وبعد حب قصير اتفقا على الزواج والاقتران ، وحضرت إلى هنا وتزوجا وسكنا في هذا البنسيون .. ولكن الفتاة لم تطق الحياة هنا ، وتبين لها مرض زوجها جنسيا، فهو من الصعب أن ينجب، فطلقها بناء على رغبتها ، وظل يبكي عليها ، واستأجر هذه الحجرة في الفندق ليعيش على ذكراها وينظر إلى هذه الصورة المعلقة التي ترونها .. فهذه هي صورة ستيلا .. فهو مستمر في سفره لليونان أو قبرص ثم يعود ، ويغيب عنا بالأيام والأسابيع فلا نكترث لغيابه .. هذه المعلومات سمعتها منه عندما كنا نجلس أحيانا نتحدث .. وهذا ما أذكره عنه أيها السادة.

قال جعفر : أحسنت بسرد هذه المعلومات على أسماعنا .. لقد أنارت لنا الطريق ..في السنوات الأخيرة هل كان يأخذ مخدرات ؟

ـ ليس تماما .. لقد زاد شربه للكحول المحرمة، قد يكون ذلك أكثر من الماء .. وكان يتعاطى حبوب مخدرة .. لقد ترك الهيروين منذ التقى بستيلا .. وهذه الحبوب يشتريها كما يقول من بعض الصيدليات المخالفة للقوانين والأنظمة.



٩

في دائرة الأمن والتحقيق الجنائي جلس المقدم جعفر ، والعميد المتقاعد حمداني ، والنقيب مالك ينظرون لخبير فتح الحقائب والخزائن الرقمية وهو يفتح حقيبة عزمي التي أتوا بها من الفندق ، وخلال دقائق معدودة تم فتح الحقيبة السوداء ، وقام جعفر برفع الغطاء ، فكان فيها مبلغ من المال ، فقام مالك بإحصائه فإذا هو مائتي دينار، وفيها عملة يونانية (دراخمة) فعدها أيضا ، ووجدوا البوم صور كبير، وجواز سفر، وبطاقة شخصية ، وقسيمة زواج ، وقسيمة طلاق ، ومغلف رسائل بداخله عدد كبير من الصور، ومغلف آخر تبين أن ما فيه رسائل عاطفية قديمة أرسلتها شيرينة لعزمي تعبر فيها عن حبها وعشقها لفارس أحلامها .. وفي أحدها رسالة خطيرة تعترف له بأنها حامل منه ، وتستشيره بما تفعل بالحمل ، فهل تصارح والدها بحبها وحملها ؟ وكانت الرسائل مكتوبة بخط واضح وجميل، ووجدوا لهم صورا على شاطئ البحر بحر اليونان ، وهم في ملابس البحر، ومنها صور تعانق عشيقها وهي شبه عارية، ووجدوا صورا له مع زوجته اليونانية كذلك، وكان في الحقيبة كمية من حبوب المخدرات، ومسدس ذو حجم صغير، أكد حمداني أنه صناعة يونانية، وهو تحفة أكثر منه مسدسا ، وبعض الأفلام ، والميداليات ، وبطاقات عنوانين لأطباء ومحامين وشركات، وضمنها بطاقة باسم طبيب الأسنان الذي وجدوا بطاقته في الحجرة ، وعرفوا من ناجي أنه زوج شيرينة ابنة السيد حازم ، وبعد ساعات من النظر في الصور والأوراق قال حمداني : خطواتنا القادمة الاتصال بالدكتور باسل نصري ، وبالسيد عبشل ، وبناء على ما نخرج به من انطباعات نتحدث مع السيدة شيرينة، فنبش الماضي بالنسبة لها ليس هينا، فهناك علاقة غير شرعية ، وحمل بالحرام ، وإجهاض، وبالتأكيد لا يعرف الدكتور الزوج تفاصيل كثيرة عن ماضيها وإلا ما اقترن بها.

قال جعفر: أكيد.. فالرجل الشرقي ليس من السهل أن يتزوج من امرأة قاتلة لجنينها .. أو حتى عاشقة بالشكل الذي تحدث عنه السيد ناجي.

فعقب مالك قائلا : هذا كان قديما .. أما الآن في أواخر القرن العشرين فهؤلاء الأثرياء المتأثرون بالغرب يغضون الطرف عن أخلاق وعيوب زوجاتهم .. فأكثر زيجاتهم زواج مصلحة ومال.

فقال جعفر : ممكن أن يكون صحيحا ما تقول يا سيدي النقيب .. فأريد منك ملفا مفصلا عن هؤلاء الثلاثة عبشل وابنته وزوجها الطبيب.

قال حمداني : أما أنا فسأنصرف للبيت ، واسمحوا لي بأخذ رسائل الفتاة لأقراها ؛ لأعرف لماذا كانت تكتب له الرسائل مع وجودهما دائما معا ؟ وكانت تسافر معه وحدهما، ولماذا اعترفت بحملها في رسالة مع أنها يمكن أن تقول له ذلك مشافهة؟! فهذه نقاط تحتاج لتفكير عميق ، وأنت يا سيدي المقدم رتب لنا موعدا للحديث مع السيد حازم .. نسمع الرجل العجوز المريض ، ثم نحاور الطبيب ونسمع منه بعده.

قال جعفر : سوف أتصل به بعد أن يأتيني مالك بملف عن كل منهم.

فقام مالك وهو يقول: سأبدأ الآن ـ إن شاء الله ـ وخلال أربع وعشرين ساعة سأقدم تقريري الأولي حولهم.

وغادر السيد حمداني ، وقد حمل الرسائل الخاصة معه إلى بيته ، ولما جلس في مكتبه جلس قليلا يفكر ويشرب كوبا من الشاي ، ثم آوى إلى فراشه الوثير يريح بدنه مما عانى ذلك النهار والليل ؛ ولكنه لم يكد يغمض عينيه حتى جاءه هاتف من المقدم جعفر يعلمه فيه أن السيد حازم عبشل قد مات منذ يومين، فاسترجع حمداني وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .. ليس أمامنا الآن إلا سماع أقوال شيرينة ؛ ولكنها لا تتحدث عن ماضيها الجميل ، وستقول لنا ما دخل حياتي في سير القضية والتحقيق رجل تركنا منذ عشرين سنة، وأنا امرأة متزوجة ولي سمعتي.

فقال جعفر بحدة نوعا ما : ماذا كان يشتغل هذا اللعين قبل موته ؟! .. فناجي يقول إنه كان يكثر من السفر إلى اليونان .. ولكن ماذا كان يعمل هناك ؟

ـ لا تنسى يا صاحبي أن السيد حازما دفع إليه مبلغا من المال عندما أفرج عنه.

ـ ولا تنسى يا صاحبي أنه كان يشرب الهيروين ، وهذه المادة ثمينة وأغلى من الذهب.. مادة تحتاج لمبالغ دائمة ومستمرة

ـ ولكن كما تبين لنا أنه متعاطي لا يتاجر فيها.

ـ حياته في اليونان غير معروفة لدوائر الشرطة ويلفها الغموض.. ما رأيك بأن نسافر للبحث عن ستيلا ومقابلتها لعلنا نعرف المزيد عنه ؟

ضحك حمداني على الهاتف وعلق قائلا : أنا لا أرى أن هذه المرأة أكثر من بائعة هوى التقى بها في ملهى أو حانة خمر أو مرقص هناك ، وجرى بينهما استلطاف ووجدها بديلة عن معشوقته الأولى ، ولما عرفت هي أنه من البلد الذي تعيش فيه خالتها كاتي تزوجا ، وسكنا عندها ، ثم انتهت العلاقة بالطلاق وخرجت من حياته .. نحن لحتى الآن لم نعرف سبب قتله أو ما يسمى بدافع الجريمة.

ـ كنت أفكر بأخذ عنوانها من خالتها وأسافر إليها.

ـ قد تكون متزوجة في قطر آخر ، ولها منفصلة عنه ما يقارب أربع سنين .. فليس من السهل الالتقاء بها ، دع أمرها لآخر شيء.. فلنحاول الحديث مع الموجودين هنا ، الدكتور باسل ، وزوجته شيرينة ، وكذلك محاميه قبل سنوات أيام القضية الأولى .. هل عرفتم عنوانه ؟

ـ يا سيدي ..تكلمت معه مرة على الهاتف ، وذكر لي أن السيد حازما هو الذي دفع له أتعاب المحاماة ، وبعد صدور الحكم انتهت علاقته بالسيد حازم والسيد عزمي .. ولا شيء عنده يساعدنا في قضية عزمي لماعة.

ـ على كل حال لابد من الوصول للجاني قريبا يا سيد جعفر ، فكلما تعقدت القضية أصبح حلها قريبا ، علينا أيضا معاودة الحديث مع السيد ناجي ؛ ربما يضيف شيئا غفل عنه في المرة السابقة وتذكره بعد انصرافنا ، فعزمي كان يحدثه عن نفسه كثيرا كما بدا لنا من حديثه معنا ؛ ولكن يا جعفر لم يذكر لنا أن السيد عزميا يسكن في حي الشمارخة.. لماذا؟!.. أتظن أنه لا

يعرف أم .. ؟ لابد لنا من لقاء آخر معه عندما نرتب معلوماتنا ترتيبا جيدا ومنطقيا يا سيد جعفر.

ـ ما هو الدافع الرهيب لهذه الجريمة ؟ .. لا يوجد سرقة وعنف..

ـ المهم أن نستبعد أن يكون القتل بسبب المخدرات ، فليس هناك ترويج وتجارة .. فأنا أحاول معرفة نفسية ومزاج عزمي هذا ، وكيف كان يفكر ويتعامل مع الأشياء ؟ وهل نسي حبه بسهولة ؟! وهل ابتعد عن حياة معشوقته بسهولة؟ وهل لم يلتقيا بعد أن علم أنها زوجة ؟ ولماذا يحمل بطاقات عنوان زوجها الدكتور ؟ وهل علم أنه زوج معشوقته القديم ؟ والدكتور هل علم بأن هذا المريض صديق امرأته ؟ .. هذه أسئلة وغيرها يا سيدي تحتاج إلى إجابة .. وعلى أثر الجواب عليها سيتضح سبب حدوث هذه الجريمة المدبرة بذكاء.. فلو تبين لنا يا صاحبي أن السيد عزميا وشيرينة ما زالت تربطهم علاقة عشق وحب من وراء الزوج .. ثم علم الزوج بالأمر ألا يدفعه ذلك لقتل شريكه في زوجته؟! .. فالغيرة سبب مهم للقتل.

ـ والله يا حمداني هذا تفكير دقيق وعميق !.. فهذه الأسماء تحتاج لدراسة .. فمهمة مالك إذن مهمة كبيرة.

ـ من أجل ذلك يا سيدي لم أتعجل بلقاء هؤلاء القوم ، علينا قبل اللقاء بهم أن نعرف بعض خصوصياتهم وأسرارهم .. وهناك سؤال كنت أود أن اسمع إجابته من السيد حازم ، وهو هل كان يمد ربيبه بالمال رغم انقطاع العلاقة بينهما بعد زواج البنت وإبعاده عن العمل؟ وهناك أمر مهم جدا يا سيد جعفر وهو هذه الرسائل .. لماذا كتبت ؟! ولماذا يحتفظ بها عزمي معه لحتى الآن مع مضي سنوات طوال عليها ؟! وحتى صوره مع الفتاة العاشقة لماذا لم يتخلص منها؟! ولماذا لم يعيد تلك الأشياء لها للتخلص منها بنفسها ؟

ـ إنها أسئلة كبيرة حقا يا حمداني!

ـ تصبح على خير يا سيدي.

١٠

بعد أيام اتفق حمداني وجعفر على زيارة الطبيب باسل نصري طبيب الأسنان أثناء عمله، وكانت عيادته في شارع المصباح السحري في أزهار الربيع ، وهو نفس الحي الذي يقع فيه بيت حازم عبشل ، ولكن الأخير بيته في شارع الشمس ، وقد تبين لهم أن الطبيب يعيش مع زوجته في فيلا والدها ، وعلموا أيضا أنه كان متزوجا قبل الزواج من السيدة شيرينة ، ولم ينجب من الأولى ، ولا الثانية ، وحاول الزواج مرة ثالثة ، فقد خطب فتاة كانت تتردد على العيادة ، ولما اقترب موعد الـقران علمت شيرينة بالموضوع ، فطلبت الطلاق على الفور، مما اضطره إلى إنهاء زواجه الجديد ، وبالجملة فحياته هادئة في بيت الأسرة التقليدي ، وله والدان كبيران في السن يرعاهما ويتفقدهما باستمرار، وله أخت يكثر من زيارتها والسهر عندها ، وأحيانا يترك العيادة لتناول الطعام عندها في فترة الغداء ، وله أخوان مهندس أصغر منه ، والثاني مهاجر إلى الغرب ، وهو يتردد على عيادات معالجة العقم باستمرار ، بل سافر لإنجلترا من أجل هذه الغاية ، وهو موفق في عمله ، هذه معلومات جمعتها الشرطة عن الطبيب باسل ، وقد اطلع عليها جعفر وحمداني ، وفي الموعد المحدد بين الضابطين زلفا على عيادة الطبيب، فاستقبلتهما السكرتيرة، ورحبت بهما ، ودونت اسم أحدهما على بطاقة المعالجة ، ولما خرج المريض من غرفة العلاج ، قال الطبيب : لينا .. هل عندك أحد من الناس؟

فقالت وهي تقف : نعم .. هذا السيد ـ وأشارت لجعفر ـ ومعه صديقه.

فقال الدكتور : تفضلا.

ولما دخلا الغرفة استلقى جعفر على سرير العلاج الخاص بطبيب الأسنان ، وهو يقول : أرغب يا دكتور باسل بأن تتفقد أسناني وتزيل الاصفرار العالق بها.

فرحب بهم الطبيب وقال : حاضر .. يا مرحبا بكم .. افتح فمك يا عزيزي.

وقبل أن يفتح جعفر فمه قال حمداني : دكتور باسل .. لقد أرسلنا إليك صديق يتردد على عيادتك كلما أوجعه سن من أسنانه .. هل تذكره ؟

ضحك الطبيب وقال: من هو هذا الصديق لأذكره ؟!.. ما اسمه ؟

فقال حمداني وهو يتشاغل بالنظر إلى صورة معلقة في العيادة : إنه صديق لنا ذكر لنا أنك أمهر طبيب أسنان في الحي.. ولكن المسكين مات منذ أسابيع قبل أن نزورك

أظهر الطبيب الدهشة وقال : صديق لي مات منذ أسابيع .. لم يمت لي صديق منذ زمن!

ـ هو الذي أعطانا عنوانك أو بطاقة عيادتك.

ـ حيرتني يا رجل! ..اذكر لي اسم هذا الصديق الذي مات من قريب .. لعله مريض من المرضى الذين يترددون عليّ فقط..

فقال حمداني مظهرا الأسف والحزن : المسكين لم يمت موتا طبيعيا .. بل قتل رميا بالرصاص.. إنه السيد عزمي لماعة.

ألقى حمداني القنبلة وأخذ الضابطان يراقبان ردة فعل الطبيب الذي ومضت عيناه ببريق لامع ، وقد سقطت أداة الفحص من يده ، وبدأ مضطربا وهتف : عزمي لماعة .. قتل!

فقال حمداني : مالك ارتبكت يا دكتور؟! .. ألم تعلم أنه قتل ؟! .. ألم تشارك في جنازته ؟ .. أليس هو صديقك ؟

فقال الدكتور والخوف واضح على وجهه وصوته مضطرب كذلك : لا .. هذا الرجل ليس صديقي .. إنه كأي شخص عادي ، لم نكن أصدقاء في يوم من الأيام .. ولم أعرف أنه قتل إلا منكم الآن.

فعاد حمداني يقول : ولكنه يعتبرك صديقا ، ويكثر من الحديث عنك عندما نتحدث عن وجع الأسنان والأضراس.. وهو يعرفك جيدا يا دكتور ؟

ـ نعم ، أنا أعرفه ؛ ولكنه ليس صديقا .. إنما هو مريض كباقي المرضى .. لقد عرفته من سنوات ثلاث على ما أذكر .. عندما أتى ليقلع ضرسا يؤلمه .. وفعلا كان يتردد عليّ لمثل هذا الموضوع ..ويا سيدي حياكم الله ورحم الله الرجل لقد أحزنني خبر موته وخصوصا موته مقتولا.

فقال حمداني: ولكنه كان يدعي أنه صديق حميم لك، وهو الذي أرشدنا إليك قبل موته.

كان الطبيب مرتبكا ، وتفاجأ عندما رأى المريض ينهض عن السرير، ويتجه للباب ويغلقه ويتقدم منه قائلا : المقدم جعفر من المباحث الجنائية .. وهذه بطاقتي .. وأنا أحقق في جريمة مقتل السيد عزمي لماعة..

حملق الطبيب بالضابط وقال بعد صمت : وما علاقتي بالموضوع ؟! .. رجل كان يتردد على العيادة لمداواة أضراسه المعفنة.

وضغط بأسنانه على الكلمات الأخيرة ، فقال جعفر : المهم أنك تعرفه .. وتذكره جيدا .. نريد معلومات عنه منك ؟

هبط الطبيب على كرسي وقال : تحقيق إذن ؟!

رد جعفر : لا ، لو كان تحقيقا لاستدعيناك للدائرة .. إنما هو حوار غير رسمي .. أي شيء تعرفه عنه يساعدنا في الوصول للجاني ؟

ـ عزمي لماعة .. مجرد زبون مريض يتردد على العيادة للعلاج لا صداقة بيننا.

فاقترب حمداني من الطبيب ونظر إلى عينيه وقال : دكتور باسل .. ألا تعلم أن زوجتك ابنة السيد عبشل كانت على وشك الزواج من عزمي هذا ؟

ـ أعلم ؛ ولكن كان هذا من سنوات طويلة قبل أن ألتقي بشيرينة زوجتي ، وأعلم أنه يتعاطى المخدرات وأنه سكير.

فقال حمداني : إذن لماذا جاء هذا الرجل يتطبب عندك ؟.. ولماذا لم تصرفه بعدما عرفته؟

قال الطبيب : لم يكن ذلك ممكنا ، أنا لما عالجته أول مرة لم أطلع على اسمه .. دخل كأي مريض.. وقد لاحظتم من معاملتي أنا لا أهتم باسم المريض .. تركت الأمر للعاملة في الخارج .. يهمني حسن معالجة المريض.

ـ ألا تكتب اسم المريض على الوصفة الطبية ؟

ـ لا.. ليس هذا بالأمر المهم للصيدلي.. يهمه أسماء الدواء ، وقد ينتبه لسن المريض .. ولكن

العاملة عادة تكتب في أحد الدفاتر اسم المريض والسن والعنوان والهاتف إذا رغب الزبون في ذكر ذلك.

قال جعفر : كنا نطمع في مساعدتك لنا يا دكتور باسل .. من جلساتك العلاجية المتكررة مع المريض قد يكون ذكر لك شيئا يساعدنا في التحقيق.

ـ أنا مستعد لمساعدتكم .. ولكن كيف؟ .. صدقوني لا علاقة بيني وبين هذا الرجل المريض المدمن.. ليس بيننا إلا علاقة الطبيب بالمريض.

قال حمداني : متى عرفت أنه خطيب زوجتك ؟

ـ هذا موضوع قديم ..وكثير من الفتيات يخطبن ، بل قد يكتب العقد ثم لا يحصل نصيب وينتهي الزواج .

ـ صحيح ما تقول .. ولكن لماذا جاء هذا الرجل إليك بالذات منذ ثلاث سنين كما قلت؟ هل ترى أنه لا يعرف بأنك زوج المرأة التي كان على وشك الاقتران بها لولا القبض عليه من قبل شرطة مكافحة المخدرات؟ .. لم لم يذهب لطبيب آخر؟ .. هذا لابد من الإجابة عليه.

ـ لا أعلم .. رجل تطفل عليّ فقط.

قال حمداني بصوت هامس وهادئ : دكتور باسل إذا كان عندك شيء تكلم به .. نحن متأكدون أنه كان بينك وبين القتيل علاقة من نوع ما.. والسكرتيرة الجالسة في الخارج لقد التقينا بها أمس في بيتها، وعندما عرضنا عليها صورة عزمي لماعة أكدت لنا أن هذا الرجل كان يتردد على العيادة للعلاج وغيره ، وفي يوم مصرعه يوم الثلاثاء كان عندك صباحا.

فقال الطبيب : لا أدري متى كان مصرعه ؟ وأنا مصر على أنه مريض وليس بصديق ، وكثيرا ما يأتي المريض لاستشارة طبيبه من غير أن يقطع تذكرة أو وصلا للعلاج .. حديث جانبي ثم ينصرف .. وأكيد أن السكرتيرة بينت تكرار مثل هذا الأمر مع غير عزمي.

فقال جعفر : الحق أنها ذكرت بأنه عدو ولم يكن صديقا .. ما الذي كان بينكم ؟.. تكلم يا رجل ؟

ـ أتكلم بماذا ؟؟

ـ بنوع العلاقة التي تربطك بهذا الرجل القتيل ؟

ـ صدقوني .. أنه مجرد عابر سبيل.

فقال حمداني : أنت تريد إخفاء شيء مهم في عدم إفصاحك عن سبب مجيء عزمي إليك أكثر من مرة ، ويوم الحادث كان عندك صباحا .. هناك سر بينكم أكثر من العلاج .. أنت تعلم أنه عاشق لزوجتك عشقا مبرحا ، ولولا ذلك لما احتك بك وجاء يتداوى عندك.

فصمم الدكتور على عدم الإفصاح ، وقال بعناد واضح : لا أسرار بيننا ..حتى لو كان عندي أسرار كما تدعون فلا أحب كشفها ، بل سوف أتقدم بشكوى لرؤسائكم على إزعاجي وتعطيل عملي.

أخذ الضابطان بالضحك ردحا من الزمن ، ثم قال جعفر : حسنا أيها الطبيب المحترم سندعوك بكتاب رسمي لأخذ أقوالك .. نحن أحببنا أن يكون اللقاء وديا لنستفيد من معلوماتك في التحقيق .. فغدا اعتبر نفسك مطلوبا للمثول في القسم لسماع أقوالك بصفتك ممن رأى القتيل قبل مصرعه بساعات، وبصفتك طبيبه أيضا، واعلم أنك الآن تحت المراقبة وممنوع من مغادرة القطر حتى تكتب أقوالك في محضر شرطة رسمي .. هيا بنا سيد حمداني.

فقال حمداني لجعفر: على مهلك يا مقدم جعفر .. سؤال أخير سيد باسل أرجو الإجابة عليه قبل انصرافنا .. لماذا أعطيت السيد عزميا منذ شهور يسيرة ألف دينار ؟! .. هذا ما اعترف به عزمي لأحد الناس.

كان مصدر هذه المعلومة السيد ناجي ، عندما عاود الضابطان الاجتماع به ، وسألاه عن مصدر دخل عزمي والعمل الذي يمارسه ، فذكر لهم أنه لا يعمل إنما يتلقى أموالا من أصحابه القدامى ، وفي ساعة سكر ذكر له أن الدكتور زوج صديقته السابـقة دعمه بألف دينار ، وأحيانا شيرينة تشفق عليه وتعطيه ، فلما سمع باسل سؤال حمداني الأخير قال باستسلام : لقد اختنقت .. سأقول ما عندي

فطلب سيجارة ، فأعطاه المقدم جعفر سيجارة ، وطلب من السكرتيرة صرف المرضى والمراجعين ، وأن تطلب لهم قهوة ، وبعد دقائق كانت القهوة بين أيديهم ، وأغلق جعفر الباب من جديد وقال: أسمعنا حديثك يا حضرة الطبيب.

رشف القهوة وخلع نظارته عن عينيه وقال بغضب : ألا لعنة الله عليك يا عزمي .. لقد دمرني ودمر حياتي .. إنه مجرم لعين .. قتلني قبل أن أقتله.

فصاح جعفر بدهشة : أنت الذي قتله ؟!!

فصاح الطبيب بغضب : اسمعني ولا تقاطعني .. بدأت الحكاية منذ سنوات لا أدري ثلاث أم أربع .. المهم جاءني الخبيث كأي مريض ، ولما جلس على هذا الكرسي "قال : أنا اسمي عزمي لماعة " ، ولما بدأ له أنني لم أكترث لذكر اسمه وقلت : أهلا بك سيد عزمي .. فهمس المجرم " أنا كنت على موعد من الزواج من زوجتك يا دكتور .. أيام .. ليتم حفل الزواج " واختصر لي حياته وحبه لشيرينة عبشل .. وطلب مني طلاقها لحبه الكبير لها ، وتركني وطلب مني التفكير بالأمر وفي حالته البائسة ، كان ذلك من أول لقاء بيني وبينه ، كظمت غيظي، وعدت للبيت مهموما، ولم أحدث شيرينة بما سمعت .. على أمل أن أنهي موضوع تطفله خلال يومين أو ثلاثة .. وغاب يومين على ما أذكر ، ثم أهل عليّ في العيادة ، وسألني بصلف وكبرياء ؛ كأنه صاحب حق وأنا سلبته حقه قال : ماذا فعلت برجائي ؟ فقلت له بالحسنى: إن زوجتي لا ترغب فيه ، وتحتقره وتكرهه ، ونادمة على كل ساعة قضتها معه ، ورغم هذا الكلام الذي تكلمته أمامه ، كان في داخلي شك رهيب فقلت له : هل بينك وبينها أي علاقة منذ تزوجنا ؟!" فقال: منذ سجنت انتهى ما بيننا ولكن لم أعد أطيق العيش بدونها لم أعد أصبر " فزجرته وهددته بالشرطة والقانون ولكن ماذا تفعل مع إنسان وقح لا حياء عنده ، فألقى أمامي صورا لزوجتي وهي شبه عارية على شواطى البحار وقال : عندي كثير منها يا دكتور . حدثته عن الأخلاق والقيم والعادات والخجل ، ويقابل ذلك بأني سرقت خطيبته منه ، مع أني لم أعرفه قبل زواجي من شيرينة التي حدثتني عن خطوبتها لهذا النذل ،

فقلت له : ماذا تريد .. ؟ طلاق ..مستحيل ؟! انصرف قبل أن أتقدم بشكوى ضدك ؟ فعندئذ طلب مني مالا مقابل هذه الصور التي عرضها أمامي ، ولما شاهد عزيمتي وأنني لن تهزني أي فضيحة من ماضي زوجتي ، قبل أخذ ثمنها ورجوته أن يبعد عن حياتنا ، فوافق بعد أن أخذ مني خمسمائة دينار مقابل الصور ونسيان أفكاره الشيطانية ، وغاب سنة ثم عاد للابتزاز بنفس الصور ، فكشفت الأمر لزوجتي فقالت بوضوح : " عزيزي باسل تأكد منذ حكم عليه بالسجن خمس سنوات لحيازة المخدرات وتعاطيها لا توجد بيننا أي علاقة شخصية ، وخرج من قلبي إلى الأبد " صدقت ذلك وأخضعتها للمتابعة سواء في المحلات أو البيت أو الصالون فتأكدت أنها لا ترتبط به بأي علاقة مشينة بعد سجنه ..ولكن السمعة ثمينة عندي فرضخت لابتزازه وجنونه وأعطيته ما تيسر من المال طمعا بألا يعود المجرم وغاب عني على ما أظن عاما آخر ، وكان يأتينا خلال العامين لمعالجة أضراسه وفمه وأغض الطرف عن حمقه وبلهه ، وقبل سنة من مقتله جاءني ومعه صورة خطاب رهيب من زوجتي أيام عشقهما ، تعترف له فيه بالحمل منه من غير زواج ، وتبدي رغبتها بالإجهاض في أقرب وقت ممكن .. فلم أتمالك أعصابي أيها الناس وكدت أخنقه هنا ، لقد قضى عليّ نهائيا ، وبعد تفاهم وعدني الوغد وعدا أخيرا بالخروج من حياتنا الزوجية مقابل ألف دينار، وأن يسلمني الخطاب الأصلي ، فوافقت من ضعفي ، وغاب زمانا طويلا فظننت أنه ندم واستيقظ ضميره الميت .. وكنت أفكر أن أشكوه ؛ ولكن لم أعرف كيف أفعل ذلك ؟ لا أعرف بيته .. ماذا أقول للشرطة ؟ لا شهود عندي؟ وبينما أنا هائم في أمره دخل عليّ قبل شهور ثلاثة ، وأخذت عنوانه في حي الشمارخة ، وذهبت إليه ليلا ونـقدته الألف دينار مقابل تسليمي رسائل شيرينة له أيام المراهقة والزواج غير الشرعي ، فقال " إنه لم يحضرهن خوفا من غدري، وحلف مليون يمين بأنه سيأتيني بخطاب اعتراف زوجتي بالحمل السفاح " وتفرقنا على ذلك ، فجاءني قبل أسابيع صباح يوم الثلاثاء هنا أيضا في العيادة ، وطلب مني زيارته في منزله في حي الشمارخة في الليل الساعة العاشرة والنصف لاستلام الرسالة وغيرها من الصور والرسائل .. وبالفعل

صممت على الذهاب ومقابلته ، وأخذت معي مسدسي المرخص، وصممت أن أقتله إن لم يعطـني الصور.. فوضعت شاربا صناعيا وباروكة وارتديت معطفا طويلا وحذاء رياضي ، وقد استأجرت سيارة سياحية كنت مصمما على قتله إن لم يعطيني كل الأشياء التي تخص زوجتي .. وفي العاشرة والربع ليلا أوقفت سيارتي في الشارع الرئيسي للحي وتسللت لمنزله الذي عرفته من المرة السابقة ، فوجدت الباب مفتوحا فدخلت بهدوء ، ثم نزلت الدرج ، وفتحت باب غرفته، وكانت الغرفة مضاءة ، وناديت بصوت منخفض ، فلم يرد ، فدخلت فكان مطروحا على السرير ، ومغطى بلحاف إلى صدره اقتربت منه وهمست " عزمي عزمي " ثم لمحت الدماء على ثوبه، فخفت وأدركت أنه ميت من قريب ، فقد وجدته مقتولا ، فمما سببه لي من الضيق والإحباط والحقد رميته برصاصتين واحدة في صدره وأخرى في جبهته ، وغادرت متسللا كما دخلت ، وأنا غير مترحم عليه .. فهذه قصتي مع المجرم اللعين.

فقال جعفر : أمتاكد أنه كان ميت قبل أن تطلق الرصاصات عليه ؟

فقال الطبيب المنهار عصبيا : هذا ما رأيته ، والطب الشرعي عليه إثبات ذلك.

فقال حمداني : الحق أننا الآن فهمنا لغز اختلاف الرصاصات القاتلة .. عندنا قاتل أول .. والدكتور قاتل ثاني ، وتقرير الطب الشرعي فيه أن الموت حدث من المقذوف الأول .. كانت الطلقة في صميم القلب.

١١

بعد اعتراف الدكتور الخطير أمام الضابطين ، وأنه كان موجودا على مسرح الجريمة ، وراودته نفسه بسفك دم عزمي إن لم يسلمه الخطاب الخطير والصور ، وبعد مناقشة كاملة بينهم قال المقدم جعفر : لقد وصلنا إلى النهاية يا سيدي حمداني

فقال حمداني : بالتأكيد ولكن ظل سماع صوت القاتل الحقيقي أو القاتل الأول لنعرف دوافعه الحقيقية لارتكاب هذه الجريمة!

رسم جعفر ابتسامة على وجهه وقال : الدافع يا سيدي العميد لهذه الجريمة هو الابتزاز ، والتهديد بالفضيحة ، وتدمير حياة زوجية تقليدية.

ولكن حمداني مع إقراره بهذا الدافع قال: الحب والعشق هما سبب مهم أيضا يا صاحبي في هذه الجريمة.

ـ كيف ؟!

ـ العشق القديم بين شيرينة ابنة السيد حازم والسيد عزمي لماعة .. العاشق الولهان الفقير الذي وجد كنزا يتمتع به.. خرج من السجن ليس له أهل ولا أصحاب ولا مال.. حياته الفتاة التي بنى عليها أحلامه الأبدية .. وجدها متزوجة ، الأب نسي عزميا ، ويبغضه لما فعله مع ابنته من زواج غير شرعي ، بل فرح وسر سرورا كبيرا للخلاص منه .. ولما خرج الفارس من قفصه جاء إليهم ، فدفع له الرجل مبلغا كبيرا ليبدأ به حياته من جديد بعيدا عنهم .. لم يحسن التصرف بما أعطي من مال، بذله على اللهو والمخدرات والخمر والسفر .. فعاد يطارد محبوبته لتعود له وتترك زوجها ، فليس بينهما أبناء لتربطهم ..ولكن حبها قد مات بالحكم على الحبيب بالسجن فأخذت بالمقاومة ورفض الانفصال ، وكانت مصرة على التمسك بزوجها ، فكان العاشق القديم يستغل تمسكها بزوجها ليبتزها ، فلما عرفت أن زوجها اطلع على بعض أسرارها القديمة وخصوصا الحمل والإجهاض جن جنونها ، فحقدت على العاشق القديم ، ودبرت ورسمت قتله ، ولكن هل قتلته أيها الصديق ؟!

ـ هذا ما سنعرفه منها ، مع أن الوقت متأخر فعلينا أن نذهب لمقابلتها قبل معرفتها بالقبض على زوجها ، فتحاول الهرب أو الاختفاء.

ـ لا أظن أنها تهرب إذا علمت بالقبض على زوجها .. فهي تعلم أن زوجها بريء من دم عزمي ، فهي لا تعرف أن السيد باسلا أطلق على عزمي رصاصتين .. وهي فعلت ذلك حتى يستمر الزواج بينهما ، ولو لم تكن متمسكة به لطلبت الطلاق منذ أول يوم خرج فارس الأحلام من السجن ؛ ولكنها بدأت تنسى الماضي وتريد الانتهاء منه .. ولكن الماضي ما زال يطاردها بحياة عزمي ، وأيضا لو لم ترد زوجها لدعته يتزوج المرأة التي كتب عليها كتابه من ورائها ، وكانت فرصة للانفصال .. إنها تكره الماضي ، ولكن الماضي لا يريد أن ينفك عنها ما دام عزمي حيا .. وأما الوغد عزمي فبتكوينه النفسي المريض، وبتعاطيه المخدرات وحبوب الهلوسة وجدهم كنزا فتح له يغرف منه ما يشاء متى شاء ، فكيف يغلقه بنفسه؟ فكلما نـفد المال جاء إليهم فيعطونه ، ولم يبخلوا عليه؛ ليبقى بعيدا عن حياتهم ؛ ولكن الرجل بعد فشله بزواجه من ستيلا عاد به الحنين إلى المعشوقة الأولى ، ولكن عن طريق الزوج معتقدا أن الزوج سوف يستسلم له أمام ما يكشفه من ماضي زوجته ، فلا تجد أمامها بعد الطلاق إلا الفارس القديم .. وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن.. فصدم الرجل بموقف الطبيب ، فعرض عليه الصور ليثير الغيرة فيه، ولما لم يجد جوابا ولا نتيجة لفعله ، وأن الطبيب مصمم على البقاء زوجا لها أعطاه صورة الخطاب الخطير ، الاعتراف الغريب منها له ـ وهو الحمل ورغبتها في قتل الجنين الذي في أحشائها ـ ولكن الدكتور تمالك أعصابه واعتبر كل ذلك من الماضي ، ولم يشاء الاستسلام لهذا المبتز ولا يريد هدم الحياة الزوجية، فزواجهم زواج مصلحة ، فهو عقيم يتداوى للإنجاب والمرأة عاجزة عن الإنجاب فلماذا الانفصال؟ ..فهداه جنونه إلى جمع الزوجين في منزله ، ففكر ودبر ومكر بعدما استشاط غيظا منهما بجمعهما في بيته القبو؛ ليثير الغيرة والشك في نفس الزوج، فيتخلص من الزوجة عندما يراها في بيت عزمي ..واستغل الرسائل والصور لاستدراج الطرفين ، فجاءت الزوجة لأخذ الرسائل القديمة ، وصورها

القديمة معه كما اتفق معهما ، وعندما يأتي الزوج حسب الموعد المخطط له والمضروب له يفتـعل الوغد حركة مريبة كأن يحاول تقبيلها أو ضمها إلى صدره ، فيظن الزوج أنها تخونه ، فيرمي عليها يمين الطلاق عندما يشاهد ذلك المشهد.

ـ ألا يتوقع أن يقتلهما الزوج ؟

ـ عزمي من خلال لقاءاته ومعاشرته للطبيب ، وأنه لا يحب العنف ، وقد استسلم له ودفع له المال تلو المال ليخرسه عن القيل والقال .. فلا يمكن أن يقتله .. ولكن الذي حدث أن المرأة هي التي تريد أن تحافظ على حياتها الزوجية ، وأنها تكره عزميا كرها شديدا ، ولكن الرجل لا يصدق ذلك ، وما زال يغالط نفسه ، فجاءت المرأة وقد أدركت قصده وهواه وغايته من هذا اللقاء الليلي فقتلته، وخرجت بهدوء إلى منزلها، وجاء الطبيب فوجده جثة هامدة ، فأدرك أن زوجته فعلت ذلك قبله وحسمت الأمر ، فقام بإطلاق رصاصتين من مسدسه لينفس عن الضغينة التي يكنها للقتيل ، وفي نفس الوقت يضـلل الـعدالة والشرطة ، ويوهم رجال البوليس أن القتلة أكثر من شخص ، ويذهب البوليس أن سبب موته بسبب المخدرات ، وأنه اختلف مع عصابته أو عصابة أخرى ، ولا ينبشون الماضي البعيد ، وكان ذلك تفكيره في بداية الأمر أليس كذلك يا مقدم جعفر ؟

ـ هذا كان أول الأمر فكرنا به لعدم وضوح سبب ودافع القتل .. ولكن المشكلة أن الدكتور وزوجته لا يعرفان الكثير عن حياة عزمي بعد السجن.

ـ نعم ، الدكتور كان تفكيره أن السيد عزميا رجل مخدرات وعصابات ، وأما الزوجة فهي تعرف السيد عزميا أكثر من زوجها ، وأنه متعاطي للمخدر أكثر منه مروج لأنهما بدآ التعاطي معا ، بل ملفه يثبت أنه متعاطي ، ولم تثبت عليه قضية ترويج وبيع ، هو زبون والدكتور لا يعرف أنه ابتـعد عن الهيروين ، ولا يعرف زواجه من ستيلا فأحب أن يوجه القضية وجهة مخدرات وعصابات.

ـ الزوجة ؟!

ـ الزوجة همها أن تنقذ حياتها الزوجية التي أصبحت على وشك الانهيار .. وأن لا تعود لهذا الرجل فهو الذي أضر بها وهي صغيرة واستدرجها للحب الرومانسي الذي كانت تقرأه في القصص ، وحملت منه سفاحا ، أصبحت عشيقة لها ، وهو الذي دفعها للإجهاض، وهو الذي دمر العلاقة البريئة بينها وبين أبيها، وهو الذي علمها شرب الخمر ، وهو الذي علمها تناول المخدرات والدخان .. وهو الذي سبب لها العقم الدائم وحرمها من الأمومة ، وقد يكون والدها هددها ومنعها من لقاء هذا الرجل فوجدتها فرصتها الأخيرة للفتك به ليموت الماضي للأبد ..ولكن تورط الدكتور في هذه الجريمة سوف يدفعها للاعتراف والإقرار بالجريمة.

ـ حسن هذا ، هل ظل عندك شيء يا سيد حمداني ؟؟

ـ عندي شيء .. هل يمكن للمرأة أن تقتل بالمسدس من أول مرة ؟ يا مقدم جعفر في حياتك في الأمن والمطاردة للمجرمين هل سمعت بذلك ؟ ..فنحن نعرف أن المرأة تقتل بالسم بالاستئجار .. أي استئجار قاتل ؟

فقال جعفر: هذا في الغالب .. ولكن نساء اليوم مترجلات.. ألا تراهن يلبسن ملابس الرجال ويقصرن شعرهن كالرجال؟ .. ومرة قبضنا على امرأة قد قتلت زوجها ـ قضية أثيرت منذ سنوات قريبة ـ وكان السبب والدافع لها بالقتل هو زواج الزوج عليها ، فلما كتب عقد الزواج من قريبة له غدرت به وصرعته على عتبة منزلها، واتصل بنا الجيران وأقرت بالجرم.

ـ ولكن السلاح هل هو لها ؟!

ـ الحق لا ، إنه سلاح الزوج ، والغبي كان يخفيه في رف خزانة الثياب ، ومحشوا بالطلق ، فلما دخل الباب أفرغته فيه "وهي تصيح : تريد أن تتزوج عليّ يا ملعون .. فلتمت موت الكلاب " .. أصابتها لوثة من الجنون .. فهذه الجريمة الوحيدة التي شاهدتها في حياتي البوليسية بطلتها امرأة قاتلة بالمسدس ، وقد تكون قضيتنا هذه هي الثانية إذا ثبت أنها ارتكبت الجريمة بنفسها

ـ والآن هيا بنا لنسمع اعترافات السيدة شيرينة حازم في هذه الجريمة ، وهو لن يعدو عن كل ما فصلته لك.

وانطلقت بهما السيارة في ذلك الليل إلى حي أزهار الربيع وإلى شارع الشمس حيث تقع فيلا السيد حازم عبشل الذي فارق الحياة منذ أيام قليلة، وهذا من حسن حظه ؛ فإنه لن يشاهد هذه اللحظات المحزنة الأليمة عندما توضع القيود الحديدية في يد وحيدته شيرينة.

كان رجال البوليس حول الفيلا ينتظرون مجيء المقدم جعفر، فلما نزل الضابطان من سيارتهما، التف حولهما الضباط الموجودون في المكان ، وعلى رأسهم النقيب مالك ، فحياهم وهو يقول : ما الأخبار ؟

فرد النقيب مالك : إنها في انتظاركم يا سيدي ومعها محاميها الخاص.

فقال جعفر : لا بأس .. فليتبعنا كاتب التحقيق.

أدخلت الخادمة الضابطين والكاتب، وكانت المرأة ترتدي أحسن ثيابها، وتضع على وجهها أفضل المساحيق، فمن يراها يظن أنها ذاهبة لحفلة ، ونهضت ترحب بهما هي والمحامي ، وبعد الترحيب أشارت لهم بالجلوس، وأحضرت لهما الخادمة عصير البرتقال ، ولما بدأ الجميع يتحدثون ويشربون كأنهم أصدقاء، فأشارت للخادمة أن تصنع لهم الشاي وقالت لهم : اتصل بي الدكتور باسل .. فأنتم قادمون لسماع أقوالي حول هذه الجريمة.

فقال جعفر : نحن قدمنا لنسمع إقرارك واعترافك بقتل ذلك المبتز.

فقال المحامي : تسمعون إقرارها واعترافها .. فهذا اتهام صريح أيها السادة ..ألم تتهموا زوجها بذلك ؟

ـ هذا ليس اتهام فقط ، بل هو أكيد ..أليس كذلك يا سيدة شيرينة ؟ .. فاطلبي من محاميك أن يسمع القصة بتفاصيلها ، ولا يحاول منعك من الكلام .. فالحقيقة واضحة الآن ، وأنت لا ترضين أن يشنق الدكتور نيابة عنك ، وليحاول المحامي المحترم أن ينتزع من المحكمة حكما تخفيفيا عنكم بسبب الابتزاز الذي تعرضتم له وهو الذي دفعكم لارتكاب هذه الجريمة.

فقال المحامي بحدة : ما هذا الكلام يا حضرة المقدم ؟ .. هذا اتهام كبير للدكتور يا حضرة المقدم!

فقال جعفر وهو يبتسم : الطبيب اعترف بالقتل.

قالت شيرينة بصوت عال نوعا ما : ماذا تقول ؟! الدكتور باسل اعترف بالقتل .. الدكتور لم يقتل إنك تكذب يا سيدي .. أنا التي قتلت!!

فقال جعفر : أنت وهو!

فقالت : وكيف هذا ؟!

ـ أنت أطلقت الرصاصات الثلاثة الأولى ، وهو أطلق الرصاصتين الأخريين.

فتحت المرأة فمها دهشة وقالت : آ !! .. باسل أطلق الرصاص عليه .. لقد كان يعرف إذن أنني قتلته!

ـ رصاصتان فقط يا سيدتي .. ولكن بعدما كان مفارقا للدنيا ..فأنت يا سيدي المحامي لا تتعب نفسك بمحاولة عدم ارتكابها للجريمة ، حاول أن تخفف الحكم الذي سيصدر عليهما أفضل من المماحكة والجدل .. واستغل تعرضهما للابتزاز في ذلك.

فقالت شيرينة باستسلام : هذا ما عليك يا سيدي المحامي أن تـفعله فعلا.. فأنا أقر وأعترف أنني فكرت وخططت على قتل اللعين عزمي.. وهو الذي هيأ لي الفرصة المناسبة من ظروف وأحوال لارتكاب هذه الجريمة .. كانت لحظات مهمة في حياتي .. وكان لابد من أخذ القرار الحازم قبل أن أستسلم وأعود للماضي الموحش من جديد .. كانت حياتي الزوجية على كف عفريت يا سادة ..ولا أستطيع كشف أمري أمام رجال الشرطة ماذا أقول لهم؟!.. هل أقول لهم أن حبيبي القديم يبتزني باسم الحب الماضي؟! .. أبي كان مريضا ، ولا يحتمل مشاكل جديدة ..زوجي قد يجدها فرصة للزواج عليّ .. فهو لا يريد طلاقي مدعيا أنه محب لي ؛ ولكنه لا يريد أن يخسر الأموال التي أملكها ويلعب بها .. وأنا فقد مات حبي لعزمي منذ سنوات منذ خمس عشرة سنة.

فقال جعفر : كيف كانت الجريمة ؟

قالت بهدوء كأنها تحلم : الآن أقول لكم التفاصيل.

١٢

اتصل بي السيد عزمي لماعة في النهار ، وأخبرني أنه بحاجة لرؤيتي ، وأنها سوف تكون آخر مرة يراني فيها ، وأنه سيختفي من حياتي للأبد ، وقد أقسم على ذلك ، وقد وعدني بتسليمي كل الصور القديمة التي كنا نتصورها على شواطئ اليونان وقبرص ،وكذلك الرسائل العاطفية التي كنت أكتبها له أيام عشقنا أيام الصبا، وأهمها وأخطرها الرسالة التي ذكرت له فيها أنني حامل منه من غير زواج شرعي بيننا ، وأذكر له فيها رغبتي بالسفر العاجل لليونان لعمل عملية إجهاض لإسقاط الحمل .. حقيقة أيها السادة سررت لهذه الشهامة المتأخرة ، وضرب لي موعدا في منزله في حي الشمارخة بعد التاسعة ليلا ، وأنه سيكون في انتظاري على رأس الشارع الخلفي .. أنا لما وضعت السماعة قررت أن أضع حدا لـعذابي معه ، فهو منذ خرج من السجن وهو يحوم حولي ، ويطاردني ويذكرني بأيام الحب الأول وأيام الهوى والغواية ويحثني على الطلاق من زوجي ، فكلما سجن أقضي أياما هادئة في راحة وانسجام ، ولما يخرج يأتي للتسول مني ، فأدفع له وأنا صامتة مستسلمة، لا أريد أي فضيحة جديدة لي ولزوجي ولأبي المريض، فرضيت أن يكون المال وسيلة الدفاع عندي .. فقد أعطاني رقم حساب في بنك أضع له فيه المال ، وأحيانا نادرة أمر عليه في البيت فأعطيه ما تيسر ، وهناك يبدأ بالتوسل والرجاء لدخول البيت ، فأرمي المال عليه من الباب وأنصرف بسرعة .. إلى أن علمت أنه كشف الأمر لزوجي ، وأنه يبتزه كما يبتزني ، فازددت غضبا وحقدا عليه، وأتمنى موته، وأتسأل دائما ماذا أفعل لأبعد شره عنا ؟ وهو يزداد تماديا في معاداتنا واستغلالنا .. آه!.. كم فرحت عندما تزوج من فتاة أوروبية من عدة سنوات مضت ! بل لما صارحني بالأمر أيها السادة المحترمون فرحت له ، وظننته الفرج ، وعندما طلب مني مالا من أجل ذلك أعطيته ألفين من الدنانير على أمل أن أنتهي منه ؛ ولكنه فشل في زواجه ، فعاد يهمس في أذني أنني حياته ولا يمكن أن يعيش مع امرأة غيري ، فأصده صدا جميلا إلى أن أشرك زوجي الطيب في ماضينا ، وحدثني الدكتور بكل مضايقته ، فبدأت أفكر جديا بقتله ، ولما اتصل بي يوم الثلاثاء

قررت أن أضع حدا لهذه المهزلة التي طالت، وتوشك على تدمير حياتي إلى الأبد، فقلت لنفسي إن لم يعطني الرسالة المهمة سأقتله بالمسدس الذي أهداني إياه أيام اليونان.. وأخرجت لهم مسدسا صغيرا ـ يشبه المسدس الذي وجدوه في غرفته في البنسيون ـ فتناوله منها جعفر وقال : اكملي الحديث أيتها السيدة.

فعادت تقول : بهذا الفرد قتلته!.. عند المساء هيأت المسدس ، وقتلت كلبي فيه أمام دهشة الوالد والخادمة ، وانطلقت بسيارتي إلى حي الشهارخة وركنت السيارة في الشارع الرئيسي في منطقة إضاءتها ضعيفة ، وركبت سيارة أجرة إلى الشارع الخلفي ، ووصلت هناك بعد التاسعة بقليل، وكان عشيقي السابق في انتظاري ، وكان الجو ماطرا والبرد شديدا ، وكنت أرتدي معطفي الطويل ، وألف رأسي بشال سميك ، وكنت ألبس حذاء مطاطيا مناسبا للسير في المطر ، ويسهل الحركة أيضا، كنت مصممة على قتل عزمي إذا لم يعطني الرسالة والصور ومسودة الصور، توقف عند بقالة صغيرة في الشارع كأنه اشترى علبة سجائر، ودخلنا البيت ولما جلسنا سكب لنفسه خمرا ، وعزم عليّ فرفضت، فأخذ الزجاجة ووضعها في الثلاجة الصغيرة ، وحاول معانقتي فابتعدت عنه وقلت: " عزمي أنا امرأة رجل غيرك، وأيام الجهل قد ولت " فأخذ يتحدث عن الحب والعشق والوفاء وأيام اليونان، ثم استلقى على سريره واعترف لي أن زوجي قادم الليلة للمشاركة في استلام الأمانة كما يقول، فأدركت أنه يحاول إثارة زوجي ضدي بإيهامه أننا عدنا عشاق، فعندما يأتي باسل في الليل ويراني عنده فسيعتقد أننا مازلنا عشاقا وأنني أخونه مع ذلك الفاجر .. فعندئذ لم أتمالك نفسي ، وكنت قريبة منه فالحجرة صغيرة ، فأخرجت المسدس بهدوء وأطلقت الرصاصة على صدره ، فصرخ فرميته بثانية وثالثة ، ثم غطيته وخرجت مسرعة بعد أن فتشت ملابسه وخزانته عن الرسائل والصور، ولكني لم أجد شيئا فقلت : إنه كمين ليراني باسل عنده فيطلقني فأرمي نفسي بين أحضانه أليس هو الفارس القديم ؟! وأنه لم يكن ليتخلى عن السلاح الذي يتهددني به .. فسرت إلى سيارتي بكل هدوء ، وجلست فيها حتى شاهدت زوجي ينزل من سيارته ، فتأكد

لي أنه قادم لمنزل عزمي ، فانطلقت إلى خمارة جورج وشربت مسكرا ، ثم عدت للبيت عند منتصف الليل ، فوجدت زوجي نائما ، فدخلت الحمام واغتسلت ، ثم رقدت بجواره ؛ فإذا هو مستيقظ فسألني " أين كنت؟ !" فقلت : اشتقت لكأس خمر فزرت خمارة جورج أروي ظمئي منها.

فتعجب وقال : أتشربين الخمر يا شيرينة ؟!

فقلت وأنا كاذبة طبعا : منذ تزوجتك فهذه أول مرة أشربها ؟

فقال : ما الأمر ؟! .. ولماذا قتلت الكلب اليوم ؟!

فقلت : قال البيطري إنه مريض بالكلب . والتزمنا الصمت ، فلم أدر أكان يشير بالكلب إلى عزمي أم إلى كلبي الحقيقي؟.. التزمنا الصمت الصمت القاتل .. ولكن لابد أن تسمعوا حكايتي منذ البداية بعد اعترافي الذي يهمكم بقتل السيد عزمي .. عندما ظهر عزمي في حياتي كنت صغيرة.. فتاة عمرها عشر سنوات، وحيدة والديها، كان الوالد يتحدث عنه بعطف وحنان وشفقة ، وأنه ترك القرية البائسة من الفقر، وترك المدرسة للعمل والعيش حياة كريمة وكان يحدثنا أبي عن قسوة زوجة أبيه التي أجبرته على الهرب ، ولم يصدف أن سأل أحد عنه ، لقد أحبه أبي وأصبح كبيرا في نظر أبي لصدقه وأمانته في العمل ، كبر عزمي وكبرت أنا ، الشاب الذي سمح له أبي بمخالطتنا يأتي به الوالد لعمل شيء في المنزل ، وأحيانا كثيرة يرافقنا في نزهاتنا ورحلاتنا ، ويسمح له الوالد بالجلوس معنا على مائدة الطعام.. وأنا المراهقة قد استلطفته في البداية.. كنت لا أهتم بالنظرات التي يختلسها نحوي كلما سنح له الظرف والحال كان والدي يراه ابنا له وأخا لي .. دخلت الجامعة وعزمي نعم الصديق والأخ ؛ بل كان يحرص على مشاركتي أفراحي ومناسبة عيد ميلادي ويتحفني بالهدايا .. ومرة همس ونحن نجلس في حديقة الفيلا وحدنا : آنسة شيرينة .. ألم تعرفي الحب؟.. فقلت : أي حب ؟

فهمس أيضا بصوت ناعم : حب الرجل للمرأة .. ألم تتعرفي على صاحب أو صديق في الجامعة يحبك وتحبينه ؟!.قلت: بذهول : لا ، لم أحب أحدا .. وأنت أتحب امرأة يا عزمي؟

فقال : لا ، إلا واحدة ، وسكت فأدركت أنه يقصدني فقلت: حدثني عن الحب يا عزمي فقال: سأكتب لك إذا سمحت .. فقلت : اكتب فأنا في انتظار رسالتك .. هكذا كانت البداية انتقلنا من النظرات إلى الكلام ، وكان شابا جميل الصورة وسيما ، بل بعض صديقاتي في تلك الأيام كن يتغزلن به أمامي ، مما شجعني على حبه أكثر ، كتب لي رسالة ورسالة، وفعلت مثله.. بدأننا نبث عواطفنا على الورق كأي عاشقين .. ولقد اعترف كل منا صراحة بحب الآخر، وكان أبي كما قلت لكم يعتبره أحد أفراد العائلة ، فكان يسمح له بمرافقتي إلى دور السينما ، وإلى أماكن اللهو والمسارح ..أصبحنا عاشقين أيام الجامعة قبلني وعانقني أكثر من مرة ..وكنت أرى أن السيد ملك لي .. فقد ملأ حبه نفسي وجسدي، ولما أنهيت الدراسة سمح لي الوالد الغافل بالعمل في المحل الكبير في قلب العاصمة.. أصبحت قرب حبيبي دائما.. وعندما يقول لي " وما نهاية حبنا يا شيرينة " فأقول أترغب بالزواج يا عزمي؟ فأبي صعب ، لا يرضى بذلك مع ما يكنه لك من حب واحترام ، وهو يحبك كولد وليس كزوج لابنته الوحيدة ، فيقول: أخاف أن يأتيك غيري فأموت كمدا عليك، لا حياة لي بدونك فأقول : اطمئن أيها الحبيب أنا لك ، ولن أقبل زوجا سواك، فأبي لا يقف أمام سعادتي .. بعد تخرجي من الجامعة ودخولي سوق العمل كان يصحبني والدي في كل رحلاته لليونان وقبرص؛ لأتعلم وأتدرب ؛ لأنني سوف أصبح المالك الوحيد للمحلات ولثروته .. وبالطبع كان يرافقنا في أكثر الرحلات عزمي .. ثم أذن لنا بالسفر وحدنا ، وهناك امتلك جسدي ، أصبح جسدي ملكا له من غير مقاومة ، أصبحت زوجة غير شرعية ، فصرنا ننتظر السفر بفروغ الصبر لنصبح زوجين.. قد استسلمت له .. نسيت الشرف والكرامة والعفة ..عشنا سعيدين كزوجين ، بل أحيانا أزوره في شقته التي كان يسكن فيها أصبحت خليلة وعشيقة له.. تعلمت شرب الخمر والدخان ، بل تعلمت تعاطي حقن المخدرات في اليونان ، وهو مثلي ، لم نعد نفكر بالزواج .. كنت أخذ موانع الحمل باستمرار وخصوصا الحبوب ..وبعد حين طلبني للزواج للاستـقرار في بيت واحد، فرفض أبي بشدة ، وجن جنونه عندما علم رغبتي

فيه وعشقي له ، وعلم أننا عاشقان منذ حين ، فحاول المسكين وقف العاصفة ، ولكن فات الأوان ..وخلال هذه الفترة ماتت أمي ، فهدأ أبي قليلا ثم كرر عزمي طلبه ، وأعلمه بأننا نعيش كزوجين ، وأنني وهبته جسدي منذ سنوات.. وكان أن حصل لي بعد أن طلبني أول مرة حمل كما أراد عزمي .. فطلب مني أن أكتب رسالة أعترف له فيها بحملي منه .. وأنا راغبة في الإجهاض ليطلع والدي على هذه الرسالة من أجل أن يوافق على زواجنا .. نريد أن نضعه تحت الأمر الواقع كما يقال .. فكتبت له تلك الرسالة التي استغلها فيما بعد ضدي ..ذهبنا إلى اليونان وأسقطت الجنين بعملية إجهاض قضت عليّ فيما بعد .. ومنعتني مضاعفاتها من الحمل.. فقد أصاب الرحم عيوبا كما تبين فيما بعد رغم كثرة العلاجات التي تعرضت لها.. عرف والدي كل هذه الحقائق ، واطلع على صورة من اعترافي بالحمل والرغبة في الإجهاض، فرضخ لزواجنا واشترط أن تكون الخطبة بعد سنة حتى يطمئن على أنني فعلا أسقطت الجنين وأن الحمل الحرام انتهى .. وكنت في نظره حقيرة، وكان يلوم نفسه أنه أشفق على هذا النذل كما يقول ، ويلومها على أنه سمح لنا بالاختلاط والخروج والدخول معا بل والسفر.. وأنا كنت أرى حياتي ودنياي مع عزمي ..وأن حبنا دائم للأبد.. وأن أبي ذاهب وسيبقى لي حبيبي وسقط عزمي في فخ المخدرات وحبس.. وعلم أبي بأنني أتعاطى المخدرات في الخارج.. فعرضني على مركز علاج .. وخلال سنة تخلصت منها نهائيا .. وابتعدت تلقائيا عن الخمر والدخان إلى أن التقيت بالدكتور باسل الذي كان يتردد على المحل كثيرا.. فتعرفنا أكثر .. ولما علم أنني عزباء لم أتزوج بعد عرض عليّ الزواج ..وكان ذلك خلال فترة حبس عزمي.. وبعد تردد يسير وافقت وتزوجت الدكتور العزيز.. وفرح أبي كثيرا بهذا الزواج المناسب لي وللأسرة فهذه هي مأساتي ، فأنا التي قتلت الرجل الذي أحبني وأحببته ..لقد أصبحنا مجرمين.. والدكتور باسل هو ضحية من ضحايانا .. فأنا القاتلة الحقيقية .. رحمك الله يا أبي لم تحسن تربيتي .. بل دفعني للهاوية دفعا .. وذلك بحسن ظنه وثقته الكبيرة في الفتى الذي تبناه .. هذا ما عندي.

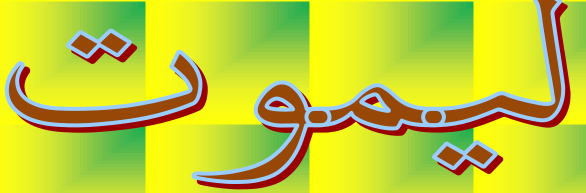
فقال حمداني بعد صمت رهيب : كلكم ضحايا المجتمع المريض .. مجتمع الاختلاط والانحلال والفساد .. لعل العدالة تستطيع إثبات جريمة الابتزاز والتهديد التي كان يمارسها الضحية عليكم فترأف بحالكم وتجنبكم حبل المشنقة

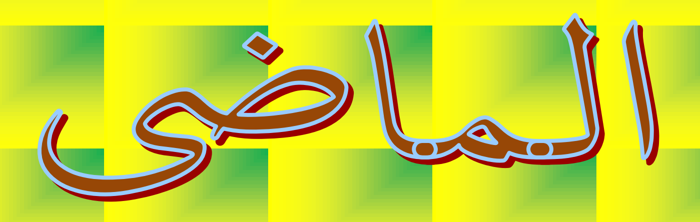
"تمت القصة"





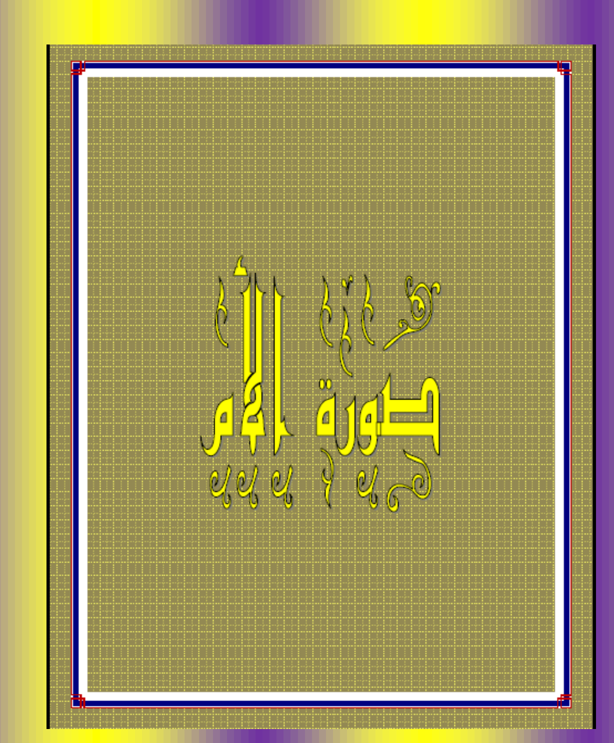




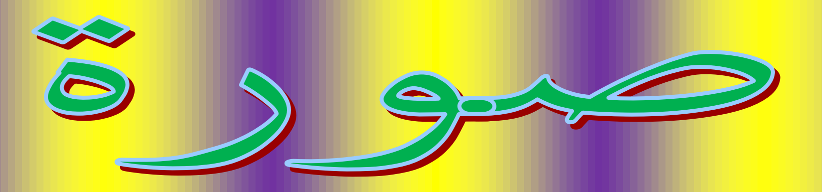


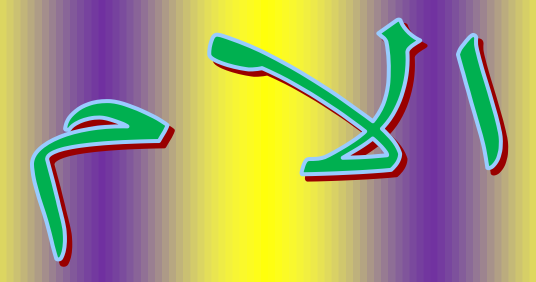
جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١









جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

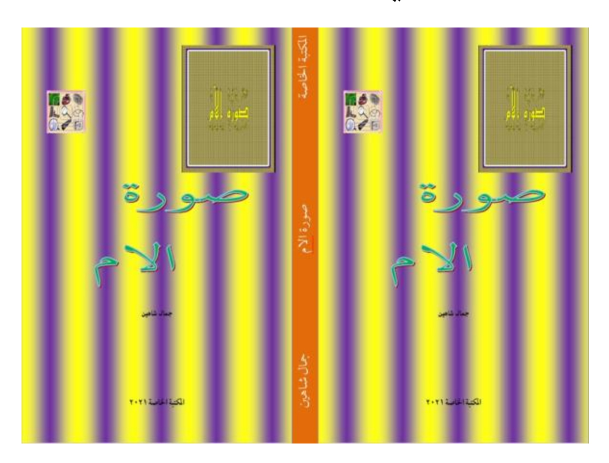
المكتبة الخاصة

جمال شاهين

صورة الأم

النشر الاول ٢٠٠١ / النشر الثاني ٢٠١٨

الاخير الثالث ٢٠٢١



قتلت امرأة في شقة الطبيب

كان الطبيب مسافرا خارج البلاد

كان خادمه في قريته البعيدة مستغلا سفر سيده

ولما عاد الطبيب من اجازته فارق الحياة

تسببت صورة الام في جريمتين

كيف ؟ .. ولماذا ؟

هذان ستقرأ جوابهما في قصة صورة الام




٦


التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين



١

شارع الأمراء من الشوارع المعروفة في المدينة الكبيرة فهو شارع الأطباء والصيدليات والعيادات والمختبرات الطبية والتصاوير الطبية المتنوعة ومستودعات الأدوية الكبيرة ومتعلقات المستشفيات وكليات الطب في الجامعات المختلفة ، وفي هذا الشارع الواسع الكبير ذو العمارات الشاهقة وفي عمارة " النهاري " إحدى البنايات المشهورة في الشارع بدأت فصول هذه القصة البوليسية ، ففي الطابق الثالث عيادة لأحد الأطباء القدماء ، معلق على مدخلها لوحة صغيرة وقديمة "عيادة الدكتور غازي الرمانية " .. وتتكون هذه العيادة من صالة للجلوس تجلس فيها مساء ذلك النهار فتاة حسناء " نهى سالم " تقوم بأعمال السكرتاريا للطبيب ومحاسبة المرضى ، وهناك غرفة الطبيب غرفة المعالجة ، وهناك حجرة صغيرة تكون مكتبا للطبيب ، وهناك الحمام ومكان صغير لصنع القهوة والشاي ، ويعمل سوى الطبيب والسكرتيرة في هذه العيادة الخاصة ممرض وخادم للدكتور شاب قد تجاوز الثلاثين من العمر نحيف البدن " فايز نائل " ، فهذا الشاب النحيف البنية يعمل خادما للطبيب منذ أكثر من خمس من السنوات ، ثم علمه الطبيب مهنة التمريض فأصبح مساعدا له في العيادة ، فأصبح يقوم بالتغيير على الجروح والإصابات وإعطاء الحقن والإبر الطبية وكذلك قياس الضغط وغيره ، ويقوم بصنع القهوة والشاي للطبيب والعاملة " نهى سالم " وضيوف الطبيب وأحيانا للمراجعين من المرضى ، بدأت هذه القصة في ذلك النهار عندما جلس الطبيب بعد أن فرغت العيادة من المراجعين والمرضى يتحدث مع السكرتيرة الحسناء "نهى سالم" ، وكان الخادم والممرض فايز يعد لهما كوبين من الشاي ، فكان الطبيب يقول للفتاة الشابة الحسناء : أتمنى يا آنسة نهى أن أعرف لماذا لم تتزوجي بعد ؟! .. فأنت فتاة جميلة ومتعلمة .. حسناء!!

فترد الفتاة المتبسمة من السؤال على الطبيب الذي تجاوز الستين سنة من عمره قائلة : أنا ما زلت صغيرة على الزواج ، وأنا أيضا ليتني أعرف لماذا لم يتزوج حضرة الدكتور الشاب لحتى

الآن ؟!

ورسمت ضحكة على وجهها ، فجاراها الطبيب الأنيق في ضحكها وهو يقول : معك حق ، ولكني لحتى اليوم لم أجد المرأة التي تملأ نفسي وكياني نحوها.

فتظهر الفتاة الدهشة ثم تقول : الله اكبر !! ..أمعقول هذا ؟! .. كل هذه السنين ـ وقد تنقلت في مشارق البلاد ومغاربها ـ لم تصطدم بامرأة تأسرك بحسنها وجمالها .. إنك تبالغ جدا يا دكتور !

فصمت الطبيب الكهل أو الشيخ لحظات ثم قال بعد تنهد : إيه .. لقد مضت السنون بدون أن يحس بها المرء ..صدقي يا آنسة نهى أنني لم أجد هذه الفاتنة !! ألا تريدين أن تحدثينني عن سبب تمنعك وعزوفك عن الزواج ؟ !

فعادت تقول وهي ضاحكة : وأنا مثلك لم ألتقِ بفارس أحلامي الذي يملأ روحي وكياني عشقا وغراما.

فيقول الدكتور مازحا : لولا الفارق الكبير بيني وبينك .. أكثر من خمس وعشرين سنة لطلبت يدك .. عجيب أمر الشباب في هذا الزمان ! .. فهم لا يرون جيدا.

فقالت باسمة : ما تراه جميلا يا دكتور قد يراه غيرك قبيحا!

ـ لا .. لا .. لست أبلها أيتها الحسناء .. لابد أن أحدهم غدر بك وكرهك في جنس الرجال على كل حال مصيري أن أعرف قصة حياتك.

فضحكت الفتاة وقالت : لا يوجد قصص إلا في مخيلتك يا دكتور.

قدم لهما الشاب الخادم فايز أكواب الشاي ، فوضع أمام الدكتور واحدا وآخر أمام السكرتيرة وأخذ لنفسه واحدا وجلس على مقاعد المراجعين والمرضى ، وقد أشعل سيجارة وأخذ يراقب دخانها المتصاعد ويرشف شايه ، وكان يستمع للحوار الدائر بين الطبيب والسكرتيرة نهى ، فلما شكروه عادوا للحديث عن الزواج وتأخر سن الزواج ، والممرض الشاب لم يتفوه وينبس بأي كلمة إلا عندما سمع الطبيب غازي يصرح أمام العاملة بأنه راغب بالسفر لجزيرة

قبرص لقضاء أسبوع أو أكثر في الاستجمام فقال دهشا : متى تريد السفر يا دكتور ؟!

فالتفت الاثنان نحو الشاب المستغرب والمستفسر وردت السكرتيرة قبل أن يجيب الدكتور قائلة : لابد أن فايزا يفكر بإجازة وزيارة أمه وجدته كالعادة ؟!

فهز الشاب رأسه مؤكدا ذلك وقال : نعم .. أريد أن أسافر للبلدة فلي أكثر من ثلاثة شهور لم أزرهما.

فقال الطبيب : لا بأس يا فايز .. الليلة سأعرف متى يكون السفر؟ سأسافر برفقة الدكتور مالك جبر .. هي رحلة .. نزهة .. تغيير جو كما يقال .. اليوم الاثنين وقد نسافر صباح أو مساء الخميس فإذا تأكد السفر الليلة سأسمح لك بالسفر لبلدتكم يوم الأربعاء .. وأنت يا آنسة فليكن دوامك أثناء غيابي كل يوم ساعتين صباحا لترتيب مواعيد المراجعين والمرضى

فهزت نهى رأسها وقالت : أمرك سيدي الدكتور .. رحلة سعيدة.

فقال الطبيب مازحا : رحلة ينقصها حسناء مثلك ترافقنا.

فضحكت نهى وقالت : أنا جاهزة يا دكتور.

فاستغرب الطبيب وقال بضحك : لا .. أنت تمزحين ..هل يسمح لك أهلك بالسفر ؟!

ـ أنا سيدة نفسي .. لا أحد يتحكم فيّ.

ـ الله!!

فقالت : لا تستغرب ، فأنا أعيش مع أمي .. وكل إخوتي متزوجون ويسكنون في منازل متفرقة .. وأبي قد ترك أمي قديما .. ولا يهتم بنا.

ـ على كل حال سأفكر بسفرك معي المرة القادمة ..لا يوجد معنا نساء في هذه الرحلة .. هي بضعة أيام استجمام يا آنسة نهى.

فقالت : أشكرك يا سيدي الطبيب ، واعلم أنني لا أستطيع السفر هذه الأيام أمي متعبة وأقوم على رعايتها.

فعلق الطبيب وهو يبتسم : أخشى أن يكون هذا هو السبب الذي حرمك من الزواج ؟!

فقالت : لا تخشى شيئا فكل أخواتي متزوجات .. وأنا لي أسبابي الخاصة فاعفني من الحديث والإفصاح عنها.

ـ فقد عفوتك من التصريح .. لكل إنسان أسراره الخاصة .. ولكن الفضول البشري قاتل المهم أيها الأصدقاء قد أسافر صباح الخميس أو مساءه حسب حركة الطائرة ؛ فإذا تقرر ذلك فأنت يا فايز صباح الأربعاء تنطلق إلى قريتكم .. أعتقد أنها تبعد عن المدينة أكثر من ثلاثمائة كيلو متر .. لقد عملت قديما في تلك القرى والمدينة التابعة لها تلك القرى .. أيام عملي موظفا في وزارة الصحة .. أول سنوات الخدمة الحكومية عندما يوظف الطبيب يكون عمله في الريف والقرى النائية .. فسلم على أهلك.

فقال فايز : أشكرك أيها الدكتور .. لو أعطيتني بعض الفلوس.

ـ بالتأكيد.

وأخرج الطبيب دفتر الشيكات البنكية وقال له : كم تريد ؟

ـ راتب شهر.

فكتب الطبيب شيكا بمائة وعشرين دينارا وقال للسكرتيرة بعدما وقع على الشيك : سجلي في الدفتر .. راتب الأستاذ فايز والآن يا فايز يمكنك الانصراف للبيت.

تناول فايز الشيك وشكر الدكتور وأخذ أكواب الشاي الفارغة وغسلها ووضعها في مكانها المناسب ، ثم خلع الثوب الأبيض ثوب العمل وارتدى جاكيته ووضع الشيك بداخلها وودعها وانصرف لبيت الدكتور .. فمنزل الدكتور عبارة عن شقة في عمارة الساعد وهو الشارع الخلفي لشارع الأمراء ، فمر فايز في طريقه للبيت على محلات الخضار واللحوم واشترى ما يناسب الدكتور للعشاء ، وعاد لبيت الطبيب يعد لسيده طعام العشاء .. وفي صباح الأربعاء استأذن فايز نائل الشاب القروي من سيده الدكتور غازي بالسفر لبلدته فقال له الدكتور بعدما تناولا الإفطار : رافقتك السلامة .. كيف ستسافر ؟

فرد فايز : ربما بواسطة القطار .. سأنطلق بتكسي إلى محطة القطار .. وسأتصل بك من القرية

مودعا إن شاء الله.

ـ لا داعي يا فايز بعد عشرة أيام أرجو أن أجدك هنا.

فقال فايز : سأفعل يا سيدي .. لن أتأخر .. صدق عندما أصل للقرية اشتاق للمدينة سريعا القرية مملة .. لا يوجد فيها رفاهية فليس أمامنا هناك إلا مشاهدة التلفزيون والبرامج الثقيلة على النفس.

فقال الدكتور : معك حق أفلام هذه الأيام مكررة ومملة .. إلى اللقاء.

وصافح فايز الدكتور ، وحمل حقيبته على كتفه وهبط بالمصعد على الطابق الأرضي فوجد البواب في غرفته يجلس مستيقظا فسلم عليه ، وأخبره بسفره وأوصاه على شقة الدكتور ، وأن يرسل الخادمة " ماجدة " لتنظيفها بعد أيام وقبل مجيء الطبيب من السفر ، فوعده البواب الشيخ خيرا ودعا له بالعودة سالما ، فشكره فايز وانطلق لمحطة القطار واشترى تذكرة لأقرب مدينة يصل إليها القطار ومنها سيركب سيارة إلى قريته " نسمة الربيع"



٢

صباح يوم الخميس كان الضابط المقدم الشرطي " علي محمود " ضابط البوليس المعروف في شرطة العاصمة يتحدث مع مساعده الملازم يحيى قائلا : كيف عرفتم بالجريمة ؟

فرد عليه الملازم يحيى قائلا : الصدفة ساعدت على كشف هذه الجثة وهذه الجريمة .. البواب العجوز أبو حسونة بواب العمارة كشف ذلك ، فلما جاءت المرأة ونزلت في شقة الدكتور غازي الرمانية ، فقد اتصلت ، بالبواب وطلبت منه أن يرن عليها في الثامنة صباحا .. فلما رن عليها أكثر من مرة ولم ترد ظن أنها مستغرقة في النوم ، فتحامل على نفسه وركب المصعد إلى الطابق الرابع حيث شقة الدكتور المذكور .. قرع وضغط على جرس الباب .. لا أحد يرد ضرب الباب بيده عدة ضربات أيضا لم ترد عليه فهبط ثانية وأخذ مفتاح الشقة المودع لديه ، وقام بفتح الباب وهو في غاية الخوف والقلق .. وهكذا اكتشفت الجريمة .. فاتصل بنا وقمنا بإجراء اللازم وقد حضر الطبيب الشرعي ووكيل النيابة ورجال المختبر الجنائي والبصمات وقاموا بإجراء المناسب ، ثم أمر الطبيب بتحويل الجثة للمستشفى العام للقيام بتشريحها القاتل دخل الغرفة وقتلها وهي نائمة كشف الغطاء عن رأسها وأطلق ثلاث طلقات على الرأس والوجه فأرداها قتيلة وهرب

فقال المقدم علي : وماذا يقول الدكتور ساكن الشقة ؟

فقال يحيى : الدكتور سافر مساء أمس .. فلقد كان مقررا كما قالت عاملة العيادة أن يسافر صباح الخميس أو مساءه ..ولكن تبين لهم أن طائرة مسافرة لقبرص ليل الأربعاء بدلا من صباح الخميس فسافر عليها مع زميل له طبيب أيضا اسمه مالك جبر ، والفتاة لا تعرف بموضوع هذه المرأة التي نامت في فراش الطبيب ؛ ولكنها تقول قد تكون قريبة له.

كان المقدم "علي" قد جاء للدائرة لما سمع بهذه الجريمة ، وذلك عندما اتصل به مساعده الملازم يحيى ، وكان من توه قد عاد من إحدى المحافظات ، فهم يتابعون قضية مطاردة لإحدى العصابات المختصة في تهريب المخدرات في إحدى المدن الكبيرة ، فلما استمع لكلام

مساعده قال : ألم تعرفوا هوية الضحية أو المجني عليها بعد ؟

فقال الملازم : لا .. إنها امرأة في الأربعينيات من عمرها ، قد تكون دخلت في الخمسينيات متوسطة الطول وليست بالبدينة ، ولم نجد في حقيبتها ما يدل على شخصيتها .. لا توجد بطاقة شخصية أو رخصة قيادة ، وحتى خادم الدكتور قد رحل وسافر لبلدته وقريته من صباح يوم الأربعاء ، والدكتور فعلا قد سافر مساء أمس، ولم يترك عنوانا له هناك ، وقد يغيب عشرة أيام على الأكثر كما تقول السكرتيرة نهى سالم.

ـ جريمة غامضة فعلا .. ننتظر تقارير البحث الجنائي المختبر والآثار .. فتقرير الطب الشرعي لن يفيدنا كثيرا في هذه الجريمة ، فهي جريمة مدبرة ، ودخل القاتل الشقة بكل ثقة.. فهو يملك مفاتيح الشقة قد نستفيد من التقرير فقط في بيان وقت الجريمة .. سؤال لماذا اتصلت بالبواب ليوقظها في الثامنة صباحا ؟

فقال يحيى : لا نعرف .. اتصلت به حوالي العاشرة ليلا فقالت له إنها تنزل في شقة الدكتور غازي وترجوه أن يتصل بها في الثامنة صباحا.

ـ ألم يستغرب البواب من وجودها في شقة الدكتور رغم سفره مساء ؟!

ـ لا .. فالدكتور غير متزوج ، وهو معتاد على فعل ذلك ، وكثيرا ما أعطى مفتاح شقته لنساء ورجال .. فكان الأمر طبيعيا بالنسبة له ، وهو لم ير المرأة عندما دخلت العمارة ؛ لأنه ربما كان في إحدى الشقق مع بعض المستأجرين.

فقال المحقق: الخادم فايز.. ألا يمكننا الاستفادة من أقواله ؟ ما اسم قريته ؟

ـ تقول نهى السكرتيرة إنه لما علم برغبة الدكتور بالسفر إلى جزيرة قبرص طلب إجازة لزيارة أهله في قرية " نسمة الربيع " من قرى مدينة الرواحل غرب العاصمة ويقول البواب أبو حسونة إنه ودعه صباح الأربعاء وذهب لمحطة القطار ويوجد رقم هاتف له عند البواب.

فقال المقدم علي مفكرا: نحن يلزمنا الحديث مع الدكتور نفسه أكثر من الآخرين لنعرف منه من هي المرأة المقتولة ؟ ولماذا أتت لتنام في شقته أثناء غيابه وغياب الخادم ؟.. متى يرى

الدكتور الشرعي حدوث القتل ؟

ـ يعتقد أنها بعد الواحدة ليلا ؛ لأن المرأة قتلت وهي مستغرقة بالنوم ويظن أنها قد تناولت حبة منوم ، وسيتأكد من ذلك عند تشريح الجثة ، وسيقوم البواب بمشاهدة المرأة في المشرحة ليؤكد عدم معرفته لشخصها ، وكذلك الآنسة نهى ولكنها رفضت مشاهدة الضحية ، وتخاف من مشاهدة الأموات ، وسنحاول عرض رسمها عليها ؛ لعلها تكون قد رأتها في عيادة الدكتور منذ عهد قريب.

فقال علي : إجراءات لا بأس بها ؛ ولكن معرفة اسم الضحية وعنوانها سيوضح بعض الغموض من حولها ، ولقاؤنا مع الطبيب غازي سيوضح الكثير من الغموض ولا بأس من جمع بعض المعلومات عن هذا الطبيب قبل عودته من رحلته لقبرص.

فقال يحيى متعجبا : العجيب أن هذا الطبيب رغم وصوله الستين كما تقول السكرتيرة غير متزوج لليوم ، فلا أسرة له ، ولا أم ولا أب ، وحتى أقارب لا تعرف له السكرتيرة ؛ ولكن البواب ذكر أن له بعض الأقارب يزورنه بين الحين والآخر.

فقال علي : هذه السكرتيرة حديثة عهد بالعيادة ؟

أجاب الملازم : لها أكثر من سنة تعمل عند الطبيب غازي ؛ ولكنها خائفة من شيء ؛ ولكن لا أرى أن له علاقة بالجريمة.

فقال المقدم وهو ينهض عن كرسيه : لا بأس يا ملازم يحيى من مشاهدة مسرح الحادث .. هيا نذهب.

رافق الملازم الضابط علي إلى مسرح الجريمة ، فانطلق الضابطان المحققان في جريمة شقة الدكتور غازي إلى عمارة الساعد فاستقبلهما البواب ، ورحب بهما وسار معهما إلى الشقة فوجدا الشرطي الحارس يقف أمامها ، وهو يحمل رشاشه الصغير فأدى لهما التحية العسكرية ثم قال : سمعت جرس الهاتف يرن أكثر من مرة في الداخل.

فتح البواب باب الشقة وزلف أمامهما ، ومشى الملازم يحيى أمام الضابط علي نحو حجرة نوم

الطبيب حيث وجدت الجثة ، فكانت حجرة فاخرة وفارهة ولها حمام داخلي خاص بها ، وأخذ الملازم يشرح الوضع الذي كانت عليه الجثة عندما دخلوها أول مرة ، ولما انتهى الملازم من الشرح والوصف قال المقدم علي : ألم تجدوا آثار أقدام والحذاء أو الأحذية على السجاد ؟

فقال يحيـى : هذا السجاد لا تظهر عليه آثار الأقدام جيدا ولكن رجال الرسم والتصوير قاموا بتصويرها ؛ ربما تنفع عند وضع الأدلة بين يدي النيابة العامة .. ويبدو أن القاتل ـ وأشار لمكان ما قرب السرير ـ وقف هنا ورفع الغطاء عن رأس الضحية أو كان الرأس مكشوفا مستغرقا في النوم وأطلق الرصاصات الثلاث وغادر الغرفة بكل هدوء ثم غادر الشقة.. ولم تفتح الشقة بأي عنف ، فالقاتل يحمل مفاتيح لها ، وقصة المفاتيح ليس من الصعب الحصول عليها ما دام أن الدكتور يسمح للآخرين بالنوم بشقته .. وتحدثنا مع بعض سكان العمارة فلم يشاهد هؤلاء شيئا ، ولم يسمع أحدهم صوت الرصاص كما يزعمون.. وأبو حسونة البواب يقول إن عينيه غلبهما النوم بعد منتصف الليل ، ولم يشعر بحركة المصعد صعودا وهبوطا ، ولم يسمع صراخ وصوت رصاص تلك الليلة ؛ ولكن لا يعتمد على أقواله ، ربما نام من العاشرة أو قبلها واستيقظ على اتصالها.

وأخذ المفتش "علي" يتفرج على الصور المعلقة على جدران الحجرة فدهش منها ، فأكثرها صور لنساء جميلات شبه عرايا فقال وهو ينظر لإحدى الصور : ألم تخبرني يا ملازم يحيـى أن الدكتور أعزب لم يتزوج ؟

ـ هكذا أخبرنا البواب أبو حسونة، وذكرت ذلك كذلك الآنسة نهى سكرتيرة العيادة.

ـ فلماذا إذن يعلق مثل هذه الصورة المثيرة للشهوات ؟!.. بل لماذا هذا السرير الكبير في غرفة النوم ؟! .. أليس هذا غريبا ؟!

ـ غريب فعلا!!

ـ يبدو أن صاحبنا الدكتور صاحب عشق وغرام ثم قال المقدم بكل ثقة : أول ما يصل هذا الدكتور من قبرص فأحضروه للدائرة لنسمع أقواله .. لنعرف لماذا قتلت هذه المرأة هنا في

حجرة نوم الدكتور الرمانية ؟!

ـ ألا ننشر رسمها في الصحف ؟ .. فقد كلفت رجال الرسم والتصوير بإعداد صورة لها لنشرها في الصحف فقد يتأخر الدكتور .. فسكرتيرته تقول إنه قد يغيب عشرة أيام وهذه فرصة لهرب المجرم.

ـ مهما هرب سنصل إليه.. وإذا قصدت بالهرب خارج البلاد فقد هرب من ساعات ، وربما هو كان يسعى أن تكتشف الجثة بعد عودة الطبيب ؛ ولكن اتصال تلك المرأة بالبواب هو الذي ساعد على اكتشاف الجريمة بعد ساعات .. ونحن لم نصل لهوية القتيل أو جسم الجريمة لمن ؟ ولا نعرف الدافع بعد فكيف سنعرف القاتل ؟!



٣

لما هبط الدكتور غازي لأرض المطار ومشى إلى حجرة تدقيق وختم الجوازات وقرأ الموظف اسمه حجز الجواز وتحدث مع رجل آخر ثم قال : الرجاء الانتظار بضع دقائق.

فتعجب الطبيبان وهمس مالك جبر للموظف بعد أن ختم جوازه واستلمه : ما الأمر أيها المحترم ؟

فأجابه الموظف قائلا : لا تنزعجا .. بعد قليل ستعرفان.

وبينما هما يتحدثان مع الموظف اقترب منها ضابط وقال : مرحبا بكما .. ممكن السير معي نحو هذا المكتب ـ وأشار لمكتب خاص به ـ وطلب لهما فنجانين قهوة وشرح لهم بإيجاز الأمر فاستغربا وقال غازي : تحدثت مع السكرتيرة نهى مرتين ولم تتحدث عن تلك الجريمة والحادثة؛ بل قالت الأمور على ما يرام.

فابتسم الضابط وقال : تعليمات البوليس ، الأخ مالك يمكنك الانصراف ، أما الدكتور غازي فبعد دقائق ستأتي سيارة بوليس لنقله لدائرة التحقيق لسماع أقواله على وجه السرعة.. نحن نعتذر لهذا الإزعاج .

فقال مالك : أيحتاج الأمر لمحامي ؟!

فقال غازي : وهل نحن متهمون يا مالك ؟! .. امرأة وجدت ميتة أو مقتولة في شقتي .. هل يعني هذا أنني مجرم أو قاتل ؟!

فقال الضابط : لا يحتاج الأمر لمحامي سيأخذون أقوالك ، ثم يخلون سبيلك وتنصرف إلى شقتك .. وابتسم الضابط وقال : وبالطبع لن تجد جثة المرأة المقتولة فقد تم دفنها.

فتبسم الرجلان ابتسامة مقتضبة وقال مالك : هل يمكنني البقاء مع صديقي ؟

ـ بالتأكيد .. وها هي حقائبكم قد وصلت..

ولم يمض وقت طويل حتى كان المقدم علي محمود ومساعده الملازم يحيى يحييان الطبيبين ويظهران أسفهما الشديد لهذا الإزعاج ولكن ظروف الجريمة الغامضة اقتضت هذا الإجراء

العاجل والمزعج ثم قال علي : يمكننا سماع أقوالك هنا يا دكتور غازي.

فقال الدكتور غازي : أنا جاهز .. وذكر اسمه وسنه وعمله وعنوانه ثم قال : الحق أنا لا أدري لماذا قتلت تلك المرأة ؟! .. وهي قريبة لي وأمها خالتي .. فهي ابنة خالتي ونحن أصدقاء منذ زمن بعيد .. تزوجت مرتين ؛ ولأنها لا تنجب طلقت مرتين ، وأنا أساعدها ببعض المال بين الفينة والأخرى ، فهي تسكن في مدينة " السمراء " تسكن بجوار أخ لها متزوج هناك .. وهي قد اتصلت بي قبل السفر وأخبرتني أنها قادمة لزيارتي فرحبت بها، فأتت يوم الأربعاء قبل سفري بساعة أو ساعتين ..وحدثتني عن مشاكلها مع أخيها رامي ، فأخبرتها أنني مسافر بعد قليل وتركت لها مفتاح الشقة ، وسمحت لها بالمبيت في شقتي ريثما أعود وأتحدث مع أخيها .. وأما لماذا قتلت ؟! فالجواب لا أدري ولا أعلم .. والأمر غريب فعلا !! ولا أظن أن أخاها يفعل ذلك مع شراسته وقسوته فهي تساعده في النفقة على عياله بل سيصدم بموتها.

ولما كتب الشرطي اسم القتيلة وعنوانها قال المقدم علي : شكرا لك يا دكتور غازي .. وبعدما تستريح من السفر سنذهب معا لزيارة هذا الأخ قد نجد شيئا عنده ، ويا حبذا لو ذكرت لنا عنوانه.

وبعدما وقع الطبيب غازي على أقواله بشأن الجريمة غادرا المطار ، وهو يقول لصاحبه : ولماذا قتلت هذه الملعونة في بيتي وعلى فراشي ؟! أمعقول أن يكون لها عشيق وغار مني فقتلها ليورطني ؟.!

فقال مالك : ولماذا أذنت لها بالسكن في بيتك لو أعطيتها بعض المال وصرفتها ؟!

فرد غازي قائلا : كان الوقت ضيقا ، والوضع شديد بينها وبين أخيها؛ بل أخبرتني أنه هددها بالقتل ، وأخشى أن يكون قد فعلها المجنون .. فهو يتعاطى المخدر ويشرب الكحول بحماقة ، ووضعه المادي سيئ وهي لا تلجأ إليّ إلا عندما تتأزم الأمور جدا بينهما.

فقال مالك: أيها الصديق الساعة الآن السابعة ليلا هل ستنام في الشقة أم تنزل عندي ؟

فكر غازي قليلا قبل أن يرد ثم قال : نعم أين سأنام الليلة ؟ .. السرير يحتاج إلى تغيير لقد قتلت في فراشي .. حتى لم تنم في غرفة الضيوف لتموت أو تقتل فيها لم يحلو لها النوم إلا على سريري .. أخشى أن استأجر شقة جديدة .. فأخشى أن يظل شبحها وخيالها يطاردني.

فقال مالك : أتظن أن رجال البوليس سيعرفون الجاني ؟ فهم لهم عشرة أيام لا يحركون ساكنا ولم يعرفوا اسم المغدورة ..

ـ لا أعلم ومن أين سيعرفون اسمها إذا لم تكن بطاقتها معها ولا يعرفها البواب ؟ .. إن لم يكن الجاني أخاها راميا فسيكون أمر معرفة القاتل صعبا وسيكون من الصعب معرفته .. أمر هذه الجريمة محير ومخيف يا صديقي ولكن المجرم اللعين يعرف أنها في بيتي وقتلها في بيتي.

ـ قد يكون القتل صدفة أو طارئا لم يخطط له ، مشاجرة بينها وبين شخص فتسلل إليها وغدر بها ..أو هي اتصلت بصديق لها ودعته للشقة وتشاجرا.

ـ ولكن البواب أبو حسونة لم يشاهد أحدا يصعد إليها ، بل لم يعرف بوجودها إلا عندما اتصلت به تطلب منه إيقاظها في الثامنة صباحا .. ولماذا يوقظها ؟!

ـ يا صاحبي هذا البواب رجل كبير ، ولا يجلس في غرفة البواب كثيرا ، فهو يتنقل بين الشقق هنا وهناك يشتري لهذه ويشتري للأخرى فيغيب في المتاجر والمحلات فلا يرى من يدخل ويخرج إلا من صدف ووجده أمامه.

ـ لست أدري .. فالضابط يرى أن أحدهم دخل عليها وهي نائمة بعد نصف الليل وقد فتح الشقة بالمفاتيح المقلدة ووقف بجوار التخت ورفع الغطاء عنها وأطلق الرصاص عليها وهي مستغرقة في النوم .. ألم تسمعه يحدثنا بذلك ؟ بل يرى الطبيب الشرعي أنها أخذت قرصا منوما ربما ظنته دواء الصداع أنا أضع علبة الأقراص المنومة على حافة السرير .. ولم يحدث أي عبث في محتويات البيت بل يقولون إنها تناولت طعاما خارج البيت لم تستعمل الثلاجة ولم توجد آثار وبقايا طعام سوى أنها شربت كوبا من الشاي من مطبخي ..أنا أعطيتها المفتاح وأخذت سيارة لبيتك ثم سار بنا التاكسي للمطار ..هل خرجت وجاءت برجل ؟

فالضابط ذكر لنا أن وضع مسرح الجريمة لا يوحي بسهرة بينها وبين شخص آخر

ـ إذن نعود للسؤال المهم .. لماذا قتلت ؟!

فقال غازي بحيرة : والقاتل من كلام المفتش حريص على أن لا يترك أثرا وراءه ولا أظن أن أخاها راميا يفعل ذلك .. يقتلها وهي نائمة ومن أين له مفاتيح الشقة ليدخل عليها ؟ هل فتحت هي له ؟ فقتلها وأغلق الشقة من الخارج ..فالضابط ذكر أن مفاتيح الشقة موجودة معهم .. فهو ليس ذكيا ليخطط لمثل هذه الجريمة المدبرة .. عشيق فعلها لا يوجد آثار تدل على ذلك والشرطي يقول إنه لم يسرق من البيت شيئا وهذا عليّ أن أوكده لهم .

فقال مالك : طال تفكيرنا فلنركب وتسير معي وتقضي هذه الليلة ضيفا عند صاحبك مالك وغدا صباحا نسير إلى شقتك ونتفقدها وننظر محتوياتها .. وخادمك فايز ألم يعد من بلده ؟

ـ كما تعلم ، فلما علم بسفري إلى قبرص طلب إجازة لزيارة أمه وجدته أم والدته، فهو من بلدة بعيدة عن المدينة يحتاج عدة ساعات للوصول للعاصمة ، ولابد أنه اتصل بالسكرتيرة العزيزة نهى وأخبرته بتأخري فتراه تكاسل عن المجيء ، وتراه تكلم مع البواب وكلفه بتنظيف الشقة بواسطة الشغالة ماجدة أم حمودة.

فقال مالك : هيا بنا للبيت وبعدئذ نفكر بالخطوة التالية يا صديقي العزيز.

ـ الفضول يدفعني لزيارة الشقة يا مالك .. ومشاهدة سرير الموت .. لعلني أصل لشيء لم يصل إليه الشرطة .. فأنا بشوق كبير لمعرفة الجاني اللعين .. لماذا قتلها في بيتي ؟! .. ومن أين حصل على مفاتيح الشقة ؟



٤

بعدما وصل الطبيبان لبيت مالك وسلما على الأهل وتناولا العشاء المعد لهما ، لم يستطع الطبيب غازي النوم في بيت صديقه ، فرأى أن أولاده وزوجته وأمه أحق بالجلوس معه، فاستأذن من صاحبه بالذهاب إلى أحد الفنادق وبعد أخذ ورد وشد ورخاء استسلم الطبيب مالك لرغبة صديقه ، وأخذ جواز سفره وترك حقيبته وودع صديقه وقال : عندما استقر في فندق سأتصل بك لتطمئن.

وركب سيارة أجرة نقلته إلى شارع الثورة حيث عمارة الساعد ، ودق الباب على البواب الذي كان ممددا على الفراش مستغرقا في نومه رغم أن الساعة لم تصل منتصف الليل بعد ، فنهض من نومه فزعا ومرحبا بالدكتور ومهنئا له بالعودة سالما ، ثم شرح له قصة الجثة التي وجدت في شقته ، ولما استمع لها قال في النهاية : لقد علمت ذلك يا أبا حسونة وأعطني المفتاح الذي عندك حتى استلم المفاتيح من دائرة البوليس .. فقد وجدوها عندما دخلوا الشقة فحرزوا عليها.

ـ يا دكتور .. هذه المرأة التي ماتت في شقتك أتعرفها ؟!

ـ بالتأكيد .. هي قريبتي ابنة خالتي .. هيا نصعد معا لتحدثني كيف اكتشفت الجثة ؟

ودخل الرجل الشقة وحدثه أبو حسونة كيف اتصلت به المرأة في الليل ، وطلبت منه إيقاظها في الصباح الساعة الثامنة ، وكيف رن الجرس عليها أكثر من مرة فلم ترد ، فصعد إلى الشقة ولم تفتح ، فعاد وأخذ المفتاح وفتح الشقة ثم وجدها ترقد في غرفة نوم الطبيب ، ودماؤها تملأ الوسادة والسرير ، فاتصل بالشرطة على الفور وختم حديثه قائلا : الشغالة ماجدة قد نظفت الغرفة من يومين .. لقد اتصلت بي الآنسة نهى وذكرتني بقرب وصولك فطلبت من الشغالة ماجدة تنظيف الغرفة وغسل الشراشف والوسادة وأرى أن السرير يحتاج لتغيير فقد كان غارقا بالدماء ولو تنام في غرفة فايز يا دكتور.

ـ أشكرك يا سيدي دعني الآن قد أنزل وأنام في بنسيون أو فندق سأتفقد البيت .. فرجال

الشرطة يقولون إنه لم يسرق منه شيئا ، ولم يعبث المجرم بشيء ، وأنا أدرى بما عندي.

ولما خرج البواب وأغلق الدكتور الباب وراءه بالمفتاح جلس على مقعد واسع "أريكة " في غرفة الاستقبال ، وأخذ يفكر بهذا الحدث الرهيب الغريب ، ولماذا كانت شقته مسرحا لهذه الجريمة ؟! وتوصل إلى نتيجة وهي " لابد من مقابلة ابن خالته رامي .. والشرطة تريد أن يصحبها إليه."

مضى وقت وهو يدخن ويفكر على المقعد ، ثم سار للمطبخ وأعد لنفسه كوبا من القهوة وقال : لابد أن يأتي الخادم اللعين غدا .. كأنه ما صدق أن أسافر.

ولما جهز كوب القهوة سكبه في الكوب، وعاد لغرفة الاستقبال يفكر ثانية بابنة خالته المقتولة ، ولم يهتد لسبب مقنع بالقتل فيقول : لو قتلها رامي ثورة وانفعالا لانكشف أمره .. ولكن هذه جريمة مدبرة .. تسلل القاتل خفية وخرج خفية ولابد أنه استخدم مسدسا مركبا عليه كاتم صوت.. فلم يسمع صوت الرصاص في العمارة!!

أمضى الطبيب ساعات يدخن ويشرب القهوة ويفكر حتى غلبه النوم فتمدد على الأريكة واستغرق في النوم ، لم يفتح الخزانات والحقائب ليتفقد أشياءه لقد شدته أحداث هذه الجريمة التي حدثت في بيته ، وتمنى أن يكتشف رجال الأمن الجاني ليعرف منه دوافع هذه الجريمة، ولم يستيقظ الطبيب من نومه إلا على صوت رنين جرس الهاتف فنظر لنفسه والساعة ، فوجد نفسه قد نام على أريكة غرفة الاستقبال في ملابس السفر ، ونظر للساعة فوجدها العاشرة نهارا ففرك وجهه ورفع سماعة الهاتف فسمع صوت السكرتيرة نهى تتحدث من العيادة وتهنئه بالعودة وأنها عرفت ذلك من بواب العمارة ، فبين لها أنه متعب لا يستطيع العمل اليوم فلتؤجل المواعيد للغد ، وأعلمته أن الخادم فايزا اتصل يسأل عن عودته ، وأنه قد يتأخر يومين أو أكثر لأن جدته تحتضر وقد تموت فقال : اللعين إني بحاجة إليه على كل حال أخبريه بوصولي وليقضي يومين أو أكثر بجانب جدته.

وشكرها الدكتور ووضع السماعة واتصل بالبواب وطلب إفطارا سريعا ، ثم اتصل بمالك

صديقه وتحدث معه بضع دقائق، ثم اتصل بمعرض للأثاث القديم وطلب منهم المجيء لأخذ أثاث غرفة نومه ، ولم تمض ساعتان حتى كانت الغرفة فارغة من الأثاث ، فنزل بعد ذلك إلى متاجر ومعارض المفروشات واختار غرفة نوم جديدة ، وما دخل الليل حتى كانت الغرفة قد فرشت وأثثت بالأثاث الجديد ، ولما تجهزت انطلق لدائرة الأمن واستلم مفاتيح الشقة التي وجدت فيها بعد مقتل المرأة ، وقال له الضابط يحيى : نحن نبحث عن ابن خالتك رامي ذهبنا أمس للسمراء على العنوان الذي ذكرته لنا فأخبرتنا زوجته أنه غائب عن البيت منذ يومين .. وتبين لنا أنه رجل يشرب الكحول بشراهة ويتعاطى المخدر ومعروف لرجال الأمن هناك.

فعقب الدكتور قائلا : رجل هامل وفاسد ، وكثيرا ما يتشاجر مع أخته المطلقة عيدة ولولا أنه غبي لقلت إنه القاتل لها .. فالجريمة مدبرة ومخططة بإحكام ، ولو أنها عشوائية لقلت إنه الفاعل يا حضرة الملازم وكثيرا ما أصلحت بينهم.

ـ ماذا كانت تشتغل قريبتك ؟

سكت الدكتور فترة قبل الإجابة ثم قال : لا شيء .. هي قد ورثت بعض المال عن والديها ، وما أخذته من مطلقيها ، قد ذكرت لكم أنها تزوجت مرتين وطلقت فتجمع لديها بعض المال، وهي قد استثمرت أموالها في البنك وتأخذ عليها الفوائد والأرباح.

فقال الضابط : ولكن تبين لنا يا دكتور أن أخلاقها لم تكن ولابد ؟!

فقال الطبيب : يا سيدي الستر مطلوب أسمع بذلك ، وإنما هي امرأة في هذا المجتمع ، والمغريات كثيرة وقد تكون الحاجة أيضا.

فقال الملازم : على كل حال أنت قدمت لنا ما يلزم فنشكرك الشكر الجزيل .. وكما تعلم يا دكتور سيرة حياة الشخص تكشف أحيانا كثيرة كثيرا من الغموض ودوافع القتل .. فعندما نعرف أن لها أصدقاء في النوادي الليلة والحانات نقترب على ما أظن من الجناة.

فقال الدكتور وهو ينهض : موفقون يا سيدي وأتمنى لكم من كل قلبي أن تصلوا للجاني أو

الجناة فلقد كلفني مقتلها في بيتي غرفة نوم جديدة .. لقد اشتريت اليوم أثاث وغرفة نوم جديدة.

فتضاحك الملازم وقال : لا بأس من تجديد غرفة النوم يا دكتور .. بس.. لماذا لم تتزوج لحتى الآن ؟! .. فقد عرفنا أنك بغير زواج ولست مطلقا أو أرملا .. والعجيب أن لديك غرفة نوم مزدوجة!

فضحك الطبيب وقال : أتخيل نفسي متزوجا يا ابني .. لقد كبرت على الزواج.

فقال ساخرا : ولكن يا دكتور ما زال لك صديقات يترددن على شقتك ؟

فصاح الطبيب مغضبا : هذا كذب يا سيدي الملازم.

ـ إحدى صديقات ابنة خالتك قالت لنا ذلك.

فقال الطبيب بامتعاض : هل هي ليلى ؟! .. إنها امرأة تكرهني!



٥

صباح يوم الثلاثاء من نفس الشهر كان الضابط علي محمود على موعد مع جريمة أخرى في شقة الدكتور غازي الرمانية ، البواب أبو حسونة أيضا اتصل بالبوليس مخبرا عن مقتل الدكتور غازي بنفسه ، اتصلت نهى عاملة العيادة بالدكتور حوالي التاسعة صباحا لتستفسر منه" هل يرغب بالدوام والعمل هذا النهار؟" فلم يرد ، وبعد عدة محاولات اتصلت بالبواب وطلبت منه أن يذهب إلى شقة الدكتور ويطلب منه الحديث مع العيادة ، فصعد الرجل العجوز إلى الدور الرابع ورن جرس الباب وطرق الباب ولكن بدون جدوى ، فلعب الفأر في عبه ، فعاد وأخذ مفتاح الشقة وأخذ معه الشغالة ماجدة وفتحوا الشقة وفي غرفة النوم وجدوا الدكتور مضرجا بدمائه ، فصرخت الشغالة وقام البواب بالاتصال بالشرطة ، فهرعوا على الفور إلى الشقة وعلق الملازم يحيى بعد الإجراءات الروتينية قائلا : نفس أحوال الجريمة السابقة .. شقة مفتوحة بنفس المفاتيح من غير عنف وحتى خطوات القاتل في المنزل نفس الخطوات والطبيب يؤكد أن وقت ارتكاب الجريمة أيضا بعد الواحدة أو الثانية ليلا.

كان المقدم علي يتمشى في الشقة مستغرقا في التفكير ورجال البحث والمختبر الجنائي يحاولون البحث عن آثار للقاتل من شعرة ورقة ، وقام المصور الجنائي بأخذ الصور لمسرح الحادث ، ورجال الإسعاف يرفعون الجثة إلى سيارة الإسعاف لنقلها إلى دائرة الطب الشرعي للقيام بتشريحها وكتابة التقرير عنها ، وقال البواب بأنه لم يشاهد أحدا يدخل العمارة مع الدكتور في الليل ، ولم يدخل العمارة شخص غريب منذ غروب الشمس ، انتقل المقدم علي لعيادة الدكتور وتحدث مع السكرتيرة حديثا طويلا ومملا ؛ ولكنه لم يظفر منها بمعلومة تكشف وتنير الطريق ، فهي لا تعرف خصوصيات الدكتور ، ثم قالت له في النهاية : أنا لا أعرف أعداء له ولكن أخص أصدقائه الدكتور مالك جبر وهناك خادمه فايز نائل .. شاب مريض ؛ ولكنه خادم نشيط وقد عاشر الدكتور أكثر من خمس سنوات ، وهو يسكن في بلدة تسمى " نسمة الربيع " ، وهو الذي قد تجد لديه بعض أسرار الطبيب ، فهو خادمه الأمين ويسكن في شقة

الدكتور.

وأخذ الضابط عنوان الرجلين منها ، وانطلق إلى عيادة الدكتور مالك فوجده يبكي صديقه ، وقد صرف الموظفين والمراجعين ، وكان يبدو للضابط أنه في حزن حقيقي على مقتل صاحبه فعزاه فيه وقال : أرجو أن نتعاون يا سيدي لمعرفة الفاعل لتقتص منه العدالة.

فقال بحزن : أنا رهن إشارتك وكلي شوق لمعرفة قاتل صديقي منذ عشرين سنة .. تعرفت عليه يا سيادة المقدم أثناء الخدمة في عيادات الدولة ، ثم تقاعد بعد إكمال مدة التقاعد ، وفتح عيادته في شارع الأمراء ، وظلت العلاقة والصداقة مستمرة بيننا إلى اليوم ، وقد صدمت بموته بهذه الطريقة ولا أعلم لماذا قتل ؟! حقا شيء مدهش ومثير! .. فأنا لا أعرف خصوما له لهم دوافع للفتك والغدر به .. وقد يكون في حياته أسرار ؛ ولكني لا أعرف عنها شيئا .. هو صحيح لم يتزوج وحياته لا تخلو من النساء ، فله صديقات كثر وهو ليس ملاكا ، فهو بشر ويشتهي كما يشتهي الرجال ، فله علاقات عاطفية قديمة وحديثة .. فهو رجل يحب السهر والمتعة واللهو والمسرح والغناء .. وغيره كثير يحيا هذه الحياة الماجنة .. ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك .. فالرجل أصبح في دار الحق .. ولكن إذا تذكرت شيئا يفيد القضية فأنا أقدمه لكم .. وأنا في خدمتكم في كل وقت.

فقال المقدم علي : أنت لا ترى الآن أن أحد أخوة عشيقاته أو أقاربها قتله أو غدر به انتقاما لكرامته وشرفه وغير ذلك من الأمور.

فقال مالك بعد تفكير عميق : لقد كان الدكتور يحسن اختيار أولئك النسوة .. وهن نساء ماجنات معروفات بالسهر والمجون قبل أن يحتك بهن ، ولا تدوم أي علاقة مع إحداهن أكثر من شهرين أو ثلاث ثم يبتعد عنها ويبحث عن غيرها .. فهو لم يعشق امرأة زمنا طويلا ، وقد يكون عرف الكثير من النساء ولم يحدثني عنهن يا سيدي المقدم .. واعلم أنه من النادر ما كان يلتقي بهن في بيته .. وقد يكون خادمه فايز مؤكدا لهذا الأمر، فلما سافرنا رحلتنا الأخيرة أخذ إجازة وعاد لبلدته نسمة الربيع.

فقال المقدم : لابد من الذهاب إلى تلك البلدة ومقابلة هذا الخادم ، قد نجد عنده شيئا يفسر لنا سر هاتين الجريمتين .. وأرجو منك يا دكتور مالك أن تتعاون معنا لأقصى حد وكل معلومة تقدمها لنا تقدمنا خطوة من الجناة أو المجرم اللعين.

ـ سأفعل أيها المقدم فأنا يهمني معرفة القاتل الغادر ، فكما قلت سابقا فنحن أصدقاء وأصحاب منذ عشرين سنة.

سافر الضابطان إلى مدينة الرواحل ، ومنها إلى قرية نسمة الربيع وذهب برفقتهم ضابط من ضباط أمن الرواحل ، وسألا عن بيت السيد فايز نائل فلم يجدوه في البيت فتحدثوا مع والدته ولما علمت بمقتل الطبيب غازي الرمانية ظهرت عليها الدهشة والوجوم والحيرة وقالت متشككة : فايز يعمل خادما في بيت الدكتور غازي الرمانية !! .. نحن نعرف فقط أنه يعمل ممرضا في عيادة دكتور في العاصمة.

فقال المقدم علي : صحيح هذا .. فهو خادم في البيت وممرض في العيادة.

فقالت : أمس كان هنا وزار جدته في المستشفى ، ونزل المدينة فقد علمنا منه أن الدكتور قد سافر لقبرص فأعطاه إجازة ، وأكثر وقت ولدي يقضيه في المدينة مدينة الرواحل ، وأحيانا يأتي في آخر الليل .. فأنا ليس لي في هذه الدنيا إلا هو .. وله بعض الرفاق القدامى في المدينة فيذهب ويسامرهم ويأتي للمبيت هنا ، ومرضت جدته ـ وهي أمي ـ منذ أيام وهي راقدة في المستشفى.

فقال المقدم علي : أنت أرملة ؟

ـ لا .. لا يا سيدي إنني مطلقة منذ أكثر من ثلاثين سنة ، فوالد فايز موجود وحي وهو من سكان وأهالي هذه البلدة ؛ ولكنه رماني أنا وولدي الوحيد ، وعشت مع أمي وربيت ولدي فايزا ، وتعلم في معهد متوسط في المدينة ، ولما أنهى الدراسة الفندقية اشتغل في أحد فنادق العاصمة ، فيها بعد تعرف على ذلك الدكتور وانتقل للعمل عنده في العياده ممرضا كما قال وبين الحين والآخر يزورنا.

ـ كيف نلتقي به في المدينة ؟

ـ هو نزل على المدينة الكبيرة .. قال أمس سأزور جدتي وأودعها وأعود للعمل فقد رجع الدكتور من السفر ، ولا أظن أنه ما زال في مدينة الرواحل وإلا لجاء للمبيت هنا.. وعلى كل حال هناك مقهى كبير في مدينة الرواحل يجلس عليه "مقهى الربيع " .. وله صديق يجلس عنده ومعه اسمه المعلم شمر .. شاب شرس وهو معروف في المدينة وقد زارنا مرة أو مرتين.

فقال ضابط مدينة الرواحل معقبا: أجل يا مقدم علي نحن نعرفه شاب معروف وهو من زعران وهمل المدينة .. فلا أدري ما جمعهما على بعض.

فقالت الأم : صحبة مقهى لا أكثر من ذلك .. فابني أصغر من شمر المذكور.

فشكرها المقدم علي وقال : هيا بنا قد ندرك المقهى قبل أن يغلق شكرا يا أم فايز .. إذا حضر ابنك فأخبريه بأن يراجع مركز بوليس مدينة الرواحل لسماع أقواله عن الدكتور القتيل.

فقالت بقلق : سوف أفعل.

ولما أغلقت الباب ورائهم قالت بحيرة : أمعقول أن يكون قد عرف شيئا قديما ؟! .. إنها قصة لها أكثر من ثلاثين سنة!

٦

جلس المقدم علي في مكتبه في دائرة الشرطة وطلب من الملازم يحيى أن يأتي بالصور التي وجدت في شقة الدكتور المقتول فقال يحيى : ألم تتفرج عليها من قبل يا سيدي المقدم ؟!

فرد المقدم : بلى ، لقد تفرجنا عليها فعلا ، ولكن منذ أن عدنا من قرية نسمة الربيع ، وقد قابلنا تلك المرأة أم فايز ، وأنا أقول أين رأيت ذلك الوجه ؟ صورة تلك المرأة .. أين رأيتها ؟ تذكرت أنني شاهدت صورتها ضمن البومات صور الدكتور .. ولما علمت تلك المرأة بأن ابنها يعمل عند الدكتور غازي الرمانية وأنه قتل ظهرت عليها الدهشة والحيرة ، وقد علمت من ملف الدكتور في وزارة الصحة أنه قد عمل في مدينة الرواحل وتلك القرى من حولها ، ونـقل منها لسوء سلوكه وكثرة تحرشه في النساء والمريضات .. فاتصلت بزميلنا الرائد محسن الذي رافقنا هناك بأن يضع البيت تحت المراقبة للقبض على فايز المختفي منذ أيام ، ثم طلبت منه أن يسال الأم "هل لها معرفة بالدكتور غازي معرفة قديمة ؟" .. فاعترفت أنها كانت تتردد عليه في مركز الصحة بالمدينة للمعالجة فهي تعرفه منذ أيام بعيدة .. لأجل ذلك دهشت عندما علمت بعمل ابنها عنده .. بل عرف الرائد محسن أن زوجها طلقها لشائعات دارت حولها وحول الدكتور غازي ؛ ولكن بعد رحيل الدكتور عن المدينة لم يحصل بينهم أي لقاء ، وأنت تعلم أن هذه القصص لا تنسى في الريف فيتوارثها الأبناء عن الآباء ، وأن نبذ الوالد لولده وهجر أمه قد يكون قد سبب له عقدة نفسية فحقد على الدكتور غازي ، ولما عرف أنه صاحب وصديق أمه ثار الحقد في قلبه فقتله.

فقال الملازم : والمرأة المقتولة ما بينها وبين الشاب فايز؟ .. بل لماذا لم يأخذ صور أمه من الألبوم إذ رآها ؟

ـ عندما نقابل هذا الشاب سنعرف الكثير الكثير من المعلومات أحضر الصور لنتأكد من صورة تلك المرأة الريفية.

بالفعل لما شاهد الضابطان الصور الفوتوغرافية قال يحيى : فعلا إنها صور السيدة هدى أم

فايز ولكنها قديمة.

فقال المقدم علي : إذن اطلب من الرائد محسن أن يجمع لنا معلومات دقيقة وشهود عن علاقة الطبيب غازي وتلك المرأة ، وليكثف رجالنا البحث عن فايز ويعرفوا الأماكن التي يتردد عليها هنا .. فقد أخبرني محسن أيضا أن المدعو شمرا أخبره أن الشاب فايزا منذ أتى البلدة وهو متوتر الأعصاب، ويشرب الخمر بكثرة وشراهة رغم أنه من النادر أن يشربها ، ولا تكاد السيجارة تفارق شفتيه كذلك ؛ ولكنه لم يفه بشيء أمامه.

ولما انصرف الملازم يحيى لتنفيذ تعليمات المقدم علي رن جرس الهاتف في مكتب المقدم علي فقال له مأمور الاتصال : فتاة اسمها نهى سالم تريد الحديث معك يا سيدي.

ـ صلني بها .. آ .. أهلا أخت نهى .. اتصل بك السيد فايز .. في المستشفى !! أي مستشفى شكرا لك .

وترك السماعة ونادى على الملازم فلما حضر قال: لقد ظهر الفتى فايز يا يحيى.

ـ أين ؟!

ـ إنه مصاب في المستشفى الحكومي .. لقد تعرض لحادث دهس .. هيا بنا نراه .. فقد اتصل بالعيادة يسأل عن الدكتور غازي واليوم سمحوا له بالحديث.

ولما وصل الضابطان المستشفى ، طلبا محضر البوليس فوجدا فيه أن السيد فايزا تعرض لحادث صدم فجر يوم الثلاثاء ، فقد كان يقطع أحد الشوارع فصدمته سيارة مسرعة وهربت واكتشفته سيارة بوليس دورية وهو بين الحياة والموت ، فنقل لأقرب مستشفى ، وأجري له أكثر من عملية وهو يرقد في جناح العظام والكسور في وضع طبي سيئ ، وبعد قراءة المحضر الشرطي صعدا إلى غرفة المريض فوجدوه ملفوفا بالجبص والشاش الطبي ، فلما لمحهما برقت عيناه بشدة ثم همس :أنا القاتل .. أنا المجرم وهذا جزائي العاجل .. لقد شبت النار في قلبي عندما علمت أن هذا الدكتور كان عشيقا لأمي ، وأنه سبب تعاستها ونكران أبي لي .. كان أهل القرية ينظرون لي كأنني ابن زنا لقيط .. الحقد ملأ قلبي عليه.. إنه مجرم أكثر مني.

نظر المقدم لأحد الأطباء الذين حول السرير وقال : هل يمكنه الكلام الكثير ؟

رد الطبيب المعالج : كسور في عظم الجمجمة .. أما الخطر الأكبر فهو في كبده .. وهناك تفتت في عظام فخذيه وساقيه ورغم الصداع الذي يكتنفه فلا بأس من سماع اعترافه . وغمز الطبيب بعينه.

فأدرك الضابطان أنه في وضع صعب وحرج وأنه قد ينتكس من جديد فقال المقدم : الأحسن سماع اعترافه والتفت لفايز وقال : أتحب أن نسمع حكايتك أم لا تستطيع ؟

فقال بهمس : اسمعوا .. قد أموت أعرف أن كبدي انشطر من حدة الصدمة قد يريح الاعتراف أعصابي وضميري .. سأبدأ من البداية .. أنا ابن قرية بعيدة عن العاصمة ، وجدت نفسي أعيش بين أمي وجدتي ، وأن أبي طلق أمي لمشاكل كبيرة بينهم ، وقد تخلى عني حتى إخوتي الآخرين ، ربوا على عدم الإحساس بي ولا يكترثون لي ، وصارت مشاجرات كبيرة بين أبي وأمي من أجل ذلك ، ولكن أبي أصر على التنكر لي ، ويدعي أنني لست ابنه رغم أنني أحمل اسمه ، فلما كبرت ووعيت للأمر ، بدأت أعرف تفاصيل قصة أمي ؛ عرفت أن سبب طلاق أمي أنها كانت تتردد على المدينة القريبة للعلاج في مركز طبي تابع للدولة ، وتعرفت أثناء ترددها على العيادة على طبيب فأحبها وصارت عشيقة له ، فكانت كلما تنزل على المدينة تلتقي به ، وأثناء ذلك ولدت أنا ، ولم يكن أحد يعرف باتصالها بذلك الطبيب الماكر ، ولكن هذا الأمر لم يختف للأبد انكشف السر للممرضات أو قل لإحدى الممرضات ضحايا ذلك الطبيب الماجن ، فأفشته لامرأة من القرية ، فأخذ الخبر ينتقل في القرية ثم المدينة ثم نقل الطبيب إلى مدينة أخرى ، ثم طلق أبي أمي فذهبت لتسكن مع أمها جدتي ، فعشت منبوذا مشكوكا في بنوتي ، بذلت أمي وجدتي الغالي والنفيس حتى كبرت وأرسلتني للمعهد الفندقي لأتعلم الطهي والخدمة الفندقية ، فتيسر لي ذلك رغم الجرح والألم الذي تكوّن في أعماقي ووجداني ، اندمجت في حياة المدينة تناسيت القرية تناسيت أبي تناسيت ماضي أمي واعتبرتها ضحية المجتمع ، لم أكن أدرك يومذاك عمق العلاقة السرية بينها وبين ذاك الطبيب في المركز

الطبي حتى يومها لم اهتم باسمه ومعرفة الكثير عنه .. المهم عرفت أن أمي تعلقت بطبيب ، ثم طرد من المدينة بسبب هذه الصحبة ودار الشك حول أمي ، أنهيت سنتي التعليم توظفت في أحد الفنادق في مدينة الرواحل ، أصبحت أملك المال وتعلمت قيادة السيارات ، وبعد حين اشتريت سيارة صغيرة ولكنها قديمة ، صرت أتردد بها على القرية .. وكنت بين أهلي كأنني غريب ما زال شكهم واتهامهم يحوم حولنا رغم السنوات الطوال ، ثم بلغت الخامسة والعشرين وما زالت تلازمنا نظرات الشك والريبة .. أمي حبيسة القرية منذ أن عرف الناس بحكايتها مع ذلك الطبيب الفاجر .. لم تتزوج من أجلي .. لا تذهب للمدينة إلا أيام الأعياد لشراء الملابس لي .. كان يصيبها المرض والضعف لا تنزل للمدينة وتعتمد على وصفات العجائز في القرية والفلاحين، كان في داخلي بركان وصراع وأقول لنفسي " هل يعقل أن تكون هذه الأم الصابرة فاجرة ؟! .. لابد أن ذلك اللعين خدعها وغرر بها " مع ذلك كان الناس في القرية يتحاشون الجلوس معي.. مرحبا فقط وينصرفون .. المهم اندمجت في حياة الفنادق والمال ، كان لصاحب الفندق أكثر من فندق في قلب العاصمة ، فطلبت منه أن ينقلني إلى أحدها فقد ضقت من هذه المدينة ومن أهلها، لقد حاولت أمي تزويجي من إحدى بنات القرية المحترمات ، فرفضت وعزفت عن النساء ورغم ما علمته عن أمي من سوء فقد كنت أحبها وأشعر بتضحيتها من أجلي وأعرف الحزن العميق في روحها وبدنها ؛ ولكني ضعيف وعاجز أن أفعل لها شيئا ، حاولت إقناعها بالرحيل إلى العاصمة ولكنها رفضت لأن جدتي لا تريد الموت خارج القرية ، وأثناء عملي في أحد فنادق العاصمة تعرفت على الدكتور غازي الرمانية كان يحضر للسهر في الفندق في المناسبات وحفلات الرقص والأغاني .. وحدث أن سرقت بعض المال من أحد نزلاء الفندق ، وانكشف أمري فتشفع لي الدكتور غازي عند صاحب الفندق فعفا عني ، ومرضت بفقر الدم فأرسلني إلى عيادات زملاء له .. كنت أعجب من مجونه رغم سنه الكبيرة كان يشرب الخمر ويسكر ويعربد ويزني ويلعب القمار أحيانا ، ولكنه عندما يخرج من الفندق يصبح رجلا آخر متظاهرا بالوقار والاحترام .. مرض

هذا الدكتور وقضى شهرين في المستشفى إن لم يكن أكثر وكنت أزوره كصديق ، فلما تقرر أن يعود للبيت عرض عليّ أن أعمل خادما عنده ودفع لي أجرة شهرية مائة وعشرين دينار غير المكافآت ، ووعدني أن يعلمني بعض مهارات التمريض ، وأن أسكن معه في الشقة .. فبعد تأمل قدمت استقالتي من الفندق وانتقلت للعمل عند الطبيب في شقته.

ولما عادت له صحته عاد للعمل في العيادة الخاصة به التي كان يقوم بالعمل فيها مكانه زميله مالك جبر بعد انصرافه من العمل في مستشفيات الحكومة ، رغم مجون الدكتور فمن النادر أن يسمح لامرأة أن تزوره في شقته .. أنا لم أهتم حقيقة بحياته الخاصة كثيرا ، لقد عرفته وعرفت علاقته الغرامية أثناء العمل في الفندق فلم أكترث بفسقه وعبثه ، ومضت الأيام فقضيت عنده أكثر من خمس سنوات إلى أن كان ذات يوم أحضرت له كوبا من الشاي إلى حجرة النوم وكان بين يديه أعداد كثيرة من الصور الفوتوغرافية يقلبها ويبحث فيها عن صورة أو صور .. والحقيقة رغم طول المدة التي مكثتها عنده لم أحاول فتح حقائبه والعبث فيها ومعرفة المزيد من الأسرار عنه ؛ فإن ذلك لم يكن يهمني لأنني أعرف الدكتور بما فيه الكفاية ، وضعت كوب الشاي وأردت الانصراف لحجرتي فنادى : اقترب يا فايز .. هذه صور تصورتها هنا وهناك في الداخل والخارج .. ولكن صدف اليوم أن التقيت بامرأة عرفتها منذ ثلاثين سنة أو أكثر .. كنت يومها موظفا في مدينة الرواحل وكان ذلك في أول سنوات عملي بقطاع الصحة والطب فعندما ذكر مدينة الرواحل تذكرت أمي وقصتها مع ذلك الطبيب فخشيت أن يكون هو العشيق القديم ، توترت وتهيجت أعصابي وذاكرتي فقلت بصوت مخنوق: ثلاثون سنة يا دكتور ؟!

فقال ولم يلحظ التغيير الذي أصابني : أجل ثلاثون سنة .. كنت اليوم في زيارة لأحد الأصدقاء الأطباء في عيادته عندما دخلت امرأة تراجعه .. هو جراح قلب .. فعندما رأيت المرأة عرفتها تذكرتها، وهي تذكرتني فوجمت عندما رأتني فنظرت إلى ملفها الموجود أمام الدكتور فإذا هو نفس الاسم الذي عرفته .. فلما انتهى الطبيب من متابعتها وخرجت خرجت

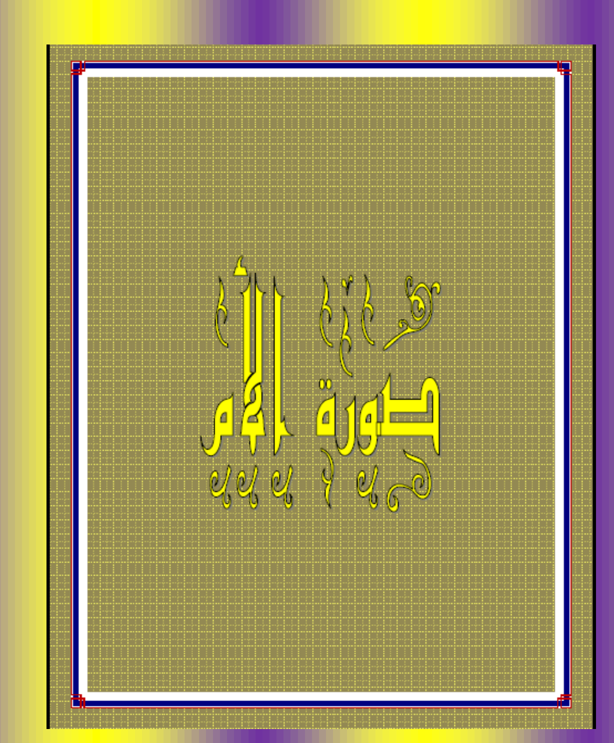
خلفها واستوقفتها وذكرتها بنفسي فقالت : وكيف أنساك يا دكتور وكل عذابي منك ؟!
فواسيتها وقلت معتذرا : كانت أيام طيش ، ولقد عرضت عليك الزواج ولكنك أبيت حتى لا تتأكد الأقاويل .. إيه لقد طلبت منها أن تطلب الطلاق من زوجها لاقترن بها ، فرفضت فعرضت عليها بعض المال فرفضت .. تذكرت يا فايز أيام الصبا أيام الهوى والشباب .. ثم رفع صورة له معها ودفعها إليّ.

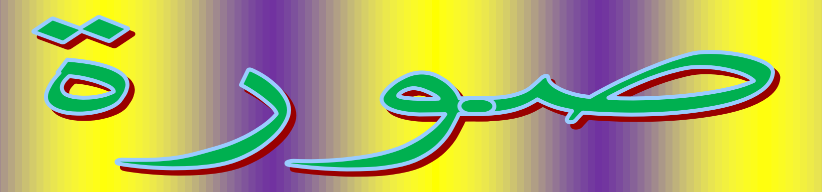
وكانت صورة أمي تمزق قلبي وهاج حقدي وأردت أن أخنق الدكتور من الغيظ والقهر والحقد ولكني جبان ، فتظاهرت أن صداعا ألم بي وعدت إلى حجرتي أبكي وأبكي.. ومن ذلك الحين بدأ في فكري قتل الدكتور والثأر لكرامتي وشرفي ومضى شهر وآخر وقل نزولي لزيارة أمي المريضة بالقلب والهم ، اشتريت مسدسا وجهاز كتم الصوت أخفيته في الشقة.. وبدأت أخطط للقتل ، ووضعت خططا وأفكارا كثيرة إلى أن سمعت الدكتور يتحدث مع السكرتيرة نهى برغبته في السفر لقبرص فتظاهرت أنني بحاجة لإجازة لزيارة أمي وجدتي .. لم يمانع الدكتور فأعطاني أجرة الشهر كاملة ، وأخبرني أن سفره سيكون نهار الخميس بصحبة الدكتور مالك جبر، وأذن لي بالسفر صباح الأربعاء بعد وجبة الإفطار ، وأنا قررت أن أقتله في الليل قبل السفر .. نار الكره والثأر والانتقام تتأجج في قلبي .. وكان الترتيب أن أسافر صباح الأربعاء في القطار .. وفعلا ودعت الدكتور وحملت حقيبة صغيرة بها بعض الهدايا لأمي وجدتي .. وتحدثت مع البواب أبي حسونة وأخبرته بسفري للقرية وانطلقت لمحطة القطار وقطعت تذكرة وافتعلت مشاجرة مع أحد الموظفين ليشهدوا أنني سافرت للبلدة وفعلا وصلت لمدينة الرواحل واستأجرت سيارة سياحية من شركة الحمراء وأخذت بعض الفواكه وسرت للقرية وتعشيت مع أمي وجدتي وبعد دخول الليل وقد رقد الناس ادعيت أنني سأنزل للرواحل للسهر فلي أصدقاء ومعارف فيها ، ولكني انطلقت للعاصمة وبعد ثلاث ساعات ونصف دخلتها وأمام أحد محلات السوبر ماركت الكبيرة أوقفت السيارة وسرت مشيا نحو شارع عمارة الساعد ، كان الوقت بعد الواحدة ليلا ومن الباب الخلفي

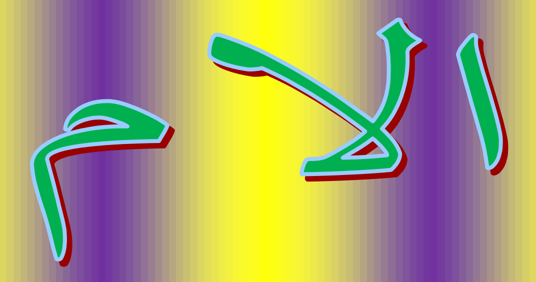
للعمارة تسللت إلى الدرج ، ولما صعدت الطابق الأول ركبت المصعد للطابق الرابع وبحذر شديد دخلت الشقة ، وكان المسدس في جيب الجاكيت التي ألبسها وقد خلعت الحذاء وظللت بالجوارب دخلت حجرة الدكتور كنت أظن أن فيها الدكتور راقدا فرفعت الغطاء عن رأسه وأطلقت النار ، فبعد أن أطلقت النار اكتشفت أن امرأة ترقد في فراش الدكتور صعقت .. أين الدكتور؟! عدت فلبست حذائي ثم فتشت الغرف وعدت أنظر لوجه المرأة المهشم بالرصاص وبكيت ولم تأكدت من عدم وجوده هربت كما دخلت وعدت للقرية ، وقد اشتريت زجاجة خمر وشربتها أثناء العودة ، وصلت القرية مع وجه الصباح وأنا سكران ، رقدت في الفراش وأنا أفكر بتلك المرأة التي قتلت على يدي وأنا أظنها الدكتور اللعين ، ولما علمت أن البوليس لم يصل إليّ بعد ، صممت أن أقتل الدكتور.. بعد يومين تحدثت مع نهى متظاهرا بالسؤال عن الدكتور فأخبرتني بأن الدكتور سافر مساء الأربعاء وأن امرأة قتلت في فراشه والشرطة تبحث عن القاتل .. فقلت : سوف أتصل بها بين الحين والآخر مدعيا بالسؤال عن عودة الطبيب غازي .. الصحف لم تنشر شيئا عن الجريمة .. مرضت جدتي وأدخلناها المستشفى في مدينة الرواحل .. ولما علمت بعودة الدكتور من نهى والبواب أبو حسونة رسمت أن أضرب ضربتي سريعا فمددت الإجازة بحجة مرض جدتي ، وفي اليوم المحدد تسللت كالسابق إلى حيث يرقد الدكتور المستغرق بالنوم وأفرغت المسدس في رأسه وصدره ، وخرجت من الباب الخلفي للعمارة وقبل أن أصل إلى حيث أضع السيارة المستأجرة وأثناء قطعي للشارع دهمتني سيارة مسرعة ، وقد عرفت لما صحوت من فقدان الوعي أن اللعين لم يتوقف لإنقاذي ونقلي للمستشفى ، ولولا مرور سيارة دورية البوليس لظللت طريح الشارع حتى فارقت الروح الجسد .. فقد جاء القصاص عاجلا .. وهذا اعترافي وأنا بكامل قواي العقلية كما أرجو ولإراحة ضميري لقتل تلك المرأة بالخطأ ؛ ولكن قدرها كان على يدي والتفت إلى الأطباء وقال : أيها الأطباء أرجوكم أن تضربوني إبرة مخدر لأنام إنني في غاية الألم والتعب .

" تمت هذه القصة "







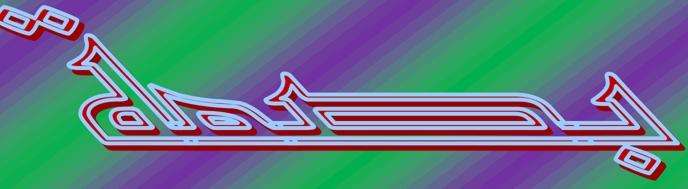


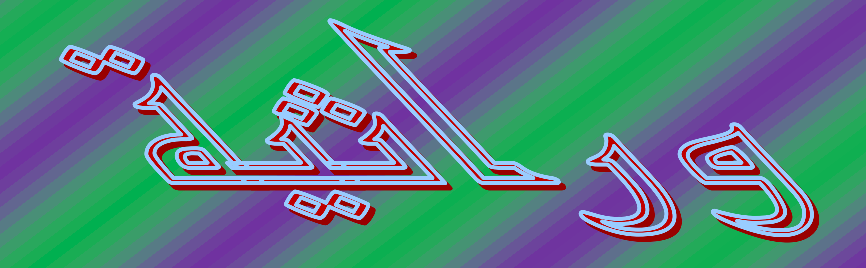
جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١









جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

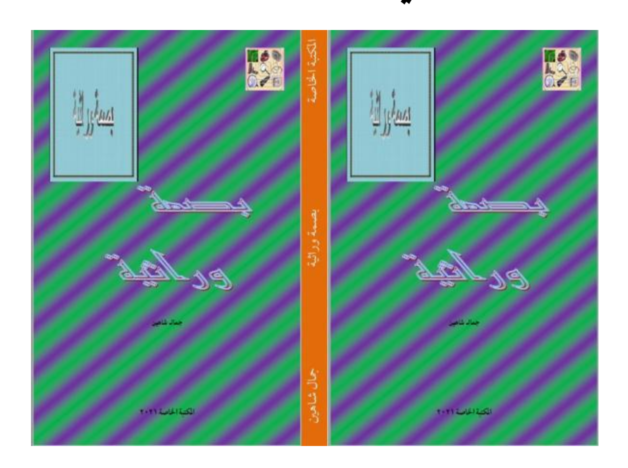
المكتبة الخاصة

جمال شاهين

بصمة وراثية

النشر الاول ٢٠٠٢ / النشر الثاني ٢٠١٨

الاخير الثالث ٢٠٢١



بصمة وراثية

عاد للوطن بعد غياب طويل

ووجد أن شقيقته ما زالت حية

ووجد أن له ولدا من مطلقته ، فكيف سيعرف حقيقة ذلك ؟

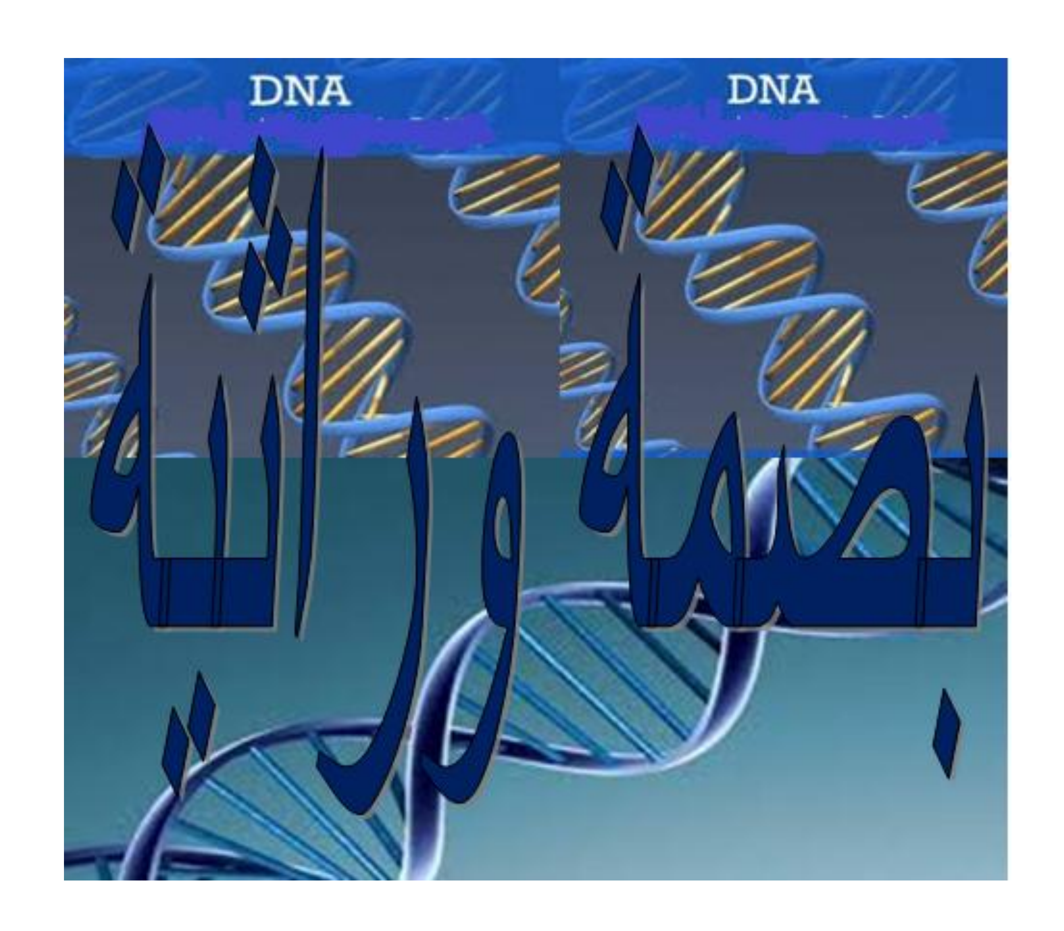
ولما حان موعد الاعتراف به شرعا وقانونا قتلت المطلقة

وبعد أيام قتلت حفيدة شقيقته ثم تعرض للقتل

فكان القاتل صدمة للجميع وكان الصلح بين الجميع


٧
التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين



الصغير عرفان

الرجل الكهل "ناصر رشيدي" كان يخاطب ولديه الصغيرين بخوف وعصبية ، فمنذ أيام انتهى من عزاء زوجته أم عرفان ، ومما قاله لهم : كلي حزن وهم عليكما يا أطفالي الصغار بعد موت أمكم ـ رحمها الله ـ فأنا قد تزوجت أمكم لأرتاح من الشجار والصراخ والحرب مع زوجتي الأولى أم زياد .. ولكن ماتت أم عرفان وظلت أم زياد .. وشاء القدر لي الحزن والشقاء .. فأم زياد لا تحبكم .. تبغضكم ، تكرهكم ، بل جعلت أولادها يبغضونكم ويكرهونكم .. وأنتم لا دخل لكم ولا ذنب ؛ ولكنكم أبناء ضرتها .. فعليكم بالتحمل والصبر حتى تكبروا وتشبوا وتعتمدوا على أنفسكم .

كان هذا الخطاب موجها لفتاة عمرها أربعة عشر ربيعا ، وشاب دونها بعامين أنجبتهما له زوجته "سعادة " ، كان ناصر ذا مال ودخل مادي بسيط لا يكفي الصرف والنفقة على البيت المكون من زوجتين وثمانية أبناء وتاسعهم ناصر، فبسبب الحاجة وقلة المال كانت الزوجتان تعملان بأعمال الإبرة والخياطة والصوف للمساعدة في زيادة دخل الأسرة ، ولم يتزوج ناصر الثانية إلا بعدما كبر ابنه زياد وتخرج من الجامعة .. فبعد ذلك غامر وتزوج أم عرفان ، فكان زياد وإخوته الخمسة ـ ثلاثة ذكور (مراد) (فارس) (عصام) وابنتان (أسمهان) (ليلى) ـ لا يتعاملون بود وعطف مع أخويهم من زوجة أبيهم (عرفان وأمينة)، بل كانوا يسمحون لأنفسهم بإهانتهم وضربهم والانتقام منهم والإساءة إليهم لمضايقة زوجة أبيهم .. فزادت المشاكل والمعارك بين الأب وأم زياد .. ويفزع الجيران والأهل للإصلاح.

وكان الأب "ناصر" حزينا جدا على وفاة زوجته سعادة ، فهو قد أصيب من سنوات خلت بمرض أقعده عن العمل .. فكان يعتاش على إحسان زوجته سعادة وبعض الفتات الذي يأخذه من أولاده الكبار .. ولما تزوج ابنه البكر زياد قطع عنه المساعدة .. فصبر الرجل وزاد كفاح زوجته .. ثم تزوج الآخر والثالث والرابع والبنتان ، ثم رحلت زوجته الأولى للحياة مع أحد أبنائها ، فكان "ناصر رشيدي" متألما وحزينا لأعلى درجة على موت زوجته الثانية ،

ومشاكله المتكررة مع أبنائه لم تدفعهم للشفقة عليه ، ولكن اليوم ماتت الزوجة المواسية العاملة ، فلما أدرك ابن الاثني عشرة سنة الوضع ، أخذ يبيع اللبان وقطع الحلوى والسكاكر على محطات السيارات والباصات ومواقف الحركة ، كان يفعل ذلك بعد عودته من المدرسة ، ولكنه وجد أن المردود البسيط لا يكفي للصرف على أبيه المريض وأخته أمينة ، فرويدا رويدا هجر المدرسة ، وقد أصبح لا يفهم شيئا من الدروس ، ولما بلغ خمسة عشر ربيعا اشتغل خادما في أحد الفنادق الكبيرة في المدينة العاصمة بمساعدة أحد الناس .. فتحسن دخله نتيجة خدمة ضيوف الفندق ونزلائه.

وبعد حين تزوجت أخته أمينة من رجل فقير من سكان الحي ، شعر أن أباه زوجها لابن جار لهم ليخفف العبء عنه ، وخلال هذه السنوات لم يكن إخوته يترددون على أبيهم المريض إلا في مواسم الأعياد أو عندما يسمعون أنه على وشك الموت ، آلام كثيرة في قلب عرفان ، متألم من هجر إخوته له ، وكان ممزق القلب حزينا أن أحدا منهم لم يفكر بزيارة أخته وأختهم في موسم عيد أو مرض ، كانت أكثر أمواله تصرف على شراء الدواء لوالده الكهل ، تحمل عرفان كل ذلك ، ولم ينس تركه المدرسة بسبب ظلم إخوته وتحمله مصروف الأسرة وحده ، تخلوا عنه وعن أبيه وأخته ، لم يردوا جميل أبيهم لهم يوما ما ، كانوا يرون أنهم تعلموا ودرسوا من نقود أمهم وشقاء أمهم "بهيجة ".

مكث عرفان في الفندق عاملا أكثر من ثلاث سنوات قبل أن يتغير مجرى حياته بصورة عجيبة ذات يوم كان عرفان يخدم رجلا أجنبيا من أمريكا اللاتينية من "فنزويلا" بالذات ، ومكث هذا الرجل أكثر من شهر نزيلا في الفندق ، وكان عرفان مهتما به وبتوفير الراحة والخدمة له طوال هذه المدة ، فذات يوم قال الرجل الكبير لعرفان : يا عرفان منذ نزلت هنا وأنت تقوم برعايتي ، وقد لاحظت عليك يا ولدي حزنا ودموعا مرسومة على محياك.

فقال عرفان : " أشكرك سيد رومانوس .. مشاكل الدنيا .. هموم الأسرة".

وفضفض عرفان بحديث عن ذكريات موجعة ، مما رقق قلب الرجل المدعو رومانوس وقال

له في النهاية : بلدنا فيه عرب كثير ، سافر سيد عرفان .. هاجر .. هناك دخل أكثر من هنا .. فما رأيك بالهجرة إلى هناك قد انعطف قلبي إليك ؟

بكى عرفان ، وشكر الرجل ، وتمنى ذلك وقبل العرض من غير تردد فأعطاه الرجل ألف دولار ليقوم بإخراج جواز سفر والسفر إلى مصر ، ومنها إلى "كاركاس" عاصمة فنزويلا ، وأعطاه الرجل عنوان إحدى الشركات التي يملكها فقبل عرفان يد الرجل أكثر من مرة ، وذرف الدموع عندما رأى الحنان الذي أغدقه عليه الرجل الغريب رجل الأعمال الفنزويلي ، هكذا كانت البداية.

سر والده ناصر ، وربما تظاهر بالسرور لما أخبره عرفان بأمر الهجرة، وشجعه على السفر وقال بشجاعة وتضحية : لا تهتم بي يا ولدي ! الله موجود ورحمته واسعة .. سافر .. هذه فرصة للرحيل .. فكثير من أبناء العرب يهاجرون لتلك الدنيا ، وسأطلب من أختك أمينة وزوجها السكن عندي.

فقال عرفان : " أخشى أن لا يوافق زوجها أو أهله على ذلك"

ـ إن شاء الله سوف يوافق .. فزوجها رجل طيب

ـ وأنا عندما أصل إلى هناك ، وأستلم أول راتب سأرسله لكم يا أبي .. أقسم أن لا أنساك.. عليّ أن أجرب حظي .. أنا حزين جدا على فراقك ، وأنت بهذا الضعف؛ ولكنك كما قلت الحياة فرصة .. فلربما هذه فرصتي لأتخلص من الفقر ، وقلة ذات اليد.

وبكى الرجلان ، وتذكروا جحود زوجة أبيهم وأولادها لهم ، قام الشاب بإخراج جواز السفر وتحدث ناصر رشيدي مع جاره والد زوج ابنته ، فوافق الجار وتردد الابن ، ولكن لما اطمأن أن عرفان سوف يضع بين يدي أخته بضع مئات من الدنانير للاعتناء بأبيها بالطعام والدواء حتى يرسل لهم المال باستمرار من هناك ، فوافق على الحياة في بيت والد زوجته.

تحدث عرفان مع رومانوس الفنزويلي، وأعلمه بإخراج الجواز ، وأنه اشترى تذكرة سفر للقاهرة في مصر، وطلب منه بعض المال لتركه عند والده المريض يشتري به الدواء ريثما يباشر

عمله، ثم يسدده إياه ويرسل لأبيه منه ، وكان الرجل سخيا فأعطاه ألف دولار أخرى على سبيل الشفقة والعطف والمساعدة، وأعطاه رسالة للسفارة في مصر لمساعدته للسفر إلى أمريكا.

كانت لحظات الوداع قاسية على قلب ناصر رشيدي، ووقع في قلبه أنه الوداع الأخير، ولكنه غلب مصلحة ابنه الضعيف على حاجته إليه في ساعاته الأخيرة ، ورحل عرفان إلى فنزويلا ، وفي إحدى شركات النفط التي يديرها رومانوس وظفوه عاملا بسيطا في مكاتب الإدارة.

وقد كان عند حسن ظن السيد رومانوس ، فلما تحسن لسانه وأصبح يفقه الإسبانية لغة البلاد الرسمية أرسله السيد الكبير في دورة سكرتاريا ومراقبة إنتاج العمال ، وخلال خمس سنين تحسن دخل عرفان ، وظهر نشاطه وإخلاصه للسيد رومانوس ، وأتقن الواجبات المطلوبة بكل همة ودراية ، ولم ينقطع خلال هذه السنوات من إرسال المال لوالده ، ونزل إلى البلد مرة واحدة خلالها وسعد أبوه برؤيته ، وكذلك أخته وزوجها ، وأدخل والده للمستشفى عدة أيام وفي هذه الزيارة لم يأت أحد من إخوته للسلام عليه ، ثم سافر ثانية ، وأمضى السنوات الخمسة الأولى من عمره في فنزويلا في العاصمة كاركاس.

وهذا الاسم يعود إلى قبيلة هندية ، كانت تقيم في هذا الوادي قبل أن يدهمها الغزو الإسباني عام ١٥٢٢ م وقيل ١٥٤٦ م ، وحضارتها حضارة المايا قبائل الهنود الحمر، والمدينة القديمة يعود إنشاؤها إلى ٤٠٠ عام ، وأنها تمتلئ بالخضرة والأزهار على مدار العام وخصوصا أزهار الأوركيد ، وهي الزهرة القومية للفنزوليين ، ولها ستة آلاف نوع ، وهناك أشجار الاكاسيا ، وتحمل شوارع كاركاس أسماء الكثير من الأزهار ، وحية أناكوندا وهي أكبر حية في العالم تعيش في مستنقعات فنزويلا ، وقد بنيت العاصمة على نمط المستعمرات الإسبانية ، شارع هياتو يمثل قلب المدينة الثقافي ، وقد تأسست العاصمة عام ١٥٦٧ م ، وهي مطلة على البحر الكاريبي ، وحيث تطل حدود فنزويلا من الشمال على ٣١١ جزيرة ما بين الكبيرة والصغيرة ، ومن أشهرها جزر السلاحف البحرية ، وجزيرة الطيور ، وتعتبر جزيرة مارجريتا لؤلؤة البحر

الكاريبي ، ففيها تجتمع الجبال السوداء وشواطئ الشعب المرجانية وخضرة أشجار جوز الهند وأهم ميدان في العاصمة وفي وسطها ميدان بوليفار أو البلازا بوليفار ، ويطل برلمان الجمهورية على الميدان ، وتوجد الكاتدرائية خلف الميدان ، وأمامها قصر الرئاسة القصر الأصفر ، وقد قامت عدة ثورات فيها للتحرر من حكم الإسبان ، وضمت مرة أو أكثر بكولومبيا ، وفي عام ١٨٣٠ م انهار الاتحاد ، وهي خليط من الأجناس الهنود الحمر والأوربيين والإسبان والزنوج وغيرهم ، وأكثر السكان كاثوليك ٩٦ ٪ ، ونسبة ٢٪ بروتستانت ، وفيها عرب مهاجرون من الشام ومصر وأفريقيا.

وبعد مضي السنوات الخمسة الأولى أتته برقيه فيها نعي والده ناصر .. فطلب إجازة بضعة أيام قضاها في البكاء والنحيب على جسد وروح والده الذي مات وهو بعيد عنه، ثم قرر أن ينزل للبلد ، فنزل فزار قبر والده ،وتصدق عن روح أبيه، وقد زاد سنه عن الخامسة والعشرين في ذلك الحين ، فطلب من أخته أمينة أن تخطب له فتاة من بنات الحي تقبل السفر معه ، فأرشده صهره إلى ابنة رجل يدعى خالد سنارة ، فله بنت جميلة حسناء تشتاق إليها العيون ، اسمها مجدية فذهبت أمينة إلى تلك الأسرة ، وتحدثت مع الفتاة وأمها عن محاسن أخيها ورغبته بالزواج من ابنتهم .. فرحبت الأم وزوجها خالد بذلك ، وأما البنت رفضت وأبدت رغبتها بالزواج من رجل مقيم في البلد ، وأنها لا تحب الغربة والهجرة ، ولكن إغراء المال والهدايا والعجلة ـ فعرفان سفره قريب ـ فقد ضغط الأب والأبناء على البنت ، وتعرضت للضرب والإهانة حتى تظاهرت بالرضوخ والموافقة ـ وهذا لم يعرفه عرفان ، ولا سمع به ـ فتمت الخطبة والزواج وسافر بها عرفان لتلك الدنيا ، وقضت معه سنة رأى منها التعاسة والشقاء والشجار، ولما رأى أنها مصرة على الطلاق والفراق والعودة للبلد ، وتيقن أو ترجح لديه أن أهلها أجبروها على الزواج طمعا بماله ، فطلقها وأعطاها مؤخر صداقها ، وسفرها على حسابه الخاص إلى بلادها ، فلما وصلت ذاقت من أهلها سوء العقاب والاحتقار ، فتقدم لها شاب كان عاشقا لها قبل زواجها وهو السبب الأكبر في فشل الزواج من السيد عرفان ،

وكان هو سبب تعاستها مع عرفان ، ولكنها قبل الزواج منه اكتشفت أنها حامل عندما قامت بإجراء الفحوص المعتادة لمعرفة الحمل ، وتأكد لها أنها حامل منذ شهرين ، وهذا هو سبب انقطاع الطمث ، فاضطربت واتفقت مع حبيبها على كتمان الأمر ، وأن يبقى المولود باسمه فوافق ، ولم يدركا خطورة هذا الأمر ، ولما انتهى الشهر الثالث ، وظن الجميع أن فترة العدة ـ عدة الطلاق في الإسلام ـ انتهت تم عقد الزواج ، وخرجا من الحارة إلى حارة أخرى ، وبعد شهور وضعت مجدية مولودها ونسبته لزوجها وحبيبها قبل الزواج ، وكانت مجديه في الشهور الأخيرة من الحمل قد هجرت أهلها ، ولم تزرهم ولو مرة واحدة حتى ولدت ، وأصبح وليدها ابن شهرين فتجرأت حينئذ أن تذهب إليهم ـ والغريب أن الأمر لم يثر دهشة الأقارب والأهل ، وإن اشتهر بينهم تبرير أن هناك حملا وولادة تتم خلال ست أشهر أو سبع ـ وهمس بعضهم أن معاشرة حدثت بين الزوجين قبل انتهاء العدة ، فحب وعشق مجدية لجاسم كان معروفا لأهلها ولبعض الجيران ، ولم يفكروا بالتدقيق بما يسمعون ، فهم بعد عودتها من فنزويلا كانوا يحتقرونها ويسمونها بالخائبة ، ويرون أنها لا تستحق النعمة أضاعت الثروة والغنى من أجل شاب هامل ساقط في نظرهم فتركوها وشأنها ، لقد ولدت إذن مجدية ولدا اسمته شاهرا وحمل اسم زوجها الأخير والحبيب جاسم ، هذا ما كان من أمر مجدية وجاسم.



بعدما فشل عرفان بزواجه من بنات دينه وبلده وجنسه انشغل بالدراسة والعمل ، وقام صاحب الشركات الكبيرة رومانوس بتزويجه من ابنة أحد كبار موظفيه ، واندمج كليا بحياة المجتمع الفنزويلي ، ونسي وطنه وبلاده ، وكان كل موسم عيد الأضحى يرسل لأخته أمينة ما بين ألف دولار إلى ثلاثة آلاف دولار حسب ما يتوفر لديه ويزيد عن حاجته ، واستمر على ذلك أربع أو خمس سنوات حتى تلقى برقية من بلده فيها نبأ وفاة أخته أمينة أثناء الوضع

لطفلها السادس فعندئذ كف عن إرسال المال والهدايا والرسائل ، وانقطع الخيط الذي كان يذكره بالوطن ، واندمج كليا في حياة رجال الأعمال في فنزويلا ، وبعد موت رومانوس الثري الفنزويلي تقاسم أبناؤه وورثته إدارة شركاته وأمواله ، فتشارك عرفان مع أحد الأبناء في إدارة أحد المصانع ، ونتيجة حادث كبير تعرض له شريكه استطاع عرفان امتلاك المصنع وحده .. ثم زادت الأموال بين يديه ، وزادت المشاريع ، وكبر عرفان سنا وثروة ، وقد أصبح الرجل من رجال أعمال تلك البلد ، فانضم للجمعيات والنوادي الخاصة ، وكذلك حضور مؤتمرات رجال الأعمال ، وكبر الأولاد من زوجته الفنزويلية التي ورثت هي الأخرى عن أسرتها المال الغزير ، وتخرجوا من الجامعات ، ونسي الناس أصله العربي مع طول السنين، وهو كأنه نسي ذلك.

أصابه الحنين بعد أكثر من ثلاثين سنة قضاها عرفان في فنزويلا حيث البترول والحديد والفحم والذهب والنحاس والكاكاو والقصب والذرة والجزر وسيمون بوليفار الثائر الفنزويلي ضد الاستعمار الإسباني، حتى عملة فنزويلا تحمل اسم هذا الثائر ، فاعلم أن جمهورية فنزويلا تقع على الشاطئ الشمالي لأمريكا الجنوبية وتحررت هذه البلاد عام ١٨٢١ ، وأصبحت جمهورية سنة ١٨٣٠ تحكمها حكومات عسكرية حتى سنة ١٩٧٣ م، وتزيد مساحتها عن ٩١٢ كيلو متر مربع ، فهي مساحة كبيرة ، وعدد سكان قليل حوالي عشرين مليون ، فلما بلغ عرفان الخمسين عاما خطر له النزول لوطنه العربي سائحا ، فأخذ إجازة ثلاثة أشهر، وسافر لمصر العربية حيث تتوفر الرحلات بالطائرة بين فنزويلا ومصر أو ينزل المسافر لأقطار الوطن العربي أولا إلى أمريكا الشمالية إما فلوريدا أو تكساس ثم أوروبا فالدول العربية ، وبعدما استراح بضعة أيام في قاهرة مصر نزل مدينته الكبيرة "الثعبانية" وهي عاصمة كبيرة ، ومركز القطر حيث المطارات ، والضواحي الكبيرة ، ومراكز الثقافة والعلم والجامعات والمدارس الكبيرة ، فوجد عرفان أن البلاد قد تغيرت شوارعها ، وكبرت عمارتها ، وزادت سيارتها ، وتطورت المدينة كثيرا .. فاشترى جبلا يبتعد عن قلب العاصمة

ساعة في السيارة المعتدلة السرعة ؛ ولكنه من ضمن حدود العاصمة ، وطلب من مكتب هندسي رسم مخطط لإنشاء قصر عظيم وضخم .. ثم أجرى اتفاقا مع إحدى شركات الإنشاء والعمران لإقامة البناء وتشييده ، وقد وقع عقدا مع مكتب محاماة ليكون وكيلا عنه في متابعة البناء والإنفاق عليه ومراسلته ، وخلال هذه الزيارة لم يحاول عرفان الاتصال بإخوته أو حتى معرفة أخبارهم ، فكأنه نسيهم تماما ، وحتى لم يحاول السؤال عن أولاد أخته أمينة ، إنما كان دافعه الرئيس لإنشاء القصر الحنين والشوق للوطن ، ولما رتب إنشاء القصر رجع لبلاده ، وبعد عامين اكتمل بناء القصر على قمة الجبل كما أحب ورغب.

وقد أحيط بالأسوار العالية ، والأنوار الباهرة ، وغرست فيه الأشجار، وأحواض الأزهار ، وتم إنشاء شارع معبد يمتد من القصر حتى شارع الحكومة الرئيسي ، وأطلق عليه العمال قصر الفنزويلي ، ولم كمل العمل قام عرفان بزيارته ومشاهدته حجرة حجرة وقاعة قاعة ، ورتب أمر فرشه بأجمل الأثاث ، وأفضله في ذلك الوقت ، ورتب له الخدم والحرس والطهاة ، كل ذلك بمساعدة وكيله مكتب المحامي " حميد عز الدين" ، وكان كل هؤلاء يقبضون مرتباتهم عن طريق الوكيل حميد ، وقد أصبح القصر مضافة وفندقا لكل ضيوف عرفان ومحبيه الذين ينزلون الشرق الأوسط للسياحة وحضور المؤتمرات والاجتماعات والندوات ، ثم قام عرفان بإنشاء شركة مع بعض رجال الأعمال الذين تعرف عليهم عن طريق المحامي حميد ، وبدأ يخطط لإقامة المزيد من المشاريع والاستثمار في هذه الدولة وقد وجد تعاون إدارة البلاد العليا معه ، ولم يحاول عرفان ذكر أي شيء لمن التقى بهم من أهل البلد عن حياته الماضية والطفولة والمراهقة في هذه المدينة التي شهدت ولادته ، بل لم يحاول الالتقاء بأحد معارفه وأصحابه أيام الطفر والإفلاس والجوع والتعري ، ولابد أنهم أصبحوا أشباحا في ذاكراته ، وكان يخطف نفسه في كل زيارة للقطر لزيارة قبر والده الذي مازال يذكره ، وكذلك قبر أمه، وكان كثير من رجال الأعمال الذين تعامل معهم في هذا البلد يظنون أنه غير مسلم ، ولكنه مستثمر من أصل عربي.

وكان عرفان بعدما اكتمل قصره الواقع على جبل الأعمدة في الثعبانية قد صار ينزل كل سنة أو سنتين للحياة فيه ، ويتفقد الاستثمارات والشركات التي أنشأها في موطنه الأصلي ، ويستقبل محبيه وشركاءه ، ولا ينزل الفنادق الكبيرة ذات النجوم الخمسة ، ويلتقي بمحاميه حميد عز الدين أو مساعديه وشركائه في المكتب ، وكان المكتب يوافيه بتقارير مجالس الإدارة في الشركات ، وتقارير شركات التدقيق المالي ، وكان يرافقه أحيانا في بعض الرحلات سكرتيره الفنزويلي السيد ارباس سبرانتو ، وكان من هوايات السيد عرفان والتي شغف بها جمع المجوهرات النادرة ، وينافس كبار الأثرياء في العالم للحصول عليها وابتياعها ، بل كان مغرما بهذه الهواية ، وكان يواعد تجار مثل هذه النوادر والالتقاء بهم في قصر جبل الأعمدة في مدينة الثعبانية ، ويعقد معهم الصفقات ، ويؤمن لهن الرحلات لتلك البلاد من أقطار الدنيا على نفقته الخاصة ، وينقلون إلى قصره بسيارات خاصة ذات مواصفات دقيقة وأمينة وحماية شديدة ، وقد عرفه كثير من رجال الأعمال والمال في الوطن ، وأصبح معروفا خلال سنوات على مستوى كبار رجال البلد ، وتنشر الصحف المحلية أخبار مجيئه وسفره ونشاطه واجتماعاته مع كبار الشخصيات، ويقوم هؤلاء بزيارته للسلام عليه والترحيب به عند مجيئه ، ودعوته للغداء أو العشاء وسهراتهم ، ولكنه يعتذر لاعتلال صحته في الآونة الأخيرة ، وعدم تعاطيه للخمر، وعدم ميله للسهر ، بل فاجأ محاميه يوما بأمره بتشييد مسجد جميل في أحد أحياء العاصمة الراقية ، مما ادهش محاميه الذي اضطر لمصارحته بهذا الأمر وقال له عرفان الفنزويلي كما اشتهر بذلك : أنا مسلم مثلك أيها الرجل ، وعربي مثلك.

فقال المحامي حميد العجوز : أنا أدركت أنك عربي منذ سنوات ، منذ بدأنا وتعارفنا، ولكنك لم تتحدث يوما عن عربيتك ودينك ، بل ظننت أنك من نصارى أو يهود العرب أيها السيد الكبير.

فقال عرفان متبسما : اسمي يدل على عربيتي.

فقال المحامي : " هو الوحيد الذي يدل على أنك عربي ؛ ولكن باقي الاسم فنزويلي كما هو

في جواز سفركم ..ولكني عرفت أنك عربي أيضا من سكرتيرك سبرانتو .. ، ولكنك تتحدث معنا بالإنجليزية وتتحدث معه بالإسبانية.

فتظاهر عرفان بالابتسام ثانية وقال : لقد درست الثانوية والجامعة هناك .. وأنا أترك كل أقوالي وأفعالي لارباس فهو صديقي منذ أكثر من عشرين سنة.. وأنا صحتي منذ سنوات تحتاج لرعاية خاصة من أجل ذلك يرافقني الطبيب باستمرار .. وأنا يا أستاذ حميد ابن هذا البلد .. هاجرت منه شابا صغيرا دون العشرين سنة .. بسنة أو أشهر .. ولي ما يزيد عن خمس وثلاثين سنة في فنزويلا .. أنا مسلم مثلك.

هذا ما استطاع أن يسمعه المحامي حميد من الثري العربي الفنزويلي بعدما تم الاتفاق على بناء المسجد .. وأخذ يشرف على تجهيز المستشفى الذي أنشأه السيد عرفان في ضاحية من ضواحي الثعبانية.



مضت عشر سنوات على عودة عرفان لوطنه ومسقط رأسه ، وقام باستثمارات متنوعة ومهمة في البلاد ، وذات يوم وهو نزيل القصر قصر جبل الأعمدة قال لسائقه الخاص وطبيبه اللذين يرافقانه في طائرته الخاصة من كاركاس إلى هذه البلاد عبر مطارات أوروبا : " أنا لي ذكريات في هذه البلاد ، ومن أجل ذلك أحب التردد على هذه المدينة فأمكث شهرا أو أكثر .. إن الحنين يدفع بي إلى مسقط رأسي ، رغم أنني لم أر بها يوما جميلا .. منذ وعيت على هذه الدنيا وأنا أرى المشاكل والصراع بين أبي المريض وزوجتيه أمي رحمها الله وضرتها .. ماتت أمي وأنا ابن اثنتي عشرة سنة ، ولما كبرت وأصبحت أملك بعض المال مات والدي ثم أختي الوحيدة ـ ومسح دمعات سالت على خديه ـ لم يبق لي أهل هنا .. وإنما أحب أن أزورها وأنام تحت سمائها .. والله لا أدري بالضبط لماذا ؟! وهمس لنفسه " هل أستطيع معرفة مصير إخوتي

الظلمة ؟ أو أبناء أمينة ؟ ..أمينة الحبيبة ، ورفع صوته فقال: آ.. أختي أمينة ـ رحمها الله ـ لها أبناء .. نعم ، لها أبناء .. ماتت عند ولادة الابن السادس .. أمينة ما زلت أذكر اسمها.. ما اسم زوجها ؟ قد غاب عن ذهني.. أريد أن أزور أولاد أختي وأتعرف عليهم .. هل يذكرون خالا لهم رحل قبل أربعين سنة ؟ إنني مشغول الفكر بهم منذ حين .. ولكنني كرهت الماضي كله.. سيعودون بي للماضي .. بي حنين وشوق لرؤية أطفال أمينة .. لقد أصبحوا كهولا اليوم ..أريد سائقا من أهل هذه المدينة يمكث معي يوما أو بعض اليوم أبحث عنهم عن حارتهم أو حارتنا.

حاول الطبيب منعه من هذه التحركات بنفسه خوفا على صحته ، فقد زاد تعب القلب منذ أتى المدينة منذ أيام مضت ، آثار الزمن بدأت تظهر عليه ؛ ولكنه عزم وأصر على لقاء أبناء أخته .. فهو يتذكر أن لها ولدا اسمه أحمد ، وبنتا اسمها فريدة ، ولا يذكر أسماء غيرها عندما كان في البلد .. وتردده عليها بعد موت أبيه وقبل موتها ، تكلم السائق الفنزويلي بارباريسكو مع المحامي حميد ، وحدثه برغبة السيد الكبير عرفان رشيدي فقال المحامي قلقا : ألا يخشى على حياته الضعيفة ؟

فقال السائق : الطبيب يحثه على عدم تحقيق هذه الرغبة وأن يقوم بها آخرون.. ونحن خائفون عليه من أعدائه وحساده أيضا.

ـ أتخشون عليه الاغتيال ؟! .. هذا أمر خطير!

فتبسم السائق وقال : لا تخلو حياة رجال الأعمال الكبار من هفوات وأعداء يا سيد حميد.

ـ نطلب حماية البوليس..

ـ لا ، فحراسه معه .. وهو يريد أن ينزل بسيارة عادية عامة .. فنريد سائقا محليا كبيرا في السن له معرفة في المدينة وشوارعها القديمة .. دبر ذلك السائق العتيق.. ولا تخبره بالمهمة المطلوبة نحن نخبره .

استقبل السيد عرفان في قصره ليلا المحامي ، وبرفقته سائق سيارة كهل أمضى جل عمره في

العمل على خطوط النقل العام ، وكان المحامي قد شرح له نوع المهمة التي سيقوم بها فرضي بذلك ، وأبدى استعداده لمساعدة السيد عرفان في عملية البحث .. وقد رفض السيد عرفان ذكر أسماء للسائق ، بل أصر على الركوب والنزول معه وزيارة الحي الذي ولد وترعرع فيه قبل ستين سنة .. فانصرف المحامي وقضى السائق ليلته ضيفا على السيد عرفان ، فاستمتع بما في القصر من خيرات ومتع دنيوية ، وسهر مع بعض الحراس العرب ، وسمع منهم ما يعرفونه من معلومات عن الثري الفنزويلي القاطن على هذا الجبل ، ولما أصبح الصباح ركب عرفان إلى جوار السائق بعدما ذكر له اسم الحي فقال السائق: "هذا حي قديم جدا يا سيدي .. لقد قامت الدولة قبل سنوات بعيدة بهدمه وإعادة تنظيمه ، وإقامة حي جديد مكانه .. ولكنني أعرفه."

كان يركب معهم في السيارة سائق عرفان برباريسكو ، وأحد حرسه الفنزويلي (سيمون توفازي) فقال عرفان بعربية : "سر بنا للحي القديم .. لعلي أتذكر اسم زوج أختي."

بعد ساعة من السير في السيارة ، وقف السائق العجوز أمام مدخل شارع مزدوج ، يكاد أن يسع سيارة واحدة فقط في كل اتجاه ، وكان على رأس الشارع محل "سوبر ماركت " وقال السائق لهم :" هذه بداية هذا الحي الذي ما زال يحمل نفس الاسم القديم .. حي البراغمية"

هتف عرفان فرحا : البراغمية ! .. حي البراغمية ! .. أذكر أن أكثر عائلات الحي تحمل هذه الاسم .. فمن أجل ذلك سمي الحي باسمهم .. وإن كنا نسميه أحيانا بحارة السعدية.

فقال السائق بنوع من الذهول : قبل أربعين سنة يا سيدي كنت صبيا تلعب وتسكن في هذا الحي!

ابتسم عرفان وقال ساهما : ألعب ! .. نعم ، كنت ألعب قبل موت أمي .. أمي رحمها الله .. نعم أيها الرجل الطيب .. كنت ابن هذه الحارة .. ولكنها تغيرت تغيرت البيوت .. وعُبد شارعها الترابي .. وتغيرت دكاكينها .. والدنيا دول يا بني! .. هنا بدأت الحياة وقسوة العيش عليّ ..الحق أن الدور والمباني مختلفة كثيرا عما أعرف .. ادخل في كل الشارع قبل أن تسأل عن

بيت والدي أبي زياد .. كانوا ينادونه أبا زياد .. هذا اسم بيت والدي .. لقد نسيت أسماء الجيران.

قطعت السيارة الشارع حسب رغبة عرفان حتى وصلت منتهاه ، فقال عرفان : الآن اسأل عن بيت أبي زياد الرشيدي.

أوقف السائق أبو خليل السيارة أمام أحد المحلات ، ونزل يسأل عن منزل رجل مات قبل أربعين سنة أو أقل بسنوات ، فرد صاحب الدكان أو الشاب العامل فيها : الرشيدي!.. لا يوجد أحد من آل الرشيدي في هذا الشارع.

وقد كان رجل عجوز يجلس على مقعد مريح في داخل المحل ، فنهض وتقدم نحو باب الدكان وهو يقول : من الذي يسال عن آل الرشيدي ؟!

فتنحنح السائق وقال : مرحبا بك يا عمي الشيخ .. نحن نسأل عن دار الرشيدي أبي زياد يا عم .. هل أنت من السكان القدماء في هذه الحارة ؟

فقال الرجل : أجل ، يا ابني .. ولدت هنا وكبرت هنا وقد أموت هنا .. وأنا لما سمعتك تسأل عن أبي زياد الرشيدي عادت بي السنون والذكريات.. لقد كانت هنا أسرة من دار الرشيدي يا سيدي.

ـ أخوك أبو خليل صاحب هذه السيارة يا عم .. ثم أشار أبو خليل للسيد عرفان الجالس في السيارة وقال : معي رجل غريب .. ضيف على البلد يسأل عن أبي زياد الرشيدي في هذه الحارة وهذا الشارع بالذات.

فردد العجوز : ضيف .. أهلا وسهلا ولكن الرشيدي الذي تسأل عنه قد مات منذ عهد بعيد.. ولولا أحفاده لنسيت آل الرشيدي .. فقد خلع ورحل أولاده وبناته من الحي قبل موته بسنوات.

فقال السائق : صح .. هو أيضا يقول أن الرجل قد مات ، ولكن لهذا الرجل الرشيدي ابنة تدعى أمينة وتنادى بأم أحمد.

فقال العجوز بفرح : نعم ، نعم .. أم أحمد ..هم فقط من بقايا أحفاد الرشيدي من جهة ابنته أمينة مازالوا يقطنون في هذا الحي .. إنها امرأة فاضلة أتريدونها ؟

ـ بالتأكيد نريدها.. فالضيف الغريب قريب لها .. هو يريد أولادها ؛ لأنه كما قيل له بأنها ماتت هي الأخرى .

بهت العجوز وقالت : ماتت! ومتى ماتت أم أحمد ؟! منذ يومين رأيتها .. أمينة بنت ناصر الرشيدي ماتت .. أمينة ماتت لم نسمع بذلك.

توكأ الرجل على عكازه وتبع أبا خليل نحو السيارة ، وكان أبو خليل قد سبقه يشرح الموقف للسيد عرفان الذي اضطرب وتغير لون وجهه ودقات قلبه حتى خاف السائق والحارس عليه وكان عرفان قد وضع يده على قلبه وقال : لا تخافوا .. إنني أخشى من مفاجأة !.. فأبو خليل أتانا بكلام غريب من هذا الرجل.

تقدم الرجل الكبير في السن وصافح السيد عرفان ، وهو يقول باستغراب : من قال لك أيها الرجل أن أم أحمد ماتت ؟! .. نحن جيران ولم نسمع بذلك.

فقال عرفان وهو في حالة اضطراب : علمنا بذلك يا سيدي .. علمنا بموتها منذ عهد بعيد!

فقال الرجل : إنها لم تمت الذي مات بعلها .. ولم يمت من عهد وزمن بعيد إنما مات من سنوات قليلة .. من أنتم ؟!

فقال عرفان : دلنا على بيتها .. ونحن لك من الشاكرين .. فأنا صديق أخ لها من بلد في أمريكا اسمها فنزويلا.

فقال الرجل : سمعنا بهذا البلد .. فنزويلا .. أخوها عرفان .. لقد قيل لنا أنه قد مات منذ أربعين أو خمسين سنة.

ردد عرفان دهشا : مات !! ومن قال لكم ذلك ؟

فقال العجوز : ستعرف ذلك منها .. أنا صديق والدها ووالد زوجها الحاج أحمد حماضي.

هتف عرفان كأنه تذكر فقال : أجل أيها الرجل الطيب ! .. آل حماضي وزوجها اسمه داود

حماضي.

فقال الرجل : صدقت ..هل أنت قادم من طرف أولاد عرفان.. لابد أنه تزوج بعدما طلق ابنة خالد سنارة ؟

فقال عرفان : اصعد أيها الرجل الطيب ، وخذنا إلى بيتها ، وستعرف من نحن عندما نراها.

فركب الرجل بجوار الرجلين الحارس والسائق ، وساروا حسب إرشادات الرجل حتى وصلوا إلى عمارة مكونة من عدة طوابق ، وأمرهم بالوقوف أمامها وهو يقول : هذا العمارة لهم .. دعني أطرق الباب عليها.

فقال عرفان وقد بلع بعض حبات الدواء : افعل أيها الشيخ الطيب.

قام أبو خليل بفتح الباب له فنزل رويدا رويدا من السيارة ، وتقدم نحو مدخل العمارة وضغط على الجرس وهو يتمتم : أرجو أن تكون في البيت.

وسمعوا صوتا يقول بواسطة جهاز هاتف الباب : من ؟

فقال الرجل : أم أحمد .. هل هي موجودة .. أنا أبو سالم عمكم أبو سالم ؟

فقال الصوت : تفضل بالدخول يا أبا سالم.

فرد : لا أريد الدخول أين أمكم ؟

الصوت : إنها غير موجوده الآن هل تحب أن نبلغها شيئا ما ؟

قال أبو سالم : يا ابني هنا رجل غريب من فنزويلا صديق لخالكم الميت عرفان الرشيدي هو الذي يريدكم ويسأل عن أمكم.

فقال الصوت : انتظر يا أبا سالم.

بعد لحظات أقبل شابان صغيران فسلما على أبي سالم ورجال السيارة وهم في حيرة فقال أحدهم : ما الأمر ؟!

فقال أبو خليل : هذا الرجل غريب ، ويسأل عن أمكم أم أحمد ، أين هي ؟ وهو قادم من فنزويلا.

فقال أحدهم وهو ينظر للرجل باستغراب : أنا ابنها وهذا حفيدها.

فصافحهم عرفان وقال : أين أمكم أو جدتكم ؟

ـ خرجت في حاجة و..

ـ متى تأتي ؟

ـ لا ندري .. هل من شيء ؟!

قال : لا تقلقوا .. سيمر عليكم هذا الرجل ـ أبو خليل ـ فأرجو أن تأتوا معه بها وبكم فأنا صديق لخالكم عرفان ناصر.

فقال الابن : عرفان ـ رحمه الله ـ ما الذي أتى على ذكره هذه الأيام ؟

ـ عندما تأتون سوف تعرفون .. وإذا لم تأتوا انتظروني غدا صباحا سأمر عليكم سلموا على أمكم كثير السلام .. وأنا في انتظاركم مساء.

وودع عرفان الرجل العجوز أبا سالم ، وعادوا للقصر والأفكار تلعب بعرفان والسؤال الذي يتردد على عقله وقلبه : من الذي أرسل له بخبر موتها وأخبرها بموته ؟! .. هذا لغز يحتاج لحل وكشف.



ظهور عرفان

لما علمت أم أحمد العجوز التي قفزت عن الستين عاما بزيارة الزائر الغريب القادم من فنزويلا من طرف أخيها عرفان استغربت ذلك واحتارت .. ما الذي ذكر هذا الغريب بهم بعد هذه العقود الأربعة ؟! .. فاتصلت بابنها الدكتور أحمد وابنتها الطبيبة فريدة وجمعت أفراد الأسرة لمناقشة ذلك ، فلقد أنجبت هذه المرأة سبعة أنفار بين ذكور وإناث ، وأصغر أولادها الشاب الذي التقى بالسيد عرفان وهو طالب بالجامعة ، وكذلك ابن أخيه أحمد ، فلما اجتمع الأبناء وسمعوا قصة الرجل القادم من وراء البحار يسأل عن أمهم شرقوا وغربوا حتى قال أحمد : عندما يأتي أبو خليل سنعرف المزيد عن هذا الزائر الغريب .. فخالنا منذ وعينا على الدنيا .. ونحن نعلم بأنه مات في حادث في بلاد الغربة في أمريكا اللاتينية وانقطعت أخباره .. فمن هو هذا الرجل الذي يعرفه ؟! أتظنون أن له أبناء تذكروننا الآن .. ربما ؟!

ولما اقترب الغروب كانوا على أحر من الجمر في انتظار السائق أبي خليل ، وجاء أبو خليل مع الغروب فما كاد يضغط الجرس حتى كان الدكتور أحمد يستقبله ويرحب به ويدعوه للدخول لشرب الشاي أو القهوة ، فاعتذر الرجل وبين لهم لهفة الرجل على لقائهم ، فقال له الطبيب : يا أبا خليل .. ماذا يريد هذا الأجنبي من أمنا ؟!

ـ لا شيء .. سوى التعارف ، وهو في انتظاركم ، واطمئنوا فهو رجل فنزويلي .. رجل عظيم وثري ، وله قصر هائل على قمة جبل الأعمدة .. فلا تقلقوا من جهالته فهو معروف على مستوى كبارات ورجال البلد .. هيا المهم أمكم .. هو يريد الوالدة على الأخص.

ـ الأمر مربك وغريب يا أبا خليل !

ـ بل سار لكم ، وهو مشتاق لكم ، وستسرون من لقائه فهو رجل محترم وكريم.

فصعد الدكتور وتحدث مع الأسرة ، فنزلت الأم والأخوة الذكور ، فركب الدكتور أحمد بجانب أبي خليل ، وأمه وأحد الأخوة في المقعد الخلفي ، وركب أخوان في سيارة الدكتور أحمد ، وانطلقت السيارتان نحو قصر الفنزويلي الكائن على جبل الأعمدة ، وبعد مسير

استغرق ساعة أشرف القوم على بوابة القصر الضخمة ، ولما رأى الحارس أبا خليل السائق، فتح لهم الباب ، فدخلوا القصر وأغلق ورائهم الباب .. كانت أمينة متوترة ويكاد قلبها يقفز من صدرها ، وبعد دقائق كانت السيارتان تقفان أمام درجات من الرخام في مدخل القصر .. وكان السيد عرفان يجلس على مقعد على بسطة في أعلى الدرجات ، وحوله رجاله ، فلما فتحت السيارة ونزل أبو خليل يفتح لهم الباب ، وقف عرفان يراقب النازلين .. وعلى ضوء الفوانيس الساحرة شاهد عرفان أخته أمينة حية التي كان يعيش كل هذه السنوات على أنها ميتة .. وأمينة لما رأت عرفان ازداد خفقان قلبها .. واضطربت ساقاها .. فأمسك بها أحمد وآخر ، والتقى الأخوان على منتصف الدرج وهتف عرفان مضطربا: أختي أمينة!

هتفت أمينة : أخي عرفان!

وتعانق الأخوان عناق الأحبة والذهول ، وعرفان يهمس : أخبروني أنك مت أثناء الولادة !

ـ أخبروني أنك مت بحادث سير ودفنت هناك!

وتقدم الشباب يصافحون خالهم ويعانقونه ويلتزمونه ، وهم يذرفون الدموع مثلهم ، وهم في حيرة واستغراب من هذا اللقاء ، وتقدموا إلى إحدى قاعات القصر ذات الأثاث والفراش الوثير والمزينة بالزخارف والأنوار المثيرة والجميلة ، وجلسوا فيها ، وقص عرفان مختصر حياته على أخته والبرقية التي أتته فيها نعيها ، ثم غرقه في حياة المجتمع الفنزويلي ثم قال : لي عشر سنوات أتردد على هذا القصر وعلى هذا البلد .. وأنا أعتقد أن أمينة ميتة وفقدتها كما فقدت أمي وأبي .. لم أسأل عن أحد ؛ إنما أحيانا أخطف نفسي وأزور قبر أمي وأبي .. نسيت إخوتي وأخواتي من زوجة أبي أم زياد .. حتى وقع في نفسي لقاء أولاد أمينة بعد كل هذه السنين .. كنت لا أريد أن أرجع للماضي .. وهو الذي دفعني لبناء هذا القصر .. الحنين للبلد يا أمينة.

وأمضى الأخوة ساعات طويلة بالحديث والذكريات ، وسر عرفان من كفاح أخته في تعليم أبنائها ، وعزاها في زوجها داود عندما جاء ذكره ، وفرح وسر من أولاد أمينة الأربعة ـ أحمد وسعيد ومحمود وخضر ـ وتمنى رؤية البنات ـ فريدة وسعيدة وسعدية ـ والأحفاد ، ولما أراد

الأولاد الانصراف أصر على بقاء أخته معه هذه الليلة ، فوافق الأولاد على تحقيق رغبة خالهم ، وانصرفوا وهم مسرورون لمقابلة الذي كانت أمهم تحدثهم عن صبره وجهاده مع أبيه .. فقد ترك المدرسة واشتغل بائعا في مواقف ومحطات السيارات والباصات والحافلات لتوفير المال لشراء الدواء والمصروف للأسرة ، ثم عمله خادما في الفندق ، ثم رحيله إلى كاركاس ، ثم انقطاع أخباره بعد زواجه من مجدية ابنة الحي وطلاقها.

ولما أصبح النهار كان الأولاد السبعة وأزواجهم في قصر الفنزويلي يتعرفون على خالهم وجدهم ، ويتناولون الإفطار على مائدته ، وكان عرفان قد طلب من سكرتيره ارباس بتحويل مائه ألف دولار ووضعها في حساب لأخته أمينة، واتصل بالمحامي حميد وكلفه بشراء فيلا كبيرة في حي حديث الإنشاء بأي ثمن وبأسرع وقت ، وهو يقول لأمينة : أنا أعرف أن المال لا يعوض السنوات التي ابتعدنا بها عن بعض ؛ ولكن هذا أقل القليل أقدمه لأختي الحبيبة.

وغمر الفرح عرفان وهو يلتقي بأسرة أخته البنات والأولاد والزوجات والأزواج ، وقدم للجميع الهدايا الذهبية ، وطلب منهم أن يسمحوا ببقاء أمهم عنده حتى ينصرف لفنزويلا ، فميعاد سفره قد اقترب ، وقبل سفره بيومين جاءت امرأة تطلب مقابلة السيد عرفان ، وكان برفقتها رجل فاعتذر عرفان عن مقابلتهم، وأن وضعه الصحي لا يسمح له بذلك ؛ ولكن الحارس أخبره أن المرأة تدعي أنها كانت زوجته قديما .. فلما سمع ذلك تذكر مجدية سنارة .. الزوجة التي عاشت معه سنة واحدة ، فأذن لها عرفان بخمس دقائق ، وأدخلها أحد الحرس إلى غرفة أشار إليها عرفان ، ولما دخل عليها وجدها تتفرج على مناظر معلقة على الجدران ، فلما سمعت صوته استدارت إليه وقالت : والله يا عرفان .. كل هذا الغنى غارق فيه ..! هذا ابني.

وأشارت إلى رجل متهالك على أحد الكراسي ، مبعثر الشعر ، ساهم العين، رث الثياب ، والذي لم يهتم بدخول عرفان ولم ينهض للسلام عليه ، فنظر إليه عرفان ممتعضا ثم قال : أهلا

آ.. يا مجدية .. ماذا تريدين من طليقك القديم؟! .. ألم تكرهيني على الطلاق يا ابنة الناس؟

فردت قائلة : بلى .. كانت الحياة هناك كالجحيم .. أو الجحيم نفسه.

فقال متهكما : الحياة هكذا تكون بدون الحبيب ! .. ماذا تريدين ؟

فقالت محاولة الحزن : مات الحبيب وترك ثلاث بنات ، وتزوجت آخر وطلقني ، ثم تزوجت رجلا كبيرا ومريضا ، وأنا على ذمته الآن.

عاد عرفان المتحفز للانصراف يسأل : ماذا تريدين مني ؟

فقالت : أترى هذا الشاب الجالس ؟

فقال : نعم ، قد رأيته .. يبدو أنه أحمق مثلك.

فقالت بقوة : إنه ابنك .. ومن صلبك.

قهقهة عرفان وقال : أعتقد أن الخمس دقائق انتهت.

وضغط على زر فدخل الحارس فقال له : اصرفها .. ودع ارباس يدفع لهذه المرأة ألف دولار لأنها كانت على ذمتي في يوم ما .. مع ألف سلامة.

فصاحت : لا تعجل يا عرفان .. والله العظيم إنه ابنك!

فصرخ بها : ابني !.. من أين أتى هذا الابن ؟! .. اخرجي.

وخرج ولم يحب أن يسمع التفاصيل ، فقادها الحارس حيث السكرتير الذي أعطاها شيكا بألف دولار ، فرمته في وجهه وانصرفت هي وولدها ، وكانت قد تركت في غرفة الاجتماع مظروفا ذكرت فيه قصة هذا الابن.

فلما عرف عرفان بالمظروف الذي تركته أخذه وقرأه وكان فيه ، أنها اكتشفت بعدما عادت للوطن بأنها حامل ؛ ولكن لحبها الشديد لجاسم تظاهرت بأنها غير حامل ، ولما انتهت شهور العدة الثلاثة تزوجت على أنها غير حامل ، ولا يعلم بذلك إلا هي وجاسم ، وقد وافق جاسم على أن يحمل الطفل اسمه ، وهذا ما كان ، ولما انتشر وشاع خبر موت عرفان نسيت أنك أبوه ومضت الأيام تحمل هذه الأسرار حتى علمنا بحياتك ، فكان يجب أن تعرف الحقيقة.

قرأ عرفان هذه الرسالة ، فاحتار بما فيها من أخبار وإعلام وصحة المعلومات الموجودة فيها ، فهو يعلم أن زوجته كانت غير راغبة بالحمل منه.. فكيف حملت ؟! ولم يطل التفكير فهو على موعد سفر ، ولما أتت أخته في المساء مع أولادها ليودعوه ـ فقد كانت خرجت أمينة لقضاء أمر ـ فخلا بها عرفان وحدثها بزيارة مجدية وقصة الولد ، ورفضها المساعدة فاستغربت أمينة هذه الأخبار ، وإن لم تنكر أن مجدية وضعت مولودها الأول ، كما سمعت وسمع الناس قبل إكمال الشهور التسعة للحمل ، وأثار ذلك حولها لغط الناس وإشاعاتهم.

فرحل عرفان لفنزويلا وهو يحمل هذا الهم الجديد والغريب، وكيف سيتأكد من هذه البنوة ؟! ولعن الساعة التي تزوج بها تلك المرأة الشيطانة ، فلما دخل القصر الذي يقطنه في منطقة "لا لاجوتيينا" حيث القصور والفيلات الضخمة التي تتجلى فيها أشكال المعمار الحديث، وتقف على حافة منحدر جبلي لتشرف على المدينة كلها ، دخل عرفان القصر وهو مشغول العقل والفكر والفؤاد بما سمع وقرأ عن بنوة شاهر ، فكان يقول لنفسه: لم يتكلم الولد أثناء الكلام لزم الصمت .. وهيئته تدل على بؤسه وتعاسته .. لزم الصمت لماذا؟! حتى عندما طردهم الحارس ظل صامتا .. هل يمثل دورا ما أم هو مثلي غير مصدق بأنه من صلبي؟! .. لذا لزم السكوت ليرى رد الفعل لديّ.

وبعد أن اطمئن على الأعمال والشركات التي يديرها أولاده العشر المنتشرين في كاركاس وغيرها من المدن المهمة في البلاد كـ" ماراكايبو ، وجرمانا ، وكولونيا توفاز، وميريدا "، اتصل بصديق له منذ البدايات الأولى في هذه المدينة، وحدثه بذلك السر العجيب ، ولما استـفسر الصديق عن سبب صبرها كل هذه السنين على الكتمان ، فقال عرفان : الحياة كلها غرائب !.. لقد أشيع عني قديما أنني مت منذ السنوات الأولى لي في هذه البلاد ، ولما عرفت بحياتي في الزيارة الأخيرة لي للبلد .. أتت واعترفت لي بذلك الحمل وبتلك الجريمة .. وحتى لو عملنا فحوصات الدم وفصائل الدم والجينات سيبقى الريب في نفسي .. هذه سنوات طوال أربعين سنة .. قتلتني قتلها الله ! .. هذه الحقيقة لا يعرفها إلا هي وزوجها .. وهي تقول

أن زوجها قد مات .. وأكدت لي أختي ذلك .. أختي التي وجدتها بعد أربعين سنة .. فقد أكدت لي ترملها من السيد جاسم .. فما العمل ؟!

فقال الصديق القديم الدكتور سيرجي باربوسا : لو تمت فحوصات معينة قد تتبين الحقيقة من زمر الدم والجينات ؛ ولكن يبقى الريب والشك في النفس لأن نصف جينات الولد من الأم .. والزوج الذي رضي بإعطاء اسمه لحمل عشيقته فقد هلك ، وكلام الزوجة وحده غير مطمئن.. فلديّ فكرة ! فعليك أيها الصديق الكبير بالاستعانة بمكتب تحريات بوليسية خاص ليجمع لك أكبر كمية من المعلومات عنها ، ومن اليوم الذي طلقتها فيه ، وعن أسرتها وأحوال البيت ، وعلاقة الأب الميت بالابن شاهر ، وموقف أهلها من ولادتها المبكرة .. وهل كانت علاقة شاهر بأبيه جاسم علاقة حميمة أم علاقة سيئة تدل على التنافر والصراع ؟ .. دراسة لحياة الأسرة والبنات والزوج الثاني والثالث .. لعلنا من سيرة حياتهم الوالد والأم نصل إلى شيء .. هذا حل .. وهناك حل آخر يا عرفان أن تعرض عليها مبلغا مغريا من المال لتقول الحقيقة .. فإغراء المال قد يساعد أيضا في معرفة الصدق .. ويمكنك الإتيان بالولد هنا وسماع أقواله فلابد أنه يعلم شيئا من ماضي أمه.

بعدما استمع عرفان لكل أفكار صديقه الدكتور سيرجي قال : سأكتب لصديقنا المحامي حميد رسالة ليكلف مكتب تحريات خاصة بهذه القضية .. ويحاول تسفير شاهر فيما بعد إلى هنا وبعد لقائنا بشاهر سنعرض المال على تلك الآثمة .. تلك المجرمة .. لم تصبر عن عشيقها حتى تضع الحمل .. تزوجت متظاهرة بأنها بريئة الرحم .. صدق يا صديقي لولا كلام أختي أمينة عن الإشاعات التي رافقت حملها وولادتها حول المولود الأول لمجدية لما فكرت بكل ذلك .. فهي التي حرمتني من البنوة والأبوة .. مكثت عندي سنة وهي تصر على رفض الحمل .. لولا تلك الإشاعات لما اهتممت بكلامها إلى آخر العمر ؛ ولكن قد قيل إنه ابني.

كتب عرفان رسالة مفصلة للمحامي حميد ، الذي دهش لمطالب عرفان، واستغرب من تلك القصة ، ولما جلس مع الدكتور أحمد وسمع منه قصة زواج عرفان من مجدية خالد جارة

العائلة ، فهم اللغز والإشكال ، والتقى المحامي حميد نفسه بمجدية ، وأخذ منها بعض المعلومات الأولية ، ثم زار مكتب تحريات خاصة يديره المفتش الشرطي المتقاعد "حمزات عالبوه" ، فشرح له القضية المطلوب جمع المعلومات عنها ، فوافق المكتب على القيام بهذه القضية بعدما اطلع على المعلومات والأشخاص المطلوب التحري عنهم ، وقال المحامي : خلال شهر يا سيدي أريد أن يكون بين يدي ملف مفصل عن هؤلاء الأشخاص.

ولما اتفقا على الأتعاب ، وقع المحامي على العقد ، ودفع مبلغا مقدما ، وانصرف شاكرا لمكتب التحري تعاونه واستعداده لجمع المعلومات المطلوبة.



تقرير المكتب الخاص

كان عرفان ناصر ينتظر تقرير مؤسسة التحري في الثعبانية حول الأشخاص الثلاثة مجدية وشاهر وجاسم ، لذلك لما اتصل به المحامي وأخبره أن التقرير في الطريق إليه بواسطة البريد فزاد توتره وترقبه ، وكان كل من يراه يدرك أنه في قلق واضح حتى أن أولاده في حيرة من أمره ، فهم لم يطلعوا على المشكلة التي يعاني منها منذ عاد لقصره في فنزويلا ، وقد عجبوا من كثرة سؤاله عن البريد القادم من وطنه الأول ومسقط رأسه ، وقد حاول بعضهم الحديث معه في الموضوع ، فصدهم وطلب منهم عدم الانشغال به ، وعليهم الاهتمام بمصانعهم وشركاتهم ، ولما أتى التقرير وفض مغلفه ـ كان يجلس في مكتبه الخاص داخل القصر ـ طلب من الخادم عدم إدخال أي مخلوق عليه ، وأغلق خطوط الهاتف ، وأخذ يقرأ ما جاء في تقرير شركة التحريات الخاصة فوجد:

السيدة مجدية سنارة كانت قبل زواجها من ابن الجيران المهاجر عرفان الرشيدي على علاقة عاطفية قوية مع الشاب جاسم سرور بزة ، وكان ذلك في نظر أهلها حب مراهقين ، فلم يكترثوا له ، وإن حاول بعض إخوتها وقف هذا الحب بالشجار مع الشاب جاسم ، وأحيانا بإهانة الفتاة ، لكن الحب المزعوم استمر بين الشابين ، ولما تقدمت أخت السيد عرفان ـ السيدة الفاضلة أمينة ـ لطلب يد الفتاة لأخيها عرفان من والدي مجدية رحبوا بذلك ، رغم رفض الفتاة الزواج ، وقد علمنا ممن عاصر هذه الأحداث ، كأمها وبعض إخوتها أنهم أمام إغراء المال والسعادة المنتظرة ضغطوا كثيرا على البنت للموافقة على هذا الزواج ، بل هدد أحد الأولاد بقتل جاسم أو المكر به إن لم تتزوج السيد عرفان ، وأمام الضغط وضعف المقاومة من الفتاة ، وعدم استطاعة الشاب جاسم على الاقتران بها يومئذ استسلمت الفتاة للزواج من رجل لا تحبه .. سافرت معه إلى فنزويلا حيث هاجر السيد عرفان ناصر للعمل منذ سنوات ، وقد فوجئ الأهل بعد سنة بعودة ابنتهم من هناك ، وهي تحمل ورقة الطلاق بيديها ومؤخر صداقها وزيادة ، وقد علمنا أن الفتاة أثناء غربتها كانت على اتصال بواسطة

الرسائل والخطابات مع عشيقها وحبيبها جاسم ، وحاولنا الحصول على بعض الخطابات ، ولم يتيسر ذلك لضياعها وعدم الاهتمام بها ، ولما عادت البنت للوطن ، وقد فشلت في الزواج ، ولم تنجب من زوجها كما بدا لهم آنئذ ، فنقمت عليها الأسرة ، ولما تقدم الشاب جاسم للزواج منها حسب ما اتفقت البنت والشاب لم يعترض أحد من أهلها ، بل فرحوا بالخلاص منها ، فما كادت تمضي الشهور الثلاثة أو القروء الثلاثة من يوم الطلاق حتى كانت الفتاة تنتقل لبيت جاسم سرور، ويغادران الحي إلى حي مجاور ، وكان أهلها منذ تلك الأيام يحتقرونها ، ولا يهتمون بشأنها، ولا ينظرون إليها بعين الشفقة والرحم ، وهي بادلتهم نفس الشعور والتحدي.. وفعلا عندما وضعت مولودها الأول سرت في محيط الأسرة والحي القديم إشاعات وهمهات بأنها حملت قبل عقد الزواج من جاسم ، وأنها استسلمت لعشيقها قبل ليلة الزفاف ، ولكن الفتاة تنفي ذلك ، وتنفي عن نفسها الزنا والفاحشة قبل زواجها من جاسم وبعده ، ووضعت المولود شاهرا في تاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٣ م في مستشفى (حليمة النهدي) ، وهذا المستشفى القديم قد أغلق بسبب وفاة مالكه ، ثم باعه الورثة لطبيب آخر ، ثم تم نقله من مكانه القديم ، ولم نتمكن من الوصول إلى الملفات القديمة لتلفها وهلاكها وضياع أكثرها وعدم اهتمام الإدارات المتعاقبة على حفظها ومن ثم انتقال المستشفى إلى بناء آخر.

والشاب شاهر لم تكن علاقته بوالده جاسم علاقة حميمة ، وكما علمنا أن والده لم يكن قاسيا عليه ، بل كان تاركا له الحرية في الأعمال والتصرفات ، بل لم يهتم به عندما تعلق بالشراب واللهو والميسر، فقد تركه على حريته الكاملة؛ ولكنه كان يتضايق منه عندما يتشاجر مع أولاد الجيران والناس ويقاد لمركز ومخفر البوليس ، ولا يسعى لمساعدته في محنه .. وقد سجن شاهر أكثر من مرة ، ولم يفكر جاسم بزيارته يوما ما في سجنه ..وهذا الفعل فعلته أمه مجدية أيضا .. فشب الشاب ولم يحسن التـعلم في المدرسة.. فقد تركها مبكرا ، ولم يسلك في الأعمال والحرف التي وجـّه إليها ، بل كان عبئا على والدته .. وكانت إحدى أخواته تنفق وتصرف عليه عندما

كبرت واشتـغلت ، وذلك بعدما تخرجت من الجامعة .. ورغم اقتراب الشاب من الأربعين سنة فما زال أعزبا .. ورغم وفاة والده مبكرا ، لم يحاول تحمل أعباء الأسرة ، وظل على ما نشأ عليه .. ثم تزوجت أمه بعد وفاة زوجها بسنة من صاحب لزوجها ، ثم طلقها بعد سنين ، وهي الآن زوجة لرجل كبير في السن ، وما زالت عنده لليوم .. وقد زوجت بناتها الثلاث اللواتي ولدتهم من زوجها جاسم سرور، والشاب شاهر بعد زواج أمه من صاحب أبيه استولى وسكن في بيت والده جاسم الذي اشتراه بعد زواجه من السيدة مجدية .. وقيل إنه من أموال زوجها المهاجر ، ولا أحد من أصدقاء جاسم سمعه يتحدث في أي يوم على أن شاهرا ليس ولده ، وليس من صلبه ، ولا حتى مجدية ، لم يصدف أنها حدثت أحدا على أن شاهرا ليس ابن زوجها جاسم ، فالكل يعرف أنه ابنه وإن أثيرت شائعات عند ولادته ؛ لأنه ولد قبل إكمال الشهور التسعة أو حتى السبعة .. فالأمر غامض .. والأم مجدية تصر على أنها أتت من أمريكا حاملا ، ولم تكتشف ذلك الحمل إلا عندما وصلت البلد وبعد حين ، والتقت بحبيبها جاسم واتفقوا على الزواج .. فقامت بعمل فحص الكشف عن الحمل بسبب انقطاع الطمث فتبين لها الحمل، وخشيت إن تأخر الزواج من جاسم لما بعد الولادة أن يزوجها أهلها لرجل أحسن حالا منه ، فوالدها وأهلها ممن يعشقون المال عشقا غريبا مع شح كبير ، وتقول مبررة أيضا " إنها لم تكشف سر الحمل آنذاك حتى لا يفكر أهلها بإعادتها لزوجها المهاجر .. " تقول " إنها كانت تفكر يومئذ بعقلية المراهقة ، ولا ترى في الدنيا إلا جاسرا .. الحب وبس ! " وهي تعترف بخطئها الكبير ولكنها تتدعي :" أن الظروف التي أحاطت بها في ذلك الزمان جعلتها تتـصرف بحمق وغباء " وكان لتعلق جاسم بها وموافقته العاجلة على أن يحمل المولود اسمه أن أخفت قضية الحمل عن الجميع ، بل تقول "إنها كانت تخشى أن تحدث نفسها بحقيقة الحمل " ، وكان الحديث عن ذلك بعد زواجها جريمة تدمرهما ، وتقول أيضا " إن الذي ساعد فيما بعد على إخفاء هذه القضية انتشار خبر موت السيد عرفان في بلاد المهجر " فكان من العبث الحديث بذلك السر ، فليس لعرفان أم أو أب يهمه أمر الطفل ، ولما

علمت بحياة عرفان زوجها الأول ، وعرفت بغناه وثروته أحبت أن لا يحرم ولده منهما من ثروة أبيه وماله الكثير.. فاضطرت للاعتراف لولدها شاهر بحكاية زواجها الأول ، وحثته على الذهاب معها إلى رؤية ومقابلة والده .. فذهب بعد مجاهدة وشجار، وكما قال لرجالنا " إنه لم يكن ليصدق ادعاء أمه بذلك .. فلم يسمعها يوما ما تحدثه عن أبيه الحقيقي كما تدعي ، بل لم يكن يعرف أنها متزوجة رجلا قبل أبيه جاسم .. فهو يرى أن ذلك لو كان صحيحا ، فهي قد ارتكبت في حقه أعظم جريمة في التاريخ والعالم ويقول : " رغم أنني لم ألمس منها الحنان والحب المنشود قديما وحديثا .. فأنا لا أحبها أيضا الحب المطلوب مني .. بل أرى أنها سبب دمار حياتي .. لم تحسن تربيتي صغيرا ، ومع ذلك لا أنكر أنها لم تكن جبارة أو جلادة أو قاسية عليّ تركتني على راحتي ، بل كان اهتمامها بأخواتي الثلاث أكثر مني رغم أنني ذكر وهن بنات .. ورغم كل هذا كانت هي أمي وكان جاسم أبي .. وقال " كانت مفاجأة مؤلمة لي تلك الحقيقة ، ولا أعتقد أنها حقيقة هي تريد المال .. مع أنني أعرف أنها لا تحب المال كثيرا إنها تريد الحب والغرام " ويقول شاهر " بأنه قابل الرجل الذي ادعت أنه والده الحقيقي .. فلم يحس ويشعر بحنان أو لهفة إليه.. كان لقاء باردا ، ويرى أنه ذهب معها ورافقها من باب الفضول " وهو يعلل ذلك فيقول " قد يكون ذلك بسبب الإهمال في تربيتي الأولى أو تركيبتي الخلقية " ويقول عن عدم دفء العلاقة بينه وبين والديه "الإهمال الكبير الذي لقيته منهما وعدم مراعاتهما لحياتي وخصوصا في السنوات التي قضيتها في السجن .. لم يقوما بزيارتي ولو مرة واحدة ؛ كأني مقطوع من شجرة ، فلم يحاول اللعينان زيارتي ، كانا غير مكترثين ؛ ولكنني لما أطلب منهما المال والشراب كانا يمنحانني ذلك " .. ويقول " إنه بدأ السكر والدخان وغير ذلك من الموبقات مبكرا من حياته" ويقول "استسلمت لحياة الإهمال والبلاهة حتى لم أسمعهما يوما يتحدثان عن زواجي والنساء ، لا اهتمام بحياتي الخاصة .. أفعل كل ما يطيب لي ويحلو لي."

وكان في التقرير معلومات تفصيلية عن عمل جاسم وأهله ، وإخوة مجدية وأخواتها ..

ومعلومات عن البنات الثلاث اللواتي ولدتهن مجدية من زوجها جاسم وأعمالهن ودراستهن وحتى أزواجهن ، وعن زواج مجدية الثاني ، ثم طلاقها ، ثم زواجها من الرجل العجوز المريض وظروف كل زواج.

ولما انتهى من القراءة علق عرفان في النهاية قائلا : لم نصل إلى حقيقة رغم الجهود المبذولة في جمع هذه المعلومات !.. فشاهر عرف المعلومة والحقيقة حديثا .. والأم كشفت واعترفت بسرها حديثا عندما علمت بوجودي حيا وحديثا أيضا.. ولكن أثناء الوضع حدثت بلبلة وأقاويل .. لم يهتم بها أحد آنذاك فهذه نقطة مثيرة ومهمة .. ولكن الحقيقة الأصح أنه ليس ابني"

ويفكر رويدا ثم يعود ليقول : " ولكن قد يكون ولدي من صلبي .. وللحجج والأسباب التي ذكرت في التقرير شيء من الصحة .. لابد من الاستفادة من خبرات الأطباء والتحاليل الوراثية والجينات"

ثم تنهد تنهدا عميقا وهمس قائلا : ولكن الشك سيظل يراودني .. سأعرض عليها المال حتى تتراجع عن ذلك الاعتراف وأقوالها.. وتؤكد لي أنها ساخرة مازحة كاذبة مجرمة قذرة طامعة بأموالي"

اتصل عرفان ناصر بصديقة الدكتور الخبير سيرجي باربوسا ، ولما قدم قرأ عليه تقرير شركة التحري ، وبعدما استمع سيرجي لأفكار وكلمات تقرير شركات التحريات الخاصة قال : "قصة موتك هي التي ساعدت على إخفاء سر حمل مطلقتك منك إن كانت صادقة .. فلما اتصل بهم خبر موتك المبكر ازداد تكتمهم لهذا السر.. فالظروف خدمتهم .. مهما كان الزوج مخلصا في الحب والغرام ؛ ولكن بعد الزواج ومشاكل الأزواج المعروفة لابد أن يقع الزوج في خطأ في سب وشتم وغضب ، فيخرج من فيه تصريح بعدم أبوته لشاهر .. وخصوصا قد كان الشاب فاسدا وسكيرا .. وقد يقع بينه وبين أبيه شجار فينكر الرجل أبوته في ساعة غضب .. كل هذا لم يحدث ؛ لأن شاهرا لم يعرف بالسر إلا مؤخرا مثلك تماما.. فالسبب

موتك بالنسبة لهم .. أو حدث ولم يهتم به أحد .. حتى شاهر لم يتحدث لهم عن شيء من ذلك فهل أدركت اليوم من أرسل إليك برقية وفاة أختك وأخبرها بموتك ؟

فقال عرفان : فكرت بهذا اللغز كثيرا ! .. ومتابعة برقية أرسلت منذ أربعين سنة تنقص قليلا ليست بالأمر الهين يا صاحبي .. وأختي تذكر أن رجلا ساعي للبريد أو ادعى أنه ساعي البريد ، كما تعلم هو الذي نقل إليهم البرقية التي فيها خبر موتي بحادث سيارة ، وأمام الصدمة وضعف الإمكانات المادية أخذوا الأمر بجدية، ولم يفكروا بشخصية الساعي أو مكتب البريد الذي استقبل البرقية ، لم يسيئوا الظن وافترضوا لو أنني ما زلت حيا فسأرسل لهم هدية العيد ؛ ولكن لما أنا في نفس الحين لم أرسل شيئا كالمعتاد زاد يقين موتي لديهم .. وأنا لما تلقيت بنفس الفترة نبأ وفاة أمينة أثناء الولادة ، لم استغرب ذلك لكثرة حدوث ذلك في بلادنا تلك الأيام .. أصابني ذهول وصدقت ما في تلك البرقية ، وكنت في دوامة الشغل والعمل فلم أدقق ، وبعد موت والدي وطلاقي من زوجتي مجدية لم يعد لي ارتباط بمسقط رأسي فنسيت الأمر، وقطعت صلتي بموطني ، وانشغلت في رحلة الكفاح والدراسة يا سيرجي .. وتقول أختي أمينة إنهم انتظروا رسالة تأتيهم من هنا من فنزويلا من أصحاب الشغل فيها تفاصيل عن الوفاة وعن الأموال التي تركتها ، فلم يصل من ذلك شيء فنسوا الأمر مثلي ، واعتقدوا أنني مت ، ولم أترك ورائي مالا أو غيره من الأشياء المادية .. فنسوا كما نسيت كانت مكيدة ماكرة ومحكمة .. والمشتبه به إخوتي من أبي .. أتسأل أحيانا كثيرة لماذا لم أحاول التأكد يومذاك ؟ فلا أجد جوابا إلا أنني كنت ساذجا حسن الظن بكل ما أسمع .. أما من الفاعل ؟ لست أدري، ولكن بعد تفكير وتدبر وصلت أنه لا يهم الآن معرفة من الفاعل لقد أبعدنا عن بعضنا تلك السنوات ونجح.. والماكر كان يقصد أن أقطع وصل أختي بهال ، ولا أظن أنه كان يحلم بأن يمنعني من النزول للوطن الأول لي.

فقال سيرجي : هذا اللغز ساعد كثيرا على إخفاء قصة الحمل .. فجاسم هذا تجاهل كل الأخطار باسم الحب .. فزواجك وطلاقك لها لم يترك لديه أثرا نحوها ، وظل مولعا بها

وتورط معها .. وموت السيد عرفان في نظرهم دفعهم إلى النسيان الكامل لأبوتك .. دعني أفكر أيها الصديق بقضيتك الغريبة.

فقال عرفان : فكر بالحل الأمثل يا عزيزي .. سأحدث ولدي الكبير بهذا الموضوع .. وربما أسافر ثانية إلى قصر الجبل ، وأتصل بهذه المنحوسة ، وأسمع منها ..مع أنني لن أسمع أكثر مما ذكر هؤلاء في التقرير الخاص ؛ وربما قد أجد عندها ذرة من الصدق أنتفع بها ، فإن صدقتها سأقوم بجلب الولد إلى هنا لتقوم بإجراء فحوصات الدم والوراثة.

فقال سيرجى : المشكلة يا صاحبي في زمر الدم والرايزوس تساعد في نفي البنوة ولا تجزم بالبنوة وحدها ..والآن هناك فحوصات البصمة الوراثية والجينات.

فعاد عرفان يقول : أما لغز المحتال الماكر ـ رغم أن البحث عن حل بعد كل هذه الأعوام لن يجدي كثيرا في نظري ــ فربما أكلف المكتب مكتب التحري بمحاولة كشف الفاعل الحاقد .. ولولا برود علاقتي أنا وأمينة مع إخوتنا من أبينا لشككت أن أحدهم فعلها ؛ ولكنهم بعد موت أمي سعادة ـ رحمها الله ـ اختفوا وخرجوا من حياتنا.

انصرف الدكتور سيرجي ، وصعد السيد عرفان ناصر إلى مخدع النوم ، وأخذ حبة منوم ، وبعد حين ذهب في نوم عميق



مجدية والمولود

تفاجأ أولاد عرفان بقرار السفر الذي اتخذه والدهم هذه المرة ، فهو منذ شهرين أتى من الثعبانية، فاعترضوا على سفره ، وأن صحته لا تتحمل ذلك الجهد، والطبيب الخاص تضامن معهم ، فاضطر عرفان أن ينفرد بابنه البكر أو الكبير نصري ، وأسر له بما حدث في رحلته الأخيرة إلى بلده ، فاستغرب الابن من هذه المعلومات، وهذه التطورات والأحداث ، واستسلم في النهاية لرغبة أبيه في السفر، ولم يحاول مجادلة أبيه بشأن المرأة وكذبها أو صدقها ، بل خرج يخبر إخوته قائلا : إن سفر الوالد ضروري.. وأنه إذا حدث شيء ـ لا سمح الله للأب ـ فسوف أخبركم بما أسر به الوالد.

فتجهم الأبناء قليلا ، ثم عادوا لحياتهم الطبيعية ، فهم يثقون بقدرات والدهم العقلية ، وكذلك بذكاء ونشاط السيد نصري المهندس الكبير ، ولما أشعر ارباس سبرانتو بالسفر المفاجئ ، استغرب واعتذر عن هذه الرحلة لأحوال تمر بها زوجته والأسرة ، فقال له عرفان بعدما شكره : لا حرج عليك أيها الصديق .. فنحن لم نعد إلا من شهرين.. والأمر ضروري فلابد من رحيلي إلى هناك ..ولست ذاهبا بأعمال ، إنما هي قضية خاصة سأحدثك بها لاحقا.. رتب لي إجراءات السفر .. والطبيب والممرضة والسائق والحارس لو كلفت غيرهم أيضا بمرافقتي فذلك خير، فهذا الرحيل تعب عليهم وعلى أسرهم.

وأما الطبيب الخاص أصر على الرحيل معه، وكذلك الممرضة ، والخادم الخاص لويس أحب أن يسافر معهم ، ولما تجهز أمر الرحلة سافر عرفان إلى بلده ثانية ، وكان عرفان كلما يزور بلده في السنوات الأخيرة يمر على مصر، فيقضي بها يومين أو أكثر يستريح فيهما ، ويتذكر أول رحلة له إليها ، ومن ثم يسافر إلى فنزويلا ، وأحيانا يعرج عليها قبل الانتقال للثعبانية.

ولما نزل قصر جبل الأعمدة واستراح من تعب السفر ، واسترد عافيته اتصل بأخته التي هرعت إليه مسرعة وهي متعجبة من عودته السريعة، فطمأنها وحدثها عن سبب رجوعه السريع ؛ بأنه قادم للقاء السيدة مجدية لحل لغز الابن ، وبعد أن فرح بلقاء أولاد أمينة أرسل

وراء مجدية ، وطلبها وحدها ، فأتت للقصر ولما التقت بعرفان رحب بها على غير ما رحب بها في المرة السابقة ، ثم قال : أنا فكرت بعمق بقصة الابن المنسوب إلى زوجك الميت.. فكيف صارت الحكاية يا مجدية ؟!

فقالت مبتسمة كأنها أحرزت نصرا مهما في معركة : كنت متأكدة أنك ستطلب لقائي وإن تأخر هذا اللقاء.. أنا يا عرفان كما قلت لك قديما تزوجتك عن غير رغبة...

فقطع الكلام قائلا بغضب خفيف : أعرف هذا .. ادخلي في صلب الموضوع فصحتي لا تساعدني كثيرا على الاستماع .. تكلمي بالأهم يا أم شاهر.

ضحكت مجدية لمناداتها بأم شاهر وقالت : والله يا عرفان قليل من الناس من يناديني بأم شاهر غلبت عليهم أن ينادوني بأم سمر .. ابنتي الكبيرة سمر ولا أدري لماذا ؟! .. وهذا ليس له علاقة بابنك وزوجي .. المهم لقد كنت راغبة بالزواج من جاسم ، فرفضت الأسرة ذلك بعناد وزوجوني منك ، وسفروني معك ..وأنا أعرف أنك لا تعرف بحبي لجاسم .. وأنك تظن أنني عاشقة ولهانة لك وأن لعابي سال لمالك وغربتك .. فلم أستطع الحياة معك .. كانت أفكار البنات الصغيرات والرومانسية وكلام الحب والغرام يشغل بالي .. وكانت رسائل جاسم اللعينة تحرق قلبي وجسدي.. فكرهتك وبغضتك .. فصممت على الطلاق والفراق .. فلابد أنك تذكر تمردي من الشهور الأولى، وكرهي لحياة الاغتراب ، وكرهي لحياتك وعملك ، وأن المال والذهب لم يغيرا بي شيئا .. كنت متعطشة للحب .. كنت متأثرة بأفلام السينما.. ولم أجد ذلك عندك كنت زوجا عاديا .. عمل شغل طعام نوم .. تعاطيت حبوب منع الحمل .. لا أريد أن أحمل منك .. أريد العودة إلى حبيب القلب إلى سارق لبي وفؤادي..

كان عرفان يسمع هذه الكلمات وهو يتلمظ من الغيظ والقهر ، ولم يتكلم كان يريدها أن تقول الحقيقة ، فتابعت تقول : كنت أنت متلهفا على الحمل معتقدا أن الحمل والولادة ربما يدعواني للكف عن الشكوى وطلب العودة ، ومن ثم الطلاق .. ولكنك يا سيد مللت وزهقت مني .. وفي لحظة صفاء وهدوء وافقت على الانفصال.. وأن الحياة أصبحت معي

جحيما لا يطاق .. فوافقت على طلاقي .. وأنك ستقوم بالإجراءات المناسبة .. وأنا في الشهور الأخيرة التي عشتها معك كنت أنسى كثيرا أخذ حبوب منع الحمل بانتظام .. وكنت غير مكترثة لذلك ، وتم الطلاق وأعطيتني مؤخر الصداق ، وبعض المال والهدايا لأختك وأهلي ، وحجزت لي على إحدى الطائرات .. كل هذا تعلمه أنت.

فقال عرفان متضجرا : أعرف هذا .. الخلاصة يا مجدية الخلاصة!

فصاحت فيه فجأة كانفجار ثم قالت : وصلنا للخلاصة .. أنت تعلم أن من عادات الدين والشريعة أن المرأة تنتظر حتى انتهاء شهور العدة أو الولادة للتزوج ثانية إذا شاءت .. فوالدي وإخوتي استقبلوا عودتي بالضيق والغضب.. ومنهم من أهانني وصفعني .. واتهموني بتخريب بيتي بيدي.. ولما عرفوا بأنني لم أحمل منك تضايقوا أكثر .. وسمعت كلاما مؤلما وقاسيا وشتما وضربا .. وخلال فترة العدة أدركت أنني حامل بسبب انقطاع الدورة الشهرية فقمت بإجراء فحص عند أحد الأطباء في مختبره فأكد لي الحمل .. وحدثت جاسما الذي فرح بطلاقي .. وبدأ يستعد لطلب يدي ليستغل غضب أهلي نحوي .. فحدثته بالحمل الذي حصل على الرغم مني ، وأنه لا أحد يعرف بذلك من أهلي ، وأن أهلي لو عرفوا بحملي من عرفان سيحاولون إعادتي إليه ، ولن يزوجوني منه.. فكان الحل في نظرنا عدم إظهار الحمل ، وأن نتزوج بعد مضي الشهور الثلاثة للعدة ، وذلك بعد أن وافق جاسم على أن يحمل المولود اسمه .. وللظروف المحيطة بنا وحاجتنا لبعض لم نخبر أحدا بالحمل ، وعلى الفور تقدم لي جاسم وللخلاص مني وافق إخوتي على زواجنا بسرعة ، فهم يعرفون قصة حبنا وتعلقنا ببعض ، فتم الزواج سريعا ورحلنا عن الحي ولكنه حي قريب ، وبعد شهور وضعت الولد شاهرا متظاهرة أنه من زوجي جاسم ، وسمعنا كلاما كثيرا ولغطا حولنا ، ولكن حبنا الجارف لبعض غطى على كل الدعايات والإشاعات ، ولما وصل إلينا خبر موتك نسيناك إلى الأبد ، وعاش شاهر بيننا ؛ كأنه ابننا الحقيقي قصدي ابن جاسم .. وصدق يا عرفان أن شاهرا منك ، ولم يمسسني رجل قبل أن أعرف بالحمل منك ، وإنما كرهي لك وبغضي لشخصك

وأنك سرقتني من حبيبي جاسم .. وكذلك بغضي وسخطي لأهلي ، كل ذلك دفعني لعدم كشف سر الحمل ، وكان ذلك إلى أن سمعت بحياتك ، وأنك لم تكن ميتا كما أشيع قديما ، وقد انتشر الخبر الغريب في حارة البراغمية وشوارعها .. وابنتي سمر متزوجة ، وتسكن في ذلك الحي ، فلما سمعت بذلك الخبر العجيب اتصلت بي فصعقت ابتداء ؛ ولكن لإراحة ضميري المثقل بهذه السر صارحت شاهرا بذلك السر، وشاهر شاب مسكين تعذب كثيرا في حياته ، وتعلق بالخمر كثيرا ، ووضعه الصحي لا يسر صديق ولا عدو.. وأنت أبوه ترتع بهذه الخيرات والنـعم .. فقررت مصارحته بهذا السر الخطير ، وهو لم يصدق الحقيقة لحتى الآن ، ولكن بعد ضغط مني وافق أن يأتي ليرى والده .. ولما رآك لم يصدق أنك أبوه .. وما تبقى تعرفه.

لزم عرفان الصمت فترة بعدما أنهت اعترافها ثم قال : أنت امرأة كبيرة يا مجدية ! وهذا الأمر خطير ؛ فإذا كنت راغبة بالمال ، فأنا سوف أغنيك إلى الأبد ، وأفتح لك حسابا كبيرا ـ وأخرج شيكا بخمسين ألف دولار ـ وهذا شيك بمبلغ بسيط خمسين ألف دولار أضعه بين يديك ـ وقدم لها الشيك ـ وهو يتابع كلامه قائلا : فقط أريد الحقيقة .. هل هذا المولود حملت به مني؟ وإذا كنت مدعية فهذا الشيك لك فقط قولي الحق الذي يرضي ربنا ؟

فقالت بجد : رغم أن الكذب سيفيدني بعرضك هذا ، ويريحك يا عرفان .. فالحق أنني حملت بهذا المولود منك رغم أنفي .. والذي ساعدنا على عدم إفشاء سر المولود هو موتك كما علمنا فشاهر ابنك .. ولقد تمنيت أن تسمع هذا الكلام من فم جاسم .. وأنا أخبرتك ليس طمعا بمالك وثروتك وإنما ذلك لإراحة ضميري.. وليعرف الرجل أباه .. ولتـعرف أنت أن لك ابنا وهذا شيكك لا أريده . ورمته عليه.

فنهض عرفان وقال : أتقسمين بالرب المعبود على ذلك ؟

فأخرجت مصحفا صغيرا من حقيبتها وأقسمت عليه بصدقها ، فقال عرفان : حسنا يا مجدية ! سأسافر بالولد إلى كاركاس لإجراء كل الفحوصات والتحاليل والشيفرات الوراثية..

فنحن في أواخر القرن العشرين ، وقد يستطيع الطب حسم هذه المسالة.

فقالت بكل هدوء : افعل ما بدأ لك .. أنا واثقة أن هذا الرجل ابنك ، واعلم أن ولدي ليس طامعا بثروتك.. بضع مئات من الدولارات أو الدنانير تكفيه وتسد رمقه.. ولكن له حق عليك حق الأبوة ..أتدرك ذلك ؟!

تبسم عرفان وقال : الأبوة يا مجدية ! أين كانت الأبوة ؟!

فصاحت في وجهه ثانية : كنت ميتا .. كنت ميتا.. فكتمنا ذلك شفقة على ولدك.. أنا المهم عندي أنني أرحت ضميري من ناحيته .. لقد صرفت عليه وكبرته .. والدور الآن جاء عليك ، عليك أن تداويه .. وترغمه على الزواج .. وتجد له عملا يعمل به .. وخذه عندك هناك وأجري عليه ما تشاء من التحاليل والفحوصات وليبق هناك.

فقال عرفان متسائلا : ويبقى يحمل اسم زوجك غريمي.

فعادت تصيح : زوجي مات ، وعليك الدعاء له بالرحمة ؛ لأنه تكفل بابنك ورعاه، وأدخله المدارس ؛ ولكن ابنك فشل ، وتعلق بالفسق والخمر والقمار .. أنا المهم عندي أن تعرف أنه ولدك .. وأنا مستعدة للاعتراف أمام أكبر قاضي في الدنيا أو في البلد .. وأن أقسم أمامه مليون مرة أن شاهرا ابنك.. وأنه لم يكن ابن جاسم في أي يوم من الأيام .. سواء رضيت أم أنكرت عليك أن تتحمل مسئولياتك نحوه من الآن فصاعدا .. خذه معك .. غير اسمه وليحمل اسمك.

فقال عرفان وقد عاد للجلوس : حسنا يا مجدية ! .. سأرتب الأمر.. فبعد إجراء الفحوصات الطبية المناسبة سأطلبك للاعتراف أمام كبار القضاة في هذا القطر وأدعهم يقضون بيننا أيسرك هذا ؟

فقالت صارخة : ولماذا تؤخر ذلك ؟!.. فأنا مستعدة للاعتراف أمام القضاة اليوم قبل الغد واعمل الاختبارات على مهلك وراحتك.

عندئذ شعر عرفان بصدقها، ولمس ذلك من حرارة كلامها واعترافها؛ ولكن كيف يعترف

بهذه الأبوة وبهذا الولد بعد كل هذه السنين ؟! وأيضا كيف يرفض هذه البنوة بعد سماع كل ذلك ؟! فهو محتار .. سيكون مجرما إن رفض أخذه ورعايته.. سيكون مجرما كما تقف هذه المجرمة أمامه .. هل يخنقها ؟ لم تستطع الصبر حتى تضع مولودها!

فقال بعدما أعاد الشيك لجيبه : فليكن لقائي بهذه الولد قريبا.. سنسافر إلى بلدنا يا مجدية .. وإذا أنت بحاجة لمال فمدير شؤون القصر سيعطيك وسأوصيه عليك .. وأنت مغادرة سيقودك الخادم إليه فسيعطيك ألف دولار .. وإذا ثبت وراثيا أنه ولدي سأدفع لك أموالا ثمن تربيتك وصبرك.

وقرع الجرس فأقبل الخادم العجوز الفنزويلي الطيب فقال عرفان : لويس .. خذ هذه السيدة إلى مدبر القصر وليهبها ألف دولار.. وقدموا لها الاحترام كلما تأتى.. وليذهب معها السائق ليعرف بيتها.. سأرسل وراءها في الساعات القادمة.

فقالت مجدية : أنا تحت أمرك يا سيد عرفان .. وأشكرك على الألف دولار.. ولن أرفضها .. فزوجي الأخير رجل عجوز وبحاجة للعلاج.

فقال عرفان : لدينا مستشفى هنا ، فيمكنك الذهاب به إلى هناك .. وسيهتمون بكما .. على كل حال قريبا سأدبر أمركما .. أنا أعذرك بإخفاء أمر ولدي عن الناس رغم أنها جريمة كبرى .. وكما قال سيرجي صاحبي " إعلان موتي هو السبب الأكبر في هذه المأساة !" .. سلاما.

البصمة الوراثية

التقى عرفان بولده شاهر، ووجده قليل الكلام بارد الأعصاب غير مكترث للحدث الذي يعصف بهم ، فقال عرفان : لم أحس بأنه ولدي؟!

فقالت مجدية : بل هو ولدك ، رغم ما كان بيني وبين جاسم من غرام وعشق لم أزن في حياتي قط .. والرجل جاهز لأي فحص أو إجراء تتخذه .. عليك أن تعترف ببنوته.

رغم هذا الكلام الجارح للإحساس والشعور لم يتحرك لشاهر جفن ، فالتفت إليه عرفان وقال : يا شاهر! هل تحس بأنني أبوك .. والدك ؟

فبعد صمت همس : لا أدري !.. قل لا أصدق .. لم أشعر في يوم ما أنني ابن رجل آخر.

فصاحت أمه : ويلك ألا تشعر بأنه أبوك ؟!.. ألا تحس بأي انعطاف نحوه ؟!

فرد على أمه بدوره وببروده : للأسف لا .. لم أشعر بشيء من ذلك .. وهو مظلوم .. أنت المجرمة يا أمي!

فهاجت مجدية ، وارتفع صوتها ، وزاد انفعالها ثم قالت : ويلك ! أبعد كل هذه السنوات تقول عني مجرمة ؟! .. يا ولدي أنا امرأة زادت سنها زاد عن الخمسين سنة ، ولا مطمع لي بمال هذا الرجل .. ولولا أنني عرفت بحياته لما كشفت لكم هذا السر الذي نسيناه .. ولكن يا ولدي لك حق في ماله ونسبه .. وإخوتك العشرة عليك أن تتعرف عليهم ، وتعيش معهم ، وفي أملاكهم ، وتأخذ نصيبك من ثروة أبيك بدلا أن تأخذ مصروفك من أختك سمر.

والتفتت إلى عرفان وقد هدأ هديرها قائلة: منذ تخرجت سمر من الجامعة واشتغلت ، وهي تصرف عليه ، ولما تزوجت ظلت تدفع له ثمن المشروب اللعين ، لم يفكر يوما بتعلم حرفة أو وظيفة يشتغل فيها.

فقال عرفان بغيظ : تربية سوء.. لم تكوني مستعدة للتربية والرعاية، كان همك الحب والغرام.

فهتف شاهر فرحا ومصفقا : صدقت ! هي ربتني على الضعف والخجل والفشل

فأخذت مجدية تدافع عن نفسها ، وهي تبكي بكاء حارا فقال لها في النهاية : هوني عنك حتى

لو لم تثبت أبوتي له سأهتم بكم وأرعاكم..

فصاحت وصرخت فيه وقالت : هو ولدك!.. ولدك!.. أنا مستعدة أن أقسم أمام القضاة والقانون أنني حملت به منك.

فقال : كفي عن الصياح ، واهدئي سنتدبر الأمر .. سأقوم بإخراج جواز سفر لك يا شاهر وتسافر إلى كاركاس عاصمة فنزويلا الجميلة أو فينيسيا الصغيرة لأمريكا اللاتينية..

وحلق عرفان في الخيال وقال : فعندما رآها المستكشف الإسباني "ألونسو دي أوجيدا" للمرة الأولى في عام ١٤٩٩ صاح مدهوشا "إنها فينيسيا الصغيرة " ، ولا زالت تحمل هذا الاسم حتى الآن ، ولسوف تشاهد أعلى شلال مائي " الشلال الملائكي" ، وبحيرة ماراكايبو وجزيرة مارجريتا لؤلؤة البحر الكاريبي ، وتشاهد جزيرة السلاحف البحرية ، وجزيرة الطيور ، وسوف تستمتع بأزهار فنزويلا الكثيرة وتتعرف على الثائر الفنزويلي الكبير سيمون بوليفار محرر كاراكاس ، حتى عملة فنزويلا تحمل اسم هذا الرجل وهي البوليفار .. أشياء كثيرة هناك ستنسيك كل الهموم والغموم .. فبلادنا واسعة ، بلاد الذهب والقصب والكاكاو والبترول .. ولما تستمتع بالحياة الجميلة وترتاح نفسيا وصحيا سنقوم بعمل الفحوص الوراثية والجينية لتطمئن نفسك ونفسي ونفوس إخوتك .. وتأكد يا شاهر لو أنه ثبت غير ما تدعيه أمك ، وأنك لست من دمي سأرعاك حتى المات ، وإذا شئت أبقيتك هناك وستعمل مع الأولاد ، وسوف أعيد تربيتك ونسجك من جديد بمشيئة الله، وأزوجك من أجمل نساء البلاد.

فقام الشاب يقبل يدي الرجل والدموع تنهمر من عينيه ، وهو يكاد يطير من الفرح لـمَ سمع من الوعود والأحلام والسفر والزواج ، وهتف قائلا : أنا رهن إشارتك وإحسانك يا سيدي وشاكر لعطفك وشفقتك عليّ.

فقالت أمه مؤكدة : هو أبوك .. وما سيفعله من أجلك ليس شفقة بل واجبا كان عليه قديما.

فقال عرفان : سيبقى الشاب في القصر يا سيدة مجدية من الآن حتى نسافر، وعندما يتحدد

موعد السفر سأخبرك حتى إذا أحببت رؤيته وتوديعه قبل السفر، وإذا احتجنا لفحوص منك أرجو أن تتعاوني مع مكتب المحامي الكبير الصديق حميد عز الدين .. أنا أريد أن أفعل ذلك ليطمئن قلبي .. ولمصلحة شاهر في المستقبل .. لأنه ليس من السهل أن ألصقه بي لمجرد أنني كنت زوجك يوما ما.

فتممت قائلة : أنا أعرف أن الأمر ليس هينا عليك وعلى أسرتك ؛ ولكني لم أستطع أن أكتم الحقيقة وأنا أرى النـعيم الذي تعيش أنت فيه وتحرم فلذة كبدك منه .. ولو أنك فقير معدم قد أكون فكرت كثيرا قبل أن أصارحك بذلك .. أما ابنك شاهر فهو بحاجة لك ولعنايتك .. عليك أن تعرضه على الأطباء وأهل الاختصاص فعنده مشاكل في الأمعاء وأمراض جلدية ، وأن تخلصه من شرب الكحول.

فقال عرفان : سأفعل أيتها الأم الباسلة !

ولما خرجت مجدية أرسل وراء مدبر القصر وقال له : أنظر إلى هذا الشاب .. عليكم بتنظيفه وتلميعه وكسوته بثياب جميلة جديدة ورتب له غرفة وثيرة يرقد فيها وليقم على خدمته أفضل الخدم يا جولانيا.

أحنى الرجل العجوز جولانيا رأسه وقال : أمرك يا سيدي تعال أيها الشاب.

فساقه مدبر القصر الفنزويلي ، وكلف بعض الخدم بتحميمه وإزالة الأوساخ عنه ، وإحراق الملابس التي يلبسها ، ولم تم ذلك قدم له أفضل الطعام، ولما طلب الخمر اعتذروا له عن ذلك وأعلموه أن السيد الكبير لا يحب وجودها في القصر، ولما أصر على ذلك أخذه أحد الخدم إلى إحدى الخمارات ، فشرب حتى ارتوى ، وعاد به للقصر وألقاه في الغرفة التي أعدت له ، وأوصى الخدم على رعايته ومراقبته.

وفي الصباح التالي كان عرفان ناصر يتحدث مع المحامي حميد الذي لبى الدعوة سريعا ، وقال للسيد عرفان : إن جواز السفر سيكون بين يديه مساء هذا النهار "، وحضر عدد من الأطباء وقاموا بالكشف على السيد شاهر ، وأجروا اللازم ، وطلبوا منه عمل بعض التحاليل المخبرية

والصور الإشعاعية ، وبعضهم اقترح إدخاله المستشفى بضعة أيام ، فطلب منهم عرفان علاج سريع لأنه سيسافر به إلى فنزويلا قريبا ، وهناك سيتم فعل كل ما يلزم من علاج ودواء ، ولما اكتمل الأسبوع لوجود عرفان في القصر استعد للعودة لبلاده فنزويلا فعاد ، ولما حل بتلك الديار اتصل بسيرجي مدير أحد المستشفيات الخاصة وصديق عرفان منذ كان موظفا في إحدى شركات رومانوس ، واهتم سيرجي بالشاب والضيف شاهر وأدخله المستشفى لعمل الصور الشعاعية والتحاليل المخبرية ، وكذلك فحوصات البنوة والشيفرات الوراثية والبصمة الوراثية، وفصائل الدم والجينات ، وهذه الإجراءات تحتاج إلى أسابيع حتى تظهر نتائجها ، وكان الشاب شاهر مستسلما للأمر ؛ كأنه طفل صغير ، وكان عرفان خلال هذه الإجراءات والجينات التي أخذت منه أيضا على توتر شديد وقلق مؤلم ، ولا ينام إلا على حبات الدواء المنومة ، وكان لا يرى أنه سيكون سعيدا لو ثبتت أي صلة بينه وبين هذا الرجل الضعيف الهزيل ، ولما مضت المدة اللازمة أخبر الدكتور سيرجي عرفان أن النتائج والعينات يجب أن ترحل إلى الولايات المتحدة ؛ فإن الأجهزة المتوفرة هنا لا تساعد على إعطاء نتائج دقيقة ، فطلب عرفان من السيد سيرجي أن يسافر بنفسه إلى بلاد الغرب الأمريكي حيث الأدوات الأكثر دقة ، فسافر سيرجي على الفور، وبعد أشهر عاد بالنتائج المطلوبة ، وكان خلاصتها ونتيجتها أن هذا الرجل منه، فالصفات الوراثية متشابهة.

وأخذ الدكتور سيرجي يتحدث بكلام علمي فقال : أحدث النجاح المهم الذي حققه العالم الإنجليزي " ألك جيفري" عام ١٩٨٥ م ثورة في العلوم الجنائية ، حيث بين أن كل إنسان ينفرد بسمات جينية خاصة به لا تتكرر إلا عند التوائم المتطابقة وأطلق مسمى البصمة الوراثية على جزء من الحمض النووي ال " دي إن ايه (DNA) " ، فاعلم أيها الصديق أن الحمض النووي في الخلية الواحدة يتكون من سلسلة من القواعد النيتروجينية ، ويبلغ عددها حوالي ٣٣ بليون زوج ، وقد تبين أن حوالي ٩٩،٥ ٪ من الأحماض الوراثية تكون متشابهة في جميع الأشخاص، وهذا ما يجعل الناس متشابهين من حيث عدد الأرجل والأيدي والعيون

والأحشاء وما إلى ذلك ، وأما ٠.٥ ٪ الباقية فهي مختلفة من شخص إلى آخر ، والتي تمثل الاختلافات الطفيفة بين الأشخاص ، مثل اختلاف شكل الأنف والعين ولون الشعر وما إلى ذلك ، وهذا التباين أيها الصديق في أجزاء الأحماض النووية هو الذي يستخدم في تحليل البصمة الوراثية للتفريق بين الأشخاص كبصمات اليد ، ويوجد نوعان من التباين أو الاختلافات التي تقوم عليها البصمة الوراثية ، النوع الأول هو اختلاف عدد تكرار سلسلة معينة من الحمض النووي ، والنوع الآخر فهو اختلاف تسلسل القواعد النيتروجينية ، وأيضا يا صديقي لقد تطورت طرق تحليل البصمة بشكل سريع ، وأصبح بالإمكان تعيين بصمة الجينات من الدماء في مسرح الحادث لا تتعدى حجم رأس الدبوس أو بقايا نسيج بشري من الجلد تحت الأظفار أو الشعر.. ففي الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ عدد قضايا إثبات البنوة حوالي ٢٠٠٠٠٠ حالة سنويا ، و٣٠٪ من الحالات يكون الأب غير معروف ، فقد لعبت تقنية البصمة الوراثية دورا مهما في حل قضية تحديد الأب المجهول ، فهناك طرق تعتمد عليها تقنيات الأحماض النووية في إثبات البنوة ، فقبل ظهور فحص الـ (**DNA**) فكان يعتد بالطرق التقليدية ، مثل فحص البروتينات والأنزيمات ويمكن من خلالها استبعاد الأب في بعض الحالات إلا أنها لا تعطي درجات من الجزم القوي لإثبات البنوة ، ومن الثوابت العلمية أن نصف المادة الوراثية من الأب (الحيوان المنوي) والنصف الآخر من الأم (البويضة) أو ما يسمى الكروموسومات، إذن الخلية المخصبة تتكون من مزيج من المادة الوراثية (**DNA**) ، فمعظم قضايا إثبات البنوة تكون في الواقع إثبات الأبوة ، فالأم غالبا ما تكون معروفة ، يتم أخذ عينة دم الأب والأم والطفل .. المقصود الأب المشتبه به ، فيتم تحديد الصفات المشتركة بين الطفل والأم حيث يرث الطفل نصف الصفات من أمه ، ومن ثم تتم عملية المقارنة بين باقي الصفات التي يحملها الطفل وبين الأب المشتبه به ؛ فإذا وجدوا بعض الصفات التي يحملها الطفل غير موجودة عند الأب المشتبه به، فيتم استبعاد الشخص كأب بيولوجي ، أما إذا وجدت صفات مشتركة بين الأب المشتبه به والطفل ، فيتم إجراء حسابات

إحصائية معروفة لهذا الغرض.. بمعنى أننا إذا وجدنا أن جميع الصفات الموجودة في الأب موجودة في الابن ، فهذا احتمال كبير أن يكون الابن من هذا الأب.

واعلم أيها الصديق فمن خلال الدراسات الإحصائية وضع الخبراء المختصون في مجال إثبات البنوة قواعد أساسية لإثبات الأبوة ، فعندما يصل معدل إثبات البنوة إلى ٩٩٪ فهو مؤشر قوي جدا بأنه الأب الحقيقي ، أما إذا كانت الصفات الوراثية ٩٥ ٪ فتلك تعني ٥ ٪ فقط أن يكون المتهم ليس هو الأب الحقيقي ، ونتيجة لذلك وضع أهل الاختصاص جدول إثبات الأبوة ، فقالوا أقل من ٨٠ ٪ درجة لا يستفاد منها في إثبات الأبوة ، ومن ٨٠ ٪ إلى ٨٩.٩ ٪ احتمال وارد ، ومن ٩٠ إلى ٩٤.٩ ٪ يرجح أنها من بعضهما ، وقالوا من ٩٥ إلى ٩٨.٩٪ يرجح بدرجة قوية ، ومن ٩٩ إلى ٩٩.٧٪ يرجح بدرجة قوية جدا ، ومن ٩٩.٨٪ إلى ٩٩.٩٪ علميا تم إثبات البنوة ، ونحن في حالتنا كانت النتيجة ٩٩.٩ ٪ ؛ فإذن من ناحية بيولوجية فالسيد شاهر ابن لك .. ويبقى إثبات ذلك عن طريق المحاكم في بلدكم الأصلي .. وأكد لي كثير من خبراء هذا الفن الذين التقيت بهم أن هذا الرجل والد لهذا الرجل.

رغم الشرح المفصل الذي بينه الدكتور سيرجي فلم يتقبل عرفان النتيجة بسرور ، بل كان الشك يسيطر عليه ، ولكنه استسلم للنتيجة ، وكان يفكر بخطة يزداد بها يقينا من أبوته لشاهر وأخبر أفراد الأسرة بتفاصيل القصة التي شغلته منذ سنة ، وقد تقبل أفراد الأسرة الحقيقة على مضض ، وهم لا يستطيعون رفض الحقيقة والتشكيك في قدرات العلم والتحاليل ، وكان عرفان يعرف صعوبة ذلك على الأولاد ؛ ولكنه لا يستطيع الهرب من الحقيقة أنه ابنه ، فقد كان بإمكانه إعطاء شاهر بعض المال ، وينسى ويتناسى أنه ابنه .. ولكن أين يذهب من ضميره ؟ فإذا كانت مجدية مجرمة فهل يجاريها في الإجرام؟ وله حق عليه كسائر أولاده الآخرين بل هو أصبح مظلوما أمام ما استفادوا منه ومن كفاحه خلال الأربعين سنة الماضية وطلب من الدكتور سيرجي متابعة علاج شاهر ، وقرر تغيير اسمه ليمنح جواز سفر فنزويلي وجنسية أبيه ، ولكنه يريد قبل ذلك أن يمكر بمطلقته ويعرف مكنونات قلبها ، فطلب من

المحامي أن يخبرها أن الفحوصات أثبتت عدم وجود أي صلة بين عرفان وشاهر، وينظر ردة الفعل عندها ، فلما سمعت مجدية بذلك أخذت تشتم الطب والتحاليل المزيفة ، وتقسم على أنه ولدهما إلا إذا كان من الشيطان ، وأخذت تتهم عرفان بالتحايل للتخلص من ولده بحجة الفحوص ، وأخبرها المحامي بعدما هدأت أن السيد عرفان رغم عدم تحقق النتائج الإيجابية سيقوم برعايته والعطف عليه إبراء للذمة ، وخوفا من خطأ الأطباء والخبراء.

ولما سمع عرفان بردة الفعل هذه لزم الصمت والحجرة عدة أيام ، وأخذ يفكر بطريقة يمكر بها بمجدية لتقول الحقيقة من غير أن تشعر .. ففكر بالتنويم المغناطيسي بالخطف والتهديد بالقتل إن لم تعترف وتقر بالمكيدة المدبرة ، كان عرفان يرى أن شاهرا شبيه في صورته بأمه أكثر من أبيه ، فلم يأخذ من هيئته الخارجية شيئا ، فقد صمم أن لا يخرج من الغرفة قبل أن يصل لنهاية لهذه القصة أو الصدمة.



شراء جوهرة

وبعد تفكير عميق وطويل وصل عرفان إلى فكرة وتتلخص هذه الفكرة بأن تتصل امرأة ذكية بمجدية ، وأن تستدرجها لفتح مكنونات وأسرار قلبها ، ويلزم أن تكون هذه المرأة صديقة لمجدية ، فعاد للاتصال بالمحامي حميد في الثعبانية وشرح له الفكرة الجديدة والهدف منها ، فاتصل المحامي بدوره بمكتب التحقيقات الخاصة ، والتقى بمديره السيد حمزات عاليوه ، وطرح عليه فكرة وخطة السيد عرفان ، وافق المدير عليها من حيث المبدأ ، وعرض على المحامي خطة أخرى تتلخص أن تتقرب امرأة من طرفهم بالسيدة مجدية على أن تظهر في حياتها صدفة وفجأة ، وتُكون معها صداقة فقال المحامي : افعل ما بدأ لك .. نحن نريد أن نتأكد بقوة وجزم من صدق معلومات هذه المرأة عن حملها من السيد عرفان.. وأن هذا الشاب المدعو شاهر ابن حقيقي له.. شغلتنا هذه المرأة .. وشغلت السيد المحترم عرفان.. فقضية البنوة هذه قصة عجيبة .. فرغم التحاليل فالسيد عرفان ما زال يخامره الشك والظن في نتائجها.

وضعت مجدية تحت مراقبة رجال مكتب التحقيق الخاص ، فعرفوا الأماكن التي تتردد عليها والأوقات التي تغادر البيت فيها ، ثم قام رجال المكتب باستئجار منزل قريب من بيتها ، ولم تكد تمضي أيام حتى كان المستأجر الجديد وزوجته من أصدقاء العائلة، وأظهر لهم أنه رجل اجتماعي يحب الجلوس والسمر والاحتكاك بالجيران والتعرف عليهم بسرعة ، ولم يفتحوا معهم خلال الأسبوع الأول من التعارف شيئا عن قضية عرفان ، وأخذت الزوجة المزعومة عندما يغادر زوجها للوظيفة التي يعمل بها تتردد على جارتها أم سمر حتى اطمأنت لها.. وذات صباح فاجأتها المرأة وهن يشربن القهوة سوية قائلة : لقد سمعت من بعض الجيران أنك أرسلت ولدك الوحيد إلى أمريكا للعلاج .. ماله ؟ ما به؟

فقالت مجدية ببساطة : آ .. ذهب مع أبيه للعلاج.

فتظاهرت المرأة بالاستغراب وقالت : أليس أبوه ميتا ..ألم تخبريني أن زوجك الأول قد مات

منذ زمن؟!

قالت: إن لذلك حكاية ، ولابد أن الجارات المحترمات حدثنك بذلك.

وأخذت تعيب على النساء كثرة ثرثرتهن ونميمتهن فقالت المرأة : الحق والله أني سمعت من بعضهن قصة غريبة .. لم تدخل مخي بعد يا أم سمر ولكنني سمعت أيضا منهن أن أباه الحقيقي قد مات ، وأن السيد الأجنبي لا علاقة له به ..فلا أدري ما هو الصحيح يا أم سمر؟

فغضبت مجدية من جاراتها وصاحت : إنهن كاذبات ماكرات.

وقصت عليها قصة حياتها وزواجها من عرفان الفنزويلي وسفرها إلى أمريكا ، ثم طلاقها والقصة المعروفة الآن للقارئ الكريم ، فلما انتهت من حديثها قالت المرأة : أنت صادقة! ولماذا تكذبين بعد أن وصلت لهذه السن من العمر ؟ .. وهي قصة عجيبة وهل اعترف أبوه بهذه الحقيقة يا أم سمر ؟

فقال مجدبة بحزن : للأسف لم يعترف بعد بذلك ، ولم يصدقني ، ويعتقد أنني محتالة أدبر مكيدة لنيل ثروته .. ولكن الظروف والأحوال هي التي دفعتني للتظاهر بعدم الحمل .. كان لابد من ذلك في تلك الأيام الخوالي ، وإلا خسرت الزواج ممن عشق القلب .. ولولا موافقة جاسم زوجي وحبيبي لما تم زواجنا ولنكشف أمر الجنين ، وشاء القدر أن نسمع بموت عرفان فظل السر حبيس صدورنا .. ولكن لما ظهر عرفان زوجي الأول.. كان لابد أن يعرف الحقيقة .. الابن يعرف أباه ، والأب يتـعرف على ابنه .. هذه خطيئة كبيرة يا أم حسن ويجب تصحيحها والرجوع إلى الحق فضيلة كما نسمع .. وشاهر ولد مسكين ضائع.

فتظاهرت المرأة بأنها سمعت القصة فقالت : والله أنا لما سمعت القصة من أم ربيع لم أصدق يا أم سمر.. وظننت بصراحة أنها حيلة منك لتحصلي على قرشين حلال من السيد عرفان ، لما سمعت بظهوره وغناه .. لا تؤاخذيني على هذا الظن .. فكيف يوافق رجل على إعطاء اسمه لولد يعرف أنه ليس من صلبه ؟ بل ابن من أخذ منه حبيبته!

فقالت مجدية بضيق : أعرف أن الأمر صعب ، وصعب تصديقه ؛ ولكنه حصل ، ويومذاك يا

أم حسن لو حدثت أهلي بالحمل لخشيت أن يعيدوني إلى السيد الفاضل عرفان .. وأنا التي أجبرته ورغبته بطلاقي والانفكاك عني .. وكان الحمل يومها في أول أيامه فلم أشعر به.. ووافق جاسم على الدور المطلوب منه ؛ لأنه لو رفض إعطاء الجنين اسمه ، قد لا يظفر بالزواج مني .. وقتل الجنين لم أستطع الإقدام عليه .. كانت الأمور معقدة .. أنا أريده وهو يريدني .. ورفضنا أن نجعل الحمل عقبة أمام حبنا وعشقنا الكبير ..هذا ما كنا نفكر به فقط فأهلي كانوا يكرهونه ويعتبرونه سبب تخريب حياتي الزوجية لـمَ اشتهر عنا من حب وغرام

فقالت أم حسن : هذه هي القصة إذن يا أم سمر.

فقالت أم سمر : آ .. والله هذه الحقيقة يا أم حسن .. وهؤلاء الجارات حاسدات لي ولولدي شاهر الضعيف المسكين .. فهن يفترين عليّ الكذب .. ويدعين أنني أمكر بالسيد عرفان .. وأنني استغل أمر عودته بعد كل هذه السنين ، واستغل موت زوجي جاسم فاخترعت هذه الحكاية .. وولدي أبله فأستطيع أن أحتال به على هذا الرجل الطيب .. والله هذه الأفكار ما خطرت ببالي .. ولست طامعة بثروة زوجي السابق .. فالحمد لله الحياة مستورة .. وهذا البيت ملك لزوجي الحالي.. وبيتي القديم كان ملكا لي ولزوجي جاسم.. وتركته لولدي المسكين .. ولولا الحلال والحرام ما تفوهت لأحد بالحقيقة.

فقالت أم حسن : لابد أنك صادقة .. وهل ابنك سافر إلى هناك للعلاج فحسب ؟

فقالت مجدية التي تحب الثرثرة : لا .. ذهب للعلاج والتعرف على إخوته أيضا، وقيل إنهم هناك يستطيعون عمل بعض الفحوصات الخاصة لإثبات البنوة والنسب بينه وبين أبيه .. وله قريب من السنة عندهم.

فعادت أم حسن تسأل : ما أخباره ؟ لليوم يعمل التحاليل هل اتصل بك وأخبرك بنتائج التحاليل والمختبرات ؟

فقالت : شاهر مسكين .. منذ سافر لم أعرف عنه شيئا ، وقد زرت قصر جبل الأعمدة .. قصر والده ، وتكلمت مع مدير القصر فطمأنني على صحته .. وأنهم قد يعودون قريبا .. وها

أنا أنتظر النتائج مع أن المحامي الخاص للسيد عرفان تحدث معي وأخبرني أن التحاليل لم تحسم الأمر والله أعلم يا أم حسن.

فقالت المدعوة أم حسن: إن شاء الله ستكون النتيجة كما تحبين وترغبين.. وتثبت البنوة بينهم ويرتاح بالك وتطمئنين على سعادة ابنك شاهر.

فقالت مجدية : إن شاء الله فشاهر ولد بحاجة لأهل وإخوة ومال.

فقالت أم حسن وهي تنهض : سيتحقق رجاؤك وحلمك تجاه ولدك.

وغادرت أم حسن بيت جارتها أم سمر ..وكانت قد قامت بتسجيل الحوار على جهاز تسجيل صغير ، واستطاع رجال المكتب إقناع إحدى صديقات مجدية بمبلغ مغرٍ بالنسبة لها من إغواء مجدية بالحديث عن قصة شاهر ، وقامت الصديقة بإثارة الموضوع مع مجدية ، واتهمتها بالكذب والخداع ، فثارت الأخيرة وغضبت وأقسمت أنها صادقة وأنها بعد طلاقها اكتشفت الحمل ، وذلك بعد رجوعها لوطنها، ونقلت هذه المعلومات وشريط الكاسيت الذي سجلته أم حسن إلى السيد عرفان، فاستسلم للأمر الواقع في النهاية ، وأخذ ينظر لشاهر على أنه ولده وشرع يفكر بالإجراءات اللازمة لتحويله إلى ابن شرعي ، وبعد تدبر وتفكير مع سكرتيره الخاص ارباس ، والطبيب سيرجي صديق العمر ، اتفقوا على أن يسافر عرفان في الوقت المناسب إلى وطنه السابق ، وأمام إحدى المحاكم المناسبة تقر وتعترف مجدية بجريمتها ، وإخفائها أمر الحمل ، وأن هذا المولود كان من زوجها الأول ، وتقدم كذلك تقارير وتحاليل المختبرات للمحكمة ، وعلى أثر ذلك نقل عرفان هذه الأفكار إلى المحامي الصديق منذ سنوات حميد عز الدين ، وطلب منه عدم الحديث بذلك مع السيدة مجدية ريثما يحضر .

اعترفت الأسرة كلها بالابن الجديد ، وإن وافق بعضهم على هذا الدخيل على مضض ومجاملة لوالدهم ، وبدأ عرفان بتأهيل ابنه الجديد للحياة الجديدة ، وقد كان الدكتور سيرجي يتابع علاجه الصحي والبدني والنفسي ، وأخذ بعض المدرسين بتعليمه اللغة الإسبانية اللغة الرسمية للبلاد ، ولم يفلح بالتقدم فيها شيئا يذكر ، فصرف عرفان النظر في ذلك ورسم في

مخيلته أنه سيقوم بالعناية به في بلده ، وسينـزله في القصر مؤقتا ريثما يبني له بيتا أو يشتري له بيتا وذلك بعد أن تتم وتكمل إجراءات الاعتراف به ، وسوف يزوجه فتاة من بلده ، ويجعل له راتبا شهريا وعملا هادئا ، ثم خاطب محاميه عز الدين ، وكلفه بشراء منزل مناسب لزوجين حديثين ، وحول رصيدا باسم ولده يزيد عن مائة ألف دولار على أحد بنوك الثعبانية ولم يبق في نظر عرفان إلا إجراءات إعادة الاسم لابنه وحذف اسم جاسم ووضع اسمه مكانه في البطاقات والوثائق الشخصية ، وبينما السيد عرفان يستعد لهذه الخطوة الكبيرة والدقيقة في حياته اتصل به أحد الأصدقاء وكبار رجال الأعمال يخبره عن ظهور جوهرة في الأسواق العالمية ، جوهرة وزنها ١٠٠ غم ومن أصل آسيوي ، وهي معروضة للبيع في اليابان الآسيوية ويقال إنها كانت في ثروة أحد الأثرياء هناك ويريد ورثته بيعها ، ولما التقى الصديقان حدثه الصديق "ماريو سبانتي " أن ثمنها كبير ، فمطلوب فيها ما يعادل ثلاثة ملايين دولار، فلذلك تردد كثيرون من رجال الأعمال والمال وعشاق المجوهرات في شرائها ، فقال عرفان بعدما سمع حديثها ، وهو من الرجال الذين يعشقون الجواهر والأحجار الكريمة النادرة : أين هي معروضة الآن ؟

فقال ماريو : أين هي الآن أو مع من لا أحد يدري ؟ .. إنها ظهرت لها صور في المجلات وبعض محطات التلفزة .. وذكر عنوان ورقم هاتف فلما تم الاتصال بالرقم تبين أنه محامي ووكيل ملاكها.

فقال عرفان : كيف سنراها ؟! ونتأكد منها وأنها جوهرة حقيقية ؟

فقال ماريو : إذا رغبت بها سأرتب لك الأمر.

فقال : أنت تعرف شغفي بالجواهر النادرة ، وإن كان السعر مرتفع سندبر الأمر .. نعم أريد مقابلة هذا الوكيل.

فوعده السيد ماريو بتدبير الأمر ، ثم انصرف ماريو ، وبعد أيام تكلم ماريو مع السيد عرفان فقال: لقد اتصلت بالوكيل في ماليزيا ، وبعد عدة اتصالات قال لي : "حدد مكان اللقاء

وزمانه ".. فقلت له : أن ذلك يحتاج إلى سرية خاصة ، وسأتحدث معك ثانية .. وجئت اتفق معك فما تقول يا سيد عرفان ؟

سكت عرفان بضع دقائق ثم قال : ننزل الشرق الأوسط في الثعبانية حيث قصر جبل الأعمدة قصري الجميل يا ماريو.. احجز له في فندق (الوردة البيضاء) لمدة أسبوع من مايو القادم ، وبعدما يصل الفندق عليه أن يتـصل بالقصر ، فأعطيه رقم هاتف القصر، وهناك أرتب معه مكان العرض والساعة ، وأنا سأتفق مع خبير المجوهرات "روسي بارك" .. وإذا أحببت السفر معنا يا ماريو.

فقال ماريو: لديّ أعمال تشغلني عن هذه الرحلة .. عندما تعود ظافرا بالجوهرة أكيد ستسمح لي برؤيتها .. سأتصل به ، وأرسل له عنوان الفندق كما تحب .. ووقت الرحيل بطريقتي الخاصة.

فقال عرفان : سأتحدث مع السكرتير ارباس ليرتب الحجز هناك.. وأرتب نزولي هناك أيضا.. فلي حاجة مهمة أخرى بزيارة وطني الأول يا ماريو .. اكتب له وأحذر أن تعلم العصابات بهذا التحرك.. فأنا مريض ولست بحاجة لمعارك خطيرة.

فقال ماريو: اطمئن سأكتب له.. وإن تلقيت الموافقة سأخبرك لتستعد للسفر؛ فإن مايو قريب تم حجز جناح بفندق (الوردة البيضاء) ذي النجوم الخمسة لمدة أسبوع ، وهو الأسبوع الثاني من مايو ١٩٩٤ م ، وقد وافق وكيل صاحب الجوهرة على هذا اللقاء والعرض ، ولما اقترب شهر مايو ركب الطائرة الخاصة عرفان وبعض أبنائه الابن سليم وابنته عبير ـ هؤلاء من صغار أولاده ـ وطبيبه الخاص وسكرتيره ارباس وممرضته الخاصة جوانا باربكير وخادمه الخاص لويس وسائقه وثلاثة رجال أمن أشداء سوى حارسه المعتاد ، وخبير المجوهرات روسي باركر ومساعده دافيد ، وبصحبتهم الابن الجديد لعرفان الابن شاهر وكابتن الطائرة الخاصة ومساعده ، فكل هؤلاء رافقوا عرفان في رحلته إلى بلاده الأولى ، وفي الأول من مايو هبطوا المدينة ، واستقروا في قصر جبل الأعمدة ، ولما استراحوا من تعب الرحلة اتصل عرفان

بأخته أمينة ، ثم استقبلها وأولادها ، وعرف ولديه على عمتهم وأولاد عمتهم ، ثم استقبل مجدية التي عانقت ولدها ، وارتاحت نفسها لما لاحظت تحسن صحته ، وطلب منها السيد عرفان الاستعداد للاعتراف أمام مجلس القضاة بأن شاهرا هو ابن للسيد عرفان، وليس ابنا للسيد جاسم سرور بزة ، وعليها أن تستعد للقسم على ذلك .



الجريمة

الجواهر تتخذ من أصناف كثيرة من الألماس والياقوت والزمرد والعقيق واللؤلؤ والفيروز والكوارتز والاوبال والسفير ، فهذه الجواهر تسمى أحجارا كريمة؛ لأنها نادرة وثمينة ، والجوهرة التي يحاول السيد عرفان امتلاكها هي ماسة كبيرة تزن (٢٠) قيراطا تقريبا ، ويقال أن القيراط يعادل خمس غرامات ، والألماس يأتي بعد الياقوت بالسعر لندرته، فيباع نوع من الياقوت القيراط بمبلغ ٢٠٠٠٠٠ دولار، بينما يباع قيراط الألماس الأبيض المتـصدع بخمس هذا المبلغ .. ويعتمد سعر الماس على الحجم ، واللون ، ودرجة النقاء ، وطريقة الصقل لألماسة، فكلما زاد وزن الحجر زاد سعره .. وربما تكون هناك جواهر ألماسية نادرة فتباع لقيمتها التاريخية ، وأفضل الألماس وأثمنه الأبيض المائل للزرقة ، ثم الأبيض النقي، فالأبيض المصفر ، فالأخضر الداكن ، فالوردي ، ثم الأزرق ، ثم الأحمر.. والألماس أصلب من الحديد.. وأشهر الألماسات في التاريخ ألماسة "كوهينور " أو "جبل النور" بالفارسية ، وهي أقدم ألماسات العالم، وقد عثر عليها في مدينة جولكندا القديمة في الهند عام ١٣٠٤م ، وكانت تزن آنذاك ١٨٦ قيراطا ، وأصبحت من مقتنيات (راجا الملاو)، ثم وقعت في يد السلطان بابر أول إمبراطور مغولي، ثم وصلت لنادر شاه الإمبراطور الأفغاني، وبعد اغتياله سنة ١٧٤٧م ، انتقلت لابنه، وقد تعرض ابنه (شاه شوها) لتعذيب شديد ، وفقد بصره قبل أن يتخلى عن ألماسة كوهينور، وبعدما تنقلت الالماسة بين أيدي كثيرة ، عثر عليها ضابطان بريطانيان في لاهور عاصمة البنجاب عام ١٨٤٩م ، وقدمت هدية للملكة فكتوريا فقطت إلى جوهرة وزنها ١٠٨.٩٣ قيراطا ، ثم انتقلت لابنتها الملكة الكسندرا ، وفي عام ١٩١١م ارتدت الملكة ماري تاجا يشع منه بريق الكوهينور ، ثم انتـقلت للملكة اليزابيت زوجة الملك جورج السادس ، ويعرف هذا التاج الآن بتاج الملكة الأم.



ومن قصص أحجار الألماس ألماسة كولينان وهي أكبر ألماسة عثر عليها حتى الآن ، يبلغ وزنها ١٣٠٦ قراريط ، وقد أهديت للملك إدوارد السابع ، وأرسلت إلى أمستردام من أجل تقطيعها ، وإعادة صقلها ، وقطعت إلى تسع ألماسات بحجم كبير و٩٦ بحجم صغير .. وأشهرها نجمة أفريقيا الكبرى التي تزين الصولجان البريطاني ، ويبلغ وزنها ٥٣٠ قيراطا ، أما ثاني الألماسات المأخوذة من كولينان فيبلغ وزنها ٣١٧ قيراطا ، وتزين كذلك التاج البريطاني.



وهناك أجمل ألماسة ، وهي هوب وهي زرقاء اللون وتزن ١١٢٥ قيراطا، ولها مكانة خاصة في عالم الألماس ، فهي الوحيدة التي تطلق أضواء فسفورية حمراء حيرت خبراء الألماس.. وبطريقة ما انتقلت لفرنسا وبيعت إلى الملك لويس الرابع عشر الذي أمر بصقلها على شكل قلبين يزن كل واحد منها ٦٧ قيراطا ، وأطلق عليها اسم " الألماس الأزرق للتاج " ، ثم انتقلت للويس السادس عشر وماري أنطوانيت ، وفي عام ١٧٧٢ م سرقت الألماستان من باريس ، ثم ظهرت إحداهما في لندن عام ١٨٣٠م بوزن جديد بلغ ٤٤.٥ قيراطا ، واشتراها رجل أعمال بريطاني يدعى (هنري هوب) مقابل ٩٠٠٠٠ جنيه إسترليني ، وبعد وفاته عانى ورثته المشكلات ، وأفلس عدد منهم ، ثم انتقلت الألماسة إلى أوروبا الشرقية وأهداها أحد الأثرياء إلى ممثلة مشهورة ، لكن لم يلبث الثري أن قتل تلك الممثلة ، ولما اشتراها تاجر يوناني وقع له حادث تصادم حيث قتل ومعه أسرته ، وعندما انتقلت الألماسة إلى السلطان(عبد الحميد الثاني) وقع انقلاب وأطيح به ، ثم وصلت بعدئذ إلى الأمريكية (ايفلين ويلش ماكلين) حيث صاغتها على شكل قلادة من ٦٢ الماسة ، ثم روعت بمقتل اثنين من أبنائها ، وأصيب زوجها بمرض عقلي ، وبعد وفاة تلك المرأة عام ١٩٤٧م اشترى القلادة تاجر

المجوهرات (هاري ونستون) بمليون دولار ، ثم تبرع بها لمؤسسة (سميث سونيان الأمريكية) عام ١٩٥٨م.



وبما أننا نتحدث عن الألماس فلنذكر أشهر الألماسات المعروفة غير ما ذكرناه آنفا ، فقد تعرفنا على كوهينور ونجمة أفريقيا وهوب وغيرها فهناك أيضا : ألماسة تيفاني وزنها ١٢٨ قيراطا، وهي ألماسة صفراء وعثر عليها بجنوب أفريقيا وألماسة الاكسلسيور أستخرجت من جنوب أفريقيا أيضا عام ١٨٩٣ م وكان وزنها ٩٩٥.٢٠ قيراطا ؛ ولكنها قطعت إلى عدة قطع ، ثم هناك الألماسة المغولية أستخرجت من الهند في القرن السابع عشر ووزنها قبل الصقل ٨١٧.٥٠ قيراطا، وبعد الصقل أصبحت ٢٨٧.٥٠ قيراطا ، وأما ألماسة الجوبيلي استخرجت من جنوب أفريقيا عام ١٨٩٥م ، وبلغ وزنها بعد الصقل ٢٤٥.٣٥ قيراطا.. وهناك ألماسة الرجنت ألماسة هندية وجدت عام ١٧١١م ، وبلغ وزنها ١٤٠.٥ قيراطا بعد صقلها ، وهي الآن مستقرة في متحف اللوفر في باريس .. وكانت من مقتنيات التاج الفرنسي .. وهناك أيضا الألماسة الاورلوف هندية المصدر وبلغ وزنها ١٩٩.٦٠ قيراطا ، وأهديت لكاترين الثانية الروسية عام ١٧٧٣م ، وألماسة الجونكر ٧٢٦ قيراطا ، والجاركاسي ٢٦٢ قيراطا وتسمى نجمة الجنوب ، واستخرجت من البرازيل ، ولا ننسى ألماسة الفلورنتين وزنها ١٣٧ قيراطا.



هذه قصص بعض وأشهر الألماسات في العالم ، لقد كان عرفان بشوق كبير لشراء وامتلاك الألماسة الآسيوية ، فلذلك كان قصر الفنزويلي في اليوم العاشر من مايو متوترا ، والكل في

ترقب وانتظار ؛ كأن هذه هي المرة الأولى التي يشتري فيها سيد القصر جوهرة ، فكانت الترتيبات أن يأتي وكيل صاحب الجوهرة في تمام الساعة التاسعة ليلا إلى القصر ، وهو يحمل في حقيبته الجوهرة الثمينة، فكان حرس القصر المحلي على أهبة الاستعداد لأي طارئ أو خطر مجهول ، وكان حارس عرفان الخاص أيضا على استعداد كامل للتعامل مع أي مفاجأة ، فالكل في استعداد وترقب ، وكان السيد عرفان قد أمر بإعداد قاعة العرض الخاصة في القصر لاستقبال الضيوف .. وهذه القاعة مزخرفة وملونة بأشكال وألوان بهيجة تسر الناظرين ، ولقد كانت في طرف القصر ، لها مدخل خارجي خاص ، ولها مدخلان داخليان ، ويسميها السيد عرفان قاعة الطيور لما رسم على جدرانها من ألوان وصور الطيور الجميلة الأخاذة ، فقد هيئها الخدم منذ الصباح لاستقبال الضيف الآسيوي ، ولما بلغت الساعة الثامنة والنصف ليلا مشى نحوها عرفان وتفقدها ، وقد أكد له السكرتير ارباس أن الزائر سيأتي في الوقت المحدد ، وأن سيارة القصر الخاصة قد ذهبت للإتيان بالزائر ومن معه، وقبل التاسعة بقليل دخل القاعة ولدا السيد عرفان سليم وعبير، ثم أتى الطبيب والسكرتير وخبيرا المجوهرات روسي ودافيد ووقف أحد الحرس أمام الباب الخارجي للقاعة من جهة الحدائق حيث سيدخل الزائر، وفي التاسعة أخبر حرس الباب الرئيسي للقصر السكرتير ارباس بوصول الزائر ورجاله ، فأخبر السكرتير عرفان بوصولهم ، وخرج ينتظرهم على باب القاعة ، وجلس عرفان على أحد المقاعد حول طاولة كبيرة وأنيقة ، وكان على يمينه ولداه سليم وعبير ، وبجوارهما الطبيب ، وكان الخادم يقف أمام أحد الأبواب الداخلية للقاعة ، وكان الخبيران يجلسان على يسار عرفان فدخل السكرتير ومعه ثلاث رجال آسيويون ، وخلفهم رجال الحماية ، فأشار لهم السكرتير بالوقوف بجوار الباب ، ونهض عرفان وصافح الضيوف الثلاثة ، وأشار لهم بالجلوس على المقاعد المعدة لهم أمامه ، وقام السكرتير بالتعريف بين الطرفين ، وقدم الخادم عصير الليمون ولما شربوه تحدثوا عن أخبار المجوهرات والألماس ، ثم أشعلت السجائر ، ثم قال عرفان للوكيل الآسيوي : هات بضاعتك .. فهؤلاء خبراء المجوهرات . وأشار لروسي ودافيد .

ففتح الوكيل الحقيبة التي وضعها على المائدة أمامهم ببطء ، ولكنه قبل أن يتم عملية الفتح للحقيبة ، أخرج من جيب الجاكيت التي يرتديها علبة جميلة وأخرج منها جوهرة بيضاء لامعة ودفعها للسيد عرفان ، فأخذ الآخر يتحسسها بانبهار وإعجاب وجمال ودهشة ، ثم دفعها لروسي الذي قد فتح حقيبته وأخرج أدواته الدقيقة ومجهره ، ولما تحسسها ثم وزنها وأخذ ينظرها بعدساته دقائق ، ثم وضعها على الطاولة بغضب وقال : هذه ليست جوهرة حقيقية يا سيد عرفان .. إنها جوهرة صناعية!

فتناولها دافيد بدوره ، ونظر عرفان للوكيل بنظرة غضب ، ولما سمع دافيد يؤكد كلام روسي حملق بالزائر الذي قال بهدوء وابتسام : سيد عرفان لا تغضب .. خبيرك رجل عليم ماهر هذه نسخة شبيهة بها ، الاحتياط والحذر واجب ومطلوب أيها السيد الكريم.

ولما عاد الهدوء لعيني عرفان والحاضرين رفع الوكيل الجوهرة التـقليدية التي بهرت الحاضرين ووضعها في صندوقها الخاص ، وهو يقول : حسنا أيها السادة قبل أن تروا الجوهرة الحقيقية نريد الثمن الذي اتفقنا عليه يا سيد ارباس.

فقال ارباس : الشيك جاهز كما تم الاتفاق، والشيك بيد السيد عرفان.

أخرج عرفان الشيك المصروف على أحد بنوك النمسا ، فلما نظره الوكيل قال : تمام سيد عرفان ! فعندما تتأكد من الجوهرة الحقيقية سنضعها في البنك (الشرقي) كما اتفقنا مع المدير وعندما أخبرك أنني استلمت المبلغ سيقوم المدير بتسليمك الجوهرة.

فقال عرفان : جيد ! أنا سأتحدث مع المدير .. وغدا صباحا ستذهب مع ارباس فتضعون الجوهرة عنده وتدفعون له عمولته.. وتأخذ الشيك .. ولما تصرفه في أوروبا ، ويكون معك ارباس .. فعندما تتصل بالمدير سأستلم الجوهرة فورا .. ويعود ارباس والحرس .

فقال الوكيل : جميل هذا الترتيب!

فعندئذ قام حضرة الوكيل بإخراج صندوق من جيب رفيقه ، وأخرج الجوهرة الحقيقية ، وقدمها للسيد عرفان الذي بهر عندما لمع بريقها في عينيه ، وسال لعابه لتملكها ، وتركت

تأثيرها على الحاضرين ، وكانت تعادل ٢٠ قيراطا ، ولما داعبها عرفان المغرم بالمجوهرات النادرة دفعها للخبير روسي باركر الذي أخذ بدوره يقوم بالفحوصات اللازمة للتأكد من أنها جوهرة ألماسية حقيقية طبيعية وليست صناعية ، وبينما الجميع مندمجون في إنهاء روسي اختباراته لإتمام الصفقة صفقة الجوهرة الآسيوية رن جرس الهاتف ، فمشى ارباس مسرعا نحو الهاتف ، واستمع قليلا ثم مشى نحو عرفان وهمس قائلا : ماريو فنزويلا.

سار السيد عرفان إلى الهاتف وقال : أهلا صديقي ماريو واستمع بضع دقائق ، وكان خلال الاستماع ينظر لحظة إلى الآسيوي ، ولحظة إلى روسي باستغراب ، ثم قال : أمـعقول ذلك أيها الصديق ؟!

وصمت ثانية يستمع ، ثم وضع السماعة وقال : روسي .. دافيد .. وصلني الآن خبر أن هذه الجوهرة مقلدة وليست أصلية.

ارتبك المكان لهذا التصريح ، وكان الخادم قد أعلن في هذه اللحظات أن المائدة جاهزة للعشاء مع الضيوف ، فهتف الآسيوي دهشا : مقلدة !.. ألم يفحصها خبيرك روسي ؟ .. إني أحس رائحة لعبة سيد عرفان؟!

قال عرفان : لا تقلق جوهرتك بين يديك ، ومالي عندي .. وهذا صديق عزيز وعاشق مثلي لجمع المجوهرات ، وكلنا يملك مجموعة مهمة ونادرة منها.

فقال روسي محتجا : سيد عرفان ! الجوهرة التي فحصتها قبل دقائق ، وفحصها زميلي دافيد جوهرة أصلية ألماس طبيعي .. وكيف عرفوا من هناك أنها مقلدة تقليدا متقنا ليخفى علينا؟!

فقال عرفان : هذا ما نقل لي الآن .. أنا لا أشك بقدرتك يا روسي ، ولا أنت يا دافيد ، ولكن لا يخلو الأمر من مكر وخداع .. سنسافر النمسا أو هولندا ، وهناك نعرضها على أعظم خبراء المجوهرات .. وشهادة عدد منكم يا روسي ستزيد من يقيننا ، وقد نسافر لندن أو برلين أو بلجيكا أم تجارة الماس.. فهذه ملايين يا حضرة الوكيل .. وكل الرحلات على نفقتنا الخاصة.

فقال الوكيل بغضب : نحن نعرف بضاعتنا !.. سنلغي الصفقة سيد عرفان .. ولن أرحل إلى

النمسا وإن كنت حجزت إليها لصرف الشيك الكبير.

فقال عرفان : سيدي الوكيل شانغ يانج .. لا يجوز إلغاء الاتفاق بعد كل هذه المصاريف والنفقات .. إنما نريد أن نعرض البضاعة على مزيد من أهل الخبرة .. وهذا من حقنا.

أجاب الوكيل : أحضرهم إلى هنا .. هنا أمان أكثر .. أنا أخشى على نفسي من السفر إلى أوروبا وأنا أحمل هذه الجوهرة .. فنحن منذ تركنا بلدنا ونحن في خوف وقلق وتوتر وحذر فكيف تريد منا أن نسافر إلى أوروبا ؟! .. فصاحبك هذا لا يريد لك الخير .. يدبر لك كيدا

وقبل أن يرد السيد عرفان على اتهام الوكيل لماريو ، رن جرس الهاتف ثانية فأخذه عرفان من يد السكرتير وهو يتعذر منه ويظن أن ماريو مرة أخرى : آ .. أنا عرفان .. من ! .. البوليس الشرطة ؟! .. ماذا قلت ؟ !

وترك السماعة وقال بذهول : قتلت مجدية!!

وارتخى على أحد المقاعد وأغمض عينيه ، فنهض الطبيب نحوه مسرعا يفحصه ، وأمر بنقله إلى مخدعه ، فقد تصدع قلبه لهول الخبر ، وتوكأ عرفان على أكتاف أبنائه وصعدوا به إلى مخدعه ، وقام ارباس بأخذ الضيوف إلى غرفة الطعام ، وبعد أن تناولوا لقيمات غادروا للفندق ، فنقلهم السائق بسيارات القصر مرة أخرى للفندق ، واستقبل ارباس رجال الأمن ، وكانوا ثلاثة ضباط ، ضابط برتبة كبيرة ومساعداه ، فرحب بهم وأدخلهم صالة الاستقبال فقال العقيد خالد محمد : لماذا أغلق السيد الكبير الهاتف أو سقط منه ؟!

فقال ارباس : نعتذر عن ذلك.. يبدو أن الخبر كان صدمة للسيد عرفان .. وها هو الطبيب يراقبه فقال لنا " قتلت مجدية " وتراخى على مقعده إنه مريض بالقلب .. ما الأمر؟

فقال العقيد : وجدنا أن امرأة تدعى مجدية تقطن في حي الرسمان مقتولة .. وسمعنا من جيرانها وزوجها أن بينها وبين المدعو عرفان قضية .. وأنها تريد أن تلصق به ولدا لها .. وأنه اعترف به .. وتريد أن تشهر ذلك في المحاكم .. فوجدنا أن المصلحة الأولى في الخلاص من المرأة تتجه نحو السيد عرفان .. وهو المستفيد من قتلها .. فاتصلنا به ثم انقطع الاتصال..

وجئنا لنسمع أقواله ، فكل الشهود أو قل الجيران يتهمونه بالغدر بمطلقته .. ولما سألنا عن الفنزويلي رأينا أن الأمر كبير جدا وخطير .. فأحببنا أن نسمع أقواله ورده قبل اتخاذ أي إجراءات رسمية والقيام بالتحقيق .. فأقوال الناس لا يعتد بها ما لم تثبت وتتأكد صحتها، فنريد أن نرى السيد عرفان وابن تلك المرأة المقتولة فقد قيل لنا إنه نزيل القصر.

فقال ارباس : حسنا .. هيا نصعد إلى غرفة السيد عرفان ، لعله يستطيع استقبالكم .. وأما السيد شاهر فهو في حجرته .. وسيأتي به الخدم إلينا هيا.

كان ارباس قد تعلم اللغة العربية قبل أن يعمل مع عرفان ، فقد تعلمها للعمل في إحدى السفارات العربية، وزاد معرفة بها منذ بدأ إنشاء القصر هذا ، دخل العقيد خالد ومساعدوه وأمامهم ارباس حجرة السيد عرفان الذي كان ممددا على سريره ، وقربه خادمه المخلص ، وكان ولداه سليم وعبير يجلسان على مقعدين قريبين من السرير ، والطبيب قائم بالقرب منهم ، فبعد التحية قال ارباس : يا سيدي الدكتور كيف حال السيد ؟

ـ ما زال متعبا ومتأثرا من الخبر.. وأنا أفضل أن يؤجل رجال البوليس السؤال أو الحديث معه لصباح الغد .. فللخبر وفشل الصفقة أثر كبير على قلب السيد.

فعاد ارباس يتحدث مع رجال البوليس ، ثم قال العقيد : نفهم من كلامك أن السيد عرفان أمضى مساء اليوم في القصر.

فقال ارباس : من السادسة مساء والسيد عرفان في القصر، ولم يخرج .. فلقد كنا على موعد مع صفقة تجارية مهمة . . سيد خالد.

وجاء الخادم الذي أرسله ارباس لينادي السيد شاهرا ، فقال له السكرتير عندما شاهده : أين شاهر ؟

فقال الخادم : غير موجود في حجرته .. وحرس القصر لم يروه يخرج من القصر .. فبحثت عنه في الحدائق والأجنحة فلم أجده .. فيشك بعض الخدم أنهم رأوه يقفز عن السور بعد السادسة مساء.

فقال العقيد : حسنا سيد ارباس ! نشكر لك تعاونك معنا .. ونتمنى العافية للسيد عرفان سنعود ثانية صباحا.

ـ حسنا عقيد خالد على الرحب والسعة.. أرجو أن تتحسن حالة السيد الكبير ليتمكن من مساعدتكم في الوصول للجاني.. وتتأكدون أن السيد الكبير بعيد عن الشبهة.. ولا يمكن أن يفكر بالجريمة فهي أم ولده.



لماذا قتلت ؟

تحدث عرفان مع المحامي الذي لبى الدعوة سريعا ، وكان الوكيل الآسيوي قد سافر ليلة فشل الصفقة ، وأجل عملية البيع لوقت آخر ، ولم يكترث عرفان لذلك كثيرا رغم شغفه الكبير بالجواهر، وكان الذي يهمه الجريمة التي أودت بحياة تلك المرأة ، وأحس أن له دورا في القضاء عليها، وكلف عرفان محاميه حميدا أن يتصل بمكتب التحريات للتحقيق في مقتل السيدة مجدية ، وكان المحامي قد قام بلقاء رجال البوليس ، وأعطاهم مختصر علاقة عرفان بمجدية ، وأعلمهم كذلك أن السيد عرفان مهتم جدا بمعرفة الجاني ، ولما كلف مكتب التحريات بالمساعدة لمعرفة الجاني ، اتصل المدير بعرفان وعرف منه الغاية من معرفة الجاني ، فبين له أن لديه إحساسا بأن لمقتل هذه المرأة علاقة به ، وأنه يريد المعلومات الكافية حول الجريمة ومتابعة تحقيق رجال الشرطة، وأن يقدم له تقريرا سريا حولها ، لا يطلع عليه أحد سواه ، فكان عرفان يخشى ممن حوله أن يكون لهم يد في الجريمة ، فقام المدير حمزات بتكليف رجل التحري الخاص "سعدي أحمد" ضابط شرطة سابق بمتابعة القضية ، وكان سعدي يلخص الجريمة للسيد عرفان والمحامي حميد قائلا وهم يجلسون في غرفة خاصة في القصر : الطبيب الشرعي يرى أن الجريمة قد حدثت بعد السابعة وقبل التاسعة ليلا .. ويرجح أنها كانت قريبا من الثامنة .. لأن الزوج قريبا من التاسعة أخذ ينادي على الزوجة .. فالزوج مريض وهو رجل شيخ كبير في العمر، وقد قال لرجال الأمن : أن زوجته مجدية قدمت له الدواء والعشاء حوالي السابعة مساء أو أقل بقليل ، ولما شرب الدواء أخذه النوم .. فالدواء يحتوي على مواد منومة أو تساعد على النوم ..ولما استيقظ من النوم أخذ ينادي على الزوجة .. فلم ترد فظن أنها نائمة في الغرفة الثانية.. فترك السرير رويدا رويدا، ومشى نحو الغرفة الثانية حيث توقع أنها ترقد ، فوجد الغرفة مغلقة ـ وهذا ليس من عادتهم ـ فدفع الباب فانفتح وهو ينادي على مجدية .. أضاء النور ولاحظ أنها نائمة في وسط الغرفة من غير غطاء فاستغرب ، فاقترب منها وحركها ، وهو ما زال ينادي ، فوجد أنها غارقة بالدماء ، فذهل ووقع في نفسه

أنها وقعت أثناء نومه ، وسال الدم من رأسها من شدة الصدمة .. ولكنه شاهد ولاحظ أن الدماء كثيرة ، فاتصل بابنتها سمر التي أتت مسرعة ، فوجدت أن أمها مقتولة برصاصات في رأسها ، فصرخت وفزع الجيران .. وكانت الساعة تزيد عن التاسعة بقليل ، فلما أتى رجال البوليس والبحث الجنائي ورجال المختبر الجنائي والتصوير .. فتحدث أحد الناس أنه رأى سيارة تقف قرب البيت من ماركة (فيات) حمراء اللون عند الساعة الثامنة تقريبا ، ولم ير أحدا من ركابها.

ولما سمع القوم الصراخ لم يروا السيارة ، والشاهد يقول : إنها سيارة حديثة ، ثم تطوع الناس بالحديث عن قصة الفنزويلي والسيدة مجدية وابنها شاهر .. والأمر الخطير أيها السادة أن السيد شاهرا اعترف للبوليس أنه قد زارها ، وكان عندها قرب الثامنة أيضا ولا يدري بالضبط ؛ ولكنه قال للشرطة بأنه ترك أهل القصر مشغولين بشراء المجوهرات ، وقفز عن السور متسللا للشارع البعيد .. وهناك أشار لسيارة مارة في تلك الساعة ، فركب معهم فنزل المدينة ودخل إحدى الحانات ، وأروى ظمئه من الخمر ، ثم ركب سيارة أجرة نحو حي الرسمان حيث تقطن أمه ، وتحدث معها بعض الوقت ، وقال إنه لم ير زوج أمه ، ثم انصرف، وعاد يبحث عن ملهى يقضي فيه ليلته ، فساقته قدماه إلى إحدى دور العرض للأفلام ، وعند نصف الليل غادر دار السينما وهو في عالم آخر ، ولما وصل القصر كان الوقت قريب الصبح ، ولكن للأسف لم يشهد أحد من أهل الحي أنه رآه يدخل بيت زوج أمه .. فشهادته تحتاج إلى دليل ، ولولا كلام الطبيب ووضعه الصحي وبلهه لوضع في دائرة المشتبه بهم.

فقال عرفان : وهل هناك مشتبه بهم ؟

فقال سعدي : لحتى الآن لا.. فالبوليس يرى أنها جريمة مدبرة ليست بنت الساعة، ولابد لها من دوافع .. وأكثر الشبهات تحوم حولكم يا سيدي مع أن تعاون محاميكم مع البوليس ، وتكليفنا بهذه المهمة حير وأربك رجال البوليس.. فأنتم مهتمون بمعرفة الجاني كرجال البوليس.

فقال عرفان بثقة : أجل ، أجل .. هل من معلومات أخرى ؟

رد الشرطي السري قائلا : دوافع الجريمة ما زالت مبهمة.. وأولاد زوجها أنكروا صلتهم بالجريمة ، بل ليس هناك دافع قوي يحفزهم للخلاص منها.. فثروة والدهم ضعيفة.. فهو يعيش على راتب تقاعد يأخذه على أثر إنهاء خدماته في جيش البلد، وهناك راتب تقاعدي آخر نتيجة عمله في إحدى شركات القطاع الخاص ،المهم أن ثروته وحرمان الزوجة منها ليست سببا كافيا الآن لارتكاب الجريمة .. وهناك إشارات لأسرة مكونة من زوج وزوجة كانت تسكن قريبا من بيتهم ـ بيت المجني عليها ـ منذ حين سكنت شهرا أو أقل ، ثم رحلت واختفت فجأة ، ثم تبين لنا أنهم يقصدون رجلنا وأهله اللذين تم تكليفهم بالاتصال بأسرة مجدية لأخذ مزيد من المعلومات .. وأخبرنا البوليس بتلك الحقيقة ؛ لأن بعضهم يشك بهم ؛ لأن ترددهم على أم سمر والجيران كان كثيرا .. وكانوا مهتمين بالسؤال عنها وعن حياتها الخاصة وولدها شاهر.. والشرطة أكدت أن أداة القتل مسدس من عيار ٣٨ ملم ولم يعثر عليه بعد ، وهم يرون أن رجلا أو شخصا واحدا هو الذي أقدم على الجريمة ، فهم لم يجدوا في الغرفة إلا آثار أقدام المقتولة وزوجها وسمر وقدم أخرى ، وساعد على ذلك أن أحد الجيران أمر بإغلاق الغرفة حتى يحضر رجال الأمن فساعد ذلك على حصر الآثار على البساط.

فقال عرفان : قد تكون آثار حذاء شاهر ؟

ـ الغريب أنها ليست آثار حذائه الذي كان يلبسه .. ويظن شاهر أنه جلس وتحدث معها في بهو الشقة.

فقال عرفان : السيد شاهر لا يعتد بأقواله.. أرى أنه ناقص الأهلية .. فهو كثير الشرود والنسيان .. ورغم العلاج الكبير الذي بذلناه نحوه فما زال ساذج الفكر عاشق للشراب .. فهو ما زال محتاجا للمعالجة والمتابعة.

فعاد سعدي يقول : المهم أن المجرم دخل البيت من غير أن يلحظه أحد ، ويبدو أنه تحدث مع السيدة ثم غدر بها .. فهي لم تقاوم ، ولم يظهر أثر عراك داخل الحجرة .. ويعتقد رجال الأمن

أن القاتل الغادر استعمل كاتما للصوت أثناء الجريمة، فلم يشهد أحد من أهل الحي أو الجيران بسماع صوت الرصاص رغم أن أهل الحي في مثل ذلك الوقت لا يخلدون للنوم .. فما زال الوقت مبكرا على النوم عند حدوث الجريمة .

فقال عرفان : عليك أن تبذل أقصى الجهد ، وأقصى الوسائل والمعرفة .. فأنا يهمني الوصول للجاني .. فكما تعلم فنحن كنا مقبلين على جلسة مهمة في حياة الشاب المدعو شاهر.

فقال سعدي بصراحة : يجب أن تتذكر يا سيدي أن أكثر الناس يهمهم موت تلك المرأة أنتم ، وكان هذا قبل موافقتكم على الاعتراف بشاهر كابن.. أما بعد ثبوت البنوة والأبوة فحياتها تهمكم شخصيا للقسم أمام القضاة.. فإذا كان دافع القتل الحاق شاهر فالشبهة تحوم حولكم أنت وأولادك ومرافقوك.

فقال عرفان بانبهار : أنا أعرف ذلك !.. ومن أجل ذلك كلفتكم بجمع أكبر قدر من المعلومات والتحقيقات عن الموضوع .. فأنا أخشى أن يكون لأولادي ومرافقيّ يد في هذه الجريمة .. فهذا أمر خطير وقاس على القلب .. ولكنني لا أرى في أولادي هذه القسوة التي تدفعهم للخوف على ثروتهم ، والتفكير بالجريمة لمنع بضعة ملايين عن أحدهم ، فهم كثر بفضل الله .. ولكن جشع ابن آدم عجيب ومخيف ، وسليم ابني الموجود هنا هذه أول رحلة له منذ جئت للبلاد منذ عشر سنوات رغم معرفته أنها مسقط رأسي وبلد أبي وجدي وأمي .. وهو شاب صغير لم يبلغ الخامسة والعشرين بعد .. وكذلك عبير فهي أول مرة ترافقني للثعبانية ، وأحبوا مرافقتي خوفا على حياتي وصحتي وموتي .. ولكن عليك أن تتابع حركاتهم منذ وصلنا قبل أسبوعين، وكذلك كل من حولي .. أنا تهمني نظافة الجميع يا مقدم سعدي.

فقال سعدي : أرجو أن تخيب الظنون يا سيد عرفان وأن يكون المجرم من خارج الأسرة والقصر فأنت رجل طيب!

فقال عرفان القلق المنهار: ولكن من يكون له مصلحة في قتلها بهذه الطريقة القاسية والجريمة

المدبرة .. ماذا عندها ؟!

فقال سعدي : رغم المعلومات الكثيرة عن السيدة مجدية التي قام بها مكتبنا الخاص ، وتحرينا عنها ، فلم نجد دافعا قويا يؤدي لمقتلها ، وحتى لو اتجهنا إليكم فليس هنا بالدافع الخطير الذي يؤدي إلى هذه الجريمة .. ولكن هل هناك صلة بين الجوهرة التي كنتم ترغبون بشرائها واختيار يوم مقتل المرأة ؟! بل لماذا فشلت صفقة الشراء ؟

فقال عرفان : لقد فكرت بكل ذلك ؛ ولكني لم أجد صلة ، ولم أصل لشيء لحتى الآن .. إنني الآن متعب جدا سأدخل غرفتي .. ولنكن على اتصال دقيق وسري يا سعدي.. هذا الجريمة أمر خطير .. خطير أيها السادة .. القصر تحت تحقيقاتك أستاذ سعدي تهمني الحقيقة كما تهم العدالة.

فقال سعدي : شكرا سيدي العزيز ، وأرجو أن نكون عند حسن ظنك وثقتك بنا

ولما انصرفا دخل الدكتور والخادم وقادوا السيد عرفان إلى حجرته ومنامه، وتناول بعض الأدوية وأقراص النوم ، وظل في سريره حتى هبط الليل ، فدخل الحمام واغتسل ، ثم نزل الحديقة حيث يحلو له السهر ، ولما استراح أرسل وراء ولده شاهر فعزاه بأمه ، ثم قال : لماذا ذهبت لأمك ذاك المساء يا شاهر ؟! .. هل أحد دفعك لتلك الزيارة ؟ بل لماذا خرجت من القصر تلك الليلة وبتلك الطريقة السيئة ؟ .. هذا تصرف اللصوص والجهال أنسيت نفسك وابن من أنت الآن ؟

فقال شاهر : سأقول لك شيئا يا سيدي لم أقله للبوليس.

فقال عرفان : تكلم يا ولدي .. ما هو الشيء الذي لم تقله للبوليس ؟

فقال بارتباك : يا سيدي الكبير ! .. تلقيت هاتفا مساء ذلك اليوم من أحد الأشخاص ادعى فيه أنه صاحبي ، وطلب مني زيارة والدتي ، وأخبرني أنها مريضة ومتعبة وتريدني ، وصدقته ، وهو الذي قال لي لا تخرج من الباب الرئيسي فقد يمنعك الحرس لانشغالهم بشراء الجوهرة الليلة فصدقته ، وخرجت متخفيا وتسللت داخل غابة القصر ثم قفزت عن الجدار ثم نزلت

المدينة ، فقلت أروي حلقي وظمئي من الشراب ، ثم أمضي لزيارة أمي .. فقصة هذا الاتصال المريب هو الذي دفعني للخروج بتلك الطريقة وزيارة أمي تلك الليلة.

فقال عرفان المستغرب لهذا الاعتراف : أحق هذا يا شاهر أم خيالك يوحي إليك بذلك ؟! ولماذا أخفيت أمر هذا الاتصال عن البوليس ؟!

فقال بخوف : إنني لا أثق بهم .. وسينهالون عليّ بكثير من الأسئلة.

ـ يا ولدي .. الضحية والمقتولة أمك .. يجب أن نعرف الجاني يا ولدي ..أنت الخاسر الأكبر في هذه الجريمة .. نحن كنا على وشك الاعتراف بك رسميا .. وهذا الآن تعطل ويحتاج إلى جهد كبير.. وقد لا ينجح .. ولكننا سنستغل هذه الجريمة لإعادة نسبك إلينا رغم تعقد الأمر.

فقال شاهر بحيرة : أنا مذهول مما جرى !.. ولماذا قتلت أمي الآن ؟!

ـ عليك أن تتعاون مع الشرطة تعاونا أكبر وجادا يا شاهر .. فالأمر مهم وعلينا المساعدة للوصول لليد الآثمة.

ولما انصرف شاهر من عنده أغمض عرفان عينيه ، وقد تمدد على الكرسي الكبير ، وأخذ يفكر بالعلاقة بين قتل هذه المرأة وصفقة المجوهرات ، ويتسأل "هل كان يوم مقتل مجدية وصفقة الجوهرة صدفة ؟ " ثم قال : أنا الذي حددت يوم اللقاء مع ذلك الآسيوي الغامض .. وهل حقا الجوهرة البيضاء مزورة ؟ وما أدرى ماريو بذلك التزييف؟! ولكن ماريو رجل رحلات وخبير في أخبار المجوهرات .. ولماذا اعتذر عن المجيء معي لمشاهدة هذه الصفقة ؟! فهو من النادر أن يتخلف عن السفر معي لشراء جوهرة أو تحفة نادرة من الأحجار الكريمة .. ولكن ما دخله في مصرع مجدية ؟ لماذا صرعت بهذه الرصاصات الثلاثة ؟ ومن يكون القاتل الخفي يا عرفان؟ أرى علة قلبي لا تساعدني بدراسة هذه المأساة .. ولكن عليّ أن أحاول .. مصيبة كبرى لو كان للأولاد يد في هذه الجريمة .. ولكن لماذا يقتلون؟ .. ماذا يستفيدون من منع إجراء النسب ؟ ..فقد ثبت مليون في المائة أن شاهرا من صلبي .. البصمة الوراثية والجينات

أثبتت ذلك.. وأيمان مجدية وإصرارها على هذه الحقيقة ..عبير فتاة طيبة وشابة صغيرة وأم طفلين .. وسليم صحيح أنه شرس وعنيد ؛ ولكنه أخ من عشرة فلا يضره زيادتهم واحدا آخر، والثروة كبيرة بحمد الله وفضله .. وكل له مشاريعه الخاصة .. لا أدري الآن ماذا يستفيدون من هذه الجناية الرهيبة ؟! .. الجوهرة والمقتولة .. هل من صلة أيها الإنسان بينهما ؟ يا ترى هل سيصل رجال البوليس لشيء يريح القلب ويعيد الصفاء له ؟ لا أظن ما داموا لم يجدوا أدلة في مسرح الجريمة ، وحتى المسدس لم يظهر .. لابد من معرفة المجرم ولو دفعت نصف ثروتي ، بل ثروتي كلها ! لماذا حدثت هذه الجريمة ؟! فالقاتل مجرم لعين ثلاث رصاصات في الرأس .. ولكنها كانت عن قرب فماتت على الفور قبل أن تصرخ بأي صرخة الوضع لا يحتاج لقاتل محترف .. الزوج لم يسمع صوت الرصاص .. فللرصاص أزيز رغم وجود كاتم الصوت.. ولكنه كان مستغرقا في النوم من الأدوية .. أعود وأقول الجوهرة ومجدية وفتح عينيه بعد هذه الرحلة، فوجد الخادم ينظر إليه باستغراب وقال : ظننت سيدي نائما ! ولما سمعت بعض تمتمتك أدركت أنك مستيقظ.

فقال عرفان : لا تقلق يا صاحبي كنت أفكر .. والتفكير متعب للقلب والبدن .. هل من شيء ؟

ـ لا .. ظننت أن ألما ألم بك ، فكدت أن أتصل بالطبيب ليحضر .. ولما أدركت تمتماتك صبرت نفسي.

وفجأة قال عرفان وبدون مقدمات : لويس الأمين .. هل ترى من خائن في القصر ؟

حملق الخادم في وجه سيده وقال : سيدي ماذا قلت ؟!

فقال عرفان : لا تندهش فالمرأة المقتولة كانت على وشك الاعتراف أمام القضاة بجريمتها .. وكانت الجلسة ستعقد قريبا ، بعدما تتم صفقة شراء الألماسة الآسيوية

فكر الخادم العجوز ثم قال: الأمر صعب على الذهن.. لماذا يقتلون تلك المسكينة؟

أرى يا سيدي أن لهذه المرأة أعداء وخصوما .. لا أظن أن أحدا من نزلاء هذا القصر قد

تضايق منها أو فكر بقتلها بهذه الطريقة الدرامية .. فإجراءات إعادة اسمكم إلى الابن قائمة والأوراق لن تغير الحقيقة .. فالحق أن الولد هو ابنكم، وإنما هذه الأوراق للرعاية والحماية والحقوق .. فهل يعني موتها أنك ستنفي الولد عنك فما قيل قد قيل ؟!

فقال عرفان : هذا صحيح يا لويس الطيب .. ولماذا قتلت إذن؟!

فقال الخادم : لابد أن لها أعداء يا سيدي.

فقال عرفان : سوف نرى ما يفعله رجال البوليس العام والخاص .. هيا بنا ندخل القصر .. هل اتصل ارباس بكاراكاس وأخبرهم أننا سنتأخر لظروف معينة ؟

ـ أظنه فعل يا سيدي.



الجريمة الثانية

قام السيد عرفان بزيارة مكتب التحقيقات الخاص بنفسه ، والتقى بالمدير العام للشركة ، وطلب الحديث بعد ذلك مع المقدم الشرطي المتقاعد سعدي أحمد ، ولما انفردا في أحد مكاتب الشركة قال السيد عرفان : ماذا أسفرت تحقيقات البوليس يا سيد سعدي ؟

رد سعدي : نحن نتعاون بشكل وثيق.. والبوليس وضع البيت تحت المراقبة الخفية، والمعلومات التي أدلى بها ولدك شاهر بناء على نصيحتك أثارت شهية رجال الأمن .. فهذا يشير إلى تأكيد أن الجريمة مدبرة ومخطط لها ، ودفع السيد شاهر لمسرح الجريمة لغاية الآن غير واضح.. لماذا دفعه المجرم أو المجرمون لمكان الجريمة؟! فهم يحاولون معرفة مصدر الاتصال ، ومن هو الصديق الذي دفعه لهذه الزيارة ؟ .. فقد أنكر زوجها وبناتها أن أمهن مرضت ذلك اليوم .. والمشكلة أن أقوال شاهر تربك التحقيق.

فقال عرفان : أعتقد أن كلامه صادق رغم ما به من خبل .. فشاهر سبب ضعف عقله ودماغه ظروف الحياة التي عصفت به منذ الصغر .. الوحدة والسجن والخمر والانحراف والفقر وعدم الزواج وعدم تحمل المسئوليات ، فكل ذلك أثر على ذهنه وفكره.

فقال سعدي : تقرير الطب الشرعي لا إثارة فيه ، ولا جديد ، فالرماية كانت عن قرب لا يفصل بين رأس المجني عليها وفوهة المسدس أكثر من نصف متر .. والرصاصة الأولى كانت القاتلة.. والبصمات لا يوجد بصمات غريبة عمن يتصل بالأسرة ، ولا يوجد سرقة في البيت .. والسيارة التي شوهدت ليلة الجريمة تقف قرب البيت من الصعب العثور عليها من غير أن يعرف أرقامها أو إمارات معينة تدل عليها .. الشاهد ذكر الماركة واللون .. وربما لا علاقة لها بالجريمة .. وأكثر الجيران لا يعرفون عنها شيئا لم يشاهدوها أو أنهم تستروا عليها .. فالجريمة ليست بسيطة .. وبالنسبة لأفراد أسرتك يا سيدي فقد تحدثت مع الخدم عن تحركات الجميع يوم الحادث ..وقد استعنت بسكرتيرك ارباس فليس لديهم معلومات دقيقة ، فحوالي الساعة الثامنة لم يكن ولداك في القصر ، ولا حتى السكرتير ارباس ، فقد قيل إنه ذهب

لإحضار الوكيل الآسيوي تاجر الجواهر ، وعلمت من أبنائك أنهما كانا في جولة في وسط المدينة ، وهما لا يعرفان تلك المرأة .. وإنما لمحاها مرة تتحدث معك .. والطبيب لم يغادر القصر ، والحرس بعضهم كان في القصر ، وبعضهم ذهب مع ارباس .. فمن الصعب الاشتباه بأحد من داخل القصر يا سيد عرفان.

فقال عرفان : وأنا معك في كل ذلك .. فما دام الشخص غير متهم فلا تستطيع إجباره على ذكر شهوده أثناء تلك الساعات الرهيبة ، الاشتباه يحتاج إلى دليل أو شبه دليل .. وماذا سيفعل رجال الشرطة في هذه القضية الغامضة ؟

تنهد المحقق سعدي بعمق وقال : الشرطة ستظل تتابع القضية ، حتى وإن أغلق ملفها وقيدت ضد مجهول.

فعاد عرفان القلق يسأل : سيد سعدي مجمل تحرياتك وانطباعاتك داخل القصر وسماع أقوالهم هل تشك في شيء في شخص ؟!

هز سعدي رأسه وقال : لم يتكون لديّ أي انطباع سيئ يا سيدي .. بل دهشوا للحديث معهم حول الجريمة .. فأخبرتهم بصراحة أن هذه رغبتك لأن البوليس والشرطة يشكون بهم .. فأدلوا بأقوالهم ببرود ومن غير اهتمام بالقضية.. وهم مستغربون لاتصال البوليس معك .. ولكن ارباس شرح لهم تعقيدات الموضوع؛ فكأنهم تفهموا الوضع وقبلوا الحديث معي ، وأجابوا على أسئلتي .. والمشكلة يا سيدي أن الأسئلة وحدها أحيانا لا تكفي ؛ لأن دافع الجريمة غير واضح للجميع .. فليس لدى السيدة مجدية أموال تدفع اللصوص والمجرمين لقتلها ، وليس لديها ثروة تدفع أحد الورثة للتعجيل في موتها .. نقطة الضعف الوحيدة التي تثير القضية هي علاقتها بكم وهي علاقة واضحة .. امرأة كانت في يوم من الأيام زوجة لك ، فحملت رغم أنفها منك ، وأخفت ذلك في أول الطلاق لأسباب ودوافع شخصية بها ، وتزوجت ممن رضي أن يشاركها في إخفاء الجرم ، ولما انتشر خبر موتك ظل السر حبيس الصدور حتى ظهرت على حياتهم من جديد ، وقد بذلت كل الجهود لرفض الاعتراف

بالمولود ؛ ولكنك أمام حقائق الواقع والتحليل الطبي استسلمت للأمر، والكل يعرف الآن أن شاهرا ابنك سواء دون ذلك في ورق رسمي أم لا.. فقتل المرأة لا يمنع تصحيح الخطأ.. فلماذا تقتل هذه المرأة ؟! فالحقيقة معروفة .. والمحامي حميد قد أخذ شهادة وتوقيع مجدية منذ زمن من العام الماضي .. وهي تقر بكامل قواها العقلية بأن شاهرا ولدك وأن كل المعلومات الموجودة حقيقية .. وهذا التوقيع وظروف الجريمة تدفع القضاة إلى قبول اعترافها.. ونزع اسم جاسم عن شاهر ووضع اسمك مكانه.. ومن ثم إنشاء الأوراق الرسمية له .. فقتلها لن يلغي هذه الإجراء.. إذا كان هناك شخص يسعى لتعطيلها .. فقط ربما تتأخر وحسب.

فعاد عرفان يردد بحيرة : إذن لماذا قتلت ؟! إن لم نكن نحن السبب .

ـ إنني أتتبع الأخبار والإشاعات ، وأجلس في الحي متنكرا ، وقد استأجرت حجرة صغيرة في إحدى العمارات على أنني عامل مغترب ، وبعد حين سأختلط بالجيران وأصحاب الحوانيت والبقالات.. ولابد من الوصول لشيء.

نهض عرفان ثم قال : على كل حال تابع جهودك وخطتك .. وقد رحل خبيرا المجوهرات صباح اليوم ، والأولاد يفكرون بالسفر.. وما داموا ليسوا في محل اشتباه سآذن لهم بالرحيل قريبا يا سيدي ..وسأطلعك على سر وهو أنني سأكلف شركات تحريات أوروبية للتحري عن قصة الجوهرة المقلدة التي كادوا أن يبيعوني إياها رغم خبراء المجوهرات الذين جلبتهم معي

ـ لعلهم صادقون ومنافسوك أرادوا إفساد الصفقة والتشويش عليك؟

ـ تأملت ذلك .. وماريو الذي اتصل وحذرني صديقي قديما .. ونحن هواة في هذه الرغبة .. وسفر الآسيوي السريع أكد لي ذلك التلاعب ففي نفس ليلة فشل الصفقة سافر.

ـ الآسيوي فكر بالرحيل بعد وصوله الفندق ؛ لعله تلقى اتصالا خطيرا فعجل بالرحيل .. وطالبوا هذه التحفة يهمهم إفساد الصفقة فخشي خطرا ما!

فقال عرفان : المهم أن المكتب الذي سأسافر إليه خلال اليومين القادمين سيقوم بالتأكد من المعلومات التي وصلتني .. وبعدها يكون لكل حادث حديث .. فروسي خبير كبير وقد

غضب مني .. ولكن وسائل الخداع والتزييف كثيرة هذه الأيام .. فيمكن خداع أجهزة الفحص بحيل رهيبة.. فتابع تفتيشك أيها المفتش ودعنا نظل على اتصال .. فقد بدأت بعض الصحف تغمز بي وتتسلى على مأساتي

وتصافح الرجلان ، وسار سعدي مع السيد عرفان حتى ركب المصعد ، ثم خرج من البناية ، فوجد السائق ينتظره فركب وانطلقا للقصر.

ولما تناول السيد عرفان العشاء ، وبلع أقراص الدواء ، وجلس يشرب الشاي مشروبه المفضل، خاطبه ارباس السكرتير فقال : مساء الخير يا سيدي فقبل الحديث عن اتصالات اليوم وأخبار العمل .. اتصلت بكم أختكم الفاضلة أمينة من قبل ساعات ثلاث.. ولما أخبرتها بخروجك ، قالت : فليتحدث معنا عندما يعود.

فقال عرفان وهو يضع الكوب الفارغ على المنضدة الصغيرة : ولم تقل ماذا تريد؟!

ـ لا يا سيدي.

ـ اضرب رقم بيتها يا ارباس.

ونهض السكرتير للاتصال ببيت السيدة أمينة ، فأجابه الدكتور أحمد ابنها البكر، فطلب أمه للحديث مع السيد عرفان ، ولما حضرت على الهاتف أعطى ارباس السماعة لعرفان الذي حيا ثم قال : نعم ، يا أمينة .. لماذا تبكين ؟! .. ماذا ؟! .. وكيف لم تخبروني .. إنني قادم ؟!

ووضع الهاتف والتفت لارباس ، وقال بغصة وحزن وانخطاف : ماذا حدث في هذه الدنيا يا ارباس .. ؟! أخبر السائق والطبيب والحارس بلانكا بالاستعداد للخروج.

فقال ارباس باستغراب: ما الأمر يا سيدي أثرت الهلع في نفسي ؟!

فتنهد عرفان وقال بحزن عميق : جريمة أخرى يا ارباس!! ..ماذا جرى في هذه الدنيا!

ـ جريمة .. جريمة قتل أخرى ؟!

ـ تقول أن البوليس عثر على جثة حفيدتها مريم قبل ساعات.. وقد نقلوها للمشرحة .. هيا!

أسرع ارباس ، وأيقظ السائق الخاص والطبيب والحارس وهو يردد : قبل أسبوع قتلت

مطلقته ..واليوم ابنة ابن أخته ؟!

ولما وصل عرفان لبيت أمينة وجد البيت مكتظا بالناس والأقارب والمعارف والجيران ، ومشاعر الحزن والخوف مرسومة وواضحة على الوجوه .. فاندفع نحو الدكتور أحمد الذي تقبل تعازيه بحرارة ودموع وشكر وهو يقول : قتلوها يا خالي! قتلوها خنقا بشال تضعه حول عنقها .. أمي في الداخل.

عزى عرفان جميع الحاضرين وأم مريم وإخوتها وأخواتها وأقارب زوج أخته أمينة، والتقى أمينة وهو يقول : صبرك الله يا أمينة .. وعظم الله أجرك.

ولما سمع كلمات الرد على عزائه عاد يقول: كيف حدثت الجريمة يا أمينة ؟!

فأخذت أمينة أخاها إلى حجرة خاصة، وأغلقت الباب، ولما جلسا قالت وهي تمسح ما تبقى على وجهها من دموع : والله يا أخي .. لها أسبوع كئيبة حزينة مرهقة ! لا أحد يدري السبب سبب ذلك الألم .. كانت تذهب للكلية بسيارة أخيها .. ويقول لا تتكلم أثناء الطريق إلا إجابة عن سؤال وترد باقتضاب .. وظننّا أن ذلك من تأثير المحاضرات والاختبارات.. ونقول فترة قصيرة وحالة نفسية وتزول وكانت تعود مع المساء .. وعندما نسألها ترد بغضب وضيق فندعها .. وهذا الصباح لم تذهب للجامعة ، وادعت لوالدها صباحا أنها مريضة ، فقام بفحصها فوجد عندها بعض الحرارة .. ولم يحاول الضغط عليها بالأسئلة ، وأحس أنها تعاني من مشكلة ما في الجامعة .. فتركها على راحتها .. وقد اتصل منذ أيام ببعض معارفها وزملائها فلم يفيدوه بشيء ، بل قالوا : إنها طبيعية جدا .. وعند الساعة الحادية عشرة قبل الظهر رن جرس الهاتف .. فرددت عليه بنفسي.. فسمعت صوت فتاة تطلب مريم فأتت مريم وسمعتها تتحدث آ .. نعم .. لا.. ثم دخلت غرفتها ولبست ثيابها وقالت لي : إني ذاهبة في مشوار يا جدتي العزيزة .. ولا تقلقوا عليّ إذا تأخرت .. وخرجت ولم تقل لي من هي التي تحدثت معها .. فاتصلت بأحمد وأخبرته بخروجها ، وأظهرت قلقي وخوفي عليها . . فقال : دعيها يا أمي .. فمريم ليست صغيرة وها هي في سنة خامسة طب ..

فوضعت السماعة وأنا أفكر بذلك الهاتف الذي عجل بخروجها ، مع أنها رفضت الذهاب للجامعة ، وفي الرابعة بعد الظهر جاءت سيارة شرطة ، وسألوا عن والد مريم ، وظنّنا أن حادثا قد جرى لها ، فردت أمها التي عادت من عملها في المستشفى قبل ساعة : ما الأمر؟

فقال رجل الشرطة : نريد والد الآنسة مريم ؟

فقالت الأم بلوعة وقلق قاتل : ما الأمر يا حضرة الضابط فأنا أمها ؟!

فقال بصراحة : قد وجدت الفتاة مخنوقة في غابة الأندلس.

فقالت أمها : ميتة ؟!

رد الشرطي بنـعم ، فصرخنا ، واتصل أحد الأولاد بأبيه ، وذهبوا مع البوليس إلى المستشفى ، وشاهدوا الجثة ، وتعرفوا على الفتاة.. فكانت جثة مريم ، وكانت بطاقتها الخاصة قد وجدت في حقيبتها ، وكذلك بطاقة الجامعة ، فساعد ذلك على الوصول إلينا بسرعة والتـعرف على مريم ، ففقدنا الصواب وذعرنا للحادث الرهيب، وأغمي عليّ طبعا ، ولما استيقظت اتصلت بك لأخبرك بالقصة والحادثة المروعة يا أخي .. وهذه هي مصيبتنا.

فقال عرفان وكله حزن وأسى : إنا لله وإنا إليه راجعون .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. فتاة جميلة ناعمة يصيبها هذا الأمر .. تخنق في ريعان الشباب ! ما أقسى هؤلاء المجرمون ! .. والويل لهم من غضب الله ! .. الويل لهم .. ألهمكم الله الصبر والسلوان .. فماذا يقول البوليس عن الجريمة؟

فقالت أمينة وقد عادت تمسح دموعها وتتنهد بحزن وألم : غدا سنستلم الجثة لنقوم بمواراتها في التراب . والشرطة لم تقل شيئا بعد .. سيسمعون أقوالنا قريبا .. وأخذوا أسماء معارف مريم في الجامعة .. ولا أعلم إذا أخبروا أحمد بشيء آخر .. المهم أن مريم ماتت ..إنا لله وإنا إليه راجعون!

ـ تصبري يا أختاه .. ولابد أن يصلوا للجاني الأثيم ـ لعنه الله ـ الغادر.. تصبري يا أمينة يا أم أحمد..

ولما عاد عرفان للقصر كان في غاية التعب البدني والنفسي .. وإن حاول أن يتظاهر بالثبات والصبر أمام أخته وأولادها ، وقد داخله إحساس مرة أخرى أن له علاقة أيضا بهذه الجريمة علاقة غامضة ، فقال هامسا : مجدية قتلت ولم يعرف الجناة أو الجاني لاتصالها بي.. وأخشى أن تكون هذه الفتاة قتلت أيضا لاتصالها بي ؛ ولكن كيف ؟! ماذا دهى القوم ؟ ! أين الشرطة ؟! أين الأمن ؟! كنت أظن أن جرائم القتل فقط هناك في بلاد الغرب والأمريكان.. إيه ، فالشر في كل مكان على وجه هذه المعمورة .. سنرى ماذا سيفعل البوليس في هذه الجريمة الجديدة ؟ .. غدا صباحا سأدفع الأولاد للسفر .. ثم أسافر للنمسا لتكليف سيمون برفاري بمتابعة قصة الجوهرة اللعينة.

في الصباح كانت الصحف المحلية تتحدث عن مقتل فتاة الجامعة ، وكان فيها بعض التفاصيل ولم تزد عما سمعه من أخته أمينة .. وجد أحد حراس الغابة الفتاة ملاقاة على الأرض عند إحدى الأشجار .. لم يشاهد بوابو البوابة الرئيسية وحرسها دخول الفتاة .. وهناك ثغرات وفتحات كثيرة في الأسلاك الشائكة المحيطة بالغابة يستخدمها الناس للولوج إلى المتنزه.. وأيام النزهات تقف سيارات كثيرة خارج الشيك الحديدي ويدخلون من تلك الفتحات ، ولم يشاهد أي حارس أي سيارة تقف ذلك اليوم الحار قرب الشيك.. ربما وقفت بعيدة عنه أو لم تأت الفتاة وقاتلها بسيارة خاصة .. وجد الحارس المتجول الفتاة مطروحة على الأرض ، فلما اقترب منها وجدها مزرقة الوجه ، فأبلغ أمن الغابة على الفور فحضروا .. وتم إبلاغ الشرطة التي قامت بالإجراءات اللازمة.. هكذا اكتشفت الجريمة ، والتحقيق جار في ملابساتها وفك ألغازها وأسرارها ..

وتعد الجريدة قراءها بمتابعة تحقيقات رجال الأمن في كشف المجرم الذي تسبب في قتل هذه الفتاة البريئة الطيبة الطالبة في كلية الطب في الجامعة ، وعلقت إحدى الصحف قائلة " المجرم الذكي يعرف أين يسوق ضحيته ؟ ومتى يخنقها ؟ فهو يعرف المكان جيدا ، ويدل على ذلك اختيار موقع خنق الفتاة وثانيا معرفته بخلو المكان في مثل هذا الوقت من المشاة ، وشدة الحر

في ذلك النهار تساعد الناس على ترك التنزه في ساعات الظهيرة .. فرحم الله مريم الفتاة الشهيدة .. ضحية العتاة والمجرمين.

ولما انتهى السيد عرفان من قراءة الصحف أخبر ولديه برغبته بالسفر إلى أوروبا وإلى النمسا بالذات بضعة أيام ، ورغبهم وحثهم على العودة إلى كاراكاس، وأنه سيعود إلى هنا بعد زيارة فينا لمتابعة هاتين الجريمتين ، وإتمام إجراءات إلحاق ولده شاهر باسمه رسميا ، وقد حاول الأولاد منعه من السفر إلى النمسا ، وحثوه على نسيان قصة الجوهرة والاهتمام بصحته ، فصمم وأقسم على السفر بنفسه، فأوصيا ارباس وطبيبه الخاص عليه ، وأخذا بالاستعداد للعودة إلى كاراكاس ، فحجزا تذكرتين إلى القاهرة المصرية ، ومنها إلى فنزويلا الأمريكية.



مشتبه به

سافر السيد عرفان ومرافقوه إلى النمسا وإلى صاحبه سيمون برفاري رئيس أو مدير شركة أمنية هناك ، وحدثه بقصة الجوهرة الآسيوية ، وبعد حديث طويل أخذه سيمون إلى شركة مهتمة بشراء الجواهر، وتحدث سيمون مع مالكها بقصة جوهرة عرفان ، ولما انتهى من الكلام رحب التاجر بعرفان ، وعرض عليه شراء مجموعته من الجواهر ، فشرح عرفان وجهة نظره وغرامه بالجواهر والأحجار الكريمة ، وعاد التاجر يتحدث عن الجوهرة الآسيوية ، وذكر أنه سافر لسنغافورة وقابل الوكيل الآسيوي ، ورأى الجوهرة وحاول شراءها قبل أن يعرف بها السيد عرفان ، وبين له أنه لم يتفق مع وكيلها ولا حتى مع الورثة ، فقد طلبوا مبلغا كبيرا لا تستحقه ، ثم علم أنها ستباع إلى رجل من كاراكاس من أمريكا اللاتينية ، ثم أكد له أن الخبير روسي لا يمكن أن ينطلي عليه التزوير ، وكان يرى أن الاتصال جرى للتشويش على بيع الصفقة ، وأكد له التاجر أن له منافسين رغبوا بإفشال عملية البيع ، ولما أخذ عرفان يدافع عن صديقه ماريو وصداقته القديمة قال التاجر : قد لا يكون ماريو هو الذي تحدث معك حقيقة.

فنظر عرفان لارباس الذي قال بدوره وهو ينظر للسيد عرفان بحيرة وقلق: ماريو!.. نعم ، ذكر لي أنه السيد ماريو صاحب حضرتكم .. وأنت لما تكلمت معه ألم تتحقق من لهجته ؟!

لم يرد عرفان بسرعة ، بل أغمض عينيه وحرك رأسه عدة مرات ثم قال : إنه ماريو ! سلم وتحدث عن الجوهرة .. فأخبرني عن التزييف والتزوير المتقن .. فشككت أن روسي متأمر معهم ، وقد دفعوا له مالا .. فأحببت أن آتي بها إلى هنا لنزداد يقينا .. والحق أن روسي دافع عن نفسه بحدة .. والآسيوي امتنع عن السفر إلى هنا فزاد شكي في الأمر .. وقد لا يكون الصوت صوت ماريو كان هناك بعض التشويش يا ارباس!

فقال التاجر: اتصل بماريو ، وتأكد أنه هو الذي تحدث معك وكيف عرف بالتزوير ؟ ووقت البيع ؟.. والآسيوي رفض السفر إلى أوروبا خشية من عصابات المجوهرات ولصوصها ، فالشرق الأوسط آمن في مثل هذه الصفقات .. فالعصابات المنظمة ضعيفة فيه ، وقد يكون

معه تعليمات ألا يسافر إلى أوروبا، وإذا كنت ما زلت راغبا في شرائها سأرتب لك رحلة إلى تلك البلاد .

فقال عرفان : إنني متردد الآن جدا في شرائها ؛ فإني أمرّ بظروف مرعبة ، وإذا فكرت ثانية بالحصول عليها سيكون بيني وبينك لقاء آخر.

وغادر الرجال المتجر، ولما دخلوا الفندق طلب عرفان من سكرتيره المخلص ارباس أن يطلب له السيد ماريو ، وأعطاه عدة أرقام خاصة ، فقد جعله التاجر النمساوي يتشكك في صوت رفيقه ماريو، ولما تحدث عرفان مع ماريو دهش لإنكار ماريو لذلك الاتصال ، فشكره ، وأدرك أنه كان ضحية لعبة ، وعادت الحيرة والشك لأفكار وعقل عرفان ويتسأل أمام ارباس : أمعقول أن يخدعني سمعي وذاكرتي يا ارباس ؟!

فقال ارباس معللا ما حدث : لم يخدعك سمعك ..ولكني لما قلت لك السيد ماريو على الخط كما أخبرني غلب على ظنك أنه ماريو .. فتعاملت معه على أنه صاحبك ماريو.. وأنا الآن أشك بأنه ماريو.. فقد كان على الخط تشويش أعتقد أنه مفتعل، وكذلك للوضع النفسي الذي كنا فيه لم نحاول التدقيق في سر المكالمة .. ولكن السؤال المهم يا سيدي .. من الذي يريد إفشال الصفقة الهامة ؟! .. هذا ما يجب أن نفكر فيه!

فقال عرفان : صدقت ، هذا ما يجب أن نفكر فيه .. مكر بنا .. للحقيقة نحن لم نتعامل مع هذه الصفقة بالسرية التامة .. السرية المطلوبة .. فكل الخدم والعاملين في القصر كانوا على علم بقصة الجوهرة حتى شاهر الجاهل الساذج عندما فارق القصر استغل توتر وقلق صفقة الجوهرة .. حتى قاتل أم شاهر استغل ذلك المساء ليرتكب جريمته ، ويحرض شاهرا بالخروج لانشغالنا بشراء الجوهرة .. هذا لغز يا ارباس علينا معرفة حله .. علينا أن نحاول معرفة الساعين لإفشال عملية البيع .. وكذلك من المتصل تلك الليلة ؟ هل هو من مصدر داخلي أو خارجي؟ .. فالسيد سعدي ضابط التحقيق الخاص سوف يساعدك في معرفة ذلك بواسطة شركات الاتصالات.. من التاريخ والوقت بالضبط وسوف تعرفون مصدر الاتصال ..

فنحن لم نبعد كثيرا عن عشرة مايو.

فقال ارباس : متى تعود إذن يا سيد عرفان ؟

فقال عرفان : نهاية الأسبوع .. نريح أعصابنا من جرائم الثعبانية بضعة أيام .. يبدو يا ارباس أنني دخلت في الشيخوخة المبكرة مع أنني لم أتجاوز السبعين سنة بعد .. لم أعد أعرف صوت ماريو ؟!

وأمضى السيد عرفان وسكرتيره وطبيبه وخادمه وحارسه رحلة هادئة في ربوع النمسا والدانوب.. ووصلوا القصر ليلا ، فتناول عرفان الدواء ، وحبات المنوم ، ورقد في فراشه حتى الصباح.



دخل السيد ارباس مكتبه واجتمع بمدير القصر أو قيم القصر ، واستمع منه عن الاتصالات التي دارت خلال الأسبوع المنصرم ، ثم اطلع على البريد القادم من جهات مختلفة ، ثم أجرى اتصالا مع السيدة أمينة بناء على رغبة السيد عرفان وعلم منها أن البوليس ما زال يتحرى ويتابع رفاق وزملاء مريم في الجامعة ، وأكثر الشبهات تحوم حول زميلها "جرير" ، ولكنهم لحتى الآن لم يثبتوا عليه شيء، فشكرها ارباس، وطمأنها على أخيها ، وأنه في الصباح قد يتحدث معهم أو يزورهم.

لما أصبح الصباح ، وتناول عرفان ناصر طعام الإفطار كالعادة شرح له ارباس سير العمل هناك وهنا ، واعلمه أنه تكلم مع السيد سعدي لمراجعة شركة الاتصال ومعرفة مصدر الاتصال ليلة العاشر من مايو ، ولما سأله عن أخته قال ارباس : كلمتها ليلة أمس ، وأخبرتني السيدة الفاضلة أخت حضرتكم بأن البوليس يشتبه بشخص اسمه جرير.

فهتف عرفان وهو يترك كوب الشاي من يده : جرير .. من جرير؟!

فابتسم ارباس وقال : لا أعلم ؛ ولكنه كما يبدو من كلامها زميل لها في الجامعة.

فقال عرفان بتعجب: أيضا زميل لها في الجامعة ! .. ارباس سوف أتحدث معها بعد قليل .. وأعرف من جرير هذا ؟.. إنني ـ يا ارباس ـ أذكر أنني سمعت هذا الاسم قبل هذه المرة .. جرير!

ـ كيف ؟!

فقال عرفان : هذا شاب قريب لنا.. أنا لي إخوه من أبي.. أربعة ذكور وابنتان ، وكلهم أكبر مني ومن أختي أمينة ، ولما ماتت أمي قديما هجروننا ونسوننا .. ولما هاجرت للغرب لم أعد أفطن لهم ، فقد كان يهمني فقط أختي أمينة.. ولي أخت من هؤلاء الستة اسمها أسمهان .. فجرير هذا حفيدها.. لما دخلت الضحية مريم ـ رحمها الله ـ الجامعة ، التقت به ، وجرى بينهم ما يجري بين الشبان من الحب والغرام كما يزعمون ، وقد تقدم لخطبتها وهم في السنة الثانية من الدراسة .. فأمره ابن أختي الدكتور أحمد بالتريث حتى تنتهي الدراسة ، ويتعين في مستشفيات الدولة.. المهم أن الدكتور أحمد ابن أختي لم يعرف يومئذ أي صلة قرابة بينه وبين ذلك الطالب ، ولا حتى الفتاة ، وأظن أن الشاب مثلهم أيضا ، ولما تعرف على أحمد أخذ عنوانه واسم أسرته وعائلته ، وأخذ بالسؤال عنه وعن أهله، فعرف أن جدته من جهة أمه أخت أمه ، وأولئك أيضا عرفوا بهذه الصلة ، فحاولت أسمهان التقرب لأختها بعد كل هذه السنين من الجفاء من أجل هذا النسب والزواج ، فلما التقيت بأختي حدثتني كما تعلم عن هذا الخطيب ذات مرة.. فقلت لها ولأحمد " أرجو أن لا يتم هذا الزواج يا أمينة "، وتضايقت مريم من كلامي هذا ؛ كأن والدها حدثها برفضي لهذا الزواج لتنساه ، وإن لم يكن الرفض من جهة الأب أحمد .. تذكرت كل هذا يا ارباس .. فأنا مستغرب من هذا الاشتباه .. فهذا الشاب متعلق بها تعلقا كبيرا ، بل حدثتني أختي أنه أخبر والدها بأنه سينتحر إن لم يتزوج مريم .. إنه ولد مجنون .. فصبره أحمد وقال له من جديد : لما تنته الدراسة يخلق الله ما لا تعلمون ..وللحق

أيضا أن مريم مغرمة به وتعشقه، وهي راغبة به وتضغط عليهم لإتمام الخطبة على الأقل .. فقد رأته فارس أحلامها كما يقول أهل العشق .. فهل يمكن أن يكون هو جرير الذي حدثتك عنه أختي؟!

فعلق ارباس : أيمكن أن يقتل الفتاة التي يهواها ويحبها؟! وهو الذي هدد القوم بالموت إن لم يحققوا حلمهم ؟!

فقال عرفان : هذا صعب التصديق ؛ ولكنه ليس غريبا .. يا ارباس فالذي يهدد بالانتحار يهدد بالقتل.

وتحدثا قليلا بشأن العمل والشركات ، ثم نهض عرفان وجلس عند الهاتف وأجرى اتصالا بنفسه بمنزل أمينة ، وبعد السلام والمجاملات سألها عرفان عن جرير المشتبه به في هذه القضية فردت : نعم ، هو جرير بعينه .. فالشرطة تشتبه به ؛ ولكن التي تحدثت معي يوم الجريمة امرأة ليس ذكرا .. فهذا ما يحير البوليس ورجال النيابة، فقد قال بعض زملاء الكلية إنهم رأوه في الجامعة في الصباح ، ولم يتغيب عن المحاضرات ، وفترة حدوث الجريمة ادعى أنه عاد للبيت ونام حتى العصر ، ثم قام بزيارة أخت له وزوجها ، وأمضى المساء معهم ، ثم عاد للبيت وأمه شهدت أنه كان في البيت ، وعدد من حراس الغابة يعرفونها ، وكثيرا ما شاهدوهما مع بعضهم ، وأنهم يترددون كثيرا على الغابة للجلوس وتناول الطعام؛ ولكنهم يوم الحادث لم يروهما ، وهذا لا يعني أنهما لم يدخلا الحديقة أو الغابة ذلك النهار ، فكثير من الناس يدخلون من خلال الفتحات الموجودة في الأسلاك الشائكة ، فهناك فتحات كثيرة .. فيتكاسل الناس من الدخول من الأبواب الرئيسية فيتركون سيارتهم خارج الأسلاك ، ويجلسون على الأرائك تحت الأشجار مقابل سياراتهم ، ثم ختمت أمينة كلامها قائلة : والله يا عرفان إنني منذ يوم عرفت أنه حفيد أختنا أسمهان نفرت نفسي منه ؛ ولكن هذه البنت ؛ كأنها لم تر في الدنيا رجلا غيره .. مصيبة وكارثة لو كان هو القاتل الغادر!

فقال عرفان بعد سماعه كل هذه المعلومات والشكوك : ولماذا يقتلها الملعون ؟! وهو يزعم أنه

محب لها لماذا ؟ هذا المهم يا أمينة.

فأجابت قائلة : لحتى الآن ليس هناك شيء واضح .. فسبب الجريمة غير محدد، ولكن الأيام الخالية قبل الحادثة كانت حالة مريم غريبة ، وكل وقتها في غرفتها .. الغم والحزن يغمرانها فلم تكن طبيعية .. كان هناك شيء حتى أن والدها أحمد يخشى أن تكون انتحرت وخنقت نفسها .. ولولا تأكيدات الطب الشرعي أنها خنقت بفعل فاعل ..شخص ضغط عليها الشال حتى خمدت أنفاسها .. لقلنا إنها انتحرت أو صدقنا ذلك الهاجس رحمها الله.

فقال عرفان : حدثني صاحبنا سعدي رجل بوليس متقاعد أنها قتلت بهدوء أعصاب ولم تقاوم قاتلها.. يبدو أن القاتل خدعها أو خنقها متظاهرا بالمزح حتى حشرجت روحها فتركها عندئذ .. آسف يا أمينة.. ارتفعت دموعك .. نسيت نفسي وأنا أتحدث عن قسوة المجرم .. وهذا لا يفعله كما يقول سعدي إلا شخصان .. إما فتاة تثق فيها مريم أو هذا المحب جرير ولكن لماذا تقتل؟ هذا ما يبحث عنه البوليس .. هذا ما سمعته صباحا من سعدي عندما اتصل ليسلم عليّ .. وهو لم يذكر أمامي اسم جرير معتقدا أنني لا أعرف شخصا بهذا الاسم على كل حال قلبي معكم وإنني أتابع القضية أولا بأول.

ثم أنهى الحوار وتمتم لنفسه وهو يضع الهاتف : لماذا يقتلها ذلك اللعين؟! فوالدها لم يرفضه رفضا تاما إنما أجل الحديث في الموضوع حتى تنتهي الدراسة .. ماذا جرى له عندما سمع بنبأ موتها ؟! إذا كان هو الفاعل لابد أن يكون هناك سبب أكبر من الرفض أو التأجيل قد دفعه للجريمة .. أقول مرة أخرى إذا كان هو القاتل الأثيم .. سأجتمع بسعدي اليوم حتى أسمع أخبار البحث عن قاتل مجدية وماذا استفاد من تنكره ؟

فقضى عرفان نهاره في داخل القصر ، فاطلع على الصحف ، وتحدث مع المحامي في قضية نسب شاهر، وبعد الغداء دخل المكتبة فقرأ في كتاب عن أسباب ودوافع الجريمة ، فوجد بينها الحب والعشق ، وأنه سبب قد يؤدي للقتل والجناية وذكر المؤلف عدة قصص وجرائم أدى فيها العشق لقتل المعشوق ، ووجد أن أكثر الجرائم في هذه الصنف تقع من النساء

المعشوقات، عندما تكتشف غدر الحبيب أو تشعر بضعف هواه وحبه نحوها ، فتعجب من ذلك ، واستمتع بقراءة هذه الحكايات ولما فرغ من القراءة علق قائلا :إذن يمكن للحب المزعوم أن يقتل! .. لا ، هذا ليس حب .. هذه أنانية ، المحب يحب لحبيبه الحياة وليس الموت الإنسان أمره مدهش وعجيب!!

غادر عرفان المكتبة، وتحدث مع مكتب التحريات الخاصة واتفق على لقاء مع السيد سعدي ، فرحب به المدير ، وانصرف إلى النوم فنام حتى المساء، ثم انطلق به السائق إلى مكاتب شركة التحقيق ، واستقبله المدير حمزات بنفسه ثم خلا بسعدي الذي أخبر بهذا اللقاء فترك منزله في حي (الرسهان) ، وبعد التحية والسؤال عن الصحة والعافية قال سعدي : تأكد يا سيد عرفان أنني أبذل أقصى جهدي وأدس أنفي بين كل اثنين في الحي ، واشتري الغرض وأمضي نصف ساعة وأنا أتحدث مع صاحب المحل.. ورغم كل هذا الجهد لم نتقدم كثيرا .. فالكل يتهم الفنزويلي بقتلها والغدر بها .. فهم يقصدونك بالطبع يا سيدي .. وعندما أواجههم وأقول أن الفنزويلي رجل كبير ومريض ولا يقوى على ذلك.. فيردون بأنه استأجر قاتلا .. فأضحك وأقول لا أدري هل يستأجر قتلة في هذه المدينة الصغيرة ؟! نحن لسنا في نيويورك أو شيكاغو فأتركهم على سذاجتهم وجهلهم وأتظاهر أنني مصدق لما يدعون .. فالقاتل شخص ماهر عرف اختيار ساعة تنفيذ الجريمة أو أن الصدفة ساعدته.

فقال عرفان : لم تمسك طرف خيط بعد ؟

ـ للأسف لأ .. ولكني لم أيئس يا سيدي .. فمهما كان المجرم بارعا لابد أنه ترك خيطا وراءه ..وأفواه الناس أحيانا لا تتفوه إلا بعد زمن ليس باليسير .. فالخوف يعقد الألسنة عن الحديث عما سمعته أو شهدته أو اشتباهها بشخص ما ولكن الأيام تجعل هذه الألسنة تتنفس..

فقال عرفان : وجريمة حفيدة أختي .. طالبة الجامعة الآنسة مريم.

ـ تعلم أننا غير مكلفين بالتحري والتحقيق في هذه الجريمة .. ولما علمنا أنها ابنة أخت حضرتكم أمرنا المدير أن نهتم بالأمر.. ولم نكتف بما قرأناه بالصحف ، بل تحدثت مع أحد

أصدقائنا في دائرة التحقيق عنها.. وكما ذكرت لك صباحا أنهم يشكون بصديق لها .. ولكن للعلاقة العاطفية الكبيرة بينهما يحاولون البحث عن قاتل مجهول ؛ ولأن جدة الفتاة شقيقتك أخبرت أن فتاة هي التي طلبتها ذلك الصباح.. فسبب ودافع الجريمة غير واضح لديهم .. والشاب يصر على الإنكار ، وأنه لم ير فتاته ذلك النهار.. وحرس الغابة شهدوا أنهم لم يروهم يوما في الغابة إلا وهي معه، فهم لم يروا واحدا منهما وحده البتة .. دائما معا إلا مرة واحدة شهد أحد الحراس أنه أتى للغابة ومعه مريم وفتاة أخرى.. فهو كثير التردد على غابة الأندلس فلذلك البوليس يرى أنه كان معها.. ولكن لا شهود.. فكان الوقت وقت حر وظهيرة ، ولم تشاهد الفتاة تدخل من بوابة الحديقة أو الغابة.

فقال عرفان : ولكنهما حبيبان ؟!

فقال سعدي : وهذا ما يدهش البوليس الآن.. ولكن البوليس قد تحدث مع زملائهم في الجامعة ، فشهدوا أنهما لا يكادان يفترقان خلال الدراسة إلا للضرورة .. وهم يقولون من الصعب رؤية مريم مع أحد من الزملاء دون جرير .. وهذا يؤكد أقوال حراس الغابة الذين يعرفونهما بشكل جيد؛ لذلك يرى البوليس أنه من الصعب أن تذهب مريم للغابة أيضا بدون جرير .. ويظنون أن الذي تحدث مع جدة مريم هو جرير ، وقد غير من صوته أو قلد صوت فتاة ؛ لأنه لا يوجد في حياة مريم بعد التحريات صديقة أو زميلة حميمة تدفعها للخروج من البيت في مثل ذلك الوقت ، وهي في حالة نفسية متعبة، تركت المحاضرات من أجلها .. فلابد من ساحب قوي، وهذا متوفر في جرير أفندي ، وقد أنكر هو هذا الاتصال .. ولا فتاة من صديقات مريم ذكرت أنها اتصلت بها في ذلك النهار حتى لمعرفة سبب تغيبها، بل من النادر اتصالهنّ بها.. والمشكلة أن أهل مريم لا يعرفون سبب تعبها وأزمتها في تلك الأيام التي سبقت الجريمة .. فالبوليس لا يرى أمامه إلا العاشق الولهان ؛ ولكن الأدلة غير كافية حتى تقدم للنيابة .. إنما هي أدلة ذهنية أكثر منها مادية .. وقد أفرج عن المدعو جرير .. وقد وضعوه تحت المراقبة إلى حين حتى يثبت لهم أنه بريء مائة بالمائة.

فقال عرفان وهو كأنه حالم : وطريقة قتلها الهادئة والماكرة لا يفعلها إلا من تثق به الفتاة وإلا كيف تسلم له عنقها يضغط عليها بالشال دون مقاومة ؟!

فقال سعدي : وهذا الشال يثير الارتباك في التحقيق ..الطقس حار فلماذا الشال ؟ وجدتها لم تنتبه لما كانت تلبس بالضبط ، ولكن الشال لها ثابت أنه لمريم .. والكلام الذي أشرت إليه أيضا أحد القرائن العقلية ضد جرير ؛ ولكنها جريمة قتل يا سيد عرفان ! فنرجو أن يصل البوليس للحقيقة ليرتاح بالكم وقلبكم .. فالإنسان عندما يجهل عدوا يظل متوترا وقلقا .. وقد يصاب بالأرق والاكتئاب النفسي.

بعد صمت خيم على المكتب لحظات قال عرفان : هل يمكن أن تنتحر؟! فوالدها الدكتور أحمد يقول: لولا تقرير الطب الشرعي لظن أنها قتلت نفسها .. فهي كانت تضغط على والدها في الشهور الأخيرة من عمرها لقبول جرير خطيبا وزوجا لها، فيرى أن الحالة النفسية الغريبة التي كانت تمر بها ربما زينت لها حب التخلص من الحياة .. فهم يتذكرون بعد موتها تلك الأيام العصيبة والهياج وغير ذلك من التوترات والتصرفات والعصبية.

ـ ولكن المكالمة الهاتفية .. وعدم وجود هذه الفكرة لديها مسبقا.. وهي لم تصل مرحلة الاكتئاب الشديدة لتتحدث عن الموت والانتحار والقتل .. فهي ما زالت تحاول وتضغط على والدها ليوافق على الاقتران بجرير ..فهو لم يرفض الرفض القاطع .. والفتاة ذكية وتدرس الطب .. ورغم الحب والعشق فهي ممتازة في الكلية ، بل كل مدرسيها يثنون عليها ثناء حقيقيا ليس ثناء مجاملة أو ذكر محاسن موتاكم .. وفكرة الانتحار بالخنق نادرة حسب معلوماتي .. فهناك وسائل أخرى كالمواد السامة أو إلقاء النفس في بحر أو نهر أو من مكان شاهق.. هذا ما يناسب الحالات النفسية الحادة .. فالانتحار يستبعده رجال الأمن .. فالراجح أن لجرير هذا يدا في الجريمة .. ولكن لا دليل الآن ولكنه سوف يسقط.

شكر السيد عرفان المحقق الخاص سعدي أحمد ، ثم ودعه وانصرف عائدا إلى القصر ليجد في انتظاره مفاجأة ! فقد أخبره السكرتير أن شخصا اتصل بالقصر، وطلب الحديث معه ، ولما

أعلموه بأنه غير موجود تحدث مع ارباس فقال مهددا :" فليكن صاحبكم على حذر؛ فإني قاتله قبل أن أقتل " ، فلما سمع عرفان هذا الكلام وهذا التهديد دهش وقال لارباس : ما معنى ذلك ؟! ومن يكرهني لهذا الحد ؟! ولماذا سيقتل الملعون ؟! ومن سيقتله ؟ !

ثم تريث قليلا ثم قال بعد فكر : هذا جيد!.. فهذا قاتل مجدية .. يبدو أنه كان يريد من قتل مجدية أن تلبسني التهمة.. فلما تأكد فشله فهو يريدني قبل أن يقبض عليه

فصفق ارباس إعجابا وقال: أوه ! هذا هو التفسير الدقيق لعباراته ..ولماذا يريد تلبيسك قضية مجدية ؟!

ـ هو قتلها كرها لي .. ولكن من هو؟.. لا أذكر أن لي عدوا هنا منذ نزلت هذه المدينة .. أما لماذا يا ارباس هذا ما سنعرفه قريبا ؟ أخبر البوليس فورا بهذا التهديد ، وكذلك المفتش سعدي فالمجرم بدأ يحوم حول جريمته .. أنا لا أخشى الموت ، فقد أخذت نصيبي من الحياة .. وأعلم رجال الحرس بهذا التهديد الخطير، وقل للمحامي حميد أن يحاول التعجيل بقضية شاهر.

ـ إن الأمر لجد خطير يا سيدي.

ـ هذا قاتل يا ارباس .. ألم يقتل امرأة لأتهم بها ؟

أخذ رجال الشرطة التهديد والتحذير الذي وجه للسيد عرفان بغاية الجد .. فالمجرم هو الذي اتصل بالقصر ليلة تنفيذ الجريمة ، وتحدث مع السيد شاهر، فهو يعرف القصر والسيد عرفان حق المعرفة كما يبدو لهم ، وقررت الشرطة وضع رقابة سرية له أثناء خروجه من القصر ، وقد ارتاحوا لتحليل السيد عرفان ، ووجدوه قريبا من المنطق .. فهناك عدو خفي للسيد عرفان .. وقد قتل مجدية معتقدا أنه سيتخلص من السيد عرفان أو توريط شاهر.. فقال مدير الشرطة : "إذن المجرم بدأ يتحرك"

ونشط رجال الأمن بعد ذلك الاتصال ، ووضع قصر عرفان تحت أنظار دوريات الشرطة والمباحث .. وهناك أيضا في جريمة مقتل مريم حدث تطور قد يكون مهما كذلك ، فقد وجدت إحدى شقيقات مريم في أحد كراستها الدراسية ورقة بخط مريم تتسأل فيها " هل

يمكن للمرأة أن تتزوج قاتلا ؟!.. وهي تعرف أنه قاتل" !

فلما قرأت الأسرة هذه العبارة احتارت .. فكلمة القتل كلمة مخيفة ، وعلى أثر معرفة الشرطة لهذه العبارة المكتوبة على ورقة داخل إحدى كراسات مريم.. فقد قاموا بجمع كتبها ودفاترها وتفقدها، وتمنوا لو أنهم وجدوا جوابا على سؤالها .. فمن هو القاتل الذي تتحدث عنه مريم ؟ .. فهل جرير قاتل ؟ وقتل من ؟!

فكان مدير الشرطة يقول للمفتش المكلف بالتحقيق : هذه العبارة فيها حل اللغز كله !

فسأله المفتش : كيف ؟!

فقال المدير: تخيل لو أن مريم علمت أن من كانت تريده خطيبا أو زوجا أنه قاتل .. سفاك للدماء .. هل تقبل الزواج منه ؟ .. وهل تصمت لتستر على جريمته ؟ .. وهل أحس ذلك الخطيب بأنها عرفت حقيقته وجريمته ؟ وأنها قد تفشي سره .. فماذا عليه أن يفعل ؟

فقال المفتش بسرعة : يقتلها! .. ليخفي جريمته الأولى .. فالقاتل لديه استعداد للقتل مرة أخرى حتى لا يعرف أحد جريمته.

ـ هذه جريمتنا والله تعالى أعلم.

سقوط القاتل

دوائر الأمن ترتاب بالشاب جرير بأنه هو الذي قتل صديقته وزميلته في الكلية ، ومن هو القاتل الذي تتحدث عنه كلمات مريم في إحدى كراسات الكلية ؟ رجال البحث والتحري يطاردون جريرا ، فقد وضعوه تحت المتابعة الدائمة ؛ وكأن جريرا أحس بذلك ، فهجر الجامعة وادعى أن موت حبيبته مريم، واشتباه البوليس به زاد من تحسره وألمه وحزنه ، فكان يكثر من البقاء في البيت ، وقد أحضر له والده معالجا نفسيا ، وقد زاره أكثر من مرة ، وبدأ يتردد على العيادة النفسية، مما حير رجال الأمن حتى أن بعض المحققين والمتابعين للقضية تسرب إلى نفوسهم براءته من الجريمة.

وكان سعدي يضع السيد عرفان المشهور بالفنزويلي في صورة هذه الأخبار، فيقول عرفان : هل هجره للدراسة ندما أم خداعا لرجال الأمن ؟!

ـ المحققون في حيرة من أمره .. فكل القرائن العقلية ، وأقوال زملاء الجامعة ، وحتى أقوال أصحابه في الحي تدل على أن مريم لا يمكن أن تذهب للغابة البعيدة عن العمران من دون جرير .. ووضعها النفسي في ذلك اليوم والأيام التي قبله تدل على أنه لا يمكن لمريم أن تقبل الخروج إلا مع شخص له تأثير كبير عليها .. وحدثه عن قصة الورقة التي وجدت في كتب مريم التي تتسأل فيها عن الزواج من قاتل .. ولكنهم حائرون من تقصد بهذا الكلام ؟!

فقال عرفان : الأيام القادمة ستكشف المزيد من الأسرار .. وغدا لنا جلسة مع القضاة في شأن ولدي شاهر، ويقول المحامي إن القضاة مقتنعون بهذا المطلب، وأن اعتراف مجدية أمام المحامي كافي لتصحيح الأوراق الثبوتية .. وستكون الجلسة في العاشرة صباحا إذا أحببت الحضور.. ويقول حضرة المحامي أن الجلسة لن تستغرق أكثر من عشر إلى خمس عشرة دقيقة فقط.

فرد المفتش سعدي : بالتأكيد سنكون معك .. فما زال رجال الأمن يفرضون عليك حراسة خفية منذ تلقيكم ذلك التهديد .. وربما تلزم شهادتنا لدى القضاة.

فعلق عرفان قائلا : أخشى أن يكون التهديد مزحة أو سخرية من أحدهم .. فالذي تلقى التهديد هو ارباس ..على كل نلتقي غدا أمام دار العدل.

ولما غادر عرفان مبنى شركات التحقيقات الخاصة ، واقترب من سيارته أطلقت عليه رصاصات من سيارة متحركة كانت تنتظر خروجه .. فلما فتح له رجاله الباب ليركب .. تحركت السيارة وأطلقت منها الرصاصات ، فأصابت أحد الحراس في ذراعه وأسرعت مبتعدة .. فقد كان الشارع في ذلك الليل قليل السيارات.. فارتبك رجال عرفان.. فأمر عرفان السائق بنقل الحارس المصاب إلى المستشفى ، ودخل المبنى واتصل بالبوليس وتحدث مع سعدي الذي هرع مسرعا ، وهو في غاية التوتر والاضطراب وهو يقول : أين رجال الأمن ؟! أين البوليس ؟

وكان أمن العمارة قد أخبر البوليس قبل اتصال عرفان .. فقد لاحظ الحارس الأمني المشهد ، ولكنه لم يتمكن من التقاط أرقام السيارة الهاربة .. فتجمع رجال الشرطة خلال دقائق ، واعتذروا عن غفلتهم في حماية السيد عرفان ، وبينوا أن الفريق المكلف بحمايته كانوا يجلسون في مطعم البناية يأكلون ويشربون الشاي ريثما يهبط .. فشكرهم عرفان ، فقال أحدهم : عندما طالت الجلسة مع السيد سعدي.. قلنا نتعشى ونشرب الشاي .. ونحن كنا نقوم بدفع الحساب عندما أطلق الرصاص.. فنحن لم نسمع صوت الرصاص .. فالمجرم يضع على مسدسه كاتما للصوت.

رفع رجال الشرطة الرصاصات الفارغة ، وحمدوا الله على نجاة السيد عرفان، وانطلقوا إلى المستشفى .. وهناك وجدوا أن الحارس قد ادخل غرفة العمليات لانتزاع الرصاصة التي استقرت في ذراعه ، ولما اطمئن عرفان على حياة الحارس ، قفل عائدا للقصر بحماية سيارات الشرطة وهو يقول : عدو حاقد .. من هذا اللعين الذي يريد قتلي ؟؟ غدا جلسة المحكمة!

اتخذت إجراءات أمن مشددة عند المحكمة ، وانتشر رجال البحث الجنائي والأمني في أروقة دار العدل ، وعلى الأبواب والمداخل خوفا من أن يكرر المجرم المجهول محاولة الاغتيال ،

وحضر السيد عرفان إلى المحكمة ، واستمع القضاة أقواله ، واطلعوا على اعتراف السيدة مجدية ، وشهادات فحص البصمة الوراثية ، ثم تم إعطاء السيد شاهر اسم أبيه الحقيقي .. وهنأ المحامي السيد عرفان على سلامته ونجاته من يد الغدر فشكره وقال : سأذهب للمستشفى لزيارة الحارس الشجاع الذي فداني بنفسه، وعليك متابعة أخذ قرار المحكمة ؛ لنقوم بعد ذلك بإخراج وثيقة شخصية وتغيير شهادة الميلاد للسيد شاهر ومن ثم جواز سفره فأنا أريد أن أسافر فقد طالت غيبتي عن البلاد والأعمال .. وليستمر سعدي بملاحقة قاتل أم شاهر .. وعليك بالاهتمام بأحوال أخواته الثلاثة .. فليس لهن الآن سواه.

ووعده المحامي بفعل كل مناسب ، وركب عرفان السيارة الخاصة به، وانطلق به السائق نحو المستشفى الذي يرقد فيه الحارس المصاب ، وكانت تتبعه بعض سيارات الأمن والشرطة ، ونزل عرفان إلى المستشفى والرجال أمامه وخلفه، وصعدوا إلى الطابق الرابع حيث ينزل الحارس بعد خروجه من غرفة العمليات ، وتعانق الرجلان ، وأبدى عرفان امتنانه وشكره الكبير للحارس الأمين وعلى إخلاصه فرد الحارس : هذا واجبنا يا سيدي ! لم ننتبه له ولحركة السيارة.

وبينما الجميع يثني على الحارس وشجاعته ، دخل أحد المرضى وهو يقول : أين السيد عرفان ؟ متظاهرا بأنه لا يعرف شخص السيد عرفان، وكان الطبيب المقيم يقول : هذا المريض دخل ليلة أمس ، وهو يعاني من آلام حادة في الأمعاء.

وبينما الطبيب يحاول التعريف بالمريض الذي يريد التعرف على السيد عرفان .. أخرج المريض مسدسا من ثيابه ، ولكنه قبل أن يستعمله كان قد تلقى ضربة من أحد رجال الأمن سريعا فسقط على الأرض، وانطلقت رصاصة أصابت الحائط من حسن الحظ ، وهجم عليه رجال الأمن سريعا ، فاقترب منه عرفان وصاح : أنت جرير حفيد أختي أسمهان ، لقد التقينا قديما!

فصاح الرجل المأسور بغيظ وحقد : إنني أكرهك .. أكرهك .. أنت سبب دماري!

فقال عرفان بتؤدة ودهشة : أنت إذن القاتل لمريم .. ولمجدية من قبل ؟!

فصاح جرير بحقد : أجل أنا القاتل! .. وأنت السبب .. ولكني تأخرت في قتلك لقد حاولت أمس ففشلت .. واليوم قد فشلت

فقال عرفان : أين التقينا أيها التعيس ؟!

فقال جرير وهو ينظر إليه بقهر وغيظ: يقال إن لك مستشفى خاصا .. هناك التقينا.

فهتف عرفان : أوه ! .. تذكرت .. كنت يومها مع مريم التي كانت تتمرن في المستشفى.. رأيتك معها .. ولكني لم أعرف اسمك يومها .. سلمتم عليّ .. ولم تعرفني بك مريم .. ولكن لماذا تكرهني وتحقد عليّ كل هذا الحقد ؟!

ـ لأنك رفضت زواجي من مريم.

ـ أنا ؟!

ـ نعم أنت ، ألم تقل لأختك وابن أختك أرجو أن لا يتم هذا الزواج ؟.. كانت مريم تحدثني بكل شيء .. فكرهتك ، حقدت عليك ، تمنيت موتك .. إنني أبغضك.

حضر مدير البوليس والمفتشون المكلفون بالتحقيق ، فسمعوا جريرا يقول : سأعترف لكم بكل شيء .. كنت أريد قتلك ثم أقتل نفسي .. لا حياة بعد موت مريم .. كان يجب أن تموت قبل أن أموت.

فساقه رجال الأمن مكبلا إلى دائرة التحقيق لاستماع أقواله واعترافاته.



جرير

"جرير نادي الساعد" طالب في كلية الطب في إحدى جامعات القطر، وهو ابن من ثلاثة ذكور للسيد نادي الساعد ، وأمه السيدة فاتن يسري وهي ابنة السيدة أسمهان ناصر أخت السيد عرفان ، فالسيد نادي الساعد رجل صاحب شركات وأموال، فلما نجح ولده الصغير جرير في الثانوية العامة ، وأحب الشاب أن يدرس الطب ، وأموال أبيه تساعده في ذلك ، فوافق الأب بدون تردد ، فقبل في كلية الطب ، ولم يبخل عليه والده بالمال ولا بالسيارة ، ولم يكن ينقصه الذكاء في التحصيل، وخلال السنة الأولى في الجامعة التقى بالآنسة مريم أحمد كطالبة في نفس الكلية .. وتصادقا ومع الأيام زاد تعلقهما ببعض ، فأصبحا عاشقين ، وانتشر ذلك في الكلية، وكما يقول أصحابهما " مشروع زواج قادم! " ، وكانا في انسجام تام ، ولما انتهت السنة الثانية اتفقا على الزواج.. وتحدث المدعو جرير مع السيد أحمد والد مريم في موضوع الزواج ، بعدما قامت مريم بتعريفهما على بعض ، وأبدى الشاب حسن نواياه ورغبته الصادقة بخطبة مريم والاقتران بها ؛ وليصبح الأمر واقعا ، ويتحركان من غير حرج ونظرات وغمزات الزملاء.. ولكن السيد أحمد لم يتحمس لهذا الزواج، وطلب منهما التريث بالموضوع بحجة إنهما تلميذان وغير ذلك من الأعذار .. هذا الاعتذار لم يعجب الشابان ، وأظهرت الفتاة غضبها من طلب أبيها تأخير الخطوبة حتى أن والدها اضطر أن يقول : ألستم تلتقيان منذ سنتين يا مريم ؟! .. فلماذا الخطبة ؟!

فقالت الفتاة : كلام الزملاء .. وجرير شاب رائع ومناسب.

فلم يقتنع والدها بأقوالها ومبرراتها ، وأخذ يسأل عن أسرة الشاب ، فعرف بصلة القرابة التي تربط بينهم من جهة الجدات ، فتعقد الأمر لديه ، ولكنه لم يظهر ذلك النفور لمريم ، وحدث أمه بذلك ، فغضبت وحاولت منع مريم من الزواج بهذا الشاب .. فقط لأنه حفيد أختها أسمهان ، بعكس أختها أسمهان فقد كانت مسرورة لهذا الزواج ، بل اتصلت بأمينة وزارتها بعد كل سنوات الانقطاع لتقنعها بهذا الزواج ، وأنه قد يكون فرصة للتقارب وإعادة اللحمة

الاجتماعية للأخوة ، ثم ظهر السيد عرفان في حياة الأسرة، وامتلئوا سعادة بمعرفته وحياته، وحدثته أمينة بذلك ، فحبذ أن لا يكون هذا الزواج ، ونقل كلامه لمريم لعلها تستمع له وتقنع به ، فهي كانت مبهورة بخال والدها ، ومعجبة بقصة كفاحه ، وكانت تتحدث بذلك أمام الجميع وبفخر حتى سمعت وعلمت عدم رغبته هو الآخر بزواجها من حفيد أخته جرير ، أخته التي ماتت في قلبه ، بل كانت تحلم بأن تشفعه في موضوعها .. فحبها الكبير لصديقها جرير غير من هواها نحو أهلها وأسرتها ، وظهر النفور منها لكل أفراد الأسرة ، وازدادت تمسكا بفتاها ، وكان عرفان يحدث أخته أمينة بحكاية شاهر والتطورات التي تحدث ، وكانت مريم تسمح لنفسها بسماع هذه الأخبار عندما تتحدث بها جدتها لأبيها ، وهي بدورها تنقل الكلام بقصد القص والحديث للسيد جرير الغاضب على عرفان ، ولما عرف أنه شقيق لجدته أسمهان ازداد عليه حقدا وبغضا ، وكان يرى أن لهذا الرجل تأثيرا كبيرا على أمينة وابنها أحمد لما سمعه عنه من مريم ، واعتقد أنه سيكون العقبة الكبرى في طريق زواجه، وكانت مريم نفسها ترى ذلك ، وخشيت أن يطلبها لأحد أبنائه ، بل نقلت هذا الهاجس لجرير الذي خاف هو أيضا من تلك الخطوة ، ومن غير أن يحاولا التأكد من ذلك الاعتقاد أو اختباره فأخذ الوهم يكبر في نفوسهما .. ويريان أن رفض أحمد والد مريم بإجراء الخطبة بينهما خوفا من أمينة وخاله عرفان ، مع أنه رفض الخطبة قبل ظهور عرفان في حياتهم .. ولما عرف جرير بأن السيد عرفان سوف يعترف بولده شاهر ـ كما يعرف القراء ـ فكر بتدمير حياة عرفان بالقضاء على السيدة مجدية ، ولابد أن يشتبه البوليس بالسيد عرفان ، فقد كانت مريم تنقل له أن السيد متردد بالاعتراف بالولد ، وأخذه إلى أمريكا لإجراء التحاليل اللازمة لإثبات البنوة .. وسمع أيضا بقصة الجوهرة الآسيوية من مريم التي سمعتها أيضا من جدتها أمينة عندما استفسر والدها عن سبب مجيء عرفان العاجل ، فشرح لها ذلك .. فتعجبت من حب أخيها للمجوهرات .. فأحب جرير أن يجعل يوم شراء الجوهرة مأساة في حياة السيد عرفان ، وأن يقلب فرحه إلى حزن وألم هكذا توهم الشاب .. وكان يملك مسدسا ، فاشترى له جهاز كتم

الصوت ، واستأجر سيارة ، ثم اتصل بشاهر وحثه على زيارة أمه ، وأوحى له بالقفز عن السور، وكان يقصد من ذلك كما جاء في اعترافه " إرباك البوليس وإثارة الشبه حول شاهر أيضا ، إن نجا منها عرفان " ، فجاء شاهر لبيت أمه ، وقد رآه جرير وهو يدخل البيت ، وقد مكث وقتا يسيرا مع أمه ثم نزل ، فلما ابتعد عن بيت أمه دخل جرير المتسلل البيت ، وسأل المرأة عن شاهر مدعيا أنه رفيقه فقالت : لقد خرج يا ولدي.

فقال : حسنا ، اسقني ماء سألحق به.

ذهبت المرأة وأحضرت له الماء وهي تعتقد أنه صديق لولدها ، فقال : أنا طبيب .. وقد زارني شاهر عدة مرات .. واليوم قال لي أريد زيارة أمي .. لو تذهب معي يا دكتور .. فأتيت به بسيارتي.. فلما دخل البيت دخلت البقالة لأشتري بعض الأشياء وأتحدث بالتلفون .. وبينما هي مصغية إليه ، وكان قد هيأ المسدس أثناء إحضارها كوب الماء فأطلق عليها الرصاص .. ثلاث رصاصات في الوجه والجبين ..فغدر بها وتركها حيث كانا يتحدثان ، وهبط سريعا حتى وصل السيارة الراقدة في ظلام الشارع .. وكان يلبس حذاء خفيفا لا يكاد يظهر أثره على الأرض .. هكذا قتل هذا الشاب المتهور هذه المرأة بدم بارد ؛ لينتقم ممن يعتقد أنه سيكون العقبة الكبرى في طريق زواجه من فتاته.. وفعلا أثيرت الشبهات حول عرفان ، ولكن ثبت أنه ليست لديه دوافع قوية لتدفعه لارتكاب الجريمة ، ولم يكن هناك مصلحة لأولاده في ارتكاب الجريمة ، ولكن الذي تورط هو جرير رغم ترتيبه الدقيق للجريمة فتهيجت أعصابه وتوتر ، واعترف لمريم بفعلته الشنيعة وتسرعه ، فتألمت لتهوره وضاقت عليها الدنيا بما رحبت وأظهر جرير ندمه الكبير أمامها ، وأنه استسلم لنوازغ الشيطان والشر، وتسرع في تنفيذ فكرته، وادعى أن ذلك كان بسبب حبه الكبير لها، ولإزالة عرفان المعارض عن طريقهم ، ولكنها صدمت لإقدامه السريع وجرأته على قتل المرأة للتخلص ممن توهموا أنه لهم عدو .. ولم علم منها أن الشرطة لا تتهم أحدا ممن نصب لهم الشرك بقتل مجدية ازدادت حيرته وتشوش ذهنه.. وأنه فشل باتهام عرفان أو حتى شاهر بالجناية .. فبدأ يظهر عليه الخوف

والرعب من مريم .. خاف أن تعترف للشرطة .. خاف من ضعفها الأنثوي .. فلم تعد تقابله بالفرح والابتسام والحب المعهود بينهم ..أصبح لقاؤها عتب وندم وبكاء وخوف وتلفت .. فعاد مرضه يصور له الخطر القادم والداهم من محبوبته .. فهي الوحيدة التي تعرف سره وجريرته.. والبوليس ما زال يبحث ويتحرى عن قاتل مجدية.. وكبر الخوف في نفسه.. فأظهر لها رغبته بالانتحار إذا أصرت على النفور منه.. فتقول بحدة : دعني من هذه الأفكار كيف تقتلها بدون أن تشاورني في الأمر؟! .. امرأة بريئة ما بينك وبينها ؟! كيف تصورت أن البوليس بمجرد قتلها سيتهم عرفان .. هذا غباء يا جرير؟!

فيبكي ويظهر الندم والعجلة ويقول : لا أدري كيف تصرفت ؟ بغضه أعمى قلبي .. إنه رجل حقود .. كل سنوات الغربة والمهجر ، لم تنزع من قلبه كره أخته ، بل أحفاد أخته .. إنه مجرم .. هو القاتل!

ـ ولكنك أنت الفاعل المنفذ!

ـ إنني أشعر بالأسف والندم والعجلة يا أميرة أحلامي .. لقد تسرعت ..لا تكوني ضدي يا مريم .. ساعديني.

فقالت بحزن : أنا معك .. وأشعر بأني شاركت مثلك في الجريمة القاتلة .. وسوف أساعدك .. ولكني أتسأل كيف سأتزوج من قاتل ؟ بل ماذا أقول لأهلي لو عرفوا بذلك ؟!

فهتف : لا أحد يعرف ذلك سوانا يا مريم.

ـ وهل ستنسى الشرطة الجريمة ببساطة ؟!.. سوف يستمر البحث عن المجرم يا جرير .. ويحتاج الأمر لسنوات حتى ينساه الناس والشرطة .. وماذا سنقول للأولاد إذا أكرمنا الله بهم بعد الزواج عندما يكتشفون أن أباهم قاتل ؟

فهاج وصاح : إنك تقتليني ألف مرة بهذا الكلام ! ولست أول مجرم في الدنيا .. الأرض مليئة بالقتلة.. وكل له أسلوبه وطريقته في القتل .. الجنود يقتلون .. القضاة يقتلون ..وها هم لهم أولاد وبنات.

فقالت بحدة أيضا : ويلك .. هناك فرق بين قتل وقتل.

فصرخ فيها : كله قتل! كم قضى القضاة على أناس أبرياء بالقتل! وكم معدوم ظهرت براءته بعد موته ؟! وكم مقتول في حرب أهلية ألیس هؤلاء الجند قتلة ؟!

فصاحت : ولماذا تكون أنت قاتلا ؟!

هكذا كانت أكثر لقاءاتهما بعد مقتل تلك المرأة .. اتهام وتبرير حتى ضاق جرير ذرعا بأفكار مريم .. وبدأ يتحسس عنقه ليل نهار .. ويخشى حبل المشنقة ، وتتزوج مريم رجلا غيره .. وحالة مريم النفسية تزداد سوءا ، ويخشى عليها الانهيار النفسي فتقر بجرمه .. تضخم الخوف في نفسه ، أصبحت مريم تشكل عليه خطرا ، وبدأت تراود نفسه فكرة قتلها والخلاص منها.. فكلما زاد الخوف من حبل الجلاد زاد هوسه بالقتل .. فخيال مجدية أمامه في كل مكان تهتف في وجهه " قتلتني يا ظالم ! .. لماذا قتلتني ؟! .. وما دخلي أنا بعرفان لتقتلني ؟!" فيصرخ ويبكي ألما ورعبا ، ووصل في النهاية لقرار قاتل وهو قتل مريم .. فلم يعد يطيق تأنيبها ونظراتها سوف تعترف ويعدم ، وتتزوج زوجا غيره .. سيمتلكها رجل غيره .. وهو فعل ذلك من أجل عيونها من أجل الزواج منها .. وفي ذلك اليوم اتصل بمريم والتقيا فقال لها : إنني مشتاق لك يا أميرتي .. فلما علمت تغيبك عن الجامعة اتصلت بك وقررت اللقاء بك.

وأخذ يحدثها عن شوقه وغرامه ، وكانت الدنيا في وسط النهار فانطلق إلى حيث يحبان اللقاء إلى غابة الأندلس .. لم يسر بها حيث البوابة الرئيسية بل ركن السيارة في مكان ترابي بعيد عن الغابة ، وهو يقول : المشي على هذه الرمال والتراب ممتع .. وهناك مدخل من الأسلاك الشائكة.

كانت مريم مستسلمة لإرادته ، ولم يخطر في بالها ما في نفس جرير من الإجرام والخوف القاتل بعد مسير نصف ساعة تحت الحر وأشعة الشمس اقتربا من الغابة .. كانت هادئة لا أحد يجلس على المقاعد المنتشرة في الغابة فالشمس حارة .. دخلا من إحدى الثغرات .. جلسا على الأرض تحت شجرة ضخمة .. أخذ جرير يتكلم بالأحلام والندم ويتمشى هنا وهناك .. فلما

تأكد أن لا أحد في المكان اقترب من مريم التي تتابعه بدهشة وتقول في نفسها : مسكين جرير حبه لي أعمى قلبه .. لابد أن بركانا في قلبه يغلي من الندم والأسف والخوف.

اقترب منها وهو يقول : مريم .. قتلني الحب يا مريم

فقالت : الحب لا يقتل يا فتى .. بل يطيل العمر .. أفكارك الضيقة هي التي قتلتك .. ليل نهار أفكر بتلك المرأة المقتولة برصاصات مسدسك.

وكان جرير وهي تتكلم بهذا الكلام يتطلع يمينا وشمالا فقالت : لا تخف .. لا أحد هنا .. من يأتي في مثل هذا الحر أيها الحبيب ؟

وضع يده على رأسها وقال : إنني أخاف منك يا مريم .. أخاف أن تكشفي سري لأحد الناس.

ـ ويلك أأستطيع أن أقول لأحد ذلك ؟! .. فالشامتون كثر.

فقال : ما هذا الشال الذي تضعينه على رأسك الجميل رغم حرارة الطقس ؟

هي لبسته لأنها كانت تشعر بالبرد ربما بسبب السقم خلال الأيام الماضية ، وأخذ الشال عن رأسها وأخذ يعبث به ، وكانت مريم تعلل سبب وضعها الشال وهي خارجة من البيت.. وادعت أنه بسبب المرض وإحساسها بالبرد منذ الصباح ثم قال : هذا مكانه العنق أفضل من الرأس . وأداره حول عنقها وهو يتظاهر بالحب والهوى .. فلما أحكمه حول العنق ضغط عليه وهي تنظر إليه بحيرة ودهشة حتى خمدت أنفاسها ثم قال : فليمت الخوف القاتل . ولما تأكد من موتها قال : لقد أراحتني من استعمال الحبل الذي أحضرته بلبسها للشال الناعم.

واختفى وهو يحمل أوزار الجريمة الجديدة على عاتقه قتل الفتاة التي ادعى أنه قتل من أجلها من أجل حبها .. الشيطان هكذا يسول للنفس .. ماتت مريم بيد من كم مرة داعبت يده شعرها الأسود الفاحم من الأيام الخوالي.

كانت الشرطة ترى أن الحبيب الولهان هو الجاني ، وإنما ينقصهم الأدلة المادية أو الاعتراف.. واستطاع جرير أن ينكر لقائه بمحبوبته ذاك اليوم .. فلم يره أحد من زملائه مع مريم ؛ فإنها لم

تأت الكلية منذ الصباح .. الهاتف الذي قلد فيه صوت فتاة عندما تحدث مع السيدة أمينة أيضا رفع الشبهة عنه بعض الشيء .. ولما أفرج عنه كان في غاية الانهيار .. وأحس بأنه سفاح قاتل رهيب .. بكى كثيرا على قتله مريم ، وظن أن الخوف سوف يذهب ويزول عن صدره ؛ ولكنه وجد نفسه جريحا متهما ، الطبيب النفسي يعالجه .. نظرات الزملاء والأطباء في الكلية فيها الاتهام والغدر .. البيت تحت المراقبة.. ارتفعت الرغبة لديه بالانتحار ..ولم يستطع مصارحة الطبيب المعالج بمأساته وجرائمه .. فقد غرق بمستنقع الجريمة .. البكاء والندم لم يغسل وحر الجريمة وإثمها في نفسه .. أصبح كلما يرى شرطيا يصاب برعب قاتل يظنه قادما للقبض عليه .. أشباح الضحايا تطارده .. نسي الصور الجميلة التي كان يعيشها مع مريم ، لا يرى إلا عينيها الجاحظتين نحوه .. العينان المستغربتان وحشيته وهما غير مصدقتين ما حدث ماتت مبهورة من جنونه " نعم أصبحت مجنونا " .. بدأ يراوده الخلاص من الحياة هذه المرة الانتحار .. ولكن يتذكر أنه لم ينتقم من عرفان من الرجل الذي تخيله عدوا ضخما له .. فلابد من موته أليس هو سبب فعله لكل هذه الجرائم .. فبدأ يتصل بشاهر من أماكن عامة ..الذي يظنه صديقا قديما له .. فكل بضعة أيام يتصل به .. ويعرف منه أخبار السيد عرفان بذكاء .. علم بعودته من النمسا ..وكان يعرف علاقة عرفان بشركة التحريات الخاصة منذ قتله لمجدية.. فقد كانت مريم تحدثه عن ذلك .. ذات مساء تحدث مع شاهر من بقالة فعلم منه أن والده خرج للشركة المذكورة .. فهو يعرف طريقها .. استأجر سيارة خاصة .. ودار بها هنا وهناك حتى أحس واطمأن أن رجال الأمن ليسوا خلفه فسار نحو بناية الشركة .. وأوقف السيارة قريبا من البناية وجهز المسدس .. يريد قتل عرفان ثم الانتحار بعد موته .. وكان جرير قد اتصل بالقصر سابقا وهدد بقتل عرفان .. فلما شاهد حرس عرفان وسائقه قد أضاءا السيارة .. شغل هو الآخر سيارته .. فلما لمح عرفان يقترب من السيارة .. تحرك رويدا رويدا حتى وصل بالقرب من سيارة عرفان وأطلق الرصاص ، وتابع سيره مبتعدا ، لم يعد للبيت ظل قريبا من المنطقة .. أدرك أنه لم يصب عرفان لقد نجا؛ بل أصاب حارسه إصابة غير قاتلة

فاشترى حقيبة ووضع بها بعض الملابس والأثواب ، وبلع بعض حبات الدواء ليتظاهر بالمرض ، وعند منتصف الليل أو بعده بقليل ذهب للمستشفى الذي يرقد فيه حارس عرفان كان ينتظر مجيء عرفان لزيارة رجله وحارسه .. إنه يريد قتل عرفان مهما كلف الأمر .. أخفى المسدس في حقيبة الثياب دخل قسم الإسعاف الأولي ، ووضع شيكا بمبلغ خمسمائة دينار لإجراء الفحوصات اللازمة لأمعائه .. أعطي بعض الأدوية السريعة المفعولية .. حجز له سريرا في الطابق الرابع قريبا من حجرة المصاب .. وتقرر أن يقام بتصويره على الأجهزة المتطورة في المستشفى في الصباح الباكر بناء على رغبته .. فقد أمضى ليلة على جمر ونار .. وفي الصباح لما أراد الأطباء تصويره طلب تأجيل التصوير لبعد الظهر.

ولما حضر السيد عرفان للمستشفى ترك الحجرة متظاهرا بأنه يريد التمشي في الممرات .. فدخل حجرة المريض الحارس ..وكاد يقتل الرجل لولا نباهة رجل الشرطة .. وسقط الشاب الطالب في كلية الطب في يد العدالة قبل أن يقتل خصمه الوهمي .. نجا عرفان ناصر من يد الغدر ، فحمد الله تعالى على لطفه ، واطمئن على الحارس المصاب ، وشكر فريق الأطباء والجراحين ، وغادر المكان وهو في ذهول من أمر الإنسان.

استقرار عرفان

لم تطل محاكمة جرير فقد أدلى باعترافات كاملة ، وأقر بها بنفسه وخطه، فحكم عليه القضاء بالموت .. وهذا جزاء القتل العمد .. وكان أهل الضحايا قد استقبلوا الحكم برضا ، وانتظروا تنفيذ الحكم الذي قد يستغرق سنة قبل تنفيذه .. ولعل ذلك يزيل عن قلوبهم الأسى والحزن على ما فقدوا من أحبائهم.

أما السيد عرفان فلما تماثل حارسه للشفاء غادر البلد إلى فنزويلا ، وانشغل بضعة أسابيع في قضية الجوهرة التي كان يرغب بشرائها ، وعلم بأنها بيعت لأحد الأمراء في بلاد الشرق ، فصرف نظره عنها ، ولم يحاول مـعرفة لغز الشخص الذي أفسد عليه الصفقة ، وعاد للنزهات والهدوء ، وكان شاهر في صحبته ، وأعجب شاهر بـ" الأريبا "الفنزويلية، وهي عبارة عن أرغفة صغيرة تصنع من الذرة ، وتعلم شرب الكانيتيلا اللاذعة الفنزويلية المشهورة ، وذهب إلى ميريدا حيث أعلى خط تلفريك ، وقد استمر عرفان بالعناية به وبصحته حتى تحسنت أحواله الصحية والبدنية ، وخف تعلقه بالكحول ، ثم عقد له على فتاة شرقية من مواليد فنزويلا ، وكان بين الحين والحين يتصل بأخته أمينة ويطمئن عليها، ويسمع أخبارها ، وكانت الأيام تمشي هادئة طيبة ، ثم تجدد مرضه القلبي فأصبح قليل الحركة.. يتحرك داخل القصر وأحيانا الشرفات ، وكان كما يقول لمحدثيه " ينتظر ساعة النهاية " رغم أنه لم يتجاوز السبعين بعد ، وشجعه الطبيب الخاص بالسفر إلى أمريكا الشمالية لإجراء عملية في القلب والشرايين ، وبعد طول جدال وضغط من الأولاد جهز للسيد عرفان طائرة طبية ، وسافر إلى بلاد الأمريكان حيث التكنولوجيا المتقدمة ، وبعد شهور من الفحوص والتصاوير والتحاليل أدخل السيد عرفان غرفة العمليات لإجراء جراحة في صمامات القلب.. وقد نجحت الجراحة القلبية ، وبعد شهور رجع عرفان لمكتبه وحجرته في كاراكاس ، وقد تحسنت صحته بعض الشيء ، فما زال يشعر بتعب وآلام في صدره ، وما زال يشعر بدنو أجله، فلم يعد يتابع الشركات والصفقات والحكايات، فقد ترك كل ذلك للورثة ، وأخلد للراحة التامة، وكان

يحث أولاده على تسفيره إلى مسقط رأسه إلى الأرض التي ولد عليها ، وبعد طول عناء وافق الأولاد كلهم على رحيل أبيهم إلى بلاده حيث يحب أن يموت ويدفن ، وحيث ولد ونشأ ، واعتذر الطبيب الخاص عن الرحيل معه والاستقرار في تلك البلاد ، فأثنى عرفان عليه الثناء الجزيل ، وقدم له هدية ثمينة ، وكذلك الممرضة ، وأما خادمه المخلص لويس فقد وافق على البقاء معه حتى موت أحدهما

وأما شاهر فقد فضل البقاء عند إخوته وزوجته التي رفضت الرحيل ، فخضع لها ، فأوصى عرفان أولاده بأخيهم وزوجته ، وسافر عرفان إلى قصره الذي أنشأه منذ أكثر من عشر سنوات واستقر فيه ، وقد فرحت أمينة باستقرار أخيها الدائم في بلده .. وطلب منها الحياة معه في القصر ، وبعد ترج وافق أولادها على ذلك الطلب ، فقد كان عرفان يحب أخته أمينة كثيرا منذ الصغر ، وعلم منها أن أبناء إخوتهم يحاولون الصلح معها ، وإعادة الحياة لحياة العائلة القديمة ، فسر عرفان لهذا الأمر وقال معلقا : هذا خير يا أمينة ! على المرء أن ينسى كل الأحقاد والضغائن.. وأنا رغم ما لقيت منهم أيام الطفولة من جفاء واحتقار وصد وبغض .. ونسيان وإهمال لا أحقد عليهم كما يتصورون .. رغم العناء الشديد الذي واجهناه وآلام أبي المريض ومن قبل أمي .. إنني الآن لا أفكر فيهم.. ولا أظن أن لهم في قلبي كره وما حاولت الانتقام منهم .. بادلتهم جفاء بجفاء .. لم أحاول أن أسعى إليهم ؛ لأنني نسيتهم مع الأيام .. والأيام كما تنسينا الأموات والآلام تنسي الأحقاد والجروح؛ فإذا أراد الإنسان أن ينسى أحقاده وبغضه وغضبه يستطيع ذلك.

فتعجبت أمينة من كلامه وقالت : هل يعني هذا الكلام إذا أقبل إليك إخوتك اليوم تصفح عن الماضي ؟!

فقال عرفان : ولو جاءوا قبل اليوم ؛ فإنني أصفح عنهم .. أنا لم أحبهم منذ الصغر ولا يعني هذا أن أبغضهم .. كنت ألومهم أكثر من بغضهم وحقدي عليهم.. لقد قصروا في حقنا نحن الصغار .. وحق أبيهم الضعيف .. هم الذين هجرونا وتخلوا عن والدهم الضعيف

الذكور والبنات .. وإن كنت تشيرين إلى موقفي من قصة زواج المرحومة مريم وذاك الشقي أنا تمنيت أن لا يتم هذا الزواج ؛ ولكني لم أرفضه أو أتدخل فيه كما فهم ذلك المنحوس .. فهو الذي ضخمه وكبره .. ولم أجلس معه ليسمع رأيي.. رأيته مرة بضع دقائق إن لم تكن ثواني في ممر المستشفى مع مريم ، وعرفتني به كزميل في الكلية وانصرفا.. ونحن الآن على حافة القبر.

فقالت أمينة : لقد حضر إخوتك إلى بيتي .. واعتذروا لي عن الأيام السوداء ، فقلت لهم مثلما قلت لي الآن " لم يبق للحقد مكان ، وكل واحد في بيته، وفي حاله، وبين أفراد أسرته ، ويومها تمنوا لقاءك ، فحدثتهم أنك مريض وتعالج في أمريكا، وقد حاول أحد أحفاد أخيك زياد أن يسافر إليك ليطمئن عليك ، ويطلب منك العفو والصفح عن زلات وأخطاء الماضي.

ضحك عرفان وقال : هذا جميل ! كان يجب أن يظهر هذا من زمان.

قالت : هذا حق .. ولكن حادثة موت مريم وإعدام جرير قربت البعيد ، وهزت النفوس ونحن أحببنا أن لا تتزوج مريم منهم ..ولكن الدكتور أحمد ـ رضي الله عنه ـ كان يؤجل ذلك إلى ما بعد انتهاء الجامعة.

فقال متأسفا : لا حول ولا قوة إلا بالله .. قدر الله وما شاء فعل .. هذا قدرها نسأل الله لها الرحمة .. وأنا يا أمينة لا مانع لدي من مصافحة الأخوة العاقين ، ورحم الله والدي الذي مات متحسرا على ضعف علاقة الأخوة وبرودها.. كانت أياما قاسية ومريرة ولولا فضل الله ، ثم ذلك الرجل رومانوس لما حصل لي كل هذا الخير والمال .. تذكرت أمنا الصابرة يا أمينة .. رحم الله والدتنا ورحم الله أبي مات والقهر يملأ نفسه وقلبه .. أنا متأكد من ذلك.

وتساقطت الدموع منهما ، وأخذا يترحمان على روح والديهما وقالت أمينة : لقد تعذب أبونا كثيرا بسبب أبناء زوجته الأولى .. كانت امرأة قاسية .. على كل حال ـ رحمها الله ـ هي الآن في دار الحق دار الموت.

فقال : وإخوتنا عليهم حق كبير يا أمينة .. لقد تعلم زياد وكبر .. وكان يستطيع معرفة الحق والصواب والخطأ والباطل ؛ ولكنه كان أنانيا محبا لنفسه .. كان يستطيع أن يساعدنا ويقف

معنا ولو سرا وخفية عن أمه .. ألم أترك المدرسة واشتغل بائعا متجولا على محطات السيارات والباصات وغيرها ؟ .. تنهد عرفان وتابع قائلا : أيام لا تنسى يا أخية ولكني أتناسها !.. كانت أياما مريرة وأمر من العلقم .. كم بكت عيناي؟! كم ذاق هذا الجسد من البرد والمطر والجوع والعري؟! وكم أحسست بالحسرة والضياع ؟! .. أنا أريد مصافحة إخوتنا يا أمينة من أجل أبنائهم وأحفادهم .. فأولادي لا يعرفونهم .. ولا أظن أنهم سيحاولون التعرف عليهم، فقد مكثت أشهرا وأشهرا وأنا أحاول إقناعهم برحيلي إلى هنا لأموت هنا وأدفن هنا بل فكروا ببيع القصر وإغلاق كل مصالحنا هنا .. ولولا خوفهم من موتي وزعلي لأجروا ذلك .. إنهم ليسوا أبناء هذا الوطن مثلي .. أنا أحن إليه أما هم فكلا ، لا حنين لديهم.. أنا حنيني كبير إليك وللمكان الذي مات فيه أبي وأمي .. فأنا في الحقيقة أريد مصافحة الأولاد والأحفاد.. ولا أنكر أن فعل ذلك الصبي قد أثر فيّ أيضا ؛ ولكنه مجرم بطبعه ، ولابد أنه كان مريضا .. فالمجرم مريض .. لقد أطلعني سعدي قبل سفري للعلاج على اعترافاته المؤلمة.

فعادت أمينة تقول : يا عرفان .. إذا كنت لا تريد مصافحة إخوتك فهذا شأنك ، وإنما أحببت أن أنقل لك رغبة الأحفاد والأولاد.

فقال وهو يتذكر الزمن البعيد : قلت لك بداية لا بأس .. القصر مفتوح للجميع وأنا جاهز للقاء الجميع الصغير قبل الكبير.

فقالت : أعلم أن قلبك كبير يا عرفان! وسأتحدث مع ولدي أحمد ليخاطبهم بذلك .. وهو يرتب وقتا مناسبا لك لحضورهم حتى يسلموا عليك.

فقال عرفان : وأنا مستعد أيضا للذهاب إلى أي مكان يتفقون على الاجتماع فيه .. وليس بالضرورة أن يكون اللقاء في هذا القصر..

فقالت أمينة : سأتشاور في ذلك مع أحمد وإخوته ..وأنا سعيدة بعفوك ونسيانك أو تناسيك الماضي .. فالأولاد ليس لهم ذنب بابتعادنا عن بعض ، فلا نمنع من التقارب بينهم .. العجيب أن الكره والبغض يتوارث أحيانا .. فلا نريد أن نموت ونترك ذلك الأمر متوارثا حتى لا

يصبح عادة ودينا في الأسرة وبين الأخوة .. يكفي ما اكتوينا نحن بناره.

فقال عرفان : لم نكن نحن البادئين .. هم الذين ابتعدوا ونسونا وهجرونا .. فافعلوا ما شئتم يا أخية وما ترونه مناسبا ولائقا .. فأنا عدت للبقاء هنا حتى تخرج الروح إلى بارئها .. فالراحة والسكون كلي شوق وحب لها.

ـ سأتصل بأحمد وإخوته ليأتوا لزيارتي اليوم .. وأعرض عليهم ترحيبك بلقاء الأهل والأحفاد والأقارب.

ولما تلقى أحمد الاتصال من أمه ، وسمع منها موافقة خاله على أي لقاء مع إخوته وأخواته كاد يطير من الفرح والسرور ، ووعد أمه بالحضور هو وإخوته إليهم الليلة، ولما اجتمعوا بخالهم ليلا وأظهروا سرورهم بموافقته على لقاء إخوته ، قال لهم عرفان : أنتم طيبون .. أنا لم أكن ضد أي لقاء تصالحي معهم ، ولما نسيت هذا الوطن بسبب الغربة والهجرة نسيتهم ، لم أعد أذكرهم منذ استقر بي المقام في فنزويلا ، ولما علمت بموت أمكم نسيت هذا البلد ولم أعد أفكر به .. كانت أمينة الحبل الأخير لي في هذه البلاد.. لذلك لما عاودني الحنين أتيت وعمرت هذا المكان ، ولم أفكر بأمينة لاعتقادي أنها ميتة ؛ ولكن بعد سنوات تذكرت فطنت أن لأمينة أولادا.. فاشتاقت النفس للتعرف عليهم .. لم أسأل يوما ما عن إخوتي أولئك ، ولم يخطروا في بالي .. فقد ماتوا في قلبي ونسيتهم .. فلما علمت بحياة أمينة صعقت وذهلت وهذا تعلمونه فأخوالكم لم يفكروا بي يوما ما .. من قبل أن تولدوا ويولد أولادنا وأحفادنا .. لقد كانوا قساة القلوب .. فما دخلي أنا وأمينة في زواج أبينا على أمهم ؟! .. ولكن خمسون تنقص قليلا تنسي المرء حرارة الهجر وساعات الحرمان .. تعلم أمينة كم شقيت لتوفير الدواء لوالدهم !.. فيا أحفادي أنا لست لهم عدوا .. لي سنوات هنا ، ويعرفون بحياتي ، ولم يحاول أحدهم الاتصال بي .. تجاهلونني كما تجاهلتهم.. ولست حاقدا عليهم لذلك .. فهم نسوني كما نسيتهم .. فلا لوم بذلك فنحن سواسية .. أنا أعرف أن قصة مريم وذاك المجرم هي التي حركتهم وذكرتهم بكم.. ونحن سننسى الماضي والذي فات مات كما قلت يا أحمد ..

وصدقوني أنني لا أبغضهم .. ولكن لا أحب صحبتهم .. وسأقبل مصافحتهم من أجل الأحفاد ومن أجلكم أنتم .. وأنا أعتقد أن الذي سخر مني ومن أمينة واحد منهم .. أرسل لي برقية بموت أمينة ، وأرسل لأمينة برقية بموتي .. ولا أريد معرفة ذاك المجهول لأنه لا يعيد الماضي.

فقال أحمد : نشكرك يا خال .. فنحن الأولاد صحيح لم نكتو بنار الهجر والبعد والخصومة ؛ ولكن ظهور ذاك المجرم في حياتنا أيقظ أشياء نائمة وغائبة ، وأن هناك صلات رحم مقطوعة فمن أجل ذلك رضيت بالتشفع والتوسط بين الأخوة الكبار، ولنرفع الحرج عن الأفراد والأحفاد حتى إذا التقوا في أي مكان أو مناسبة كالأفراح والأتراح لا يتظاهرون بعدم معرفة بعضهم بعضا .. فهذا الذي شجعني على السير مع ابن خالنا الدكتور هشام زياد وأخوه المحامي فريد زياد

فقال عرفان : أنا تحت إرادتكم .. ويسرني لقاء كل هؤلاء الأبناء والأفاضل.. وكلنا أولاد آدم وآدم من تراب .. على الرحب والسعة فاختاروا المكان المناسب لهذا اللقاء.. والقصر تحت تصرفكم .. وما أتى بي لهذا البلد سوى الحنين والسنوات التي عشتها أيام الطفولة المعذبة فيه رحماك يا الله!!

قال أحمد : يا خالي الكريم .. سأدعو أولاد أخيك زياد لمقابلتك في البداية ، ثم نرتب أمر لقاء الأخوة والأخوات..

ـ افعل ما تراه مناسبا .. وأنا في انتظاركم .. وأريد منك يا أحمد ممرضة ذكية وفطنة تسكن في هذا القصر، ولو كانت متزوجة .. فالقصر واسع تسكن معها زوجها وأسرتها.

فردد أحمد : ممرضة ماهرة .. سأبذل جهدي .. المشكلة في التقاليد الاجتماعية هنا فعسى أن أجد طلبتك ومن ترضى بالمقام عندكم.

فقال عرفان :أنا طلبت من مدير المستشفى الخاص الذي وهبنا الله إياه ..فاعتذر لي عن ذلك .. فلا ممرضة تريد ذلك خصوصا المبيت .. وأنا أريدها في كل وقت وحتى الطبيب الخاص المقيم

بالقصر يريد تركي فهو غير مرتاح للحياة في القصر

ـ أنت تحتاج لطبيب كبير في السن أرمل.

فقال عرفان مبتسما : الحقني به يا خالي يا ابن أمينة العزيزة.

ـ سأفعل يا خالي ، وإن اضطررت أن أتعاقد لك مع طبيب وممرضة أجنبية .. أتسمح لي بالاتصال بولديّ أخيك زياد يقول المثل " خير البر عاجلة"

فأشار برأسه بالموافقة ، فقام الدكتور أحمد حيث يرقد جهاز الهاتف ، وأدار الرقم على ابن خاله هشام فردت زوجته ، وأخبرته أنه عند والده النزيل بالمستشفى ، فدعا لخاله بالشفاء ، وأخذ اسم المستشفى ، ثم طلب المستشفى وبعد لحظات كان يتحدث مع السيد الدكتور هشام زياد ، فبعد التحية والسؤال عن حال وصحة الوالد قال أحمد : إنني أتحدث معك من بيت عمك عرفان الفنزويلي كما يحب أن ينادى .. هو مسرور من مقابلتكم .. أنت قادم نحن بانتظارك لو أحضرت أخاك فريدا معك سأكلم أمن الباب بقدومكم .. نحن بانتظاركم لا تقلق خالي ينام في النهار ويحب السهر في الليل .. إنه لم يتناول العشاء بعد .. أسرعوا فخير البر عاجله.

كان والد هشام وفريد يرقد على سرير الشفاء، فقد أخذت الشيخوخة منه وأمراض الصدر والروماتيزم في المفاصل ، فقرر الأطباء إدخاله المستشفى بضعة أيام ليبقى تحت المراقبة والمتابعة ، فتحدث هشام مع أخيه المحامي عن الهاتف الذي تلقاه من أحمد داود فقال فريد : رائع !.. إنها فرصة كبيرة للم شمل الأخوة بعد كل هذه القطيعة الطويلة.

فقال الوالد لما استأذناه بالانصراف قال : من المتصل يا هشام ؟

فتطلع هشام في وجه أخيه فريد، ولم يرد فرد فريد : خبر مهم يا أبي .. هذا الدكتور أحمد ابن أختك أمينة اتصل بهشام من قصر أخيك الصغير عرفان يخبره أن الخال له والعم لنا لديه رغبة بالصلح ونسيان العقود الماضية من الهجران والتجاهل ويريد منا أن نقابل عمنا الليلة.

ارتسم الفرح على وجه زياد وقال : صحيح ما يقول فريد يا هشام ؟

ـ أجل يا أبي! سنذهب لمقابلة السيد عرفان.

فقال الأب : ما رأيكم أن أذهب معكم.. إني مشتاق لرؤية أخي .. آه! كم قصرنا في حقه ؟! .. وفي حق أمينة ومن قبل في حق أبينا .. سامحك الله يا أمي لقد كان قلبها قاسيا .. ونحن كان يغمرنا الجهل والضيق والعصبية ، عندما تزوج أبي ناصر ـ رحمه الله ـ أم عرفان كنت شابا صغيرا ، تصورت أن ذلك إهانة وظلم وغير ذلك من الكلمات الثقيلة .. خذوني معكم إني أريد أن أرى أخي قبل الموت .. أشعر بدنو الأجل.

فقال فريد : الأمر بيد الله يا والدي فعندما نقابل عمنا العزيز سنحدثه عن شوقك إليه ؛ فلربما أتى بنفسه ليراك فأنت ضعيف يا أبي .. امسح هذه الدموع .. الأمور ستتحسن ويلتئم الجرح.

فقال زياد : إنها دموع الندم والأسف .. عرفان الصغير إني أرى الماضي يتمثل في ذهني ساعة بساعة .. علامات الأسى المرعبة على وجه أبي عندما رحلنا عنه .. دموع أمينة .. لقد كانت قلوبنا من حجر يا أولاد .. اذهبوا انطلقوا .. حضن من عمكم يمسح دموع الماضي وهمومه ، وسلموا لي على عمكم الصغير.

هجم الرجلان على يد عمهم يقبلانها ، ويذرفون الدموع الغزيرة ، وعرفان يبكي وأمينة تبكي ويقول عرفان : لقد حرمنا والدكم من هذه العواطف من هذا الحب يا أولاد .. قاتل الله الجهل والكبر.

أخذ الرجلان يتحدثان عن ندم والدهم وعلى تفريطه في حقهم وحق والده ناصر، وكذلك ندم باقي الأخوة والأخوات والتقصير في حق أخويهم من أبيهم ، وأمضى الجميع سهرة ظهرت فيها العواطف الجياشة والأسف على ضياع هذه السنوات في الابتعاد والصد والتحاشي لبعض ، والتجاهل الكامل لبعضهم ، وسمع الجميع بعض الصور والمشاهد من حياة عرفان وسفره وهجرته ونجاحه في بلاد الأجانب حتى أن هشاما قال متمنيا : يا ليت ـ يا عماه ـ نستطيع أن نتعرف على أولادك.

تبسم عرفان وقال : أمنية صعبة .. ولكن أحمد وأولاد أمينة قد رأوا بعضهم.. فأولادي لا

يميلون لهذه البلاد ذرة ميل .. إنهم متعلقون ببلد أمهم ـ رحمها الله ـ وأعمالهم متيسرة هناك ، وأخذ يحدثهم عن أولاده وأحفاده وشركاتهم ورغبتهم الشديدة ببقائه عندهم ثم قال : يا أولاد .. إنني لم أحدثهم كثيرا عن هذه البلاد، فبعد علمي بموت أمينة قطعت صلتي بهذه البلاد إلى الأبد ، والتفتت إلى الأعمال الكبيرة التي كنا نقوم بها.. ولما كبر الشباب وبدأت أعتمد عليهم في إدارة المشاريع والمصانع .. عاودني الحنين للوطن فأتيت لبناء هذا القصر على الطراز الإسباني وقضاء بعض مواسم الصيف فيه إلى أن خطر في بالي يوما أن أسأل عن أولاد أمينة .. لقد نسيتهم في عجلة الحياة .. أو قولوا أردت أن أنسى كل شيء يربطني بهذا الوطن مات أعز الأشخاص لديّ أبي وأمي وأمينة وطلقت زوجتي التي ؛ ربما لو صبرت معي لظللت موصولا بالبلد .. ولكنها صعبت عليها الحياة في بلاد الأجانب أو قل الهوى كما اتضح لي هو الذي حرمها ومنعها من الرضا والقناعة بالحياة معي .. فلما عرفت بحياة أمينة لم تسعني الدنيا سعادة وفرحا ازداد حب هذا البلد في قلبي ونفسي .. وهذا عاقبته خير لنتعرف عليكم .. إذا مد الله في العمر سأحاول إقناع بعض الأولاد بالمجيء إلى هنا لتتعارفوا أو أرتب لكم رحلة تعارف إلى هناك وتتعرفوا على أولاد عمكم عرفان، وربما تزوج بعضهم ببناتكم .. ربما.

ووعدهم عرفان في آخر السهرة إن سمح له الطبيب بركوب السيارة أن يزور أخاه زيادا .. فشكروه على شعوره وتسامحه .. وغادر الجميع القصر هشام وفريد وأحمد وزوجته واخوته وزوجاتهم.. وكان هذا اليوم عندهم يوم عيد يوما تاريخيا ، وشكر هشام وفريد ابن عمتهم أحمد على جهده ودوره الكبير في تهيئة هذا اللقاء الجميل مع العم عرفان .

رتب الأخوان هشام وفريد اجتماعا مهما لأبناء ناصر الرشيدي وأحفاده وتصافح الأخوة مع عرفان ، وكان الكل يبدي أسفه وندمه على الأيام الماضية أيام الهجر والتجاهل، وكان هشام يقول لهم : علينا أيها الأحباب أن ننسى أو نتناسى على قول عمي عرفان مرارات الماضي وذكرياته، ليس من أجل الكبار فحسب بل من أجلنا نحن ، ومن أجل أبنائنا ، فالحنان والمودة

بين الأخوة والأهل ركن أصيل وأساسي في دفء الحياة الاجتماعية ،ونحن سعيدون بالجلوس مع عمنا وخالنا الفاضل عرفان ناصر الرشيدي .. الذي تفخر الأسرة بجده وتاريخه.

فنهض عرفان على عصاه وببطء فقال : الشكر لله أولا.. وحقيقة أنني سعيد ومغتبط بهذا الصلح .. فالشكر الجزيل لكل من ساهم فيه ، وسعى فيه ، وأخلص نيته في الوصول إليه .. أنا فقط في هذه اللحظات الصادقة عرفت معنى الأخوة والحب .. وأرى أن الأولاد خير منا .. وقد تمنيت الآن أن يكون أولادي بينكم ليعرفوا أن لهم أهلا وأقاربا .. ولكن هيهات هيهات.. فلم أحاول يوما ما زرع حب هذه البلاد في قلوبهم ، بل لم أذكرها لهم أو أمامهم .. وقد تعجبوا عندما اتخذت هذه البلاد البعيدة عنهم لإقامة هذا البناء ، وبعض المشاريع التجارية والخيرية .. يومذاك عرفوا أنني من هذا الوطن العربي ..وما أنا فنزويلي الأصل .. فلم يصدقوا حتى أقسمت لهم أمهم ابنة تلك البلاد تغمدها الله بالرحمة أنني من أصول عربية لماذا فعلت ذلك أيها الأحبة ؟!.. من الجور والقسوة التي تلقيتها من أحب الناس إليّ .. فعزمت وصممت على نسيان قومي وأهلي .. وقد نجحت ولكن الحنين قد غلبني في النهاية .. فعدت وكانت المفاجأة بعد عشر سنوات من ترددي على هذا الوطن أنني وجدت المخلوقة الوحيدة التي أحببتها من أهل هذا الوطن حية .. فعادت إليّ الحياة من جديد .. وأتمنى من أعماق قلبي والنفس أن لا يقسو بعضنا على بعض .. فالحياة الحقيقية أن نحب بعضنا بعضا .. ولا ندع الكره والبغض يطول ويكبر.

صفق الحاضرون هذا اللقاء التصالحي .. لهذا الخطاب التاريخي في حياة هذه العائلة..

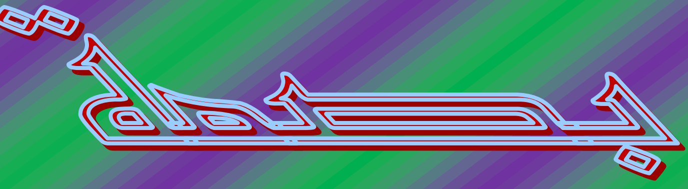
وهنا دخل الخادم الفنزويلي المخلص للسيد عرفان السيد لويس يعلن أمام الجميع : " الطعام ومائدة السيد عرفان جاهزة أيها السادة الكرام فتفضلوا"

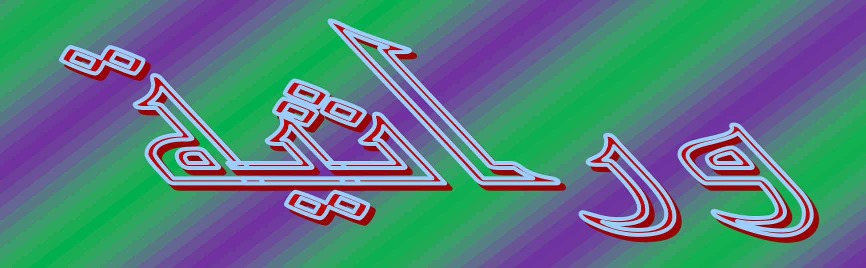
وكان السيد عرفان قد طلب من أحد المطاعم الكبيرة إعداد وليمة تليق بهذه المناسبة الكبيرة في حياة الأخوة الثمانية ، أولاد الرجل الفقير ناصر قدري الرشيدي

"تمت الرواية"





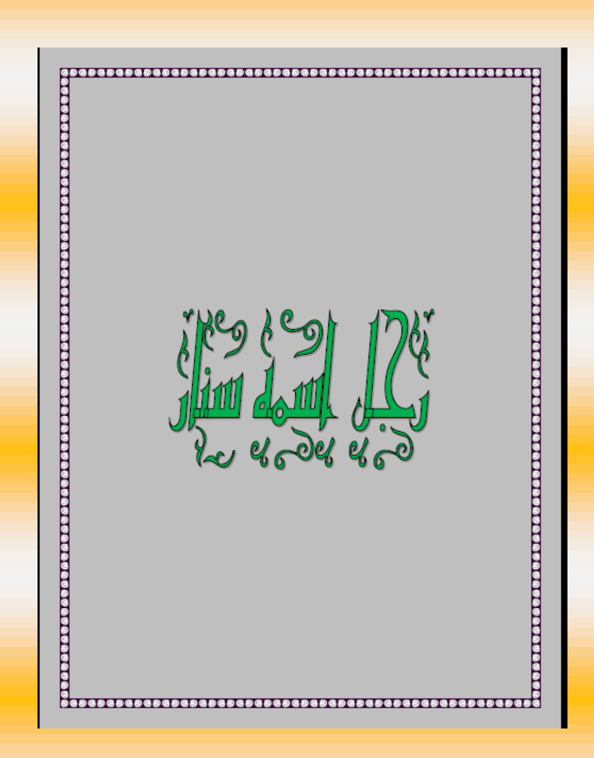




جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١





رجل اسمه



جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم



بدأت الجريمة في حانة تركية

وكمل القتل في حفلة رأس العام أمام الفندق

مخدرات .. سرقة سيارات .. تهريب .. العصابات

الضابط شقيق المقتول مصر على معرفة الجاني

فكانت هذه القصة رجل اسمه سنار




٨


التحقيق الجنائي والجريمة

جمال شاهين



حادث في إستنبول

منذ دقائق فقط دخل رباح حمدي البيت الذي يقطنه في حي ابن نصير ـ على اسم القائد المسلم الفاتح لبلاد الأندلس موسى بن نصير ـ فقد دخل البيت محييا أهل البيت ـ فالسيد رباح ضابط كبير في جهاز الشرطة ـ وبعد الترحيب بالزوج العائد من عمله نهضت الزوجة نحو المطبخ لتسخن طعام العشاء لزوجها الذي ألقى نفسه على إحدى الأرائك في صالة البيت مريحا لبدنه، ولم يخلع ملابس العمل بعد ، فقد كان يبدو للأسرة أنه مرهق ، ولم تكد تختفي الزوجة في المطبخ حتى رن جرس الهاتف في صالون البيت ، فقام جلال ابن الضابط رباح نحوه ، وكان رباح الممدد على الأريكة يلتفت إليه ، وهو يحدث نفسه قائلا : ربنا يستر .. أخشى أن تكون مهمة عاجلة.

فالضابط في الأمن عليه أن يلبي نداء الإدارة في كل حين ، رفع جلال الهاتف وقال بصوت مرتفع : نعم .. أهلا عمي .. نعم موجود .

اعتدل رباح على أريكته جالسا وهمس : عمك .. ماذا يريد هذا المساء ؟!

حرك جلال السماعة بيده كأنه يقول : لا أدري !

نهض رباح متثاقلا ، واتجه لمكان الهاتف، وتناول السماعة من يد جلال وهو يقول : آ .. السلام عليكم .

واستمع قليلا ثم علا صوته مندهشا : ماذا ؟! سنار أصيب بحادث نار .. لا إله إلا الله .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

كان يردد هذه العبارات وهو ما زال يستمع لأخيه ثم قال : سأكون عندكم بعد قليل .. أنا قادم بعون الله .

ووضع السماعة وكانت الزوجة تقف على باب المطبخ تنظر إليه ، وقد رأت انزعاجه وتوتره ، وكذلك باقي أفراد الأسرة شعروا بالقلق ، فقالت أم جلال باضطراب وخوف : ما الأمر ؟!.. من الذي أصيب ؟ سنار .. أليس هو في تركيا ؟!

فقال رباح بحيرة : سنار عمكم الصغير تعرض لحادث قتل في تركيا .. وسكت لحظة ثم تابع قائلا : اتصل بهم جبران صديق سنار الحميم وابن عمنا سعدي .. وأخبرهم بذلك الخبر .. وسأذهب الآن لبيت الوالد .. جدكم حمدي .. وأخي أبو عاطف هو الذي كان يتحدث معي .. هل تذهبين معي يا أم جلال ؟

فردت الزوجة : والطعام ! .. كل قبل أن تذهب .

قال : لا وقت للأكل ..هيا البسي .

مشت إلى حجرتها لتلبس ملابس الخروج ، وانطلق رباح لسيارته ـ فهو كما تعلمون لم يخلع بعد ثياب العمل ـ وشغل محركها منتظرا قرينته ، ولم يطل الانتظار ، وجلست أم جلال بجواره ، وأسرع الرجل بها نحو بيت والده حمدي ، وهناك وجد الأخوة وبعض الأقارب جالسين يتحدثون حول الحادث الخطير ، وماذا يفعلون ؟

فسلم ثم صافح الجميع ، ودخلت زوجته حيث النساء أيضا يتحدثن عن أسباب وملابسات الحادث ، ولما استقر رباح على أحد الكراسي علم منهم أن جبران اتصل بهم ، وأخبرهم أن سنارا تعرض لإطلاق نار من مسدس في مقهى في وسط إسطنبول ، وهو مصاب ، وقد نقل لأحد المشافي التركية .. ولم يتحدث إليهم بالتفاصيل.. ثم عاد وتحدث إليهم عن وضع سنار الصحي .. وذكر لهم أن الحادث قد جرى في أحد ملاهي المدينة الليلية حيث كانا يسهران .. وقد اعتدى عليه شخص بالرصاص ، وحاول الهرب ولكن أمن الملهى تمكن من السيطرة على الموقف والقبض على المجرم .. وهو بين يدي البوليس التركي.

وأخذ القوم يتحدثون بعد سماع هذه التفاصيل عدة مرات ، ويتشاورون حول الخطوة المناسبة إزاء هذه الجريمة ، ولم يعرفوا سببها من فم جبران ، وفهم بعضهم من كلام جبران أن الحادث عرضي ، وبعضهم ذكر أنه حادث غامض ، فيه لبس غير واضح .

وبعد عرض الآراء والاقتراحات اتفقوا على أن يذهب بعض أفراد العائلة لتركيا لمتابعة

الوضع الصحي لسنار والتحقيق الشرطي ، ومعرفة دوافع هذا الاعتداء الغادر ، فتقرر أن يسافر والد سنار وأخ محامي لسنار وقريب لهم له معرفة في تلك البلاد ، واتفقوا على أن يلحق بهم رباح إذا احتاجوا إليه وعليه أن يحصل على تصريح مغادرة ؛ ليكون مستعدا للسفر في أي لحظة ، فهو رجل شرطة محكوم بعمله ووظيفته .

قبيل الفجر بوقت يسير رجع رباح وأهله للبيت ، وكان الرجل مشغول الفكر بهذا الحادث يشرق ويغرب فيه ، وبعقليته الشرطية يتسأل عن سبب وحقيقة هذا الاعتداء ، وهل هو حادث عرضي أم فعل مدبر ومتعمد ؟!

أخوه سنار يعرف تركيا أو إسطنبول أكثر من بلده .. فهو كثير السفر والتردد إليها .. فمنذ درس فيها الجامعة ، وتخرج من إحدى جامعاتها وهو يكثر السفر إليها .. فلا يكاد يمضي فصل إلا ويسافر إليها ، ومن كثرة تعلقه بها وحديثه عنها كان يرون أنه لسوف يتزوج فتاة من أهلها.. وهو قد تخرج مهندسا من جامعاتها.. ومع هذه الشهادة المهمة لم يعمل في الهندسة ولا يوما واحدا .. عمل في التجارة .. وخاصة تجارة المواد الغذائية المستوردة من تركيا على الأغلب .. فأنشأ عددا من المتاجر الكبيرة في مناطق العاصمة وأطرافها.. وهي تدر عليه دخلا كبيرا .. وربما يكون هو أكثر إخوته مالا وثروة .. مع أنه أصغرهم .. وهو اليوم بلغ الأربعين سنة ، ومع ذلك لم يتزوج إلا قبل سنتين من فتاة لم ترق لعائلته ، ولم يتقبلوها بالقبول الحسن .

هذا كان يدور في ذهن رباح وهو عائد من بيت والده بعد سماعه خبر الاعتداء على أخيه في إحدى حانات إسطنبول ..

كان يرى أن حياة أخيه الصغير غامضة ومقلقة ، رغم هذا الشعور الغامض كان يراه ناجحا ومتقدما على أقرانه ، وكان قد تنبأ له بالفشل عندما اشتغل بالتجارة وترك الهندسة .. ولكنه خيب تخمينه وأصبح رجلا معدودا بين التجار الكبار .. حتى شراكته لابن عمهم جبران كانت غريبة ومريبة .. ولكن الأيام أثبتت خطأه نحوهما .. فهما

صديقان شريكان منذ رجعا من رحلة الدراسة في بلاد الترك.

وما زال رباح بالرغم من مرور أكثر من عشر سنوات على تجارتهما يرى أن حياة أخيه وابن عمه جبران يلفها الغموض والحيرة ، وإنها تحتوي على خطأ غامض غير واضح.. إنه إحساس موحش قد لازمه منذ سنوات وسنوات .. والكلام حوله يثير اللغط والحسد من قبل أفراد العائلة الكبيرة ويتهمونه بالغيرة من نجاح أخيه وابن عمه .. فيقف حائرا بين الإقدام والصمت .. ولكن هذا الحادث الغريب بالنسبة لرباح جدد تلك الأفكار التي كانت تراوده عن حياة أخيه سنار وابن عمه جبران سعدي .

يتذكر رباح .. ما من يوم طلب منه أخوه أو ابن عمه جبران خدمة .. مساعدة لدى دائرة حكومية أو مؤسسة .. ولم يحتاجوه يوما في معاملة جمركية أو ضريبية .. فهما ملتزمان بدفع الضرائب أو أي جمارك تلزم ما يستوردانه .. فهما ملتزمان بالقانون، ولا يذكر أن سجلت عليهما قضية تهرب ضريبي أو جمركي

كان هذا الحادث المفاجئ قد أيقظ كثيرا من الهواجس في نفس رباح .. محاولة قتل في ملهى ليلي .. فسنار معروف في الأسرة أنه صاحب لهو ولعب وسهر ماجن .. فلما وصلا البيت وصف السيارة في موقعها المعتاد ، وأطفأ محركها ونزلا منها قالت زوجته : طول الطريق وأنت صامت .. ومن عادتك الكلام الكثير .. يبدو أنكم صدمتم بالخبر !

نظر إلى عينيها وقال : فعلا صدمنا بالخبر .. محاولة الاغتيال أمر ليس بالهين يا عزيزتي .. ومكان الحادث مزعج .. لا يسرنا يوما أن يموت أحدنا في خمارة أو نادي ليلي أو حانة .. هذا خزي لنا .

فقالت : وهل ذهاب سنار للملهى شيء غريب ؟ .. فهو هنا لا تفوته سهرة وحفلة في الملاهي والمهرجانات .. ثم أكدت : لا أظن أنه تفوته ليلة في فنادق السهر والطرب .

قال ممتعضا: صحيح قولك .. وهذا أمر لا يشرف في نظري .. وكم نصحت له بترك ذلك أو تخفيف هذا النمط من العيش ؟ .. أمر سيء فعلا أن يهلك المسلم في ملهى أو حانة أو

حتى مقهى .. فكيف إن قتل في ملهى ؟! والأخطر في قضيتنا ولماذا يقتل سنار الرجل الثري ؟!

قالت وهما يجلسان في صالة البيت : أخوك موفق .. وقد استفاد من علاقته برجال الترك منذ أيام الجامعة ، وعمل معهم علاقات جيدة قبل عودته للبلد .

قال بخيال تذكره : تركيا زرتها أكثر من مرة .. هي بلاد جميلة وبلاد عظيمة .. ولها تاريخ عريق وحضارة .. السياحة هناك ممتعة بين القصور والمساجد .. وسنار يتردد عليها كثيرا وله أصدقاء كثر هناك حياة أخي فيها غموض لا أدري لماذا يراودني هذا الإحساس ؟!

قالت: لا .. لا .. إنما هو نجاح وتوفيق الأخ الأصغر .. لا تدع الحسد يدخل قلبك .

قال مستغربا : الحسد ! .. هل لأنه أصغر منا ومعه مال أكثر منا أحسده ؟ .. لا أعتقد أن في قلبي حسدا لأخي .. إنما هو قلق وخوف .. أأحسده من أجل المال ؟ لماذا ؟ ها نحن نملك بيتا واسعا .. وسيارة .. وراتبا ومنصبا .. وزوجة .. وأولادا .. ولما نرحل عن هذه الدنيا سنترك كل هذه الأشياء .. لا أعتقد أن هذا الحسد في نفسي لأخي .. صحيح أن علاقتنا الاجتماعية معه فاترة ضعيفة ؛ لكنه هو السبب .. وامرأته علاقتها معنا أيضا باردة للغاية .. لا تحب اللقاء بنا .. ربما لأننا لم نره الزواج المناسب بالنسبة للعائلة .. ولكننا استسلمنا لرغبته في النهاية .. وحاولنا التودد إليهم ، وأنت حاولت مثلنا وكان الفتور والصد .. وتركنا تحسن الحال للزمن .. وحياتنا الحمد لله مستورة .. لا يمكن أن أحسد أخي لثروته الكبيرة .

قالت وهي تنهض : أرجو ذلك .. فالمال خير وشر .

قال وهو ينهض واقفا أيضا : إنما أموالكم وأولادكم فتنة .

قالت : وهل أصدق من الله حديثا ؟!

قال: بالتأكيد لا .. نسال الله السلامة لأخي سنار .. وأن يكون الأمر عرضا وأن يشفيه الله .. قد علمنا الليلة أن زوجته حامل .

قالت : ألم تكن تعلم ؟

رد : الليلة فقط علمت .

قالت : من شهر أخبرتنا أمك .. هو أنت يا أبا جلال مهتم بأخبار العائلة !

ضحك وأجاب : صدقي أنني مهتم بكم جميعا ، وأحب أن أسمع كل أخباركم ؛ ولكن طبيعة العمل تظهر لكم أنني مشغول به عنكم .. عليكم أن تلتمسوا لي الأعذار دائما .



رحلة

ارتفع رنين جرس الهاتف عصرا في مكتب الضابط الشرطي رباح ، فلما رفع السماعة سمع مأمور المقسم في الدائرة يقول : مكالمة خارجية يا سيادة المقدم .

قال : هات يا منذر !.. لابد أنها من تركيا .

ثم سمع صوت أخيه فارس يحييه فرد عليه التحية وقال : آ .. ما الأخبار ؟ الأمر خطير ! وضعه الصحي صعب.. لا يمكن نقله للبلد.. الأطباء لا يرون خطرا على حياته بشكل عام .. جبران محبوس على ذمة التحقيق .. القضية يبدو أنها معقدة وغامضة .. سأعمل على السفر إليكم .. مع السلامة .

وضع المسماع بهدوء وقال متنهدا : حسبنا الله ونعم الوكيل .

فالتفت إليه أحد زملائه في المكتب قائلا : هل من شيء يا أبا جلال ؟

تطلع لزميله حسام وقال : أخي سنار

ـ أخوك الصغير على ما أذكر .. التاجر الناجح .. ماله ؟!

ـ نعم ، فأنت تعرفه .. فيا صديقي .. علمنا ليلة أمس أنه تعرض لإطلاق نار في تركيا .. وذهب الوالد وأخي المحامي فارس لمعرفة الخبر ، ومحاولة إرجاعه إلى هنا للعلاج .

ـ خبر مخيف .. كيف صحته الآن ؟

ـ مستقرة ، ولكن من الصعب نقله .

ـ شفاه الله ..

ـ ولما وصل الأهل إلى هناك ، وجدوا القضية معقدة بعض الشيء .. فقد كان هو وابن عمي جبران شريكه في تجارته معا ، وجدوا ابن عمنا موقوفا على ذمة التحقيق .. فهو بين يدي البوليس التركي .. ولديهم رغبة بالسفر إليهم لعلي أستطيع فعل شيء .. وأنت تعلم أن بين يدي هذه الأيام عددا من القضايا .. وهي قضايا خطيرة ومهمة .. وهناك دورة الاتصالات الخاصة .. ويبدو من كلام شقيقي فارس أن لديهم قصة كبيرة .. والبوليس

يجري تحقيقات مهمة .. ولا أدري كم من الوقت أحتاج لهذه الرحلة .. ولابد من السفر.
فقال الضابط حسام : عليك بالعميد إبراهيم سالم له أصدقاء في تركيا ومعارف .. تحدث معه وخذ توصية منه .
ـ جميل هذا منك أيها الزميل !
ضرب على رقم المقسم (جهاز الاتصالات الأرضية) وقال : أخ منذر صلني بالعميد إبراهيم سالم .. معك المقدم رباح .
تحدث المقدم مع العميد إبراهيم حول رحلة تركيا بضع دقائق ، ثم ترك السماعة وهو يقول : أنا قادم إليك حضرة العميد .
وخرج من الدائرة لمقابلة العميد إبراهيم في أكاديمية الأمن .. ولما اجتمعا شرح له قصة محاولة اغتيال شقيقه الأصغر سنار، وأنه بحاجة للسفر ، وتوصية منه لزملائه الأتراك حيث شاركهم في دورات دولية ، فزوده العميد بأسماء أشخاص وختم كلامه قائلا : كن على اتصال معي إذا تأزمت الأمور .
فشكره رباح الشكر الجزيل، وغادره لدائرته حيث دخل على مكتب مدير
الدائرة واستأذنه بإجازة طارئة بعد أن ذكر له قصة تعرض أخيه لرصاص في حانة من حانات إسطنبول ودخوله المستشفى .
وفي الليل كان رباح يركب أول طائرة مغادرة لعاصمة تركيا أنقرة ، وبعد ساعتين كان ينزل في أحد فنادق العاصمة التركية في قلب الأناضول التركي .. ليسعى إلى مقابلة بعض كبار الضباط الأتراك ضباط الشرطة الذين زود بأسمائهم من قبل العميد إبراهيم قبل الذهاب لإسطنبول في مضيق البوسفور



أنقرة هي عاصمة تركيا وثاني أكبر مدنها بعد إسطنبول ، تقع أنقرة على هضبة الأناضول بوسط تركيا، كما يبلغ متوسط ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ٩٣٨ مترا ، ونظرا لأهميتها التجارية والصناعية، ولموقعها الجغرافي فقد اتخذتها الحكومات التركية المتعاقبة عاصمة سياسية لها، ومقرا للوزارات والمكاتب الحكومية والبعثات الأجنبية.

يعود تاريخها إلى ما قبل ١٠٠٠٠ عام عندما سكنها الإنسان البدائي الأول، ثم حكمها الحاثيون، والحيثيون، والفريجيون، والليديون ثم الأخمينيون الفرس، ثم جاء بعد ذلك المقدونيون والكلدانيون وأخيرا استولى عليها الرومان ، وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية ظلت تحت حكم البيزنطيين حتى فتحها السلاجقة ، ثم سقطت في أيدي المغول إلى أن سيطر عليها العثمانيون في القرن الرابع عشر، ومنذ عام ١٩٢٣م أعلن مصطفى كمال أتاتورك مؤسس تركيا الجمهورية أنقرة عاصمة لتلك الجمهورية .

يفضل الزوار الأجانب إلى أنقرة زيارة المحلات التجارية القديمة في يوكوشي شيكليكشيلار (درب النساجون) بالقرب من حي اولوس ، حيث يمكن العثور على أشياء لا تعد ولا تحصى بدءا من الأقمشة التقليدية، والسجاد المنسوج يدويا ، والمنتجات الجلدية بأسعار منافسة ، يحظى باكيرسيلار شيرشيسي (بازار النحاسون) بشعبية خاصة إذ يباع فيه العديد من العناصر المثيرة للاهتمام، وليس فقط من النحاس ، إذ يمكن العثور هناك على المجوهرات والسجاد والملابس والتحف والتطريز ، وبالقرب من بوابة القلعة، هناك العديد من المحلات التجارية التي تبيع مجموعات ضخمة وجديدة من التوابل والفواكه المجففة، والمكسرات، وغيرها من المنتجات.

أما مناطق التسوق الحديثة فتتواجد في كيزيلاى، أو في شارع حلمي تونالي، بما في ذلك مركز التسوق كاروم الحديث الذي سمي تيمنا بمستعمرات التجار الآشورية القديمة التي تم تأسيسها في وسط الأناضول في بداية الألف الثاني ما قبل الميلاد والذي يقع نحو نهاية الشارع ، وفي حي برج آتاكول في كانكايا الذي يقع على أعلى نقطة والذي يطل على

مناظر رائعة على المدينة بأكملها، وفيه أيضا مطعم دوار في الأعلى الذي يسمح بالتمتع ببانوراما كاملة ، والجدير ذكره أن رمز سوق أرمادا هو المرساة، وهناك نصب لمرساة كبيرة في مدخله، والتي هي إشارة إلى الانكيرا الاسم اليوناني القديم للمدينة ، التي تعني مرساة، وبالمثل فإن نصب المرساة يرتبط أيضا مع اسم الإسبانية "أرمادا" والذي يعني الأسطول البحري.

تم بناء ضريح كمال أتاتورك، مؤسس الجمهورية التركية بين ١٩٤٤ ـ ١٩٥٣ على مساحة تقدر بـ ٧٥٠،٠٠٠ مترا مربعا ، والمتحف باسم كمال أتاتورك مفتوح يوميا ، ما عدا الاثنين ، خلال فصل الصيف، وهناك الضوء والصوت عرض في المساء .

يعود تاريخ بناء قلعة أنقرة إلى أكثر من ٣٠٠٠ سنة ، وبداخلها توجد قرية مزدحمة جدا بالسكان منذ القدم ، وتم تشييد جدران القلعة على يد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني .

كما يعود تاريخ بعض المباني في القلعة إلى القرن_السابع الميلادي ، قد وضعت أسس القلعة من قبل أهل غلاطية على نتوء بارز الحمم ، والانتهاء من قبل الرومان ، ثم البيزنطيين والسلاجقة الذين قاموا بالترميم والإضافات، وهي تعتبر أقدم جزء من أنقرة ، ويمكن رؤية أمثلة عديدة من الهندسة التقليدية داخل جدرانها .

ومن الآثار المعروفة لزائر أنقرة السياحي المسرح الروماني يمكنك رؤية بقايا المسرح والكواليس من خارج القلعة ، وتعرض التماثيل الرومانية التي تم العثور عليها في هذا المكان في متحف الحضارات الأناضولية .

وفيها معبد أغسطس روما ومن السهولة العثور على المعبد ، الذي بني بأسلوب أنيق، في حي أولوس القديم من أنقرة.

وتجد فيها الحمام الروماني الذي يتميز بكل الصفات النموذجية للحمام الروماني الكلاسيكي الذي يحتوي على غرفة المياه الباردة ، وغرفة المياه الدافئة ، وغرفة المياه

الساخنة الذي تم بناؤه في عهد الإمبراطور كركلا في القرن الثالث الميلادي على شرف أسقليبيوس ، ويقع في منطقة اولوس أنقرة في قلب أنقرة، في الطابق السفلي وما زال قائما حتى اليوم.

ومما يشاهده السائح لأنقرة عمود جوليان أو جوليانوس الموجود في منطقة اولوس ، الذي أقيم على شرف الإمبراطور الروماني جوليان لدى زيارته لحي أوليوس في أنكيرا عام ٣٦٢.

ويمكنك روية نصب النصر الذي شيد في عام ١٩٢٧ في ساحة ظافر في حي سيهيي ، ويمثل كمال أتاتورك مرتديا الزي العسكري ، وكذلك النصب التذكاري للأمن والثقة في المستقبل ، وشيد هذا النصب في حديقة بالقرب من ميدان كيزيلاى جوفن في عام ١٩٣٥ ، ويحمل مشورة قدمها أتاتورك لشعبه وتقول: " أيها الأتراك، كونوا فخورين، واعملوا بجد، وآمنوا بأنفسكم" ، واستعمل النصب على خلفية الورقة النقدية من فئة خمس ليرات تركية جديدة من عام ١٩٣٧ وحتى ١٩٥٢ عام وعلى الأوراق النقدية من فئة ١٠٠٠ ليرة من عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٤٦ .

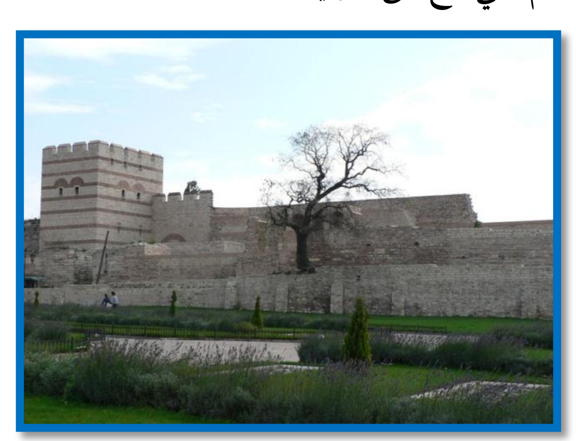
وهناك نصب الهاتيون الذي بني في سبعينيات القرن العشرين في ساحة سيهيا والذي يرمز لآلهة الهاتيون ، وكذكرى لأول حضارات الأناضول ، وقد استخدم الرمز المستمد من هذا النصب كشعار للمدينة لفترة طويلة .



قضى المقدم رباح نهار اليوم التالي كله في السعي للقاء الضباط أصدقاء العميد إبراهيم

فاضطر للمبيت ليلة أخرى في فندق أنقرة .. وذهب في المساء في جولة في أحياء المدينة ، وشاهد بعض الآثار المشهورة في المدينة ، وعاد لفندقه بعد منتصف الليل .. ثم ظهرا انتقل بالطائرة إلى مدينة إسطنبول العاصمة التاريخية لتركيا العثمانية .

إسطنبول المعروفة تاريخيًا باسم بيزنطة والقُسْطَنْطِيْنِيَّة والأسِتانة وإسلامبول ؛ هي أكبر المدن في تركيا ، وخامس أكبر مدينة في العالم من حيث عدد السكان ، حيث يسكنها ١٢.٨ ملايين نسمة ، تُعد إسطنبول أيضا مدينة كبرى ، ويُنظر إليها على أنها مركز تركيا الثقافي والاقتصادي والمالي ، تغطي مساحة المدينة ٣٩ مقاطعة وجميعها تُشكل محافظة إسطنبول ، تقع إسطنبول على مضيق البوسفور ، وتطوق المرفأ الطبيعي المعروف باسم القرن الذهبي ، الواقع في شمال غرب البلاد ، تمتد المدينة على طول الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور، المعروف باسم تراقيا ، والجانب الآسيوي أو الأناضول ، وبالتالي فإنها المدينة الوحيدة في العالم التي تقع على قارتين.



كانت هذه المدينة عاصمةً لعدد من الدول والإمبراطوريات عبر تاريخها الطويل ، فكانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية (٣٣٠ ـ ٣٩٥) ، والإمبراطورية البيزنطية منذ عام ٣٩٥ حتى سنة ١٢٠٤ ، ثم الإمبراطورية اللاتينية سنة ١٢٦١ حتى سنة ١٤٥٣ ، والدولة العثمانية من سنة ١٤٥٣ـ ١٩٢٢ ، وفي معظم هذه المراحل أحيطت المدينة بهالة من القداسة ، إذ كان لها أهمية دينية كبيرة عند سكانها وسكان الدول

المجاورة ، فكانت مدينة مهمة للنصارى بعد أن اعتنقت الإمبراطورية البيزنطية الدين النصراني ، قبل أن تتحول لتصبح عاصمة الخلافة الإسلامية من عام ١٥١٧ حتى انحلال الدولة العثمانية عام ١٩٢٤.

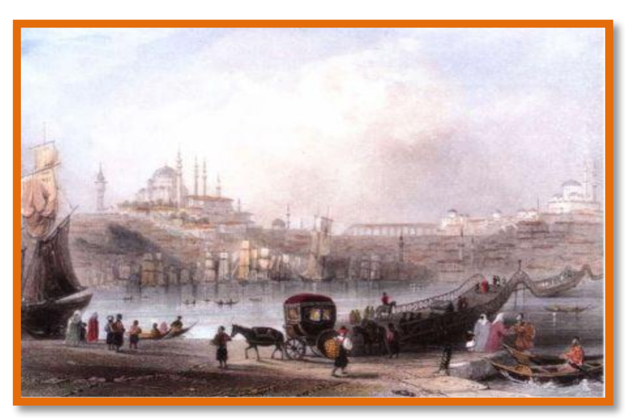
مبنى آيا صوفيا شُيّد هذا المبنى بالأساس ليكون كاتدرائية البطريركية الأرثوذكسية وعند الفتح الإسلامي تحوّل إلى مسجد ، وعند قيام الجمهورية التركية أصبح متحفًا.

ومن معالمها مسجد السلطان أحمد ، بُني هذا المسجد في الفترة الممتدة بين عاميّ ١٦٠٩ و ١٦١٦، خلال عهد السلطان أحمد الأول يعرف أيضًا باسم المسجد الأزرق بسبب البلاط الأزرق الذي يُزين داخله ، وهو كمعظم المساجد العثمانية يحوي قبر السلطان الذي أسسه بالإضافة لمدرسة وتكية { زاوية الدراويش والطعام } ، كان هذا المسجد يظهر على خلفية العملة الورقية التركية من فئة ٥٠٠ ليرة،التي وُضعت بالتداول من سنة ١٩٥٣ حتى سنة ١٩٧٦ .

ومن معالمها قصر الباب العالي وهو يحكي تاريخا مهما عن آل عثمان ، كان هذا القصر المقر الرئيسي للسلاطين العثمانيين طيلة ما يُقارب من ٤٠٠ سنة ، من عام ١٤٦٥ حتى ١٨٥٦ابتدئ ببناء القصر عام ١٤٥٩ بأمر من السلطان محمد الفاتح بعد غزو القسطنطينية ، يجذب القصر اليوم أعدادًا كبيرة من السياح، وهو يحوي بعض الآثار المقدسة الإسلامية، مثل عباءة النبي محمد ﷺ وسيفه ، يُصنف القصر على أنه من ضمن المعالم المنتمية للمناطق التاريخية في إسطنبول، وقد أصبح موقعًا للتراث العالمي في سنة ١٩٨٥، ووُصف على أنه من أفضل الأمثلة على التنوع الثقافي في الدولة العثمانية.

وهناك الجسر التاريخي جسر البوسفور يُسمى هذا الجسر أيضًا بجسر البوسفور الأول ، وهو أحد الجسرين الذين يصلان أوروبا بآسيا ، يبلغ طوله ١٥١٠مترا (٤٩٥٤ قدمًا) ويصل عرض سطحه إلى ٣٩ مترًا (١٢٨ قدمًا) ، تصل المسافة بين برجيه إلى ١٠٧٤ مترًا

(٣٥٢٤ قدمًا) ويبلغ ارتفاعها ١٠٥ من الأمتار (٣٤٤ قدمًا)، أما المسافة بين البحر والجسر فتصل إلى ٦٤ مترًا (٢١٠ أقدام) ، حصل هذا الجسر على المركز الرابع بين أطول الجسور المعلقة في العالم عند اكتماله في سنة ١٩٧٣.



ويمكن للسائح زيارة برج غلطة وهو برج حجري يعود للقرون الوسطى ، موجود في ناحية غلطة من إسطنبول ، شمال مضيق القرن الذهبي بنى الجنويون هذا البرج عام ١٣٤٨ في مستعمرتهم بالقرب من القسطنطينية.

يبلغ ارتفاع البرج ٦٦.٩٠ مترًا كاملةً ، و ٦٢.٥٩ مترًا دون احتساب طول العمود المزخرف على سطحه ، الذي يصل في طوله إلى ٥١.٦٥ مترًا، كان هذا البرج أطول مباني المدينة عندما تم تشييده، فقد وصل ارتفاعه إلى ارتفاع مبنى بتسع طبقات ، وهو ارتفاع شاهق مقارنة بمباني ذلك الزمان ، يصل القطر الخارجي للبرج إلى ١٦.٤٥ مترًا عند القاعدة، و ٨.٩٥ مترًا في الداخل، وتصل سماكة الجدران إلى ٣.٧٥ مترًا

قصر يلدز الشهير بين القصور في العالم بُني هذا القصر عام ١٨٨٠، وكان مقرًا للسلطان عبد الحميد الثاني وحاشيته ، القصر عبارة عن مجمع من البيوت الصغيرة ودور متعددة كان السلاطين العثمانيين يلجأون إليها للابتعاد عن مشاكل الحكم وهمومه وللاستراحة من متاعب العمل بين الحين والأخر ، كانت المنطقة التي بُني فيها القصر مليئة بالأحراج [الأحراش] وقد اشتراها السلطان أحمد الأول ، وأنشأ فيها أول دار للاستجمام ، وقلّده

بذلك السلاطين اللاحقين .

تتكون مدينة إسطنبول من ٣٩ منطقة أو ناحية يسكنها عدد كبير من الناس جرّاء النزوح التاريخي المكثف نحو المدينة، وبسبب توسعها وضمها للقرى والبلدات المجاورة منذ أوائل النصف الثاني للقرن العشرين .



يوجد في مدينة إسطنبول مطاران دوليان : مطار أتاتورك الدولي ، وهو الأكبر، الواقع في ناحية "القرية الخضراء" المعروفة أيضًا باسم "القديس استيفان"، على الجانب الأوروبي من المدينة، على بعد حوالي ٢٤ كيلومترًا (١٥ ميلاً) عن وسطها، كان المطار يقع على الحدود الغربية للمنطقة الحضرية عندما اكتمل بناؤه، أما الآن فهو يوجد داخل حدود المدينة ، أما المطار الأصغر فهو مطار صبيحة گوكجن الدولي ، الواقع في ناحية "قرية الذئب" على الجانب الآسيوي، بالقرب من حلبة سباق إسطنبول، وهو يقع على بعد ٢٠ كيلومتر تقريبًا (١٢ ميلاً) شرق الشاطئ الآسيوي، و ٤٥ كيلومترًا (٢٨ ميلاً) شرق وسط المدينة الأوروبي .

تُعد الملاحة البحرية حيوية بالنسبة لإسطنبول، بما أن البحار تحيط بالمدينة من جميع جوانبها بحر مرمرة ، مضيق القرن الذهبي، مضيق البوسفور، والبحر الأسود ، يسكن الكثير من الإسطنبوليين الجانب الآسيوي من المدينة ويعملون على الجانب الأوروبي ، أو العكس ؛ لذا فإن عبّارات الركاب تُشكل أساس التنقل اليومي بين قسميّ المدينة بالنسبة للكثير منهم، بدرجة أكبر حتى من الجسرين المعلقين الذين يصلا طرفيّ البوسفور،

كذلك تُشكل هذه العبّارات والحافلات البحرية الطوّافة سريعة الحركة ، صلة الوصل الأساسية بين البر الرئيسي لإسطنبول وجزر الأمراء.

ظهرت أول العبّارات البخارية البوسفور سنة ١٨٣٧، وكانت تُدار من قبل شركات خاصة ، وبتاريخ ١ يناير من عام ١٨٥١ أسست الحكومة العثمانية "الشركة الخيرية" لتكون أول شركة عمومية تمتلك عبّارات وتخصصها لخدمة الشعب ، استمرت الشركة الأخيرة بإدارة قطاع النقل البحري حتى أوائل عهد الجمهورية التركية ، عندما أُخضعت لإشراف "خطوط النقل البحري التركية"

في السنة ١٨٨٣ قام مقاول بلجيكي يُدعى "جورج نگلميكر"، بالبدء بتنفيذ مشروع مدّ سكة حديدية بين مدينة باريس وإسطنبول، وفي الفترة الممتدة بين إنشاء السكة وانتهائها، تمّ اللجوء إلى عبّارة بخارية لنقل الناس من مدينة فارنا ببلغاريا إلى إسطنبول، والعكس ، وفي العام ١٨٨٩ اكتمل القسم الأول من السكة الحديدية، فوُصلت إسطنبول بفارنا عن طريق بوخارست، فأصبح بإمكان الناس السفر برًّا بسهولة إلى هذه المدينة لأول مرة ، عُرفت هذه السكة في الغرب باسم "قطار الشرق السريع " ، وقد اشتهرت وذاع صيتها بفضل الأعمال الأدبية للكاتبة الإنجليزية المشهورة " أجاثا كريستي" ، فلها رواية بوليسية حملت هذا الاسم من بطولة مخبرها السري هيركول بوارو ، وترجمت للعربية أكثر من مرة ، والكاتب "غراهام غرين" الذين تناولوها في مؤلفاتهم الأدبية المسرحية .

افتتحت المحطة سنة ١٨٩٠ تحت اسم "محطة المشير أحمد باشا"، وشكّلت المحطة الأخيرة لقطار الشرق السريع ، أما اليوم فقد أًعيدت تسميتها "محطة سركيسي"، وهي تتبع مصلحة السكك الحديدية للجمهورية التركية، وتُشكل المحطة الأخيرة لجميع خطوط القطارات على الجانب الأوروبي من إسطنبول، وصلة الوصل الأساسية لشبكة السكك الحديدية التركية مع باقي أوروبا .

وعلى الجانب الآسيوي من إسطنبول تقع "محطة حيدر باشا " وهي مركز القطارات المتجهة يوميًا إلى أنقرة ومناطق أخرى في الأناضول، افتتحت محطة حيدر باشا سنة ١٩٠٨، وكانت تشكل المحطة الأخيرة في سكة حديد برلين بغداد وسكة حديد الحجاز ، تتصل السكك الحديدية على كلا الجانب الأوروبي والآسيوي ببعضها البعض عن طريق عبّارات مخصصة لنقل القطارات، ومن المقرر توقيف هذه العبّارات عن العمل عند الانتهاء من مشروع "نفق مرمرة" أو "سكة مرمرة" الذي سيصل جانبيّ المدينة بنفق يمتد تحت سطح بحر مرمرة .

وأيضا في إسطنبول عدد من مراكز التسوق التاريخية، من شاكلة: السوق الكبير المغطى ١٤٦١ سوق محمود باشا ، والسوق المصري أو سوق البهار، افتتح أول مركز تسوق حديث بالمدينة سنة ١٩٨٧، وهو "معرض قرية الأب " ، ثم تلاه افتتاح عدد كبير من المراكز في السنوات اللاحقة، مثل "المركز الأبيض " ، وهو المركز التجاري الوحيد الذي فاز بجائزتيّ "أفضل مركز تسوق في أوروبا" و"أفضل مركز تسوق في العالم" التي يمنحها المجلس الدولي لمراكز التسوق (ICSC) ، مركز تسوق مترو سيتي ؛ مركز شيشلي الثقافي والتجاري الذي يُعتبر أكبر مراكز التسوق في أوروبا؛ ومركز كانيون للتسوق الذي فاز بجائزة أفضل تصميم معماري ، وفي إسطنبول مركزين تجاريين مخصصين للمستهلكين ذوي الأجور المرتفعة، هما مركز منتزه إستنيه ، ومركز نيشان تاشي ، حيث لا يُعرض فيهما سوى الأصناف والعلامات التجارية العالمية باهظة الثمن.



تنتشر في المدينة إسطنبول عدّة مطاعم أوروبية وشرق آسيوية إلى جانب المطاعم المحليّة وغيرها من المطاعم التي تقدم أنواعًا مختلفة من أطباق المطابخ العالمية ، تقع معظم الخمّارات والحانات التاريخية بالمدينة في ناحية باي أوغلو بالمناطق المحيطة بجادة الاستقلال ، وفي الجادة سالفة الذكر رواق تاريخي مشهور يُسمى "رواق الزهور " فيه عدد من الحانات والمطاعم ، ويعود تاريخ إنشاء هذا الرواق إلى القرن التاسع عشر، وذلك على يد المهندس اليوناني "كريستاكيس زوغرافوس أفندي" الذي بناه على أنقاض "مسرح نعّوم" وافتتح في سنة ١٨٧٦ ، وفي نفس المنطقة أيضًا يقع شارع "نيڤيزيده" ذي المطاعم المجاورة لبعضها البعض.

وقد أعادت السلطات المختصة إحياء بعض الأحياء القديمة المحيطة بجادة الاستقلال في السنوات الأخيرة الماضية ، ومن هذه الأحياء "شارع الجزائر " الواقع بالقرب من ثانوية غلطة سراي، والذي تعارف الناس على تسميته "بالشارع الفرنسي بسبب انطباعه بالطابع الفرانكوفوني ، حيث توجد فيه الكثير من الحانات والمقاهي والمطاعم التي تُعزف فيها الموسيقى الحية، كما في المطاعم والمقاهي النمطية الفرنسية.

تشتهر إسطنبول أيضًا بمطاعمها المختصة بتقديم الأطباق البحرية ، وأشهر المطاعم البحرية فيها هي تلك التي تقع على شواطئ البوسفور وبحر مرمرة بجنوب المدينة كذلك هناك عدد من المطاعم البحرية المشهورة على الجزر الكبرى من جزر الأمراء، وبالقرب من المدخل الشمالي للبوسفور من ناحية البحر الأسود.

هناك الكثير من الملاهي الليلية والمطاعم والحانات والمقاهي الباذخة التي تُقدم عروضًا موسيقية مباشرة في جميع أنحاء المدينة، ويرتفع عدد هذه الأماكن المخصصة للهو في الصيف ، وإضافةً لمعارض الفن والمسارح ودور السينما، في المناطق المحيطة بكل من: جادة الاستقلال، المرمى، بيبك، وقرية القضاة ، تستضيف المسارح المهمة في إسطنبول الحفلات الغنائية للمطربين والفرق الموسيقية العالمية، ومن أبرز هذه المسارح: ميدان

إسطنبول في حي مسلك، وميدان السبيل الجاف الواقع على البوسفور ، كذلك فهناك "منتزه الغابة" في حي مسلك، ويُعد من أبرز الميادين التي تقام بها الحفلات الغنائية المباشرة والاحتفالات الحماسية الصيفية .



انتقل المقدم رباح حمدي لإسطنبول التي تجمع بين الحضارة الإسلامية والأوروبية التي عرفناها لكم ؛ لأن الحكاية بدأت من إحدى حانتها الليلية ، واستقر في فندق في وسط المدينة حيث استقرت العائلة ، وقضى يومه مع والده وشقيقه المحامي ، ثم زار شقيقه المصاب سنار حمدي برفقتهم ، وفي الصباح التالي زار جبران في سجنه، ثم اتصل بالضباط الأتراك الذين زوده بأسمائهم العميد إبراهيم ، واستقبله الضابط التركي "علي جان اوزدمير" من شرطة المدينة ، وسمح له بالاطلاع على المحضر الخاص بحادثة حانة (كارتل) في جادة الاستقلال باي اوغلو حيث تكثر الحانات والمقاهي السياحية.. وكان في المحضر أن الحادث شجار سكارى في حانة دفع الجاني إلى إطلاق النار على سنار حمدي ، وجبران سعدي لم يدل بأي كلام خطير؛ ولكنه بين لهم أنهم يعرفون الجاني حق المعرفة.. وكذلك ذكر البوليس أن الرجل معروف لدوائر الشرطة والأمن، وأنه من رجال العصابات المنظمة، وسجل عليه الكثير من القضايا الأمنية.. والشرطة رفضت طلب نقل المصاب لبلده حتى تنتهي القضية، وتعرض أمام المحكمة المختصة؛ لأن المجرم صرح أثناء القبض عليه أن القضية تصفية حسابات ، ولم يكشف الرجل المدعو "آق كوز " ما هي هذه الحسابات التي دفعته للشروع في جريمة قتل .. ولا حتى جبران كشف شيئا، ولا المصاب الناجي من الموت .

ولقد حاول رباح فهم سبب الاعتداء من البوليس دون فائدة مهمة إلا أنه صراع عصابات مافيا دولية .. فتسأل وربما تسأل غيره ما علاقة سنار وجبران بالعصابات الدولية .. وجبران السجين لم يزد لهم إلا أنهم كانون يسهرون في الحانة كعادتهم منذ زمن منذ وجودهم في تركيا أيام الدراسة .. وأن الرجل انفعل وغضب منهم فأطلق الرصاص عليهم وهو في حالة سكر .. أ أمسك به أمن الحانة ، واستدعي البوليس .

فعاد القوم لبلادهم بغير نتيجة .. وحيرة أخرى ملئت قلب رباح حمدي .

وكان رباح يتمنى في قرارة قلبه وفكره لو حتى عرف شيئا خطيرا يزيل الغموض في علاقة شقيقه برجل العصابات التركي ، ويعلم سبب الاعتداء الحقيقي، لقد سعى لدى بعض أفراد الأمن السري التركي لمعرفة المزيد من المعلومات ، ولم تزد معلوماتهم عن أن الرجل آق كوز يعمل عضوا في عصابات دولية ، وهو رجل معروف بالإجرام ، وقضى سنوات من عمره في سجون الجمهورية التركية .. فكان السؤال المهم ما نوع العلاقة بينهم وبين السيد سنار وجبران ؟ أصحبة حانات أم عصابات؟!

تحسنت صحة سنار بعد شهر، ونقل إلى إحدى مستشفيات السجن.. ولما قدمت القضية للمحكمة بعد شهور أفرجت السلطات التركية عنه وعن السيد جبران ، وعادا لأرض الوطن ، وحاول المقدم رباح فهم دوافع الحادث من جديد ؛ لكن دون فائدة .. ولم يكشف شيء من غموض الاعتداء .. سهرة في حانة .. رجل يقدم لهم خدمات في إطار ترتيب الصفقات التجارية.. ما هي تفاصيل هذه الخدمات ؟ لم يتحدثا بتفاصيل هذه الخدمات التي يقدمها رجل عصابات لتجار مثلهم .. كاد رباح أن ينسى هذا الحادث بعد حين .. كما ينسى الناس الكثير من الحوادث .. وما أدراك برجل شغله مطاردة وتعقب الحوادث الإجرامية كبيرة وصغيرة ؟!.. سينساها أو يتجاهلها ويشتغل بأحدثها كاد ينسى الحادث العارض لشقيقه سنار .. لولا ما حدث ليلة رأس السنة الغربية .

جريمة رأس السنة

لقد انتشر بين رجال الأعمال والمال في بلاد العرب والمسلمين الاحتفال برأس السنة الميلادية ، ويحتفلون بها في الفنادق ذات النجوم الخمسة والأربعة، وفي النوادي الخاصة بهم، والصالات الفخمة؛ وذلك للتقليد الأعمى للغرب والاستعمار الذي شجع ورغب بهذه الاحتفالات والمناسبات، واعتبرت السنة الميلادية سنة الأعمال والجرد والميزانيات العمومية للشركات والمصانع .. وفي بعض دول العالم الإسلامي، وقل أغلب الدول الإسلامية تعتبرها السنة الرسمية للدولة وموازنتها العامة .. وبعض الدول تعتبرها عطلة رسمية ، فتتوقف الدوائر الحكومية ومؤسساتها عن العمل ذلك اليوم.. وتجري احتفالات شعبية ورسمية في بعض البلاد احتفاء بها .

وسنار بصفته رجل أعمال وتاجر في المدينة لا تفوته مثل هذه الحفلة، بل كان يهتم بها، ويحتفل بها أثناء وجوده في تركيا طالبا وتاجرا ، ولسعي الأتراك بالاندماج الكلي في أوروبا يهتمون بها.. وأغلب مشاركته بليلة رأس السنة تكون في الفنادق الكبيرة التي تهتم بإحيائها بفرق رقص وموسيقى شرقية وغربية.. وتارة يذهب لأوروبا للاحتفال بها ثم يعقبها عقد صفقات تجارية.

كان يقضي السهرة مع فريق من الأصدقاء ورجال الأعمال الذين يعتبرون رفاقه في المدينة كانت الحفلة في إحدى صالات فندق العصفور الماسي .. شاهد الغناء والرقص الغربي .. وأكلوا من البوفيه المفتوح ، وشربوا الشراب المغتال للعقول .. كانت الحفلة فرصة لهم للمجون والرقص .. وكانت الحفلة تعتبر يوما فريدا ومهما للمرح والسرور والسكر طول الليل.. ومع تباشير الفجر ينصرفون من قاعات الرقص والسكر.. فغادر الرجل الثمل الصالة عندما بدأ السكارى مثله بالمغادرة ، كان يمسك بيده أحد الخدم العاملين للفندق.. وخادم آخر يمسك بيد زوجته الثملة مثله الشبه عارية بملابسها الفاضحة ؛ إنما هو التقليد الأعمى ، ونافسته في الشراب ، وهي التي ولدت قبل أيام قليلة ووضعت

مولودها الأول .. وسهرة كهذه لا يجب أن تفوتها وهي ابنة الغنى ورجال الأعمال وابنة العائلات الثرية ..(١)

خرجا من المصعد إلى باب الفندق حيث ينتظرهم السائق الخاص بالسيارة أمام مدخل الفندق .. كانا يترنحان من كثرة السكر ، ربما لو ترك الخدم أيديها لسقطا أرضا من فرط الشراب والسكر.. كانت السيارة تقف عند الرصيف أمام الفندق لكثرة السيارات.. لذلك ذهب السائق الخاص وأمسك بيد السيدة من الخادم وأدخلها كرسي السيارة الخلفي، وأغلق الباب وتركتها ترتمي على المقعد .. شبه فاقدة للوعي ، ورجع ليأخذ بيد سنار الذي يترنح يمينا وشمالا ،

ولكنه واقف على رجليه.. ومشى به نحو باب السيارة.. ولما فتح له الباب ليدخل في المقعد المجاور للسائق.. سمع دوي رصاص ، وسقط سنار أرضا بين الرصيف وباب السيارة متكوما على بعضه يصرخ من الألم ،وابتعدت سيارة مسرعة ، السيارة التي أطلق منها الرصاص ، وهرع رجال أمن الفندق وبعض الموظفين لمكان الحادث.. ثم أقبلت سيارة الإسعاف والنجدة ، ثم حضر رجال البحث الجنائي والتحقيق وتبعهم الطب الشرعي .. ثم نقلت الجثة التي لفظت أنفاسها قبل وصول سيارة الإسعاف إلى المستشفى العام .. ولما ذكر السائق الخاص اسم القتيل .. اتصل أحد الضباط بشقيقه المقدم رباح ، ولما استيقظ الرجل على صوت الهاتف كانت امرأته تستيقظ مثله ، وهم معتادون على التلفونات في كل الأوقات ، فقالت له بقلق : من ؟!

ـ قتل أخي سنار أمام فندق العصفور الماسي ، وهو يحتفل برأس السنة مع عصابته!

(١) الإسلام حرم الخمر وبين خطرها وضررها { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)} [المائدة] فلها ضرر ديني وعقلي وأخلاقي واقتصادي واجتماعي وصحي وحتى سياسي .

تحقيق الشرطة

قام رجال الشرطة بتحقيق جنائي كامل حول ملابسات مقتل سنار التاجر.. عرفت السيارة التي اتخذها الجناة وسيلة لارتكاب الجريمة ، فقد تبين لهم أنها مسروقة وقد بلغ عنها منذ أيام قبل حادث القتل.. وفشلت الشرطة في الوصول لسارق تلك السيارة ، وفشلت في معرفة الجاني ، وبعد مرور أكثر من أسبوع قيدت الجريمة ضد مجهول .

زار رباح ابن عمه جبران شريك أخيه في التجارة ، وسعى لأخذ معلومات منه تفيده في التحري والتحقيق الخاص الذي صمم على متابعته للإيقاع بالجناة .

وقال له جبران بعد كل المحاولات والمراوغات : الصمت يا ابن العم أفضل.

بعد تأمل بنصيحة جبران همس رباح : يمكنني أن أقول بكل ثقة يا أبا صابر أن لهذه الجريمة المؤلمة علاقة بجريمة إسطنبول .

قال جبران بضيق ونفرزة خفيفة: لا تضغط عليّ .. ما قلته لك في تركيا قلته لك الآن وغدا.. كنا نسهر في ذلك الملهى كما تعودنا في كل رحلاتنا إلى أنقرة أو إسطنبول .. وذاك الرجل كان يعاوننا في بعض المهمات القذرة التي يستطيعون فعلها ، ونحن لا نستطيعها التجارة والصفقات تحتاج أحيانا لمثل هؤلاء الرجال .. طلبنا منه عملا ما، ففشل في فعله فطلب أجرة، فرفضنا قبل تحقيق العمل .. فما كان منه إلا أن أخرج مسدسا ـ قد أدخله خلسة ، لأن السلاح ممنوع إدخاله للحانات والملاهي ـ ورمى به سنارا برصاصتين ، وكنت قد رميته أرضا فسقط فهجم أمن الملهى عليه بسرعة ، وجاءت الشرطة .. أما المهمة التي أردناها منه فهي سرية ومن أسرار العمل.. وسنار نفسه رفض ذكرها لك ، فعليك أن تعلم أنني عاجز عن ذكرها .. فأنا أرفض يا أبا جلال .. أرجوك لا تضغط عليّ .. وأنا مثلكم وأكثر منكم متضايق من مقتل ابن عمي سنار .. صديقي الوحيد في العائلة .. وأنا مثلك أعتقد أن لتلك الجريمة في ملهى تركيا علاقة بجريمة مقتله هنا .. والرجل التركي آق كوز الذي حاول قتله هناك علمت أنه ما زال يقبع في السجن ..

هنالك ربما استئجار قاتل سهل وممكن ، أما هنا وأنت خير من يعلم لا يمكن استئجار قاتل.

ـ وأنا اتصلت مع بعض الأخوة الضباط وذكروا أن الرجل لم يخرج من السجن منذ ذلك الحادث ، وقد يفرج عنه قريبا بعد انتهاء مدة الحبس .

بعد صمت عاد رباح يقول: اسمع يا ابن العم إذا كان عندك معلومة مهمة في الانتقام والثأر لشريكك وصديقك سنار أخبرني بها حتى لا تتورط في قضايا أمنية.

هزّ الرجل رأسه وقال : ليس عندي شيء، وأنا أشد حزنا لمقتل سنار.. فأرجوك يا أبا جلال ..أن تدعني وتنساني .

نظر إليه متأملا ثم قال : إني مستغرب من تصرفاتكم .. أليس عليك خطر ؟

ـ حياتي كلها خطر يا ابن العم.. والذي يلعب بالنار عليه أن يتحمل النار وحرق النار .

ـ والتجارة ؟

ـ أنا تحدثت مع عمي حمدي ، وسأقوم بمساعدة مكتب المحاسبة الذي يعمل حساباتنا لمعرفة حصة سنار في الشركات والمحلات ، وسيدفع للمحكمة لتقسمه بين الورثة، وعلمت من أحد المحامين أن المال سيقسم على أربعة أشخاص أمك وأبيك وزوجته وابنه المولود حديثا .. فعمي راغب بأخذ أموال سنار والانفصال عن التجارة والمحلات، وحصة ابن سنار ستخضع لمؤسسة رعاية أموال الأيتام .. والزوجة لست أدري بشكل حاسم ستبقى شريكة أو تنفصل .

ـ شكرا لك ، أنت تعمل حسب الأصول .. اسمع يا ابن العم أنا لن يهدأ لي بال حتى أعرف أسرار سنار ومغامراته ، ومعرفة أسباب قتله هنا وأسباب محاولة قتله هناك .. سوف أعرف ولو تركت العمل في الشرطة وتفرغت لهذه القضية .

ـ اسمع نصيحتي أيها الضابط .. من حقك أن تعرف قاتل شقيقك .. نصيحتي الخالصة لك وللأسرة نسيان القضية .. ما دامت الشرطة عجزت وأوقفت البحث .. فأنت افعل

مثلها .. فكل يوم يأتي يباعد من الوصول إليهم .. فمقتل سنار إذا كان جريمة كبيرة .. فيمكنك أن تسميها جريمة دولية .

ـ دولية !

ـ ما دام أنت ربطتها بحادث باي اوغلو .. فهي دولية وأنا سأقول سرا خاصا بي .. بعد أن أتأكد من ظنوني وشكوكي وتصفية الشركات والشراكة بيني وبين المرحوم سنار سأختفي من هذا البلد .

ـ تختفي ؟!

ـ أجل .. إذا تأكدت فستكون حياتي أيضا في خطر .. فأنا شريك سنار .

ـ اطلب حماية الأمن .

ـ الأمن .. ماذا سيفعل ؟ وسيسألون .

ـ تكلم تحدث عن هذه الشكوك .

ـ صعب يا أبا جلال .. أرجوك أنني لا أحب الحديث عن أسرارنا الخاصة في التجارة .

ـ عجيب أمر هذه الأسرار!! .. كأنكم تتاجرون بصناعة الصواريخ أو القنابل الذرية .. تجعلون لتجارات تافهة أسرارا خطيرة .. وتابع بعصبية: على كل حال قرفت منك .. إذا احتجت لمساعدة فأنت تعرف مكان عملي وتلفون البيت .. وسأعلم بإذن الله قتلة شقيقي

ـ أتمنى أن تعرف .



زار المقدم رباح ضابطا كبيرا عمل في خدمة التحقيقات الجنائية ، وتقاعد منذ زمن يسير العميد (حيدر افشي) ، وقد برع الرجل في التحقيق في الجرائم ومطاردة الجناة وحل الغاز الجرائم المعقدة ، وقد اشترك معه في تحقيق عدد من الجرائم والحوادث التي شابها

الغموض أثناء الخدمة .. واستقبله الضابط على اتصال مسبق بينهم .. وساقه إلى مكتبه الفاره في بيته الواسع والمؤثث بأفضل الأثاث، ولما انتهت المجاملات ، وتذكروا بعض أحاديث الذكريات، وأدخلت الخادمة عليهما القهوة قال رباح : لقد علمت بحادث مقتل أخي سنار .

ـ أجل، وشهدت جنازته ـ رحمه الله ـ وذكرت لي يومها قصة محاولة قتله في تركيا منذ أشهر .. والذي أدهشني أنكم لم تمسكوا الجناة .

ـ ومن أجل هذا جئت إليك يا سيدي العميد .. فأنت صاحب خبرة وفطنة مشهود لك بها بين رجال الأمن والتحقيق البوليسي .. لم أسمع أنك عجزت عن الوصول لجاني قاتل في حياتك المهنية المديدة .

ـ بارك الله فيك يا رباح .. والشكر لله وحده ، وهذا من توفيق الله وحده .. لقد شاركت في تحقيق جنايات سياسية ومدنية ووفقني الله بالنجاح فيها .. آ .. والآن ما هي قضيتك بالتفصيل .

ـ القضية يا سيدي أننا لم نعرف الدافع للاغتيال .. فسنار أخي ليس سياسيا .. إنما هو بائع ومستورد للأطعمة والشراب والحلوى .. وأكثرها منتوجات تركية .. لم نعلم له أعداء .. وكان موفقا في تجارته .

وسرد عليه بعض حياة سنار ، وذكر له حادث ملهى إسطنبول .. وحدثه عن الغموض الذي يراه هو شخصيا المحيط بحياة سنار الخاصة .

ولما سكت رباح خيم الصمت على المكتب لبضع دقائق ثم همس حيدر : هل في القصة رائحة المخدرات ؟!

ـ شككت في ذلك منذ زمن ؛ ولكن لا دليل عندي .. لم يسجل عليه أي قضية مخدرات لا شراء .. لا بيع .. لا تهريب ..لا ترويج .. والذي شككني يوما بهذه الثروة التي بين يديه .. إنها ثروة كبيرة هبطت عليه وهو دون الثلاثين من عمره .. وإنفاق بسخاء .. كل

سنة سيارة آخر موديل أمريكية أو ألمانية .. لم يسجل عليه أي قضية تهريب مخدرات .. أو تجارة أسلحة .. هذا الشك جاءني من المال الكثير فحسب

ـ وابن عمك جبران لا يتكلم بشيء ينير الطريق .. وأنت متأكد أنه يخفي أشياء

ـ نعم ، يزعم أن هناك أسرارا للعمل .

ـ الدافع غامض في هذه الجريمة .. لو كان هناك مخدرات لقلنا ربما تصفية حسابات بينهم أو صراع زعامات أو مناطق ترويج .. سيارة الجريمة سيارة مسروقة قبل الحادث بأيام .. وهل ثبتت براءة مالكها مائة بالمائة ؟

ـ نعم ، السيارة لسيدة متزوجة ولها خمسة أبناء ، تعمل السيدة في إدارة مدرسة خاصة .. فقد سرقت سيارتها وأخفيت في مكان ما لساعة تنفيذ الجريمة .. والشرطة قد عممت عن فقدها ، وكان البحث عنها جاريا .. وأعتقد أن السيارة بريئة من الجريمة .

ـ والمفتاح المستخدم في قيادتها .

ـ لم يستخدم العنف في استخدامها ، والقتلة لا يعجزون عن تقليد مفتاح سيارة

ـ هي عصابة إذن .

ـ القتل حدث لما هبط سنار وقرينته فجرا يترنحان من شدة السكر ليلة رأس السنة الغربية إلى الشارع أمام الفندق ، أدخل السائق المرأة في المقعد الخلفي ، وفتح باب السيارة الأمامي ليدخل سنار بجواره ، ولما اقتربا من الباب اقتربت سيارة من سيارة أخي ، وأطلق أحدهم الرصاص عليه ، فسقط على الأرض بين الباب والرصيف.. ولما جاءت سيارة الإسعاف، كان الرجل قد فارق الحياة، ومات مخمورا للأسف .. وأطلق القاتل الرصاصات من نافذة السيارة ثم ابتعدت مسرعة أمام ذهول السكارى.. جريمة مدبرة وجريئة ومعد لها بتدبير وتخطيط .. ورغم سرعة تنفيذها تمكن أحد الموظفين العاملين في الفندق معرفة أرقام لوحة السيارة ولونها ونوعها.. وبعد حوالي خمس ساعات وجدت السيارة مركونة في منطقة مهجورة ، الرِجل إليها خفيفة كما يقال ، ولا

شيء فيها يدل على الجناة .. لا بصمات ولا عقب سيجارة .. واختيار الوقت والمكان يدل على علم الجناة بتحركات سنار ومكان سهرته ووقت انصرافه ..

ـ رفاق السهرة أليس لديهم معلومات ؟

ـ لم ير رجال أمن الفندق شيئا مريبا تلك الليلة .. وأغلب المحتفلون رجال أعمال وزوجاتهم .. وحياتهم رقص وسهر وسكر وموسيقى رفاق مجون .. كما قرأت في محاضر الشرطة لم يذكروا شيئا مهما حدث تلك الليلة .. القضية صعبة، ولكن لابد من ثغرة وخيط وخطأ لم نعرفه لحتى الآن.

ـ نعم ، لابد من نقطة في غير موضعها لم يلتفت إليها رجال الأمن ، سأفكر بعمق في هذه القضية التي تبدو معقدة .. لأنه لم يقبض على الجاني والسائق .. هل فروض معينة وضعها رجال الشرطة ؟

ـ وضعوا فروضا كانتقام .

ـ انتقام ؟!

ـ افترضوا أن سنارا أساء لأحد أو لفتاة ، وأن أهلها أو زوجها انتقموا منه .. ولما راجعوا سيرة سنار مع النساء لم يجدوا ما يثبت هذا الافتراض .. لم يجدوا هذه الفتاة التي أساء إليها لينتقم أهلها .. افترضوا أنه عضو في عصابة ؛ ولكن أين هذه العصابة ؟.. التقوا بعمال المحلات والشركات لم يجدوا إشارة بهذا المعنى .

ـ جريمة محيرة فعلا أيها الزميل الفاضل! .. على كل حال هذه الجرائم الغامضة إذا لم تكشف بسرعة ستكشف بعد حين ؛ لأنه سيكون لها ذيول .. لابد من تحديد القتلة ، وستظهر دوافع الجريمة ولو بعد حين .



نقاط

اتصل العميد حيدر برباح ولما التقيا وشربا الشاي انتقلوا لمكتب العميد ، وأغلق الباب عليهما ، وقال بعد استوائهما جالسين متجاورين : تحدثت مع بعض كبار الضباط ، وبالفعل إن المعلومات التي لديهم ضئيلة جدا .. وهم في ارتباك وتعجب ويقولون إن الجريمة مخطط لها بمكر وتمهل ووراءها عقل جبار .. وقد تركوها للزمن، ربما يختلف الشركاء في الجريمة ويسقط بعضهم .

ـ هذا أكده لي مدير الأمن العام يا سيدي شخصيا.. وحتى ضباط كبار في مخابرات البلاد لا شيء عندهم حول الحادث الرهيب .

قال العميد الجنائي حيدر ببطء: أنا فكرت بكل سمعت منك، ولسوف أزور إدارة التحقيقات وأقرأ كل المحاضر ، وعندي نقاط قد تساهم في مسك خيط

تحرك رباح في كرسيه وقال بحماس: نقاط .. حسن .. تفضل .

ـ هنا نقطة في سرقة السيارة .. كيف سرقت السيارة؟ أنت ذكرت أنها لم تسرق بعنف ، لم يستعمل العنف في سرقتها، وجدت سليمة .. إنها سرقت لتحقيق هذا المقصد الإجرامي.. استخدم مفتاح مقلد بتشغيلها .. كيف حصلوا على مفتاحها الأصلي ليصنعوا تقليدا له ؟

ـ أنت تعلم يا سيدي أن سارقي السيارات لا يعجزهم تقليد المفاتيح ، فكيف بمن يخطط لارتكاب جريمة كهذه ؟

ـ نعم ، فهم يحتاجون إلى نسخة أصلية يقلدون عنها.. هل أخذوا عددا من المفاتيح وجربوها ورسوا على المفتاح الملائم ؟ .. أنت ذكرت أن السيارة وجدت سليمة ، واستخدم مفتاح في تشغليها، لم تشغل مباشرة من الماتور والبطارية .. كيف وصل المفتاح للعصابة؟ .. هم عصابة هذه النقطة الأولى .. علينا أن نعرف عند من تصلح المرأة سيارتها وآخر مرة صلحت فيها السيارة ؟ .. لأن هؤلاء الفنيين أحيانا يأخذون المفاتيح

من أصحاب السيارات لتحريك السيارة إلى هنا وهناك .. فأصحاب السيارات عادة يتركونها لديهم ، ويعودون بعد ساعات وبعد أيام .. حسب الوقت اللازم للتصليح .. وبعضهم يتركها في محطة الصيانة والتنظيف وعند مغادرة العمل يعود لاستلامها واستلام مفاتيحها .. وهؤلاء العمال يستغلون هذه الفرصة لقضاء حوائجهم في تلك السيارات .. على رجال البحث الجنائي الاهتمام بهذه النقطة بالعودة لتلك السيدة ومعرفة المحطة التي تصلح بها سيارتها ، وآخر مرة زارت تلك المحطة للتصليح أو التنظيف .. وليفعلوا هذا بسرية تامة .. فإذا ثبت لدينا هذا الظن .. وأن السيارة كانت في كراج تصليح أو صيانة .. فيتابع عمال الكراج الفني أو محطة الصيانة .. فربما نصل لشيء .. سنجد من قلد المفتاح سرا .. فاستخدام هذه السيارة نقطة ضعف .. وإن كان المجرمون يعتبرونها نقطة قوة ..

أعجب رباح بهذه الفكرة الصغيرة وعلق فقال : رائع تفكير ممتاز !

ـ بارك الله فيك إذن هذه نقطة مفتاح السيارة المسروقة.. من معالم هذه الجريمة يا سيدي أن القتلة يعرفون السيد سنارا جيدا، فقد أصابه الجاني نفسه لم يصب السائق، هو يعرف الهدف المصوب إليه جيدا .. فالسائق لم يصب بأي طلقة .. والقاتل رام جيد أو ربما لقرب المسافة .. والجناة يعرفون مكان سهر سنار في الفندق ـ العصفور الماسي ـ ويعرفون وقت خروجه من السهرة والحفلة فتحركوا في الوقت المناسب .. ويراقبون المكان بشكل جيد فهل لهم أعوان في الفندق ؟ سواء من العاملين أم من الزائرين والمحتفلين ؟ .. هناك ترتيب للعملية الإجرامية .. رجال أمن الفندق لم يشاهدوا سيارة الجناة إلا عندما بدأ الناس ينصرفون من الحفل ، فدخلت السيارة رويدا رويدا من يراها يعتقد أنها قادمة لتقل بعض المحتفلين.. لم تكن موجودة في موقف سيارات الفندق .. هم ظنوا أنها تدخل لأخذ زبون كغيرها من السيارات .. ولما دخلت الزوجة السيارة بمساعدة السائق.. اقتربت من سيارة سنار أكثر فأكثر.. وكان الناس المحتفلون يركبون سيارتهم وهم في حالة يرثى لها من السكر .. وجرى الحادث فور اقتراب السيد من سيارته .. وهربت

السيارة والناس في حالة ذهول لسماع صوت الرصاص .. هكذا يقول رجال الشرطة في وصف الحادث .. وتعقبوا الاتصالات من الفندق ليلة الحادث وهي كثيرة وهي نقطة مهمة أيضا على افتراض أن العميل لهم اتصل مخبرا بخروج الصيد.. الشرطة لم يصلوا لشيء من ذلك .. وعلينا أن نراجع الاتصالات لعلنا نجد فيها شيئا يفتح علينا به .

ـ نقطة ممتازة أخرى يا سيدي العميد .

ـ أيضا نريد أن نعرف القائمة التي كانت ترافق سنار وزوجته في تلك السهرة .. النساء والرجال.. ومعرفة تفاصيل عن حياتهم الخاصة وأعمالهم.. أنا أعلم أن هذه التحقيقات صعبة وتحتاج لوقت ونظر عميق يا سيدي المقدم .

ـ إنها نقاط جديرة بالاهتمام .

ـ وهناك نقاط هامة وخطيرة.. وهي مراقبة ابن عمك جبران، والتنصت عليه ؛ لعلنا نسمع شيئا مهما من أسرار عمله الخفي .

ـ للأسف هو لم يتكلم معي وأنا ابن عمه ، وأستطيع حمايته ممن يخافهم ويخشى خطرهم إذا كان صادقا .. فهل سيتكلم أمام الموظفين وأمام زوجته ؟ بل إنني سمعت أنه طلق امرأته منذ أيام ولم أتأكد من الخبر بعد .. علاقتي أيها الأخ الفاضل مع ابن عمي وحتى أخي الميت كانت باردة للغاية لطبيعة أعمالنا.

ـ لابد من تعقبه لفترة معينة ومتابعة حركاته واتصالاته فهو مفتاح الجريمة .. فهو يعلم شيئا ؛ ولكنه خطير لا يستطيع أن يفصح عنه، فهو يتعامل مع ناس أقوياء وقادرين على فعل هدفهم .. وإذا الرجل ضمن مافيا تركية أو عالمية فالأمر خطير بمعنى الكلمة !

ـ فكرت في هذا الاحتمال كما ذكرت في لقائنا السابق لا إشارة ولا قرينة تؤيد هذه الاحتمال .

ـ ربما لأن نشاطهم في تركيا ليس في بلادنا، وقد ذكرت أن البوليس التركي لم يسجل عليهم شيئا ضد القانون .. يا سيدي المقدم الدافع للجريمة ما هو ؟ السبب ما هو ؟

سيعيننا الله ويلهمنا الحق والحقيقة ، لابد أن يكشف لنا بصيص من الضوء في النهاية .. أرجو ألا تطول .. رفاق السهرة وناس الفندق الذين كانوا على مسرح الحادث ليس لديهم معلومات مهمة .. ملاحظة .. كلمة .. هل من خائف بينهم ؟!

ـ رجال التحقيق بذلوا كل جهد، ولم يعرفوا إلا لون سيارة الجناة ورقمها مما سهل الوصول للسيارة المستخدمة في الجريمة .

ـ هل ثبت يقينا أن السيارة المسروقة هي الوسيلة المستخدمة لنقل الجناة لتنفيذ الجريمة ؟

ـ أتقصد أن معطي الرقم خدع الشرطة ؟ الشرطة حسب معلوماتي أكدت أنها نفس السيارة التي شوهدت على مسرح الحادث الماركة اللون.. فالذي ذكر الرقم ذكر فقط أربعة أرقام منها .. وآخر ذكر أرقاما أخرى.. والاتفاق على اللون جعلهم يتأكدون أنها التي تحمل الجناة .. هناك من ذكر لون القميص الذي يرتديه القاتل ..

فقال حيدر : بإذن الله سنعرف الجاني قاتل شقيقك سنار .. عليك أن تتابع النقاط الثلاث التي تحدثنا عنها .. وسأجري الكثير من التشاور مع ضباط الأمن الزملاء ليقدموا لك الدعم والعون الكافي.. ولا يعني تقييد الجريمة أو السرقة ضد مجهول أن التحقيق انتهى .. فإذا جد جديد من الشهود والأدلة يفتح التحقيق مرة أخرى .. يترك الأمر للزمن ..

ـ جزاك الله خيرا يا سيدي العميد.. الإنسان عندما يعرف عدوه يستريح .. الدم غالي .. لا نريد أن نثأر أو ننتقم؛ إنما نريد أن يأخذ العدل مجراه.. وتهدأ نفوسنا.



متابعات

قام مكتب التحقيق الجنائي بإجراء لقاء جديد مع مالكة السيارة المسروقة والمشتبه باستخدامها في عملية الاغتيال، وعلموا منها اسم المكان الذي تعمل الصيانة لسيارتها فيه خاصة المرة الأخيرة التي سبقت الحادث ، فذكرت أنها تعمل التنظيف وتغيير الزيت والتشحيم في محطة اسمها " العين " ، والأعطال الكهربائية في مشغل جوار تلك المحطة ، وأفادت بأنها تعالج أي أعطال ميكانيكية في نفس المنطقة .

ولما علم رباح هذه المعلومات البسيطة تبين له أنه يعرف تلك المنطقة جيدا ، بل تذكر أن إحدى هذه المحلات يعمل فيها قريب له ، ويتردد عليه لمعالجة سيارته ، فاتصل به وتحدث معه في موضوع استخدام سيارات الزبائن ، فأخبره الرجل أن استعمالها يكاد أن يكون عرفا خاصة من يترك سيارته لديهم لزمن طويل.. أربع خمس ساعات .. فيغامر العمال بقضاء حوائجهم بواسطتها ، وسأله سؤالا مغريا له وقال: أحدث أن قلد عامل فني مفتاح السيارة وسرقها فيما بعد ؟!

فكان رد القريب أن مثل ذلك يحدث ، وإذا اكتشف أمرهم ، فهم يطردون من العمل ، ويصبحون من أصحاب السوابق في سرقة السيارات ، وهؤلاء يكشفون عند سرقة سيارة غالبا .. بل زاده إن شخصا عمل عنده شخصيا فترة من الوقت ، واستطاع تقليد مفتاح سيارة كانت تصلح في محله، ثم سرقها وهرب بها مواد ممنوعة ، وقبض عليه وذكر له اسمه .

ولما وصل الحديث لسيارة تلك المرأة مديرة المدرسة ، فذكر القريب له أنه يعرفها شخصيا وعالجت سيارتها عنده أكثر من مرة ؛ ولكنه لا يستطيع اتهام شخص بصنع مفاتيح مقلدة لسيارتها ثم سرقها.. لم يحدثه رباح أن تلك السيارة المسروقة ارتكبت بها جريمة قتل شقيقه ، أشعره فقط بأنهم يسعون لمن سرقها وركنها في منطقة مهجورة .. فلم تنشر الصحف خبر وجود سيارة الجريمة ، إنما نشرت وقوع الجريمة بسيارة يستقلها المجرمون

بدون ذكر أنها سيارة مسروقة .

طلب رباح من شباب البحث الجنائي الاهتمام في تلك المنطقة ، وشرح لهم الغاية من هذا التحقيق .. فتشجع القائد للقيام بهذا البحث والتحري الدقيق .



وأما مسالة الاتصالات التي جرت من الفندق تلك الليلة فقد تبين أنها أكثر من خمسمائة اتصال حدث تلك الليلة ، بعضها استغرق دقائق ، وبعضها دقيقة أو دقيقة ونصف .. وهي اتصالات عادية بدأت لرجل التحقيق لا شيء مريب فيها .

وكلف رجال البحث الجنائي بالتحري عن عدد من أصحاب القتيل سنار .. فتبين للضابط الذي قاد التحريات أن الأمر معقد وقد يستغرق وقتا طويلا ، وربما يكون الجهد في النهاية لا قيمة له .. ولكن اليأس لا يجب أن يصل لقلب رجل الشرطة والأمن .. وأخذ يذكرهم أن بعض الجرائم أخذت سنينا حتى اكتشف الجناة .. وبعضهم قتل العديد من الناس حتى انكشف وظهر للعيان فقال : فلا يجب أن نتعجل الأمر .. ولا يجب أن نحبط.. فالوصول للجاني غاية نبيلة .وقال لنفسه " وبالنسبة لي راحة وسكينة " ثم تنهد تنهدا عميقا وذهب في تصورات وخيارات وأفكار تؤدي في نهاية المطاف إلى معرفة قاتل أخيه وردد في قلبه : هل ننتظر حتى ترتكب جريمة أخرى لنعرف القاتل ؟!

التقى الضابطان مرة ثالثة لمناقشة ما تجمع لديهم من معلومات، فلم يجدوا أنهم يملكون شيئا مهما يتبعونه سوى الاعتراف بأن الجريمة حيكت بدهاء وترصد ، وقد نجح القتلة من الإفلات من قبضة رجال الشرطة .. كان حيدر ينظر في عيني رباح ويقول : رغم

بساطة الجريمة إذا صح التعبير فهي نفذت بمهارة وإتقان ، واختيار الوقت كان اختيارا موفقا ، خلو الشوارع من السيارات تلك الليلة ساعد على الهرب السريع، وأغلب رواد الفندق ينصرفون مخمورين .. ومدخل الفندق يسهل الحادث والابتعاد فورا .. وارتكاب الجريمة بسيارة مسروقة وخاصة أن صاحبتها امرأة وتربوية لا يشتبه بتواطئها كان محكما ، والبرد والشتاء ساعد على إخفاء آثار الأحذية ، ولم يصادفا أي دورية شرطة في ذاك الجو الاحتفالي .. الحظ ساعدهم ولكنهم سيتحركون ثانية ويقعون.. والمساعدون للجاني سيبتزون الزعيم بعد نجاح الجريمة.. فإما يتخلص منهم أو يتخلصون منه .. القضية قضية وقت لا أكثر .. الخوف سيكون الرفيق لهم إلا إذا خرجوا من البلاد .. هذه الجريمة المعقدة في رأيي صراع بين أصدقاء أمسوا أعداء .. وأعتقد أن حادثة الغدر في تركيا لها علاقة بالجريمة هنا .. فالرجل الجاني هناك أداة والرجل هنا أداة ..

ـ وأنا الآن أجزم أمامك أن لها علاقة بها كما تقول يا سيدي العميد .. وهذا سيزيد الغموض ، ومراقبة جبران لحتى الساعة لم تسفر عن شيء يذكر .. حياته طبيعية سهر في الليل ، وحفلات سكر وفجور ، ونوم عند صلاة الفجر حتى العاشرة صباحا .. إفطار .. يتنقل بين المحلات والشركات حتى المساء ثم يستقر في مكتب إحدى الشركات .

ـ لو كان سنار يشتغل بالأحزاب والسياسة لقلنا الجريمة ذات دوافع سياسية .. نفذتها أجهزة مخابرات .. فمن أجل ذلك نقول الخيوط معقدة غير واضحة

ـ زرت الكثير من أصحاب سنار ، وهؤلاء لا يعرفونه إلا في السهرات واللهو .. عدت للتفكير في حياة سنار في تركيا .. ليس له لدى الشرطة إلا قضايا أخلاقية .. زنا قمار.. مخدرات لا .. دعارة لا .. التجارة التي يمارسونها لا غبار عليها .. لا مشاكل مع الجمارك لا تهرب ضريبي .

ـ أخوك ذو ذكاء بفعله هذا .. فالتهرب الضريبي نراه في حياة التجار والمصانع أمرا عاديا.. وهذا وباء عالمي .. ففعل شقيقك يريب .. مؤسسات حكومية تتهرب من

الضرائب .. فالتزام حرفية القوانين يثير الريب أن شيئا أكبر يحدث.. فحيل التهرب كثيرة ، وهي موجودة في نفس القانون.. فالرجل كان حريصا على ألا يشتبك بالجمارك وموظفي الضريبة .. لا أتصور فعل ذلك حبا في الدولة والنظام .. حياة شقيقك تلفها الغموض .. من خبرتي يا رباح التي تعرفها بصمات المخدرات والعصابات المنظمة .. ولا تمل من متابعة جبران .

ـ التلاعب في المحاسبة والأرقام وارد .. لا أعتقد أن شركة خاصة لا تفعله .

ـ وهذا الذي يريب في شركات سنار وجبران !



انتظار

الإنسان مهما أوتِ من عقل وقوة فيبقَ في لحظات ضعيفا عاجزا .. خيم على حيدر ورباح الحيرة والضعف في تلك الجريمة ، رغم باعهما الطويل في التحقيقات الجنائية ، متابعة جبران لم تسفر عن شيء، ثم أوقفا المتابعة .. بل فكرا بالسفر لتركيا لتتبع سيرة حياته وعلاقاته وأصدقائه فيها .. ورأيا ذلك بدون تعاون شرطة تركيا مستحيلا .. وفكرا بزيارة ذلك الرجل الذي سعى لقتل سنار في حانة إسطنبول .. وضعفهما باللغة التركية أضعف همتهما أيضا .. فظل الأمل أن يحدث شيء جديد يحرك القضية ويكشف بعض غموضها .. فلذلك كان رباح كلما يسمع عن جناية أو حتى جنحة يتابعهما باهتمام في غرفة عمليات الأمن العام وإدارات الشرطة ؛ لعله يجد خيطا أو شبهة في جريمة سنار .

رغم وجود الشهود الكثر فقد استطاع الجناة من النجاة والاختفاء .

أكمل جبران شريك سنار جرد المحلات والشركات ، وقام مكتب المحاسبة والتدقيق بمعرفة حصة الورثة الأربعة بعد قسم أموال الشركة لنصفين ، وعن طريق مكتب محاماة والمحكمة الشرعية حصر الإرث الشرعي وقسمت حصة سنار على الورثة ، وأخذ كل صاحب حق حقه .. وهكذا انتهت العلاقة بين أسرة سنار وأسرة جبران .

وبعد توزيع ميراث سنار بشهور يسيرة ، وقد مضى على موته سنة حدث تطور لفت نظر المقدم رباح .

زوجة سنار السيدة ريما أمير تزوجها سنار قبل مقتله بثلاث سنوات ، وكان عمره يقارب الأربعين ، وكانت هي ابنة اثنتين وعشرين سنة ، وترملت على خمس وعشرين سنة ، وأنجبت له ولدا واحدا، ولد قبل مقتله بأيام معدودات .

بعد موت سنار عادت الفتاة إلى بيت أبيها أمير ، فقد كان بيتها ضمن الأملاك التي تم بيعها من أجل الورثة .

اتصل والد ريما ببيت حمدي يخبرهم بأن قريبهم جبران تقدم للزواج من ابنته .. ولما سمع

رباح بهذا الخبر أصابته الدهشة والريبة .. وأهله طبعا أخبروا الرجل أن الشأن يعود له ولابنته ، فهم كانوا لا يطيقونه هو ولا ابنته .. بل بعض الأخوة رفض هذا الزواج، واستاء من هذا الاختيار ، وكانوا يرغبون بأن يتزوج فتاة من الأسرة ، ولكنّ سنارا لعلاقات تجارية وشخصية مع السيد أمير رفض اعتراضهم ، وتزوج ابنة الرجل التي قبلت به رغم فارق السن بينهما .

ترددت الفتاة في البداية بقبوله زوجا لها ، وأمام ضغط الوالد قبلت ووافقت عليه زوجا لها .. وكانت تعرف مجونه وفجوره فهو على شاكلة والدها ، وبينهما علاقات خاصة ، وإنهم لا يحترمون الحياة الزوجية ، فهو صورة أخرى من والدها ؛ ولكنهم يملكون المال الكثير.. فهي تعلم أن لوالدها علاقات نسائية خارج البيت ، وأمها تعلم هذا وتقبل به ، فلم ترها تحتج عليه يوما ما .. وكانت تسمعهم يقولون " لابد للمرأة من زوج .. ولو ديكور ".

فتزوجت الشابة الصغيرة الرجل الذي بلغ الأربعين بدون أن يكون له قبلها زوجة شرعية وبيت تسكن فيه امرأة على اسمه.. وربما تعرف جبران حق المعرفة .. وهو على شاكلة أبيها وزوجها .. وكانت تعلم أنه تزوج أكثر من مرة .. وتعلم أنه طلق الأخيرة بعد مقتل ابن عمه بأسابيع .

لذلك تحدث رياح معه عن دافع هذا الزواج من أرملة ابن عمه . فقال متضايقا وضجرا من تدخله: كما تعلم يا ابن العم لا أحب أن يخلو بيتي من امرأة شرعية.. وتعلم أني تزوجت أربع مرات وكلهنّ طلقتهن.. ولا حرج من الزواج من أرامل.. ولها سنة أرملة ، ولم يطلبها أحد.. فعرضت نفسي على العم أمير فرحب بذلك ، وطلب مهرا .. وبالنسبة للطفل إذا أردتم أخذه لا مانع عندي.. وأنا لا أمانع كذلك من بقائه معها فهو ابن أخي سنار.

ضحك رياح وقال بسخرية: ابن سنار تربيه أنت!

ـ نعم، أنا لم أفهم لماذا يتشاور معكم أمير في زواج ابنته؟! .. فقد انتهت العلاقات بينكم.. وكنتم تكرهونه وتكرهونها .. هل عندكم مانع من الزواج بأرملة أخيكم ؟

ـ مانع!.. أبدا .. فنحن لا دخل لنا بزواجها منك أو من غيرك وهي خرجت من المستشفى بعد علاجها من الصدمة مباشرة إلى بيت أمير والدها .. هي لم تحبنا يوما ، ونحن بادلناها مثل هذا الشعور .. وحتى صاحبك سنار كان يجاملنا القليل القليل.. كأنه لم يكن من العائلة .. وربما تحدث أمير مع أبي من أجل الولد ولوجود الولد بيننا.

ـ على كل حال لما يحصل النصيب سوف أدعوكم لحضور عرسي الجديد .

ـ على خير يا سيد جبران .. عندما يحدث النصيب سنتكلم بموضوع الطفل .. أهلا بك.

وانتهت المكالمة ، وبالفعل بعد أسابيع دعوا لحفل الزفاف في فندق العصفور الماسي حيث كان يحب جبران وسنار السهر والاحتفالات، وحيث لقي سنار مصرعه.. فرباح يعرف ماهية حفلات جبران.. فرق موسيقية تركية غربية مغني لامع شراب طعام .. تصرف عشرات الألوف كل ذلك في سبيل الشيطان .

حادث الزواج المفاجئ لرباح من أرملة شقيقه شغله قليلا.. إنما الذي جعله مهما لرباح ما حدث بعده.. فلم ينته شهر العسل لجبران حسب عادات اليوم حتى كان المقدم رباح يستلم رسالة غريبة ومثيرة .. رسالة مختصرة مطبوعة على آلة كاتبة وقادمة من إسطنبول

(ها هو قاتل أخيك تزوج من أرملته شريكته في الجريمة .. هل نسيت دم سنار ؟)

كانت الرسالة صاعقة لرباح ، وأعادت لنفسه شكا راوده ذات يوم ، كانت الرسالة مرسلة من شركة، ثم تبين لرباح أنها شركة وهمية لا وجود لها ، بعد تأمل ونظر زار العميد حيدر افشي للتشاور ، الذي قرأ الرسالة بدوره ، وبعد صمت استمر لدقائق بينهم ، قال العميد المتقاعد : اسمع يا أخ رباح .. أنا منذ البداية داهمني شعور نحو ابن عمك جبران ومن أجل هذا الشعور شجعتك على وضعه تحت المراقبة.. ومع تلك المتابعة لهواتفه وتحركاته لم يثبت عليه شيء .. لهو وسهر وبضع ساعات في الشركات والمتاجر ..

لذلك لا نستطيع الجزم بصحة هذا الاتهام .. لماذا تأخر لحتى هذا الوقت ؟! ولماذا اتهم بعد زواجه من ريما ؟ .. سندقق في تحركات جبران ليلة الحادث وقبله بأيام .. رغم صعوبة هذا .. وفي حادث تركيا هل لجبران دور في المحاولة ؟ .. سنار لم يتفوه بشيء يشير لعداوة خفية بينه وبين جبران ؟

قال رياح : لم تظهر أي عداوة بينهما للعيان قبل وبعد حادث تركيا .. وحتى يوم فندق العصفور كان جبران يقضي سهرته في فندق آخر.

ـ لم يظهر له دور في حادث تركيا .. لماذا يتستر أخوك على دوره إن كان له دور؟! وهل كاتب هذه الرسالة حاقد حاسد أم شريك لهم ؟ .. فالأمور تزداد تعقيدا ..وبالرغم من هذا التعقيد بسبب هذه الرسالة.. فالحل يلوح فيها .. فالآن لدينا مشتبه بهم .. جبران .. أمير .. ريما .. كاتب هذه الرسالة المجهول .

قال رياح بعمق : لقد شككت بابن عمي لغموضه معي وزعمه أسرار العمل .. وحاورته ونصحني بترك التحقيق ، فالأمر يراه خطيرا على حياتي وحياته .. وتذرع بأسرار العمل حاولت انتزاع كلمة من سنار أثناء وجوده على سرير الشفاء في المستشفى التركي لأبني عليها .. فلم يتكلم، ففسرت الرفض بالخوف من الخصوم .. ولما عاد إلينا حاولت من جديد أن أعرف السبب الحقيقي للحادث .. فلم يتكلم ورفض الحديث بشيء حول الحادث .. أبى الإفصاح عن كلمة تفسر الغموض المحيط بالحادث .. ولما وجهتني لمتابعة جبران ، والتنصت على مكالمته الهاتفية أدركت أنك تشك بالرجل كما شككت أنا فيه.. وكلفت رجالنا بمراقبته .. ولكن يا سيدي ما الدور الذي لعبته ريما في هذه الجريمة ؟!.. فليلة الحادث كانت رفيقته في السهرة .. وغرقت كعادتها في السكر والرقص رغم وضعها لطفلها الأول قبل الحادث بأيام .. والدها لم يحضر الحفلة معهم تلك الليلة .. فقد كان يشارك ناديه الخاص تلك الاحتفالية كما سمعنا.. فهم كلهم على شاكلة واحدة في هذا الجانب من التفسخ والمجون .. السؤال يا سيدي العميد .. من كتب الرسالة ؟ ولماذا

من تركيا ؟! لماذا هذه الرسالة بعد زواج جبران وريها لماذا ؟! أين كان ضمير كاتب الرسالة قبل هذا الزواج ؟! هل حقا كانت علاقة خفية بينهما كما يوحي كاتب الخطاب ؟! ما الذي قلب جبران على سنار صديق العمر وشريك العمر ؟ فجبران أكبر سنا من سنار .. وجبران زوج فاشل.. وعنده أولاد من مطلقاته خاصة الأولى والثانية ، وبعضهم شباب أنهى الجامعات .. لماذا يقتل شريكه؟ أيقتله ليتزوج امرأته ؟.. كانت تستطيع هي طلب الطلاق والزواج من جبران دون قتل ؟ .. وظلت أرملة سنة قبل هذا الزواج ؟ .. ولماذا قبلت بالزواج من سنار وهو يكبرها بعشرين سنة؟ المال فقط هو الذي دفعها للقبول به؟ أخبر سنار أن زواجه منها كان مصلحة وشغل .. هل عشقت جبران من وراء سنار ؟ .. ولهذا طلق امرأته ليمهد لهذا الزواج .. أسئلة كثيرة دارت بين الضابطين .. واستمر النقاش.. كان الوصول للجاني قد أصبح عقدة وتحديا لمهارتهم في التحقيقات البوليسية .. لم يستبعدا أن يقتل جبران سنارا ولكن السبب ما هو ؟ وهل تشارك ريها في جريمة لتنكح رجلا أكبر من سنار ؟ .. فالطلاق يحل المشكلة بدون دم وقتل .

لما رجع جبران من شهر العسل اتصل به رباح مهنئا بالزواج وبالعودة سالما واستأذنه بمقابلة خاصة ، فقبل جبران وكان يدرك أن ابن عمه ما زال مشغولا بقضية قتل سنار ، وكان يتمنى من قلبه أن ينسى ابن عمه القضية ، ورغب أن يعرف الجديد في القضية ، فلذلك قبل الزيارة واستقبل ابن عمه ورفيقه العميد حيدر ، وبعد السلام والتهنئة قال رباح وهو يخرج الرسالة التركية من جيب جاكيتته : أنا آسف يا ابن العم.. لكن عليك أن تقرأ هذه الرسالة ـ ومدها لجبران ـ التي وصلتني وأنت في شهر العسل وتعلق عليها .

حدق جبران لبعض الوقت في عيون الرجلين وقال وهو يمسك بالرسالة : أنت ما زلت مشغول البال بمقتل سنار.. وأنا نصحت لك أو لمحت لك أكثر من مرة بنسيان القضية فلنقرأ الرسالة التي عجلت بك إليّ .

تأمل جبران الغلاف للحظات ، وأخرج الرسالة القصاصة ، وقرأها فتغير لون وجهه ، وقلب الغلاف عدة مرات، ثم أطال النظر بعيني رباح ثم قال : هل صدقت ما فيها ؟

ـ ولماذا أرسلت لي من تركيا ؟

قال جبران بانزعاج واضح : أنت تضعنا في خطر جسيم ..

قال رياح بحدة: هل الرسالة كاذبة ؟

صاح الآخر : طبعا كاذبة .. أنا أعرف أنك تشك فيّ منذ أول ساعات الحادث .. وأعرف أن رجالك طاردوني فترة من الزمن.. وأنا أعلم أنه ليس لديك دليل لاتهامي، وما عندك شكوك فقط .. وأنا لم أقتل ابن عمي لأتزوج امرأته؛ ربما بعد أيام ستسمع خبر طلاقها، فقد أمضينا شهرا في عراك وشجار ، وما هو بشهر عسل أو حتى بصل ، أنا أفكر بأن تمهلني بضعة أيام ؛ لأقول لك ما أعرفه عن مقتل سنار.. وأخشى ما أخشاه أن لا أعيشها وأنبهك أمام هذا الرجل الفاضل .. أنك إذا عرفت الحقيقة ستكون حياتك في خطر الموت والقتل .. لا تهز رأسك استخفافا ، هل أنت مصر على السماع ؟

قال رياح بصوت عاد له الهدوء : أنا الذي يهمني يا جبران أن أعرف القاتل لينال جزاءه .

أطفأ جبران السيجارة وقال بسخط : سأقول ما عندي الآن!! .. أخوك مجرم .

ـ مجرم ؟!

ـ نعم ، مجرم كبير في عالم الجريمة رغم حمله لشهادة هندسة .. لا تغضب مما تسمع .. أنا لم أقتل سنارا .. كان لي دور وسنار يعرف ذلك .

ـ سنار يعرف أنه سيقتل .. ماذا تقول ما هذا الكلام؟!

ـ سنار يعرف منذ حادث تركيا أن حياته أصبحت تحت المرمى .. ما زلنا على البر هل أتابع ؟

قال رباح بحمية : لا تخشى شيئا تكلم سيحميك الأمن.

ـ يحميني الأمن ! .. حسنا يا ابن العم سأكمل .. حادثة القتل التي حدثت في تركيا لم

تكن حدثا عرضا أو صدفة.. كان الرجل فعلا يقصد قتل سنار، وهو ينفذ أوامر ، ونحن نعرف من أصدر الأوامر ومن يصدر الأوامر .. فنحن لا نعرف الرؤوس الكبيرة .

ـ الرؤوس الكبيرة !

ـ إذن اسمعا الحكاية من البداية .. ونحن ندرس في جامعات تركيا عملنا مع حركات سرية ، ثم تبين لنا أننا نعمل مع عصابات دولية .. قل منظمة دولية .. وكنا قد تورطنا قبل المعرفة بنشاطهم بأننا نقلنا موادا مهربة إلى أوروبا .. فأصبحنا تحت رحمتهم فلا مجال للتراجع .. الضعف البشري .. إغراء الشهوات والإباحية .. سقطنا في براثنهم.. كنا ننقل صفقات تهريب ماس.. ذهب.. مخدرات .. نحن ننفذ تعليمات وخطط ترسم لنا .. ونقبض الأجرة .. وأي أجرة مال كثير يغري الشيطان نفسه.. ولما انهينا الدراسة وأنا أسبق سنار بسنتين ظللت هناك حتى تخرج سنار ، وعدنا وظللنا على اتصال بتلك العصابة.. رسموا لنا العمل الذي علينا أن نعمل به .. التجارة .. المحلات .. شركات استيراد وتصدير .. وكما يعلم الأهل أننا كنا نكثر التردد على تركيا أو قبرص واليونان وذلك بطلب منهم .. وهناك نستلم البضاعة حسب الإشارات والرموز التي تصلنا ، ثم نسافر بها إلى المكان المطلوب .. وكان من دهائهم ألا يدخل العميل لهم بضاعة لبلده الأصلي .. إنما يقوم بإدخالها رجال آخرون من جنسيات أخرى حتى لا يكون في ذلك خطر على الشخص منا وعلى رجل العصابة والعصابة .. مائدة الميسر الخضراء رهيبة تكسب مرة وتخسر عشر مرات .. السيد سنار كان مدمنا للقمار .. وخسر الكثير من ثروته التي كسبها من المخدرات والتهريب على تلك الموائد .. وهنا وقع في خطأ جسيم بالنسبة للعصابة .. لقد أصبح يأخذ من البضاعة جزءا يبيعه لنفسه وحسابه الخاص .. ومع تكرار الأمر عرفت العصابة النقص الذي يحدث في تلك الحقائب .. ولما وجه بذلك الاتهام .. هدد بالاعتراف للشرطة .. فهذا سبب الاعتداء عليه في الملهى التركي يا مقدم رباح .. وتصرفت أنا بسرعة وضربت يد القاتل فنجا سنار ، والرجل المعتدي معروف

للبوليس التركي والدولي وقضى نصف عمره في السجون .. كان الخطر يهدد سنارا وحده، ولكن بعد تدخلي أصبح الخطر يحيق بي أيضا .. وعدنا عن طريق الشرطة مباشرة من السجن إلى المطار .. وطبعا قبلنا عرض العصابة أن الحادث عرضي وساعة غضب وشجار وسكر ، وغلب على ظننّا أن الأمر انتهى وستصلح الأمور .. ورفضنا التعاون والسفر للخارج لتهريب الحقائب .. وهؤلاء لا يوجد عندهم إجازة وتقاعد .. فجاء بعضهم لمقابلتنا ودعوتنا للعمل من جديد ، وأنه سيضمن حياتنا ولكن هل لمجرم ضمان وعهد ؟!.. وبين لنا أننا نشكل عليهم خطرا بترك العمل .. فأدرك سنار أن هذا تهديد بتكرار جريمة القتل .. واللجوء للشرطة صعب .. فكل نشاطنا خارج المدينة والبلاد فماذا ستفعلون لنا ؟ العصابة في أوروبا وجزء منها في تركيا .. ونحن لنا علاقات بعدد محدود منهم .. في تركيا اليونان قبرص .. مالطة .. فكان اللجوء للبوليس نراه من غير جدوى .. فعلينا أن نعتمد على أنفسنا في حماية أشخاصنا .. وكثر ترددهم خلال الشهور التي سبقت قتل سنار وأصر سنار على الرفض واستقال من العمل معهم .. ولما يئسوا من استدراجه للعمل من جديد والخروج من البلد هددوه بالاغتيال ، فقال لهم وأنا أسمع :
"إذا خرجت من بلدي ستقتلونني .. افعلوا ما شئتم .. مللت منكم .. ومن أموالكم "
وكان الرجل بعد محاولة القتل قد خف لعبه للقمار .. لأن أكثر ممارساته كانت في تركيا وأوروبا .. طلبوا مني قتله للإبقاء على حياتي ، فرفضت هذه الفكرة وقلت "ابن عمي من لحمي ودمي" هم طبعا لا يعرفون هذه المعاني .. فتركونا وانصرفوا ونحن موقنون بأن حياتنا في مهب الريح .. حقيقة كان وضعنا مقلقا وصعبا نحن عملنا في مافيا منظمة وليس من السهل الاختفاء منها .. ونحن متورطون معهم للنخاع كما نقول .. قبل أن أتحدث عن ليلة الاغتيال .. عليّ أن أكشف لكم دورا آخر كنا نقوم به للعصابة هنا هذه المرة ، ولسنا وحدنا نقوم به .. ذكرت لكم أن مهمتنا الأساسية نقل المخدرات والمهربات خارج بلادنا .. وعلينا أن نبقى أمام القانون في بلدنا نظيفين والبعد عن الشبهات بكل

قوة .. ولكن كانت لنا مهمة أخرى وهي تأمين سيارات مسروقة لعصابات التهريب داخل البلاد .. وهذا أيضا مقابل عمولة تدفع لنا مقابل كل عملية .. نحن لا نعرف رجال العصابات الذين يعملون معهم .. ولا نهتم بذلك .. ولا نلتقي بهم .. ونعرف موقنين أن لهم رجالا يعملون هنا ، ولا علاقة لنا بهم ، ولا يهمنا معرفتهم .. وحتى بعد محاولة قتل سنار ظللنا نؤمن لهم السيارات المسروقة لأنهم يدفعون .. كانوا يرسلون لنا رسالة سرية لسرقة سيارة وإرسالها لمكان معين يعرفونه أكثر منا .. أما كيف نسرق السيارات ؟ فهذا يكون عن طريق ورشات التصليح وورشات غسل السيارات الكثيرة ؟

فقال رباح : تقليد المفاتيح ؟

ـ نعم ، عندنا مشغل لتقليد المفاتيح .. الذي يعمل فيه لا يعلم أنه يقلد مفاتيح لسرقة السيارات .. هو يقلدها لسيارات شركاتنا ومحلاتنا .. عندما يطلب منا تأمين سيارة جيدة لمكان ما .. أذهب أنا وأحيانا سنارا خاصة في أيامنا الأولى قبل أن نستعين ببعض الأفراد الذين يعملون معنا .. أذهب لمحطة كبيرة لتصليح لغسل لصيانة.. وأثناء وجودي في المكان في انتظار دوري .. أشاهد سيارة تصلح للعملية .. وخاصة أن بعض الزبائن يتركون المفاتيح للعمال ليحركوا السيارة .. وبواسطة معجونة خاصة أطبع عليها مفتاح السيارة ومفتاح الباب.. ومرات نشعر هؤلاء الصبيان بأننا معجبون بالسيارة فيسمحون لنا بالجلوس فيها مقابل دينار أو علبة سجائر .. ونذهب بالمعجونة إلى صانع مفاتيح مشهور ويتردد عليه الناس لصنع مفاتيح بيوتهم وخزائنهم المفقودة .. ثم كونّا مشغلا كما حدثت آنفا ، وكنا نعرف بطريقة خاصة من العمال في مكان التصليح أو التنظيف عنوان صاحب السيارة أو شركته أو مكتبه .. وعندما يقترب موعد نقل السيارة نتلقى اتصالا دوليا يطلب منا وضع السيارة في يوم كذا ووقت كذا.. فنتنكر وننفذ السرقة للسيارة المطلوبة وننقلها للمكان المطلوب ونترك المفاتيح تحت عجلها الخلفي ..ونعود بسيارة أحدنا الذي كان يتابع العملية بسيارته عن بعد .. واعلموا أيها الضباط أننا عادة نملك

عددا من المفاتيح المقلدة لعدة سيارات.. لأننا عندما نذهب لسرقة سيارة قد لا نجدها في مكانها فسنذهب لغيرها .. وبعد زمن وجدنا رجالا يقومون لنا بهذه المهمة .. وهم تحت السيطرة بالمال والإغراق بالشهوات .. وهم لا يعرفون ماذا نفعل بالسيارات المسروقة ؟ ولكنهم يعلمون أننا نفعل بها شيئا مخالفا للقانون .. بل لنا أكثر من ورشة تصليح يديرها رجال يعملون معنا ولكنهم لا يعرفون بهذه اللعبة .. هم أدوات فقط .. فهذا الشرح لابد منه .. لأن هذا ظللنا نمارسه للعصابة حتى بعد حادث تركيا .. كنا نقبض على كل سيارة تسرق لتنفيذ مهمة عشرة آلاف دولار .. ثم تعود السيارة لصاحبها .. لا تحول إلى خردة تسرق لمهمة .. نحن نعرف أنها نقل مخدرات .. طبعا بصمات آثار لا يجب أن نترك في السيارة المسروقة ، ولا نعرف من سيأتي لقيادتها .. ولا يهمنا ماذا سيجري بالسيارة ؟ هل أمسكت الشرطة بالسيارة قبل العصابة ؟ أو بعدها ؟.. المهم نفذنا السرقة للسيارة ونقلت للمكان المطلوب .. وكذلك عمليتنا في خارج البلاد.. إذا احتجنا لنقل البضاعة بسيارة .. نذهب في وقت معين ويوم معين إلى مكان معين .. فنأخذ المفتاح من تحت العجل الخلفي الأيمن أو الأيسر .. ونمشي بالسيارة لمكان معين فنقابل ناسا لديهم مفاتيح التفاهم من شيفرات متفق عليها فيأخذون البضاعة بسيارتهم أو نفس السيارة التي نقلنا فيها البضاعة ، ويتركوننا في أقرب مكان للمواصلات والنقل .. ويختفون.. نحن قبلنا بالاستمرار بالعمل معهم في تأمين السيارات المسروقة على أمل المحافظة على حياتنا بعدم قطع كل العلاقات معهم .. قبل الجريمة طلب منا سرقة سيارة خاصة بامرأة متزوجة .. وإن كان هذا غريبا .. لكنهم يطلبون أحيانا سيارة صاحبها رجل أو صاحبها امرأة .. لماذا ؟ لا نعرف السبب .. سرقنا سيارة الموظفة في مدرسة خاصة ومتزوجة .. والذي نفذ سرقة السيارة أنا وسنار هذه المرة .. ذهبت أنا وإياه بسيارتي .. وذلك يكون عادة بعد نصف الليل حيث تخف حركة السيارات في الشوارع .. أوقفنا السيارة قريبا من بيت السيدة .. أتظاهر بأن عطلا وخللا حدث في سيارتي أفتح غطاء الماتور وأطفئ

الإنارة .. موهما الرائي والمار والدورية بعطل في السيارة والكهرباء.. وعادة نسعى لسرقة السيارات التي تكون خارج البيت تقف أمام البيت .. ونحن نعرف مكان السيارة التي ننوي سرقتها إما من عمال الورشة وإما بعد خروج السيارة من التصليح أو الغسيل فنتابعها عن بعد ، ثم نعود مرة أخرى لنتأكد من عنوان وسكن صاحب السيارة.. العملية مدروسة ومنظمة .. والمبلغ مغر هو ثمن سيارة جديدة .. ولكننا سرقنا سيارات من داخل الفلل.. وأفضل وقت لسرقتنا عند الثانية فجرا .. وكانت سيارة السيدة التي وقع عليها الاختيار تقف خارج البيت .. فسهل الأمر علينا.. ونحن نضع لوحة أرقام مزورة ليلة السرقة خشية اعتراض دورية أو حدوث خطأ ما .. اقترب سنار من السيارة ودخلها خلال ثوان ، وبعد دقيقة اشتغل الماتور وانطلق بها حيث الهدف ، ثم أغلقت باب ماتور سيارتي ولحقت به إلى المكان المعروف لنا.. وكان ليلتها في شارع حاتم الطائي في حي جمار النخل.. وركنا السيارة على طرف الشارع.. وتركنا شباك السائق مفتوحا ، ووضعنا المفاتيح أسفل العجل الخلفي .. وانتقل سنار إلى سيارتي ومشينا إلى أحد البارات وقضينا فيه ساعة من الزمان ، ثم أوصلته لبيته.. وفي الصباح بلغ أن المهمة تمت وفي ظهر اليوم وصل المبلغ على أحد البنوك ، وحول لحسابي نصفه .. أما من اغتال سنار فهذا لا أعرفه .. فهذه مشاركتي في جريمة الاغتيال ؛ لأنني عرفت أن السيارة التي سعينا لسرقتها نفذت بها الجريمة

ـ من أين عرفت ؟

ـ منهم .. اتصل أحدهم بي .. وأخبرني قائلا بأن سيارتكم شاركت في عملية القضاء على سنار.. السائق لسيارة الجريمة والقاتل هل هم من هنا أم من الخارج ؟ لا أدري يا سيدي والراجح لديّ أنهما من الخارج خاصة القاتل .. أما السائق ربما يكون من الداخل .. وبالتأكيد أن لهم مناصرين ومساعدين من البلد لتسهيل عملية الهرب والاختفاء.. وأنا مستعد لأي سؤال واستفسار .. وكشفت لكم أوراقي قبل موتي واغتيالي.. هكذا قانون

هذه المنظمات الرهيبة.. واعلموا أنه ليس بيني وبين السيدة ريها أي علاقة خاصة لا عشق ولا غيره .. وهي امرأة سيئة بالمجمل ، ولا أدري كيف كان يعيش معها سنار ؟! ولكن كان زواجه لعلاقة بينه وبين أبيها أمير.

فقال حيدر الصامت : وهل لأبيها علاقة بالمنظمة الإجرامية ؟

ـ لا أعتقد .. فهو رفيقنا في رحلات تركيا .. لما نشطت تجارتنا بالاستيراد من تركيا لتغطية أعمالنا السرية وسفراتنا الكثيرة عرفناه فهو تاجر ورجل أعمال مثلنا .. وله أفعال مثلنا من الحفلات والنوادي فصار صديقا لنا .. وأنا مرة أخرى وأخرى أطلب منكم ترك القضية .. حتى لو بحثتم أكثر وأكثر.. فهؤلاء الرؤساء والزعماء خارج البلاد.. فإذا كان القاتل أتى من تركيا أو أثينا فكيف تعرفونه ؟ وكيف تقبضون عليه؟ لا يعرف إلا إذا صاح هو نفسه معترفا أمام العالم " أنا قتلت الرجل أمام فندق عصفور" وهذا لا يحدث حتى لو قبض عليه البوليس المحلي والدولي .. وربما هي المرة الأولى والأخيرة التي رأى بها ضحيته هو مأجور.. صدقوا أني خائف عليكم .. فالذي يتورط مع هؤلاء الناس عليه أن يعيش فقط .. عليه أن يذوب .. يلتهي بالملاهي والنساء والخمر والسفر وينفذ الأوامر كالأرنب .

فقال حيدر : إنهم يسيطرون عليكم سيطرة تامة .

ـ لا رحمة لديهم فهم يبيعون السموم .. فكما يعطونك الأموال بسخاء فلهم قدرة على سلبها وتدميرك .. فهم يحرقون البيت على صاحبه .. وأحيانا نسمع عن صراعات بين الزعامات وهي صراعات شرسة مرعبة دامية .

فقال رباح : الشكر لك يا جبران على كل هذه المعلومات الخطيرة جدا ، وأرجو أن تتعاون معنا لإنقاذك من الرعب المتلبس بك .. والقضاء على كل أعوانهم وأيديهم هنا .. تعاون معنا .

ـ كيف أتعاون معكم ؟!

ابتسم رباح وقال : عندما يطلب منك تأمين سيارة أخبرنا بالأمر .. ونسق معنا للقبض على الذين يستلمون السيارة بعد أن تترك في المكان المعين .. وستبدو أمامهم أنك بريء .. فكما خدمت للشر وأخلصت له .. تعاون لإنقاذ الناس والشباب المندفع والمتحمس لتجربة المخدرات .. ننقذ الذين يتعاطون هذه السموم

قال العميد حيدر : اسمع يا جبران .. أنت أثبتت لنا أنك شجاع .. وعندك مرارة منهم وبعد مقتل ابن عمك يلزمك أن تتخلى عنهم كليا .

فتنهد جبران وقال : لي أكثر من عشرين سنة .. قل ربع قرن وأنا أعمل معهم .. وهل تعتقد أنني أنا وسنار كن نعمل معهم فقط ؟! لابد أن لهم أعوانا غيرنا يا سيدي .. ولا تعرف أي مجموعة غير نفسها .. نظامهم مثل شبكات التجسس .. فربما تتكون المجموعة من شخصين مثلي ومثل سنار .. وربما أكثر.. وأنا منذ مقتل ابن عمي لم أكلف بسرقة سيارة واحدة .. والعمليات الخارجية تركناها منذ حادث تركيا الذي تخبرونه .. ومرة مكثنا عامين بدون عملية في الداخل ولا في الخارج .. وهذه الرسالة التي قرأتها في بداية اللقاء تذهب إلى أنهم يريدون التخلص مني ، ولا غاية منها إلا أنني انتهيت .. أنا مستعد للتعاون معكم لأقصى حد بعد هذا الاعتراف وبعد هذه الرسالة .

قال رباح : سأضع بعض رجالنا حولك لحمايتك وسأرتب لهم كمينا .. أعترف أننا لا نستطيع محاربتهم في دولهم .. هذا يحتاج لجهد دولي وتعاون دولي مع منظمة الإنتربول الدولي .. ولكننا نستطيع حماية بلدنا من هذه السموم البيضاء .. وعليك أن تجاهد معنا وتبدأ حياة إيجابية .. صحيح أننا لا نستطيع إدانتك لأنه لم يثبت عليك سرقة سيارات أو إدخال مخدرات .. فأعتقد يا ابن عمي عليك أن تتعاون معنا من أجل دم ابن عمك فقد أصبح دمه هدر جزاء تورطه بهذه الأعمال المشينة وخيانة بلده وأهله .. وأنت أعطاك الله فرصة للتوبة والأوبة.

فأكد العميد حيدر كلام رباح فقال : معه حق المقدم رباح .. نحن قدر لنا أن نهتم

بالموضوع لوقاية البلد من الشر القاتل .. المخدرات تفتك بالشباب والناس ..

قال جبران : أنا هنا لا شيء عندي منها ..أنا لا أتعاطى المخدر .. قد تعاطيتها فترة في تركيا لم أدمن عليها بحق .. فأنا مدمن خمر .. مرضت من المخدرات فتركتها فورا .. ولما كررت التجربة عدت للمستشفى مرة أخرى .. وسنار لم يعشقها كذلك .. أكرر أنا مستعد للتعاون لأنني تعبت من المغامرات .. أحلم بالاستقرار .. وأرجو أن لا يكونوا قد علموا بهذا اللقاء .

ضحك الضابطان من خوف جبران وقال حيدر : لا تخشى شيئا.. العصابات تحب أن تهول عملها ومعرفتها بنشاط أفرادها.. الصدفة التي تخدمهم في كثير من الأحيان .. وثرثرة الأعضاء لكثرة شربهم للخمر وحالة السكر ..والآن من باب الفضول لا أكثر سمعتك تقول " إنك ستطلق زوجتك التي تزوجتها من شهر لماذا ؟!"

ضحك جبران ضحكة مقتضبة وقال : لا تصلح أن تكون امرأة بيت أو ربما أنا لا أصلح ! لسانها سليط بمعنى الكلمة .. تسكر بغير عقل .. لا تحترم الزوج .. كأنه ابن شارع .. تحب السهر مع الرجال دون معرفة سابقة بهم.. مجرد أن تلتقي برجل يبتسم لها حتى يصبح صديقا ؛ كأنها تعرفه قبل أن يولد ..

ـ وهل كانت تفعل ذلك مع سنار ؟

ـ تزعم أكثر من ذلك ؛ بأنه كان يسمح لها بالسفر والرحلات مع الرجال للخارج .

قال رباح : حقيقة يا سيادة العميد كانت علاقتنا بسنار علاقة ضعيفة ، لم يكن اجتماعيا معنا، كانت زيارته لبيت العائلة قصيرة بضع دقائق ، وزوجته كانت تناصبنا العداء بسبب عدم قبولها بيننا عند بداية الزواج .. وعملي الدائم لم يكن يسمح لي بفتح علاقات مفتوحة مع الأخوة .. على كل حال لا تتعجل في أمر الفراق والطلاق حتى ننتهي من هذه العصابة .

تجارة المخدرات

اجتمع رباح بمدير مكافحة المخدرات وشرح له موضوع جبران وعصابات المخدرات ، فقال العقيد موسى طبلة : فعلا نحن لا نستطيع إثبات جريمة المخدرات عليه ما لم يقبض عليه متلبسا أو يعترف بمحضر رسمي .. وما دام يعمل في نقلها في الخارج لا نستطيع القبض عليه إلا بطلب من الإنتربول البوليس الدولي أو دولة بيننا وبينهم اتفاقية تبادل المجرمين .. فالرجل نشاطه في الخارج .. وأما سرقة السيارات قد يعاقب عليها هنا .. ولكن ما دامت السيارة المسروقة لم تدمر.. فستكون عقوبتها بسيطة ربما إزعاج الأمن.. فالجريمة يجب أن تثبت على الجاني بالقبض عليه متلبسا أو معترفا بها بكامل قواه العقلية لكن من استجواب الشخص وبناء على الاستجواب تقدم الأوراق للمدعي العام .. وقاضي التحقيق المدني .. لو طلبت السلطات التركية القبض عليه لاعترافات فربما يجري التحقيق معه .. فالسرقة يجب أن تثبت بالتلبس بالجريمة .. أحكام سرقة السيارات أحكام مخففة إلا في بعض الدول .

ـ ابن عمي لا يعرف الذين يهربون المخدرات .. هو يقدم لهم دعما بسرقة السيارة التي ستنفذ بها العملية يا سيدي.. يسرق لهم السيارة حسب الطريقة التي شرحتها لك.. وهو لا يدري ماذا يفعل بالسيارة ؟ والذين ينفذون العملية لا يعرفون من قدم لهم السيارة حتى لو قبضنا عليهم فهم لا يعرفون السارق الحقيقي سيتهمون بسرقة السيارة واستخدامها في التهريب .. فجبران قاس على ما يفعلونه في أوروبا ونشاطهم في تلك الدول .. هو له معارف ببعض رجال العصابة المنظمة في تركيا.. يجلس معهم يتعامل معهم .. ويقضي جل وقته في الحانات والخمارات .. وهؤلاء أعضاء في منظمة كبيرة .. من يديرها ؟ من يخطط لهم؟ لا يعرفون .. وأكيد هؤلاء أناس عريقون في الإجرام .. وأصحاب عقول كبيرة في الإجرام ما دام يخططون على مستوى دول .. فالعضو الناقل ولو قضى مليون سنة معهم لا يعرف أسرارهم .

قال العقيد موسى: هو لو حاول أن يعرف لسحق منذ زمن .. وأولئك يعرفون كيف ينتقون أعضاء الجمعية ؟ .. لو قبض على أحدهم وكثيرا ما يمسكون فلا تجد لديهم معلومات مهمة .. ولما يدخل الممسوك السجن لا أحد يهتم به .. لا العصابة ولا الشرطة لأنهم يعرفون أنه لا يعرف شيئا مهما يوقع الرؤوس الكبيرة .. الكبار يقعون يا سيدي المقدم بصراع وتنازع بينهم على الزعامة الكبرى أو على مناطق النفوذ مثل الحيوانات المفترسة.. أو بأخطاء قاتلة أو وشاية من زعيم آخر يريد الانتهاء منهم .. وأما السجين الذي عمل معهم فبعد خروجه إما يقتلونه أو يهملونه كثوب بال .. فهو معروف ومكشوف للبوليس لا فائدة منه أصبح ورقة محروقة كما يقولون .. ونحن سنحاول الاستفادة من قريبك للوصول لأعضاء الشبكة هنا .. والمخدرات تدخل البلد من أكثر من عصابة أو مجموعة.. والعصابات تبحث عن أسواق في كل البلدان .. وتروج بتنافس كبير بين تلك العصابات .. والشباب الفارغ يقبل عليها بغير وعي وإدراك لمخاطرها .. كيف وبس .. والقبض على المروجين والتجار قائم على قدم وساق.. لكن الرؤوس الكبيرة لم ننل منها يوما ما .. لأن أكثرها خارج القطر.. لا يخلو أسبوع من القبض على مجموعة ومجموعات ، وأكثر المقبوض عليهم من المغلفين .. منذ استلمت الدائرة قبل ثلاث سنوات لم أقبض على رأس كبير محلي .. رغم بأس رجالنا .. يذهب الشاب في نزهة خارج البلاد يعود محشوا بالمخدرات .. يذهب للدراسة للخارج يعود محشوا بالمخدرات ومتعاطيا .. سائق شاحنة يخرج مرتين ثلاث في الرابعة يعود محملا بهذه السموم .. وبعضهم يحملها دون علمه إلا بأنها بضاعة خاصة عليه توصيلها لشخص مقابل عشرة دنانير خمسين دينار .. فيحس أنها شيء تافه .. ولمن ستوصلها ؟ يقول شخص سيتصل به على شركته أو بيته إذا ترك هاتف البيت لديهم .. فعندما يتصلون به في البيت تبدأ إجراءات استلام البضاعة المجهولة بعد أن تأكدوا من فلتانه من الجمرك والمكافحة .. ويأخذون بإجراءات الاطمئنان حتى لا يكون متواطئا مع الشرطة .. وسيستدرجونه

بالكلام والمواعيد للاطمئنان قبل استلام البضاعة والحاجة .. أحيانا ننتظر شهرا ، ومرات سنينا ، ولا يحضر أحد لأخذها فتكون النتيجة إما الرجل كاذب، وإما صادق ، ونسي العملاء تلك الكمية المصادرة لسلامتهم ، فيسجن الرجل بتهمة إدخال المخدرات .. وأحيانا تكتشف أن رجال الحدود يعملون أو يعمل بعضهم معهم .. المال الكثير مغر للقلوب الضعيفة ، وهؤلاء يدفعون بسخاء تعجب له .. علينا أن نقوم بواجبنا قدر الإمكان والاستطاعة .. وما دام السيد جبران يجهل هذه العصابات لا نستفيد منه .. ولكن إذا كلف بسرقة سيارة فليكن تحت إشرافنا ونظرنا .

ـ هذا حدثته عنه .. وذكر أنه منذ مقتل سنار لم يكلف بشيء من قبلهم .. ولكنه ذكر أنهم ربما يهملونه لفترة .. فقد قضى عامين بدون مهمة داخلية ولا خارجية .. وأنا متأكد أننا لن نصل لقاتل أخي الحقيقي العقل المدبر ، قد نقبض على اليد التي نفذت الجريمة إذا كان من سكان المدينة .

ـ أنا مستعد لكل تعاون أيها الزميل العزيز .. فكلنا في خدمة الشعب والعدالة والمجتمع ، وكلنا نقوم بواجبنا بأقصى طاقة ..لا تهاون في محاربة الجريمة مهما تغيرت أشكالها وصورها.. نحارب تاجر المخدرات .. التاجر الكبير والتاجر الصغير .. نحارب المروجين سواء مقابل المخدرات أم مقابل عمولة .. ونحارب النقلة لها ونطاردهم ونقدمهم للعدالة .. الإجرام في سوق المخدرات معقد ومنتشر لأنها تجارة .. فدول تتاجر بالمخدرات .. دول معترف بها في الأمم المتحدة تبيع المخدرات وتشجع على زراعتها .. لأنهم يزعمون أنهم يزرعونها لأغراض طبية وصناعات دوائية ، فيذهب بعضها للطب والبعض الآخر لتجارة المخدرات .. وبعض السياسيين يصلون لمناصب عليا بأموال المخدرات والتهريب .. نحن قانوننا يجرم التجارة فيها.. فالبائع يعاقب والمشتري يعاقب.. فعلينا حماية بلدنا.

ـ هذا لا شك فيه يا سيادة العقيد .. قضية المخدرات قضية معقدة ومتشعبة .. فأوضاع

الناس المالية والفقر تشجع الكثير منهم للتعاون مع هذه العصابات .. الثراء السريع .. التغول في الشهوات والملذات.. فيقبلون بالتهريب لها والترويج لها وحتى التعاطي لها .. أشكرك يا سيدي على رغبتك في التعاون معي .. سأفكر بهذه القضية بشكل واسع .. وكما قلت وقال غيرك الوصول لشخص أو اثنين لا ينهي القضية ، وما هو بحل جذري نحن نتعاون مع دول العالم ؛ ولكننا نحتاج لتعاون حقيقي صادق.. فأمريكا نفسها عاجزة عن القضاء على عصابات المخدرات والإجرام ، ولديها التكنولوجيا والقوة .. فلنحمِ بلدنا ونشكر ربنا .. والتوعية خير سلاح لحماية الشباب وإنقاذهم من التورط في مشكلات المخدرات .. لكن حسب الإحصائيات التي أطلع عليها زادت نسبتهم .

ـ الشباب يحبون التجربة للأسف .. لا يتعظ السوي بالمدمن، يحب أن يجرب فيقع.. قد يصبح لصا لتأمين ثمنها.. يسرق أمه أباه جاره .. بعضهم قتل للحصول على المال ليشتري به المخدر اللعين .. وللأسف أنها تروج في الجامعات والمعاهد عند رجال الدولة في المستقبل .. الاستهتار في الصحة عجيب لدى بعض الشباب من الجنسين .. الضمير يضعف .. الدين يضعف .. الأخلاق تضعف .. وسائل الإغراء كثيرة ومتنوعة .. كلما بعد الناس عن الدين والأخلاق أصبح صيدهم وتوريطهم أسهل.. الكثير منهم يرى أن أسرع وسيلة لتصير مليونا كما يروج تجارة المخدرات .. صفقات المخدرات .. أحلام كبيرة وعقول صغيرة .. الأخلاق الفاضلة هي التي تقلل الجريمة وهذه التجارات .. التقليد الأعمى عدو للشباب .. الأفلام الرديئة تنشر الأحلام المريضة والخيالية ، دمر الناس لتصير مليونيرا ، أفلام تشجع على المخدرات .



مفاجأة

جاءت رسالة لجبران وكان مضمونها " فندق سبأ يوم الأحد ١٤ آب الساعة العاشرة ليلا القاعة الماسية "

هذه أول مرة تأتيه رسالة فيها طلب إلى لقاء شخص داخل البلد .. كانت العادة أن يطلب منهم سرقة سيارة ، ووضعها في مكان معين في تاريخ معين.. وينتهي العمل عند هذا الحد .. ولكنه بعد أن تحدث مع رباح في الموضوع قال معللا ذلك : يظهر أنهم وجدوا لي شريكا للتعاون معي في سرقة السيارات.. وهذا الفندق أول مرة يطلب مني الذهاب إليه .

ـ نحن سنكون معك في الفندق .. وإذا أحسسنا بخطر عليك سنتصرف .. اطمئن يا جبران ورجالنا حولك .. نحن بشوق لاصطياد بعض هذه العصابة المعقدة التنظيم .. فكأنهم لما أدركوا عدم اكتراثنا باتهامهم .. بقتلك لسنار اعتقدوا أننا أهملنا القضية .. هل ترى خطرا عليك بالاغتيال؟

ضحك جبران للسؤال وأجاب: الخوف منهم متواصل يا سيدي .. الإنسان لما يشتغل مع أشباح سيبقى الخوف ملازمه ، ولكن الخمر تذهب هذا الخوف .. وسأذهب إلى الموعد ، وأتعرف على شريكي الجديد البديل .. وأنا كما وعدتكم سأتعاون معكم لأقصى درجة .

قبل الموعد المبين في الرسالة القادمة من تركيا لجبران بحوالي ثلاث ساعات ، وبينما هو يجلس في مكتبه في إحدى الشركات جاءه تلفون ، ولما تأكد للمتصل أن الصوت لجبران قال "اذهب إلى فندق الزهرة في مدينة (بلون) نفس الوقت" وانقطع الاتصال .

اكفهر وجه جبران ووضع السماعة مذهولا وبتخاذل وحيرة ، ولاحظ أن الموظفين ينظرون إليه بقلق فتمالك نفسه وقال : تلفون مزعج .. يبدو أن النمرة غلط .

وبعد نصف ساعة غادر المكتب قائلا : إني ذاهب يا أحمد للبيت .

وكان يقول لنفسه " هل عرفوا أن الشرطة على علم أم احتياطات أمنية ؟ .. إنه مجرد

تعارف .. شخص بدل لسنار .

وقفت السيارة أمام عمارة ممتلئة بالمكاتب التجارية ، ومن إحدى المكاتب اتصل برباح ، وأعلمه بالتطور الجديد ، وبعد دقائق ترك المكتب بعد أن شكر صاحبه معلما له أنه اتصل بمكتبه ، دخل البيت وغير ملابسه، وأخبر ريما بأنه قد يتأخر الليلة، فاستأذنته بالذهاب لبيت والدتها للمبيت عندها فأذن لها وقال : لو تقضين أسبوعا آخر عندها .

فردت عليه ساخرة : أنا أعرف كرهك لي ، وأنك نادم للزواج مني ، ولماذا لا تطلقني وتخلص مني ؟!

ـ سوف أفعل.. أنت تظنين أنني تزوجتك من أجل المال الذي ورثتيه عن سنار .. لا أعتقد أنك آخر أنثى في حياة جبران ..

ضحكت ضحكة ساخرة وقالت باستهزاء : أنا طبعا موقن من ذلك .. ولليوم أفكر لماذا قبلتك زوجا ؟!

ـ أبوك الذي أقنعك بي.. كما أقنعني بك .. تظاهر بخوفه وشفقته على ابن سنار .. أبوك مجرم في حقنا .

فصاحت في وجهه: أنت المجرم .. أبي أشرف منك .

ـ آ .. فعلا أبوك شريف .. على كل مع السلامة يا بنت الشريف .

ـ على كل حال سأخبرك بشيء أغيظك به .. ربما أطلقك أنا هذه المرة .

قهقهة جبران وقال : أنت ؟! وتتنازلين عن الخمسين ألف المؤخر !

ـ اضحك صرخ .. أنا أعرف أن هذه المبلغ المؤخر هو الذي أخر طلاقي .. قد نتفق على هذه القضية ، وأعمل لك تخفيضا وخصما .

ـ أفكار عجيبة ، أنا كنت سكرانا لما وافقت على هذا المؤخر .. سخر أبوك مني .. غدا تستفيد من الربع مليون التي ورثتها عن سنار .. كنت أحمق .

ـ كنت طماعا جشعا حقيرا.

ـ طماع ! أكيد أنا طماع .. آ .. كيف ستطلقينني يا كيلو بترا ؟

ـ هناك زوج خير منك .

ـ زوج !! عجيب أمر النساء !

ـ ألست تحقد عليّ وتكرهني وتكره الأرض التي أمشي عليها ؟.. وتقضي لياليك مع بنات الهوى والملاهي .. فأنا أكرهك وسأطلقك .

فقال باسما وغير مصدق : سأحتفل احتفالا كبيرا يوم طلاقنا، وسأدعوك لهذه الحفلة .. على كل أنا مستعجل في مشواري فيما بعد سنعرف هذا العشيق .

صرخت بغضب : العشيق !! وهل تظن لو أن لي عشيقا سأخاف منك يا عجوز .. مع السلامة اغرب عن وجهي .. ستجدني مع أمي ارتب أمر الطلاق يا شريف يا عفيف !

انطلق جبران بالسيارة نحو فندق الزهرة في المدينة المذكورة في هاتف العصابة .. وما زال الحوار الذي دار بينه وبين زوجته يتردد في جوانحه ووصولها إلى زوج وهي على ذمته ، وكان في قرارة نفسه يود ذلك ؛ لكنّ المؤجل الذي وافق عليه عند الزواج هو الذي يؤخره.. وهو قادر على دفعه ، وإنما يرى أنها لا تستحقه ، ولا تستحق فلسا منه .. وظلت الأفكار حول الانفصال تراوده حتى وصل فندق الزهرة .. فسأل عن القاعة الماسية.. وصعد إليها عن طريق المصعد ، وجلس على مائدة يراقب الجالسين ، وقبل الوقت المحدد للقاء رأى والد زوجته أميرا يتقدم نحوه .. فانزعج لظهوره في هذا الوقت ، ودهش أيضا لوجوده وخشي من فشل اللقاء.. فتصافح الرجلان وعادا للجلوس، فقال جبران بقلق ظاهر عليه: ما الذي أتى بك وإلى هنا الليلة ؟! فقد أرسلت البنت إليكم هذا المساء .

ـ طلقتها ؟!

ـ لا ، هي التي تريد تطليقي .. وجدت زوجا خيرا مني .

ـ ماذا تقول ؟!

ـ هذا ما سمعته قبل مجيء إلى هنا .. لم تجب عن سؤالي .. ما الذي رماك هنا الليلة ؟!

تبسم أمير وقال : الذي أتى بك .

صعق جبران وقال بصيحة منخفضة : أنت معهم !!

ـ ما لك دهشت ؟.. أتجهل أني معكم ؟! .. ألم يخبرك سنار بأني معكم ؟

وضع جبران يده على فكه وحملق بأمير وقال : سنار! .. أقسم لك أني لا أعرف .. أعرف أنك رجل أعمال وتاجر كبير يستورد من تركيا وأوروبا .. وهل أنت الرجل الذي أرسلوني للتعرف عليه ؟ .. هذا أنا مغفل !

ـ نعم ، أنا جاءني أمر بالتعرف عليك واللقاء بك هنا.. وأنا أعلم أنك عضو في تلك الجمعية .. وأنا حقيقة استغربت لما طلب مني ذلك .. يبدو أن سنارا هو من نفسه أخبرني أنك عضو في جمعيتنا السرية .. كنت أظنه أخبرك بأمري .. كما أخبرني بعضويتك .

صفن جبران للحظات ثم قال : منذ متى وأنت معهم ؟

ـ منذ تعرفت على سنار.

ـ لك زمن طويل معهم .

ـ بعد تعرفي على المهندس سنار ومرافقته في عدة رحلات عرض عليّ العمل بالتهريب .. فقبلت ، فالمال كثير.. ونحن تجار ابتداء .. ووفقنا في العمل معهم.

قال جبران: تلقيت رسالة لألتقي بك وأنا طبعا لا أعرف أنك الرجل المطلوب التعرف عليه .. في فندق سبأ ، وقبل ساعات جاءني اتصال للالتقاء بك هنا .

ـ لأقوم معك بسرقة السيارات .. فقد شاركت سنارا بعض العمليات ، أنا كنت أظن أنك تعرف أنني أعمل معكم .. ويبدو لي أنهم لا يعرفون أننا نعرف بعضنا البعض .. اتصلوا بي للذهاب إلى هذا الفندق واللقاء بك الساعة العاشرة ليلا .. حسب الإشارات الخاصة ..

ـ أنا مذهول أيها السيد .. هل ترى أن سنارا تعاون مع غيرنا ؟

ـ ما دام أنك شريكه القديم ولم يكشف لك أمري .. فربما له رجال آخرون يعملون معه .

ـ مفاجأة كبيرة بالنسبة لي !..ابنتك تعرف شيئا ؟

ـ لا ، لا تعرف عملي بهذه المنظمة السرية .. ولا زوجتي .

ـ هل من مهمة غير التعرف ؟

ـ نعم ، طلبوا تأمين سيارة مسروقة .

وأخرج ورقة مرسوما عليها عنوانا قربها لجبران ، فلما أطلع عليها جبران أسرع أمير بتمزيقها ، وقال جبران : لم يبق لتسليمها سوى أيام ثلاثة .. أعندك مفاتيح جاهزة ؟

ـ طبعا يا سيدي .. اشتغلت مع سنار .. عدة مرات .

ـ أتعرف شيئا عن مقتل سنار ؟

ـ لا ، صدق هذا .. فوجئت مثلك ؛ ولكنه حدثني عن الخطر المحدق به .. وكان يتوقع أن يقتل .

ـ هل تعلم أن البوليس يشك بي وأنني أنا القاتل ؟ .. وحدثه عن رسالة العصابة وشك ابن عمه الضابط في الشرطة به .

فقال أمير : وهل أنت قاتل لسنار ؟

ـ طبعا لا ، ولا لريما يد حسب معرفتي .. وهل كنت أعشقها وهي زوجة لسنار ؟ .. هذا كذب .. وأنت الذي رغبني بالزواج منها .. من أجل ابن سنار .. أن أكون له أبا .. أنا اليوم مثل سنار قبل أن يقتل .. الوضع خطير ..

ـ ومزعج .. أنت فعلا تفاجأت من لقائي بك .

ـ كان سنار كتوما معي نحوك .. لم أتصور أنك عضو معهم ..

ـ هم يعرفون أنك لا تعرف أني في المنظمة .. لذلك رتبوا لنا هذا اللقاء .. لما تعرفت على ابن عمك من خلال التجارة والفنادق .. عرفني سنار على رجل منهم في تركيا .. وبعد حين ضمني الرجل للمنظمة .. فهمت أن ذلك كان عن توصية من سنار .. ولما تعمقت

العلاقة الخاصة بيني وبين سنار.. وعلم أن لي بنتا طلبها للزواج لتقوية أواصر العلاقة بيننا .. ثم عرفني عن نشاطه في تأمين سيارات لتهريب ونقل المخدرات في البلد .. وأخذت في مشاركته في تلك العمليات .. مقابل الدولارات في كل سرقة سيارة .. مع أن المبلغ تستطيع العصابة شراء سيارة به .

ـ السرقة أسلم لهم .. السيارة تحتاج لتسجيل أو نقل ملكية يا فهيم .. وأنا جاهز للتعاون والعمل معك يا سيد أمير .. ماذا في هذه القاعة الليلة من سهرات ؟

ـ بعد نصف الليل ستكون حفلة غنائية لمدة ساعتين للمطرب جاجو.. من جاجو ؟ لست أدري .

ـ جيد ! هل ننزل للمطعم لنأكل ونشرب قبل بداية السهرة ؟

ـ مسموح أن تأكل هنا.. ، ولكني حجزت مائدة شهية أسفل هيا أبا نسب .

النهاية

تفاجأ رباح بما سمع من جبران وقال : زوجتك كانت في البيت عندما كشفت أمرك لنا ؟

ـ من حسن الحظ أنها كانت في بيت أمها.. أمها لها فترة مريضة تشفى وتمرض .. فمنذ عدنا من شهر العسل وهي تقضي نهارها عند أمها .. والخادمة في البيت أجنبية لا تفهم من العربية إلا القليل .. أنا لما عرفت أن أميرا هو الرجل الآخر وقع قلبي تحت رجلي من الرعب .. هي عينه عليّ حقيقة .. وربما كانت على سنار كذلك .. هو زعم لي أن سنارا هو الذي رغب بها زوجة .. بدأ لي اليوم سنار غامضا جدا .. ولكن لو سمعت شيئا لاستفادت منه .. أنا كما اتفقت معكم سأنفذ السرقة كما هو معتاد ..

ـ ستذهبان للمكان المعطى لكم .. ونحن بعد نقلها للمكان المطلوب سنضع عليها جهاز تعقب صغير .. أمير هو الذي سيقوم بعملية السرقة ، وأنت ستلحق به لتعود به لبيته .. أنت لا تعرف السيارة المسروقة الآن .

ـ هو الذي قلد المفاتيح ، وهو الذي سيسرقها ، وأنا سأقوده للمكان وأغطي عليه .. أنا لا أعرف سيارة من سيسرق ؟ .. أنا فقط أعرف مكان ترك السيارة .. قرب فندق سبأ من الجهة الخلفية .. فعليكم تركيب الجهاز بسرعة خشية أن يكون رجال العصابة قريبين منكم ..

ـ الجهاز سريع التركيب هو مغناطيس شديد القوة .. يوضع بمكان خفي .. ونحن سنراقب السيارة أيضا .. بعد الحادية عشرة ليلا تحرك جبران بسيارته لبيت أمير حيث خرج إليه ، وجلس على مقعد القيادة، وتحول جبران للمقعد المجاور.. وتمشيا في السيارة في شوارع المدينة .. وملأ الرجل السيارة بالبنزين .. ثم انطلق بها إلى المكان الذي سيسرق السيارة منه .. ونزل الرجلان وفتح جبران غطاء الماتور ، وتظاهر بعلاج عطل طارئ .. واقترب أمير من السيارة التي تقف أمامه ، وشغلها وانطلق بها ، كانت العملية سهلة وسريعة ، وتبعه جبران حتى وصلا لفندق سبأ من الجهة الخلفية ، وقرب مجموعة من

الأشجار صف أمير السيارة الصالون ، ووضع المفتاح تحت العجلة الخلفية ، وركب بجوار جبران الذي ابتعد به نحو بيته .. وانصرف جبران إلى حانة يروي غليله من المسكر.

أما رباح فلما ابتعد جبران بسيارته ، تقدمت بضع سيارات إلى المنطقة الخلفية من الفندق وساق أحدهم السيارة المسروقة ، وتركوا سيارة خاصة بهم على نفس الوضعية، وقد وضع عليها جهاز تعقب ومتابعة .. وأعادوا السيارة المسروقة إلى البيت الذي سرقت منه.. فكما تعلمون أن رجال البحث الجنائي يراقبون السيد جبران ، فقد عرفوا الموقع من مراقبتهم له .

جاء أفراد العصابة المحلية عند الفجر، وأخذوا السيارة التي يعرفون أنها مسروقة ، وساقوها إلى عمارة خاصة ، ومكثت السيارة داخل العمارة حتى الليل .. وما زالت السيارة تحت مراقبة الشرطة.. وكذلك العمارة.. خرجت السيارة من العمارة ليلا ، وعلى أحد الطرق السريعة أوقفها رجال الشرطة على أنه تفتيش عارض ومفاجئ .. وطلبوا رخصة السائق ورخصة السيارة قال الضابط وهو يمسك برخصة السائق : هل هذه السيارة لكم ؟

رد السائق : إنها لأحد الأصدقاء .

ـ هذه سيارة مسروقة قد عمم علينا رقمها .

وفتح الضابط أمامهم جهاز الاتصال ليسمعوا الكلام فسمعوا " تحفظ عليها وعلى من فيها " .. وقال الضابط " سيأتي صاحبها الآن "

ولم يكد الضابط يتم جملته حتى فتح أحد الرجال المقعد وخرج مشهرا مسدسا وقبل أن يستعمله كان قد طار من يده .. ومطروحا على الأرض ..وأحاطت سيارات الشرطة بالسيارة ، والقيء القبض على الجميع .

وفي الصباح كان الضابط يتهمهم بسرقة السيارة ونقل مخدرات فيها ، وأقر الرجال الثلاثة

بنقلهم للمخدرات ، وقد اقتحم رجال الشرطة العمارة التي أخفيت فيها السيارة ، ووجدوا كمية أخرى من المخدرات وبعض رجال العصابة .

ونشرت الصحف في اليوم التالي خبر القبض على عصابة مخدرات وبعض التفاصيل التي سمحت بها الشرطة .

أخبر جبران رباحا أن رسالة من تركيا طلبت منه السفر إليهم بأسرع وقت ، فطلب رباح منه ألا يسافر ليدفعهم للمجيء للبلد .. وتحدث معه أمير أن الرجال يطلبونه في تركيا.. فتعذر له بالمرض وعدم رغبته بالسفر.. وقد يعمل عملية قلب مفتوح لقلبه .. فطلبوا منه السفر لقبرص ، فبين لهم أن قلبه لا يحتمل السفر .. ثم أخبره أمير أنهم يريدون سرقة سيارة قبل العملية فوافق مضطرا .. ونفذ مع أمير سرقة سيارة .. والشرطة فعلت بها كما فعلت في المرة السابقة استبدلوها من غير علم جبران.. وقد اختفت السيارة عدة أيام هذه المرة .. وحدث رباح جبران أن السيارة مختفية فربما يقصدون اغتياله كما فعلوا مع سنار .. فالسيارة لم تشحن بالمخدرات ..

اتصل أحدهم بجبران ، وطلب منه اللقاء به في منتزه (الوردة البيضاء) ، أخبر رباح بالاتصال واللقاء .

ذهب جبران للمكان وعند الأشجار العالية في المنتزه أقبل رجل وعرف نفسه أنه من المنظمة من الفرع التركي ، وهدده بالموت إن لم يسافر لتركيا أو قبرص قبل العملية القلبية وكان جبران يتظاهر أمامه بالاعتلال والألم .. فأصر جبران على عمل العملية قبل السفر ، فلما رآه الرجل مصرا : دع سيارتك هنا واذهب معي لمقابلة .

وصلا لسيارة رجل العصابة ، وركب معه جبران ، وهو يدرك أن حياته في خطر .. ولكن النهار شجعه على الركوب والمغامرة .. ودخلا منطقة صحراوية .. وفي منتصف الطريق كانت هناك سيارة يقف أمامها أربعة أشخاص وهي السيارة المتصلة بجهاز الشرطة.. ولما وصلوا إليها أوقف الرجل التركي السيارة بجوارها وقال لهم بحدة " إن جبران

يرفض السفر لتركيا أو قبرص ومصر على عمل العملية الجراحية لقلبه المريض .

وجرى حوار بينه وبين أحد الأشخاص الأربعة حول السفر ، وأعاد جبران اعتذاره عن السفر لصحته الضعيفة .. ولما انتهى الحوار أخرج الرجل مسدسا وصوبه لجهة جبران وقال : أخ جبران معي أوامر بقتلك ، وترك جثتك في هذه السيارة المسروقة .. فالأفضل لك أن تسافر قبل العملية .. قد لا تحتاج لهذه العملية .

فقال لهم بهدوء : اعلموا أن هذه السيارة ليست السيارة المسروقة .. وأكمل جبران : يبدو أنها سيارة شرطة .

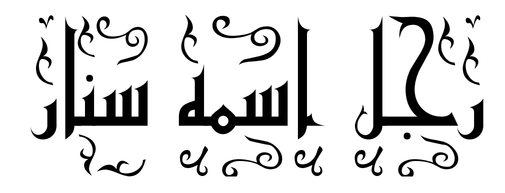
وحاصرت المكان بسرعة سيارات النجدة والشرطة . أمروا برفع أيديهم للأعلى، وإلقاء المسدس على الأرض فقال أحدهم لجبران : هذه خيانة !

ـ لا ، بل ندم .

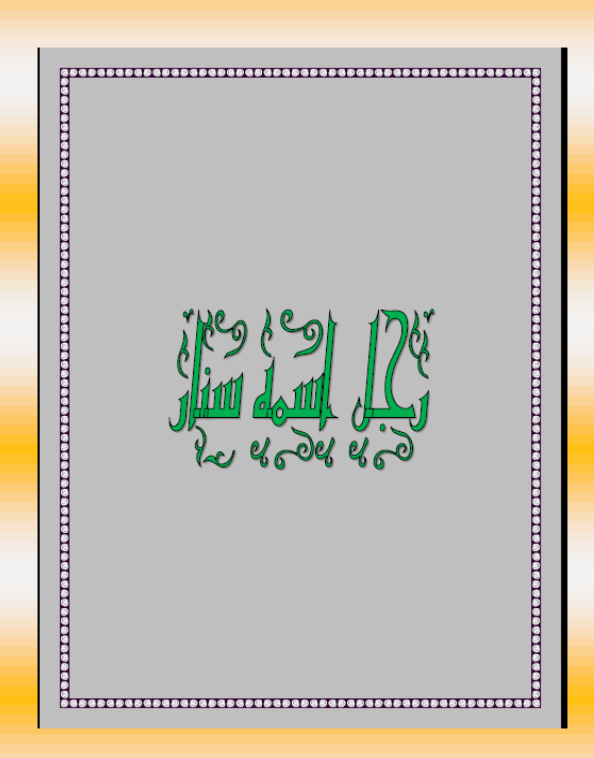
تقدم رباح معانقا لابن عمه وقال : أنت شجاع يا ابن العم !.. وانتهى دورك اليوم .. وستبدأ حياة جديدة بإذن الله .

كانت ضربة كبيرة للعصابة ، وكان من بينهم القتلة الذين قتلوا سنار حمدي ، وطلق جبران ريما أمير، ومنح جواز سفر جديد بصورة أخرى واسم جديد ليختفي عن المسرح بضع سنوات ، وانتقل للحياة في بلاد بعيدة لا يعلمها بعد الله إلا رباح حمدي .. قل منفى اختياري أو اضطراري .

تمت قصة







رجل اسمه



جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١





جثة في البركة

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

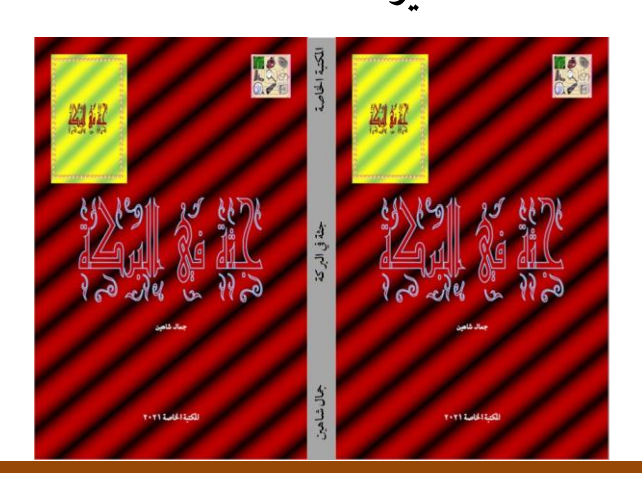
المكتبة الخاصة

جمال شاهين

جثة في البركة

النشر الاول ٢٠١٠ / النشر الثاني ٢٠١٨

الاخير الثالث ٢٠٢١






٩


التحقيق الجنائي والجريمة

غادر مقر الشركة للسهر في مزرعته

وجدت جثته صباحا في حوض السباحة

جرت التحقيقات الجنائية لتكشف لنا اسباب الجريمة

ولماذا سكتت زوجة القتيل عن الاعلان موته ؟

هذا ما حدث في هذه الحكاية فعلا !!

جمال شاهين



١

كان حامد موسى يستعد للخروج من مكتبه منهيا يوم عمل ، بعد أن أخبره الفراش " أن الموظفين قد انصرفوا جميعهم من الشركة ولم يبق سواهما " .. فنهض عن كرسيه ، واتجه نحو مرآة معلقة في غرفة المكتب ، وتناول الجاكيت المعلقة بجانبها ، وأخذ يضع يديه في أكمامها رويدا رويدا ، وينظر في نفس الوقت لوجهه في المرآة وهو يفكر بشيء ما .. وكان الفراش يقف أمام الباب منتظرا خروجه .. وكان الباب مفتوحا .. بحيث يرى الفراش ماهر مديره وهو يلبس ثيابه ، وانتبه أيضا على أنه مشغول الفكر، وبدا ذلك واضحا لماهر حتى أنه تساءل بينه وبين نفسه " السيد مشغول الفكر! " .. فماهر يعمل فراشا لصاحب المكتب منذ سنوات وسنوات .. ومن عشرته للسيد يعلم المشكلة التي تشغل ذهن السيد حامد .. وكان يتابعه بعينيه ، فهو آخر موظف في المصلحة ينصرف إلى حيث يشاء .. هكذا التعليمات سواء كان المدير موجودا أم كان غيره .. عليه أن يغادر آخرا ، ويفتح أولا إلا لعذر طارئ .

كان يدرك ذاك المساء أن المدير قد تأخر عن وقت انصرافه المعتاد .. وهذا من النادر في نظره .. فالساعة زادت عن الرابعة عصرا .. ففي العادة تغلق الشركة أبوابها في الثالثة والنصف مساء ويوم الخميس من كل أسبوع ينصرفون في الساعة الواحدة ظهرا ..فالأمر بالنسبة لماهر واضح أن هناك شيئا يرهق ذهن المدير حامد موسى .. وربما هذا الفراش القديم يعرف ما هو هذا الشيء .. وهو أن ابنة المدير على وشك الانفصال عن زوجها ؛ لأن صاحب الشركة شريك حامد .. اتهم الزوج بالاختلاس والرشوة .. وقد ثبت ذلك عليه .. وحامد أمام هذه الحقيقة لم يستطع فعل شيء لصهره .. وفصل الشاب من الشركة .

وذاك الشاب لما طرد من الشركة .. ليضغط على عمه ويعيده للعمل هدد بتطليق زوجته التي هي ابنة حامد .. وشريك حامد رفض أي عودة للشاب ناصر .

فكان ماهر ينتظر مديره بالانصراف لينصرف هو أيضا ، وهو يعتقد بأن الرجل مشغول الفكر بهذه القضية منذ أيام .

لما ارتدى حامد جاكيتته وضبط شعره .. ومشى نحو الباب ليغادر المكتب رن جرس الهاتف فتقدم إليه، ورفع المسماع ، وقال مجيبا للمتصل : نعم .. أنا ذاهب للمزرعة في التو .. سأسهر هناك الليلة .. سأتكلم معكم من هناك .. ووضع السماعة .

وخرج من الغرفة ، وأغلق ماهر الباب وقال له حامد : هيا بنا .. سأوصلك لأول الطريق يا أبا محمد .

ـ شكرا يا سيدي .. لا داع لإزعاجك .

ـ تفضل يا رجل .. ليس هناك أي إزعاج .



٢

وضع توفيق حامد الهاتف قائلا : لا أحد يرد .

وكان توفيق يجلس في صالة البيت ، ومعه أمه وهي حزينة الوجه مكتئبة تكاد الدموع تتساقط من عينيها ، تنظر تارة للهاتف وتارة إلى توفيق ، وكان القلق والانزعاج ظاهرا على محياها ، وكان يجلس أخوه سعيد قريبا من أمه وهو متجهم الوجه ، وتجلس أختهم فادية زوجة ناصر الموظف المفصول من شركة والدهم بتهمة الرشوة والاختلاس والوجوم والضيق يملأن وجهها كذلك ، التوتر هو سيد الموقف ، والصمت هو المخيم على الوجوه والعيون ، فلما جلس توفيق وقال : لا أحد يرد .

لم يعقب أحد بكلمة ، فسكت لحظات ثم قال : هذه عاشر مرة أتصل ولا أحد يرد .. هل انتهت السهرة ؟ .. الساعة لم تصل منتصف الليل بعد.

لما أدركت الأم الثورة التي تقبع في نفس توفيق لعدم رد تلفون المزرعة قالت : غريب فعلا !.. هل تركوا مكان السهرة ؟!.. وذهبوا لمزرعة أبي خالد .. قم اتصل يا سعيد به .. ستجد رقم الهاتف في الدليل الخاص ..

فقال سعيد بضيق : ولكن فادية قالت إن زوجها ذهب لمقابلة أبي في مزرعتنا ..

قالت فادية التي انتبهت من حزنها عندما سمعت اسمها يتردد : هذا ما قاله ناصر .. اتصل بي وقال الليلة سنحسم الأمر يا سيدتي .. أبوك خذلني هذه المرة .. فأخذت أدافع عن أبي وشرف أبي من اتهاماته الرهيبة الحاقدة .. قال اقضي الليلة عند أهلك وسأوافيك بالنتيجة .. إما أن أعود للشغل رغم أنف الجميع أو أن تبقي في بيت أبيك للأبد .. وأغلق الهاتف قبل أن يسمع ردي .. وتابعت بحدة ودموع : وأنا هذا الوضع لم أعد أطيقه .. حياتي صارت كالجحيم .. وهو يتقول على والدي كلاما مرا وحقيرا .

أخذت الأم تهدئ من غضب فادية وثورتها ، وتبين لها أن الحال سوف ينصلح .. وأن ناصرا سيعود للعمل مع أبيها ، وأنه يفعل هذا الجنون للضغط على أبيها ليساعده .. وأن شريكهم

سيغير رأيه عندما تهدأ الأمور ، ولسوف تعود المياه لمجاريها ..ثم ختمت قائلة : وقد طلبت منهم أن يتصلوا بالوالد لنعرف ما جرى بينه وبين ناصر .. وتلفون المزرعة كما ترين لا يرد .

وأخذت تمسح الدموع التي انسابت على وجنتيها وهي تتحدث مع البنت الغاضبة الحزينة .

وأمام إلحاح الأم نهض سعيد وأدار رقم مزرعة أبي خالد .. وبعد محاولات رد عليهم شخص، تبين لهم أنه أحد العمال مخبرا لهم أنه لم يسهر أحد الليلة في المزرعة .. وأبو خالد لم يأت المزرعة الليلة .

فعندئذ قال توفيق بضيق : ليس أمامنا إلا الذهاب للمزرعة .. قبل أن نبدأ نسأل في بيوت الناس في هذا الليل ..

ونهض واقفا وارتدى ثيابه ، وفعل مثله سعيد ، وانطلقا بسيارة توفيق إلى المزرعة التي يملكونها في القرية الزراعية .



٣

عندما وصل توفيق وسعيد المزرعة كانت الساعة اقتربت من الواحدة صباحا .. كانت غرفة البواب مظلمة .. أما مصباح بوابة المزرعة ، فقد كان منيرا .. والبوابة الحديدية نفسها مغلقة فقال سعيد : لا سيارة أمام الباب .. هل سياراتهم بالداخل ؟! .. إجازة العم أبي يسري لم تنته بعد ؟

ـ كأنها لم تنته .. هو قد ذهب للسعودية لأداء العمرة كما علمت .. الوضع مريب .. هل انصرفوا ؟؟ لابد أنهم انصرفوا .. من النادر أن تمتد سهرتهم إلى ما بعد نصف الليل .. وأصحاب أبيك عادة لا يحبون النوم في المزرعة .. حتى سيارة زوجك أختك لا ترى هنا .. هيا بنا نفتح البوابة وندخل.

نزلا من السيارة ، وفتحا الباب الكبير الذي له سكة يسير عليها ، ولم يكن مغلقا بمفتاح منذ أن سافر أبو يسري ، ويغلق الباب بدون مفتاح ..

ودخلت السيارة المزرعة وظلت تسير حتى وقفت أمام مدخل القصر الذي عمر وشيد في أول وبداية المزرعة ، ويبعد عن المدخل حوالي مائة متر .. وكان مدخل القصر مضاء بأنوار قوية ساطعة تبدد ظلام الليل الهادئ في تلك الناحية .. بل بدأت لهما بعض حجراته مضاءة كذلك وكانت سيارة الوالد حامد تقف أمام القصر في مكانها المعتاد .

فهتف سعيد دهشا : سيارة أبي هنا! ..هل هو نائم ولم يسمع رنين التلفون ؟!

ـ قلبي منقبض الليلة !!.. وسيارة ناصر غير موجودة ..

تقدموا نحو درجات القصر ..وصعدوها بسرعة ، وفتحوا الباب الرئيسي للقصر، ودخلوا منه ولم يكن مغلقا ، فقال توفيق معلقا : عجيب الباب مفتوح ! أيعقل أن ينام أبي ويترك الباب مفتوحا؟!من عادة الوالد غلق الباب .

كانت صالة القصر مضاءة أو بعضها مضاء .. صعدوا مسرعين للطابق الثاني حيث ينام الوالد كان باب الغرفة غير مغلق إغلاقا كاملا .. طرقوا الباب .. ودخلوا الحجرة التي ينام بها حامد

عندما ينام هنا .. كانت خالية .. وبدا السرير كأن أحدا جلس عليه ، لم يكن مرتبا .. إلا إذا كان مبعثرا قديما من أيام خلت .. أخذ سعيد ينادي بصوت هامس : أبي .. أبي .

فتشوا كل غرف الطابق الثاني كله ، وصعدوا للطابق الثالث .. كان جزء منه مضاء كغيره .. نادوا وفتشوا غرفة جلوس أبيهم في هذه الطابق ، ثم نظروا فيها ظنا منهم أنه قد غفي فيها .. كانت فارغة .. نزلوا للطابق الأول ، وبحثوا فيه غرفة غرفة حيث قاعات الجلوس ، وفتشوا فيها ، ودخلوا حمامتها ..مطبخها .. ولما لم يجدوا أحدا قال توفيق متعجبا وخائفا: ولكن السيارة موجودة !.. والقصر مفتوح .. هل ذهب مع ناصر في مشوار إلى شريك أبي ؟!

ـ أو مع أفراد الشلة .. ولكن هل يترك القصر مفتوحا ؟!.. شيء غامض يحدث هذه الأيام !.. منذ فضيحة ناصر المدوية والأمور تسير على غير ما يرام .

ـ صدقت ، كأن الدنيا انهدت .. أمعقول لأبي يد في جريمة ناصر؟!..أيختلس أبي شريكه ؟! شيء لا يمكن تصديقه!

أعادوا البحث حجرة حجرة .. المطابخ .. المراحيض والحمامات مرة ثانية ، ثم عادوا لصالة القصر حيث دخلوا أولا ، وقال سعيد : هل نزل لمخازن القصر وحدث له شيء؟!

ـ ماذا سيفعل في مخازن القصر في الليل؟! غرف فيها بذور وأدوية زراعية وأدوات زراعية .. سمعوا رنين جرس التلفون .. فتناول توفيق السماعة ، وتحدث مع فادية ، وأخبرها أنهم لم يجدوا الوالد .. وإنما وجدوا سيارته فحسب .. أبدت دهشتها وقالت : أين ذهب إذن؟! هو منذ سافر الحاج مروان وهو ينام في المزرعة .. هل بحثتم جيدا ؟

ـ أجل كل الطوابق ..

ـ هل أنت متأكد أنه أخبرك بأنهم سيسهرون الليلة في المزرعة ؟

ـ هذا ما أخبرني به قبل مغادرته الشركة ..حتى زوجك يا فادية لا أثر له

ـ اتصلت به في البيت .. ولم يرد عليّ ناصر .

٤

قال سعيد مخاطبا توفيق : سأصعد لغرفة نوم أبي ..وأنظر مفاتيح السيارة .

فرد توفيق باضطراب بين : ربما لو ذهب مع أحدهم لا يأخذ المفاتيح معه .. لكن كيف يترك القصر مفتوحا ؟ .. هذا الذي يثير الحيرة!

ـ دعني أنظر .

وانطلق راكضا للطابق الثاني ، ووجد المفاتيح على منضدة في الغرفة ..فتركها وهبط قائلا : موجودة ..أيعقل أن يترك مفاتيحه هنا ويخرج ؟! .. ويظل القصر مفتوحا .. أمر غريب !!

ـ هل نمشي لحوض السباحة .. البركة ؟ هل ذهب إليها وأخذته غفوة هناك؟ فأبوك يحب السباحة في الليل والمكث هناك .

فقال سعيد : وهل يذهب أحد إليه في الليل وفي هذا الطقس البارد ؟.. ولو نام تعبا فالبرد الليلي يوقظه .. فالساعة الآن تقترب من الثانية فجرا ..

ـ هل ذهب مع أحد الأصدقاء ثم نام عندهم ؟!

فقال سعيد وهو يهرش رأسه حيرة : ربما حدث ذلك .. وربما جلس في مكان من هذه المزرعة ونام ..

ـ لنا أكثر من ساعة نبحث عنه .. ألم يستيقظ لحتى الآن ؟

ـ أبوك له فترة مشغول أكثر من اللازم .. مشكلة ناصر .. طلاق فادية

قال توفيق : السيارة والمفاتيح والقصر المفتوح يدلان على وجوده هنا .. لكن إذا جاءه زائر كناصر وساقه في مشوار .. فربما من العجلة نسي أن البواب غير موجود

قال سعيد : والباب الحديدي كان مغلقا .

ـ هذا ربما يدل على خروجه ، وليس على بقائه فحسب ..كيف سنعود للبيت بدون أن نجتمع به ؟!

قال سعيد : القصر مضاء .. فأين جلس ؟!

فقال توفيق مهونا من الأمر : هذه مزرعة كبيرة .. ومواضع الجلوس فيها كثيرة .

فقال سعيد : أين الكلاب ؟

فقال توفيق كأنهم فطنوا لها : فعلا أين هي؟! لم نرها عند الباب .. لابد أنها رحلت إلى آخر المزرعة في بيتها الخاص .

ـ من يطعمها ؟

ـ عندما يتغيب عادة أبو يسري ..تحبس في بيتها .. لأن الخادمة "سيرا " تخاف منها .. ولما تقبل في الصباح للخدمة داخل القصر .. تقدم لها الطعام .. هذا ما أعرفه في مثل هذا الأمر .. فهي تأتي في الصباح لتنظيف القصر أو أماكن سهر أبي وضيوفه .. وتنظف المطبخ .. ثم تنصرف فهي لا تنام في القصر .. فهي تعمل عند عائلة قريبة من البلدة ..

فقال سعيد : من قام على خدمتهم ليلة أمس إذن ؟!

فقال توفيق : لابد أنهم خدموا أنفسهم بأنفسهم أو أتى أحدهم بخادمه .. فكلهم عندهم خدم .

ـ والآن ما العمل ؟

ـ سنبقى هنا حتى الصباح .. ثم نتابع البحث أو يظهر لنا فجأة .. وإذا أحببت أن تنصرف للبيت فافعل .. فاذهب يا سعيد ..وحاول بث الطمأنينة في نفس أمك وأختك .. ولنبق على اتصال .

بعد نظر وتدبر قال سعيد : لا بأس .. وأنا بعد ساعات سأكون هنا.

ـ اتصل من البيت ببعض الأصحاب ..وأخبرني بأي تطور .

صعد توفيق إلى الجناح المخصص له ولأسرته في القصر ، وألقى بنفسه على سريره ، وغادر سعيد المزرعة وهو في حيرة وخوف من اختفاء أبيه .

٥

قبل أن يستيقظ توفيق من نومه ، كان يطرق الباب عليه خاله جابر وابنه عصام وأمه أم توفيق، فلما فتح عينيه قال : أهلا خالي .. أهلا عصام .. مرحبا أمي .. صباح جميل .. أين سعيد ؟

قال الأم (فايزة) : تركته في البيت يتصل بأصحاب أبيك .

قال جابر : اتصلت بي أمك مبكرة تخبرني باختفاء السيد الوالد .. ما الحكاية يا توفيق؟

تنهد توفيق بعمق وقال : كما تعلم يا خال الأمور مضطربة منذ اكتشاف فساد زوج شقيقتنا فادية ، وطرده من الشركة من قبل شريك والدي منذ أسبوعين .. ولما طرد الملعون ، وقد ثبت عليه الاختلاس .. أخذ يهدد أبي ليعيده للشركة وإلا طلق المسكينة فادية .. ومن يومذاك ونحن في مشاكل وقيل وقال ..وأبلغه أبي أن عليه الصبر بعض الوقت لتهدأ العاصفة ، ويتناقش مع شريكه بهدوء وروية .. فالشريك غاضب على ناصر وعلى أبي .. بل اتهمه بالتواطؤ معه .. المهم أن الأمور تعقدت وتشعبت .. والسيد ناصر غير مهتم بظروف الوالد ، وغير مقتنع أن الوقت غير مناسب ..فهو يضغط وأبي يمهله ..وليلة أمس جاءت فادية بيتنا على رغبة زوجها الذي طلب منها البقاء عندنا حتى يعود للشركة .. وأخبرها بأنه ذاهب للمزرعة لمقابلة أبيها ليحسم الأمر إما العودة للعمل فورا أو ليحسم أمر الطلاق ..وأنا تحدثت مع أبي مساء أمس قبل مغادرته الشركة ، وسألته هل سيأتي البيت أم سيذهب للمزرعة ؟.. لأن بواب وحارس المزرعة هذه الأيام في زيارة للسعودية ..لأداء العمرة ..فوالدي يأتي للمبيت هنا، والسهر مع شلته الذين تعرفهم .. ريثما يعود أبو يسري الحاج مروان ..فأخبرني أنه ذاهب إليها مباشرة ، وسيتناول غداءه فيها ، ويسهر مع رفاقه .. ولما انتصف الليل لم يتصل بنا هو، وكذلك زوج فادية هو الآخر لم يتصل ببيتنا ..اتصلنا نحن عدة مرات ولا أحد يجيب ؛ لنعرف ماذا دار بينه وبين ناصر .. اضطررنا لنتصل بمزرعة أبي خالد صديقه الأثير ، وله بالعادة السهر فيها .. أخبرنا أحد الحراس أنهم لم يأتوا إليها .. فجئنا إلى هنا ظانّين أنه نائم ؛ ولنزيل القلق الذي غمرنا .. فلم نجده في غرف القصر ، ووجدنا السيارة

ومفاتيحها ، وكان باب القصر مفتوحا .. أين اختفى ؟! لا ندري .. وحتى ناصر لم نجد سيارته .. فرجع سعيد للبقاء مع أمنا وبقيت أنا هنا .. فهذه هي الحكاية يا خالي .

قال عصام وهو ينظر في الأرض: أفتشتم كل القصر .. الحمامات ؟

ـ فعلنا كل ذلك .. إلا المخازن تحت الأرض .. والآن سنذهب في جولة بين الأشجار والعرائش .. مالك تبكين يا أمي؟! سنجده .. هو ليس طفلا .

وقبل أن تبدأ عملية البحث بين الأشجار وعرائش العنب ارتفع صوت الهاتف ، وأسرع توفيق يخرج من الغرفة متجها إلى الهاتف القابع في ممر أمام الغرف ، وكان سعيد على الخط ، فأخبرهم أن أصحاب الوالد أعلموه أنه لم يكن هناك سهرة كالمعتاد بينهم .. فقبل أن يبدأ لعب الورق بينهم (الشدة) حضر ناصر ومعه رجل آخر .. وابتعدوا عنهم ، ودار بينهم حديث حاد ومتشنج ؛ لأنهم كانوا يسمعون طرفا من أقوالهم وصياحهم على بعض من خلال الباب الذي لم يغلق بل كان مواربا .. ثم شاهدوا ناصرا وصاحبه يخرجان وهما غاضبان .. وتبعهم الوالد خارجا من الغرفة وهو ينتفض أيضا غضبا .. فاعتذر لهم وتركهم وصعد إلى غرفته في الطابق الثاني .. وحاولوا تهدئة الوضع .. ولما رأوا أن الوالد في ضيق ، ولا يريد المناقشة والحديث ، ورأوا عجزهم عن فعل شيء ، قرروا الانسحاب بدون إعلامه ، وكان ذلك قرب العاشرة والنصف ليلا .. فانسلوا ولم يصعدوا للأعلى لإخبار الوالد .. وهم أبو خالد وأبو شادي وأبو جمعة .. وأخبروا ـ وهم مغادرون المزرعة ، ويغلقون الباب الحديدي الرئيسي والكبير لمعرفتهم بإجازة البواب ـ بأنهم شاهدوا سيارة كانت واقفة قرب البوابة .. ولما شاهدهم راكبو السيارة يخرجون أطفئوا أنوار السيارة ، ويقولون إنهم رأوا في السيارة رجلين وامرأة ، ويقولون ربما خرج الوالد معهم .. والسيارة يابانية من نوع (تويوتا كورولا) زرقاء اللون . وبالطبع توفيق لم يستطع معرفة من هم أصحاب هذه السيارة.. فأصدقاء الوالد كثر وعملاؤه أكثر فعلق على هذه القصة قائلا : صعب معرفة من هؤلاء يا خالي .. هل رافقهم الوالد ؟.. كيف سنعرف هذا ؟!

وبينما هم يهمون مرة أخرى بالخروج للبحث بين الأشجار في أنحاء المزرعة ، جاءت الخادمة سيرا .. التي تعمل بعض الساعات في الصباح لدى السيد حامد ، ودخلت مسرعة ظانة أن السيد في القصر لم يغادر بعد .. لرؤيتها السيارة واقفة على المدخل ، وبجوارها سيارة أخرى ، وربما تصنع له فطورا وشايا ، ولما رأت الموجودين حيتهم وفي عينيها استفهام ، ووقفت تنظر إليهم ، فقال توفيق : كيف حالك يا سيرا ؟ متى غادرت القصر أمس؟

ـ نحو الخامسة ..لأنني هذه الأيام أتأخر قليلا لغياب أبي يسري .. فأتأخر بضع ساعات .. وقبل مجيء الأستاذ حامد بوقت قصير أنصرف حيث أعمل عند آل زعتر .

ـ ألم تلتق بأبي مساء أمس ؟

ـ لأ ، يا سيد توفيق .

ـ حسنا يا سيرا .. ما دمت قد حضرت ، فإذا سمحت اعملي لنا إبريقا من الشاي وفطور .. فأنا من عشاء الليلة لم أضع في فمي شيء ..

فقال عصام : ألا نبدأ بالبحث ؟

فقالت سيرا وهي تستدير نحو المطبخ الرئيسي : تبحثون عن ماذا ؟!

فضحك توفيق وقال : نبحث عن أبي يا سيرا .

انصرفت سيرا للمطبخ وهي تتساءل " هل يبحثون عن حامد حقا ؟"

ولما وضعت الإبريق المملوء بالماء على نار الغاز قالت لنفسها : هناك شيء .. يبحثون عن حامد .. لم يكن معهم وسيارته أمام القصر .. هل هو ضائع ؟؟

ولما انتهى صنع الشاي ، كانت قد أعدت سفرة سريعة ، ونادت عليهم للأكل ، فلم يلبِ النداء إلا توفيق ..فجلس يأكل وحده وهو ساهم الذهن في سر غياب أبيه بهذه الطريقة الغريبة .. فلم يغب مرة إلا وهم على علم بمكان تغيبه سواء في الداخل أم الخارج .. ثم طلب من الخادمة أن تذهب بأكواب الشاي لأمه وخاله وابن خاله حيث يجلسون ، وكان الوجوم مخيما على وجوههم جمعيهم ؛ كأنهم يفقدون عزيزا .. كأنهم في جنازة ..فانقبض قلب توفيق

لتذكر ذلك .

ولما عادت سيرا قالت لتوفيق : سأذهب الآن لتفقد الكلاب وإطعامها .

فقال : اذهبي ولا تتأخري عندها .

فقالت : أمرك يا سيدي .. ولكني لم أفهم ما تعنون ببحثكم عن سيدي الوالد ؟!

لخص لها الشاب القصة فقالت : عجيب ! ما رأيك أن أطلق الكلاب في المزرعة ؟

ـ فكرة !!



٦

يوجد في مزرعة حامد موسى ثلاثة كلاب ضخمة ، وكان بيت الكلاب الرئيسي في آخر المزرعة في الجهة المعاكسة لمدخل المزرعة .. وكانت مطلقة السراح تجوب المزرعة بكل حرية ..ولما سافر حارس المزرعة .. كان السيد حامد نفسه لما يأت للمزرعة يتفقدها ، ويقدم لها الطعام بعد أن يعيدها لبيتها في آخر المزرعة .. وفي الصباح قبل مغادرته يطلق سراحها ، وهي في الغالب تبقى قريبة من بيتها .. وكان في وسط المزرعة بركة سباحة (حوض سباحة) يبعد عن القصر حوالي نصف كيلو متر تقريبا ..وحوله مظلات تحتها مقاعد وآرائك ودورة مياه .. وهذا الحوض يقع في طريق بيت الكلاب .. فالقاصد لبيت الكلاب .. يمر من أمام البركة ، ويوجد في المزرعة طرق مرصوفة ومسفلتة.. تستطيع السيارات المشي عليها لتعبئة الثمار والزروع .. وهناك ممرات مرصوفة بالحصى والرمل أيضا للمشي عليها أثناء الشتاء والوحل ..ويمر أحد الممرات من أحد جوانب البركة ..

وحوض السباحة نفسه مظلل بمظلة متحركة .. تحجب الشمس والمطر عن الحوض عند الحاجة إليها ، وهي مزخرفة بألوان زاهية وصور جميلة ونجوم وشموس ..

ولما اقتربت سيرا من المسبح شعرت بتوتر وانقباض في قلبها .. وتطلعت حولها فلم تر أحدا ، ولكنها لاحظت فردة حذاء على العشب قرب المسبح ..حذاء تعرف لمن هو ؟! لا أحد على الكراسي ؟ هكذا أجابت على سؤال خطر في بالها فهمست : إنها فردة حذاء السيد حامد بلا شك !!

فاقتربت من حوض الماء نفسه ، ونظرت بداخله فرأت جثة حامد في ثيابه في قاع الحوض فصرخت وصرخت.. ثم أسرعت نحو القصر .. وكان القوم قد سمعوا صراخها فخرجوا أمام مدخل القصر ..ونزل توفيق الدرجات مستقبلا المرأة وهو يصيح : ما هنالك ؟!

فكانت تصيح وتشير إلى جهة الحوض دون أن تتكلم .. فأسرع توفيق وتبعه عصام نحو

المسبح .. وهناك وجدوا الأب مسجى في قاع المسبح ..وهو يلبس بدلته .. هذا يدل على أنه لم يكن يسبح .. هل وقع بنفسه أو بفعل فاعل ؟ ..هذا ما خطر في ذهن توفيق للوهلة الأولى .



وبعد وصول الزوجة وأخيها للبركة، ورأت الجثة على ضوء الشمس صرخت وبكت ، فأجلسها شقيقها جابر على أحد الكراسي ، وكان يتمتم بكلمات مبهمة ، وأخذ يخفف من اضطرابها وبكائها وهو يقول : الموت هو مصير كل كائن حي .. الموت امر الله!!

وأما توفيق المهندس فهرع للقصر ، واتصل بالشرطة والإسعاف .. والشرطة بدورها اتصلت بأقرب نقطة شرطة تتبع لها المنطقة .. وبعد ساعة ملئت سيارات الشرطة والتحقيق الجنائي المكان ، وأكد رجال الإنقاذ أن الرجل ميت ..ولما انتشلت الجثة تقدم الطبيب الشرعي إليها ، وفحصها ثم أعلن أن الرجل خنق عمدا .. ثم ألقي في المسبح ، وأن جريمة قد حصلت .

وبدأ رجال الأمن بالعمل بهمة ونشاط ، بعمل الإجراءات اللازمة والتحريز والتصوير .. ولما انهوا عملهم طلبوا من رجال الإسعاف نقل الجثة إلى مكان تشريح الجثث في المنطقة؛ ليقوم رجال الطب الشرعي بعملهم وتقديم التقرير الطبي للوفاة من بيان سبب الموت ووقت الجريمة وأداة القتل .

وبينما كان البعض يرحل الجثة استمع الضابط المحقق ووكيل المدعي العام للقصة التي سردناها عليكم في الصفحات السابقة حسب رواية السيد توفيق حامد .. واستمع لسيرا التي هدأت بعد هذه الساعات ..وأرسل في طلب أبي خالد ورفاقه .. وطلب منهم الاتصال بناصر ورفيقه ولينتظروا جميعهم في مركز الأمن .. وطلب المحقق تحريات سريعة عن السيارة التي كانت على بوابة المزرعة عند مغادرة رفاق القتيل القصر .

٧

استمع الضابط لأقوال كل من كان في المزرعة ، ولما حضر سعيد أدلى بأقواله، وهو يذرف الدمع على أبيه المقتول ، وأدلت فادية التي حضرت مع سعيد بقصة ناصر مع والدها ، واستمع الضابط لأقوال الفراش ماهر ..الذي أكد قول توفيق بأن والده تأخر بعض الوقت في المكتب ، وعلم منه وهو يتركه في مكان ركوبه لبيته أنه ذاهب للمزرعة للمبيت فيها ، كما يفعل منذ سفر الحاج مروان .. وكلفت إدارة التحقيقات الجنائية الضابط بلسما ومساعده محمود صبري بمتابعة التحقيق في هذه الجريمة من كادر ضباط دائرة الأمن العامة.. ولما انتهى بلسم ومساعده من قراءة ملف التحقيق الابتدائي .. ، قال بلسم وهو ينهض متمشيا في غرفة التحقيق الخاصة به : سنذهب إلى مسرح الجريمة والحدث .. فتقرير الأطباء يؤكد أن الرجل قتل خنقا ، ولم توضح الأداة المستعان بها على خنقه ، ويقول أحدهم ربما يكون ضغطا باليد حتى فارقت الروح الجسد ، وبعد موته سيق إلى المسبح وطرح فيه ..حتى إذا بقي فيه حياة سيموت من الماء ؛ ولكنه كان ميتا قبل رميه ، وربما كان القصد من رميه في المسبح لتضليل التحقيق بموته غرقا.. ولكن هل كانت هذه الجريمة طارئة وفجائية ؟ ولماذا ألقي في الماء ؟!

قال محمود : هناك صراع بين حامد وشريكه وناصر في الشركة والمصانع .. فالجريمة كأنها مدبرة .. لماذا اختيرت المزرعة ؛ لتكون مسرح الحادث والقتل ؟!.. واختيار المزرعة يدل على معرفة الجاني أو الجناة بالمزرعة والمسبح .. وغياب البواب.. وإبعاد الكلاب لآخر المزرعة .. أسئلة تحتاج لأجوبة .

قال بلسم : جميل! .. ولكن القتلة هل كانوا يعلمون بوجود رفاقه معه في المزرعة ، ثم انصرافهم ؟ ..وما الذي كان بين ناصر زوج ابنته ورفيقه وحامد ؟!

ـ لابد أنهم يعرفون عاداته بالسهر مع رفاقه كل ليلة .. وعادة الانصراف مع نصف الليل .. ولكن الأصدقاء انصرفوا قبل الحادية عشرة ليلة الجريمة .. لماذا ؟ .. وقد غادروا بدون الاستئذان من الرجل ؛ ألأنهم أحسوا بأن الجو غير مناسب للسهر ولعب الورق ؟!

قال بلسم: ولماذا كان لقاء ناصر به في المزرعة ؟ ولماذا أخذ معه المدعو غسان ؟ .. والشجار الذي سمع الرفاق بعضه .. ما موضوعه ؟ هل كان الحديث حول الطلاق كما زعم ناصر لزوجته ؟ لأن عمه أخبره أنه عاجز من إرجاعه لعمله قبل هدوء الأمور بين الشريكين .. الشاب هذا يجب متابعته يا محمود ..إذا أجبنا عن هذه الأسئلة نصل لحل لغز هذه الجريمة .

ـ السيد ناصر هو الآن تحت المتابعة .. ويجري التحري عن السيارة التي شوهدت أمام المزرعة كما أخبر توفيق .. وناصر لم يفصح بتفاصيل لقائه مع عمه في المزرعة

ـ حسنا يا سيدي! سنذهب الآن لمسرح الجريمة نلقي عليه نظرة دقيقة .. ونشاهد حجرة السيد في القصر .. فقد أمرت بإغلاقها ، وعدم دخول أحد إليها ..ونشاهد المزرعة والمسبح هل يمكن أن يكون خنق باليد أم في رباط العنق ؟

ـ التقرير يؤكد الخنق ، ويبين أن أداة الخنق لم تترك خدوش على الرقبة ، والرباط لا يترك أثرا إذا حدث الموت سريعا ..والخنق باليد على شكل دائرة لا يترك أثرا واضحا على العنق أيضا ؛ لأن الشخص يضغط أيضا بقماش أي بكم القميص أو الجاكيت ..ورباط العنق وجد في الماء وحده لم يكن مربوطا في مكانه حول رقبة القميص .

وغادر الضابطان المكتب ، وكان السائق في انتظارهما ، فحيوه وأمروه بالانطلاق إلى مسرح الجريمة للمعاينة في القرية الزراعية ، لدراسة الجريمة ، وطلبا قبل مغادرتهما من ضابط التحقيق الأولي التابع لتلك المنطقة أن ينتظرها عند مدخل المزرعة .



٨

ولما انتهى الضباط من معاينة مكان الجريمة في مزرعة حامد ، قال ضابط المنطقة لهم : لقد استمعت لأقوال أولاد المجني عليه كلهم ، وأمهم وخالهم جابر وابنه عصام ، وزوج ابنته ناصر ورفيقه غسان ..كلهم يرون أن عاصفة عصفت بهم ؛ ولكن أن تحدث جريمة قتل لم يتوقعها أحد .. فالاختلاس والرشوة أعمال تكثر بين الناس .. لذلك الدافع لهذه الحادثة غير واضح بالنسبة لي .. وأقوالهم مدونة في محاضر الشرطة ..ولابد أنكم اطلعتم عليها ..

فقال بلسم : نعم قرأنا الملف كاملا وتقارير الطب الشرعي ..

فقال الضابط : ومع ذلك أرى أن لدى الجميع أقوالا أخرى .. ربما عندما تخف حدة الصدمة سيتكلمون .. ويتذكرون أشياء لم تُقل أمامي .. وأشياء لاحظوها ولم يهتموا بقولها .. فلو عدتم لسماعهم مرة أخرى .. والسيارة التي تحدث عنها رفاق الميت لم يعرف عنها شيء في منطقتنا .. وربما تكون أقوالهم غير صحيحة .. وإنها خدعة وكذبة منهم .. وإنهم ادعوا ذلك لتضليل العدالة .. فهم آخر من رأى الضحية ؛ لكن لا مصلحة أو فائدة لهم لحتى الآن في الجريمة .. فأبو خالد صديق قديم للرجل كما قال ابنه ..

فقال محمود : أتقصد أنهم قتلوه .. وطرحوه في المسبح ؟

ـ احتمال إذا ظهر أن لهم دافعا للاغتيال .. هم آخر من كان في القصر بعد انصراف ناصر وغسان .. وهم الذين ذكروا أنه صعد لغرفته بعد نقاشه الحاد مع نسيبه .. ثم زعموا أنهم خرجوا بدون إخطاره .. مدعين أن التوتر كان يخيم على السهرة .. قطعوا السهرة المعتادة بينهم .. فهم يسهرون على لعب الورق .

فقال بلسم : يلعبون القمار؟

ـ نعم ، يلعبون القمار ؛ ولكن ما فهمته من توفيق أنهم يلعبون عن مبالغ بسيطة .. لإعطاء اللعب الحماس والتنافس .. فليس عن مبالغ تدفع للقتل والاغتيال ..وأنا تركت التحقيق معهم لكم ..

فقال محمود : مكان قتل الرجل أين بالضبط ؟ هل قتل عند المسبح ؟ فتقرير الطب الجنائي يبين أنه قتل أو خنق قبل أن يقذف في البركة .. مع أن حجرته في الطابق الثاني كما جاء في تقريركم تدل على أنه جلس ونام على التخت .. إلا إذا كان الوضع ما كان عليه في الليلة السابقة .

ـ هذه النقطة هي التي تدل على زعم الرفاق الثلاثة أنه صعد إلى غرفته بعد النقاش الحاد بينه وبين ناصر وغسان ..وسيرا الخادمة تقول إنها لا تدخل غرفة السيد .. لترتيبها .. عملها محصور في الطابق الأول ..وعندما يريدون تنظيف كامل الغرف والقصر يسعى البواب إلى جلب بعض الخادمات للعمل عدة ساعات ..

قال بلسم : شكرا على جهودك يا سيدي الضابط .. نحن سنتابع التحقيق في المدينة هناك .. ومكان حدوث الخنق سنعرفه في حال القبض على القاتل .. ولكن عندما يعود الحارس من سفره أرجو التحقيق معه ، وإفادتنا بالجواب عن موعد سفره .. هل كان عفويا أم أن أحدا دفعه للسفر في هذا الوقت تمهيدا للجريمة ؟

ـ حاضر يا سيدي .. والمزرعة ما زالت تحت الحراسة .. ومنذ موت الرجل لم يأت إليها أحد حتى الخادمة أوقفنا مجيئها ، ثم سمحنا لها بالمجيء لإطعام الكلاب .. بل صرح أولاد المجني عليه أثناء التحقيق أنهم سيعرضونها للبيع بعد الانتهاء من معرفة الجاني .

ـ البيع بهذه السرعة!! لعله من باب التشاؤم .. هل من أحد عرض عليهم شراءها ؟

ـ قتله غاية شرائها ؟ .. لم أسمع بذلك .

ـ شكرا والسلام عليكم .

ـ مع ألف تحية وعليكم السلام .

٩

كان مدير المصانع شريك حامد موسى في انتظار الشرطة منذ علم بمقتل شريكه في مزرعته ، لذلك استقبل الشرطة بناء على موعد سابق ، وأدخلتهم السكرتيرة عليه فور وصولهم .. ونهض عن مكتبه مرحبا ومصافحا لهم ، وقد طلب لهم قهوة الضيافة منذ أعلمته السكرتيرة بوصولهم ..وبعد التحية والمجاملات التقليدية .. أشار لهم بالجلوس على المقاعد الموجودة في المكتب .. وجلس هو الآخر على أحدها ، ولما سكن المكان إلا من أنفاسهم قال المحقق الجنائي بلسم : أنت تعلم لماذا جئنا إليك يا سيد سلام ؟ .. فشريكك وجد مقتولا في بركة مزرعته.. ولابد أنك شاركت في تشييع جنازته ..وأنا وزميلي محمود كلفنا في التحقيق والبحث في مصرعه .

وتنحنح الضابط لحظات وتابع قائلا : ونحن للآن لم نعرف الدافع لهذه الجناية .. ولماذا قتل ثم ألقي في الماء ؟.. فكان بالإمكان تركه حيث صرع ..وقد ظهر من إفادات بعض الأصدقاء ومن أقوال زوج ابنته المدعو ناصر ..العامل عندكم في المصانع أنه كان بينكم في الآونة الأخيرة اختلافات واختلاسات وفصل وطلاق أو تهديد بالطلاق .. وأنك يا سيد سلام اكتشفت الرشوة والاختلاس ، وطردت ناصرا على أثر هذه الاكتشافات ..فأسمعنا معلوماتك ورأيك؟

وقبل أن يجيب المدير طرق الباب ، ودخل العامل ، وقدم المشروبات للضيوف ، ثم انصرف مغلقا الباب وراءه ، ولما بدأ الشرب للقهوة ، قال مدير المصانع بعدما مسح فمه بمنديل ورقي : هل لموت شريكي حامد علاقة بطرد صهره ناصر ؟

قال بلسم : لا ندري الآن بالضبط .. لكنه كان في مسرح الأحداث ليلة موت الرجل ..كان بينهم لقاء في المزرعة .. ومن كان قريبا من الأحداث سمع بعض الكلام الحاد .. ولكنه أنكر أن يكون قد تشاجر مع عمه ..إنما كان حديثهم حول إعادته للشغل أو تطليق البنت.. وإنه لا يجب أن يتحمل الضرر وحده .. فغضب حامد وطرده هو ورفيقا له جاء معه اسمه غسان ..

وإنه وهو يغادر أمهله ثلاثة أيام .. ليحسم الأمر .. أمر عودته للعمل معكم ، وغادر القصر هو وغسان .. الذي ادعى أنه رافق ناصر للتوسط بينهم ..

فردد سلام : غسان .. يا غسان !

ـ أتعرفه ؟!

قال متعجبا : كيف لا أعرفه ؟!

فقال بلسم : للأسف أنا لم أره .. فالتحقيق الابتدائي جرى في منطقة الجريمة قبل أن ينتقل إلينا في هذه المدينة .. المهم أن السيد ناصرا طرد ابنة حامد ليلة الحادثة ، وأعلمها أنه ذاهب لمقابلة أبيها لإنهاء الأمر.. وذهب فعلا للمزرعة وبرفقته غسان .. وهناك وجدا رفاق حامد .. فتركوا الرفاق ودخلوا حجرة وجرى بينهم النقاش الذي وصف بالحاد .. وبعض صياحهم كان يصل للضيوف ولكنه غير واضح .. وانصرف الرجلان .. والضيوف أكدوا أنهم لم يسمعوا أي تهديد بالقتل .. كانوا ينظرون للقضية قضية عائلية .. ولن تتطور لقتل وموت .. والأولاد نفوا أي تهديد لأبيهم بالقتل من قبل ناصر .. التهديد كان حول الطلاق .. والعودة للشغل .

وبعد فترة صمت قال المدير : ما المطلوب مني ؟!

قال بلسم : معلومات .. لماذا فصل ناصر ؟ ولماذا يهدد الرجل عمه ؟! .. هل فقط لأنه زوج ابنته ؟ أم له دور في الرشوة والاختلاسات التي ثبتت على ناصر .

ـ هذه أمور تخص الشركة .. وأسرار الشركة ...

قاطعه محمود : ربما يا سيدي هي سبب هذه الجريمة ؟

ـ ربما ..

قال بلسم : وهو شريكك وصاحبك أيضا .

ـ وهو زوج ابنته ..وأنا أخشى أن لا تكون الرشوة والاختلاسات التي أدين بها ناصر لها أي علاقة بالجريمة ..هذه قضية وتلك قضية .. أنا المسئول عن إدارة المصانع هنا والإنتاج يا

سيدي الضابط .. وعملي هنا .. وفي مكتب الشركة حيث يعمل حامد الإدارة الرئيسية والتوزيع والتسويق والسجلات والمعاملات وشراء المواد الخام .. فما يدور هناك متروك لشريكي ..وما يدور هنا لا دخل له فيه .. أما بالنسبة لقضية الرشوة والاختلاسات التي قام بها ناصر فكانت هنا.. المبيعات تخرج لبعض الزبائن بدون معاملات ومستندات ، فكانت هذه الصفقات تذهب أموالها إلى حساب ناصر .. فكانت تباع من ورائي .. وأنا عرفت ذلك من بعض الزبائن .. وبعض محاسبي الإنتاج كانوا حقيقة يلمحون لي بين الحين والحين بالنقص .. ولكن لما تزيد كمية المبيعات المسروقة عن حدها يظهر السر والفضيحة .. وهذا ما كان في الفترة الأخيرة .. فتكشف لي أن ناصرا هو الذي يدير العملية بمعية بعض العمال .. عصابة أيها السادة .. وقد تم فصلهم جميعا .. وكان بالإمكان شكواهم للشرطة وتقديمهم للشرطة .. ولكن الأدلة لم تكن كافية .. إنها أقوال واعترافات لم تكن كاملة .. قد تتغير أمام المدعي العام ..فاكتفيت بطردهم .

قال بلسم : أنت ترى يا سيدي أن هذه الحادثة لا علاقة لها بمقتل حامد .

قال سلام : لا أدري! لا أجد رابطا بينهما إلا إذا تهور نسيب حامد .. وقتل عمه .. أو عصابته في الشركة أصابهم جنون وتورطوا بقتله .. فهو بعيد عن إدارة المصانع

فقال محمود : ألا يكون حامد متواطئا معهم أو مع نسيبه على الأقل ؟

ـ حقا ، لا أستطيع إثبات ذلك .. وإليك قصة ومجمل الرشوة والاختلاسات .. أحد التجار يسأل عن عدم وصول طلبيته (البضاعة المبتاعة).. فأخبره مسؤول المبيعات أنه لا طلبية مشتريات له في الشركة .. وبعد تحقيق تبين أنه يأخذ ويحصل على المواد عن طريق ناصر وعصابته .. ويأخذ منه السيد ناصر رشوة أو عمولة .. أما هل شريكي حامد شريك له .. فليس لديّ فعلا أي إثبات ..وأعتقد أن جواب هذا السؤال عند ناصر .. واليوم بعد موت حامد صعب إثباته .. إلا بأدلة مادية .. أليس كذلك ؟!

ـ صدقت ، لو ادعى ناصر ذلك واتهم عمه بالشراكة يحتاج الأمر لأدلة قوية .. هل تتذكر

شيئا يفيد التحقيق ؟

ـ للأسف الآن لا أذكر شيئا .

ـ لو طلبنا أسماء الرُشاة والذين يشترون خفية عنكم أيمكن تزويدنا بذلك ؟

ـ هذا ممكن إذا كان في ذلك ضرورة .. إذا اضطررتم فأنا في خدمتكم .

ـ شكرا ..وإلى اللقاء .



١٠

انطلق الضابطان من إدارة المصانع إلى إدارة الشركة في وسط المدينة التجارية ، وبعد أن عرفا بأنفسهما للقائمين في الشركة ، ادخلهما المسؤول عن الحسابات إلى مكتب حامد ، وطلبا الحديث مع الفراش ماهر .. ولما أغلق الباب قال بلسم : ذكرت في إفادتك للضابط نور الدين أن المدير تأخر هنا في المكتب هذا بعد انصراف الموظفين أكثر من نصف ساعة عن الدوام المعتاد .. وذكرت أنه كان قلقا مشغول الذهن ، ويظهر عليه بعض الغضب .

فقال ماهر : نعم يا سيدي! .. السيد حامد كان متوترا ، وكانت مشكلة صهره ناصر تقلقه .. وأخبرته بانصراف الموظفين ، فطلب مني التأخر بعض الوقت .. حوالي نصف ساعة .. ولما لبس الجاكيت المعلقة عادة بجانب هذه المرآة ـ وأشار إلى مرآة معلقة على الجدار ، ومثبت بجوارها حمالة ثياب ـ وقبل أن يخرج رن جرس الهاتف .. وفهمت من الكلام أنه سيبيت في المزرعة .. وأنه يتحدث مع البيت .

فقال بلسم : حسن هذا يا سيد ماهر .. وكما تعلم ويعلم الجميع أن السيد مات مقتولا .. فهل يمكن أن يقتله زوج ابنته نتيجة طرده من المصانع ؟

حك الرجل رأسه عدة مرات ، وأخذ يحدق في وجه الضابط السائل وقال : كان بينهم يا سيدي في الأيام الأخيرة مشاجرات ومشاحنات ، سمع بها كل من يعمل في هذه الشركة .. وما أدركته من شجارهم أنه كان حول الرشوة والاختلاسات التي قام بها السيد ناصر .. وأن على السيد حامد أن يعيد ناصرا لمركز عمله .. ويضغط على شريكه بإنهاء المشكلة قبل أن تخرب مالطة .. وحقيقة كان السيد حامد مرتبكا ومضطربا ومنزعجا من هذه الفضيحة .. ويرجئ الشاب بالصبر لبعض الوقت ، وأنه سوف يعود للعمل في المصانع وينتهي الإشكال.. ويطلب منه الهدوء والصبر والصمت .. ولكن ناصرا كان يصر على العودة على الفور .. وحتى أخذ يهدد الرجل بطلاق كريمته فادية .. فهذا أوقع في نفسي حقيقة ريبا وشكا ، وأن بين الرجلين شراكة .. فمهما كان الرجل نسيبا فلا يتحدث مع حماه بالأسلوب الذي كان

يظهر من الشاب ناصر ..لا أدري .. فمن المشاحنات التي كانت تجري أحسست إحساسا عميقا أن الرجل كان يختلس بعلم والد زوجته .. وقد سمعته أكثر من مرة وهو يردد أمامه " لا يجب أن أتحمل المسؤولية وحدي " " ولا يجب أن تتشوه سمعتي وحدي " " وعملي في الشركة سيرد لي اعتباري وسمعتي" .. فهذا في حدود معرفتي تهديد مبطن .. وكان السيد ناصر وقحا وشرسا .. وهو لا يعمل في هذا القسم فمكانه هناك في المصانع ؛ ولكنه يتردد كثيرا علينا هنا ..كنا نرى ذلك بحكم العمل والمصاهرة .. أما القتل بسبب ذلك لا أستطيع أن أقول هذا .. يمكن أن يكون ذلك بسبب المشكلة .. ومع ذلك لم أسمعه يهدده بالقتل يا سيدي .

قال بلسم : أحسنت يا سيد ماهر! .. أنت رجل شريف وحر .. السيد سلام هل أدرك ما أدركته أنت من تواطأ بين حامد وناصر ؟

وضع ماهر نظره في الأرض دقيقة ثم قال بحزم : أعتقد ـ والله أعلم ـ أنه أدرك ما أدركته من علاقة بينهم .. وناصر عصبي المزاج ، وأعتقد أنه تكلم بشيء من ذلك أمام السيد سلام ؛ ليخفف سلام من غضبه وهجومه عليه .. وجرى لقاء حاد بين سلام وحامد هنا في هذا المكتب .. ولكني لم أسمع منه شيئا واضحا ؛ لأن السيد حامدا أغلق الباب بالمفتاح من الداخل ..وقد سمع بعض الصوت العالي .. ولما خرج سلام من المكتب كان بادي الغضب والضيق .. وحتى أنه من شدة غضبه لم يلق التحية علينا على غير عادته يا سيدي .. وهم شركاء منذ زمن .. وأعتقد أنها كانت صدمة كبيرة لسلام عندما علم أن صديقه يسرقه كما خمننا بواسطة صهره .. وناصر عمل في الشركة منذ سنوات قليلة ، وبواسطة حامد ، وبعد أن تزوج من ابنته فادية .. من ورط الآخر لا ندري أو أنا لا أدري ..عين للعمل في المصانع .. والإنسان طماع .. والشركة منذ ثلاث سنوات تعاني كما أسمع من مدير الحسابات .. وأرباحها قليلة .

فتكلم الضابط محمود بعد سماع ماهر وصمته الطويل : إذن كان نزاع خفي دائرا بين سلام

وحامد .

ـ هذا أعتقد يعرفه كل من يعمل هنا.. وكان السيد حامد منذ لقائه الحاد بسلام يدخل مكتبه.. ويتحدث بعض الوقت مع الموظفين .. ثم يغادر المكتب عند الظهيرة ساعتين ، وقبل انصراف الموظفين بنصف ساعة يعود للمكتب حتى ينصرف الموظفون ، فيمكث بعض الوقت ثم نغادر معا.. الأمور مضطربة ومرتبكة بعد فضيحة ناصر .

قال بلسم : القتل .. ألم يتحدث به أحد؟

ـ لأ ، وكان المتوقع الانفصال بين الشريكين ..والسرقات كانت تحدث قبل وجود ناصر في المصانع ..ولكن سرقاته كانت مدوية وكبيرة .

ـ ألم تسمع أي شيء من لقاء الرجلين ؟

ـ لو سمعت شيئا لقلته لكم ..عندما يغلق الباب إغلاقا تاما من الصعب سماع الكلام .. ولكن الحال يدل على أن اللقاء كان عاصفا وحادا .

وقف الرجلان وتبعهما ماهر أيضا وقال بلسم : إذا تذكرت أيها الإنسان الصالح شيئا يفيد التحقيق .. فبلغنا به .

ـ سأفعل يا سيدي .. وأحب أن أقول قبل انصرافكما أنه كانت هناك بعض المشاكل في البيت بين الرجل وأسرته .

ـ كيف ؟!

ـ كنت أسمع الرجل أحيانا يسب على زوجته وأهل بيته على الهاتف طبعا .



١١

كان الضابطان يجلسان في مكتبهما يتحاوران حول المعلومات التي تم جمعها عن حادث مصرع السيد حامد موسى .. وبعد نظر في التقارير والبيانات المتوفرة بين أيديهما ، قال محمود صبري : هل تحدثت مع الشريك سلام عن الحوار الحاد الذي جرى بينهما في مكتب حامد ؟

ـ لم ينكر هذا الحوار .. واعترف أنه كان حول اختلاسات زوج ابنته ناصر وعصابته .. واعترف له الرجل بأنه ليس بينه وبين السيد ناصر أي اتفاق .. وصارحني بأنه لم يصدق ذلك رغم قسمه .

ـ إذن كان اللقاء كما اعتقد السيد ماهر ..

ـ أجل .. هل وصلت كل المعلومات حول الأشخاص الذين طلبناها من إدارة التحريات والمباحث الجنائية ؟

فقال محمود : بعضها وصل ..أنا اتصلت بحرم السيد حامد ..وسألتها مباشرة أكان عندها علم بما كان بين زوجها والسيد سلام ؟.. فأقرت أن الرجل غاضب جدا من زوجها.. وطالبه بتغطية كل ما اختلسه زوج ابنتها.

ـ لم يتحدث سلام معنا عن هذا الطلب ؟

ـ وهي لا تعلم قيمة المبلغ المطلوب ؛ ولكنها تراه مبلغا كبيرا ، وسبب لزوجها الهم والغضب من ناصر ومن شريكه .. وسأتحدث بذلك مع ناصر .. لعله يعلم قيمة هذا المبلغ ..

ـ لابد أنه يعلم أليس هو السارق؟.. هذا تطور جيد .. أهناك معلومات أخرى ؟

ـ هي لا تعرف كم هو المبلغ الذي طالب سلام به .. وأشارت ربما يكون أخوها جابر على علم به .

ـ جابر .. شقيقها .. ما معلوماتنا عنه ؟

قال محمود : علاقته مع حامد علاقة قرابة ونسب ؛ ولكن يبدو أنه في الآونة الأخيرة كان بينه وبين حامد شغل قال ذلك أحد الأبناء .

- عصام ؟

- لأ ، ابن آخر ..

قال بلسم : ألا يوجد أنباء عن السيارة التي كانت أمام المزرعة ليلة الحادث ؟

- لحتى الآن لا معلومات عنها .. ورفاق حامد يصرون على عدم معرفة من كان فيها ..كانوا خارجين والسيارة مطفئة الأنوار ..ولكن لما اقتربت سيارتهم منها شاهدوا الأشخاص الثلاثة ، وكان ذلك في لمحات خاطفة .. السائق .. وبجواره آخر .. وامرأة في المقعد الخلفي .. ومروا مسرعين متظاهرين أنهم لم يروا ركاب السيارة .. لأنهم عندما خرجوا لاحظوا أنهم أطفأوا أنوار سيارتهم .. كأنهم يقصدون ألا يتحدثوا مع أحد ..والسيارة من نوع (تويوتا كورولا اليابانية) ولونها أزرق .

فقال الضابط بلسم : إذن كان وقت انصرافهم قرب الحادية عشرة ليلا .. وأعتقد أن لها دخلا في جريمة المزرعة .. لأجل ذلك اختفت .. يبدو أنهم جاءوا للقاء السيد حامد .. ولما شاهدوا السيارات انتظروا حتى خرجت كل السيارات من المزرعة وبقي حامد ..

فقال محمود : يبدو أنهم جاءوا بدون موعد ..وأحبوا أن يكون حديثهم على انفراد بالرجل .. فانتظروا حتى انصرف ضيوفه ..

- والرجل لم يكن إلا على موعد مع ضيوفه الثلاثة .

- سأتحدث معهم شخصيا .

- افعل .. لعلهم بعد أن خفت حدة الإزعاج والتوتر الذي أصابهم يتكلمون بشيء جديد .. أما أنا فسأزور بيت حامد .. وأتحدث مع أسرته وأولاده من جديد.. وأعرف ما مدى المشاكل بينه وبينهم في الفترة الأخيرة ..وأنظر أوراقه في البيت مرة ثانية .



١٢

استقبلت زوجة حامد ضابط الشرطة المحقق في قضية مقتل زوجها ببرود وقلق وبعدما جلس الضابط جلست مقابلة له فقالت : ماذا يريد حضرة المحقق منا اليوم ؟!

لاحظ الضابط التوتر النفسي عليها بوضوح وأنها منزعجة جدا فقال لها باسما : نحن يا سيدتي إزاء جريمة قتل متعمد .. قتل زوجك السيد حامد ! ولن يهدأ لنا بال حتى نصل للجناة ..يا سيدتي .. فكلما توفرت لنا معلومة تساعدنا في القبض على الجاني علينا مساءلة من لهم علاقة بها ..فعليك أن تتحملي ذهابنا وحضورنا إليك ..علمنا أن مشكلة مالية كبيرة كانت بين زوجك وشريكه .. وعلمنا منك أنك لا تعلمين قيمة المبلغ المطلوب للشريك سلام .. السؤال وضعكم المالي في الأسابيع الأخيرة هل كان مستقرا ؟

قالت بجفاء: يا سيدي ..لا أدري ما الغاية من وضعنا المالي بالنسبة للتحقيق ومقتل حامد ؟!

ـ جميل هذا الاعتراض .. نحن عندنا أحد الفروض لارتكاب هذه الجريمة المال .. المال وراء ارتكاب هذه الجريمة ..أزمة مالية عصفت بالشركة .. عندما تكشف للسيد سلام السرقة التي قام بها صهرك زوج ابنتك في الشركة ..

قالت بحدة : لا أعتقد أن لفعلة ناصر دخل في مقتل زوجي .

ـ هذا نحن نقرره ..مع كامل الاحترام لك ..لماذا قتل الرجل برأيك ؟

ـ لست أدري .. بالنسبة للبيت ليس عندنا مشاكل مالية يا سيدي ..وأما في الشركة فلا أدري الوضع المالي فيها ..والذي ضايقنا في هذه القضية هو تهديد زوج ابنتي لحامد بطلاقها ..ولماذا يحشرها في مشاكل الشغل والعمل ؟ ولماذا يريد أن يحمل عمه جريمته ؟! فهذا ما غاضنا جميعا ! جعل من زواجه من فادية ورقة مساومة .. أليس هذا إجراما ؟!

ـ طبعا هذا فعل أخرق إلا إذا كان زوجك متورطا معه يا سيدتي ..كما يعتقد شريك زوجك ولهذا طلب المال من زوجك ؟

ـ هو الآخر مجرم .. زوجي غير متورط في اختلاس ورشا .. ولكن صهرنا سيء واستغل

زواجه لأبنتا ليختلس من الشركة مدعيا أن حامدا شريك له .. هذا كذب يا سيدي ..

ـ لا بأس .. هل من علاقة تجارية خاصة بين أخيك جابر وحامد ؟

ردت بسرعة وحدة : لأ .. حامد لا يبيع لجابر شيء .. وإذا وجدت بضاعة من مصانعنا عند محلات أخي وأولاده ..فتكون عن طريق مورد يأخذ من عندنا .. فحامد لا يحب أخي جابرا.. وجابر مثله .. علاقات باردة للغاية .

حدق الضابط في عينيها وقال : صحيح هذا .. لكن العلاقات التجارية ليس الحب سببها .. ولدينا معلومة يا سيدتي أن حامدا في الفترة الأخيرة طلب من جابر مالا .

ترددت قليلا ثم قالت : هذا ممكن .. ولا أعتقد أن ذلك ثمن مبيعات .

ـ أمتأكدة من ذلك ؟

ـ اسأل جابرا الجواب عنده .. أنا حسب معرفتي أن أخي لا يأخذ موادا مصنعة من عند حامد مباشرة لمشاكل قديمة بينهم ، وتعسره في السداد والاتكاء على زواجه مني .. وها هو توفيق اسأله .

التفت الضابط نحو توفيق وسعيد وقال : هل بين والدكم وخالكم معاملات مالية ؟

قال توفيق : ممكن .. استلاف وسداد .

ـ أنتم كيف علاقتكم بحضرة الوالد ؟

رد سعيد كأنه متفاجئ من الاستفهام : علاقتنا بأبينا ؟!.. كعلاقة سائر الآباء والأبناء يا سيدي المحقق .

ـ ألم يكن بينكم مشاكل مالية ؟

هب توفيق قائما وهائجا ومحتجا : يا سيدي هل يعقل أن نقتل أبانا لمشاكل مالية فرضا أنها كانت بيننا ؟

ـ ولم لا ؟..هذا يحدث في دنيا الناس .. المجلات والصحف تجد فيها أنباء أبناء يقتلون آباءهم من أجل المال والميراث .

فصاح توفيق ثانيا : ولكننا لم نفعل يا سيدي ..لماذا نقتل أبانا ؟! .. فنحن نعمل بعيدين عن الوالد .. ونحمل شهادات جامعية .. أنا مهندس وكذلك أخي ..

ـ اجلس وهدئ من انفعالك ..المال يا سيدي المهندس سبب الكثير من الجرائم الصغيرة والكبيرة .. اطمئن لقد تحرينا عنكم جيدا ..ونعلم أن والدك يا سيد توفيق لم يكن على علاقة جيدة بزوجتك.. وحاول منعك من الاقتران بها ..نحن نقوم بواجبنا على قدر طاقتنا .. وسنصل للمجرم بإذن الله ﷻ .

١٣

ـ سيد سلام كم أردت من السيد حامد عندما تشاجرتم أو تناقشتم في مكتبه في الشركة ؟

ـ قدرت يا سيدي قيمة البضائع المختلسة والمسروقة بواسطة ناصر ، فكانت حوالي مائة ألف دولار ، وألزمت حامدا بخمس وسبعين ألف وإلا تقدمت بشكوى ضد المذكور ناصر وعصابته .. وتعهد لي الرجل بدفعها.. وتعهد لي بعدم عودة ناصر للعمل.. وأنا قدرت العشرة والشراكة .. فنحن شركاء منذ أكثر من خمس عشرة سنة .

ـ وكيف وعدك بسدادها؟

ـ تعهد لي بذلك وكفى .. ولم ندخل في تفاصيل السداد .. وعرض تقسيم الشركة .. فرفضت ذلك ، قلت له : سدد هذا المبلغ المسروق ..وبعد حين نقسم الشركة .. فوعد وتعهد بالتسديد

ـ وجابر أخو زوجته ما دوره بينكم؟

ـ جابر تاجر كبير وقديم .. وهو أحد الذين كانوا يأخذون البضاعة المسروقة عن طريق ناصر .. وأعتقد أن حامدا كان على علم بذلك .

ـ هل تقصد أن ناصرا كان متآمرا مع حامد ؟!

ـ هذا اختلاس له سنوات كما تبين لي ..وهو اختلاس منظم .. ولا أعتقد أن حامدا يجهله مثلي ولكن تهديد ناصر لحامد يثير الريبة .. وردد أمامي أنه لا يعمل وحده .. وأنه سيخرب مالطة والمصنع إذا طرد من العمل .. إنه لا يعمل وحده ..وليس لديّ إثبات حازم في القضية .. ورضوخه لدفع الغرم يزيد من التأكيد أن له يدا مع ناصر . وكان يخشى التشهير في الموضوع ويخشى طلاق ابنته .

ـ جابر لا يستلم مشترياته من هنا مباشرة ؟

ـ منذ زمن بعيد حدث بيننا إشكال ، كان يتقاعس عن التسديد ويماطل ويعتمد على حامد ، فطلب مني شريكي وقف التعامل معه .. فوافقت وساءت العلاقة الشخصية بينهما .. وأنا تفاجأت بشرائه مواد مسروقة .. وهو يعلم أنها من مصانعنا .

ـ أخيرا يا سيدي ..حامد كيف هو مع أفراد أسرته ؟

ـ أولاده يشتغلون في شركات خاصة بعيدين عن عمل والدهم .. زوجته لا تتدخل في عمله حسب معلوماتي .. لكنني سمعت أن له بعض المشاكل مع زوجات أولاده .

ـ أشكرك يا سيدي ..فلنذهب لمقابلة السيد جابر وعصام .



١٤

استدعي السيد جابر إلى دائرة الأمن لمقابلة الضابط بلسم وزميله محمود ، وكان الاجتماع في غرفة خاصة لتسجيل الحوار دون معرفة السيد جابر ، وكان هذا اللقاء بعدما كملت التحريات عن السيد جابر ، وبعد الترحيب والحديث عن الصحة وشربه لفنجان القهوة قال بلسم : يا أخ جابر ..أنا قرأت إفادتك في التحقيق الابتدائي في مقتل زوج أختك ..قلت إن أختك تحدثت معك عن اختفاء حامد صباح اكتشاف الجثة ، فحضرت أنت وعصاما وسرتم للمزرعة .. وهناك صعدتم حيث ينام توفيق الذي ذهب من الليل ليبحث عن أبيه الذي لا يرد على التلفون ، وكانت الساعة قريب الثامنة صباحا عندما دخلتم المزرعة .. ثم حضرت الخادمة ، وهي في طريقها لإطلاق الكلاب من بيتها اكتشفت جثة الرجل مطروحة في حوض سباحة المزرعة .. سؤالي الآن هل علاقتك في الأيام الأخيرة جيدة مع السيد حامد ؟ ..أو هل طلب منك مالا ؟

ـ يا سيدي أنا علاقتي الخاصة بزوج أختي وقريبي حامد لم تكن طيبة منذ القدم .. إنما هي علاقات رسمية .. علاقات مجاملات ومناسبات فقط .. وحتى أفراد أسرتي معهم كلهم هكذا .. علاقات غير ودية .. لكن العمل يتطلب منا في بعض الأحيان بعض المعاملات المالية بحكم المصالح والاضطرار .

ـ هل طلب منك مالا في الأيام الأخيرة ؟

ـ طلب مالا يا سيدي الضابط .. أقول بصراحة أنا أستورد مواد غذائية من الداخل والخارج وكان الغبي ناصر صهر أختي زوج ابنة حامد ..يبيعني المواد المنتجة بمصنع زوج أختي بأسعار رخيصة .. وأعرف للأسف أنها مسروقة من المصنع بدون علم السيد حامد وشريكه سلام .. ولكن بعد زمن علمت من ناصر نفسه أن زوج أختي على علم بهذا التهريب دون علم السيد سلام .. وبضاعة رخيصة مغرية للتاجر يا سيدي الضابط .. والطمع المجبول على البشر له دور .. أو شطارة كما يسميها البعض .. كنت أعقد أنا نفسي معه توريد صفقات

سرية .. وكان السيد حامد يعتقد أنني لا أعرف بتعاونه مع ناصر .. واستمر البيع هذا لسنوات مضت ومع مرور الوقت ينسى المرء صواب وخطأ طريقة التوريد ..فلما اكتشف سلام الخداع من ناصر والذين يتعاونون معه من أفراد العمل .. غضب وعرف مكر شريكه وسرقته له فأصابه ألم وضيق .. وألزم زوج أختي بخمس وسبعين ألف دولار أمريكي لحسابه الخاص بدل كل هذا الخداع طوال كل هذه السنوات .. مبلغ لا يدخل خزائن الشركة .. والحق أنني أنا الذي سربت لسلام أمر التهريب ..لأن السيد ناصرا زاد طمعه وزاد عمولته من خلف زوج أختي حامد .. وأخذ يتلاعب فيّ .. المهم من الزعل والضيق سربت معلومة لسلام شريك حامد .. وكان قصدي تخويف ناصر حتى لا يلعب بذيله .. ويبدو أن السيد سلاما كانت لديه شكوك حول الموضوع .. فكبر الأمر ، وروقب ناصر، وقبض عليه متلبسا بالتهريب من وراء المدير .. واعترف ناصر بخيانته وتورطه بالسرقة .. وحاول استغلال اسم حامد معتقدا أن المدير سلاما سيخفف من هجومه ولا يتقدم بشكوى للمدعي العام .. وكشف التحقيق السري ناصرا وعصابته وظهر الاختلاس ، واعترف بعض التجار بالرشاوي التي كانت تدفع لناصر ومن معه .. ففصل الجميع من الشركة ..وناصر أخبر السيد حامدا بأنني أنا الذي أفشيت السر وفضحت المستور ..ولما تعهد بدفع المبلغ الذي فرضه عليه سلام أراد السيد حامد أن أدفعها أنا ..فرفضت بشدة ، وأنكرت تسريبي للأمر ، واتهمت ناصرا بالكذب لخلط الأوراق.. وتدخلت أختي في الموضوع ..وإنني لا يلزمني شيء نحوه ..ولكن حامدا أصر وأرادها مني .. ولكني أبيت وقلت له " لا حق لك عندي " .. أنا كشفت أمر ناصر .. ولم أكن أعلم أنك متفق معه ومتورط ، فكذبني وقال : إنك تعلم وناصر أعلمني أنك تعلم إنني أعلم بهذا التوريد .

ـ هذه كله عرفناه بطرقنا الخاصة ..يا سيد جابر قل لنا الآن دورك في الجريمة ؟

ـ دوري .. لا دور لي يا سيدي ؟

حملق الضابطان في جابر وقال بلسم : يوم الجريمة علمنا من أحد عمالك أن السيد حامدا

اتصل بك وأنت في المتجر .. وأكد عليك للذهاب إلى المزرعة ليلا بالمال.. وسمعك العامل وأنت ترفض وتصيح غضبا .. وتضع السماعة وتقول بصوت مسموع للعمال وأنت تقول لعصام الذي كان يتابع ردك وغضبك : المجنون حامد ! ..يريد لقائي في المزرعة ويريد الشيك الليلة.

ـ حصل يا سيدي ولكني لم أذهب ليلتها .

ـ بل ذهبت يا سيدي .. فضيوف حامد رأوك وأنت وابنك وامرأة وهي أختك زوجة حامد.. رأوك وهم منصرفون من المزرعة قبيل الساعة الحادية عشرة بعد شجار حاد بين حامد وزوج ابنته تلك الليلة ..كنتم أمام المزرعة بمائة متر .. تنتظرون مغادرة الضيوف ..السيارة مطفئة الأنوار من نوع (تويوتا كورولا زرقاء اللون) ولكنهم بأنوار سيارتهم قد لمحوكم .. رجل في مقعد القيادة وآخر بجواره ، وامرأة في الكرسي الخلفي .. ونحن وجدنا السيارة معروضة للبيع في حراج بيع للسيارات ، ووضعت فيه في اليوم التالي للجريمة وهو يوم اكتشاف الجريمة .. وهي باسم ابنك عصام .. وقمنا بالبحث عن جميع سيارات العائلة ومن لهم علاقة بالأسرة .. ولو كانت السيارة بريئة لما اختفت .. وصاحب معرض بيع السيارة المستعملة أكد لنا أنها تخص ابنك .. المسألة كانت مسألة وقت .. وابنك الآن في الطريق لدائرة التحقيق .. وضيوف حامد عرفوا زوجة حامد .. ولكنهم كتموا الأمر فهم لا يتوقعون أن لكم ولها يدا في مقتل زوجها .

ـ هي لم تقتل زوجها يا سيدي .

ـ هل تستطيع أن تثبت لنا عدم وجودك على مسرح الجريمة يا سيد جابر ؟

تنفس نفسا عميقا وقال باستسلام : أنا كنت على مسرح الجريمة .. بعد ذلك الاتصال الذي أشرتم له وبعد تردد شديد .. اتصلت بأختي وحدثتها بطلب زوجها اللقاء بي في المزرعة .. فجاءت لبيتي ..وأخذنا عصام للمزرعة قبل منتصف الليل .. وكان اتصال حامد بي بعد حديثه مع ناصر فقال : ناصر كان هنا وهو مصر للعودة إلى المصنع .. ومصر على طلاق فادية

وطلب مني المجيء إليه .. فقلت له في النهاية أنا قادم .. اصرف ضيوفك .. ولما اقتربنا من المزرعة وقبل أن ينزل عصام لفتح البوابة رأينا أضواء سيارات الضيوف فأطفأنا نور سيارتنا ، وانكمشنا على أنفسنا، وقال عصام: كأن ضيوف الرجل في طريق الانصراف .

فانتظرنا ريثما ابتعدوا ، واختفت أضواء سيارتهم ، ودخلنا حتى وقفنا أمام القصر .. فصعد عصام مناديا على زوج عمته الذي جاء غاضبا مهدرا ومتضايقا من إحضار زوجته معنا ، وأساء إليها بالسباب ، وطلب مني كتابة شيك فورا بالمبلغ المطلوب ، وإنني يجب أن أتحمل نتيجة الغدر به وفضحه أمام شريكه .. واشتد بيننا النقاش والسباب حتى أن عصاما حاول أكثر من مرة أن يضربه من كثرة ما وجه إلينا من لعن وتجريح .. ولولا تدخل أختي المتكرر لضربه .. ثم فاجأنا يا سيدي بإخراج مسدس من جيب جاكيتته ولوح به علينا من الغضب المتلبس به ، وحاولت أختي ثنيه عن جنونه وعصبيته وتهدئة الوضع ، فقال لها : أنت سأبدأ بك .

وأطلق طلقة على الحائط حقيقة .. نحن لا ندري فعلها قصدا لتخويفنا أو خرجت رغم أنفه وكان عصام قريبا منه يا سيدي فضربه على ساعده بسرعة خاطفة فسقط المسدس على الأرض وخنقه بذراعه .. وصاح حامد ؛ ولكنه من ضغط عصام سقط أرضا .. ظننا أنه أغمي عليه .. ثم تبين لنا موته السريع .. وبعد ذهول وصدمة جررناه إلى المسبح وانصرفنا .. زاعمين أننا لا نعلم بموته .

ـ وعادت الأم للبيت عند منتصف الليل تطلب من أولادها البحث عن أبيهم .

ـ هذا ما حصل يا سيدي .. الموقف كان قاتلا وصادما لنا جميعا .. عصام لم يقصد قتله.

ـ والمسدس .

ـ أخفيناه .





جثة في البركة

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١



١٣

نفس الشعب

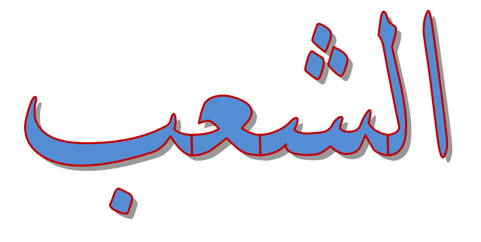
جمال شاهين

لمكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم




نفس


الشعب

عالم الغرب

شارع خالد في المدينة العاصمة الكبرى يمتد لأكثر من خمسة كيلو متر طولا ، في منتصفه جرى الحادث في شارع جانبي متفرع عنه اسمه شارع احمد بن حنبل جرى حادث الاغتيال .

الحادث جرى في أول النهار ، وقع مع الشروق ، لما بدأت الناس تغادر المنازل إلى أعمالها وأشغالها ووظائفها قبل ضغط المواصلات والطوابير .

كانت سيارة صالون سوداء ألمانية الصنع توقفت في أول الشارع الفرعي ، ونزل السائق كما ظهر للشهود ، وأطلق النار على راكب كان بجواره وأرداه قتيلا . وكان الحادث أمام دهشة المارة ، السائق يطلق النار على الراكب الوحيد معه ، تجمهر الناس حول السيارة والسائق ، كانوا يحدقون في القتيل والقاتل كما بدا لهم ، سمع الناس صوت الرصاص ، كان الرجل يقف جهة باب الراكب ، وبعد اطلاق الرصاص أخرج سيجارة وأخذ بالتدخين ، وقد ألقى المسدس في المقعد الخلفي للسيارة ، تكاثر الجمهور ولفظ القتيل أنفاسه أمام دهشتهم ، وبدا للناس أنه في الخمسين من عمره .

اتصل أحد أصحاب البقالة بالشرطة ، وخلال دقائق كانت أقرب سيارة نجدة تقف معهم .

وقال ضابط الدورية مخاطبا السائق الجالس على مقدمة السيارة يدخن واحدة تلو الآخرة :

أأنت قتلته ؟!

فهز رأسه " بنعم "

اتصلت الشرطة بالإسعاف الفوري ، وفريق التحقيق الجنائي ، ومكتب المدعي العام للدولة

قال ضابط الدورية : لست مواطنا محليا يبدو !

قال بهدوء : أنا من عرب عق .

فتجرأ ضابط النجدة فسأل : ماذا فعلت ؟!

قال السائق القاتل بجرأة : أمرت بقتله .. وأنا سائقه.. وبرتبة ملازم مثلك .

دهش الضابط وقال : ماذا ؟! أمرت بقتله وأنت سائقه!

ـ نعم

ـ حسنا .. هي جريمة سياسية إذن !

توجه الضابط للجمهور المحيط والمستمع وصاح : أيها الناس! بارك الله في جهودكم وتعاونكم .. الرجل اعترف بإطلاق الرصاص .. والجريمة جريمة سياسية.. فاذهبوا إلى أعمالكم .

فبدأ الجمهور بعد صياح الملازم يقل رويدا رويدا حتى لم يبق إلا القليل والأكثر فضولا .

حضر المحققون والبحث الجنائي والطب الشرعي ومندوب المدعي العام ، ولما بدأ التحقيق الابتدائي ، قال السائق بتوتر بدا خفيفا : هذا الدكتور القتيل هو وائل البصري عالم الفيزياء النووية في عرب عق .. وأنا سائقه وحارسه الشخصي .. وأمرت بقتله ؛ لأنه كان يسعى للفرار لأوروبا ألمانيا حيث تعلم .

ودفع هوية خاصة أخرجها من قميصه للمحققين ، تبين أنه ضابط استخبارات وأمن في دولة عرب عق . أمر ضابط التحقيق المكلف بعد كشف الطبيب وتأكيد الوفاة بالرصاص بنقل الجثة إلى سيارة الإسعاف ، ونقلها لغرفة التشريح في مستشفى النصر العربي ، ووضعت القيود في يد السائق الحارس ، وأدخل سيارة نقل المجرمين ، ولما انتهى التصوير بنوعيه الفوتوغرافي والفيديوي أمر المحقق بنقل السيارة إلى مكان ما.

لما سجلت البيانات والاعتراف السريع ، نقل الخبر لوازرة الخارجية للدولة التي جرت على أرضها الجريمة والاغتيال حيث نقلته لسفارة حكومة عرب عق ووزارة خارجيتها .

ونقل الخبر كذلك لزوجة القتيل التي تبين أنها عالمة كيمياء ذات عمل كبير في بلدها ، ومحاضرة في إحدى جامعتها ، وسيفرج عن الجثة بعد التشريح وظهور تقرير الوفاة والتشريح بالتفصيل ، ثم تدفن في مدافن الهجرة أو ترحل لبلدها.

قال الضابط الرائد نعيم : لماذا قتل يا دكتورة سهاد الفرد في رأيك ؟!

قالت بصوت متماسك : أنا زوجته ، ولا دخل ولا علاقة لي في مصرعه جهارا نهارا .. كنا أعضاء فريق العمل في تطوير السلاح في دولة القتل والظلم والعبث .

قال نعيم مسكنا من روعها : نحن لا نتهمك يا دكتورة ! السائق الخاص بكما اعترف بإطلاق النار على الدكتور ، وأن الأوامر الأمنية صدرت له بتنفيذ الاغتيال وهو ضابط سري.. وسائق للعالم وائل.

قالت : نعم ، هو الملازم أول سريان أنا أعرف ذلك .. وقد حذرنا قبل الجريمة .. وطلب منا العودة لعرب عق

قال نعيم : ذلك صحيح كما قال.. إذن الدافع رفضكم العودة للبلاد بعد أن قمتم باتصال بسفارات أجنبية سفارة ألمانيا بالتحديد سعيا للهجرة والهرب .

قالت : نعم، رغبنا بذلك ؛ لأننا لو عدنا قتلنا .. فرغم التهديد والوعيد تحدثنا مع السفارة .. ولي لقاء قريب مع السفير أو موظف كبير في تلك السفارة .. السيد درس الدكتوراه عندهم .. ويحمل جنسية مزدوجة .. كنا نرغب بالهجرة والعمل هناك ؛ لكن أسيادنا يرفضون ذلك .. يجب أن نبقى عبيدا عندهم في مختبرات ومعامل سيئة لا تصلح لشيء .



عالمة الكيمياء

سعاد الفرد امرأة الفيزيائي وائل تعلمت في أمريكا علم الكيمياء ، والدهما عالم كبير الفرد جرير ، وكان مهاجرا قديما من بلد عرب عق ، وترك البلد لما سيطر الشيوعيون على الدولة مع أحزاب يسارية أخرى ، وذلك في زمن الاضطهاد والانقلابات العسكرية ، فلم يستسغ نظام الحكم الظالم والمقيد للحريات الفردية والجماعية ، والقائم على التجسس والاضطهاد ، فرأى الخروج من القطر أخف الضررين وأحسن حالا من عرب عق وبلاد الله واسعة .

واستطاع أن يكون عالما كيميائيا في أمريكا ، وتزوج امرأة من أمريكا الجنوبية تعرف عليها في الجامعة ، وولدت له سعاد وسهاد ، ولما تخرجتا من الجامعة تزوجتا من مغتربين مثلهم عرب ومسلمين ، ولم ينجح زواجهما ، وطلقتا ، وكانت سعاد في بعثة علمية في المانيا ، والتقت بالدكتور وائل الذي كان متزوجا أجنبية ، ولما التقى بسعاد كان هو الآخر مطلقا ، واتفقا على الاقتران ، وعادا للوطن ؛ لأن الدكتور كان مبتعثا للدراسة على حساب النظام الحاكم في عرب عق ، وقد قام هذا النظام القومي العروبي على أثر انقلاب على الشيوعيين واليسار الاشتراكي ، والتحقا ببرنامج يقوم به النظام يسمى " برنامج تطوير الأسلحة " في البلد وقدمت لهما كل الحوافز للبقاء والاستقرار في الوطن .

كان الدكتور مبدعا في مجاله ، ومهتما بتسليح جيش عرب عق ، كان الزعيم الملهم للدولة محبا للحروب والمعارك ، سواء ضد خصوم النظام في الداخل أو الخارج سواء في الشرق أو الشمال أو الجنوب .

كان يرى هذا البلد أنه أهم بلدان العرب تاريخا وجغرافيا وشعبا وغنى وجيشا وبشرا ،كان الزعيم الملهم يزعم لشعبه وشعوب العالم والأمم أنه فريد عصره ، وأنه عظيم سيقيم أمة خالدة وحضارة جديدة ، يكتب عنها التاريخ صفحات مشرقة ،ولما انتهت أكبر حروبه مع جيرانه التي لم يحقق فيها الأمجاد المطلوبة والنصر المؤزر والفريد ، سمح لعلماء الديار بالسياحة في بعض البلدان المجاورة ومنها بلاد الوئام حيث كانت علاقته بها متينة وقوية دون سائر

بلدان العربان ، فخرج العالم وائل وزوجته سعاد للسياحة في بلد الوئام كغيرهم من العلماء ، ولخشية نظام الزعيم من هربهم وتشردهم أو اغتيالهم كما يزعم أرفق معهم حراسا أمنيين على شكل سواقين ؛ لأنه يسيطر عليهم بالخوف والقتل وأسرار الدولة .

وكان الإعلال خشية تعرضهم للاغتيال من أعداء الدولة ؛ كأنهم شرذمة من الأفاقين صنعوا دولة في بلاد الاسلام لخدمة أسيادهم الغربيين .

سكن الدكتور العالم شقة ضمن أرقى أحياء وئام ، والحرس والأمن في الطابق الأرضي من البناية ، وكانت السفارة تؤمن لهم المال والطعام والخدمة كلها .

فزعيم ورئيس الوئام صديق شخصي لزعيم عرب عق ، كانت تنقلات وائل مكشوفة للأمن السري ، وكذلك اتصالاته كان متبوعا من الملازم أول سريان أو الرقيب علي وآخرين ، فهو وإن كان حرا في الحركة والكلام ، كان في الواقع محاصرا وتحت الرقابة بزعم الحفاظ عليه من القتل أو الاختطاف ، فهو مسموح له ارتياد كل الأماكن والفنادق والملاهي والمسارح والنوادي ؛ ولكن برفقة أحد حارسيه سريان وعلي ، وكذلك الزوجة سعاد الفرد ، ومهما كانت للرقابة قوة ونشاطا فلها ثغرات ولحظات ضعف وغفلة.

تمارض الدكتور وأدخل مشفى خاصا ، واستمرت القبضة الأمنية بزعم الحماية ، واستطاع عن طريق المستشفى وأحد زواره أن يرسل رسالة خفية للسفارة الألمانية التي رحبت بهجرته فهو يحمل جنسيتها ، ولديه كنز من المعلومات عن بلده ووطنه ، تسيل إليها أجهزة المخابرات الغربية، فهو عالم تطوير أسلحة ؛ لكن كيف سيتخلصون من الحرس للوصول للمطار الدولي؟ واستطاع الحرس المدرب معرفة المحاولة ، لانهم بذلك يحافظون على انفسهم وذرياتهم وأقاربهم ، فلما كشف الاتصال للأمن المراقب ، طلب منه إنهاء الإجازة والعودة لمعمله العلمي ، فرفض الانصياع وأنه بحاجة للراحة لمدة أطول بعد عمل عشر سنوات متواليات قبل الحرب الثُمانيّة ، فجاء الأمر بقتله قبل هربه إلى الغرب العالمي ، ونفذ الحادث بكل بساطة ، وأمام العامة ، وفي بلد الوئام .

ألقت الشرطة الجنائية القبض على السائق دون مقاومة أو محاولة هرب ، واعترف سريان بتنفيذ المهمة الأمنية ، وسجلت الجريمة كقضية سياسية ، وكانت النتيجة أزمة سياسية بين الحكومتين ، وسيكون أمر حلها للزعيمين .. كيف يقتل ويغتال الرجل في بلد الوئام؟!

وكانت سعاد العالمة الكيميائية مهددة كزوجها بالهلاك ، وزاد خوفها من القتل على أثر مقتل زوجها جهارا نهارا دون احترام للبلد المضيف، تريد انقاد حياتها المهددة بأن تسهل الدولة المضيفة خروجها لألمانيا أو أمريكا بعد دفن زوجها.

أصبحت حكومة الوئام العربي في حيرة وارتباك ، فعلاقتها كبيرة ومهمة سياسيا واقتصاديا وعسكريا بعرب عق ، وعلاقتها التاريخية قوية مع أمريكا وألمانيا والغرب عموما ، وتتلقى منهم مساعدات دائمة من عقود ، وهي تحت الحماية والمظلة الغربية منذ تولي الأسرة الحاكمة القيادة والنظام الحاكم بعد سقوط الأسرة السابقة عن سدة الحكم .

هؤلاء الغربيون يرغبون بتسفير العالمة سعاد ، وأولئك يرغبون بعودة الدكتورة سعاد لعرب عق ، ووالدها الأمريكي الجنسية يطالب بسفرها للغرب ، وحكومة عق يطالبون بالإفراج عن رجالهم بدون حكومة وقضاء ، وهؤلاء يقولون الجريمة حدثتهم على أرضهم ، ولابد من قضاء وحكم ، ليغلق الملف ، فسعاد تطالب بحق زوجها والحكم على قاتليه بالإعدام .

قال مدير الشرطة الأكبر وهو يستقبلها في مكتبه الفخم بعد أن قدم لها العزاء ، ووصف لها موقف الحكومة الحرج وقال : نحن لا نستطيع فعل الشيء الكثير يا حضرة الدكتورة .. فالجريمة كما ترين سياسية .. وحتى لو تم قتل وإعدام السائق بزوجك .. فهو موظف وأداة .. فالفاعل الحقيقي معروف لك .. وأنت تعلمين قوة علاقتنا ببلدك خلال الحرب الطويلة .. كانت علاقات مميزة وكبيرة وعلى مستويات مختلفة .. ولولا هذه العلاقة الجيدة ما سمح لكم التطواف في بلادنا .. والقاتل سلم نفسه لم يهرب .. فهو بين أيدينا .. وحكومته تطلب الإفراج عنه.. ومن أجل واحد مهما كان مقامه لا نستطيع قطع العلاقات السياسية والدبلوماسية .. فبيننا مصالح كثيرة .. ولا نستطيع إعادتك لبلدك .. فوالدك الفرد ودول الغرب يريدون

تسفيرك فورا.

قالت بهدوء وترون : أعرف كل ما تقول! الحل بسيط يا سيدي ! الدكتور وقد قتل . . أبقى هنا تحت حمايتكم حتى لا تخسروا دعم بلادي لبلادكم.

قال : نخشى اغتيالك .. قد لا نستطيع الحماية لك .. فشراء الذمم سهل.. المال يا دكتورة المال سلاح !

قالت : أمنوا سفري سرا.

قال : نحن كحكومة نفكر في هذا الحل .. لكن الأمر يحتاج لبعض الوقت ليبدو لعرب عق أننا غفلنا عنك ، ولم نقصر في حمايتك والمحافظة على ذاتك .. ليبدو التهريب أمام الإعلام دون اتفاق وتواطؤ .

قالت : ما المطلوب؟

قال : أن تنتبهي لحياتك وزوارك ومخالطيك.. وعندما تخرجين من البلد لا تتحدثين عن مساعدتنا في إخراجك ؛ إنما فعلت ذلك من نفسك وبمساعدة من السفارة وخيانة من بعض حراسك .

قالت : فهمت ! الأمر واضح يا سيدي!

قال وهو يعتدل قائما ، وتفعل الكيماوية مثله : انسي بعد خروجك من المكتب هذا اللقاء .. اتفقنا .

هزت رأسها بالموافقة .



الشرطة تطمئن العموم

نشرت الصحف تفاصيل عملية اغتيال العالم الفيزيائي وائل البصري الذي دخل البلاد سائحا ثم تعرضه لعملية اغتيال ناجحة في وضح النهار ، وأن الجريمة تصنف ضمن الاغتيال السياسي ، والتي يعجز القضاء الفصل فيها ؛ لأن بلد القاتل هي التي أمرت بقتل أحد مواطنيها ، ولم يكن الضحية مواطنا وثاميا ، ولا لاجئا سياسيا ؛ إنما قدم البلد بصفة زائر سائح ونشرت سيقضي الجاني الأداة حكم الحق العام في السجن ، فلا تعدم الحكومة السائق رغم اعترافه بالقتل والجناية ، الحبس حكمه بسبب المصالح المشتركة بين القطرين الشقيقين ، واذا عفا أهل الدم سيكون هناك حكم آخر .

وكتبت الصحافة الحرة أن الموضوع انتهى ، ولا داعي للتكهنات والإشاعات المغرضة في صحف المعارضة للحكومة وسائر الأحزاب .

وقالت : على حكومة عرب عق الاعتذار العلني لدولة الوثام لقيامهم بالجريمة على أرضنا .

وورد لو كان المقتول مواطنا لتصرفت الحكومة تصرفا آخر ؛ ربما وصل الحكم للإعدام أو الحبس مدى الحياة مع الأشغال الشاقة للقصد والعمد وأداة القتل .

هذا الكلام في صحف الحكومة الرسمية وشبه الرسمية بالطبع لم يرض أحزاب المعارضة ، واعتبر تهاونا وتفريطا بسيادة وهيبة البلد ، وطالبت بالحزم وقطع العلاقات الدبلوماسية وطرد السفير ، وأشارت بعض صحفهم أن الأمر الإجرامي صدر من زعيم تلك الدولة الظالمة فهذا يدل على عدم احترام الدولة وأركانها ، وإهانة لكل مواطن صغيرا كان أو كبيرا .

وانشغل المواطنون في الوثام في قيل وقال ، ونشب العراك بين الصحف التابعة للحكومة والصحف التابعة لأحزاب المعارضة الشكلية ؛ لأنه من المعروف أن أحزاب المعارضة في بلدان العرب والمسلمين أنها معارضة هشة وضعيفة وتزويقية ؛ لأن الأحزاب تلك لا تشكل الحكومات كما نرى في بلدان الغرب ، فالحكام يختارون شخصية مقربة من النظام الحاكم ويقوم بتشكيل قيادة مدنية للبلاد ؛ حتى لو شكل حزب الحاكم حكومة فهي من ناحية

سياسية ضعيفة وبرامجها أضعف، وتعتمد على تعاليم الغرب وإرشاداتهم ، فكنت ترى صحفيا ذي قلم سيال يهاجم الحكومة ، وآخر يرد عليه ، هذا ما جرى في قضية مصرع الفزيائي وائل في بلاد الوئام ، حتى أن صحفا ومقالات في صحف دول أخرى دخلت على الخط عربية أو غربية لتزيد من اشتعال القضية ، وتسلية قراء ورق الجرائد ؛ وربما تزيد الأعداد المباعة .

التقى وزير الأمن في وئام بزوجة العالم المغدور وائل لما ارتفعت الضجة في العالم، فقال : لقد علمت بأنك ترغبين بالخروج من بلدنا ، وأنك ترين على حياتك خطرا بعد اغتيال الحراس لزوجك .

قالت بهدوئها : نعم، يا سيدي الوزير حياتي في خطر قبل الاغتيال وبعده ..وأنا حدثت مدير الأمن بهذه الأخطار ، وتحدثت مع السفارة الألمانية ، ورحبوا بسفري إلى بلادهم .. وأنا أحمل الجنسية الأمريكية .. وولدت فيها.. فأنا أعتبر أمريكية ؛ لكن زواجي من الدكتور وائل دفعني للعودة معه لبلاده .. وهي وطني الأصلي أصلا .

قال : السفارة الألمانية ماذا قالت؟

ردت : رحب السفير بنفسه بي .. وطلبوا مني التنسيق معكم للخروج ؛ كأن الأمر بدون علمكم للعلاقات القوية بينكم وبين وطن وائل.

قال : نحن نحب سفرك بدون عوائق ..ولدينا طلب من حكومتك بلدك الأصلي بإرجاعك إليهم .. ولكننا نعلم الخطر المحدق بك .. وتحدثت السفارة معنا لحمايتك وتسفيرك .

قالت : سأخرج على صورة هروب يا سيدي ! .. وقاتل زوجي هو الزعيم بنفسه

قال : أنت تتهمين صراحة الزعيم بدم زوجك !

قالت : الرجل معروف بشهوته الإجرامية وشدته بحجج كثيرة .. هو ديكتاتور ومعلوم بذلك .. هو يحب هذا الوصف .. هو يتشبه بهتلر وستالين وماو وزعيم مصر في الخمسينات .. وهو يزعم أنه أعظم وأعبقر منهم .. فكل العالم الحر يعلم دمويته وإجرامه ..

فلم يقتل زوجي وائل إلا بإشارة منه شخصيا .. فوائل عالم كبير .. وكان باستطاعته أثناء دراسته في المانيا أن يقبل عروض العمل في أوروبا والولايات المتحدة .. لكن المسكين أحب خدمة وطنه وتسديد دين تعليمهم له .. وشارك العلماء في حربهم الأخيرة .. فهو كبير لا يستطيع أحد أن يمسه بدون ترخيص من الزعيم القاتل .

قال وزير الأمن : ولكنه في مؤتمر صحفي عقده قال إن خطأ حدث ونفذ الأمر بدون علم القيادة الثورية لقرار سابق صدر أثناء الحرب وقرارات الحرب والطوارئ تختلف عن قرارات السلم والهدنة .

قالت بدون انفعال : إنه يكذب يا سيدي ! هل تريد من زعيم فرض على حكم أمة أن يعلن ويعترف أنه أمر بقتل دكتور فيزياء .. وعنده مئات العلماء.. لو اعترف بجرمه سيهربون .. هذه سياسة عامة يا سيدي الوزير ! من يحاسب في نظام ديكتاتوري؟! سمح لنا بالخروج لتوقف الحرب؛ لتغيير جو ولبلدكم فقط .. وكنا سنذهب للغرب لا حبا به ؛ بل للحرية للقانون .

قال : على كل أنت تحت حماية الأمن والمخابرات.. فلا نريد جريمة أخرى .. حتى زعيمنا العظيم غضب لحدوث الجريمة على ساحة وطننا ، وعتب على زعيمكم وتحدث هاتفيا معه شاكيا ولائما .

قالت : وماذا رد الزعيم الملهم ؟!

ابتسم الوزير وقال : لا أعلم .. ولكنه هل سيقول أنا أمرت بقتل الدكتور ؟! قال هذا قانون عند المخابرات ينص على أي شخص مهما كانت صفته عالم وقيادي يهرب للغرب أن يموت بدون محاكمة .

قالت : الديمقراطية الشوهاء خير من الدكتاتورية .. لم يحب زوجي الحياة في أمريكا لما أنهينا الدراسة في ألمانيا .. والدي وأنا رغبناه بذلك كان مخلصا لوطنه .. أحب أن يخدم وطنه ..فقد علموه وأنفقوا عليه.. واعتبر ذلك دينا في رقبته .. وها هو سدده من دمه .

محاولة الهرب

لما اشتغل العالم البصري مع العلماء في برنامج تطوير الصواريخ والسلاح في بلده العربي لم يكن مرتاحا في العمل مع الفريق الفني ، ولا حتى مع الضباط ، كان عليه ضغط نفسي رغم قيامه بتطوير وتحديث بعض النماذج من الصواريخ ، كان بينهم من يحقد عليه في صفوف الفنيين والعسكريين وحتى السياسيين ؛ لأنه عالم فقط ، لم يكن في حزب الزعيم ولا السياسة كان هاويا للعلم والفكر ، وقد فضل العمل في بلده على البقاء في أوروبا رغم الإغراءات والحوافز التي قدمت له ولزوجته للبقاء ، أحب رد الجميل لبلده الذي أتاح له الدراسة وأمور أخرى .

لكن الاحتجاج وخلق المعاذير في نظام مغلق مظلم يعنى الموت ، صمت على مضض كغيره من العلماء منتظرا فرصة للهرب ، لما توقفت الحرب بعد سنين طلب إجازة لإراحة نفسه من ضغوط سنوات الحرب .

فقد سمحت القيادة العسكرية للعلماء بالخروج لبعض البلدان المجاورة لضمان سلامتهم ، ومتابعتهم باسم الأمن والحماية لذواتهم ، ومراقبتهم في نفس الوقت ، وخشية هربهم فتذمرهم أثناء الخدمة وهمساتهم كان معروفا لأمن معسكرات التصنيع والجيش ومعامل الجامعات .

سمح له بدخول دولة الوئام حيث العلاقات جيدة ، فخرج وسكن في شقة مفروشة وحديثة وهو في قرارة نفسه يريد الهجرة ، لا يحب السياحة ، فقد ساح في أوروبا حتى شبع ، هو يعلم جيدا أن سائقه ومرافقيهم أمن سري ، ولم يجتهدوا في إخفاء ذلك ؛ وربما عاداتهم وطباعهم وتجسسهم على بعض لا يسمح لهم بالتخفي والسرية ، وشارك الزملاء العلماء نزهاتهم وحفلاتهم في الوئام .

العلماء لهم أصدقاء وزملاء دراسة أو عمل أو مراسلات في بلدان من العالم ، وعادة العلماء يتراسلون، يتبادلون الأفكار ، وربما الزيارات ، وتمكن وائل من تهريب رسالة مطولة عن طريق زائر أمريكي تصادف وجوده في وئام ، والتقيا في سهرة ، ولما دخل المشفى كتب الرسالة وأعطاها للأمريكي ضمن كتاب تناوله من الأمريكي تظاهر أنه أخذه ليتصفحه ، والأمريكي

بدوره أوصلها للسفارة الألمانية في مدينة وئام العرب .

ورحبت السفارة بذلك ، وبدأت الإعداد لإخراج الزوجين سرا عن عيون أمن عرب عق ، فهما معروفان على مستوى العالم من الناحية العلمية والأكاديمية .

علم الأمن السري وأمن سفارة عق بالاتصال الخفي بين العالم وسفارة المانيا ، اكتشف الخيانة في نظرهم ، وأدركوا أن الدكتور يفكر بالهرب ، وأنه اتصل بالسفارة من ورائهم ، لأن السفير اتصل به في بيته وطلب اللقاء به في السفارة أو في بيته ، فأدرك الأمن أن الدكتور اتصل بهم بطريقة ما ، فأخبرت القيادة الأمنية في بلد عرب عق ، فطلبوا منه عدم مقابلة السفير ؛ لأنهم خشوا إن دخل السفارة لا يخرج منها ، ويتعقد الأمر ، فالسفارة أرض ألمانية في القانون الدبلوماسي الدولي ، فرفض العالم الانصياع والعودة ، فهو لم يقض إجازته بعد ، وهو لن يقابل السفير ، وهو مازال مريضا متوعكا لم يبل من الوعكة التي أدخلته المشفى .

وكانت إحدى الحيل المطروحة أن يمكث في المشفى ، ويستبدل حتى يصل المطار وتتحرك الطائرة ، رفضت السفارة لبلده باستمرار علاجه في وئام وسيكمل المعالجة في عق ، فرفض الاقتراح . فصدر الأمر بتصفيته علنا وفي وضح النهار ؛ كما وصفنا الجريمة في أول القصة ، وظهر أمام العامة أن السائق سريان أطلق عليه الرصاص ، ومات أمام الجمهور ، وانتظر الجاني حتى حضرت الشرطة والتحقيق . وهكذا تخلص النظام القاسي من عالم الصواريخ المتطورة ؛ لتفكيره بالهروب إلى أوروبا ، فهم الذين علموهم فعليهم أن يخدموهم حتى الموت وها قد مات .



تبين للتحقيق الجنائي أن المسدس الذي استخدم في الجريمة في شارع ابن حنبل مسدس السائق ، لم يكن هو أداة القتل ؛ أداة الجريمة سلاح آخر ، كما قال خبراء فحص الأسلحة ، وأن السائق كان كاذبا ، وتظاهر هو بالفاعل ، وكان مخادعا للتحقيق ، إذن هناك فاعل آخر ، ومسدس آخر ، لم تخرج الطلقات القاتلة من مسدسه الذي سلمه للشرطة ، وشهد الناس أنهم سمعوا صوت الرجل في نزعه الأخير ، وفسر أن القتل حدث ، ثم فعل المشهد الاستعراضي أمام الناس لتضليل التحقيق ، وأن الرجل مات قبل وصول الإسعاف ، ليقال إنه قتل من رصاصة السائق التي على أثرها هرع الناس لمسرح الجريمة ، تمت عملية القتل في مكان آخر ، ولم يشهد أحدهم هرب أحدهم ، وعندما تجمهر الناس ، لم يكن إلا قاتلا واحدا ، ووقف السائق أمام العامة يخبرهم بأنه الفاعل ، وضباط الدورية أدركوا الجريمة بعد دقائق من حدوثها . والسائق يصر أنه المنفذ ، ولا يوجد بحوزته سلاح آخر ، وتعقد الأمر لدى البوليس فكيف يقدم السائق للمحاكمة وثبت أن سلاح الجريمة الذي على المسرح لم يكن أداة القتل ؟ فأين القاتل ؟ أو أين مسدس الاغتيال ؟ هذا اعتراف يضلل الشرطة .. كان الأمر سهلا في البداية .. قاتل .. مسدس .. اعتراف.. لم تعقد القضية إلا أن الموت غيب الدكتور وائل .. وقالوا للسائق لماذا ضللت الشرطة بزعمك القاتل؟

رد ببرود وثقة : أنا أنفذ تعليمات.. أنا ضابط أمن مخابرات.. عليّ السمع والطاعة .. لا أناقش فيما اؤمر .. أنا صحيح لم اطلق النار ؛ وإنما تظاهرت بإطلاق النار أمام الناس والجمهور .. عليّ أن أفعل ما طلب مني.

قال المحقق : هل قتل قبل تظاهرك بالقتل ؟ ربما قتلته أنت قبل التظاهر وتخلصت من سلاح القتل.

قال المشتبه به : هذا يفصل فيه القضاء إن وصلنا إليه .. الطاعة العمياء مهمة رجل المخابرات العربية والعالمية .. وهكذا قانون الضبط العسكري نفذ قبل أن تفكر .. لا اعتراض

قال المدعي العام المكلف بالقضية لمدير التحقيق والشرطة: نحن في حيرة أيها السادة !.. هناك قاتل .. وهناك معترف بالجريمة .. فعلينا البحث عن الفاعل الحقيقي .. فالقضية كما تعلمون تشغل الرأي العام والرأي العالمي.. وحتى قيادتنا مشغولة بهذه القضية التي بدت بسيطة .

ضابط التحقيق : هذه جريمة صريحة جريمة نظام .. وبدون القبض على مطلق النار فلا فائدة من حبس السائق ..وما اعترافه سوى إزعاج للشرطة .. والرقيب علي لم يكن على مسرح الجريمة أو كان ولم نره ؛ لأننا انشغلنا بسريان ؛ فكان بالإمكان هربه على راحته .

ـ خدعنا بالاعتراف .. الفاعل أعوان الزعيم

التقى المحقق المقدم بسريان وعلي وأعلمه أن الرصاص لم ينطلق من مسدسه عند إلقاء القبض عليه

فقال : أنا عبد مأمور .. لا أعرف من أطلق الرصاص .. وممنوع أن أتكلم إلا بما قلته أن أزعم أني القاتل.

قال : أنا أعلم أنك جندي صغير لا قيمة لك عندهم ..نحن نعرف بعضنا بعضا

ـ هل أنت تستطيع رفض أوامر أسيادك أيها المقدم .. فالناس عبيد الأسياد.. ولو علقنا عشرات النجوم على أكتافنا.. فلا تجعل نفسك سيدا عليّ .. أنا قتلت اقتلوني .. هل بعد الموت شيء؟!

قال مقدم الشرطة : ليس مهما ما تعتقده يا سريان! .. أنت عبد .. أنت سيد .. نحن نرى أنك ضللت الشرطة .. وتركت المجال لهرب القاتل .. وما لم يقبض عليه ستبقى القضية رهن التحقيق وستبقى موقوفا على ذمتها .. وبعد الحكومة والقضاء لا يهمنا الإفراج أو الإعدام .. نحن نقوم بواجبنا الأمني .. القضاء شأن آخر .. جريمة قام بها مجرم فيجب إمساكه لنقدمه للقضاء فينتهي دورنا .

قال الملازم المتهم : حتى لو عرفت الفاعل .. هل تراني أستطيع الإشارة إليه ؟ ! ربما السفير فعل ذلك ؛ ربما السكرتير العسكري فعل ذلك .

قال : أنت اعترفت بالقتل على مسرح الحادث مرغما مكلفا فلن نستطيع اتهامك سوى بتضليل الأمن بعدما تبين ؛ لأننا لم نجد سلاحا آخر معك عند القبض عليك .. الجريمة نفذت بيد غيرك فأنت شريك .. وستبقى حبيسا حتى يقبض على شريكك .

قال : صدق يا سيدي المقدم أنا فعلت ما طلب مني حرفيا .

قال المقدم : ومن هو الذي أمرك ولقنك هذه التمثيلية ؟

قال باسما : رجل زارني بعد أن بلغنا أن العالم يسعى للهرب والاختفاء .. ولابد أن يكون من موظفي السفارة أو أرسل من هناك .. كان بصحبة السكرتير العسكري وقال اسمع من هذا .. فعلمت أنه موثوق به ومن الوطن فسمعت ونفذت .

قال : هل ترى أنك في أمان من الإيذاء والتصفية إذا أطلقنا سراحك؟

تنهد السجين : لا أدري! لكن تعلمنا أنا حياتنا كل ساعة في خطر .. من يعمل في مثل هذه الأجهزة .. لا يعرف شيئا .. وأن بقاء النظام أهم من حياة أحدنا .

قال : لا نستطيع تقديمك للقضاء بجريمة قتل العالم ..ولكنك المتهم في الحقيقة.. من الفاعل؟

ردد همسا : أعوان الزعيم .. أعوان الزعيم أكيد هم الفعلة

ـ الزعيم بنفسه!

قال سريان : الزعيم بنفسه إذا غضب على وزير أو ضابط أو ابنه يفعل الفعل بنفسه .. ممكن أن يقتل أمه وأباه .

قال : نحن في بلدنا الوئام لنا اليد التي ارتكبت فعلت .. الزعيم أمر ابن الزعيم فهذا ليس لنا .. نحن من أول وهلة اعتبرنا الجريمة سياسية ولمواطن زائر .. والقضية صارت قضية رأي عام ؛ فإذا ساعدتنا سنوفر ونؤمن لك اختفاء وجواز سفر .

ـ أنا المتظاهر بالقتل فقط.. لم أمر بالقتل ولم أقتل.

قال : لكنك ضللتنا وأتحت الفرصة لهرب الفاعل الحقيقي .. ولم نتابع التحريات بسببك .

قال : تابعوا البحث.

الإفراج عن الجثة

قررت السلطة الإفراج عن جثة العالم ، وشاركت زوجته وبعض الأفراد في نقله إلى إحدى مقابر المدينة تحت رعاية أمنية مشددة ، وكان الجمهور عددا بسيطا من الأصدقاء لهما ، وكانوا قد صلوا عليه في مسجد صغير ، وبترتيب أمني مع وزارة ورعاية المساجد ، ومن ثم بعد إنهاء مراسم الدفن نقلت الأجهزة الأمنية الدكتورة سعاد الفرد إلى بيت آمن تابع لجهاز الاستخبارات العسكرية ، حتى يبث في أمرها ، فحكومتها تلح على عودتها بصفتها عاملة في برامج التسليح الحربي وتحمل أسرارا عسكرية لبرامج التسليح الوطنية ، وهي ترفض العودة بعد ترملها ، واغتيال شريكها في الحياة ، وترغب بالعودة لوطنها أمريكا أو المانيا للعمل فيها ، والحكومة القائمة في موقف حرج .

فالحكومة بينها وبين عرب عق مصالح وأعمال وأموال وتجارات تنفع المصانع والتجارة والشعبين ، ومصلحتها مع الغرب الحماية والتبعية منذ عهد الاستعمار والانتداب ، وخلال الحرب الباردة ظلت وئام تحت المظلة الأمريكية الغربية، وظل الدعم قائما لنظام الحكم والنظام ويهمهم استقراره ، ويقدمون الهبات المالية والعسكرية المستمرة .

وقد تحدث السفيران مع رئيس الدولة في وئام ، كانت القضية سياسية بامتياز ، وقد تفاعلت معها الصحف والمحطات الإعلامية في الغرب ، والمرأة تحمل جنسية أمريكية ، وقد ولدت هناك ، ووالدها وأمها وأختها كل عائلتها هناك ، فهي لم تعد عربية ، هي أمريكية من أصول عربية .. فكيف تسلم لبلد لا تحمل جنسيته إلا بالزواج من وائل ؟

لقد كانت مدينة وئام في وضع لا تحسد عليه إزاء هذه الجريمة التي وقعت على أراضيها، طالما كانت العلاقة قوية ومتينة أثناء حرب السنوات العشر ، فقد شاركت وئام الحرب بدعم قوي وقوات مسلحة لعرب عق ودعم قومي ومالي وسياسي واقتصادي ، وقد ذهب ضباط كبار وميدان للمشاركة في الحرب ، وموقفها كان واضحا دون ضبابية وغباش.

كثير من دول العربان كان موقفها السياسي والمالي والإعلامي ملتبسا وضبابيا رماديا أثناء القتال الدامي الشرس ، وكانت وئام تقدم الدعم العسكري واللوجستي والمخابراتي وصور الأقمار العسكرية التجسسية لعرب عق.

ومن المعروف تاريخيا أن الدول المستعمرة ظلت مستعمرة ، خرج الاستعمار العسكري ، وترك حكاما يتبعون له ، وثقافة شائعة فيها لغة وبعثات ، فهي دول هشة ممزقة شمالا وجنوبا ووسطا ، كلٌ يخضع للغزاة بثياب عربية ووطنية وقومية ، لا حرية ولا ديمقراطية ، ولا رأسمالية ولا شيوعية ولا اشتراكية ، ولا قومية ولا وطنية ، أمم يرثى لها ، حروب قائمة ، وحروب نائمة ، شعوب متصارعة كل يوالى المستعمر المغتصب ، الحال صعب ، استعباد استبداد ظلم ضياع ثروات ، عسكر مهزوم مترهل ، اقتصاد ضعيف ، شعوب وجدت للاستهلاك والعيش على الفتات، هذا حال العربان عند مقتل الفيزيائي وائل ؛ فلذلك كان دولة الوئام في حيرة وارتباك وحيص وبيص ، صداقة قوية مع عرب عق ، ومع ذلك كانت مسرحا لاغتيال عالم خدم بلدة سنوات وسنوات ، فلا تقدير لموقفهم معهم ووقفتهم الشجاعة في تلك الحرب الضروس .

وحتى عرب عق كانت خائفة وجبانة من اغتيال الزوجة ، فهي أمريكية وإلا كان الحرس يستطيع قتلهم في الفيلا سوية ، فهم يعيشون معهم ؛ لكنهم خشوا ردة فعل الغرب تجاههم .



الشرطة أخلت سبيل الملازم سريان وعلي ، وظلا تحت المراقبة الخفية على أن يخرجا من البلاد وحتى تنتهي القضية شكليا . وكان القصد من إخلاء سبيلهما الوصول لمن أطلق الرصاص إن أمكن ؛ ولمعرفة من سيتصل بهم ؟ لإتمام إغلاق الملف شكليا أمام القضاء .

فعادا لشقة الأمن والسفارة ؛ وبما أنهما رجلا أمن فهما سبب إخلاء سبيلهما ، وإنهما تحت المراقبة ، ولم يطل خروجهما فقد تعرضا لاغتيال ، مما دفع الشرطة للقبض عليهما من جديد.

فقال سريان للمقدم : لقد أصبحت حياتي في خطر وعبء وأنتم السبب.

ـ كيف نحن السبب ؟!

ـ لأنكم لم تمسكوا الجاني .

ـ أنت لم تتعاون معنا !

قال سريان : صدقوا أنني لا أعرفهم .. عليكم بالسكرتير العسكري القابع في السفارة ؛ ربما تغير خلال هذه المدة .. وعليكم بمسؤول الأمن في السفارة.

قال : بأي صفة؟! لا يصح ذلك مع دبلوماسي ، ولم يخالف القانون.. لم يكن على مسرح الحادث .. ومن واجباته متابعة ضباط بلده هنا .. وينسق عمليات بيع وشراء الأسلحة .

مضت ثلاثة شهور على القضية دون القبض على القتلة الفعليين ، ودون بيانات واضحة من سريان وعلي ، فقررت الشرطة والادعاء العام إغلاق ملف القضية ضد مجهول ، ولا محكمة ، ولا سجن لاحد ، وتم إخلاء سبيل السائقين سريان وعلي ، وأعطيا رقم هاتف أمني اذا احتاجا لمساعدة ، ولم يعودا للشقة إياها، واختفيا بما يحملان من أسرار بين عموم ملايين الناس . وخفت صوت الجريمة وتلاشى الحديث عنها ، والأحداث لا تقف ، واستطاع سريان الخروج من البلد إلى أمريكا اللاتينية ، وبمساعدة الشرطة ، هرب إلى أفريقيا ثم إلى أمريكا ورجع إلى عرب عق.

بترتيب مع موظف أمني في سفارة المانيا ، وتعاون من مخابرات وئام تم ترتيب سفر سعاد الفرد سرا ، وبعيدا عن الإعلام .

فقد كانت تعيش وحيدة مع خادمتها الآسيوية ، وليلا تم تأمين انتقالها للسفارة ، وبعدها أمنت السفارة نقلها إلى المطار الدولي ، وهناك تولى الأمن السري الألماني من ترحليها برحلة سرية إلى فرانكفورت ، وخلال ساعات كانت سعاد في أجواء أوروبا ، وسلمت لمجموعة أمنية أخرى ، وبعد حين يسير تعاقدت للعمل في مركز بحوث ألماني في برلين الغربية .

لقد طلب منها ألا تظهر في الإعلام إلى حين ، ووافقت السفارة على هذا الشرط ، والدكتورة قبلت الشرط وذلك خوفا على حياتها في أوروبا ، وذلك أن المانيا وأوروبا الغربية قدمت دعما قويا لعرب عق خلال الحرب أو الحروب التي خاضتها ضد دول الجوار ، فقد باعوا أطنانا من الأسلحة والذخائر والأجهزة والمواد الخام لصناعة الذخيرة ، وقطع الغيار ، وتقديم المعلومات الاستخبارية ، كانوا كأنهم شركاء للحرب ، فالحرب مصدر لبيع السلاح وتجارته والخلاص من المصُنع القديم ، وتشغيل المصانع .

فألمانيا بعد هزيمتها في الحرب الثانية لم تخض حربا رغم انقسامها إلى دولتين كما هو معروف من نتائج الحرب الكبرى . وعرب عق لهم أعوان وموظفو سفارات في الدول الغربية فكان لابد من إخفاء هرب سعاد عن الأخبار . وللحقيقة أن أمر خروجها من وئام ظهر في صحف عق ، وسكتت وئام بالتعليق على الخبر ، وكذلك حكومة بون الغربية ، وصحف البلدين لزمتا الصمت. وكما قلنا وقال غيرنا الأحداث متلاحقة ومتسارعة ، ولم يكد الناس يفوقون من حرب العشر حتى دخلت عق في حرب جديدة مع عرب التا تو ، وزادت شرخ الانقسام العربي الضعيف أصلا .. أصاب الجميع الحيرة عن السبب الحقيقي لحرب جديدة وفتنة جديدة . وفي خضم العراك نسي الناس والإعلام قضية وائل البصري المصروع غدرا، وزوجته الهاربة إلى الغرب الألماني .

الثورة

بعد جريمة اغتيال وائل واختفاء زوجته في المانيا ببضع سنين حدثت ثورة عارمة عصفت بنظام حكم عق ، واعتقل الزعيم والقتلة ، وحوكموا صوريا واعدموا كما عدموا غيرهم ، وأصبحوا في خبر كان ، ودمرت وفنيت مختبرات ومعامل ومصانع البلاد ، وعادت كما كانت فقرا وضعفا وهوانا وصراعا حزبيا ، وفككت قطاعات الجيش ، وأصبحت البلاد تحت الحماية والوصاية الغربية الأمريكية هي وتسع دول عربية أخرى .

واشتعلت الحرب الأهلية والنزاعات العرقية والأثنية والطائفية والشعبوية والأبيضية والأسودية والعربية والأعجمية في بلاد العربان والغربان عدة أعوام قبل أن تهدأ قليلا وتسكن على رماد النار ، لقد تمزقت العروبة والقوميات والوطنيات والاشتراكيات والشيوعيات .

ونتيجة هذه الثورة المدعومة من الغرب وستين دولة تشرذم أعوان الزعيم المقتول ، وظهرت أخبار فترة حكمه للعيان وإجرامه في شعبه والشعوب المجاورة وسيرته ، وبعده تهاوت الكثير من العروش التي صنعها الاستعمار والغرب.

الأحداث تمشي وتتقافز وتتسارع غربا وشرقا ، هب وثار شعب نسانس في ثورة قوية عارمة مفاجئة على نظام حكم.. ثورة من الشعب دون عون الغرب والشرق .

فقد شبع الشعب من الظلم والطغيان ، ولم يحتمل الاستعمار والاستبداد ولو بأسماء عربية وبذلات أجنبية ، وقصات غربية ، وميزانيات تصرف على أسلحة أمنية وعسكرية للفتك بالشعوب العربية . فتحركت الأمم ضد الأحزاب الظالمة الحاكمة ، أعدت ثورة نسانس غيرها من مضارب وخيام وبلدان ، وهرب الزعيم الغاشم المتبجح ، ولم يجد ملجأ إلا دولة أشد منه ظلما واستبدادا ؛ ليموت على أرضيها بعد قليل، فالذين دعموه ، وغطوا على ظلمه ، وقهره لشعبه ، تخلوا عنه دون تردد ، دون مجاملة ؛ لأنها ثورة شعب لن يخسروا منافعهم ومصالحهم من أجل زعيم محروق مهزوم ، فهم يحمونهم من أجل مصالحهم المختلفة،

والطغاة لا يتعلمون من التاريخ من فرعون ، كل واحد يعتقد أنه الوحيد الباقي ، يركبهم الغرور والوهم والغباء ..ولا يقرأون ولا يتعظون .

فلما هرب الطاغية من الموت من شعبه انتهت مصلحته معهم ، فالمصالح هي الأهم من الأشخاص والأعيان ، وبدأ الصراع على السلطة والحكم . والانتقال من حكم الفرد الباغي المتسلط إلى حكم الاختيار ليس سهلا ، الانتقال من الاعتقال والحبس إلى الحرية والكرامة يحتاج لزمن ، التحرر من طواغيت الظلم يحتاج لوقت ، الشعوب تنظر لبعضها وتتأثر عجلة وبطأ .. بدأت تتحرك وتريد حقوقها .. النائم يستيقظ واستيقظ ، هرب زعيم نسانس حرك شعوبا أخرى . كان الزمن فعلا عجيبا ومثيرا ذلك العام ! عرفت الشعوب الضعيفة قوتها وقدرتها ، وأنها قادرة على التغيير والثورة ورفع الظلم والخلاص من الاستضعاف ، فاشتعلت ثورة في الشرق البحري والشمال البحري .. ودول الطوائف تتهاوى في أيام معدودات، سقطت العروش ، سقط عن العرش سقوطا مدويا ، والثاني سقط ميتا مقتولا بعد مطاردة في داخل البلاد .. وبدأ الدفاع عن العروش المهزوزة بالمال والمؤامرات الواضحة ، والإغراء بالمناصب والرتب والنجوم ، والتحالف مع قوى الاستعمار والاستبداد.. استغلت الثروات الكبيرة لوقف زحف الأمم الغاضبة الهائجة ، والقتل أصبح كشربة ماء، العالم كله على شفير ساخن ، ونام الثائر المجنون في السجون والحبوس وممنوع من الدخان ومن الكلام ، وبعضهم مدافع عن ثورته في زاوية ضيقة حرجة وتآمر عالمي ليعود للغفوة والنوم من جديد.



استطاع أعداء نفس الشعب والأمة والثورات الاجتماع وإخراج الأموال وشراء الذمم لإعادة الظلم والطغيان وحكامه للسلطة ، وكذلك إشعال الحروب الأهلية بين أعوان النظام القديم ومعارضيه ، حتى سالت أودية الدم للركب ، فصرنا نرى القبور والحفر التي فيها مئات الأجساد الهالكة ، سعوا بكل قوة ومال لإخماد روح الثورات اليعربية ، وحمي الوطيس وتناحر الثوار ، وسقطت الدماء غزيرة وعزيزة ، ونشطت الهجرات الشعبية إلى البلاد الأكثر أمنا أو الأماكن الأكثر سلاما خرجت الرويبضات التي أخبر عنها رسول الأمة المحمدية ﷺ ، وسجن الثوار والأحرار ، وما زال الغضب ثائرا وظاهرا ونشطا.

لقد استطاع الخصوم إخفاء لهيب الثورة ، وعاد الثائرون إلى بيوتهم ونومهم وسباتهم كالدببة والأفاعي في فصل البرد والشتاء ، وفي فترة الصمت ظهر السفاحون والجلادون والحاقدون والدمويون ، وظهر قتلة وائل وغيره للبروز ، واعترفوا بأن الزعيم المقتول أمرهم بتلك الجريمة ، نطقوا لعلهم يرحمون ؛ لعل تكتب لهم حياة من جديد ، فالملفات المخفية ظهرت وبثت . كان الفرعون القديم يزعم أنه يملك الأرض والعباد والأنهار تجري من تحته ، فمات غرقا بالماء الذي اعتز به ، ومات والناس ترى هلاكه وغرقه ، أهلك فرعون وجنوده أمام أعين الناجين.. فهل نرى ذلك ؟!

دعت بلاد عق الدكتورة سعاد وأمثالها للعودة للبلاد لإحيائها . فقالت : هيهات هيهات فات الأوان !.. فأنتم أشر ممن مضى! أنتم بعتم البلاد للغريب بزعم تحرير البلاد والعباد .. قسمتم الشعب إلى شعوب ، ونهبتم الأموال إلا للأحزاب .. لم تتحسن الأحوال ، ولم تقدموا قاتل وائل للقصاص والعدالة .. نحن لا نحب الغرب لأنه غرب ؛ لكننا نجد عدالتهم أفضل بكثير عدالتكم .. هذا اذا كان عندكم عدالة أصلا.. عدنا لنخدم بلدنا في أحلك الظروف ونطوره فحاربتمونا ورملتمونا .

الثورة من جديد

الناس ذاقت طعم الحرية ، والحرية الحمراء التي دقها الثوار عادت، ظهر ثوار جدد ، وهاجت شعوب من جديد ، يريدون الحرية والانتخاب ، الحر النزيه عرفوا قوتهم ، وفائدة تجمعهم ، وبدأت موجة جديدة من المظاهرات الشعبية حتى أطاحت برؤوس جديدة.

يا دكتورة الناس تريد الحرية ، نريد العمل ، نريد أن تبقى الثروات في البلاد .. هل تعودين؟ من يضمن السلام ؟ من يضمن الحب الوئام ؟ من يحكم ؟ الشعب أم الحكام .. لقد استبدلوا الوجه بوجه.. له نفس العين.. نفس الفم.. نفس الأنف .. نفس اللسان .. صدق أيها الإنسان ! آه ما أدراك ما اللسان؟! الكلام المعسول .. والوعد الخلاب.. إنما ذلك لأيام .. ولبسوا وارتدوا بذلات جديدة .. وتغير الديكور والسيارة .. وطاولة المكتب أصبحت حمراء بلون الثورة .. هل هؤلاء هم الثوار ؟! أما زلتم في غيبوبة ؟ .. أما زلتم نياما ؟ متى تصحا أمة محمد الرسول ﷺ ؟!

لا أحد يخبر .. لا أحد يعلم الجواب ! قل علمها عند ربي !





المكتبة الخاصة ٢٠٢١





١٤

لغز مقتل علياء

جمال شاهين

لمكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم



جمال شاهين



الصديقان

جميل شاب طالب في الجامعة ، كان يجلس مع علياء صديقته في الجامعة على أريكة في ساحة من ساحات الكلية ، وكان الكثير من الجنسين يفعلون مثلهم ؛ كأنها ساحة غرام لا ساحة علم وتعليم ، فجميل صديق لها من أيام المدرسة الثانوية ، فهما يزعمان الحب والغرام من تلك الأيام ، ويحلمان بالزواج بعد الجامعة ؛ وبدأت القصة ؛ لأن مدرسة الذكور الثانوية ومدرسة الإناث في نفس المنطقة والمكان ، فيختلط طلاب المدرستين بعد الابتعاد عن مدخل كل مدرسة في الشارع الرئيس ، فبعد معاكسات أثناء السير في الشارع الرئيس قبلا أن يعيشا قصة عاطفية ، فيكتبان لبعضهما الرسائل الغرامية، ويتبادلان أشرطة الكاسيت والأغاني العاطفية ، وأحيانا يلتقيان في حدائق وغابات المدينة يتبادلان الحب والقبل أو الذهاب إلى دور السينما دون علم أهليهما ، ولما نجحا في الثانوية ذهبا للدراسة في نفس الجامعة ؛ لكن لم يكن تخصصهما واحدا .

قالت علياء لجميل وقد بدأ عليها الضيق : يتحدثون عن خطبتي في البيت.. ابن عمتي يرغب بالزواج ، ورشحوني له لأن الدور عليّ .

تنهد جميل بعمق وحزن وقال : خسارة بعد هذه السنين أن لا نكون لبعض ! .. جامعة سنة أولى وزواج لا يستطيعونه أهلي يا علياء !

قالت بحزن وشفقة : أعرف ظروفك .. ولا أريد أن أخسرك .. لقد أحببتك من أعماق قلبي يا جميل كما أحببتني !

ـ ما العمل ؟ ماذا يشتغل ابن عمتك ؟ ما اسمه ؟

قالت : ياسر .. هو موظف حسب علمي في شركة تجارة للحوم والمواشي.. وقد بنى بيتا جيدا .. ولم يبق على رأي أمي سوى العروس .. ووقع عليّ الاختيار أن أكون هذه العروس .

قال : هل أقابله وأحدثه عن حبنا ؛ لعله يتفهم الأمر .. ويبحث عن غيرك .

قالت بعد ضحكة ساخرة : لم يختارني هو.. أبي الذي اختار أن أكون له !

قال وهو يظهر الشفقة : نتحدث معه ؛ لعله يشفق علينا ، ويعلم عمق غرامنا ويعتذر لأبيك .

قالت علياء : إنهم يحبون زواج الأقارب يا جميل!

قال بفتور : قابليه أنت إذن ؛ ربما تعاطف معك .. وغار من الزواج منك عندما يعلم أنك لا تريدينه ولك حبيب .

قالت بحيرة : أيحسن بي فعل ذلك؟ .. أترى أن أزوره في الشركة ؟!

قال : جيد علياء ! عندما يرى أنك على صداقة وصحبة مع غيره يحمى ويغار وينصرف عنك .. ولعلي أرتب لاتصال معه عندما نكون معا في غابة البلدية فيرانا فيتأكد من صدق علاقة بيننا .. علينا أن ندافع عن حبنا وحياتنا .. لا يجب أن نستسلم سريعا يا حبيبتي !



خطبة علياء

علياء سنة أولى جامعة رفضت طلب يدها من قبل ابن عمتها ياسر رشدي ، دخلت عليه في مكتبه في "شركة المواشي واللحوم" في المدينة .

فنهض قائما ومسلما ومظهر فرحا وبشاشة مصطنعة ؛ لأنه صدم بوجودها في مكتبه دون مقدمات واتصال . فقال : مرحبا وأهلا ابنة خالي الغالي !

وبدون تمهيد ورد التحية سمعها تقول بقسوة وتحدي :سمعت أنك ستطلب يدي !

تظاهر بالسذاجة وقال : سمعت ! ممن سمعت ؟

ضحكت ضحكة قصيرة وقالت : من خالك ..أبي !

عاد إلى مقعد المكتب وأشار لها بالجلوس على مقعد في المكتب وقال :حسنا! هل الكلام هنا ـ وهو يشير لطاولة المكتب ـ ينفع ومناسب .. فلنلتقي في النادي أو مقهى الشمس أو حتى في بيتكم بعد الدوام .

قالت بحدة : لا داعي لأي لقاء.. ها نحن نلتقي .. فلماذا الزواج يا ياسر؟

رد بجفاء : لم نقل زواج يا علياء ! كان الكلام على خطبة ..خطبة فحسب ولما تنته الدراسة نتزوج.

قالت بنفس الانفعال : ألم تجد إلا أنا من بنات الأسرة ؟

اشعل سيجارة وقال : خالي يريد ذلك .. أنت تعلمين أنهم يحبون أن تتزوج بنات العائلة من العائلة اذا أمكن ذلك .. أنا حدثت أمي برغبتي بالزواج وتكوين أسرة ، وتحدثت الأم مع شقيقها .. فوافق ولم ير فيّ عيبا

قالت علياء : دون رأيي!

قال : أبوك هو الذي يسمع ويأخذ رأيك .. أما أنا لا أدري يا ابنة الخال الغالية.

قالت علياء : دعك من الألفاظ الغالية

قال : أنت ترفضينني ؟ هل أفهم ذلك؟!

قالت بتعال : أنا لم أقبلك أولا لأرفضك ؛ لكني لست مهيئة للخطبة والزواج.

قال بضجر وغضب مكتوم : أنا سأخطب أنت أو غيرك يا علياء .. أبوك هو الذي يريدني .. وقال لأمي: علياء لياسر.. فتحدثي مع أبيك، ومع أمي.

قالت : لا استطيع .. أنت تحدث .. أنت تعلم قانون بنات العائلة الظالم .. هل هو دين أن يتزوجن من العائلة ؟ فلنكسر هذا القانون .

قال بلكنة تهكمية : اكسريه .. أنا لا أستطيع كسره .. ولست متعلقا بفتاة معينة .. أنا أحب أن أكوّن عائلة .. فحاوري أباك كما نتحاور في مكتب الشركة والشغل .. وتحججي بالدراسة وسنوات الجامعة الأربعة.. تحدثي معهم قبل نهاية الأسبوع ؛ لأن الخطبة كما علمت ستكون خلال الأسبوعين .. وأنا كرم مني سأنتظر حتى التخرج .. وهو مدة طويلة .

قالت : ولماذا تنتظر كل هذه المدة ؟ فأبي يريد خطبة قصيرة .

قال بابتسامة : الأمر له .. وأنا جاهز .

رفعت يدها مودعة ، وقام هو ظانا أنها راغبة بمصافحته فصافح الهواء ، خرجت مظهرة امتعاضها منه .

وقال لنفسه وهو يمشي لنافذة المكتب المطلة على فناء الشركة : لا تريدني فلتقل ذلك لأبيها .

ولما خرجت قالت وهي تهبط الدرج : سأكلم أبي وأرفض الخطبة والزواج.. أنا أحب جميلا وسأتزوجه رغم أنف العائلة .. ولا يهمني قانون العائلة السيء الذكر.

وقف ياسر مراقبا لها في ساحة الشركة ، فرأى أن شخصا ذكرا هو الذي أتى بها إلى مكاتب الشركة .

فقال : من هذا ؟ بعد تفكير قال : سيارة من ؟ لابد أنه زميل الجامعة . تبسم وقال: من أجل هذا الشقي لا ترغبين بالزواج مني.. سأعرف من هو ؟

نشأت

لما غادرت الآنسة علياء مكتب ياسر دخل عليه زميله نشأت ـ الموظف في شركة المواشي ـ محركا يده ؛ كأنه يقول له " من هذه الأنثى ؟" ففهم ياسر الإشارة وأجاب : إنها ابنة خالي موسى .. وستكون خطيبتي رسميا قريبا .

قال نشأت : حسناء بمعنى الكلمة ونحيفة ! ماذا تريد من خطيبها لتأتيه لمكتبه ؟!

عاد ياسر للجلوس ، وجلس الزميل الفضولي على مقعد قريب من المكتب.

فقال ياسر وهو ينفخ : باختصار لا تريدني يا نشأت !

قال متعجبا : لماذا ؟! ماذا ينقصك ؟.. كل بنات الدنيا يرغبن بك .. وماذا تعمل هي ؟

قال مفكرا : طالبة مستجدة .. هي التي لا تريدني من كل بنات الدنيا ..عاشقة .. إنها تحب رجلا غيري .. رجلا معها الجامعة .

قال : دعها .. البنات كثير

ضحك ياسر قليلا قبل أن يقول : أنا لم أفكر فيها أبدا .. لم تخطر في بالي أبدا .. لما أكملت بناء الشقة كما تخبر رغبت بالزواج يا عم نشأت ، فقالت أمي : لخالك موسى بنات .. دعني أتكلم معه .. قلت : لا بأس تكلمي.. ليست عيني على فتاة معينة .. فقبل خالي بي قبل أن يأخذ رأيها ومشاورتها .. للأسف غالب الناس لا يعلمون ما تفعل بناتهم خارج البيت!

عقب نشأت : وهي جاءت تطلب منك رفضها.

قال : صحيح يا صديقي ! ومن الوقاحة أنه أتى بها بسيارته أو سيارة أبيه

قال : وماذا فعلت لها؟

قال : قلت صارحي أباك بحبك وبرفضك .. لماذا أكسب عداوة خالي والأسرة من تحت رأسك ؟ فخرجت ساخطة ناقمة .

قال : الأفضل دعها!

قال : يا نشأت .. الأمر ليس بيدي .. الأمر بيد أبيها.

ـ وهل حقا لها حبيب ؟!

قال ضاحكا : وإلا لماذا أتت ؟! .. أنا سمعت عن ذلك الحبيب قبل سنوات .. وبالطبع لم أعر الأمر أهمية .. أنت تعرف حب فترة المدرسة .. يبدأ سريعا وينتهي سريعا.

قال: أتراه نفس العاشق؟

قال : لا أدري ! ولسوف أعرف .. ليت خالي يخلصني من هذه السفاهة

قال : أيرفضك خالك اذا تباكت أمامه .

قال ياسر مفكرا : خالي متعصب لزواج البنات من ذكور العائلة.

نهض نشأت خارجا لمكتبه قائلا : أتمنى لك التوفيق والخروج من مشكلتك مع زوجة الغد .

*****

لما رأت علياء جبن ياسر في نظرها ، وعدم قدرته على مواجهة أمه وخاله ، صارحت الفتاة والديها بعدم رغبتها بالخطبة والزواج قبل انتهاء الجامعة والدراسة ، وهذه السنوات يحدث فيها الكثير من الأمور والأشياء ، وبعد جدل ونقاش استسلمت الأم لاعتراضات علياء .

قالت الأم : الآن بينك وبين أبيك .. وأنا من رأيي أن توافقي .. فياسر شاب متعلم ودارس ، ويعمل في شركة كبيرة ، وعنده شقة في بناية أبيه ولا تنقصه إلا زوجة جميلة وطيبة مثلك .. وأبوك يحب ذلك يا علياء ، وهو سيسمح لك بإكمال الجامعة ؛ إنما هي مجرد خطبة.. فلن يكون هناك حبل وولادة .. ويكتب العقد بعد حين .

فصرخت : أنا لا أحبه .. ولا يدخل لي من زور.

قالت الأم : وهل أنا أحببت أباك قبل الاقتران.. الحب غالبا يأتي بعد الزواج .

قالت : وقد لا يأتي . فردت : الحياة الزوجية تسير بدون حب ..والمحاكم موجودة .. تكلمي مع أبيك .

رفض الأب موسى بشدة تأجيل الخطبة لاعتبارات كثيرة ، فهو لا يجب ولا يحب ولا يجوز أن يبدو ضعيفا أمام كبار العائلة ، وهو الذي أعطى لأخته وأقاربه ، فمن العيب والوهن والخور

التراجع بعد النطق بالعطية والموافقة ، ومن العار الخضوع لرغبة النساء .

قالت بتوسل : أنا غير مستعجلة على الزواج يا أبي الطيب .. فلم ينتظر ؟ وقد أغير رأيي فأظلمه .. ينتظر ثم أرفضه .. سيصيبه الجنون والزعل .

فقال بدون تردد : فمن العيب يا بنية أن أغير قراري لأختي وصهري رشدي والد ياسر ، وقد نطقت بذلك لهما قبل أن أسمع كلامك .. أعترف أني تعجلت .. ولم أشاورك .. وحتى أمك .. وهم وافقوا ورضوا بك .. والجامعة التي ترغبين بها سيحققها لك.. ولن يكون هناك زواج حتى لا تنشغلي عن طلب العلم.

قالت بحزن : لم أتصوره زوجا لي!

ابتسم موسى وقال : بنات اليوم عندهن أفكار عجيبة وسخيفة !.. هل ترين أني تصورت أمك زوجة لي قبل رضا أهلها .. وتراها تصورتني زوجا لها .. عشرات الصبايا يراهن الإنسان ولا يتصور أن إحداهن ستكون أهله وأم ذريته .. مرات يرى الشاب فتاة في عرس أي مناسبة ويميل إليها فور رؤيتها وتكون حليلته .. حكايات النساء والنصيب عجيبة .. وقد تبدو مستحيلة.. ابن صديق كان يعالج في مستشفى فرأى فتاة ألزم أهله بأن يخطبوها له .. على كل حال تصوريه .. هو لما رغب بالزواج لم يقصدك ؛ لكن أختي رأت ذلك للتقاليد والعادات الدارجة قالت ياسر يفكر بالزواج يا موسى وأنت عندك بنات.. فرحبت والدور لك وعليك أنت الكبيرة اليوم .. وقلت لها لا بنت معينة عنده .. قالت : لو كان مصاحبا لقال اذهبوا واخطبوا لي فلانة .. وأنت في سن الزواج .. والزواج مهم لكل الناس وللبنات أهم ؛ لأن البنت بعد سن معين تقل الفرصة أمامها كما تخبرين .. وما الذي يعيب ابن عمتك؟ والزواج لابد منه لكل الناس .. ونحن كما تخبرين نحب أن تبقى بنات العائلة في العائلة .. وهي فرصة وإلا العنوسة .. وأنت الآن في توتر وقلق ؛ ولكن بعد الخطبة ستفرحين وتنسجمين وتتغير نظرتك لياسر والزواج .

قالت بشبه استرحام : أخشى أن يشغلني عن الدراسة، ستكثر زيارته بعد الخطبة صاح

الأب : وقته كله في العمل يا علياء ! وتستطيعين ترتيب أمر الزيارات بما يناسب الدراسة وتستطيعين الحد منها .

****

جرت الخطبة وحفلتها رغم اعتراض الخطيبة ، حضرت أسرة ياسر وأقاربهم ، وكان والد علياء وأهلها في استقبالهم ، وطلبت يد علياء لياسر ، وقرئت الفاتحة ، وزغردت النساء ، وشربت العصائر ، وقدمت الحلوى ، ورقصت النساء ، ووضع خاتمي الخطبة في أصابع العروسين ، وأقيم احتفال صغير بهذه المناسبة السعيدة إلا عند العروس .، ثم بعد حين انصرف الناس إلى بيوتهم ومصالحهم .

رغم مظاهر الفرح بين الأسر والبشاشة والمجاملات والذكريات، ولبس العروس بدلة العرس البيضاء والتصوير ، كانت عروسهم حزينة مع أنها خطبة ، وياسر تقبل امتعاض العروس وتكشيرها عندما وضع الذبلة في أصبعها .. وهو يعلم أنها تقابل رفيقها جميلا في الجامعة ، وأخبره بعض من اتصل بهم على عمق صداقتها لجميل منذ بداية السنة الأولى ، وأحس أن هذا الزواج سيفشل فشلا ذريعا إلا إذا استطاع الوصول لقلبها ؛ لذلك غمز عند تلبيس الذبلة الذهبية فقال أثناء تلبيس الخاتم :جميل ! جميل منك أن تقلبي ارتباط قلبينا .

وابتسم ؛ كأنه يقول: علمت بحبك لجميل . وهي بدا عليها الاضطراب لقول اسم حبيبها .

اتصل به أحدهم أن خطيبته مع حبيبها في غابة البلدية ، فتأكد له ما أحس به عندما جاءته الشركة تطلب منه إلغاء الخطبة وتركها وشأنها ، وانزعج جدا ، فقد أمل أن تنهي علاقتها به بعد الإعلان الرسمي لخطبتها ، وأن يتوقف العبث كما يراه ، فذهب إلى الغابة ليرى بعينيه ، فأخذ مغادرة لبضع ساعات ، وفكر أن يظهر لهما ؛ لتعلم أنه يعلم ، ولما أشار لجميل أثناء الخطبة تضرج وجهها بالاحمرار والاصفرار.

فلم يفعل شيئا ، وما بينه وبينها خطبة وفاتحة ، وتمالك أعصابه وغضبه ، فعاد لعمله ، وازداد يقينا بعلاقة ابنة خاله برجل غيره رغم إشهار الخطبة ، وشغله الأمر وأهمه وأغمه ، وبدا أمام

زملاء العمل مشغول الذهن ويغمره الحزن وهو يحدث نفسه إن ترك سيسأل أمام العائلة عن السبب ، وسيضطر للكلام وفي ذلك إساءة لخاله وأمه والعائلة ولنفسه معهم .

اتصل بها ليلا وسألها عن قصة الشاب الذي صحبها في الغابة ظهرا ، فأنكرت فعل ذلك ، فأخبرها أنه ذهب بنفسه ليرى الوشاية ورآهما بأم عينيه ، فاعترفت وقالت: زميل في الجامعة أحب أن يدعوني للغداء في مطاعم البلدية .. وبعد لحظات صمت تابعت : اسمع بصراحة أنا أحبه يا باسر !

قال بحنق وصياح : أنت جبانة وخائنة ! كان عليك مصارحة أمك على الأقل .

أغلقت التلفون ، ثم عاودت الاتصال بعد حين .

وقالت : قلت لك لا أريدك ؛ لكنك لم تفهم.

لم يرد واغلق هو بدوره .

اتصلت علياء بجميل وأطلعته عن رؤية ياسر لهما في غابة البلدية عن وشاية تلقاها من أحدهم وعن إساءته لها ووصفها بالخائنة والجبان.

فقال جميل : من اخبره ؟

فقالت : لا أدري ! أنا لم أخبر أحدا موعد اللقاء .

قال : ولا أنا.. من سمعنا من الزملاء ونحن نتواعد؟

قالت : حتى لو سمعنا أحد ؛ فكيف اتصل بمن هو خطيبي ؟

قال : فعلا ما أدراه بتلفون ياسر ..أو شركة ياسر .. ولماذا أتى ياسر الغابة ؟

قالت : ليتأكد من حبنا وعلاقتنا .. رفض أن يترك الخطبة كما حدثتك مع علمه بما نحن فيه .

قال : على كل نتكلم غدا في الكلية .. سنجد حلا تصبحين على خير.

وضعت السماعة عندما دخلت أختها الأصغر قائلة : مع من تتحدثين ؟

ـ ياسر .. تشاجرت مع خطيب الهنا

قالت : عليك الرضا بنصيبك

قالت علياء : الرضا بنصيبي ، قد لا يكون نصيبي ويموت أحدنا قبل الزواج.

بعد هاتين المكالمتين العاصفتين بيومين وجد الناس جثتين في غابة البلدية ، وكانتا لجميل وعلياء ، لقد اطلق الرصاص عليهما ،وأتت الشرطة الجنائية والطب الشرعي والتحقيق البوليسي.



كانت فضيحة مدوية في العائلة لعلياء وياسر وهم يسألون من هو هذا القتيل معها ؟ ولماذا كانا في الغابة ؟ والسؤال الثالث من قتلهما ؟

حققت الشرطة مع أسرة علياء ، وأسرة جميل ، وتحدث ياسر عن الواشي وقصة الغابة ، وتحققت الشرطة من صحة الاتصال ، وتبين أنه من هاتف عمومي .

التقت جهات التحقيق بزملاء ورفاق جميل سواء في الجامعة ، أم في نادي العائلة ، وتحدثوا مع رفاق الحي ، وجميع من سئلوا أنكروا الاتصال بياسر وإخباره بخروج جميل وعلياء سوية ، وأي معرفة لهم بالمتصل ، وعلاقات الشباب والشابات أمر اعتيادي في صالات وساحات وقاعات الجامعة ، شيء لا يثير الدهشة والانتباه بينهم ، سواء كان اللقاء والجلوس علاقة عاطفية أو مناقشة ، وسواء كان اللقاء بين زملاء كلية أو شعبة واحدة .

وبين رفاق الكلية أنهما صديقان من بداية العام الدراسي ، حتى وقع في قلب البعص أنهما أصدقاء قبل الالتحاق بالجامعة ، ولم يعرفوا منافسا أو خصما لهما أو لأحد منهما ، فهما دائما معا ولم يكن الأمر خفيا . وبدا الكل مستغربا الجريمة ، وأن ما كان بين علياء وياسر مجرد خطبة وهم أقارب بعضهم ببعض، لم يزعم ياسر بحب جارف لها أو علاقة كانت تربط بينهم تطورت لزواج ، والخطبة يمكن إنهائها بطرح ونبذ الذبلة من يده .

إذن لماذا قتلت؟ ولماذا قتل جميل ؟ على الشرطة الإجابة .. المجتمع المحلي والجامعي والأسري أصابه الانزعاج والقلق . كالعادة تسري الأقاويل وتكثر الإشاعات.

وتأكد للشرطة أن ياسرا لم يغادر العمل عندما تحدد الوقت التقريبي للقتل لأي ظرف ، انصرف في الرابعة مساء كأي يوم عمل آخر ، كما شهد على ذلك عدد من زملاء العمل والمسؤول عنه ، وهو الذي كشف أمر تلفون الواشي قبل الجريمة ؛ وقال بعضهم افتراضا : ربما فعل ذلك الواشي ؛ ليدفعه ويهيجه لارتكاب الجريمة نيابة عنه بزعم الغضب والانفعال .. ويبدو أن الواشي لم يكن يعلم بأن الشاب ياسر عرف بالعلاقة بينهما منذ بدأت الفتاة رفضه

وزارته في مكتبه في شركة المواشي تطلب منها الابتعاد عنه .. وكيف رأها تركب معه السيارة الخصوصية لم تزره بتكسي أجرة ؟

اضطر البوليس إيقاف التحقيق ، أغلق الأمن الملف إلى حين حتى يظهر جديد في القضية الجنائية، كان والد علياء في شوق ولهفة لمعرفة قاتل ابنته رغم الوضع والخزي الذي حصل في العائلة.. هناك جريمة قاتل .. فمقتل ابنته مع شاب غريب لم يمت للعائلة بنسب بعلاقة بقرابة أمر مثير .. لو قتلت في مكان آخر أو غابة في الجامعة ؛ ربما كان الأمر أهون على النفس ، ولم يثر شبهات وأقاويل.. عادة ما يجلس الطلبة مع بعضهم في المطعم في الملعب أما في غابة البلدية البعيدة عن الجامعة.. فهذا يشي بأمر كبير بينهما ، ويدل على علاقة سيئة وقبيحة .

وفرح والدها والأسرة رغم المأساة لما أخبر الطب الشرعي أنها كانت عذراء بكرا لم يحصل بينهما اتصال جنسي أو اغتصاب ؛ ولم تكن في حالة حمل ؛ فكان موسى سعيدا بذلك إلى حد ما. ولكنها قتلت ! والشرطة لم توجه الاتهام لأحد ، وهو أيضا لا يتهم أحدا.

لما برد وخفت موضوع مصرع علياء بين أفراد العائلات ، والأيام تنسي المصائب والآلام ، وقلّ ذكره في الصحف همس ياسر بالزواج ، عرضت عليه أسماء شقيقة علياء طالبة في الثانوية بينها وبين الجامعة شهور معدودات ، فقبل ياسر وأعلنوا الخطبة رسميا ، وأن الزواج سيكون بعد امتحانات الثانوية العامة التي بقي لها شهران ، ونجحت الفتاة ، وحصلت درجة ممتازة وستتعلم الصيدلة أو الطب ، ولم يمانع الزوج ياسر على أن يكون الزواج قبل الالتحاق بالجامعة . وبدأ الاستعداد لحفل الزواج بعد أن تمت كتابة عقد الاقتران في إحدى المحاكم الشرعية في المدينة .

ذهب ياسر بصحبة أخيه يامن إلى حجز صالة أو قاعة لإقامة حفل الزفاف ، وكانت الأمور تسير على ما يرام ، ونسي القوم علياء وقاتلها، والحياة لا تتوقف عند حياة أحدهم أو موته. تركوا السيارة في ساحة مخصصة لسيارات الشركة المالكة لإدارة القاعة ، وهذه الساحة أو الفناء عادة مخصصة كما هو معلوم لاصطفاف ووقوف سيارات المدعوين ليلة الحفلة أو

السهرة ، وحين تكون خالية أو قليلة السيارات فهذا يدل على عدم وجود مناسبة وحفلة .
عقدوا الاتفاق مع إدارة القاعة والصالة ، ووقعوا العقد ودفعوا المبلغ المتفق عليه بين الفريقين وهبطا إلى سيارة يامن الصغيرة ، وجلس يامن في مقعد القيادة منتظرا صعود شقيقه ياسر ، وأوشك ياسر أن يقترب من بابها الأيمن ؛ ليجلس على يمين يامن ؛ ليذهبا لمكتب كتابة وطباعة كروت الحفلة والبطاقات بهذه المناسبة ، وقبل أن يمد يده إلى مقبض الباب أطلق اتجاهه عددا من الرصاصات الغادرة ، فصرخ وسقط أرضا ، ولاحظ الناس الموجودون في الساحة السيارة التي قامت بالجريمة ، ولقطوا لونها ورقمها وعلامتها التجارية .
وكانت بعد اطلاق الرصاص تحركت مسرعة حيث كان يجلس على مقعد القيادة شخصا في وضع تشغيل للسيارة ،ولما صعد مطلق الرصاص تحركت مبتعدة هاربة. حضر الإسعاف الفوري والأمن ، ونقل المصاب إلى المشفى ، وأدركه الموت بعد ساعات . قامت الشرطة بسماع أقوال الجمهور ويامن ، وبدأت مطاردة السيارة فورا ، ولم يكن عسيرا إلقاء القبض عليها ، فخلال ساعات كانت في قبضة الشرطة بدون السائق والجاني كما قال الشهود . وكان الحادث صاعقا لأهل ياسر وأهل العروس، وكان الناس في حيرة في سبب هذه الجناية والجريمة .. فقبل شهور قتلت خطيبته علياء .. وها هو اليوم يقتل .. ما الأمر ؟!
وذكرت الصحف الناس بمقتل علياء وجميل قبل سنة ، ولاموا البوليس الذي فشل بكشف خيوط تلك الحادثة ، فلو عرفوا أسباب ومرتكبو الجريمة المزدوجة ؛ ربما ما حدثت هذه الجريمة! ورغم معرفة رقم السيارة والقبض عليها ، لم تقدم للشرطة شيئا مهما ومفيدا ، فتبين أنها سيارة مسروقة من مدة من شهر .. فذهبت الشرطة بعد تفكير عميق أن الجريمة فيها مخدرات وممنوعات . فمن المعلوم لدى الشرطة أن الكثير من السيارات تسرق لاستخدامها في التهريب والسرقة أو بيعها قطع غيار ، لكن هذه السيارة موديل قديم لا تصلح لبيعها قطع غيار .. فرجح لديهم أن السيارة استخدمت قبل الجريمة بعمل تهريب .. لكن ما دخل ياسر في المخدرات .. وبدأ الاهتمام بسيرة وحياة الرجل.

ارتبك التحقيق في الجريمتين ، القتل كان في وضح النهار ، اجتمع مجموعة من المحققين، والمدعين العامين المكلفين بالقضيتين ، وخبراء علم نفس وطب شرعي واجتماع للنظر في مآل الجريمتين . هل هناك مخدرات ؟

الطب الشرعي أجاب : لم يكن في أجساد الضحايا ما يشير للتعاطي . تبين أن هناك بيع مواشي سرا لياسر .. بيع لحوم خفية لمصانع معلبات اللحوم .. إذا كان مقتل ياسر لعلاقته بالشركة ، فما دخل الجامعة ومقتل علياء وجميل !

نطقت أسماء أن أختها كانت لا ترغب بالزواج منه ، وأنها أكرهت لقبوله ، وكانت ترغب أن يتركها ، فهددته بكشف أمره ببيعه اللحوم دون علم رؤسائه ؛ لتجبره على فسخ الخطبة ؛بأن تكشف أمر سرقته وبيعه للخراف واللحوم من خلف الإدارة .. ولكنها لا تدري هل فعلت ذلك ونشرته ؟ ولما سؤلت كيف عرفت ؟ أخبرت أن علياء حدثتها بذلك ، وعلياء عرفت منه اعترف لها أنه يتاجر ببعض الأموال خفية لما سألته من أين وفرت أموال البناء والخطبة.. فتحدث معها بصراحة عن ذلك ليكسب ثقتها بمصارحتها بسر خطير ، وأكد لها أن والده لم يساعده بدرهم واحد ، وأن له مصادر غير راتب العمل، فلما استغلت ذلك الاعتراف ، وهددت بفضحه إن لم يقم بفسخ الخطبة ويدعها .. قد يكون هذا سبب الجريمة الأولى . قد يكون ذلك الدافع للقتل !!

بعد هذه المعلومة عمقت الشرطة التحقيق مع رفاق ياسر في الشركة، وكشفت المستور ، وضيقت الخناق عليهم ، فاعترف بعضهم بالشراكة على الاختلاس والسرقة من وراء ظهر الإدارة ، وكان لياسر زميل علم أن ياسرا يتعرض لتهديد من خطيبته بعد أن اعترف لها بمصدر دخله الثاني ، وتمكنه من بناء البيت والخطبة مما دفع هذا الرفيق لقتل علياء وزميلها أثناء شجار افتعله في الغابة ، عندما قام جميل بصرعه على الأرض ، ووضع حذاءه على وجهه وأساء إليه ، فلما ابتعدا نهض وتبعهما وقتلهما بمسدس يحمله نتيجة شجار وتهديد .

وعلم ياسر بفعلته الجبانة ، وغضب ياسر من فعلته أشد الغضب ، ولم يجسر على الاعتراف لعمه أو الشرطة ، فهما متورطان في السرقة من شركة المواشي من سنوات .

ولما خطب أختها لتقاليد عائلية ، حذره شريكه من الزواج من ابنة خاله أسماء ، لأنه خشي منه أن يعترف لها بسرهما كما أسر لعلياء سابقا ، ويعترف لها بقتله لشقيقتها .

ولما لم يقبل ياسر تحذيره قتله مضطرا ، فهو اصبح خطرا على نشأت القاتل ، ولما سئل عن الواشي أخبر أن الواشي في المرة الأولى جميل نفسه ؛ كما اعترف له عندما قابلهما في غابة البلدية ، كان يريد تهييجه على علياء .. كان يريد أن يراه ياسر مع خطيبته ، ويضطر لترك الخطبة عندما يرى خطيبته مصرة على علاقتها الغرامية مع جميل ، وعلياء كانت ترغب بأن يتركها ياسر ، فجميل هو الواشي ليذهب ياسر ويراها بأم عينيه ليغار ويترك ، وفي يوم الجريمة غادرا الجامعة سوية وذهبا لغابة البلدية ، واتصل جميل بياسر مرة أخرى ليراه معها ثانية ، فيضطر لفسخ الخطبة بإصرارها على اللقاء بحبيبها ، وإنها غير مهتمة به ، فاخبره ياسر بمكان اللقاء ، ولما علم الجاني بلقاء الغابة من ياسر ذهب لتهديدهما وحدث القتل الأول .



المكتبة الخاصة ٢٠٢١







١٥

العالم المزيف

جمال شاهين

لمكتبة الخاصة ٢٠٢١



بسم الله الرحمن الرحيم



جمال شاهين



١

" حياة الأسرة في خطر ،إنهم يريدون أسرار برنامج التحديث في القوات المسلحة "

هذه الكلمات نطق بها المهندس الركن العميد " فارس شولكم " وهو يضع سماعة الهاتف لزوجته أم عمر التي تقف بجواره ، وكلها قلق وخوف لهذا الهاتف الليلي عند الثانية ليلا من نوفمبر (١٩٩٣) فقالت الزوجة وهي ترتجف مما سمعت : من هم هؤلاء الذين يريدون هذه الأسرار ؟ !

مشى المهندس نحو كنبة في صالة البيت وجلس عليها وزوجته خلفه ، ثم جلست قريبا منه فسمعته يقول ويردد : من هم ؟! .. لا أدري .. إنهم يهددون ويتوعدون وسينفذون إن لم أسلم الرسومات والوثائق وأرضخ لمطلبهم وأتعاون معهم .

قالت برعب : إنهم يعرفونك ويعرفون دورك في البرنامج !

قال: بالتأكيد ، ويعرفون مدارس الأولاد وأرقام الهواتف وبيتنا هذا وبيت والدي ووالدك .. والجميع بخطر إن لم أبيع لهم نفسي وشرفي ...

فقلقت الزوجة وقد أدركت الخطر الذي يتحدث عنه الزوج وقالت : وماذا ستفعل ؟!

قال: أفكر بالتحدث مع رئيس الدولة مباشرة .

قالت برعب : وقد يكون هاتفك مراقبا من قبلهم .

قال: سأضع الرئيس في الصورة .. الأمر خطير ومخيف .. فأنا منذ استلمت هذا المنصب وأنا أتعرض لمضايقات ومكالمات ، وطلب التعاون ، وأن الملايين في انتظاري في بنوك زيورخ وفينا

هتفت قائلة: ملايين .. إنهم أقوياء !

فقال فارس بقوة وتحد لمع في بريق عينيه : الله أقوى ! .. ووضع الحرس على الأولاد أمر مخيف يا نعمى .. أمر محرج ومثير للخوف والقلق في نفوسهم ..

قالت برعب : عليك إخبار رؤسائك يا فارس !

فقال مفكرا وبحيرة : الوضع دقيق وحساس .. فأي الرؤساء أكلم ؟ .. الوزير .. مدير

الاستخبارات العسكرية .. رئيس هيئة الأركان للقوات المسلحة .. مساعديه .. أمورنا بعد الحرب التي انتهت منذ سنوات مضطربة .. خلايا التجسس كثرت في الجانب العسكري والجانب المدني .. قل المخلصون للوطن والبلاد .. فهناك عملية تطهير وترتيب داخل القوات العسكرية والأمنية المختلفة .

فتسألت الزوجة فقالت : وهؤلاء لماذا يريدون خطط وبرامج التحديث للجيوش ؟!

فقال فارس وهو يتنهد بعمق : تباع لدول معادية أو دول صناعية أو جهات أخرى .. أو إسرائيل العدو الأول للعرب والمسلمين.

فقالت نعمى بعد صمت وتريث يسير : تحدث مع أخي خليل .. فهو ضابط أمن ومخابرات

فقال فارس : فكرت بذلك ؛ ولكنّ أخاك ضابط صغير ملازم أول ، قد لا يُسمع كلامه ويهتم به .. فهذا التهديد سيسيء للرجال الأوائل الذين استلموا المنصب من قبلي .. فهل كانوا يبيعون شرفهم العسكري من أجل المال والأرصدة ؟ فالهزيمة كانت قاسية ومؤلمة لكل الأجهزة ، وكشفت الكثير من العيوب والترهل والموت مات الكثير من الأفراد والعسكر .. أم أنا أول ضحية ومطارد لهم .. أنا على نفسي لست خائفا ؛ ولكني خائف عليك وعلى الأولاد .. وصمتي قد يسيء لسمعتي وشرفي العسكري ويثير الشبهات حولي يا نعمى .

قالت : شاوره .. فخليل شاب ذكي وفطن ربما أفادك ؟

قال: أخشى أن يتعرض للأذى .. فهؤلاء الجواسيس لهم جواسيس وعملاء فمن عادة الجواسيس أن يشكلوا شبكات سرية وجماعات وخلايا متعددة .. ولهم ثلاثة شهور يطاردونني بالهواتف والعروض وخشيت أن ألتقي بأحدهم فأقع في فخهم وأضعف أمامهم أريد أن أعرفهم من غير الجلوس معهم .

فقالت الزوجة الحائرة والخائفة من القضية المثيرة :أنا سأخبر خليلا بذلك، فهم يعتقدون أنك لا تتحدث أمامي بهذا الخطر .

قال : أنا كنت أكتم عنك ذلك قبل الليلة خوفا من بث الرعب والخوف في نفسك ؛ ولكن

قلقي عليكم دفعني للقول الليلة ؛ وربما تكون حياتي في خطر ويتخلصون مني برصاصة أو بسيارة مسرعة فلا تعرفون سبب هلاكي ؛ فهذا هو الذي دفعني الليلة لمصارحتك بسر هذه المكالمة .

فأخذت الزوجة التي تضطرب من الخوف تشجع زوجها وتثبته على الصمود والصبر وعدم الضعف لهؤلاء الشياطين .. وبعد ساعة من الحديث دخلا من جديد إلى مخدع النوم .

****

كان هناك أيضا الطيار العسكري العميد " زيد عبد القادر " يتعرض لتهديد شبكات التجسس في البلاد ، فهو قائد قاعدة عسكرية لسلاح الطيران وفي فريق تحديث الجيش والسلاح ، فقد تلقى كثيرا من هواتف الإغراء والتعاون ثم بدأ التهديد والوعيد .. وهو يجهل هذه الجهات أو الأشخاص الذين يطاردونه ويطلبون الاتفاق معه .. وفي تلك الليلة من نوفمبر استيقظ على جرس الهاتف ، واستمع لتحذيرات وتهديدات العصابة ، ولم ينتبه زيد أن ابنته الشابة قد فتحت الخط من غرفتها واستمعت للمكالمة الخطيرة فاصفر وجهها وارتسم الخوف على وجهها وعينيها وبدنها وأدركت الخطر المحدق بوالدها إن لم يتعاون مع هؤلاء الأشرار .. فجلست في فراشها ووضعت الكتاب الذي كانت تطالع به .. فهي لم تنم بعد .. فأمها وأخوها محسن ظلا في العرس وعادت مع والدها .. ولما تناولا طعاما خفيفا دخل كل واحد منهما لحجرته .. فلم يغلبها النوم فأخذت تقرأ في كتاب ساعة من الزمن عندما رن جرس الهاتف فرفعت السماعة لا شعوريا أو بحكم العادة ، وقبل أن ترد سمعت والدها يرد ثم سمعت الحوار الرهيب .. التهديد والتخويف .. أخذت تفكر بالخطر المحيط بالعائلة وتتسأل عن هؤلاء المجرمين فهمست لنفسها : أبي من كلامه معهم فهو لا يعرفهم ، ولا يريد التعرف عليهم ؛ ولكنهم يصرون على تعاونه معهم أو تعرض أهله للضرر والخطر على أيديهم .. ماذا أفعل ؟! هل أحدث والدي بأنني سمعت هذه المكالمة أم اصمت أم أتحدث لأحد ؟! .. ماذا ستفعلين يا لمياء ؟!

لم تستطع لمياء النوم مما سمعت ومن التفكير فقامت ودخلت المطبخ لتصنع القهوة فسمعت والدها يقول : لمياء ألم تنامي بعد ؟ .. ما بك ؟!

قالت: كنت أقرأ ، ولم أستطع النوم رغم شدة نعسي ونحن في الحفلة .. هل أصنع لك فنجانا يا أبي ؟

فقال بقلق : لا بأس .. هل سمعت رنين الهاتف قبل ساعة من الزمن ؟!

فقالت بشجاعة : سمعته وسمعت المكالمة من غير قصد يا أبي .. رفعت السماعة من غير قصد ولكن بحكم العادة لأرد ظانة أنك نائم فجرى ما جرى .. وأنا خائفة عليك يا أبي ؟!

فتبسم وقال : بل أنا خائف عليكم .. فأنا أستطيع الدفاع عن نفسي .. لا تخافي عليّ يا لمياء .. هل أخبر أمك وأخاك بالأمر ؟!

فقالت: محسن ممكن ؛ ولكن أمي لا أدري يا والدي الشجاع !

قال مشجعا : سأخبرهم .. وعليكم بالحذر أثناء قطع الشارع عند الركوب في السيارات أثناء تناول الطعام في المطاعم والمقاهي .. لسوف أعرف من هؤلاء الأشرار المجرمون ؟

بعدما شربا القهوة قالت لمياء : ماذا ستفعل يا أبي ؟ ألا تريد أن تكلم رؤساءك بخطرهم وإجرامهم ؟

قص عليها زيد قصة بداية التهديدات والإغراءات ثم قال : أفكر أن أتحدث مع ضابط الاستخبارات في القاعدة ؛ فلربما صدقني واقتنع بكلامي ، فهو لا يحبني منذ تصرفت معه في موقف بما لا يليق مني ؛ ولكنني كنت منفعلا وأنا أعلى منه رتبة .. أخشى أن يسخر من قصتي ويعترض لماذا لم تقل ذلك منذ البداية يا كابتن زيد عبد القادر ؟ وكان القائد يقلد صوت ضابط أمن القاعدة العسكرية للطيران .

* * * *

في نفس الليلة كان بيت العالم الكيميائي " الدكتور رونسو مايكن " مسرحا لحدث خطير ، فعندما خرج من معمله الخاص الموجود داخل القصر الصغير .. ووضع له الخادم الأسمر

سقراط العشاء الخفيف ، وتركه يتناول الطعام بهدوء وهو يشاهد احدى محطات التلفزيون .. ولما رفع الطعام وأخذ يشرب الشاي كان غارقا في التفكير .. ولما اقترب الوقت من نصف الليل استأذنه الخادم سقراط بالنوم فأذن له .. ثم تكلم في الهاتف بضع دقائق ونزل لحديقة القصر .. ودار حول القصر عدة دورات ، ثم تحدث مع حراس الأبواب ، ثم قفل عائدا للبيت ، وصعد الدرجات في الطابق الثاني حيث مخدع النوم ومعمل التجارب .. فتح حجرة النوم وجلس على مقعد فيها واستغرق في تفكير عميق لم ينم ..بماذا يفكر رونسو ؟ عند الثانية ليلا طرق عليه الباب فدهش وهمس لنفسه : " ماذا يريد سقراط ؟! " ورفع صوته قائلا : ادخل الباب مفتوح .

فتح الباب ودخل رجلان مقنعان وأحدهما يشهر مسدسا ، وهو يتطلع يمنة ويسرة وسمع الآخر يقول : رونسو .. لا تضغط على أي زر .. ليس مهما أن تعرف من نحن ؟ .. عليك أن تعود لبلادك خلال أسبوع اليوم الثلاثاء .. يوم الأربعاء القادم تكون حياتك في خطر .. ستموت يا رونسو .. عد لبلادك ولا داعي لإجراء تجاربك هنا .. ها أنت ترى أن وصلنا إليك رغم وجود رجال يحرسون الفيلا .. هل تسمع ؟ حياتك تحت الموت .. وداعا !

لم ينبس رونسو بأي كلمة فقد ذهل وصدم فانهار جالسا على كرسيه يفكر بالتهديد الخطير ؛ كأنه في حلم وليس في يقظة ، فقال لنفسه : هل هم من أعداء الدولة ؟ أم من رجال الدولة ؟! نهض عن المقعد بعد حين وأخذ يتطلع من ستائر النافذة وهو يقول : من أين دخلوا ؟! هل في الحرس من خائن ؟! المال يهين الرجال .. الحارس بقليل من المال يتساهل وينسى واجبه .. هل أحدث أحدا بقصة الليل ؟ هل أكلم الحاكم الأعلى لهذه البلاد ؟ أم هل أهرب إلى بلادي كما يطلبون ؟!



في قاعة تحت الأرض من عمارات المخابرات العامة ، كان مدير المخابرات يعقد اجتماعا مهما وخطيرا مع كبار ضباط الجهاز ؛ وبالأخص ضباط مكافحة التجسس وأجهزة المخابرات المعادية للدولة القطرية ، فلما شرح لهم قضية اقتحام فيلا الدكتور الخبير رونسو مايكن والتهديد الكبير الذي تعرض له طلب منهم الحركة والنشاط في رصد الخلايا والشبكات المعادية ، وتعهد أمامه مدير مكافحة التجسس اللواء حمدي رامز بالوصول للرجلين الذين تسللا للفيلا ولمن يقف خلفهم ، ولما انسحب مدير المخابرات من القاعة السرية ظل فيها مدير مكافحة التجسس اللواء الركن " حمدي رامز " ومدير الاستخبارات العسكرية اللواء مروان احمد ومساعدوه في كل أسلحة الجيش البر والبحر والجو ومساعدوه في مختلف التخصصات ، ونائبه اللواء الركن " مرسم لازمي " فأعاد اللواء حمدي التأكيد على المسارعة في الوصول للرجلين ومن خلفهما فإن رئيس الدولة مهتم بالقضية .. ولما سأله أحدهم عن الخبير الكيميائي رونسو أجاب حضرة المدير " هو بخير ولكن حياته في خطر " ثم سكت لحظات ثم قال : بالتأكيد أن العصابة والأعداء سيعرفون أنه لم يسافر وأننا أخفيناه بمكان سري "

وعرض عليهم مدير دائرة مكافحة التجسس صورا تقريبية لرجلين ملثمين والقامة واللباس ثم قال : هذا أمر صعب في الواقع وقد يكون من المستحيل التعرف عليهما من هذه الصور المتخيلة لقلة المعلومات التي أدلى بها العالم ؛ ولكن رجل الأمن ربما استفاد من ذلك في ظرف ما .

وحثهم الضابط الكبير على قراءة تقارير المخبرين المختلفة ؛ فلربما يستفيد أحدهم من عبارة أو جملة من أحدهم.. ولما فض الاجتماع ارسل مدير المكافحة العسكرية اللواء مروان وراء المقدم " أمين حسن" وكلفه بمتابعة قضية المهندس فارس شلوكم ، فقد طلب مني الرئيس مباشرة الاهتمام بهذه القضية ، فالرجل خاطب الزعيم مباشرة ، فشكره أمين على ثقته به

وقال أمين : أرجو أن أكون عند حسن الظن .. سأرتب لقاء سري مع المهندس لأسمع كل ما عنده .

قال : تحرك بسرعة فالمهندس قلق للغاية .. مفتاح الحركة بينكم" آمين " مرتين .. ضع رقابة حول البيت ، رقابة ذكية لا نريد أن يشعر بها هو ولا أفراد العائلة أي شعور وحس .. فارس يحمل أسرارا مهمة وخطيرة عن مشروع التحديث والتطوير ؛ فاذا سقط فأن ذلك سيشكل لنا كارثة .. لا تنسوا مراقبة هواتف البيت العامة والخاصة .. اذهب الآن وخطط للقاء به بلقاء سري جدا جدا .

عاد أمين حسن لبيته بعد أن أطلع على ملف المهندس فارس من قيادة الجيش والأمن العسكري .. رجل نظيف وذكي شجاع وسلوكه جيد خلال سنوات الخدمة الطويلة وملتزم بالأنظمة والتعاليم بشكل ممتاز وترقى في درجات ورتب الجيش بشكل اعتيادي ويحمل عددا كبيرا من أوسمة الاستقلال والحرية والشجاعة والفروسية والصقور ووصل إلى منصبه بجدارة واستحقاق بدون واسطات .. وقرأ ملف الدورات التي اشترك فيها الرجل وعرف مكانها وزمانها ، اطلع على كل ذلك قبل أن يدخل البيت ، وبعدما استراح ساعة من الزمن أخبر زوجته أنه في مهمة فلا تقلق عليه ، ودخل غرفة خاصة بالفيلا الخاصة به .. وتنكر بشخصية أخرى شخصية قاضي محكمة شرعية إسلامية .. ومن باب صغير خلف الفيلا نفذ إلى الشارع مشيا على الأقدام حتى وصل للشارع العام الذي يبعد عن البيت مائتين خطوة وأشار لسيارة أجرة فأقلته إلى حيث يقطن المهندس فارس وقبل الوصول للبيت بمائتي خطوة تقريبا نقد السائق أجره ومشى نحو بيت المهندس فارس شلوكم .. وتحدث مع بواب القصر فقال البواب الكهل : نعم يا مولانا القاضي .

قال أمين بلهجة بطيئة وثقيلة : السيد فارس أموجود في البيت ؟

ـ نعم يا سيدي القاضي .. هل من حاجة إليه يا مولانا ؟

كان أمين يتفرس بالبواب الشيخ بشكل خفي ودقيق فلما سمع السؤال رد قائلا بنفس اللهجة

السابقة : قل له إن القاضي موسى يريده في تعيين قريب وتسجيله في الجيش يا سيد ..

فأدرك الحارس البواب أن القاضي يريد أن يتوسط المهندس لقريبه بالعمل داخل الجيش ، فشعر بالفرح وقال : البيك لن يبخل عليك بذلك يا سيدي القاضي .. وأنا اسمي عبد السلام محمد يا مولانا القاضي .

قال : بارك الله فيك يا أخ عبد السلام .. اتصل بالمهندس .

اتصل البواب بالداخل فردت الزوجة فحدثها عن زيارة فضيلة القاضي موسى للمهندس في شأن واسطة لقريبه ، ولما حدثت زوجها بأمره وأمام دهشتها أمر بإدخاله ، فأغلق البواب الباب وتقدم بين يدي القاضي حيث صالة الفيلا حيث استقبله المهندس ، والهم واضح على وجهه وبادي في عينيه ، رحب الزوجان بالقاضي موسى ثم انصرفت الزوجة لإحضار القهوة فهمس القاضي بأمين حسن فذعر المهندس وقال : أهلا بالصديق أمين حسن .

ـ أنا الآن القاضي موسى سالم .

وأخذ بتشجيعه على الثبات والتحمل للإيقاع بالمجرمين وتواعدا على اللقاء في مكان رسمه له أمين .. ولما عادت الزوجة وجدت زوجها يعد الشيخ القاضي بالتوسط لقريبه في التعيين لدى القوات المسلحة ، وشربوا القهوة جميعهم ثم غادرهم القاضي موسى ، ولما انصرف الرجل عاد الانبساط للمهندس فارس ، وعلم أن الدولة مهتمة بقضية مطارديه لتوريطه في التجسس والعمل ضد أمن البلد ، فعادت لنفسه الثقة برجال المخابرات والمكافحة رغم الهزيمة القاسية التي لحقت في البلد في الحرب الأخيرة مع العدو المتربص .

لما خرج المهندس فارس من الاجتماع الأسبوعي مع رئيس الأركان العامة لم يغادر القيادة نحو مكتبه في معسكرات تحديث الجيش ؛ بل سار نحو مطعم الأفراد والجنود الصغار ، وهناك في نادي الأفراد التقى بأمين حسن ، ثم مشيا معا نحو غابة صغيرة وعندها ثكنات الحراس والجنود ، وتحت شجرة جلسا فاستمع أمين للمهندس الركن العميد قصة الاتصالات والإغراءات فقال : بعدما تم تعييني رسميا في المنصب .. تحدث معي شخص مهنئا وأثناء

الحوار والمجاملة أخبرني أنه رسول جماعة مهتمة ببرنامج تحديث الجيش وأنهم يرغبون بلقائي .. فاعتذرت ثم تكرر الاتصال منه ثانية وثالثة وأنا أترجاه أن يبتعد عني وكان يعرض عليّ خلال ذلك مجرد لقاء واحد فقط .. فأبيت وتحدث عن الملايين والأرصدة والحساب المفتوح فأخذت أعامله بالشتم والسب وهو يقابلني بالضحك ثم أخذوا يتهددونني وأنني اذا أصررت على عدم التعاون معهم سيعملون على تدمير حياتي أو قتلي أو أولادي أو أقاربي .. وأنا حائر بالرد ولمن أتحدث ؟! .. وآخر ما كان اتصالهم بي منذ عهد قريب بعد نصف الليل وفي هذا الشهر نوفمبر الذي نحن فيه ولحساسية الموضوع وخطورته وخلال لقاء قصير برئيس الدولة أسررت له بذلك الخطر الداهم ، فوعدني خيرا وتحدث مع اللواء حمدي رامز مدير مكافحة التجسس ، ثم وعدني حمدي رامز بلقاء معك وها نحن نلتقي يا حضرة المقدم .

فقال أمين : اطمئن يا حضرة العميد سنكون عند حسن الظن إن شاء الله تعالى .. وأنا قرأت ملف خدمتك بالتفصيل وملف الدورات التي شاركت فيها هنا وهناك .. فوجدتك نموذجا للعسكري الملتزم الناجح .. واطلعت على ملفات زملائك في مشروع التحديث والخطط المعروضة والدراسات وأظن لحتى الآن أنكم على قد المسؤولية الملقاة على عاتقكم .. وأمام ذلك يا سيدي العميد سنبدأ العمل ونحن مطمئنون لإخلاصكم للدولة والنظام ونحن نريد أو قل أنا أريد منك أن تقبل اللقاء مع هؤلاء ، وعليك أن تشعرهم أنك وافقت لأنك خائف على أفراد الأسرة وأقاربك من غدرهم ، ولديك بعض الحاجة للثروة الكبيرة .. عليك بالمراوغة يا سيدي قبل الموافقة وأنا سأقدم لك الأوراق التي ستدفعها لهم أثناء العمل معهم اذا اضطررنا لذلك .. وأنا سأدبر طرق اللقاء بك خفية للتشاور ومعرفة أسرار كل لقاء .. ثم هم بالطبع ربما ؛ بل قد يكون من الأكيد أنهم لن يلتقوا بك بعد هذه الممانعة بسرعة سيحاولون معرفة سبب رضوخكم وتغير موقفكم بعد تشددك في الرفض .. ناور وراوغ .. سيتعاملون معك بحذر وذكاء ويجب علينا أن نكون نحن أذكى وأفطن منهم .. وهذا التعاون بينا يجب أن يكون سري للغاية لا تحدث به أحدا لا زوجة ولا ولدا ولا أخا ولا صديقا ..

وأنا سأتردد عليك ابتداء على صورة القاضي موسى مظهرا أنني أضغط عليك من أجل تجنيد قريبي وبعد حين ستراني بشخصية أخرى .. تأكد أني معكم بكل ثقل وقوة .

فقال فارس وهو منشرح الصدر رغم المغامرة المقبل عليها : أنا الآن مطمئن لقدرة مخابراتنا وكفاءة رجالنا وحماة أمننا ولن تخلو البلد من المخلصين .. أشكرك يا مقدم أمين لقد عادت إليّ الثقة والقوة من جديد .. وسنعيد بناء القوات العسكرية .

وانصرف الرجلان كل من جهة ، عاد المهندس فارس لمعسكره ، وهو منشرح الصدر مطمئن للخطوة القادمة ، وقد جاء العرض سريعا ففي الليل رن جرس الهاتف فرد فارس فسمع الصوت يقول له : إنه في خطر وإنه سيتعرض لضربة قريبا . وذكر له قصة الخبير الكيميائي وهي لم تكن سر فقد تحدثت عنها الصحافة المحلية ؛ ولكن نسبها الرجل لجماعته فهذا خطير .. فقال المهندس بعد تردد وجدل وصراخ : أرجوكم اذا أردتم إيذاء شخص فليكن أنا .. لا تؤذون أحدا غيري .

فظن الرجل أن المهندس قد وهن وضعف وقال :هذا شأننا ، ولن نبدأ بك فربما عندما ترى ابنك ميتا تقبل التعاون معنا ..

أحس المهندس أن الرجل بلع الطعم فقال المهندس : أمهلوني أياما أو أسبوعا أفكر بجد في الأمر .. أرجوكم أن تدعونا بسلام ..

الصوت : سأصبر ثلاثة أيام وبعدها إن لم توافق على المقابلة سيحدث لابنك عمر شيئا ما ..

فتظاهر المهندس بالجزع : أرجوك .. أرجوكم أعتقوني لوجه الله .. أرجوكم ..أخشى أن يكون خط الهاتف مراقبا فتسيئون لي أمام رؤسائي .

ضحك الصوت : ولو كان الخط تحت المراقبة لا تخف لن يسيء لك أحد ..

أغلق الهاتف وانقلب مسرورا مما أثار عجب زوجته من ذلك وقالت : من سيؤذون ؟!

فقال بهدوء أعصاب : لعنهم الله يريدون إيذاء عمر .. ما العمل ؟ لقد حدثت الرئيس بذلك الخطر فوعدني خيرا ؟ فقالت: هل سنمنعه من الذهاب للمدرسة ؟!

قال : وهل يصعب عليهم الوصول إليه؟ .. فقد دخلوا على الخبير الكيميائي رونسو المحاط بحرس ومخابرات .. سأتفاهم معهم مرة أخرى وألتقي بهم وأعرف ماذا يريدون بالضبط ؟ .

فهتف بقلق ودهشة : ماذا قلت ؟!



جهاز تعقب

كان المهندس فارس يفكر بطريقة يتصل بها مع المقدم أمين ليخبره بهذا الاتصال والتطور في القضية ، فكان في حيرة فأمين لم يعطه رقم هاتف أو جهاز لاسلكي ليتصل به عند الحاجة إنما كان الترتيب أن يكون أمين هو المتصل به وقتما يشاء فكان في حيرة ، وبينما هو في معسكره اتصل به أمين حسن ، ففرح بذلك الاتصال الهاتفي وكاد يحدثه بالعرض الأخير للعصابة ولكن أمينا قال له : ستراني !

ولما خرج المهندس من باب المعسكر مساء قال له احد حراس الباب وهو يشير إلى سيارة مدنية تقف قريبا من مدخل الوحدة العسكرية : هذا الشخص يريدكم يا سيدي العميد !

تطلع المهندس إلى السيارة المشار إليها فوجد فيها أمينا فصف سيارته وتركها وذهب للسلام على أمين، وجلس معه وقص عليه أمر الهاتف . فقال أمين : نحن سمعنا كل شيء .. وقمنا بتسجيل المكالمة .. فهاتفك يا سيدي تحت الرصد والمتابعة .. أنا جئت لأوكد لك ثانية أننا معك واذا وعدوك بلقاء في مكان معلوم لنا سنكون قريبين منك .. وأما اذا استعملوا أماكن ملغزة سأتصل بك لأعرف المكان .. تذكر أننا نحن الذين سنتصل بك .. لا تفكر بالاتصال بنا فلابد أنهم يراقبونك ؛ كما نفعل نحن .. فتجنيد عميل يحتاج إلى جهد كبير من الشبكات التجسسية إلى اللقاء .

انسحب المهندس من سيارة أمين ، وعاد لسيارته ثم ابتعد عن المعسكر الذي يعمل فيه ، وبعد

حين يسير تبعه أمين بسيارته الصغيرة ولما وصل رأس الشارع سار باتجاه مخالف لسيارة المهندس .

ولما انقضت الأيام الثلاثة لم يتردد رجل الشبكة بالاتصال ليلا عند الثانية صباحا ببيت المهندس وبعد التحية قال الرجل : هل فكرت ؟!

رد المهندس بصوت هامس : كيف سأراك بدون أن يعرف أحد من الخلق بهذا اللقاء ؟! .. لقاء تعارف وقصير قبل الاتفاق على أي شيء .

أبدى المتكلم سروره وقال : انتظر منا عنوان المكان .. سلام يا مهندس فارس ..

وضع المهندس السماعة وقال : حتى كلمة عميد لم ينطق بها من الفرح .. دائما يا عميد فارس .. يا عميد فارس .. أما الآن فلم يقل عميد .. ظن أن العميد سقط وخاف .. لعنهم الله !

تلقى العميد فارس رسالة قصيرة من العصابة مطبوع عليها اسم مكان ووقت اللقاء الخطير والقصير .. وملاحظة " الرجاء حرق هذه البطاقة " بالطبع لم يحرقها فارس واحتفظ بها .

وكان موعد اللقاء قريبا .. ولما التقى به أمين على باب المعسكر كالمرة السابقة واطلع أمين على البطاقة الرسالة وانصرف ، وعلى اثر ذلك غادر فارس الوحدة العسكرية .. والسؤال الذي يدور في ذهنه " هل لرجال الشبكة مجندون داخل الوحدة التي يعمل بها من أجل تطوير وتحديث أسلحة الجيش الحربي ؟! "

يوم الثلاثاء التاسعة ليلا من أول أسبوع من ديسمبر ١٩٩٣ كان العميد فارس يزلف من باب نادي الشملاوي وعلى مائدة خالية جلس ينتظر الرجل المجهول الوسيط بينه وبين رجال الشبكة الخطيرة .. طلب كوبا من الشاي وبينما هو يرشفه اقتربت منه سيدة طويلة القامة وحيته وجلست على كرسي على نفس مائدة العميد وهي تقول : أتسمح لي بالجلوس يا عميد فارس ؟ تطلع فيها لحظات وقال : تفضلي .

ولما جلست قالت وهي تتطلع في وجهه : كيف حالك ؟ .. أنا مدام سلمى .. أنا من طرف الجماعة .

قال : أي جماعة يا مدام سلمى ؟!

قالت: يسلم عليك " أبو سويلم " كثير السلام ؟

قال : آ .. أبو سويلم .. أهلا وسهلا ما أخباره ؟!

فقالت: تمام .. بعد نصف ساعة سأنصرف أيها الصديق .. فاتبعني لا تخشى شيئا

قال : أين ستذهبين بي ؟!

فقالت: في مكان آمن .. هذا مكان ملغوم برجال الأمن السري .. سنذهب بعيدا عن عيونهم وعيون الفضوليين .

ونادت على النادل وطلبت عصيرا باردا رغم جو ديسمبر المعروف ببرودته ، ثم أخذت تدردش مع العميد عن الحياة والأحلام والمال والعميد فارس يقول لنفسه " أول مرة أسمح لنفسي بالجلوس مع امرأة كهذه طويلة اللسان وثرثارة تسب الزعماء والحكماء غير وجلة .. ما سر هذه الأنثى ؟! .. يبدو أنها شبكة دولية .. يا رب سترك .. ولماذا اختاروا هذا النادي الليلي .. والعميد فارس يسهر في نادي ليلي .. يا الله !! "

فلما سألته عما يحدث به نفسه قال : هذه أول مرة في حياتي أدخل نادي ليلي يا مدام سلمى وأجلس مع امرأة ثرثارة مثلك .. هذا ما افكر به

فضحكت وقالت : ستتعود يا بيك .. هنا الكثير من علية القوم .. في صالات القمار أو قاعات الرقص والمجون والزنا ..

فقال متهكما : ومثل هذه الأماكن في بلادنا ؟

فضحكت ثانية وهي تقوم : وأكثر .. بعد قليل الحق بي سيظن هؤلاء السكارى أننا سائرون لقضاء شهوتنا .. أو نحن ذاهبون لصالة الرقص .. سلام .

ابتعدت المرأة ودفع فارس المتصبب عرقا كثيرا ثمن الشاي والعصير ومشى خلف المرأة وشاهدها وهي تخرج من الباب الخلفي للنادي وفتحت باب سيارة تقف في الشارع وقالت : هذا باب الهرب للزبائن إما من زوجاتهم أو أزواجهن أو من البوليس اذا كان هناك مطلوب

وفار .

صعد بجوارها وقال مستفهما : وسيارتي ؟!

فقالت مطمئنة قلقه وخوفه على السيارة : عندما ينتهي اللقاء ستجدها أمامك .. أحد رجالنا الأن بداخلها سيأخذونها ويتفقدونها من أدوات التعقب والتنصت ؛ ربما سولت لك نفسك الغدر بنا .. الحذر واجب يا سيدي العميد .. لا تقلق ..

قال : حسنا .. حسنا أيها المدام هذا من حقكم .. ونحن لم نتفق على شيء بعد .. أنا بعد اللقاء بالرجل الذي يتصل بي سوف أفكر وأقرر يا سيدتي .. لا يعني قبول اللقاء معكم القبول

دارت المرأة في شوارع المدينة الرئيسية والفرعية عدة دورات ؛ كأنها تحاول تضليل من يتبعها اذا كانت متبوعة فعلا أو موهمة فارسا بقدرتها على الهرب من ملاحقيها أو أنها تريد قضاء وقتا معينا لتصل لموعد وساعة معينة .. فلما اقتربت الساعة من الحادية عشرة والنصف ليلا وقفت أمام بقالة في شارع فرعي ونزلت لتشتري منها علبة سجائر وبعض المكسرات وبعض علب العصير ، ولما عادت بتلك الأشياء دفعت علبة عصير للمهندس وأشعلت لفافة وقدمت واحدة للمهندس فارس فاعتذر وقال لها بقلق ظاهر : يا مدام سلمى تأخرت عن البيت ستقلق زوجتي والأولاد لم يعتادوا على غيابي المجهول .

فقالت: اتصل بها .. وتوقفت أمام كابينة هاتف عام وقالت : هذه كابينة تحدث معها .

نزل حضرة المهندس وتكلم مع زوجته مخبرا لها بأنه قد يتأخر بعض الوقت وعاد للسيارة فقالت المرأة : نحن بالطبع يا عزيزي أمرنا دقيق ويتطلب منا الحذر .. لقد كان النادي ملغوما برجال المخابرات وأخشى أن يكونوا قد اتبعونا من أجل ذلك أكثرت من اللف والدوران .. فمرة أخرى أقول الحذر واجب يا سيدي العميد .

قال : أنت تشكين بي ؟!

ضحكت وقالت : أنا أشك بنفسي .. نحن لا نلعب يا سيادة العميد .

وعاد الصمت بينهم ومضت السيارة في شوارع جانبية حتى وقفت أمام مقهى وقالت : انتظر

لحظات .

دخلت المقهى وتكلمت مع أحد الرجال فتبعها الرجل وسبقته للسيارة وقالت للعميد : أرأيت هذا الرجل ؟ اتبعه .

نزل العميد وتبع الرجل الذي لزم الصمت ومشى مائة خطوة ودخل في جوف سيارة ولما ابتعدت سيارة المدعوة مدام سلمى أضاء الرجل سيارته وتحرك بها نحو عمارة كثيرة الطوابق وإلى الطابق الثامن صعد الرجلان ، وطرق الرجل بطريقة خاصة على باب احدى الشقق وبعد قليل فتح لهما فقال الرجل : مدام سلمى ! وهبط من حيث صعد .

ودخل العميد المهندس فارس إلى بهو الشقة فوجد رجلا سمينا وقصيرا في استقباله ومرحبا به وساقه إلى غرفة في الشقة وسكب له بعض القهوة وقال له : أهلا بالمهندس العزيز فارس شلوكم .. يا مرحبا .. طال انتظارنا لهذه المقابلة .

قال المهندس مظهرا بعض الحدة : أين صاحبكم ؟! الرجل الذي جنني بكثرة الاتصال والمطاردة .. نريد أن نتحدث سريعا .. لقد أتعبتني هذه الملعونة .. لقد فرت بي كل شوارع المدينة ..

أخذ الرجل السمين يهدئ من ثورة المهندس ويتعذر له فقال : يا مرحبا ثانية .. فإجراءات الأمن وخداع رجال المخابرات مطلوب .. فلربما سولت لك نفسك بالتواطئي معهم .. فاقبل اعتذارنا واغفر لنا إتعابنا لكم .. فالموضوع كما تعلم خطير وعاقبته وخيمة ..

فقال المهندس وقد خفض من حدة صوته متظاهرا بمحاولة الهدوء : أرجو أن تكونوا قد اطمأننتم يا حضرة .. على عدم تعاوننا مع المخابرات ..

فقال الرجل السمين كأنه واثق من قدرة العصابة : ما دام قد وصلت إلى هنا فاحتمال كبير أن المخابرات لم تتبعك يا أبا عمر .. مع أن النادي كان الليلة الفائتة مليئا بمخبريهم .. لا ندري لماذا ؟! أيها السيد علينا أن نثق بك يا حضرة العميد .. وليس بالضرورة أن تتبعك مخابرات دولتك .. فشبكات التجسس تقوم بهذه الإجراءات والاحترازات.. فربما غيرنا طامع

بالاتفاق معك .

فقال فارس بنفس الحدة المصطنعة : هل سأتفق وأتفاهم معك أم مع غيرك يا حضرة .. ؟!

قال : اصبر أيها الرجل لقد صبرنا عليك كثيرا حتى استطعنا أن نصل إلى هذا اللقاء الخطير يا سيدي العميد .

قال : أخشى أن يتصل بي كبار الرؤساء والقيادة .

قال : لا تخشى شيئا ستتصرف زوجتك .. ألم تتحدث معها من الكابينة كما أخبرتنا مدام سلمى ؟

تبسم فارس لهذه المداعبة ، فالرجل يريد أن يشعره أن حركاته مراقبة ربما منذ خروجه من البيت وربما منذ خروجه بصحبة المرأة من النادي الليلي فقال : نعم ، نعم .. لقد طمأنت زوجتي فليس من عادتي التأخر عن النوم في البيت إلا لظروف العمل يا حضرة ..

وبينما هم على هذا الحال طرق الباب طرقا خاصا فقال الرجل السمين : " لعله الزعيم يا سيد فارس "

فتح الباب ودخل منه رجل معتدل القامة فقال له السمين : لقد وصل يا سيدي .. وهو في غرفة الاستقبال .

قال : شكرا مراد .

ومشى نحو غرفة الاستقبال حيث يجلس فارس وسلم عليه وعرفه على نفسه قائلا : ناصر حمزة .. أهلا بالأخ فارس .. أنا رسول القوم إليك .

تصافح الرجلان ورحبا ببعض وقال فارس : أنت رسول القوم .. هات ما عندك أيها الرسول لقد تأخرت عن أهلي وبيتي !

قال: لقد تأخرنا يا سيدي العميد لأجل الاحتياطات الأمنية، فنحن نقوم بعمل خطير جدا كما تعلم يا أبا عمر .. وزوجتكم على علم بسهركم .. باختصار يا سيدي العميد نحن نريد ضمك لنا .. تعمل لنا تصبح رجلا منا .. فقد وضعتك الأقدار في طريقنا .

فقال: منكم .. من أنتم ؟!

قال: ستعرف كل شيء رويدا رويدا .. المهم أن تتعاون معنا ومع الأيام ستعرفنا وتثق بنا وقد تصبح زعيما من زعمائنا .. المهم أن توافق على التعاون معنا وتطلعنا على أسرار التحديث الجديد في القوات المسلحة .. أنواع الدبابات أعدادها بلد المنشأ .. الآليات العسكرية مواصفاتها .. الطيران .. الدفاعات الجوية .. الصواريخ أنواعها وقدرتها .. كل شيء تريدون تطويره وتحديثه يا سيدي العميد .. نريد كل المعلومات المهمة .. وعند تسلمنا أول تقرير سيوضع لك مبلغا ترضاه في حساب خاص في أوروبا حيث تشاء أو في آسيا الجنوبية .. .. المهم أن تعلم الآن أننا شبكة عالمية .. ولست وحدك في الميدان ..نأخذ أسرار الجيوش ونبيعها للخصوم .. نسرق أسرار الباكستان ونبيعها للهند وايران .. أسرار الهند نبيعها لباكستان والصين.. التسليح السوفيتي للولايات المتحدة والعكس .. وهنا لإسرائيل وغيرها

فقال: واذا كشف أمري للسلطات ماذا ستصنعون لي ؟!

قال: امر كشفك يا سيدي ليس سهلا .. ولنا رجال في كل مكان .. سندبر أمرك ، وستجد نفسك في أوروبا أو الأرجنتين أو البيرو .. نحن لا نتخلى عن أعواننا وجنودنا .. وأنت ضابط ماهر ومهم ، قد نلحقك بجيشنا السري .. ولتعلم أنك لست وحدك تتعاون معنا في هذه الدولة فموقعك الاستراتيجي دفعنا لمغازلتك حضرة المهندس فارس.

فقال: ألكم جيش سري ؟!

قال: ليس هنا .. المطلوب منك الآن الموافقة على العمل والتعاون معنا .. فكشفت لك من أول لقاء الكثير من الأسرار .

فقال: لن أكثر الجدل ، فمبدئيا موافق على العمل معكم ؛ ولكني أريد مواثيق حتى أطمئن لكم ولا تغدروا بي بعد كتابة أول تقرير .. المال وحده ليس ضمانة يا سيد حمزة .

فقال: المهم أنك موافق على العمل معنا .. هذا بالنسبة لنا الآن هو المهم .. وسنقوم ببعض

الاختبارات حتى تطمئن نفوسنا إليك .. السرية مهمة جدا في عملنا .. ستصلك التعليمات ويتجدد اللقاء .. يمكنك الآن الانصراف .

فقال: أنا رضخت ليس خشية على حياتي ؛ إنما الخشية على الأسرة والأقارب.

قال: نعلم ذلك.. نعلم ذلك.

نهض الرجل قائما وقلده المدعو مراد وفعل مثلهما فارس وهو مرتبك وقال : أشكرك سيد حمزة .. اختبروني كيف شئتم ؟ من المهم أن أحمي نفسي قبل تسليمكم أول تقرير .

قال: لا بأس من حقك أن تحمي نفسك .. سيكون لديك جواز سفر لدولة أمريكية وجنسيتها وتستطيع السفر به في أي لحظة إلى أي بلد من العالم .. سنقوم بتدريبك على التنكر بهذه الشخصية .. ففي أي لحظة تشعر بالخطر تنكر وارحل

فقال: جيد هذا ابتداء .. أشكرك !

وساقه مراد السمين لمدخل العمارة ، فوجد فارس سيارة في انتظاره، فتسأل عن سيارته فقيل له : اركب بعد قليل ستصل إليها إنها في الطريق .



عاد للبيت منهكا منهار القوى مضعع الفكر والعقل يقول لنفسه : " ما الذي رماني بهذه المغامرة ؟ .. أين أنت يا أمين "

لم يستطع النوم تلك الليلة ولم يستطع الكلام أمام زوجته إنما كان يقول : الأمر خطير يا أم عمر .. أرجوك لا تسأليني عن شيء عنهم ، يخيل لي أحيانا أنني أعيش في حلم أو أشاهد فيلما .. أنا جاسوس ؟! لمن لا أدري .. اذهبي لفراشك إن النوم طار من رأسي .

قضى فارس الليل أو ما تبقى من ساعات الليل يشرب القهوة ويفكر بالمغامرة التي تورط فيها والشبكة التي سقط بين براثنها ليلة أمس .. نادي .. سلمى .. دوران .. دكان .. مقهى

.. سائق أخر .. عمارة .. الرجل السمين .. حمزة .. عودة مع سائق آخر .. ثم قال : أين كان رجال المخابرات ؟! .. هل كان أمين معي ؟؟ أم ضاع رجاله .. ؟ لا .. أمين رجل ذكي وشجاع .. الموت واحد وسأستمر في هذه المغامرة مهما كلف الأمر .. يا أنا يا هم ! .. جواز سفر أرجنتيني أو فنزويلي .. تنكر .. شخصية أخرى .. أين أنت يا أمين ؟ .. أنا ليس لدي خبرة للتعامل مع الجواسيس والشبكات .. سأتعلم بإذن الله تعالى .



٣

في مطعم أفراد وعسكر القيادة العامة للجيش التقيا فارس وأمين وحدثه بالتفاصيل عن لقائه عصابة الجواسيس فقال : من تراه رئيس كل هؤلاء ؟

قال: لا ادري يا سيدي؟ ألم تعرفوا العمارة؟

قال: فشلنا في المتابعة ، سخروا منا تبعنا سيارة أخرى.. هل يمكنك معرفة المكان ؟

فقال : كنت في سيارة لا يرى خارجها .. الزجاج اسود يمنع الرؤية .

قال: يا عميد فارس هل يدل كلامهم أنهم من البلد؟

فقال بلا تردد : اعتقد .. يتكلمون مثلما أتكلم معك، ووجوههم كوجوهنا

قال المقدم: لو قبضنا على صغارهم لن تستفيد الدولة .. هل تعلم أن زميلا لك العميد زيد عبد القادر الطيار حدث معه ما يجري معكم ؟ وكلفنا الرئيس بالتعاون معه ، فهو كما تعلم قائد سلاح الجو العسكري.

فقال : العميد زيد عبد القادر الكابتن الكبير معنا في فريق التحديث ..هل قابلهم ؟!

قال : قابل مجموعة أخرى يبدو من تفصيلات كلامك أسماء أخرى وأوصاف غير ما فهمته منك ..

فقال : أجانب .

فقال : هل هما مجموعتان مختلفتان أو مجموعة واحدة لم نتفق على تحديد الأمر.. على كل حال اذا حدث موعد جديد نبأنا به يا سيدي العميد .. القضية كبيرة أنت أكيد تحت عيونهم .



عقد مدير المخابرات العامة بحضور مدير الاستخبارات العسكرية والشرطة اجتماعا طارئا بعد أيام من لقاء فارس وشبكة العملاء واخبرهم عن خطف العالم رونسو من بيت

الاختفاء، وهذا يدل على اختراق للجهاز وللدائرة المحيطة بالعالم ، فقال تحدث يا تيسير عن الموضوع أمام الكادر من مدراء جهاز المخابرات ، وسيتم اختبار الكوادر والعناصر تحت جهاز الكذب من البواب حتى أنا ، لا يعلم مكان العالم إلا كوادر الجهاز .. تفضل تيسير.

قال تيسير : تعلمون أن دكتور رونسو تعرض في الفيلا لتهديد مباشر من شخصين مقنعين وطلبوا منه أوراق وملفات المشروع الذي يقوم به ، وقمنا بعملية تمويه ونقل لشقة آمنة وحراسة خاصة منا لفترة حتى يقبض على المقنعين.. وكيف اخترقوا السور الأمني حول الفيلا ؟ ومعرفة جهة الاعتداء .. ثم تبين أنهم عرفوا وكشفوا مكان الإخفاء الجديد وتعرض للخطف وقتل الحراس في الشقة المقابلة المكلفون بحمايته ومراقبته على مدار الساعة ، لم يسمع أحد صوت الرصاص ، وخدر الرجل وخطف وفقد بواب العمارة حياته أثناء رجوعهم بالعالم ، ويبدو أن خمسة شاركوا بعملية الخطف والقتل ، ولما حضر ضباط المناوبة التالية اكتشفوا ما حدث .. وهذا قبل ساعات من الآن قرب الثانية ليلا

فقال المدير : إذن الاختراق من عندنا في الجهاز ناس تعمل مع العصابة .

فقال مساعده : ألا يمكن أن يكون هناك ثغرة نفذ من العصابة؟

فقال المدير : الرجل رحل من أيام ، ولا احد يعلم إلا نحن المجتمعون هنا ، ومن نقودهم.

قال نائب مدير الاستخبارات العسكرية مرسم لازمي: أمين حسن والمقدم تيسير

فقال المدير : لا يعلم بنقل العالم المقدم أمين ولا المقدم تيسير وهو يشتغل على قضية العميد فارس ، والمقدم تيسير على قضية العميد زيد .. شكلوا فريق عمل لمتابعة وكشف خطف رونسو مايكن .. فالرئيس ورئيس الحكومة غاضب علينا وعلى تقصيرنا .. وتلويح واحتمال بإنهاء عملنا وارد.



٤

جلس أمين وتيسير وشركاؤهم في قضية العميدين يتناقشون بالفروض المساعدة للقبض على الشبكة أو الشبكتين عدة ساعات ، فهم على مطاردة ومتابعة لزيد حيث رتبت العصابة موعدا الليلة ، وكيف سيتخلصون من التضليل خلال التنقل في السيارات رغم رصدهم لأرقام السيارات في مطاردة فارس تبين أنها مزيفة لا مكان لها في دائرة ترخيص المركبات الوطنية .

في نصف الليل خرج زيد عبد القادر إلى ملهى ليلي خارج المدينة في الطريق إلى مدينة ومديرية أخرى ، ثم انحرف بعد الابتعاد عن المدينة بعشر كيلو مترات باتجاه الملهى والنادي الليلي "كلب سفن " الذي يديره توماس جاردلي الأوروبي وحتى كل خدم الملهى من أوروبا ما عدا الحرس الخارجي من شركة أمن محلية ، فأغلب رواده غربيين ، وكان الماء المنهمر يزداد من أبواب السماء ، صف سيارته في ساحة الملهى ، ودخل الباب الرئيس لصالة النادي ، دل على مكتب المدير توماس ، وعرف بنفسه وجلس بإشارة من توماس ، وقدم له كوبا صغيرا من الشراب ، فاعتذر عن تناول الخمر ، فهز توماس رأسه وقال : لا تشرب حسنا ! مارك في الطريق تحدث معي قبل قدومك .

لم يطل الانتظار فقد جاء مارك وصافحهم ، وأخذ بيد زيد ، وعادا لموقف السيارات المكشوف أمام صالات الملهى ، وطلب منه أن يركب بجواره وخرجا من الملهى ، والليل العاصف والظلام الدامس يخيمان على المنطقة ، ورجعا على طريق المدينة ، وفي الطريق كانت سيارة تقف في انتظارهم فأشار إليه مارك أن ينتقل إليها ، ففعل فرحب به السائق ، وكان غربيا مثل مارك ومدير الملهى ، ولزمهم الصمت ، وقبل أن يدخل المدينة الكبيرة انتقل لسيارة ثالثة ، دارت في شوارع المدينة زمنا يقارب نصف ساعة والصمت شعارهم ووقفت أمام مبنى ، وطلب منه الدخول من العمارة إلى الشارع المقابل حيث سيجد سيارة سوداء في انتظاره ، وفعلا وجدها وتحدث معه سائقها طالبا منه الصعود وفعل ، وبعد حين وجد نفسه

يهبط في موقف سيارات تحت الأرض ، وركبا المصعد إلى الطابق الثامن ، ويستقبل في شقة ورحبت به فتاة أجنبية نحيفة الجسم ، وعرضت عليه مشروبا ، فطلب قهوة ، فقد لفه الصداع من هذه الرحلة الغامضة لإجراء لقاء تعارف ، وبعد شربه القهوة سيق لمكتب فوجد رجلا غربيا ينتظره ، ويعلمه أن القيادة العليا للجيش اتصلت ببيته وأن زوجته أعلمتهم بخروجه للسهر ، وسيؤجل اللقاء لموعد آخر ، وحصل ذلك وعاد للبيت بسيارته التي وجدها مركونة في وسط المدينة.



التقى زيد وضابط الأمن السري تيسير محمد وسمع الأخير ما جرى معه ، فقال: لما فقدناك تحدثنا نحن مع البيت وزعمنا أنك مطلوب للقيادة لأمر طارئ حتى يلغو الاجتماع بك لديهم خطط تمويه شيطانية ؛ وخشينا أن يغدروا بك ، وهم كما رجحنا يتنصتون على هاتفك .. المشكلة يا سيدي أن الشوارع في الليل خالية من زحمة السيارات أو قل قليلة فتكشف عناصر المراقبة والمتابعة بسهولة .. فالحمد لله على السلامة .. هل كونت انطباعا ما عنهم؟

قال: سلمكم الله .. الملهى مديره اجنبي إنجليزي بدا لي .. ومايكل اذا كان هذا اسمه الحقيقي ، ولا اعتقد ذلك .. تحدثنا بالإنجليزية، وجميع السائقين يتظاهرون بأنهم أجانب وفتاة العمارة عربية أو إسرائيلية تتقن العربية ؛ ربما من بلد عربية جذورها .. هكذا بدأت لي من الوهلة الأولى.. ورجل المكتب شكله أوروبي.

فقال : هذا على خلاف من قابلهم زميلك العميد فارس ، هم يعلمون أننا نطاردهم .. فهل يعلمون بتعاونكم معنا ؟ فعملوا هذه الأدوار ليظهروا أنهم اكثر من جهة ؛ لكن هدفهم واحد .. فهذا يرجح أنهم مجموعة واحدة بعدة رؤوس.. على كل نحن سننتظر الموعد

الجديد وقد يكون قريبا

*****

مع مطلع العام الجديد تحدد اللقاء ، ليلة الاحتفال برأس العام الميلادي ، تلقى فارس رسالة بريدية قبل الموعد بأيام، وفي نفس الوقت الطيار زيد موعدا ، ستبدأ رحلة فارس بعد منتصف الليل إلى ملهى الشملاوي ؛ ولكنه لن يدخل الملهى حيث يجري السكر والصخب والاحتفال ، سيجد مستقبله خارج أسوار الملهى، وأما زيد فلن يذهب للملهى ويقابل توماس فسوف يكون المكان غاص بالأجانب للاحتفال ، سيجد مايكل أمام دار " سينما صن" أي الشمس، فاكثر روادها غربيون .

وكان رجال المخابرات مسرورين لهذا التوقيت ، ستكون حركة وسيارات كثيرة في شوارع المدينة والملاهي وسيسهل الانتقال دون الاشتباه بسياراتهم المراقبة.

وصل فارس لباب الملهى وظل في السيارة مدة عشر دقائق عندما رأى احدهم يقترب من السيارة يتكلم معه، فخرج ليواجه البرد والهواء الثلجي واغلق السيارة وتبع باسم السائق وركب بجواره وانطلقا في شارع الحرية، وبعد محاولات تمويه وصلا للعمارة التي دخلها المرة الأولى ، وصُعد به إلى الطابق الثامن حيث وجد ناصر حمزة في انتظاره.

وكان زيد يترك سيارته في شارع سينما صن وبعد دقائق حياه مايكل ، ويقوده لسيارته ، وبدأت حركة الخداع حتى وصل للعمارة التي زارها من قبل ، وقابل نفس الشخص الذي وضع أمامه مبلغا كبيرا ، وهو يقول : هدية بمناسبة قبولك اللقاء ، وأنت تعلم ثمنها، وهي الحصول على برامج التحديث والأسلحة الحديثة في سلاح الجو .. فإسرائيل ستدفع لنا الكثير وحتى بعض الدول العربية مهتمة بالأسلحة نوعا وكما التي تعاقدتم عليها لإعادة المجهود الحربي بعد هزيمتكم الكبرى .

وضع العميد المبلغ في سرواله ، واتفق معهم على مكان تسليمهم الملفات وكشوف التسليح وعناصر الوحدة ليستلم باقي المبلغ الذي اتفقوا عليه ، وقبل طلوع الفجر كانت قوات

الجيش والشرطة والمخابرات العسكرية والمدنية تقتحم المبنى كله ، وتعتقل كل من الطابق الثامن ، وتفتش كل العمارة ، وتضعها تحت الحراسة ، ولم تسمع لاحد بالمغادرة .

فقد نجحت الأجهزة الأمنية بالوصول إليها ، واقتيد فارس وزيد للتوقيف مع رجالات العصابة لاستمرار الخداع للمجموعة والشبكة التجسسية .

بعد أيام وجدت جثة العالم رونسو في احد ى الحدائق العامة ، وقد اطلق على رأسه النار ، واشتغلت الشرطة بالتحقيق بحضور جنايات المخابرات والشرطة العسكرية.

وهذا الاغتيال متوقعا بعد الاعتقالات التي حدثت في عمارة جوليا دابر ، وانتشر خبر مقتل الكيمائي في الإذاعات المحلية والشرطة . وفي دائرة المخابرات العامة كان المدير العام يخبر مدراء الجهاز باختفاء مساعده مرسم لازمي من يومين ، وأعلن الشك بإخلاصه للدولة والشعب ، وبعد أسبوع اعلن عن مقتله ، ووجود جثته قرب حدود دولة مجاورة .. هل كان هاربا أم مخطوفا ؟ فقد كان يرفض الجلوس لجهاز الكذب بعدما دخل الشك للدائرة واعتبر ذلك إهانة وأن يشك في إخلاصه بعد هذا العمر والترقيات والأوسمة التي تزين صدره .



٥

تلقى رئيس الجهاز رسالة خطيرة موقعة باسم العالم الدكتور رونسو مايكن الألماني الشرقي نسبة إلى ألمانيا الشرقية بعد تقسيم ألمانيا يكشف له فيها أن العالم الذي قتل كان مزيفا وأنه هو الزعيم الكبير للشبكة ، وأن رونسو هو الذي قتل حرسه ، وتم اختفاؤه لانتهاء دوره ، فلم وقعت العمارة تم التخلص منه ، ومن مرسم لازمي الضابط الذي يعمل معهم داخل جهاز الاستخبارات ، فلا تظنوا أنكم انتصرتم علينا .. سترى جماعتنا بينكم بوجوه جديدة ؛ وليكن العميدان فارس وزيد تحت حمايتكم ، لقد كان تعاونهما معنا بوقت قريب مريب لي بعدما رفضهما بشدة وعناد ، وتهاوننا في تعليل ذلك ، واحترم ذكائكم في كشف العمارة واعلم أن مدير الملهى توماس لا يد ولا علاقة له بالشبكة .. هو أداة دون اهتمام .. فلا داعي للتنصت عليه فهو قواد وسكير .

درس الضباط رسالة من زعم أنه العالم رونسو الحقيقي ، وترجح لديهم صدق ما فيها ، وأن العالم لم يكن الحقيقي ؛ لأنه بعد التعاقد معه بشهر مرض ودخل المستشفى عدة أيام فتغير وجهه وسحنته بحجة المرض ومشاكل في الكلية والصحة.

قابل المدير رئيس الدولة وقدم له التقرير النهائي في قصة شبكة الجواسيس وعمارة جوليا وخيانة مرسم ورسالة الزعيم الحقيقي للشبكة ، وأن المعركة مستمرة مع شبكات الجاسوسية في الوطن.



المكتبة الخاصة ٢٠٢١



جمال شاهين

مسبحة اللؤلؤ

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم





١٠
التحقيق الجنائي والجريمة

اختفت مسبحة نادرة وثمينة من خزانة سرية .

كيف اختفت؟ لا أحد يدري الحيلة

لم يقف الأمر ها هنا ؛ بل صاحب المسبحة اختفى أيضا

الشرطة في حيرة ، والأسرة والأصدقاء في حيرة !

كان الرجل في رحلة قطار متكررة بين سنة وأخرى

لم يصل الرجل إلى الفندق كما هو مرسوم

أين المسبحة ؟ أين الرجل ؟!

هذا ما ستكشف عنه سطور وكلمات القصة !

مسبحة اللؤلؤ

١

لقد كان السيد "رفيق حلمي" البحار القديم في استقبال المحاميين مجدي حامد وفيصل حسني ، فالأول ابن صديقه أو قريبه حامد سجاد ، والآخر ضابط متقاعد من الأمن ، وقد تخرج محاميا أثناء عمله مع الشرطة .

كان رفيق حلمي يستقبلهما بنفسه مساء ذلك اليوم ، وهذا على غير عادته ، فمن المعتاد لزائريه أن تستقبلهم خادمته الآسيوية " الفلبينية " ، وتفتح لهم الباب ، وترحب بهم بعربيتها الركيكة ، وتجلسهم في قاعة الضيوف ، ثم تخبر سيدها بمجيء ضيوفه ، فيخرج إليهم والجلوس معهم ، أما هذه المرة وهي من النوادر قام باستقبال ضيوفه بنفسه ، والسبب أن هذا اللقاء مهم وخطير، فلما كلمه المحامي مجدي مخبرا برغبته بالمجيء بصحبة زميل ، طلب من الخادمة الاستقرار في حجرتها ، وظل هو في صالة الشقة منتظرا لضيفيه .

وشقة الرجل كائنة في الطابق الخامس ، ولا يشمل هذا الطابق إلا على شقة واحدة على خلاف الطوابق الأخرى ، فهو مالك هذه البناية ذات الطوابق الستة سوى الطابق الأرضي التي أنشاها منذ سنوات للاستثمار ، فجعل بعض الطوابق شقتين وبعضها ثلاث ، لتناسب عائلات متنوعة صغيرة وكبيرة ، وللعمارة مصعد جيد ، ومن أحدث الطرازات يوم إنشائها ، ويحيط بالمبنى حدائق غناء بالأشجار والأزهار ، وطابقه الأسفل جعل موقفا للسيارات ، وفيه حجرة التدفئة المركزية ، وعدادات الكهرباء والطاقة ، وحجرة كمخزن لأدوات الزراعة والصيانة ، وفي الطابق الأول كانت شقة لبواب العمارة وأسرته ، وأما الطابق الخامس فكان شقة واحدة للسيد رفيق سكنا ومكاتب لإدارة شركاته واستثماراته ، فهي شقة واسعة.

دخل الرجلان الزائران شقة السيد رفيق حلمي ، وصافحهما ورحب بهما ، وساقهم بعدما أغلق الباب الرئيسي للشقة بالمفتاح إلى غرفة جعل منها مكتبة ، لم يأخذهما لغرفة المكتب ولا صالة الشقة ، فلما جلسوا رحب بهم غاية الترحيب ، وقام المحامي مجدي بتعريف السيد رفيق على المحامي فيصل ، وضغط رفيق على جرس داخلي أقبلت على أثره الخادمة ، فطلب منها

إعداد القهوة لضيوفه .

والسيد رفيق حلمي في هذه الأيام عام ٢٠٠٠ قد تجاوز الستين سنة ، وكان الثلاثة يجلسون متجاورين كأنهم ملتصقون ببعضهم البعض ، فقال مخاطبا لهم : أنا رجل عشت أكثر العمر في البحر .. ما يقارب ربع القرن .. سافرت اليونان وأنا ابن خمس عشرة سنة .. كان العمل في بلادنا تلك الأيام ضعيفا .. فقد هاجر عم لي إلى أوروبا ، وفي إحدى السفرات رافقته وصحبته أنا أتقدم بهذا الكلام يا سيدي العقيد ؛ لأنه مهم في قضيتنا .

قال المحامي العقيد المتقاعد فيصل : خذ راحتك في الحديث يا سيدي !

ـ رحلت أو هاجرت واشتغلت مع عمي في البحر ، وعلى ظهر السفن كحمال وعتال وعامل ثم صرت مساعد بحار لعمي الذي يعرف البحر منذ نشأ ؛ لأن مسقط مولده مدينة بحرية .. ثم أصبحت قبطانا على السفن والبواخر الصغيرة .. ولما كبرت سني وزدت عن الأربعين هجرت البحر والسفن ، وعدت لهذا البلد بثروة كبيرة .. طبعا تنقلت في أثناء العمل بين موانئ أوروبا والعالم .. ولكن أكثر أيامي كانت في إيطاليا حيث عملت فترة مهمة من حياتي وتزوجت امرأة طليانية كانت لها مراكب عملت عليها ، قد ورثتها عن أبيها .. ولم يقدر لي الإنجاب منها .. فلما ماتت ورثت المال الكثير منها والمراكب سواء كانت للصيد أم النقل .. وبعد خمس سنوات يا سيدي ...

دخلت الخادمة بالقهوة والماء ، وقدمتها لسيدها والضيوف وانصرفت ، وبعدما أغلق الباب ، وأخذ الرجال بالرشف تابع رفيق الكلام قائلا : بعد هلاكها أي زوجتي الأجنبية بخمس سنوات بعت أملاكي ومراكبي وعدت إلى هنا حيث مسقط رأسي .. لأن والدي وإخوانه رحلوا لهذه المدينة العظيمة التي نعيش فيها اليوم .. فأنشأت مصنعا لصناعة الأحذية والحقائب .. وشركة استيراد .. وبنيت فيلا من طابقين ، وكنت قد تزوجت بعد وصولي بقليل .. وأنجبت لي زوجتي الثانية ولدا وبنتا .. الولد يدرس ويعمل في إيطاليا .. والبنت منذ سنة تخرجت من دراسة الصيدلة ، وهي تعمل في صيدلية خاصة الآن .

رشف رفيق رشفة قهوة ، وكان المحاميان يرشفان وهما مصغيان لقصة الرجل الشيخ ولم يعلقا بشيء ، فتابع الرجل قصته قائلا : أيها الكرام كنت أثناء عملي في إيطاليا ومالطة والبحار عامة قد تحصلت على مجموعة جيدة من المجوهرات والأحجار الكريمة .. تقع في أيدينا من البحارة ومن الركاب الذين يمرون في ظروف صعبة فيجبرون على بيع مثل هذه الأشياء بأثمان بخيسة إلى حد ما فيبيعونها للبحارة .

وأحضرت هذه الكمية من الجواهر معي ، لم يكن بي حاجة لبيعها بفضل ربي .. وضعت بعضها في صندوق تخزين خاص في البنك ، والقسم الآخر ظل في البيت ، وله خزائن خاصة ، أمتع نفسي بالنظر إليه ، وأتحسسه وقتما أشاء.. لهذه الجواهر سحر غريب على النفس والخيال يتكون مع الوقت وطول الزمن .. ومنها مجموعة مسابح جميلة لها لذة عجيبة أثناء التسبيح بها وهذه المسابح مصنوعة من اللؤلؤ الطبيعي أو الماس الأصلي .. وهي ثروة كبيرة بذاتها .. وهذه المسابح هي الحكاية .

أحضرت الخادمة أكواب العصير ، ولما غادرت تابع السيد رفيق الحكاية فقال : وقبل أن أترمل للمرة الثانية قمت ببناء هذه العمارة ـ وأشار بأصبعه للأسفل ـ التي نجلس في أحد طوابقها.. كما أخبرت قبل لحظات كنت احتفظ ببعض الجواهر في خزائن معدنية خاصة في البيت الأول ، ولما سكنت هنا أيضا أعددت لها خزائن معدنية خاصة هنا فاستقرت تلك الجواهر فيها .

وأخذ نفسا عميقا وهمس قائلا : وقبل أيام اختفت مسبحة مكونة من اللؤلؤ والماس الأصليين !!

ولما لم يسمع كلاما تابع قائلا : قد تكون قيمة هذه المسبحة ما يساوي خمسين ألف دولار وربما أكثر من ذلك .. سوى أنها تحفة فنية رائعة !

شرب بعضا من كوب العصير ثم قال : تحدثت مع ابن صديقي العزيز المحامي مجدي حامد عن موضوع اختفائها الغريب بعد أن بحثت بطريقتي الخاصة هنا وهناك ، ولكني لم أعثر

عليها ، فأخبرته بالسر ، وأنه لا رغبة لي بإخبار البوليس في الوقت الحالي .. فأعلمني بأن له صديقا محاميا قد خدم في الشرطة والتحقيقات الشرطية ردحا من الزمن .. وهو أنت يا ولدي يا فيصل !

قال فيصل : يا مرحبا يا سيدي وأنا في خدمتك .

ـ بارك الله بك .. وأنا لا أدري كيف اختفت ؟! لأن المفاتيح والأرقام الخاصة بهذه الخزانة معي .. ولو اختفت المفاتيح بعض الوقت فالأرقام معي ، ولا أحد يعرف الأرقام السرية إلا أنا !.. رغم ضعف بصري لم استعن يوما بأحد لفتح الخزانة .. ولكن قبل أيام كنت أتحسس هذه المجوهرات ، وأتفقد المسابح وأعد حباتها في أحيان كثيرة .. فعندي عشرة منها بعضها من اللؤلؤ ، وبعضها من الماس وبعضها من العقيق .. المهم وجدت مسبحة لؤلؤية ماسية عزيزة عليّ مفقودة .. فاضطربت وتوترت وأصابني ذهول وغضب وحيرة شديدة ..كيف فتحت الخزنة؟! .. وكيف سرقت المسبحة؟!

قال المحامي الشرطي : أمتأكد أنك لم تخرجها من الخزانة ؟

ـ طبعا متأكد .. ولو أنني أخرجتها من الخزانة لوقع في نفسي أنني نسيتها في مكان ما .. أو سقطت مني ولم أشعر بسقوطها .. ومع ذلك نقبت البيت حجرة حجرة متوهما أنني حملتها بدون وعي مني وضاعت .. أنا عادة أفتح هذه الخزانة الموجودة هنا في هذه المكتبة.

ونهض قائما وأزاح خزانة مكتبة متحركة وفي الجدار خلفها خزانة معدنية من الخزائن الثقيلة التي صممت لحفظ الأشياء المهمة وقال مخاطبا لضيفيه : أفتحها .. وأنظر إلى هذه المقتنيات المثيرة .. ربما آخذ بعضها إلى هذا المكتب ـ وأشار لمكتب صغير في وسط المكتبة ـ وآخذ بتفحصها والتأمل بها .. أو أسبح ببعض المسابح مرة أو أكثر ثم أعيدها حيث كانت .. وأتأكد من وجودها كلها وأحيانا أعد حبات المسابح ، ثم أغلق الخزانة ، ثم أتأكد من إغلاقها مرة أخرى .. ليس خوفا من السرقة بل بحكم العادة .. وكنت أيام زوجتي أسمح لها بلمس هذه الجواهر ، وقد أهديتها بعضها ، ولكنها كانت تبيعها وتتصدق بثمنها .. ومن النادر يا

سيدي أن أسمح لأحد الناس برؤيتها .. فمن عادتي استقبال ضيوف العمل في مكتبي أو مكتب الشقة الثانية حيث ملفات العمل والسكرتيرة .. وزائري الآخرين أستقبلهم في غرفة الاستقبال .. وأدخلتكم اليوم هنا لأهمية الحادث ولتروا مكان الجواهر .. ولما أجريت التجربة منذ أيام وجدت مسبحة لؤلؤية مفقودة .

وأخرج لهم البوم صور من المكتبة المتحركة ، وأخرج منه صورة لمسبحة اللؤلؤ المختفية وقال وهو يقدمها لهم : هذه صورة لها .

وتأمل الرجلان الصورة للحظات وقال فيصل : ألا تسمح لأحد من أصدقائك برؤية هذه الأشياء الثمينة ؟

ـ في الحقيقة أفعل ذلك ، وبعضهم لمسها ، ووالد محامينا حامد حصلت له هذه الفرصة مسك بعضها وداعبها .. ولكني حريص للغاية على حفظها وتفقدها .

ـ ألا يشكل هذا خطرا عليك أي ببقائها في البيت ؟!

ـ أدرك الخطر.. ولكن عملي كمغامر وبحار.. ومعايشتي المخاطر والتآمر فأصبح الخطر ضعيفا عليّ .. فكنا نحمل هذه المجوهرات شهورا ، ونصل بها مهجرنا سالمين.. وأيضا لديّ أكثر من مسدس ، وأحسن استعماله بحكم رحلاتنا البحرية

ـ ومشى إلى درج خاص في المكتبة ، وأخرج منه مسدسا، وعرضه أمام ناظريهم ـ وهو يقول : وهذا احتياط .. وهذا مرخص يا سيدي .. وفي غرفة النوم مسدس آخر .. ومنذ جئت هذه المدينة لم أصادف خطرا عليّ بسبب اقتناء هذه الجواهر .. بل بلادنا أكثر أمنا من بلاد الطليان واليونان .. لا يوجد مافيات عالمية هنا أو ما يسمى الجريمة المنظمة .. وأصدقاء البيت قلة أيها الأخوة .. ولا أقيم حفلات في الشقة.. أحب الهدوء والسكون.. لكن كيف سرقت فهذا ما يريد أن يذهب بعقلي وفكري ؟!!

ـ ولِمَ لم تلجأ للشرطة ؟!

ـ طلب مني ولدي مجدي فعل ذلك .. فالشرطة ستأخذ أقوالي .. رفع بصمات .. فسارق

قطعة كهذه لا أعتقد أنه سيترك بصماته .. من سأتهم ؟!.. لا أتهم أحدا .. ولا أشك في أحد.. فالخادمة تعمل هنا وفي البيت القديم منذ عشر سنوات ؛ وربما أكثر وكيف ستفتح الخزانة ؟! لا أذكر أنني فتحتها أمامها .. ابني مسافر .. والبنت انعزالية .. وموظفو الشركة العاملون معي هنا لا يمكن دخولهم إليّ هنا .. بحكم العادة .. فالسائق حلمي ينتظرني في الصالون عند مدخل الشقة أو يجلس في شقة العمل عند السكرتيرة ، وهو ابن صديق ، وكذلك السكرتيرة لمياء فتواجدها الدائم في الجناح الآخر.. ورفاق العمر من النادر أن يدخلوا لهذه الحجرة .. وأعتقد أنهم منذ شهور لم يدخلوا هذه الحجرة .. فمجلسنا المعتاد في الصالون .. المهم كيف فتحت الخزانة ؟!.. هذا اللغز .. البواب أبو سلمى أقصى ما يصله المطبخ إذا أحضر شيئا للخادمة والبيت .. والسائق كما قلت لا يتجاوز بهو الشقة .. هذا هو اللغز يا سيدي العقيد .. فالسيد مجدي كاشفته بهذا السر .. فلما سمع مني هذه القضية أخبرني عنك ، وأنك عملت في التحقيقات الجنائية والأمنية والتحريات .. وها أنا أطلعتك على القضية العجيبة .. وأنا جاهز لإكرامكم ودفع كل ما يلزم من أتعاب وأجور !



٢

خيم الصمت على القوم فترة ، ثم خاطب مجدي زميله فيصلا قائلا : هذه هي القصة يا أبا منذر ..الوالد أبو سامر يؤكد أن المسبحة منذ خمسة أيام كانت داخل الخزانة السرية المصفحة وتفقده لمجوهراته مستمر وأصبح متعة وعادة عنده .. وهو كما تحدث لا يسمح بدخول أحد إلى هذه الحجرة إلا نادرا .. ولم يحدث هذا النادر خلال هذه الأيام الخمسة .

فقال الضابط مستفهما: والخادمة ؟

رد أبو سامر : الخادمة تدخل لتنظيف المكتبة والغبار.. وفي المرات النادرة إذا أدخلت ضيفا هنا لا يمكن فتح الخزانة أمامه .. كيف فتحت الخزانة وسرقت المسبحة ؟! .. هذا هو المحير ويكاد أن يجنني ؟!

ـ لابد من معرفة كيف فتحت هذه الخزانة السرية ..؟!

عاد مجدي يقول : ما تقول في هذا اللغز يا أبا منذر ؟ ألم يتكوّن في فكرك وخيالك شيء ؟!

قال الرجل بعد تأمل وفكر : طبعا ، لا يمكن سرقة مسبحة من داخل الخزانة ما دام الفاعل لا يملك أحدهم المفتاح والأرقام السرية إلا في حالة السطو الخطير.. وأبو سامر هو الوحيد الذي يملك المفتاح والأرقام السرية .. ولو أن أحدهم استطاع تقليد المفتاح فكيف حصل على الأرقام ؟!.. ما دام أخونا أبو سامر لم يطلع أحدا عليها .. والسارق لماذا سرق المسبحة فقط وقد وصل لفتح الخزانة ؟!..لابد أنك راجعت معلوماتك جيدا يا سيدي ، وأنك لم تتركها خارج الخزانة ولو للحظة .. خطر في بالي الآن سؤال .. هل هناك عليها تأمين ؟

ضحك رفيق حلمي وقال : لا .. لابد أنك تشك بي يا سيدي .. أنا لست بحاجة لمال فالأمور تسير على أفضل ما يرام ..ولو أردت الاستفادة من التأمين للجأت للبوليس.. ولشركة التأمين ولشهرت بالقضية ..

قال الضابط المحامي : أنا آسف يا سيدي ! .. لم أقصد الإساءة لشخصكم ؛ ولكن التحقيق كما تعلم يأخذ كل فرض واحتمال ودراسته .. واسمح لي يا سيدي بالاستعانة بالشرطة

وبعض الزملاء لأخذ البصمات عن الخزانة وسيكون الأمر خفية كما تحب .

فقال مجدي مشجعا الاقتراح : جميل يا فيصل!.. فإذا كان هناك بصمات لغيرك يا سيد رفيق فهناك لص .

ـ لا أعتقد سارقا اليوم يترك بصماته في مكان الجريمة .. وربما تجدوا بصمات الخادمة ، وهذا لا يثبت جرمها فهي ممن يتردد على هذه الحجرة .. إنها تدان إذا وجدتم في حوزتها المسبحة .. وقد بحثت في حجرتها ولم أشعرها بذلك.. أنا شككت بنفسي أيها الناس .

قال فيصل : يا سيدي الفاضل! لابد من عمل تحريات سرية عنها .. لا يكفي دفاعك عنها وثقتك .. فهذه المسبحة لو وصلت إليها لأغنتها الدهر، وهجرت هذه المهنة ، وعادت لبلادها .. سآخذ اسمها الكامل وأعرف مسيرة حياتها منذ جاءت هذا البلد وعند من اشتغلت حتى نتأكد من براءتها .. هي صحيح قد لا تكون قادرة على فتح خزانة ؛ ولكن رجل مدرب وخبير خزائن يمكنه فتحها .. فربما التقت بمثل هذه الرجل ، وأثناء مغادرتك البيت أدخلته أو رجل يعرفك غرر بها وورطها ، واستولت على مفتاحك ورصدتك وأنت تفتح الخزانة وحفظت الأرقام من تكرارك لعملية التفقد .. أليس كذلك يا مجدي ألا يمكن ذلك ؟!

رد مجدي بحيرة : احتمالات ممكنة .

قال رفيق بحيرة وشك : امرأة عاشت بيننا كل هذه السنوات !.. ولم أحس بتغير في سلوكها منذ عرفتها ، تنقلب فجأة لتغامر هذه المغامرة الكبيرة .. لم أذكر مرة أنها سرقت دينارا واحدا بل عندما كانت تجد ولو قطعة صغيرة من العملة تعطيها لأم سامر أو لي .. أتراها تمهد الطريق لمجرم ؟! أو تتعاون معه ؟!

ـ حبة منوم يا سيدي تقدمها لك فتغرق في سبات عميق

ضحك رفيق وقال : لا داعي لهذا المنوم .. فأنا أحيانا ألجأ إليه .

ـ هي الوحيدة يا سيدي التي تعرف مستقر ومكان المجوهرات .

ـ كل الأعزاء يعرفون أن لديّ خزانة خاصة ولديّ حفنة مجوهرات .

قال فيصل : ولكنها هي وحدها التي تعلم مكان الخزانة ، وأنها خلف هذه المكتبة المتحركة .

ـ المفتاح يا سيدي معي وحدي .. والأرقام معي وحدي .

ـ المفتاح ممكن تقليده اليوم وبسهولة وبمبلغ بسيط .. والرقم أليس مكتوبا في مكان ما داخل هذا البيت؟!

ـ هو مكتوب في مكان ، ولا أعتقد أن أحدا يستطيع أن يستدل عليه ، فهو ضمن أرقام للخداع ، وثانيا مكان وجوده لم استعمله منذ استعملته وحفظته.

ـ الراغب في السرقة يراقب ويتابع يا سيد رفيق .. يسرق المفتاح ويطبعه على معجونة خاصة ، ويقدم لصانع مفاتيح فيصنع نسخة منه .. ويقدم له عذرا أنه فقد سلسلة المفاتيح والخزانة مهمة ولا مجال لكسرها .. والحيل كثيرة .. ولكن العقدة الرقم .. ولكن عدة محاولات ربما تؤدي الغرض ..

ـ ولكن السرقة قريبة الحدوث يا سيدي الضابط

ـ أنت يا سيدي طيب وعندك ثقة كبيرة فيمن حولك .. ولكن عند البوليس كل الناس في دائرة الاشتباه حتى المُبلغ وصاحب المصلحة حتى يخرج الكل من دائرة الشبهات .. وهناك احتمالات أخرى لسرقة الخزانة ما دام لم يستخدم العنف .. احتمال مهم وهو أنك تركت الخزانة مفتوحة لسبب ما .. ودخل أحدهم وتناول المسبحة المعروفة له .

بعد صمت ونظر قال رفيق : لا أنكر مثل هذا الاحتمال ؛ ولكن متى تركت الخزانة مفتوحة ؟! وكيف عرف السارق بهذا الوقت ؟!.. هل نسيتها مفتوحة وغادرت البيت ليأتي السارق ؟!

ـ إذا كان السارق من داخل البيت كان الأمر سهلا .. نسيتها مفتوحة ، ودخلت الحمام ..ألم تنسها يوما وتدخل الحمام أو للرد على الهاتف؟.. فهذه دقائق مهمة!

ـ الخادمة استغلت هذه الدقائق المهمة لتسرق المسبحة لماذا لم تسرق غير المسبحة ؟

ـ هذه قضية أمست معقدة !

ـ نحن يا سيدي نضع فروضا، ونرى من أقربها للصواب والتحري نحوه .. وهذا عمل

المحقق .. هل حصل أن تركت الخزانة مفتوحة وخرجت لأمر ما ؟

ـ الحق يحصل هذا .

هتف فيصل باسما : رائع !.. رائع هذا الاعتراف يا سيدي ! في الفترة التي سبقت الأيام الخمسة هذه أو ما بين آخر فتحة التي اكتشفت فيها السرقة والتي قبلها هل حصل مثل ذلك الفعل ؟

ـ حصل معي ذلك فعلا .. كان السائق حلمي في صالة المدخل كالعادة .. والخادمة في غرفتها أو في المطبخ ؛ لأنها قدمت للسائق كالعادة كوبا من الشاي أو العصير حسب رغبته .. وكانت الخزانة في ذلك الحين مفتوحة ونادتني السكرتيرة للحديث من الجناح الآخر جناح العمل والإدارة الخاصة بي ، وتحدثت بالهاتف مع مدير أحد المؤسسات .. بحدود خمس دقائق أو عشر .

ـ جيد يا سيدي جيد ! ..إذن في الفترة الأخيرة قد ذهبت للحديث من الجناح الآخر ، وكانت الخادمة والسائق حلمي في البيت والخزانة السرية مفتوحة .. ما الكلام الذي تحدثته مع مدير المؤسسة الذي اضطررت للذهاب إلى هناك ؟ ولم لم تتكلم من هنا من هذه الشقة؟

فكر رفيق قليلا وقال : كنت أستعد للخروج من البيت ، فاتصلت لمياء بالسائق وحضر ، وكنت قد لبست ملابس الخروج ، وأثناء شربه للشاي كانت لمياء قد طلبت لي مدير المؤسسة وخرجت من هنا لأنظر حلميا وقلت له : هل حضرت أهلا حلمي؟ .. فنهض وسلم عليّ .. ونظرت كوب الشاي أمامه يا سيدي .. فقلت " اشرب شايك " إني في انتظار مكالمة .. وكنت أثناء خروجي لرؤية حلمي قد تركت الخزانة مفتوحة .. وأفعل ذلك بالعادة أجلس أتأمل هذه الجواهر وأنا في انتظار حلمي أو غيره ، ولما تخبرني الخادمة بوصوله أبدأ بإغلاقها ريثما يشرب شايه .. خرجت وتحدثت معه يومها .. وبينما أنا أكلمه نادتني لمياء للحديث مع مدير المؤسسة التي طلبتها لي .. فمشيت وتناولت السماعة.. وكان حديثنا عن تقديم معونة لعامل مات ـ وهو عامل في أحد المصانع ـ كنا نريد تقديم مبلغ من المال لأسرته .. بعد أن

تحدثنا في الموضوع طلبت منه انتظاري .. وعدت لجناح النوم ، وكان حلمي جالسا مكانه وقد شرب شايه .. فأغلقت خزانة الجواهر .. وخرجنا سوية ونزلنا بالمصعد إلى الطابق الأول ومنه للسيارة .. ولا أذكر أنني لاحظت توترا وارتباكا في تصرفات الشاب ذلك اليوم .. فكان تصرفه طبيعيا كما اعتدت عليه .. وهذا الرجل هو ابن صديق عزيز لي .. وهو يعمل معي منذ خمس سنوات .. وهو بالطبع ليس ملاكا .. ولكنه في العمل معي ملتزم بالأدب وحسن الدوام ولكن كيف تسلل لغرفة المكتبة وهو لم يدخلها قط ؟!.. هو في العادة عندما يكن الانتظار طويلا .. يجلس في الجناح الثاني .. في جناح العمل عند لمياء ، وهناك مكان للجلوس وصنع الشاي والقهوة والتدخين ..ولو كان سارقا ما أدراه أن الخزانة مفتوحة .. وما أدراه أني سأذهب للحديث من مكتب لمياء والخزانة مفتوحة ؟!

ـ السكرتيرة هل تركتك وأنت تتحدث مع مدير المؤسسة ؟

ـ أبدا ظلت بجواري لتتلقى أي تعليمات .. وهي لم تكن مكالمة سرية .. والسكرتيرة من النادر أن تدخل البيت ؛ لأن كل دفاتر العمل عندها ، وهي تدخل جناح الشركة من باب خاص ، وكذلك حلمي السائق ، والباب الذي يفصل بين الجناحين يفتح من هذا الجناح فقط .. أما الجهة الأخرى لا يفتح إلا بالمفتاح الخاص به .. فالمكتبة لا يدخلها إلا القليل .. وإذا كنت مريضا ودخلت السكرتيرة للسلام أو الحديث في شأن العمل يكون لقاؤنا في حجرة النوم أو الصالة التي في مدخل الشقة .. وهي أيضا ابنة صديق عزيز أيضا

تبسم المحاميان وقال مجدي : وأنا ابن صديق للسيد رفيق

قال فيصل : سمعت ذلك من أبي سامر في أول لقائنا .. الاتصال الذي تركت فيه الخزانة مفتوحة لبضع دقائق متى كان ؟

ـ قبل الظهر في العاشرة صباحا تقريبا .. والسائق حلمي قبل إصابتي بالجلطة أو السكتة الدماغية منذ أكثر من سنة كان عادة ينتظرني في السيارة عند مدخل العمارة .. لم يكن يصعد لهنا ..وإذا تأخر نزولي كان يصعد إلى شقة الشركة عند السيدة لمياء حتى أجهز للخروج ..

ولكن بعد تلك الوعكة الحادة أصبح يرافقني حتى أدخل الشقة ثم ينقلب نازلا .. ولما نطلبه بدأ يصعد ليمسك بي أثناء هبوطنا بالمصعد ..هذه ملاحظة أحببت تبيانها .. لأن التوازن اضطرب عندي يا سيدي بسبب المرض.. فصعوده طارئ ، ولا أذكر أنه تجاوز صالة الاستقبال لأشك فيه.. أنت عليك أن تشك بالجميع كما قلت ، ثم تبرئ من تشاء .. ولكن بحذر وسرية ؛ لأنه لا يعلم باختفاء مسبحة اللؤلؤ الأصلية سوانا نحن الثلاثة .. وأذكر الآن أيها السادة في ذلك اليوم أو الصباح الذي تركت الخزنة فيه مفتوحة ، وذهبت لأتحدث بالتلفون من عند لمياء.. أن ابنتي سامية لم تخرج لعلمها ذلك اليوم ..ولما علمت بذلك من الخادمة دخلت غرفتها وسألتها فأخبرتني أنها متعبة ومريضة .. فدعوت لها بالعافية ، وتناولت فطوري ودخلت مكتبتي هذه أتأمل مجوهراتي كالعادة التي تسري في دمي .. ولما تجهزت للخروج قلت " هيا يا حلمي" .. فتقدم وأخذ بيدي وغادرنا الشقة ، وأغلقت الخادمة الباب بالمفتاح خلفنا كالعادة المتبعة.. هؤلاء من كان حولي في تلك الساعة وكلهم فوق الشبهة والشك .

ـ وأنت بعد هذه القصة افتقدت المسبحة ؟

ـ نعم ، ها أنت دفعتني لتذكر هذه التفاصيل .. فالخادمة كانت في البيت وابنتي والسائق والسكرتيرة .. فكيف أسرق في هذه الدقائق ؟!

ثم عاد يقول : تذكرت أنني فتحت الخزانة ذلك الصباح أيضا لغرض آخر .. أخرجت مبلغا من المال النقدي ؛ ربما لأجل ذلك أبقيت الخزانة مفتوحة.. ولم يسرق دينارا واحدا من الخزانة

ـ وأنت متأكد أنك عندما فتحت الخزانة ذلك الصباح ، وأخذت مبلغا من المال أن المسبحة كانت موجودة .

ـ أنا متأكد أنها لم تكن مختفية يومئذ لأنني سبحت بها .. وخرجت لأرى السائق والسكرتيرة .

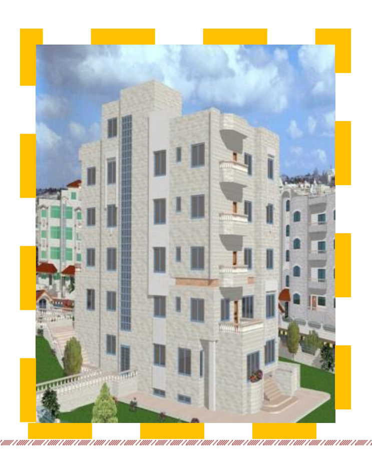
قال فيصل حسني : لابد من وجود لص .. وكان على مسرح الحادث .. الخادمة .. السائق .. السكرتيرة ؛ ولكنك قلت إن السكرتيرة كانت معك خلال هذه الدقائق التي تركت الخزانة

من غير إغلاق فلا يمكنها التسلل لهذه الغرفة .. يبقى ثلاثة هذا إذا حدثت السرقة حسب القرائن في تلك الدقائق .. الخادمة .. والابنة ..

والسائق .. وهؤلاء كلهم ثقات عندك

ـ والله لا أدري كيف سأشك بهم ؟!.. وكيف عرفوا أني تركت الخزانة مفتوحة ليسرقوني بهذه العجلة ؟!

ـ ما دام يا سيدي أن الخزانة لم تفتح من غيرك ..فهذا هو الاحتمال الواقع .. والطمع موجود بين البشر .



٣

اتفقوا على جلب عامل من المختبر الجنائي لنقل البصمات الموجودة على الخزانة الحديدية ومقارنتها ببصمات المترددين على الشقة أو الذين وجدوا في ذلك اليوم الذي تركت الخزانة فيه مفتوحة لبضع دقائق ، وعمل تحريات عن الخادمة الآسيوية " ماجندا "، ثم البحث عمن حضر هذه الدقائق الخطيرة ومتابعتهم سرا .

ولما غادر المحاميان شقة رفيق حلمي ، وركبا في سيارة المحامي مجدي قال الضابط فيصل : هل صاحبنا بكامل قواه العقلية يا مجدي ؟

ـ هو عليل بحكم السن أولا .. وثانيا أصيب بجلطة دماغية كما أخبرنا .. وها هو قد احتاج لمن يمسك به أثناء ركوب المصعد ؛ ولكن بشكل متقطع .. وليس له مصلحة في إخفاء المسبحة كما قال وكما أرى .. وعدم التأمين عليها يؤكد أنه ليس في حاجة للمال .. وحسب معلوماتي الدقيقة أن وضعه المالي في العالي .. وهذه الجواهر ثروة كبيرة بين يديه .. ويخيل لي أن السارق أخذها معتقدا أن السيد لن يكتشف الأمر سريعا ..

ـ سؤالي يا سيدي عن قواه العقلية .. لأسأل هل يمكن أن يخرج المسبحة ويتركها في مكان ما وينسى أين تركها ؟

قال مجدي : من ناحية طبية لا أدري .. علينا بسؤال الطبيب المعالج له .. ولكنه ذكر لنا أنه بحث في البيت في هذا الاحتمال .. ولكن الجلطة الدماغية من الأمراض الخطيرة والصعبة كما أعلم ..وتؤثر على الذاكرة والحركة .. فالرجل الطبيعي ينسى ويذهل .. فكيف المريض بهذه العلة؟! .. ألا نضع شيئا وننسى مكانه ثم بعد حين نتذكر أين نسيناه ؟!

ـ يحصل هذا لنا كثيرا ؛ ولكن هذه مجوهرات ليست قلما أو مفتاح سيارة أو علبة دواء .

قال مجدي : أنا شخصيا أرى أنه وضعه الصحي غير مريح .. وهو يكلمنا قبل قليل كنت ألحظ عليه الشرود أحيانا ..

ـ إنه يتذكر الأحداث .. فهو غير مستوعب أن يسرقه أحد ممن حوله .. وهو لا يريد أن

يصدق أنه قد سرق .

ـ علينا بالحديث مع طبيبه الخاص أو أطبائه .. ولكننا قد نضطر لمكاشفتهم بالقضية .. ليحدثونا بصراحة .

قال فيصل : إذا لم يكن هو الجاني نسيانا أو غفلة .. فالخادمة لابد أن يكون لها دور ويد .. فهي مهما كانت طيبة .. فالجواهر تدير الرأس وتفتن العقول .. وهي بالصبر والمتابعة تعرف الأرقام ، وبعدة محاولات استطاعت فتح الخزانة .. وعلى الفرض الثاني كان أمامها فرصة لدخول المكتبة بحجة التنظيف ورأت الخزنة مفتوحة فتناولت المسبحة بثوان معتقدة أن السيد لن يكتشف الأمر على الفور فهي بين عدد من المسابح .. والسائق أمامه فرصة إذا أحس بأن الخزنة مفتوحة ؛ ولكن فرصة الخادمة أكثر وآمن .. فلو فاجأها السيد أمامها حجة التنظيف المعتادة وهي تعرف البيت ونظامه ..أما البنت لم أفكر فيها بعد .. ما رأيك فيها ؟

ـ سامية فتاة هادئة ولطيفة جدا .. وخجولة جدا.. هل تعلم أنني حدثت أبي بخطبتها لي من العم رفيق .. ولما علم والدها بذلك أخبر أبي بأن أخته طلبتها لأحد أولادها .. وهو ما زال لم يقطع أمرا ، ولم يحدثها أبوها بأمر ابن أخته بعد ، وهو مهندس طيران أو شيء له علاقة بالطيران .. ولا حدثها عني بالطبع فالأمر معلق بعد .

ـ يعني أنها لا يمكن أن تسرق المسبحة !

ـ لا أستطيع أن أنفي ، لا علاقة خاصة لي بها سوى التحية إذا تصادفنا .. سؤال يا صديقي .. لو وجدنا يا سيدي بصمات الخادمة على الخزانة فهذا لا يفيد كما أعتقد

ـ من الخارج لا يفيد ، أما إذا وجدت بصمة لها من الداخل داخل الخزنة .. فهذا يفيد ويدفعنا للبحث عن مكان إخفاء المسبحة ثم الاعتراف .. والبصمة تدفعنا لوضعها تحت مراقبة الشرطة .

٤

رتب المحامي فيصل موعدا بين فريق البصمات والسيد رفيق، واختاروا يوم جمعة حيث لا عمل للسائق حلمي فيه إلا حسب الطلب والحاجة ، ولا عمل للسكرتيرة كذلك ، وهو يوم إجازة للخادمة فيسمح لها بالمغادرة وزيارة معارفها ، ولم يجدوا إلا بصمات السيد رفيق في الداخل والخارج ، وإذا مسحت بصمات الخارج فيكون ذلك قبل اكتشاف السرقة ، وأكد لهم الرجل أنه منذ اكتشف السرقة منع الخادمة من دخول الغرفة ؛ لأنه كان يفكر باستدعاء البحث الجنائي لرفع البصمات وإشراك الشرطة في القضية ، وكان يصحبهم خبير متخصص في الخزائن السرية ،ولما قام بفحصه أكد لهم هو الآخر أن الخزانة لم تفتح إلا بمفتاحها الأصلي ولم تجر أي محاولات لفتح الأرقام ، فلما ودع العقيد فيصل رجال البحث الجنائي ومعمل البصمات قال لرفيق ومجدي : ليس أمامنا إلا نعترف بأن السرقة كانت ذلك اليوم الذي نسيت أو تركت الخزنة فيه مفتوحة وتحدثت من هاتف الشركة .. لقد غامر شخص ودخل المكتبة .. هل السيدة ماجندا غادرت المنزل بعد تركك الخزانة ذلك اليوم ؟

ـ أغلب الأيام تخرج .. إذا احتاجت لشيء من شاي قهوة عصير ثوم خضار تهبط وتشتريه من المحلات القريبة .. البواب ليس مستعدا لتلبية ذلك كل الأوقات .. وإلا قضى نهاره في خدمة سكان العمارة .. فالبيت يلزمه أشياء كثيرة للطعام والمطبخ .

ـ لقد أجريت تحريات عن الخادمة .. فهي سيدة محترمة ، ولم يسجل عليها أي سرقة .. ولها تخدم البيوت عشرين سنة .. تنقلت بين عدد من الأسر .. كل من سؤل عنها أثنى عليها خير الثناء .. وسافرت لبلدها في عدد من الإجازات ، وهي أم لرجلين في الأربعينات .. عمل أحدهم فترة في البلد ثم رجع لموطنه .. ولها ثلاث بنات متزوجات في بلدها الفلبين .. وهي رغم حجمها الصغير تبلغ الخامسة والخمسين .. ومع سيرتها الحسنة يبقى بريق الذهب والجواهر مثير ومغري يسيل له اللعاب كما هو معروف .

وضع كوب العصير بعدما أفرغه في جوفه كاملا وعلى نفس واحد وقال : الحمد لله .. طيب

أما السيد حلمي سائقك الخاص .. لم نجد له أي سرقة في ملفات الشرطة .. ولكن كان له في صغره منازعات وخصومات حادة .. ولكنه لما بدأ يشتغل خفت وعاد للهدوء .. تعقل كما يقال ..وفي النهاية أقول يا سيد أبا سامر قد بذلت قصارى جهدي العقلي والشرطي لمعرفة الجاني ، ولم أوفق لمعرفته .. وأشكر الزميل مجديا على الثقة الكبيرة التي وضعها في شخصي الضعيف .. ولكن لا أقول أن القضية انتهت وقيدت ضد مجهول ..فالأمل سيظل موجودا .. وعندي اقتراح بناء على أن السارق لم يأت من فراغ .. فهو له علاقة ومعرفة بالبيت وبالسيد رفيق ..

ولما ظل الرجلان صامتين استرسل فيصل قائلا : ما رأيكم بأن نضع له طعما ؟! فالذي سرق أول مرة سيعاود الكرة ، هذه عادة أهل الشر .. فالسارق إذا لم يعرف ويعاقب فيعتقد أنه يستطيع معاودة الكرة مرة ومرات ما دام قد ظل بعيدا عن الحساب الدنيوي ..سأحضر لك مسبحة مقلدة .. وعليك إظهارها باستمرار أمام زوارك وضيوفك ؛ لعلنا بهذه الخدعة نثير شهية الفاعل ليقوم بسرقة جديدة .. ربما تتحرك غرائزه الشريرة .. غريزة الطمع والغرور .. فهو الآن مطمئن أن القضية لم تصل للشرطة ، وأنك لم تعر الأمر اهتماما ، وأنك لم تعرف بسرقة المسبحة .

قال مجدي: لم أخبر أحدا بالقضية الخاصة ولا حتى أبي .. وفكرة الطمع والإغراء فكرة ربما تفيد ولن تضر .

قال رفيق : حسنا عليّ أن أرضى بهذا الاقتراح الفيصلي .

وضحك الرجال ، وبعد أيام كان المحامي مجدي يضع بين يدي رفيق حلمي مسبحة من أحجار الماس الزيف أو الصناعي ، وهي في غاية الإتقان والجمال ، وقام رفيق بالدور المطلوب منه ، فكان يظهرها أمام مخدوميه وزائريه ، ويدعي أنه حصل عليها حديثا من أحد محلات المجوهرات في بلجيكا ، وثمنها يعادل مائة ألف دولار .. وكان يكثر من الحديث عن الجواهر وحبه لها كما كان يفعل قبل فقد المسبحة اللؤلؤية .. وكان يتظاهر أيضا بعدم اكتشاف ضياع

المسبحة .. وكان يقوم بهذه الدور العجيب وهو يفكر بعمق بكيف اختفت المسبحة رغم حرصه الشديد ؟ .. وبينما هو يمارس دورا ماكرا في الحياة زاره ثلاثة رجال أجانب وعرفهم وتذكرهم .. رجال ممن عرفهم في اليونان وإيطاليا .. رفاق البحر أيام الشباب والمغامرات .. ودار بينهم نقاش حاد في عدة جلسات .. وفي آخر لقاء طردهم شر طردة .. محذرا لهم من البقاء في البلد .. فقد جاءوا يسألونه أن يرد إليهم جوهرة هندية اشتروها قديما من أحد موانئ الهند .. وقد أكد أمامهم بأنه اشتراها ، ولا يرغب ببيعها وردها للهنود مهما بذلوا من المال .



٥

وبعد حادثة طرد الرجال الأجانب دخل رفيق المستشفى للعلاج من الضيق والتعب الذي أصابه من لقاء هؤلاء الرجال ، ووضع تحت المراقبة الطبية بطلب من طبيبه الخاص الدكتور باسم بيدو ، وكان أطباؤه عندما أصيب بالجلطة الدماغية حذروه من الانفعال الشديد والعصبية الحادة .. وكان لقاؤه بهؤلاء الرجال وتره وهيجه ، وأصابه بالغضب الشديد ، وأفقده السيطرة على أعصابه.. وعلينا أن لا ننسى أيضا الغم الذي أصابه من ضياع مسبحة اللؤلؤ .. ولما تحسنت صحته واستقرت وزالت أخطار تكرار السكتة ، وسيطروا على ضغط الدم الزائد سمحوا له بالخروج ، فعاد للبيت منهك القوى.. وكان محاميه مجدي قريبا منه ، ويكثر من التردد عليه .. ودخلت عليه السكرتيرة لمياء صباح يوم بعد تحسنه من الألم والمرض ومعه في ذلك الصباح المحامي الشاب قالت : يا سيدي .. لقد جاءت عدة دعوات من عدد من الجمعيات والنوادي تدعوك لحضور مناسباتها الخاصة ومهرجاناتها .. وأهمها الجمعية النسائية في مدينة " الخد ".. وهم يلحون بشدة على حضورك حفلهم السنوي .. وأنا ذكرت للسيدة الدكتورة سعيدة أنك خارج من المستشفى منذ أسبوعين ، وصحتك لم تعد تقوى على السفر البعيد .. ولكن السيدة ترغب بالحديث معك من أجل ذلك .

التفت رفيق للمحامي وقال : هذه دعوى لا ترد يا أستاذ مجدي .. بيني وبين تلك السيدة علاقة خاصة .. وأنا أحد المتبرعين لجمعيتها باستمرار .. ولكني منذ مرضت مرضي الأخير منذ عام أو أكثر لم أشارك لها في حفلة أو نشاط وهي حريصة دائما على دعوتي وحضوري .. فالمسافة إلى تلك المدينة تحتاج إلى أربع ساعات ونصف ..والعام الفائت في حفلة آخر العام اعتذرت .. وها هي تدعونا لها هذا العام .. وأنا لست على ما يرام .. والحفلة ربما تحتاج إلى أسابيع قبل أن تقام .. مرضني هؤلاء الملاعين الطليان .

كأن المحامي تفاجأ فقال : من هؤلاء الطليان الذين أمرضوك ؟!

ـ أنا لم أحدثك عنهم ؟!

وروى للمحامي زيارة الأجانب الثلاثة لحضرته ومطالبتهم له بجوهرة قديمة ، وساعدته السكرتيرة بالرواية فقالت : قبل مرضه الأخير زارنا ثلاثة من الأجانب كانوا يعملون معه في البحر والمحيطات .. وطردهم بعد أن أغضبوه حتى هددهم بالاتصال بالشرطة حتى غادروا الشقة .. ومنذ خرج من المشفى وهو يتصلون من جديد لتحديد موعد للتفاهم وحل المشكل بينهم.

فالتفت المحامي لما سكتت الفتاة لرفيق وقال : ماذا يريدون ؟ جوهرة قديمة !

قال رفيق: مشاكل قديمة منذ عشرين سنة تخيل ! .. فعلا هناك أناس مجانين في هذا العالم .. يدعون أن لهم حقوقا عندي ..صبروا كل هذه السنوات ، ثم استيقظوا .. جنون هذا !

قال : هدأ من نفسك يا أبا سامر .. لا يستحقون العناء والانفعال .. سأتصرف معهم يا سيدي .

ـ لا تسمحي لهم يا ابنتي يا لمياء بالمجيء إلى هنا .. وليكن لقاؤهم بالمحامي مجدي ولينصرفوا لبلادهم خيرا لهم .. وأنا لولا العشرة القديمة وذكريات المرأة الأولى لاتصلت بالبوليس من أول اجتماع بهم .. لكن الذكريات القديمة لم تسمح لي باللجوء للبوليس .

قالت لمياء : ماذا أقول للسيدة سعيدة ؟

ـ السيدة سعيدة .. متى يكون احتفالهم هذا العام ؟

ـ سيكون يوم خميس مع وقت الظهر تاريخ ٢٥ – ٤ –١٩٨٥ بعد ثلاثة أسابيع من اليوم .

ـ حسنا قبل الاحتفال سأقرر يا سيدة لمياء ! .. وسأتحدث مع سعيدة بنفسي .. هل من شيء آخر ؟ قبل الشيء الآخر .. تذكرت خبير الجواهر .. رضا هل اتصل بي ؟

فقال المحامي : خبير الجواهر .. ولماذا ؟!

ـ أنا لم أقل لك .. منذ شهور تحدثت مع صديقنا رضا شاه في بلجيكا.. عامل في متجر مجوهرات دولي .. خبير في الماس والأحجار الكريمة .. اتصلت به منذ شهور يا سيدي المحامي ، ودعوته لزيارتي ليطلع على مجموعتي من الجواهر ، ويعمل لها فحصا معتادا بين

وقت وآخر.. ولكنه اعتذر لي عن المجيء في ذلك الوقت .. وقبل شهرين على ما أظن اتصل بي وقال إنه قريبا سيكون هنا .. وها نحن منذ شهرين في انتظاره .. هل اتصل يا لمياء أثناء وجودي في المشفى؟

ردت السكرتيرة : أبدا يا سيدي .. هل تحب أن أتصل به من جديد ؟

ـ فيما بعد .. على كل حال هو سيأتي .. إذا خف عنه العمل ، لابد أن يزورني ؛ لأنني عميل قديم عنده منذ أيام إيطاليا والبحر ـ وتنهد شوقا لتلك الأيام ـ كلما كنا نعود من سفرة ببعض الجواهر إما أن نذهب إليه أو يأتينا روما أو أثينا ..ومن عادته الوفاء بالوعد ..اذهبي يا لمياء لمكتبك .

لملمت الفتاة أوراقها وملفاتها وغادرت ، ولما اختفت قال رفيق : هذه الفتاة تعمل معي منذ عشر سنوات ، وهي ابنة أحد الأصدقاء كما تعلم .. والمسكينة قد تزوجت ابن عم لها ، ثم طلقها متعلقا بامرأة أخرى .. ولكن الصحيح أنه لم يعرف أن يستفيد من أموال أبيها .. ولما عجزت على إدارة العمل من مكتبي في الشركة نقلت جزأ من المهام لهذه الشقة وجئت بها للعمل معي هنا .. فهي نشيطة وتفهمني بشكل ممتاز يا مجدي.. كما تفهمني أنت وتتعاون معي فتقدم لي تقارير دقيقة ومختصرة كأني أعيش في كل الشركات التي أملكها .. الحمد لله على توفيقه .



٦

اتصلت الدكتورة سعيدة بنفسها مع السيد رفيق حلمي ، واطمأنت على صحته ، وحثته على المجيء للمشاركة في الحفل السنوي للجمعية النسوية في مدينة الخد ، وبينت له أنهم هذا العام سوف يقدمون تكريما خاصا لبعض المحسنين الذين لهم أيادي بيضاء على تاريخ الجمعية ، ودعموا مشاريعها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وأنه على رأس المكرمين في هذا العام ، ولما رأى إلحاحها ورغبتها الملحة بمجاملته والسعادة برؤيته والحديث معه مباشرة قال لها : سأكلم طبيبي الخاص، وإذا سمح لي بهذه الرحلة الطويلة سأكون بين الحاضرين ..فسرت الرئيسة لهذا الأمل .

ولما عاينه الطبيب الخاص " باسم بيدو " رخص له القيام بهذه الرحلة رغم استغراقها لأربع ساعات ونصف في القطار ، فهو كلما يسافر لمدينة الخد يركب القطار ، ربما عادة أحبها أثناء وجوده في أثينا وموانئ إيطاليا وجنوب فرنسا ، وهي عادة التنقل بالقطارات ، وقطارات اليوم تمتاز بالسرعة والراحة .

فلما أخذ موافقة الطبيب على السفر اتصل بمجدي محاميه الخاص قائلا : سيكون السفر مساء الأربعاء، وقد حجزت لمياء غرفة في فندق الخزان في قلب مدينة الخد .. ما رأيك بمصاحبتي في هذه السفرة ؟

ـ لدي بعض المشاغل ؛ ولكني سأنطلق إليك صباح الخميس مبكرا ، وأكون معك أثناء الحفل وربما قبل الحفل .

ـ جيد يا ولدي !.. سأقضي ليلة أخرى في الفندق .. سأعمل على أن تتعشى معنا السيدة سعيدة في مطعم الفندق .

ـ هل أنت مسافر بالقطار كالعادة أم بالسيارة ؟

ـ في القطار إن شاء الله ..وسأترك القطار في مدينة لبى ، فهو لا يمر من مدينة الخد نفسها .. وستكون في انتظاري سيارة مرسلة من قبل السيدة سعيدة .. وبين لبى والخد حوالي خمسين

كيلو متر .. ولبى محطة القطار تابعة إداريا للخد .

ـ سأرافقك إلى محطة القطار مساء الأربعاء .. ويوم الخميس ظهرا سأكون معك بعون الله تعالى.

ـ سيكون غداؤنا بضيافة السيدة سعيدة في صالة خاصة .. صالة شرف ، فهي تقدم أفضل الوجبات في تلك البلدة .. وسأعرفك بها ، وندعوها للعشاء معنا في الفندق.

ـ إن شاء الله يا سيدي .

ـ ضروري أن تكون هناك يا مجدي .. فقد أقوم ببعض الأعمال الخيرية أيها الابن العزيز .

ـ أمرك يا سيدي .. سأكون في الفندق قبل الظهر .

ـ رائع !.. ستكون حجرتك محجوزة .. وقد حجزت لي لمياء مقصورة خاصة في القطار حتى أستطيع التمدد وحتى النوم .

٧

ركب السيد رفيق السيارة التي يقودها السائق حلمي ، وركبت السكرتيرة لمياء في المقعد الخلفي ، وكانت حقيبة الثياب وضعت في صندوق السيارة ، ثم أعطي السائق إشارة الانطلاق إلى محطة القطار " محطة الشرق " حيث سيركب قطار الساعة الخامسة والربع مساء المتجه إلى محطة لبى القريبة من مدينة الخد .. وكان قد تم حجز مقصورة خاصة للسيد رفيق .

ووجدوا المحامي مجديا في انتظارهم على رصيف المحطة ، وسلموا على بعضهم البعض ، واطمئن المحامي مجدي على صحة السيد رفيق ، وأنه جاهر لهذه الرحلة .. قام السائق بإدخال الحقيبة الخاصة بالسيد رفيق إلى مقصورته .. وصعد رفيق إلى المقصورة الخاصة المؤثثة بأثاث يليق بأصحاب الأموال ورجال الأعمال ، وكان بداخلها مقعد يتحول إلى سرير عند الحاجة، فلما استقر الرجل على المقعد المريح شكر القوم ، وذكر مجديا بموعد الغد .. وبعد دقائق انطلق القطار رويدا رويدا حتى يغادر المحطة لتزداد سرعته حتى يقترب من المحطات الأخرى فيعود للهدوء وتخفيف السرعة .

فلما ابتعد القطار قال مجدي : لماذا لم تذهب معه يا أستاذ حلمي ؟! ألا يحتاج لسائق هناك ؟

ـ قال إن السيدة سعيدة ستوفر له سيارة خاصة وسائقا .. وطلب مني أن أبقى في خدمة السيدة لمياء .

فقالت لمياء : السيد رفيق يحب السفر في المسافات البعيدة بالقطارات أو الطائرة .. والطائرة غير متيسرة لهذه الرحلة ، وصحته أيضا لا تساعد لو ركب الطائرة .. وهو يحب الاستمتاع برحلة القطار ؛ فأنها تذكره بوجوده في القطارات السريعة في أوروبا .. وهناك يستفيد من سيارات الفندق .. والدكتورة المحترمة ستدبر أمر السائق والسيارة كما علمت منه ..

وعاد حلمي السائق يقول : وأنا سائق لهم .. السيد رفيق والسيدة لمياء .

فقال المحامي مخاطبا لمياء : هل تحبين أن أوصلك للبيت أو أي مكان آخر؟

تبسمت له وقالت : شكرا يا سيدي المحامي .. سأعود لشقة العمل بعض الوقت ، ثم

انصرف لبيتي .. فالسيد حلمي سيقوم بالواجب .. أشكرك ثانية .
فودعهما قائلا : غدا بمشيئة الله سأكون في خدمة السيد رفيق في مدينة الخد .
فقال حلمي : بإذن الله رافقتك السلامة .
انطلق المحامي بسيارته نحو غايته ، وركبت لمياء بجوار حلمي ، وانطلق بها نحو شقة رفيق حلمي .



لما وصل مجدي قبل ظهر يوم الخميس فندق الخزان بمدينة الخد تفاجأ بأن السيد رفيقا لم يصل للفندق ليلة أمس .. فدهش وظن أن السيد رفيقا مرض في الطريق ونقل لأحد المستشفيات ؛ ولكن المدير أكد له أنهم كانوا في انتظاره حسب الترتيبات والتعليمات من الدكتورة سعيدة السيدة المعروفة للفندق الكبير .
أخبر المدير السيد مجديا أن أحدا اتصل بهم ليلا ، واعتذر لهم عن عدم مجيء السيد رفيق الليلة.. وكان السائق الخاص بالفندق قد ذهب إلى محطة لبى منتظرا للسيد رفيق بناء على طلب الدكتورة .. وفهمت من الاتصال أنه سيأتي اليوم .. فلما اتصل بي السائق من المحطة بأن القطار وصل وليس عليه السيد رفيق .. فطلبت من العودة .
فكر مجدي بما سمعه من المدير وقال : يا سيدي .. أمتأكد من المعلومات ؟
ـ طبعا يا عزيزي .. قلت لك إن السائق عاد من لبى من غير أن يلتقي بالسيد رفيق .. قالوا إنه نزل في محطة سابقة .. وكانت مقصورته فارغة .. واتصل بي فأخبرته أن أحدا أخبرهم أنه أجل مجيئه لليوم .. وأمرته بالرجوع .
ـ أنا يا سيدي محامي السيد رفيق ، وأنا ودعته بنفسي في محطة الشرق مساء أمس .. وموعدي معه اليوم هنا ظهرا لنذهب لصالة الشرف للغداء على شرف السيدة سعيدة .. ثم لنحضر

الحفل السنوي للجمعية النسوية التابعة للدكتورة سعيدة .. فهل الذي اتصل بك رجل أم امرأة ؟

ـ لم أتلق الاتصال بنفسي.. الاستقبال هو الذي تلقى الهاتف واعتذار السيد رفيق عن المبيت الليلة الفائتة ، وطلب عدم إرسال سيارة لمحطة لبى .. ولكن عندما جاء الاتصال كان السائق قد مشى لهناك .

اتصل مجدي بالسكرتيرة لمياء وسألها عن السيد رفيق فقالت : منذ ودعناه على رصيف المحطة لم أتكلم معه رغم أنني حاولت هذه الصباح الحديث معه ؛ ولكن لا أحد يرد من الغرفة .. فظننت أنه نائم أو مشغول بشيء ، وأجلت الاتصال إلى فترة ما بعد الظهر .

ـ ألم يبت بالشقة ؟

ـ شقته هنا ؟! كيف؟!

ـ آ!

ـ لا ، طبعا ، من أين تتكلم ؟

روى لها الموضوع باختصار وقالت : لم يبت في الفندق ؟! هل أصابه شيء ؟ هل نزل في الطريق ؟!

ـ لا أدري .. اسألي الخادمة ماجندا ؟

وضعت السماعة وسألت الخادمة التي نفت عودته ليلا ، وأنه منذ خرج لم يتحدث معهم ولم يرجع ، ولما نقلت ذلك لمجدي قالت له : سأتحدث مع بعض المستشفيات ؛ ربما تعب في الطريق ونقلوه إلى مستشفى في أول محطة توقف فيها القطار .

ـ حسنا تابعي الأمر من عندك، وأنا سأتابعه من عندي .

تحدث المحامي مجدي مع الدكتورة سعيدة ، فأكدت أن السيد رفيقا لم يتصل بها ، بل لما اتصلت بالفندق لتتحدث مع السيد رفيق في الصباح تفاجأت من عدم مجيئه ليلة أمس ، وتركت الاستفسار لانشغالها بالإعداد للحفلة ، والترحيب بباقي الضيوف .. ثم أنهت

الاتصال قائلة : الأرجح أنه دخل المستشفى .. تحدث مع مدير المحطة ربما يكون عنده الخبر اليقين .

ـ ولكن السائق سأل عنه في المحطة فلم يروه ، ويقولون ربما نزل في نقطة سابقة شكرا .

اجتمع مجدي بالسائق الذي ذهب لمحطة لبى لاستقبال السيد رفيق فقال للمحامي : يا سيدي المحامي ..قبل موعد وصول القطار بساعة تحركت للمحطة التي تبعد عنا خمسين كيلو متر .. وصلت إليها قبل وصول القطار القادم من العاصمة .. لما ذهبت للمقصورات الخاصة .. حسب إرشادات أحد موظفي المحطة ..وهناك سألت موظف المقصورات الذي كان يهبط على الرصيف فأخبرني أن أحدهم استقبله في محطة صغيرة .. ونزل الرجل معه .. فاستغربت هذا التصرف ، وعدت للفندق بعد أن اتصلت بهم وقالوا " ارجع " لقد اعتذر عن المجيء هذه الليلة .

انطلق المحامي إلى محطة لبى وتحدث مع الإدارة الصغيرة في المحطة ، وأخذ اسم العامل الذي كان يخدم مقصورة السيد رفيق ، وانطلق إلى المحطة الصغيرة التي تسبق لبى محطة (عين المها) وهناك علم منهم أن السيد كان متعبا ومجهدا ، وكانت في انتظاره سيارة (بويك أمريكية) ، وصعد السائق لمقصورته ، وقام هو والعامل (ناصر) وأحد موظفي المحطة بنقله ونقل حقيبته إلى السيارة البويك ، وعلموا من الشاب أنه سيذهب به إلى مدينة الخد وفندق الخزان .

أدرك مجدي أن هناك مؤامرة وعملية خطف مدبرة ، وأن السيد رفيقا تعرض لعملية خطف قذرة ، وتذكر الأجانب الثلاثة الذين زاروا رفيقا منذ شهر فقال : من وراء هذه اللعبة ؟! ولماذا لم يسمحوا له بالوصول للخد وحضور الحفلة ؟!

جلس مجدي في " كافتيريا المحطة " يتفكر بهذه الجريمة وماذا نهايتها ؟ وهل للطليان الثلاثة يد في هذه الحادثة الغريبة ؟ وبعد تناوله بعض الشراب والمأكولات اتصل بالمحامي فيصل حسني فقال له الآخر : هذا أمر خطير يا مجدي ! لماذا يرغبون منعه من الوصول لمدينة الخد ؟! لا أرى سببا لذلك .. أم أن الأمر له علاقة باختفاء مسبحة اللؤلؤ ؟

ـ مسبحة اللؤلؤ ! وما علاقة ذلك باختفاء السيد رفيق يا فيصل ؟ ذلك أصبح من الألغاز الغامضة .. أنا خطر في بالي الأجانب الثلاثة .. لابد أن نلتقي .. أنا في انتظارك لتحقق في الحادث هنا ..وتبلغ الشرطة أيضا .



مع غروب يوم الخميس كان المحامي فيصل حسني عند محطة عين المها المحطة التي اختفى عندها السيد رفيق حلمي ، وكان بصحبته ضباط شرطة من تلك البلدة ، واستقبلهم مجدي وعرض القضية عليهم فقال : كنت مساء أمس الأربعاء بنفسي في وداع السيد رفيق في محطة الشرق ، وكان معي أيضا السائق الخاص به وسكرتيرته الخاصة أيضا ، وودعناه وجلس في المقصورة الخاصة المحجوزة له ضمن الجناح أو القسم الخاص .. حجزت له ليكون وحده ، وليكون في راحة تامة حتى يتمكن من النوم ، فالرحلة تحتاج لوقت وصحته ضعيفة ، والأدوية التي تقدم له فيها كثير المسكنات .. وكان في انتظاره عند الوصول إلى محطة لبى سائق من فندق الخزان حيث سيقضي ليلته فيه.. ومن ثم أجتمع به صباح هذا اليوم لنذهب للغداء على دعوة الدكتورة سعيدة رئيسة جمعية أهلية في مدينة الخد.. ولما سألت عنه قبل ظهر اليوم في الفندق أخبرني مدير الفندق في مدينة الخد أن أحد الناس اتصل بهم قبل وصول القطار لمدينة لبى بثلاث أرباع الساعة .. أن السيد رفيقا أجل المجيء هذه الليلة وسيصل صباح الغد .. يعني اليوم .. وكانوا قد أرسلوا السائق لمحطة لبى قبل حدوث الاتصال المجهول .. ولما وصل السائق إلى هناك ووصل القطار .. وجد أن الضيف غير موجود ، وأخبره عامل المقصورات الخاصة أنه نزل في محطة عين المها .. وكان متعبا وشبه نائم ، وأخذه سائق بسيارته.. ولما اتصل السائق سائق فندق الخزان بالفندق أمروه بالعودة .. لأن السيد اعتذر عن المجيء تلك الليلة .. واتصلت بالسكرتيرة لمياء، فعلمت منها أنه لم يتكلم معها منذ سافر

وأنه لم يرجع للعاصمة .. وتحدثت مع السيدة سعيدة فقالت إنها كانت تنتظر الصباح للتحدث معه وتطمئن عليه .. وحاولت الاتصال به في غرفته فلم يرد أحد فظنت أنه ما زال نائما .

تكلم ضابط المنطقة مع المسؤول عن هذه النقطة فأجاب : عندما وقف القطار في المحطة لبعض الوقت كالعادة لتنزيل من يرغب وتحميل من يرغب .. كانت سيارة (بويك أمريكية) فيها رجل متوسط الطول يلبس بدلة بنية اللون واسعة نوعا ما.. يلبس نظارة خضراء .. سأل عن القطار (رقم ٢٧) .. فقلنا له سيصل بعد دقائق .. بعد مضي ربع ساعة تقريبا وصل القطار (رقم ٢٧).. ولما توقف القطار رأينا الرجل يذهب إلى المقصورات حيث يوجد السيد رفيق ..كما عرفنا اسمه فيما بعد .. وصعد الشاب مع عامل المقصورات ناصر حامد ورجل من المحطة اسمه (خليل) .. وكان الرجل كما أخبرنا ناصر كأنه يستيقظ من النوم ، وكان مرهقا ..وقالا اقترب الرجل من رفيق وهمس في أذنه كلاما .. وقال ناصر " إن الرجل كان طول الطريق شبه نائم كأنه مخدر " وهذا ما لاحظه موظفنا خليل أيضا .. وأمسك الشاب ناصر والسائق بالرجل وساعدوه على النزول بناء على رغبة سائق البويك.. واستسلام رفيق له لم يظهر أي تمرد ورفض .. وحمل خليل حقيبة الرجل ..ولم يخطر في بالهم أن هناك عملية خطف ، فالأمر مشى طبيعيا .. والرجل لم يبدِ مقاومة للسائق ليثير انتباههما لشيء سيء يحدث وقاده ناصر والسائق إلى السيارة التي حضر بها الشاب .. ووضع موظفنا خليل الحقيبة في السيارة .. وعاد ناصر مسرعا لقاطرته ، وقال السائق لخليل مودعا : كنا نخشى عليه السفر ، فهو مصاب بجلطة .

ولما استقر الرجل في مقعده والسائق في مقعده أعطى خليلا ورقة من المال وهو يقول : إنه عمي .. شكرا لكم . وانطلق بالسيارة خارجا من المحطة كما قال العامل خليل يا سيدي .

وعاد الرجل يقول : كان الأمر طبيعيا يا سيدي .. والموظف لم يخطر بباله أن السيد يتعرض لعملية خطف .. ولما ذكر لهم أنه مريض فظنوا أن نوبة مرض جاءته أثناء الرحلة.. وناصر

أعلمني أنه لم يطلب أي خدمة خلال الطريق سوى قنينة ماء مفلترة .

فلما سمع الضباط والمحاميان أقوال مدير المحطة الصغيرة قال ضابط المنطقة : سنأخذ السيد خليل لسماع أقواله .. وعلى السيد ناصر أن يقدم أقواله في أي مركز أمني ، وإذا تيسر له المجيء إلينا يكون من الأفضل .

والتفت الضابط لفيصل وقال : لماذا خطف ؟ هل يريدون مالا ؟!

فقال فيصل : سنعرف بعد ساعات إذا كانت القضية قضية مال .

عاد الضابط موسى خالد يقول : أعتقد أن خطة الخطف وضعت خيوطها في العاصمة .. هناك بدأت الجريمة يا سيدي العقيد .. لأنه لا أحد يعرف السيد رفيقا هنا ..

قال العقيد المتقاعد فيصل : إذا كانت هناك جريمة كما يلوح في الأفق إنها بدأت فعلا في العاصمة كما تقول .. لكن التنفيذ كان هنا .. هناك أسئلة كثيرة تحتاج لإجابات .. وأهمها كيف استسلم السيد رفيق للرجل الغريب وترك القطار؟ ماذا همس سائق البويك في أذنه عندما صعد المقصورة ؟ ولماذا كان متضعضعا ومتعبا ؟ وهل حقا كان مخدرا ؟ واستيقظ عند توقف القطار ! ولماذا اختار هذه المحطة بالذات فمحطات توقف القطار أكثر من خمس محطات قبل أن يصل إلى هنا أو ربما أربع ؟.. ومن الذي اتصل بفندق الخزان معتذرا عن وصوله ؟ وصل القطار هنا حوالي الثامنة والربع مساء .. وتظاهر السائق أمام موظفي المحطة بأنه بانتظار السيد رفيق وأتقن دوره .. حتى أنه لم يثير في رجال المحطة أي شبهة كما يبدو من كلام مدير أو رئيس هذه المحطة ؟ وأخبرني الأستاذ مجدي أن السيدة سعيدة الداعية له إلى مدينة الخد لا تعرف له أي أعداء في الخد .. وأن علاقته معهم علاقة دعم ومساعدة مالية للجمعية .. وكان يشارك في كثير من الأعوام في مهرجانات وحفلات الجمعية .. ولكنه السنة كان على موعد معهم رغم علته لأن الجمعية ستقوم على تكريمه ويقلدونه درع الجمعية ، هو وعدد آخر من المحسنين للجمعية وبعض رجالات المدينة من كبار الموظفين .. وحتى ولو لم يحضر بشخصه كان سيقدم له الدرع إما باليد وإما بالبريد .. ولكن لرغبتها ومحبتها للرجل

كانت محبة لأن يستلمه بيده كسائر ضيوفها .. فأذن له طبيبه باسم بالسفر .. هذه معلومات جمعها الأخ مجدي .

فقال مجدي : وأنا في انتظارك عاودت الحديث مع السيدة سعيدة ، وهي في غاية الخوف والقلق على حياة الرجل .. ولهذا الحادث الغريب .

عاد فيصل محدثا الضباط وهم يجلسون في أحد مكاتب المحطة يتناقشون حول الحادث واستغراب وقوعه فقال : الجريمة مدبرة .. لكن الدافع للآن غير واضح إلا إذا كان للرجال الطليان الذين زاروه من فترة لحاجة قديمة بينهم يد في هذا الخطف ، وقد طردهم ورفض استقبالهم ، وهددهم بالشرطة.

فقال الضابط : هل كان تحت مراقبتهم ؟! .. وكيف عرفوا تحركاته يا سيدي ؟

ـ المجرم والمترصد يتابع ويرتب خططه يا سيدي .. ولكن حاله عندما نزل من القطار دون أن يسأل عامل المقصورة عن مكان الوقوف .. وإتباعه للرجل دون أي كلام يدل على أمر غامض كيف استسلم له طائعا؟ هل عرف الرجل ؟! هل ظن أنه وصل لبى ؟ وأن هذا سائق الفندق فهو تعرض لمكر .. هل خدر في الطريق تخديرا معينا حتى إذا وصل لهذه المحطة كان منهكا ومتعبا ؟! ولا يدرك ويعي من الأمر شيئا .. لا بد من سماع أقوال ناصر وغيره من عمال القطار على المحطات لعل أحدهم رأى شيئا لم يدقق فيه أثناء الرحلة .. خطة ماكرة ومعمولة بشجاعة .. عندما دخلوا مقصورته لتقديم الخدمات هل كان واعيا أم نائما ؟ .. هل قدم له طعام مدسوس فيه مخدر ما ؟

قال مجدي : ولكنني كأنني سمعت المدير يخبر عن ناصر عامل المقصورات يخبر أنه لم يطلب إلا عبوة ماء مفلترة .

قال فيصل : أمامنا شغل كبير ..وتحقيق طويل .. فهو قد بدا للشابين وللسائق المزعوم أنه منهار ومحتاج لعون عند وصوله لمحطة عين المها .. فالعامل لابد أنه يعلم أن تذكرة الرجل لمدينة لبى .. فحتى لا يحتج أو يرتبك عنده نزوله كانوا بحاجة أن يظهر بذلك الضعف ويبدو

الأمر طبيعيا ، وأنه نزل مضطرا وليس مخطئا .

فقال الضابط : سنقوم بمساعدتك بهذا التحقيق ..وسنخاطب إدارة القطارات للتعاون معنا في هذا التحقيق المهم للغاية .. ومدير المحطة هنا سيقدم لنا كل العون .. ونسمع شهادة خليل وغيره من موظفي مكتب الاستعلامات ليصفوا لنا الرجل حتى نستطيع البحث عنه إذا أمكن ذلك ..ولسوف نتحدث مع عمال النظافة في المحطة لعل أحدهم لاحظ شيئا ما .

قال فيصل : نحن سنعود للعاصمة أنا والأخ مجدي .. وأنت يا موسى خالد نور الدين تابع القضية هنا ..وسنقوم بمعرفة ملابسات الحادث والبحث عن الطليان الثلاثة .. وسأتصل بدائرة الشرطة الكبرى لتكون على اتصال معنا، ونتعاون على إرسال الفاكسات والتقارير .. ستكون قصة اختفاء السيد رفيق قصة كبيرة !!



٨

صباح الجمعة يكون قد مضى يوم ونصف على اختفاء السيد رفيق ، وعلم من موظف وخادم المقصورة الخاصة في القطار (رقم ٢٧) أنه دخل مقصورة السيد رفيق بعد انطلاق القطار بنصف ساعة ، وأنه كان في كامل وعيه ، وكان ممددا على الأريكة في الحجرة ، وتحدث معه بهدوء وأخبره بأنه مسافر لمدينة الخد ، وأنه سينزل في محطة لبى ومنها للخد .. وتذكرة القطار كانت إلى محطة لبى كما فحصها ، وطلب منه عدم إزعاجه حتى يصل لتلك المحطة ، واعتذر عن وجبة الطعام وعن أي مشروبات أخرى سوى عبوة ماء قد يستخدمها عند شرب الدواء وأخبر الخادم أن مقصورته مضاءة طول الرحلة لم يرها أطفئت ..وأن القطار يتوقف على كل المحطات في الطريق للتحميل والتنزيل .. وفي إمكان أي شخص عند توقف القطار أن يدخل لمقصورة السيد رفيق ؛ لأنها لم تكن مغلقة من الداخل ..إنما الباب مردود بدون مفتاح .. وأخبر ناصر خادم ذلك الجناح أنه نظر مرة لداخل المقصورة من نافذة صغيرة أثناء تنقله في ممرات القطار .. فوجد السيد مستغرقا في النوم ، وكان نفسه مرتفعا إلى حد ما ..

والشرطة تتحرى حول صعود رجل في إحدى المحطات وإعطاءه مخدرا أو منوما .. أما ناصر فقد نفى رؤيته لشخص يدخل حجرة رفيق أثناء الرحلة .. وأكد أن أحد ركاب المقصورات الخاصة نزل قبل محطة عين المها ، وبعضهم ركب من قبلها .. فهذا شيء معتاد ..ولكنه استغرب نزول السيد رفيق في محطة عين المها .. ولكنه صعد بنفسه مع الرجل الأنيق ذي البدلة البنية ، ودخل الحجرة وشاهد الرجل يهمس في أذن السيد الذي بدأ منزعجا من دخولنا عليه ، وكان يبدو متعبا .. وقال : فأمسكنا به وقام زميلنا في المحطة بإنزال الحقيبة ، ومشينا به إلى السيارة البويك السوداء الغامقة وهو صامت أو مريض .. الإضاءة لم تكن قوية في ساحة المحطة .. وأجلسناه بجوار مقعد السائق .. وعدت مسرعا للقطار .. لأنه ليس أمامنا وقت طويل للانتظار .. عشر دقائق فقط .. وأخبر أنه لم يفكر أن يُعلم الرجل أن هذه المحطة لم تكن محطة لبى .. اعتمادا على وجود موظف المحطة خليل ، واعتمادا على صمت رفيق وهبوطه بدون

احتجاج أو رفض .

كانت الشرطة تتحرك وتتبادل المعلومات والتحريات ، واستمعوا أقوال لمياء حول زيارة الأجانب الثلاثة له ، وتطور الأحداث معهم ، ومشاجرته معهم ، مما جدد له المرض .

ومضت ثلاثة أيام ولم يظهر للسيد رفيق أثر أو سبب لعملية الخطف ، ولم يتكلم خاطفوه مع أي جهة طالبين فدية ، كما هو معتاد في عمليات الخطف ، وكُلف المقدم الأمني عبد الكريم الناصر بالتحقيق ومتابعة ملف القضية من مرتب شرطة العاصمة ، والضابط عصام باب من مرتب شرطة مدينة الخد ولبى ، وكان المكلف المدني من الادعاء العام السيد يوسف محمد يشرف على التحقيق والقضية .

وشاركهم العقيد المتقاعد فيصل حسني والمحامي مجدي حامد ، ولما لم ينكشف لهم شيء يبدد غموض هذا الاختفاء ، كشف لهم المحاميان قصة المسبحة اللؤلؤية واختفائها ، وبحثهما السابق عنها معتقدين أن لهذه المسبحة ربما دخل وعلاقة بحادثة الاختطاف ؛ وربما الاغتيال إذا ظهرت الجثة .

قام وكيل النيابة يوسف محمد والمقدم عبد الكريم بزيارة شقة رفيق حلمي والقيام بالكشف الأولي ، وكان في استقبالهم سامر وسامية ابنا السيد رفيق ، وكانا على علم بتطورات الحادث من المحامي مجدي حامد ، وكان سامر قد وصل البلاد صباح الخميس يوم اكتشاف الجريمة أو بداية ظهورها فقال لهم : أنا عندما وصلت البيت فاجأتني السكرتيرة الخاصة بأبي باختفاء أبي وهو في طريقه لمدينة الخد ، فصدمت في أول الأمر ، ثم تمالكت نفسي ..أنا أدرس في روما وزيارتي للبلد أيام يسيرة .. وأنا جئت في هذه الإجازة لأن أختي سامية أخبرتني عن تجدد مرض الوالد ، فجئت زائرا لما تيسرت أموري ، وها أنا عدت لأسمع أنه مخطوف .. فليس لدي معلومات عن صداقاته وعلاقاته .. ولكن السكرتيرة أخبرتني بأن ثلاثة طليان احتكوا به في الشهر الحالي ويطالبونه بكنز وجدوه معا منذ عشرين سنة زاعمين أن أبي استولى عليه وحده وفطنوا له بعد كل هذه السنوات يبدو الأمر غامضا ..وعلمت أن الوالد طردهم ، ثم مرض

على أثر مشاجرته معهم .. وبعد خروجه من المستشفى حاولوا التفاهم معه فرفض سماع شكواهم ، وهددهم بإخبار البوليس عنهم .

والتفت المحقق يوسف لمكان جلوس سامية التي بدأت مذهولة وحائرة فقال لها : وأنت يا آنسة أعندك شيء يساعدنا في كشف سر اختفاء الوالد ؟

نظرت إلى أخيها سامر ثم قالت بصوت هامس : للأسف ليس عندي شيء خاص يفيد التحقيق .. أنا لا أتحدث كثيرا مع والدي .. وهو لا يطلعني على أفكاره ومشاريعه .. فعندما أخرج لعملي في الصيدلية يكون هو في غرفته .. وتقدم لي ماجندا كوب الحليب وفطيرة في الصباح ، ولا أعود إلا في الليل ، ربما أجده يجلس في هذا الصالون فأسلم عليه وعلى ضيوفه إن كان عنده زائرون ، وأدخل حجرتي فأضع الحقيبة وأرتاح قليلا ، ثم أذهب للمطبخ أو تحضر لي ماجندا الطعام لغرفتي حيث آكل وأشاهد التلفزيون من داخل حجرتي.. هكذا تعودت أيها المحقق المحترم .

ـ شكرا يا ابنتي ..ألا يوجد لديك ملاحظة شيئا سمعته صدفة يكشف بعض الغموض عن سر هذا الاختفاء ؟

تنهدت الفتاة وقالت : سوى مشكلة هؤلاء الأجانب وتعب أبي لم ألحظ شيئا مهما ..أبي لا يحب أحدا أن يتدخل في شأنه وأنا مثله .. وهو يحب مشاهدة التلفزيون باستمرار والكلام يتعبه .. ولا يحب الكلام أثناء قصة أو برنامج يتابعه .. والذي ربما يعرف أبي أكثر مني المحامي مجدي .. والأخت لمياء السكرتيرة .. ووالد مجدي من أعز أصدقاء أبي ، وكذلك والد الأخت لمياء .

ـ عملية الخطف حيكت بدقة وترتيب وتخطيط محكم .. فالذين قاموا بهذه الجريمة لديهم معلومات وافية عن حياة الرجل ، وعن أحواله ، وعن مخطط رحلته .. وعن الفندق الذي سينزل فيه .. وثبت لدينا أن دعوة السيدة سعيدة كانت عفوية وطبيعية .. وليس لها يد أو مصلحة في الجريمة .. فلم يدفعها أحد لدعوته لحضور هذا الاحتفال ، فهي تدعوه كل سنة

لمثل هذا الاحتفال الموسمي .. ولكنها السنة ضغطت عليه لرغبة منها في تكريمه هو ومجموعة من رجال الأعمال الذين يدعمون جمعيتها .. فالذين ارتكبوا هذه الجريمة لهم دراية ومعرفة بأمور خاصة بالسيد رفيق .. ولحتى الآن لم نعرف دوافع الخطف وأسبابه .. فهذا ما يدفعنا للكثير من الأسئلة لحضراتكم .. لعلنا نسمع منكم أن له أعداء ..ولكني بعد مرور هذه الأيام أقول تشجعوا على سماع أخبار سيئة عن الوالد ..رغم بحثنا الدقيق وانتشار دوريات الأمن في كثير من الأماكن .. لم نعثر على شيء مهم .. ونخشى أن نراه جثة .

هتف سامر : الأمل ضعيف بحياته ! .. ولكن لو أراد المجرمون قتله لقتلوه فور أسره أو في نفس المحطة .

ـ ربما قتلوه ، ولم نعثر الجثة بعد .. فالخاطفون عادة يتصلون بعد يوم أو يومين بأهله أي بعد تأمين مكان الأسر يتحدثون مظهرين مطالبهم .. ولكن مضى ثلاثة أيام وها نحن في الرابع ولا أي اتصال .

قالت الفتاة وهي تمسح دموعها : هذا فظيع يا سيدي !.. أبي مسالم .. أيعقل أن يقتله هؤلاء الطليان وهم بحاجة له ..فلو قتلوه لخسروا الكنز ؟!

فعلق المحقق : وهذا ما يحير في الأمر ؟! ..الذين يبحثون عن كنز لا يقتلون إلا مضطرين ..إلا إذا أصر الوالد على رفض مطالبهم وقتلوه في لحظة غضب وفقد أعصاب .. هذا ما عندنا يا أخ سامر ويا أخت سامية .. نحن نبذل جهدنا ، ولن يتوقف التحقيق حتى يظهر السيد حيا أو ميتا .. فعليكم بالصبر وتحمل الصدمة .

سامر : هو لم يقتل بعد ؟

ـ نحن قلت لك لا ندري ..ولكن هناك احتمال كبير بموته .. رجالنا الآن يبحثون في الأماكن المهجورة حول لبى وحول عين مها ..فنحن نقوم بكل جهد .. وأنت يا أخ سامر عليك بتأخير إجازتك وسفرك حتى نعرف ونصل للحقيقة من وراء هذه الجريمة .. والآن سأذهب وأتحدث مع السكرتيرة في الشقة الثانية .

٩

كانت لمياء والسائق حلمي في شقة الشركة في انتظار قدوم وكيل النيابة والضابط المحقق عبد الكريم والمحامين وفريق العمل لسماع أقوالهم في قضية اختفاء السيد رفيق حلمي ، كانت لمياء تجلس في مكتبها ، وحلمي في صالة الشقة التي يجلس فيها عادة عندما يكون في انتظار رفيق لمدة طويلة بعض الوقت ، وفيها تلفزيون وموقد لصناعة الشاي أو القهوة وبراد صغير ، دخل الرجال من الباب الفاصل بين الشقتين ، وحيا الرجال حلميا وزلفوا لمكتب لمياء التي رحبت بهم ، وأشارت لهم بالجلوس ، وقدمت لهم القهوة التي أعدتها لهم أثناء وجودهم في شقة رفيق ، وبعد التحية والمجاملات قال الضابط المكلف بالتحقيق : ربما أنت أكثر الناس معرفة بالرجل ، فأنت تعملين معه منذ سنوات وسنوات ..وأنت كنت في وداعه مساء الأربعاء إلى المقصورة الخاصة في القطار رقم ٢٧ المسافر في اتجاه مدينة لبى .

هزت منكبيها بالإيجاب وقالت : صحيح .. لما وافق السيد رفيق على السفر لمدينة الخد .. بعد تصريح الطبيب باسم بالسماح له بالسفر وأنه يستطيع ذلك .. رغب بالسفر بواسطة القطار ..وهو في غالب سفرياته لتلك المدينة يحب السفر في القطارات حنينا كما يقول لماضيه في أوروبا ، فكانت أكثر تنقلاته هناك بالقطارات التي تربط بين العواصم الأوروبية والمدن الكبرى ، وذلك عندما لا يكون مشغولا في رحلة بحرية .. فعندما يكون له مشوار طويل يحب الحجز على القطار .. ولم يكن هذا غريبا علينا ، والمحامي مجدي يعرف مثل هذه الطباع عن السيد .. وهو يحب الحجز في القطارات الفخمة والحديثة ، ويحرص على أخذ مقصورة خاصة به ، ومرات قليلة يأخذ حجرة مشتركة لا أدري لماذا يفعل ذلك ؟! يعني ليس بسبب مرضه أخذ الحجرة الخاصة .. إنما هي عادة فيه .. وأنا اتصلت بمكتب الرحلات الخاص بالقطارات ، وحجزت المقصورة على القطار رقم ٢٧ المسافر الأربعاء مساء من محطة الشرق حيث يكون السفر جهة مدينة الخد ويكون النزول في مدينة لبى ، ومنها لفندق الخزان حيث حجزت له غرفة هناك لمدة ثلاث ليال قابلة للتمديد بناء على تعليماته .. ويوم الأربعاء صباحا

مررت على مكتب الرحلات ، ودفعت ثمن الرحلة قبل مجيئ إلى هنا إلى العمل ، وأبلغت السيد مشافهة بأن الحجز جاهز ، والقطار في الخامسة والربع سيتحرك لمدينة لبى ، وسيكون في انتظاره سائق من قبل الفندق .. وكانت الدكتورة سعيدة أيضا تأكدت من الحجز ، ومن توفر السائق كما حدثتني بذلك .. وهي كانت فرحة بزيارة رجل الأعمال رفيق حلمي للاحتفال بالموسم السنوي عندهم ، وسعيدة بتقديم درع الجمعية له باليد وشخصيا .. وجاء حلمي في الساعة الرابعة مساء ، وكنت أنا والخادمة جهزنا حقيبة السفر من ثياب وأدوات وأدوية .. فلما حضر حلمي أمسكت بيده ، وحلمي حمل الحقيبة.. ولما تركنا المصعد كان البواب في استقبالنا ، وحيا السيد وتناول الحقيبة من حلمي الذي قرب السيارة ، وصعد السيد إلى السيارة وجلس ، ووضع البواب الحقيبة في صندوق السيارة ، وصعدت في المقعد الخلفي ، ولوحنا للبواب بالتحية ، وانطلقنا لمحطة القطار فوصلنا قبل الخامسة بدقائق يسيرة .. ووجدنا المحامي مجديا في انتظارنا ، ودار بيننا حديث سريع ، وطلب السيد من مجدي أن يلحق به نهار الخميس .. وأنا في العادة لا أسافر معه في مثل هذه الرحلات ؛ لأنها ليست رحلات عمل .. فهو يعتبرها رحلات استجمام وتغيير جو .. ولما جلس في مقصورته .. حيانا من نافذة الغرفة ..وأكد على مجيء الأستاذ مجدي ،ووعده الرجل بالسفر واللحوق به .. ولما تحرك القطار واختفى عدت للشركة هنا ؛ لأنني أنهي خدماتي اليومية في الغالب مع السادسة مساء .. حتى يومها عرض المحامي أن يوصلني إلى حيث أريد .. فأعلمته أنني عائد للشركة بسيارة حلمي .. وبعد ذلك لم أتصل بالسيد ؛ لأنني حسب الترتيب سيكون في العاشرة في المحطة ، ومنها إلى مدينة الخد .. وأجلت الاتصال للصباح .. وكان موعدنا أنا وحلمي أن نتلقاه في المحطة مساء السبت حوالي الساعة الثامنة إلا إذا مدد إقامته هناك .. وعلمت بأن السيد رفيقا لم ينم في الفندق من المحامي مجدي اتصل بي يسألني عنه ، وأخبرني أنه لم يصل الفندق ، وأنه لم يصل مدينة لبى .. وأخبرته أنه لم يعد للبيت بعدما تحدثت مع الخادمة .

قال الضابط عبد الكريم : هل تعتقدين أن للأجانب الذين زاروه منذ فترة دخل في هذه

الأحداث ؟

فكرت لمياء قليلا ثم قالت : لست أدري ! ولكن كيف عرفوا بتفاصيل رحلته ؟ هي لم تكن سرية .. كنا نتصرف كالعادة .. البواب يعرف أن السيد مسافر للغد .. والخادمة تعرف .. وسامية تعرف .. وأنا .. والمحامي .. والسائق .. والدكتورة سعيدة .. وكل أصدقاء العم رفيق يعرفون بأمر هذه الرحلة .. فيمكن لهؤلاء أن يعرفوا مثل هذا الأمر .. لأننا لم نفكر بخطر محيط بالسيد رفيق .. وهذا أمر متكرر .. وبالنسبة للطليان الثلاثة هم جاءوا فجأة بدون سابق إنذار .. واستقبلهم في البداية على أنهم ضيوف ورفاق قدماء ، وفرح بمقدمهم وتذكرهم له .. ولكن لما فتحوا معه موضوع الكنوز والجواهر .. توتر اللقاء بهم ..وحاولوا لقاءه مرة ثانية للتفاهم ، وجرى بينهم نقاش وكلام حاد .. وأنا لم يتح لي سماع كل حديثهم .. لأن النقاش حدث في صالة الشقة الثانية .. ولكن كنت أتردد عليهم ، وفهمت بعض الموضوع ؛ لأن حديثهم كان بلغة الطليان .. ثم طردهم السيد رفيق ورفض اللقاء بهم من جديد .. وهو بالطبع شرح لي بعض المشادة وسبب صراخه .. واتصلوا عدة مرات للقاء الرجل ، ولكنه رفض ذلك ، ثم أصابه انهيار عصبي .. وتعب ونقل للمستشفى .. وبعد خروجه تحدثت الدكتورة سعيدة معه ، وبينت له رغبتها بمشاركته هذا العام باحتفال جمعيتها السنوي .. وربط موافقته بصحته عند موعد الاحتفال .. ولما حان موعد الاحتفال سمح له طبيبه الخاص على السفر والاستمتاع بالحياة ومشاركة الناس أفراحهم وحياتهم .

ـ أتشتبهين بأحد غيرهم ؟

فكرت لحظات وقالت : لم أكن أتصور أن يخطفه أحد ..ولحتى الآن الأمر محير ومربك .. لماذا يخطف ؟!

قال الضابط : استدعي السائق يا أخت لمياء واجلسي مكانه بعض الوقت رجاء .

دخل حلمي سائق رفيق وجلس على المقعد الذي أشير له إليه ، ورحب الضابط المحقق بالشاب ، وقال : كيف برنامج عملك يا سيد حلمي ؟

ـ برنامج عملي بسيط يا سيدي.. وأنا سائقه منذ سنوات .. منذ أن كان قويا وقبل أن يسكن هذه العمارة .. هو يتقن القيادة .. ولكنه في السنوات الأخيرة اتخذني سائقا له .. فكنت أذهب إليه صباحا فأذهب به لمكاتب الشركات ، ويستمر عملي معه حتى الثالثة عصرا .. وإذا احتاجني في مشوار ليلي ، ولم يتدبر أمر السيارة .. يتحدث معي مباشرة أو يطلبني عن طريق السكرتيرة .. وأحيانا كان يسوق سيارة زوجته بنفسه .. لحضور سهرة.. زيارة عائلية ..ولما مرض في السنوات الأخيرة بالجلطة الدماغية .. أصبح يعاني من ركوب المصعد ، ويحتاج لمساعدة في أغلب الأحيان ، فصرت أصعد لمسك يده ومساعدته صعودا وهبوطا ، وكان الرجل كريما معي ، ويعطيني مكافآت خاصة سوى الراتب الذي أتقاضاه من الشركة المحسوب أنا عليها .. وأحيانا اضطر للجلوس في شقته بعض الوقت ريثما يلبس ملابس الخروج ريثما ينهي اتصال .. وخلال هذه الدقائق تتفضل عليّ ماجندا بالشاي القهوة .. الحلوى الشراب البارد .. ومرات أجلس في شقة العمل في الصالة التي وجدتموني فيها عند دخولكم ..في انتظار مشوار .. وإذا علمت السكرتيرة أن الرجل المحترم لا يريد الخروج صرفتني.. وهو بعد مرضه قلّ خروجه للشركات وتفقد الإدارات ..لأن أكثر الشغل الإداري كان يتم هنا ..

ـ أنت والدك من أصدقاء السيد رفيق ؟!

ـ منذ رجع العم رفيق للبلاد وتعرف على والدي جبر وهم أصدقاء .. وكذلك السيدة لمياء والدها من أصدقاء العم رفيق وكذلك أخونا المحامي مجدي .

ـ أمتزوج يا حلمي ؟

ـ حاولت مرة ولم يكتمل ..ولو كان معي شهادة جامعية لخطب لي والدي ابنة العم رفيق .. ولكني لم أتم تعليمي .. فتعلمت القيادة .. ثم عملت سائقا في شركات السيد رفيق بعد أن اشتغلت في أماكن أخرى .. ثم اختارني السيد للعمل معه أي سائقا لسيارته الخاصة .

ـ أسمعت السيد رفيق يوما وهو راكب معك يشكو من خطر يحيط به .. قديما أو حديثا ؟ ..

ألَه أعداء ؟

ـ لا يا سيدي .. السيد لا يحب الكلام كثيرا .. وخاصة مع العمال والموظفين الصغار مثلنا .

ـ لا شيء عندك يفيد التحقيق ؟

ـ لا أذكر شيئا .. ونحن لم نكن نتوقع مثل هذا الحادث .

ـ شكرا .

ونهض القوم وخرجوا من المكتب إلى الصالة ، وقبل أن يتركوا مكاتب الشركة قال : اعلموا أن السيد قد يكون قد قتل .

هتفت لمياء برعب لم يبدو طبيعيا : قتل ! كيف عرفت ؟

ـ هذا متوقع يا سيدتي .. فلو أراد الخاطفون حياته لاتصلوا من أجل الفدية .. بعد أن يؤمن الخاطفون الضحية يتم الاتصال بذوي المخطوف لطلب ما يرغبون في الحصول عليه .. وما دام أن الخاطف لم يعلن ذلك .. فلابد أنهم تخلصوا منه ، وأن القصد كان القتل وليس الخطف ولكن لماذا قتل ؟! لو كان الطليان وراء ذلك كم بينت الأخت لمياء والمحامي .. فحياته خير لهم من قتله .. لأنه كما تبين لنا من أقوالكم أنه لم يأخذ شيئا ثمينا معه يدفعهم لاغتياله للحصول عليه .. بل حياته أهم لهم من أجل الكنز .. ومع ذلك نحن نبحث عن هؤلاء الأجانب الثلاثة .

١٠

عقد المهتمون بقضية رفيق حلمي اجتماعا في دائرة الشرطة لمناقشة ما اجتمع بين أيديهم من معلومات ، وكان قد مضى أسبوع على اختفاء الرجل ، ولم تظهر أي جثة مجهولة لحتى ذلك اللقاء لتثبت موت ومقتل الرجل ، والمستفيد من موته ماليا ولداه سامر وسامية ، وقد ثبت بعدهما عن مسرح الجريمة ..وطريقة ارتكاب الجريمة تحتاج إلى ذكاء وقوة تنفيذ ودراية بمحطات القطار لا تتوفر في صفات ولدي رفيق .

وحتى وصية الرجل الخاصة ، لا يوجد فيها ما يغري الطامعون .. مكافأة بخمسمائة دينار للخادمة ماجندا ، وبعض الأرقام للجمعيات التي كان يهتم بها ويرعاها ، ولم يكتب شيئا للسائق والسكرتيرة ولا المحامي ، فكلهم يتقاضون رواتب من الشركات التي ينتمون إليها .

وبدأت السيدة لمياء تستعد للعودة للشركة التي كانت تعمل فيها ، والسائق حلمي كذلك ، والمحامي هو مستقل ؛ ولكنه مشرف ومتعاون مع القانونيين الذين يعملون في الشركات ، وهو صاحب مكتب خاص ، وكان محاميا خاصا للسيد رفيق .

قال المقدم الشرطي عبد الكريم : من كشوفات المطار توصلنا إلى معرفة أسماء هؤلاء الطليان وتبين أن أحدهم يوناني .. وقد نزلوا في فندق (ذهب) وقضوا فيه ثلاثة أيام .. ثم اختفوا ولم يغادروا البلد بعد حسب معلومات المخارج البرية والبحرية والجوية .. إلا إذا غادروا بجوازات سفر أخرى .. والآن أسماؤهم في جميع نقاط الحدود والمغادرة ..وعممت أسماؤهم على أهم الفنادق في البلد .. واللقاء بهم مسألة وقت .. فهناك بحث جار في الشقق المفروشة .. في العاصمة وفي مدينة الخد وعين مها.. السؤال الآن هل استطاعوا معرفة تحرك رفيق ليقوموا بهذا العمل الكبير؟ .. واختفاء الرجل ليس لمصلحتهم .. هم يريدون شيئا منه فكيف يقتلونه؟ أم هم يضغطون عليه بهذا الخطف والأسر؟ لهم أسبوع ..!

قال نائب المدعي العام : نعم ، قتله يحرمهم من مطلبهم .. وطول مدة الخطف تبعدهم عن مبتغاهم .. لأنهم لن يأخذوا ما يريدون إلا من الرجل نفسه .. فها هم لم يتكلموا مع أولاده ،

ولا مع سكرتيرته الخاصة ، ولا مع محاميه للمساومة .. علينا أن نفكر بأشخاص آخرين ، ولا نهمل أمر هؤلاء في نفس الوقت .. وأنا طلبت من زميلنا عبد الكريم أن يضع إعلانا بالصحف الأجنبية المحلية طالبا فيه من هؤلاء الأجانب مراجعة دائرة الشرطة لأمر مهم .

قال عبد الكريم : اليوم مساء سيكون بين يدي بعض الصحف الأجنبية المشهورة عندنا هذا النداء يا سيدي .

قال المحامي فيصل : ربما ظنوا بطول خطفه سيلين ، ويعطيهم الكنز المنشود .. وربما هلك بين أيديهم فاضطروا لإخفاء جثته اضطرارا في مكان ما .. مكان لم يصل إليه رجال البوليس بعد ربما حرقوا جثته .. وأما كيف عرفوا تحركاته ؟.. فهذه تكون بشراء أحد المقربين منه كالسائق أو السكرتيرة .. البواب .. الخادمة .. فعلموا تفاصيل رحلته .. ولما اختفى الرجل بهذه السرعة فهذا المشترى لن يعترف بسهولة .. فالخوف من العواقب والتحقيق والاتهام بالمشاركة دفعه للصمت .. وعلى رجال الأمن دفعه للنطق .

قال عبد الكريم : لا بأس في بحث هذه النقطة ، ولكن بالقبض على هؤلاء الرجال تحل هذه النقطة بمعرفة من المتعاون .

قال المحامي مجدي : اعلموا أن ترتيبات سفر رفيق تمت يوم الثلاثاء ..قبل السفر بيوم .. حجزت لمياء الفندق في ظهر يوم الثلاثاء .. والقطار كان الحجز عن طريق الهاتف وفي صباح الأربعاء ذهبت لمياء وأخذت التذكرة ودفعت ثمنها ، وأكدت على موعد الانطلاق .

وكيل النيابة : الحديث عن هذه الترتيبات ربما كان منذ فترة ..وهي ترتيبات متكررة كلما كان ينوي الرجل بالسفر .. فالذي يعاشر الرجل يعرف بمثل هذه الترتيبات .. فلا يبقى أمام المجرم إلا معرفة ساعة السفر .

قال مجدي : اتصل السيد رفيق بنفسه بالسيدة سعيدة وأخبرها بأمر سفره ووقته ، ورشحت له فندق الخزان كالعادة .. وقامت لمياء بالاتصال بالفندق والحجز له ..

قال عبد الكريم : الترتيبات النهائية كانت مكشوفة للمجرمين .. وقت انطلاق القطار وقت

وصول القطار لمدينة لبى ..وأن سائقا من الفندق سينتظره ..فبعد ذهاب السائق للمحطة أخبروا بإلغاء الحجز ليوم آخر .. وأنا أعتقد أنهم بعدما خطفوا الرجل اتصلوا بالفندق حتى لا تتدخل الشرطة قبل تأمين اختطاف الرجل .. ويظن أن الأمر طبيعي .. فلا يهتم الفندق بعدم مجيء السيد رفيق .. وهذا ما حصل .

قال وكيل النيابة : هذا احتمال قوي جدا يا مقدم عبد الكريم .. هذا الاتصال رتب لصرف النظر بضع ساعات .. فلو لو لم يحدث الاتصال لأخبر مدير الفندق السكرتيرة لمياء أو السيدة سعيدة .. وتدخلت الشرطة بسرعة لمعرفة الحقيقة .. أما الاتصال فأخر البحث أكثر من نصف يوم .. اثنتي عشرة ساعة .. تحروا عن السيدة سعيدة ورجال الفندق وكل من يعرف بسفر الرجل .. وليخضعوا للمتابعة والتحريات وسأصدر كتبا بذلك .. ولسوف نجد خيطا نتابع به تحرياتنا .. التخدير من خدره إذا خدر ليبدو مستسلما أمام موظفي القطار ؟ .. وكيف انقاد للرجل بدون أي مقاومة واحتجاج ؟ .. ولماذا لزم الموظف الصمت وهو يعلم أن الرجل يريد لبى وأخبره بذلك حتى إذا نام يوقظه عند تلك المحطة ؟! ومن أين خدر إذا خدر ؟ في أي محطة حصل التخدير؟

وسكت الرجل لحظات ثم قال : السيارة لم تعرف بعد ؟ لم يعرفوا رقمها .

فقال المقدم عبد الكريم : أدلوا بنوعها ولونها وهذا لا يساعد كثيرا في البحث .. وبالنسبة لصعود أحد إلى مقصورة السيد رفيق أثناء الطريق لم يثبت أن أحدا صعد ، ولا يمكن نفي صعود أحد .. فبعض الركاب ينزلون أثناء توقف القطار لشراء شيء من الأكشاك المنتشرة في المحطات .. ينزلون لتمشية الأقدام .. لتدخين سيجارة .. فهذا أمر شائع بين الناس .. ينزل الركاب .. يصعد غيرهم ..ولكن تحريات رجال الشرطة لم تصل لنتيجة مهمة أثناء الطريق .. فأهم الأحداث كانت في نقطة عين مها ..كان رجل ممتلئ الجسم يلبس نظارة خضراء ويرتدي بدلة بنية .. نزل من سيارته قبل وصول القطار بدقائق وسأل بعض الموظفين الجالسين في غرفة عن وصول القطار المقصود فأخبروه بقرب وصوله ..وابتعد عنهم ..ولما

وصل القطار صحبه موظف متطوعا .. ليدله على المقصورة ، فهو ليس من واجبه مرافقة الناس حيث يريدون .. كان العمل خفيفا ..وتقدم الرجل حيث المقصورة .. وهناك كان عامل الخدمة في تلك المقصورات المسمى ناصرا ينزل ليتمشى على الرصيف ريثما يمشي القطار .. فأخبره الموظف بحاجة الرجل فقال : نعم ، هو في المقصورة رقم ٨ .. وصعدوا وفتح ناصر المقصورة .. فوجد الرجل منهكا ويحاول الجلوس .. فتقدم إليه الشاب الأسمر وهمس في أذنه كلمات ثم قال لهم : "إنه سينزل هنا فهو مريض " ..وساعده ناصر بمسك الرجل .. وقام الموظف بحمل الحقيبة الوحيدة له .. ومشوا وهم يسرعون نحو السيارة .. فلم ركب الرجل المتعب والصامت .. انصرف ناصر مسرعا نحو قطاره .. وحيا الرجل السائق الموظف بيده .. وانطلق بالسيارة .. ولكن الرجل وهم يسيرون به قال لهم بأنه عمه .

وقد بين أحد الحمالين لرجال الشرطة أن السيارة سيارة سياحية .. لأنه لم نزل الرجل اقترب منها ظانا أن فيها حمولة ..ولما لم يكلمه الرجل ابتعد عنها ؛ ولكنه لاحظ لوحتها السياحية .. وهذه النقطة قد تساعدنا كثيرا ونجري تحريات حولها هنا وفي لبى ومها .. فلا نزال نبحث عنها في مكاتب السيارات السياحية .. وقام رجل الرسم برسم صورة تقريبية للسائق لتعرض على شركات تأجير السيارات .

فقال مجدي : هذا إذا استأجرها بنفسه .. ولم تكن عن طريق غيره .

قال المقدم : أكيد هذا يا سيدي .. إذا كانت جريمة مدبرة كما يظهر لنا ..لن يكون استأجرها بنفسه واسمه .. ولماذا استخدم سيارة سياحية .. فهذا تصرف خطر منه .. وللأسف الحمال لم يكن موجودا عند انصرافهم .. فنخشى أن يكون يتحدث عن سيارة أخرى .. ولكن الحادثة تنطوي على جرأة ومغامرة .. وعلينا بالاستفادة من كل معلومة ..

فقال وكيل النيابة : لا تنسوا أنه قد لا يكون في مخططهم القتل .. إنما القتل فعل طارئ .. أو تعديل للجريمة ..

فقال فيصل : نقطة استسلام رفيق للنزول بدون اعتراض في غاية الأهمية ..إذا كان واعيا وغير

مخدر .. فكيف استسلم للرجل ؟ .. إلا إذا كان يثق به أو يعرفه أو ظن أنه قد وصل محطة لبى وأنه سائق الفندق.. فهو لم يسأل أين نحن ؟

قال وكيل النيابة : نعم هذا مفتاح اللغز .. وقصة اختفاء مسبحة اللؤلؤ هل لها دخل في هذا الحادث ؟

فقال المقدم عبد الكريم : لحتى الآن لا نجد رابطا بين اختفاء المسبحة واختفاء رفيق .. المسبحة قد قام الزميل فيصل والمحامي مجدي بعمل اللازم ولم يصلوا إلى نتيجة .. فهم افترضوا أن المسبحة سرقت أثناء ترك رفيق للخزانة مفتوحة بعض الوقت .. كان يتكلم هاتفيا من شقة الإدارة .. وعلى مسرح الحادث كانت الخادمة وابنته سامية .. والسائق حلمي والفرصة أمام الخادمة أكثر للسرقة ، فلو عاد رفيق ووجدها في الغرفة لن يقع في ذهنه أنها دخلت لتسرق لأغلب على ظنه أنها تنظف الحجرة .. وهل تعمل وحدها أم أن أحدهم حرضها ؟.. وهذا لم يثبت بل ثبتت أمانتها .. والفتاة .. لماذا تسرق المسبحة ؟ وهي تملك ثروة ومجوهرات ورثتها عن أمها ..ولم يثبت لدى الزميلين هوس تعلقها بحب المجوهرات .. والسائق حلمي .. دخوله لغرفة المكتبة فيه مخاطرة كبيرة .. وهو ليس له عادة بدخول تلك الغرفة .. وقد تكون المسبحة مفقودة قبل تلك الفرصة ، وليس أمام الأخوين دليل على فقدها تلك الساعة إلا كلام رفيق .. والرجل قبل المرض ليس بعده .. وعلى الإجمال نحن نضع قضية المسبحة موضع تفكير لكن الرابط غير متوفر في نظري الآن .

فقال فيصل : نحن عرضنا موضوعها على حضاراتكم ..لعلنا نجد رابطا بين الحادثتين ..لأن احتمال وجود علاقة بين اختفاء رفيق والأجانب الثلاثة قد لا يؤدي لشيء .. لأن الذي يريد شيئا من شخص لا يقتله قبل حصوله عليه .. وإلا لماذا خطفه ؟ .. فالذي يريد أن يتخلص من خصمه يصرعه مباشرة في مكانه .. وإذا كان خائفا من الشرطة والناس .. فيبتعد به ويقتله ويظهر جثته .. فلماذا يبحث عن مخبأ لها ؟ إلا إذا كما افترضتم أن القتل كان اضطراريا وطارئا
وقال المقدم عبد الكريم : لسوف تتكشف لنا تفاصيل الجريمة ..

قال فيصل : هذا أكيد ، فلقد خدمت ربع قرن في أجهزة الشرطة والتحقيقات الجنائية، ورأينا وسمعنا وقرأنا قضايا أعقد مما نجابه ثم تحللت فجاءة .. فإذا كشف شيء سيكشف وراءه الكثير ..وقد حدثني السيد مجدي وهم يودعون السيد رفيقا في المحطة أنه دار بينهم حديث حول الخبير رضا خبير مجوهرات ، وأنه قادم لزيارته لفحص مجموعته .. فالسيد رفيق كان يشك إذن في سرقة في جواهره ومجموعته المحفوظة في البيت .. وهو لم يعرف بالسرقة قبل أيام من تفقده لمجوهراته آخر مرة .. فقد يكون ظهور رضا الجوهري هو الذي حرك الأمور وأثار السارق أو السارقين .. وأنا أرسلت برقية للسيد أخبرته فيها باختفاء السيد رفيق حلمي .. وسألته فيها إذا كان لديه معلومات عنه .. فوعدني بالمجيء .

استحسن المجتمعون هذا التصرف وقال نائب المدعي العام : رائع! .. ويبدو أن لدى الخبير شيئا وإلا تكلم على الهاتف .

ـ هذا ما أدركته أيضا .. وإذا احتاج الأمر لسفر سافرت أنا ومجديا إليه .. والذي يؤخره عن المجيء إلينا عدم ظهور جثة السيد رفيق .

فقال عبد الكريم : هذا الرجل يجب أن تبقى زيارته في طي الكتمان .. زيارة سرية لا يعلم بها أحد سوانا .

فقال وكيل النيابة : أجل ، حتى لا يعلم المجرم أو العصابة بشيء عن المسبحة والمجوهرات .. تابع الموضوع يا أستاذ فيصل ويا أستاذ مجدي .



١١

تنقل المحاميان مجدي وفيصل بين عدة مستشفيات لمشاهدة جثث مجهولة الهوية ، وجدها رجال الأمن في طول البلاد وعرضها ، ولم تكن بينها جثة السيد رفيق ، وحتى البلاغات عن أصحاب جثث وجدت في البيوت لم تسفر عن شيء يكشف غموض اختفاء السيد رفيق حلمي ، وانقضى الشهر ولم يظهر أثر للرجل ، ولما وصل الخبير "رضا جناد" في المجوهرات الحقيقية من المقلدة البلاد كان في استقباله المحاميان ، وأنزلاه فندقا دون الإعلان عن وصوله في صحف المجتمع ، وطلبا من عبد الكريم أن يؤمن له الحماية خلال فترة إقامته ، وفي اليوم التالي كان يجلس في مكتب وكيل النيابة يوسف محمد ، ويستمع ملخص قصة اختفاء رفيق منذ شهر من الزمن ، ولما سمع القصة تأسف الرجل على اختفائه ، وذكر شيئا عن معرفته للسيد رفيق أيام الشباب ، وكيف تعرف عليه أثناء عمله في البحار وفي شواطئ أوروبا ، ثم قال : أنا ربما كنت أكثر شخص اشترى من رفيق المجوهرات لزبائني .. فكان الرجل بحارا ممتازا وصائد جواهر رائعا ..كان يحسن الحصول على الكنوز أثناء تردده على شواطئ بحار العالم ..وكان يتقاسمها مع شركائه في المغامرات والصيد .. ثم أصبح فيما بعد يحب اقتناءها وشراءها خاصة عندما ورث زوجته التي ورثت الكثير عن أبيها البحار .. وهذه المسابح وخاصة اللؤلؤية منها حصل عليها بواسطتي .. وهي مسبحة ثمينة مجموعة من حبات اللؤلؤ والماس كانت لأمير مسلم من بلاد الهنود أصيب بمصيبة كبيرة أدت إلى بيع الكثير من ممتلكاته وممتلكات عائلته من نوادر الأحجار الكريمة والتحف الثمينة .. وجاء بلجيكا ليبيع بعضها في أهم أسواق بيع الماس والمجوهرات في العالم .. وكان رفيق يومئذ في بروكسل ، وتحدثت معه عن هذه المسبحة اللؤلؤية وجمالها وروعة صنعها ، بل القليل من حجارتها من الماس الأبيض حتى لا يفرق لونه عن اللؤلؤ ، ولما رآها رفيق فتن بها ، ودفع ثمنها خمسين ألف دولار أمريكي أمام عيني .. ومنذ شهور مضت اتصل بي للصداقة القديمة بيننا ..وقد استضافني مرات خلال السنوات الفائتة لفحص مجوهراته وما اشترى من جديدها ، فهو يثق

بي ثقة كبيرة في فحص الجواهر لتمييز الحقيقي من المقلد.. اتصل منذ حين يسير كما قلت بعد منتصف الليل في توقيت بلدكم ، فهو ذكي وحذر في أمر الجواهر ..وأخبرني أنه يشعر بأن المسبحة اللؤلؤية قد تغير ملمسها بين أصابعه ، ولولا حرجه كما أخبر واستحالة وصول أحدهم للخزانة الخاصة بالمجوهرات لشك في تبديلها .

فقال مجدي مستغربا : تبديلها !!

فتابع رضا جناد : فطلب مني زيارته في الوقت المناسب .. لفحص حباتها .. وأخبرني أن صحته تدهورت أكثر من اللازم .. ووعدته بالاتصال به في النهار لأنظر ظروف عملي والوقت المناسب لزيارته ، ثم جرت بيننا اتصالات حول مجيئ لهذا البلد دون أن نذكر في اتصالنا هدف الزيارة ؛ هذا الحذر من طبيعة شغلنا

فقال المحامي فيصل بعدما لزم رضا الصمت وأخذ يشرب من كأس ماء أمامه : بعد هذا الكلام الخطير جدا أيها السادة في ذهني تصور أرجو أن تسمعوه .

ولما لزموا الصمت قال : نعم .. تكلم السيد رضا كلاما قد يحل هذه الألغاز ..قد يكون صحيحا أن السيد رفيقا قد بان له أن المسبحة بدلت فعلا ؛ وكما قال السيد

رضا كان مستصعبا لوصول أحدهم إليها ..وهذا شعرنا به عندما تناقشنا معه بعد ضياعها .. وهذا كما رأينا صعبا .. رقم الخزانة السري كيف وصل للسارق ؟.. المفتاح لم يفقد .. ولكن لا شيء كامل .. فلابد من ثغرة أو ثغرات يستغلها المجرمون ، كما يستغل رجال الأمن ثغرات الجرائم والقضايا .. ولكنه للحرص الذي يتخذه والحيطة الكبيرة المتبعة لم يقتنع بالتبديل .. ربما ظن أن هناك عيبا في اللؤلؤ ، ولم يكن هناك تبديل .. فخطر في باله صديقه الجوهري رضا ليحسم الأمر .. أنتم واعون لما أقول .

فتبسموا وقال مجدي : استمر .. كلنا واعون لما تقول .

ـ تصوري أن الذين بدلوا المسبحة بواحدة مقلدة .. قد عرفوا بأن الخبير قادم لفحص المسبحة المقلدة .. وخشوا أن يُقبل الرجل الخبير، ويكشف التقليد ، فستصبح جريمة وشرطة وتحقيق

وهذا يدل على أن أناسا قريبون من رفيق يعرفون بأسراره وفتح خزائنه .. فأخذ اللص أو اللصوص المسبحة الأصلية الهندية ووضعوا المقلدة مكانها .. وربما حدثت هذه الحادثة الخطيرة منذ مرض السيد رفيق وعولج من الجلطة فقد مكث زمنا في المشفى ..أقول ربما .. مع أن هذا وقت طويل بالنسبة للأحداث الجارية .. وظن السارق أن السيد إذا مات لن يدرك الورثة أمر هذه المسبحة المقلدة .. لأنه لديه مسابح مقلدة كما أخبرنا يا أستاذ مجدي .. فلن يهتموا بنظر اللص بالمسبحة المبدلة .. ولكن الرجل لم يمت ، كما توهم السارق ؛ بل اكتشف تبديل المسبحة ، وهو صامت ومنتظر لوصول الخبير ليحسم الأمر ويقطع الشك باليقين .. فكانت الاتصالات بين رفيق والسيد رضا ..فلما علم اللص بهذه التطورات ..قام بسرقة المسبحة المقلدة ، وليست الأصلية ؛ لأنها معه من قبل قد سرقها من قبل .. مما دفع الرجل لكشف اختفائها لمجدي ولي ..

وأخذ نفسا عميقا وقال : ثم دفعه الخوف لإخفاء السيد رفيق .. وهذا يدل على أن السارق ليس وحيدا بل هناك عصبة .. ولا يستطيع الوصول للخزانة المحمية إلا المقربون .. والمقربون هم يا مقدم عبد الكريم هم ...

قال عبد الكريم : تصور مهم ورائق فعلا ..والمقربون هم ابنه وابنته والخادمة والسكرتيرة والسائق .. وزواره الذين سنتعرف عليهم قريبا ..والأستاذ مجدي ـ وابتسم وهو ينظر للمحامي الذي بادله الابتسام ـ وقال : وله أخت وابن أخت .. ووالد مجدي ووالد حلمي ووالد لمياء ..

قال وكيل النيابة : علينا أن نتحرى عن الجميع ما عدا الأستاذ مجديا ، فهو صاحب القضية .. ولا أعتقد أن زميلنا ممثل بارع .

وضحك الجميع لمداعبة قاضي التحقيق ، وقال مجدي : بل من حقكم أن تتحروا عني ، وأنا تقدمت عن طريق أبي لطلب يد ابنته قبل الحدث الأخير .

فقال المقدم : جهودك مشكورة معنا يا سيدي المحامي .. سأدرس هذه الأسماء وغيرها ،

ونعمل على المهمين أولا ، ثم نوسع دائرة التحريات عن الباقي .. هذه جرائم محكمة التدبير ولو أعادوا المسبحة الأصلية لأراحوا أدمغتهم ؛ ولكن الطمع أعمى تلك الأدمغة ..

قال فيصل : وعليكم بالتحري عن الطليان الثلاثة عن طريق البوليس الدولي .. وعليكم بجمع المزيد من المعلومات عن العم رفيق حلمي نفسه .



بالسماع لشهادة رضا جناد خبير الجواهر الأوروبي أصبح لدى المحققين ارتباط بين اختفاء رفيق واختفاء مسبحة اللؤلؤ ، فكان المحاميان فيصل ومجدي يجلسان في أحد المطاعم يتناولان عشاء ، ويتحدثان حول القضية فقال فيصل : المستفيد أولا من موت رفيق ابناه ..وثبت لدى رجال البوليس أن الشاب جاء من سفره نهار الخميس ، فلم يكن في البلاد عند حدوث الخطف .. ولكن مجيئه في مثل هذا الظرف أثار شبهة حوله .. وسامية غير مكترثة لاختفاء والدها ، ويبدو أن هذا طبعها .. لا تسأل كثيرا لا تتصل بالشرطة أو بك لتتابع القضية معك وهذا فعل مثير للشبهة كذلك !

رد مجدي متأملا ما سمع : منذ الحادث سألتني مرتين وكذلك سامر .. هم يتابعون القضية عن طريق لمياء .. فلا يكاد يمضي يومان أو ثلاثة حتى تتحدث معي السكرتيرة .. فأقول لا شيء لم تظهر الجثة ..

ـ حسن ..ورغم كثرة أموال والدها فهي تعمل بعيدة عنه .. ومستقلة .. ولماذا لم تتزوج بعد يا مجدي ؟! فهي غنية والعين عليها .

تبسم مجدي وقال : أنا أعتقد أنه ليس لأبناء السيد رفيق يد في اختفاء المسبحة واختفاء الرجل فحسب معلوماتي فهم ليسوا بحاجة لمال ليسرقوا .. وعمل البنت يدل على أنها مرتاحة في عملها ، وليس عندها طموح كبير .. فهي منذ تخرجت لم تفكر بإنشاء صيدلية باسمها .. أو

مستودع أدوية .. ومن ناحية الزواج تحدث عنها ابن عمتها وحدثت أبي عنها ، ولم يقرر والدها شيئا ..وقد ورثوا الشيء الكثير عن أمهم .. وسألت أبي عن برودة العلاقات بين الأب وابنته فقال لي " إن رفيقا لم يكن يحب أمهم إنما هما زوجان فقط " وعلق قائلا " ربما لأنه تزوج سابقا من المرأة الطليانية " .. "وتزوج هنا بحكم العادة ورغبة في الولد" .. "ورغم ثروته الكبيرة كان يعاملها كالخادمة في البيت ، وربما عامل الخادمة بلطف أكثر منها " .. ثم قال مصرحا لي أيضا " تزوجها بظروف مريبة .. عندما ملّ الغربة والبحار ورجع لبلده أخذ يستثمر ماله ، ويتعرف على رجال المال ، فالتقى بها ، وأعجب بحسنها بسرعة ، وتزوجها بسرعة ؛ ولكنه كما أخبرني أبي قال وبعد حين ندم على زواجه .. ردد ذلك أمام أبي أكثر من مرة ورغم قول ذلك لم يطلقها.. كان أبي يقول " كأنه ملّ أيضا جنس النساء " ..والأم كانت متعلقة بولديها أكثر منه ..وبحكم عمله الدائم كان قليل الجلوس معها ، واعتادوا على ذلك هو في العمل والسهرات وهي مع الأولاد والنزهات .. ولما شبا سافر سامر للدراسة والفتاة التحقت بالجامعة هنا .. وكانت الفتاة تشعر بظلم أبيها لأمها ولها ، وخاصة عندما مرضت الأم بمرض عضال كان الأب يرسلها للمستشفى مع السواقين ومساعديه .. وإذا أخبر باحتضارها ذهب وزارها ، ولكن إذا تعافت ولم تأت الساعة ، وعادت للبيت أمر عماله بإحضارها .. فكان أولاده يرون ذلك قسوة وظلما .. وظلت تتنقل بين البيت والمستشفى حتى رحلت إلى رحمة الله ﷺ ..وسامر كما هو معلوم بعدما أنهى الثانوية العامة سافر لروما .. وظلت البنت تتعلم هنا .. فكانت علاقتها بأبيها فاترة وقال أبي : إنه لا يمكن أن يكون لسامية دور في اختفائه وموته إذا مات " ..

ـ لماذا ؟!

ـ قال طبيعة البنت هادئة لا تحب العنف .. إنها فتاة مسالمة تحب القراءة للكتب والقصص ومن أجل ذلك رغبنا بتزويجك بها "

قال فيصل : الخادمة قمنا بتحريات عنها في موطنها الأصلي وهنا.. وليس لها القدرة على تدبير

عملية خطف بهذه الجسارة والتدبير .. ربما يكون لها مشاركة بإخفاء المسابح .. ولحتى الآن لم يثبت عليها أي دور .

قال مجدي : والسائق حلمي ليس له مصلحة في خطف الرجل ، فهو لن يرث شيئا .. وها هو عاد ليعمل كسائق في إحدى الشركات المملوكة لرفيق .. ومثله السكرتيرة .

فقال فيصل : والحديث مع أصدقاء الرجل كما أخبرني عبد الكريم دل على أن الرجل كان يستعمل المسبحة في مجالسهم ويسبح بها بينهم.. فهم يعرفونها مع أننا فهمنا منه غير ذلك في أول لقاء لي به.. بل وكان يسمح لهم بلمسها والتسبيح بها ويقول لهم : إنها من اللؤلؤ الصناعي المتقن الصنع .. فهي معروفة لمن حوله ، وهذا كما يقول عبد الكريم يسهل عملية استبدالها إذا أدرك أحدهم أنها من اللؤلؤ الطبيعي الحقيقي .. وأنه كان يزعم أمامهم أنها من اللؤلؤ الصناعي حتى لا يتهور ويطمع أحدهم بها .. وقد أخذوا صورتها أو نسخة عن صورتها وأرسلوها إلى بعض دول أوروبا .. لتعرض على أصحاب صناعة المجوهرات إذا مررت عليهم مثل هذه المسبحة أو قلدها أحدهم .. تجار هذا البلد نفوا صنعهم لمسبحة مثلها هنا

ـ خطوة جيدة وذكية .. ولكن هذا المقلد هل يقر بتقليده لمسبحة ؟ وهذا تقدم جيد برأيي .. وهذا يحل لغز الاستبدال كما صورته لنا.. فهو لم يحتاج لرقم سري ولا مفتاح أصلي ولا تقليد ولكن كيف علم باتصالات رضا ، وقام بسرق المستبدلة .. والسيد كما أخبرنا أنه لم يكن يخرج المسبحة الحقيقية إلا لذاته ..هل عنده مسبحة مقلدة حقا ؟

ـ اللغز أيها الصديق أن اللص عرف بمجيء رضا قصدي أنه سيجيئ وقادم لاختبار وفحص مجوهرات السيد رفيق .. فقام بسرقة المسبحة المقلدة ، فهو كان قد استولى على الحقيقية قديما .. ولماذا لم يعد الأصلية ؟! .. هذا اللغز الكبير .. أم أنه لم يتمكن من إعادتها لضيق الوقت ..أم باعها وتصرف فيها عندما سرقها قبل أن يكتشف رفيق أو يشك في اختفاء مسبحة اللؤلؤ ؟ فاضطر لارتكاب السرقة ، ثم اضطر لارتكاب الجريمة الكبرى ؟!

فعلق مجدي وهما يستعدان للانصراف : المصلحة الأولى في اختفاء رفيق لأبنائه واضحة وهم فوق الشبهات .. ولكن أن يقتل السارق لإخفاء جريمته فهذا قمة الإجرام .

ـ المجرم .. مجرم .. فهم سرقوها معتقدون أنه لن يعود للبيت حيا فيكسبون خمسين ألف دولار عن شغل عشرات السنين ، ولن يدرك الورثة ضياع المسبحة ..فكان يستخدمها مظهرا أنها مسبحة تقليد .. المال فتنة .. وأشكرك على هذا العشاء الطيب يا أستاذ مجدي .



١٢

تحدث المقدم عبد الكريم مع المحامي فيصل عن الطليان الثلاثة فقال : هؤلاء الثلاثة بحارة ، وهم من رفاق السيد رفيق ، وأحدهم قريب لزوجته الأجنبية .. ويؤكد البوليس الإيطالي أن حياتهم لا تخلو من شبهات واتهامات وقصص حول الاستيلاء على أموال سفن غارقة أثناء عملهم في بحار العالم.. ولما ظهرت صورهم في الصحف اتصلوا بالبوليس بواسطة سفارة بلدانهم ، ورافقهم مندوب إلى حيث وكيل النيابة يوسف محمد ، واجتمع بهم وسمع أقوالهم ، وأنهم بعد لقائهم العاصف برفيق لم يروه ، ولم يلتقوا به .. ولقد حاولوا عن طريق السكرتيرة الخاصة فأخبرتهم أنه يرفض الاجتماع معهم مجددا.. وليس لهم أي علاقة باختفائه ، ولا يعرفون لبى والخد ومها ، وأكدوا أن الجريمة عليها بصمات أناس من البلد .

فقال فيصل حسني بعد سماعه هذه الأخبار : معهم حق يا سيدي! .. ترتيب الجريمة يحتاج لشخص يعرف طبيعة البلد ..والأجانب يكشفون بسرعة بين الناس وعمال المحطات .. وتلك الرحلة كما أخبرنا مدير المحطة لم يكن على ظهرها أجنبي .. كلهم من رجال ونساء البلاد ..ولكن أين كانوا كل هذه المدة ؟! ولماذا لم يغادروا بعد انصرافهم وفشلهم مع السيد رفيق؟!

ـ هم لما يئسوا من اللقاء به ..فقد قاموا بجولة سياحية في طول البلاد وعرضها بعد أن سكنوا شقة يملكها رجل إيطالي يعرفونه ، وهم ـ وهو الأهم ـ كانوا في انتظار شخص رابع صديق عزيز لرفيق في البحر .. وذات يوم أطلعهم مسافر معهم في الجولة السياحية أن صورهم منشورة في إحدى الصحف الأجنبية في البلد .. وأن عليهم الاتصال بالبوليس المحلي .. وهم أخبرونا أن لهم مغامرات في البحث عن السفن الغارقة القديمة التي كانت تنقل الكنوز والتحف وغرقت بسبب القرصنة أو العواصف أو الحروب القديمة ..ولهم معارف حول العالم ينشطون في مثل عملهم .. فالتقطوا بعض صناديق هذه السفن الغارقة وما فيها من أدوات وأسلحة أصبحت اليوم آثارا، ولها سوق عند الأسر العريقة .. وكانوا يقتسمونها

بطرق تبعدهم عن البوليس المحلي والدولي والدول صاحبة تلك السفن .. فالبحر كما يقولون مليٌ بالدفائن والكنوز .

ـ هذا يعني أنهم لا دخل لهم في قضية اختفاء المسبحة وصاحب المسبحة .

ـ لم يذكروا المسبحة ولو مرة واحدة أثناء تسجيل أقوالهم .. وبدا لنا أنهم لا علم عندهم بشأنها رفيق رجل عميق .. ولكن عندي لك خبر جديد .

ـ خبر ! أي خبر ؟!

ـ زواج لمياء من حلمي السائق .

ـ سمعت ، ولم أصدق الخبر أو لم استوعبه .. هل تأكد ذلك ؟

ـ نعم ، وهم في شهر العسل في أوروبا كما أخبرنا رجال المتابعة .. فلما استقروا في أعمالهم الجديدة وتركوا شقة رفيق .. أعلنوا عن الخطوبة .. فوالد لمياء ووالد حلمي أصدقاء وأصدقاء للسيد رفيق .. وهم كما تعلم تحت المراقبة والاشتباه .

فقال فيصل : أنا حدثني مجدي عن هذا الزواج ، وقال لي " حلمي شاب أمي لا يعرف في الدنيا إلا القيادة ، ولمياء فتاة مثقفة وتحمل ماجستير إدارة أعمال .. وهي لم توفق في زواجها الأول لعلها توفق بهذا الزواج .. وصديقنا مجدي لم يحضر حفلة الخطبة ولا الزواج .. وهو على وشك الاقتران من ابنة الحاج رفيق كما قال لي ."

ـ كيف ؟!

ـ قال زرت الفتاة في البيت بصحبة أبي ، وتحدثنا حول اختفاء الوالد ، ثم حدثهم أبوه عن الزواج ، وأنه كان قد تحدث مع صديق العمر بالموضوع .. فشجع سامر أخته بالاقتران بمجدي فهو كان ثقة عند الوالد .. ولكنهم أجلوا ختم الموضوع حتى يعرف مصير الأب المختفي .

فقال عبد الكريم لرفيقه فيصل : هل تعلم أن المسبحة اللؤلؤية قد اختفت مرة قبل إصابة الرجل بجلطة الدماغ ؟

ـ اختفت ؟!

ـ نعم ، كانت في حوزة ابن أخت للسيد رفيق .. وهذا الشاب قد طلبت أمه ابنة رفيق لابنها قبل أن يطلب صاحبك ابنة السيد رفيق ..ولما افتقدها الرجل وحدث أخته بشكه في ابنها . . أعادها وهو يعتذر لخاله ظانا أنها مسبحة بلاستيكية تشبه حبات اللؤلؤ .. فغضب خاله ووبخه على فعلته الشنيعة ، ثم صفح عنه من أجل أخته ، وسمح له بالعودة لزيارته وصحبة أمه معه .. فهل كانت هذه السرقة على سبيل المزح أم على سبيل الاختبار ؟ ..وسألتقي به قريبا في الدائرة وسماع أقواله .

ـ وصورة المسبحة التي أرسلت لمحلات الجواهر العالمية ما آخر أخبارها ؟

ـ ما زال البحث مستمرا ..والأمر يحتاج لوقت .

وبعد هذا الحوار غادر فيصل الدائرة الأمنية للقاء زميله المحامي مجدي لتدارس القضية والمناقشة والمحاورة .



رغم التحريات الكبيرة التي قام بها رجال المباحث لم يعثر على جثة رفيق حلمي ، وكذلك لم يعثروا على دليل يدل على أنه ما زال على قيد الحياة ، ولكن بعد مضي الشهر الثاني من الاختفاء تحركت القضية فجأة وبقوة .

الصورة التي أرسلت للبوليس الدولي صورة المسبحة المختفية أدت إلى تطور مهم في القضية ، فقد سافر المقدم عبد الكريم إلى ميونخ في ألمانيا ، والتقى بصانع جواهر تذكر أنه صنع مسبحة من اللؤلؤ الصناعي شبيهة بالصورة التي عرضت عليه ، بل أكد أنه صنع اثنتين منها تشبهان الصورة التي عرضت عليه ، فقال الرجل الألماني الصانع في شركة خاصة لتقليد وصناعة المجوهرات المقلدة : إن فتاة هي التي طلبت منه صنع هذه المسابح ، وليس رجلا ودفعت

عشرة آلاف دولار لتقليد مسبحتين .

وكان من طبيعة العمل عندهم توثيق أوراق الطالب للتقليد ، فأظهر الرجل صورة لجواز سفر الفتاة ، ولما نظر عبد الكريم لصورة الفتاة عرف على الفور أنها سكرتيرة السيد رفيق السيدة لمياء عامر ، فأرسل المقدم يطلب صورة ملونة ومكبرة للسيدة لمياء ، فلما عرضت على رجل المصنع أكد للضابط أن هذه الفتاة هي التي طلبت منه تقليد المسبحة التي في الصورة ، وصور جوازها وأنها وقعت على العقد وأراه عقد البيع وتوقيع الفتاة .. ولما اكتمل صنع المسبحتين أرسلتا بالبريد إلى عنوان الفتاة .. ولما جمع الضابط معلوماته عاد للبلد ، وطلب لمياء لسماع شهادتها حول المسابح ، فقيل له إنها ما زالت في شهر العسل ..فهي في إجازة حول العالم منذ تزوجت بحلمي وهما يتنقلان بين الأقطار ..فقد أخذوا إجازة لمدة ستة أسابيع .

وتحدث المقدم مع المحامين ، وأطلعهم على آخر معلومات القضية وحكاية الصورة والمسابح المقلدة .

فقال فيصل : هل قابلت السيدة ؟

فقال مجدي : إنها ما زالت في شهر العسل .

فقال عبد الكريم : تحدثت مع الشركة ، فعلمت أنها في إجازة لمدة ستة أسابيع .. وهي على وشك الانتهاء .. إلا إذا مددا إجازتها.. ولكن السؤال هل لها دور في اختفاء رفيق ؟!.. هي وزوجها من المشتبه فيهم.. ولكن لحتى الآن لم يثبت شيء ضدهما .. وهي ذكية ..

فقال فيصل : هما لا يعرفان بقصة اختفاء المسبحة.. حسب معلوماتنا أليس كذلك يا مجدي ؟

ـ بلى ، عندما زرنا رفيقا لأول مرة لم تظهر الفتاة على المسرح ، ولا حلمي ..كان عملنا يجري بالخفية عنهم .. لدقة القضية .

فقال فيصل : على كل حال بعد سماع قولها حول سفرها لصناعة المسابح قد يتغير اتجاه القضية مع أن الأمر يدل على أن سفرها بالصورة قد يكون على معرفة رفيق ..لأننا علمنا بأن هناك مسبحة مقلدة كانت تظهر بين يدي رفيق أثناء تحركاته وجلوسه مع ضيوفه .. وسرقة ابن

أخته لها .. فهذا الاكتشاف يؤكد وجود المسبحة المقلدة .. ولماذا اثنتان؟! .. ها هي مسبحة مقلدة أخرى تظهر في الصورة .. ولكن اللغز الأهم هو كيف سرقت المسبحة الأصلية ؟ وإذا بدلت فكيف خرجت المبدلة من الخزانة حتى لا يراها رضا شاه جناد ؟..ولماذا اختفى السيد رفيق أو قتل على الأرجح ؟!

فقال مجدي : هل خدر رفيق والخزانة مفتوحة ؟! ..فإذا حصل هذا فيمكن للسكرتيرة السرقة فمبلغ خمسين لفتاة مثلها مهم .

فقال فيصل : ولكن الرجل لم يشر لمثل هذا الأمر .. وهو كان يتحدث معنا بكامل وعيه عن حادث الاختفاء .

فقال عبد الكريم : وفي حادثة القطار بدا الرجل أمام عمال المركبة ضعيفا مستسلما .. وذكرنا أنه ربما تعرض لتخدير معين قبل محطة مها ..مع أن عامل المقصورات ناصر وعامل محطة لبى نفوا شم رائحة دواء كتخدير وغيره في الحجرة .. ولكن هذا النفي لا ينفي حصول التخدير ؛ فربما استعمل دواء لا رائحة له .

فقال فيصل : قد يكون هناك تنسيق وتأمر بين لمياء وحلمي .. وزواجهما يثير الانتباه والشبهة.. إلا إذا كانا بريئين فأقدما على التسرع في الزواج .

فقال عبد الكريم : سأجري تحريات عنهما ليلة الحادث .. بعد توديع الرجل في محطة القطار .. كيف أمضيا تلك الساعات ؟ .. ما داما قد أصبحا موضع اتهام .

فقال مجدي متخيلا لقاءاته بهما : أنا كنت ألاحظ الانسجام بين الشاب والمرأة .. وكنت أرى ذلك بحكم العمل في السنة الأخيرة في شقة الشركة ..ولكني لم ألحظ منهما شيئا مخلا بالأدب العام .. ولم أدرك أن بينهما حكاية حب .. فلمياء متعلمة دراسات عليا .. وحلمي سائق فحسب .. ولكن القلوب كما يقال لها شأن آخر .

فقال فيصل: السرقة أسهل وأهون من جريمة الخطف والقتل .. خصوصا القتل المدبر .. فخطف وإخفاء جثة ليس كإخفاء مسبحة ..

مجدي : الخطف حصل بعد الثامنة مساء ..والليل طويل إلى حد ما ..

فقال عبد الكريم : الجثة أين ذهبت ؟ لحتى الآن لم تصل جثته للمشرحة ..حتى جثة متحللة لم تصل .. جثة مشوهة لم نبلغ عن ذلك .. صحيح نجد جثثا مجهولة الهوية .. ربما تكون لمشردين أو غرباء ..ولكن لا بد أن يفطنوا لهم يوما ما .. قام رجالنا بالبحث بالأماكن المهجورة والبيوت المهجورة في الخد ولبى ومها .. متى سنجد الجثة هذا علمه عند ربي ؟.. سماع شهادة الفتاة حول المسابح لعله يلقي ضوءا على هذه القضية .

فقال مجدي : لو كانت مخططة لسرقة المسبحة لأخفت اسمها عن الشركة المقلدة واستخدمت وثيقة مزيفة .. ولماذا مسبحتان ؟ وتدفع عشرة آلاف دولار .

قال فيصل بحيرة : لماذا السيد رفيق لم يكشف لنا أمر المسابح المقلدة لماذا ؟!.. نحن عرفنا ذلك من رضا شاه جناد .

عبد الكريم : هؤلاء الصناع لا يقبلون صناعة شيء بدون توثيق رسمي وجواز سفر أو هوية شخصية .. لأنهم يحذرون من المشاركة في جريمة سرقة ونصب .

فيصل : وهنالك لا يخلو المكان من صناع يعملون دون هذا التوثيق ..فالراجح أن التقليد حصل بعلم رفيق .. فضاعف المبلغ لصانع ماكر فيعمل من وراء المصنع وهو يتحمل نتيجة عمله الإضافي .

قال عبد الكريم : نحن سمعنا كما قلتم عن مسبحة لماذا الآن صارتا اثنتين ؟! .. الحل أن نصبر حتى يعود العروسان من شهر العسل والفرح والحب .. أتعرف أين سافرا يا مجدي ؟

- عن طريق مركز عملهما نعرف .. وبما أنني محامي بعض شركات السيد رفيق سأعرف خلال ساعات مسار رحلتهما ..

وقام واتصل بمدير الموظفين في إحدى الشركات ، فعلم أنهما مسافران لأوروبا ، وأول محطة لهما كانت سويسرا في مدينة بال ..ولا يعرفون باقي المحطات وبقي على إجازتهما عشرة أيام فقط ..ولم يتصلا بالشركة منذ رحلا .

فقال عبد الكريم : سنصبر ..أي فندق نزلا في سويسرا ..؟

فيصل : لا أعتقد أن الشركة تعرف ذلك ..

ـ أفكر بإرسال رجل خلفهما .

ـ لا داعي لذلك .. لقد فات الأوان لمتابعتهما في الخارج .. فلو كانا سارقي المسبحة الحقيقية لتصرفا فيها منذ وقت ..والأرجح يا صديقنا أن المسابح صنعت بعلم رفيق ..



انتهى شهر العسل كما يسمى في أيامنا، وعاد العروسان حلمي ولمياء ، واستقرا في الشقة التي تملكها لمياء عامر ، وانتظر الشرطي عبد الكريم حتى التحق الشابان بعملهم ، ثم اتصل بهما في بيتهما مهنئنا لهم الزواج والعودة لأرض الوطن ، وطلب منهما تحديد موعد للحديث معهم بشأن قضية السيد رفيق حلمي ، فلما استفسرت لمياء عما جد قال : الأفضل أن يبقى الكلام حتى نتقابل .

ولما التقيا سألها الضابط مباشرة عن قصة المسبحتين والصورة التي ذهبت إلى ألمانيا لصنعهما ، ولمح الضابط بعض الارتباك الذي ألم بها ؛ ولكنها تمالكت نفسها بسرعة فائقة وقالت : وما دخل المسابح في قضية السيد رفيق ؟! وكيف عرفتم بقصة المسبحتين ؟

تبسم الضابط وقال : نحن يا سيدتي ما زلنا نتحرى بموضوع الرجل المختفي منذ ما يزيد عن شهرين .. لم تنته القضية ما زالت الضحية مختفية .

ـ على كل حال يا سيدي! قضية المسابح الصناعية ليس لها دخل في موضوع اختفاء الرجل .

ـ نحن ـ يا سيدتي ـ الذين نقدر ما يهم وما لا يهم .

ـ لا بأس .. ذهبت لميونخ بناء على رغبة السيد رفيق حلمي.. ذكر لي اسم الشركة وسافرت وقد أعطاني السيد صورة ملونة لمسبحة عزيزة عنده وعليه كما كان يردد .. وأعطاني اسم

الشركة ومصاريف الرحلة .. وصنعوا له مسبحتين مثلها بالضبط منظرا وشكلا وحجما .. أما الحبات فقد كانت من اللؤلؤ الصناعي المتقن مائة بالمائة ، وكذلك حبات الماس .. أما لماذا مسبحتان ؟ صدق يا سيدي الضابط أنني لا أدري .. فالرجل مغرم بالمجوهرات.. منذ علق في البحار كما كان يردد ويقول .. ومرة أخفى ابن أخته إحدى هاتين المسبحتين فغضب عليه أشد الغضب .. ولولا الخوف من معاداة أخته له لما سامحه أبدا .. ولكن الشاب أعاد المسبحة معتذرا .

ـ هل أعادها نفسها الحقيقية أم أعاد المزيفة ظانا بأنها أي المسروقة من اللؤلؤ الحقيقي عندما سرقها ؟

ـ لا أدري يا سيدي .

قال الضابط : هل تسمحين بالإجابة على هذا السؤال ؟

ـ تفضل يا سيدي .. فأنا يهمني معرفة مصير السيد رفيق .

ـ سنعرف بأذن الله تعالى ..يوم توديعك للسيد رفيق في محطة القطار .. أخبرتينا أنك صعدت بالسيارة مع السائق زوجك الحالي ..وعدت لشقة العمل في عمارة رفيق .. الساعات الأربعة التالية كيف قضيتها ؟

صمتت فترة أطول من اللازم ، ثم قالت ببطء : سؤال خطير يا سيدي .. هل أنا متهمة ؟!

ـ لحتى الآن كل معارف السيد في دائرة الاشتباه ..أنت وزوجك ومجدي وابن أخت رفيق وبعض أصدقائه .. الكل مشتبه به ..وحتى الدكتورة سعيدة .. فعلى كل واحد من هؤلاء تحديد كيف مضت تلك الساعات ؟ ..فرحلة القطار .. والحجز في الفندق ..أنتم أدرى الناس بهذه المعلومات .. والطليان الأجانب ثبت بعدهم تلك الساعات عن مسرح الجريمة .. الكل مشتبه به يا سيدتي .. لم نوجه الاتهام لأحد .. حتى أبنائه في دائرة الاشتباه .

ـ حسنا يا سيدي .. ما دمت مشتبه به .. ولست متهمة فيمكنني الرد على حضرتك يا سيدي ذاكرتي جيدة رغم مرور ثلاثة أشهر على الحادثة .. فإنني أذكر أني عدت بسيارة حلمي لشقة السيد رفيق ، ثم أكملت الشغل الذي تركته، وأغلقت الشقة وعدت للبيت .. لم أسهر ليلتها

ـ ولكن ماجندا يا سيدتي لما سألناها هل عادت السيدة لمياء للشقة ذلك المساء ؟ فنفت ذلك .

ـ ماجندا ! .. يا سيدي الشقة لها مدخل خاص .. وأنا لما عدت لم أدخل من شقة ماجندا .. عملت ما يقارب النصف ساعة ثم غادرت .. وربما البواب لمحني .. لا أذكر .. عليك بسؤاله

ـ وأهل بيتك يا سيدة لمياء لم يشاهدوا ضوء بيتك إلا في ساعة متأخرة ؟

ـ الحمد لله أن لي شقة أضيئها وقتما أشاء .. أنا عندما لا أريد أن يزورني أحد لا استعمل الضوء .. واسأل أهلي عن هذه العادة ..فأستريح ساعة أو أكثر ، ثم أنير البيت لشرب قهوة أو شاي أو أكل قليل من الطعام ؛ لأنني أحيانا كثيرة أتعشى في المطاعم .. ومرات يا سيدي أصعد شقة أبي وأجلس مع أمي بعض الوقت أسمع أخبار الأسرة والأقارب .. ولكن تلك الليلة كنت أحس بالإرهاق .. نحن من اليوم السابق ونحن مشغولون بسفر السيد رفيق ..

ـ جيد .. ألم تغادري المدينة في ذلك المساء ؟

ـ لم أخرج من المدينة تلك الليلة ، ودعنا الرجل في المحطة ، ثم عدت للشركة ..ثم عدت لبيتي .. ونمت بعض الوقت ؛ ثم استيقظت ، وأكلت بعض الفاكهة وعدت للنوم ثانية .. ثم يا سيدي ما الذي أجنيه من التآمر على السيد رفيق ؟ لم يكتب وصية لي ولست وارثة .

ـ صحيح لم يكتب لك وصية .. ولست وارثة ؛ ولكن كما قلت مبررا سابقا أن الجميع في دائرة الاشتباه فحسب .. لم نتهم أحدا في هذه القضية ..ولكنك من أعرف الناس بحياة الرجل الخاصة ومن المؤكد أنك أعرفهم .. وحتى من أولاده.

ـ معك حق .

ـ والحقيقة وبكل صراحة نحن ليست لدينا أدلة على حدوث جريمة قتل ..لأن جسم الجريمة غير موجود .. واعلمي يا سيدتي أنك ممنوعة من السفر إلا بتصريح خاص من البوليس .

ـ هذا اتهام .

ـ لا ، اشتباه فقط .

ـ هل بقي شيء؟

ـ لا .. وإلى اللقاء .

ـ حياك الله يا سيدي الضابط .

ـ أرجو أن تخبري زوجك السيد حلمي بالمجيء لدائرة الشرطة لنسأله بعض الأسئلة كما سألناك وسألنا غيرك ..فليأت وحده .. معذرة بالطبع .. نريده وحده بضع أسئلة والسلام ..

ـ سأبعثه لكم .. هو الآن في زيارة لوالده وأمه .. ولا أدري متى يعود ؟

ـ نحن في انتظاره أيتها السيدة .

ـ سأبلغه الأمر يا سيدي

ـ الأمر لله والسلام عليكم .

١٤

لما دخل المحقق عبد الكريم ضابط التحقيق في قضية اختفاء رفيق الدائرة أعلمه مساعده أن رجلا أوروبيا في انتظاره ، وهو رفيق البحارة الذين تم التحقيق معهم حول اختفاء رفيق حلمي ، الرجل الذي أرسلهم لمقابلة رفيق ، رحب عبد الكريم بالرجل وأمل أن يضيف الرجل شيئا يحلحل القضية ، وبعد التعرف والترحيب حضر الكاتب والمترجم فقال الرجل : اسمي" جوهان ثيودور " من أهالي صقلية الإيطالية .. وأنا من سكانها اليوم أيضا .. ولما خابرني أصحابي باختفاء السيد رفيق هذا الاختفاء الغامض .. قررت المجيء للمساعدة والإدلاء بمعلوماتي .. لعلها تساعد في معرفة الجناة .. والوصول لجثة السيد رفيق التي لم تظهر كما خابرني الرجال .

ـ شكرا لك .. ونطمع أن نستفيد حقا مما لديك من معلومات .. وهذا يدل على عمق الصداقة التي تكنها للسيد رفيق .

ـ أنا أعرف السيد رفيقا منذ وطأت قدماه صقلية ، وكان متزوجا من امرأة صقلية ، ورثت عن والدها مراكب وسفنا .. أحبت تلك المرأة الشاب رفيقا وتزوجته ، وعملنا معا في البحر .. وكانت البحار تقذفنا مرة في الشرق ومرة في الغرب .. وصلنا سواحل الهند والصين وتشيلي .. وهكذا عشنا زمنا طويلا .. ننقل البضائع والمواد حسب الطلب .. نشارك في رحلات الصيد والبحث عن الكنوز .. كانت تحدث معنا حكايات وقصص ومغامرات يا سيدي المقدم .. ونسمع من بحارة يعملون معنا على إحدى الرحلات عن سفن غارقة ، وهي تحمل ذهبا وأموالا لبلد ما وتهلكها الأعاصير وعواصف البحر، ويختفي الذهب والمال والجواهر .. فنقوم بالبحث والغوص .. فنجد أحيانا وأحيانا كثيرة أخرى لا نجد شيئا.. ربما سبقنا ربما إشاعة ..وصرنا نشتري ونبيع الجواهر من الركاب من الصيادين .. نشتري من سواحل الهند والباكستان ونبيع في أوروبا بطرق مشروعة وطرق غير مشروعة .. هكذا السوق في مثل هذه الكنوز .. لأن بعض الدول إذا علمت أن كنوزا لها ظهرت في عاصمة ما

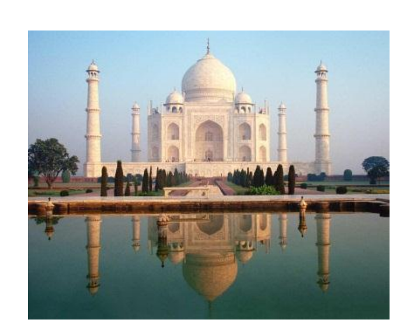
ربما تطالب بها .. فنقع في مشاكل قانونية نحن في غنى عنها .. وصانعوا الجواهر يحبون السرية وسحر صاحبنا رفيق بالمجوهرات ، وأصابه الهوس والعشق القوي بها ولها .. فصار يبيع ما لا يناسبه ويشتري غيره أو يستبدل جوهرة قديمة بجواهر حديثة ..وربما نبيع جوهرة قديمة بثروة كبيرة لأهميتها التاريخية .. أما السيد فكان يقتني ويبيع ..أما أنا فكنت أحب المال أكثر من اقتناء الجواهر .. فيدفع رفيق حصتي ويأخذ الجوهرة كاملة ..إذا رغب باقتنائها ..وكنا نذهب لتسعيرها عند معارفنا من تجار الذهب والجواهر في بلادنا والبلاد الأخرى .. كنا حقيقة على تفاهم تام بالنسبة لهذه الجواهر .. ومرة كنا في أحد موانئ بلاد الهند ، وتقدم منا رجل رث الثياب بشكل ملفت للنظر قليل الحجم .. وعرض علينا ياقوتة بحجم (البج بن) الكرة الصغيرة .. ولما ساومناه أدركنا أنه جاهل بأسعار المجوهرات والأحجار الكريمة .. إلا إذا كانت مزيفة حتى خفيت علينا ؛ ولكننا حتى لا تفوتنا تلك الكرة دفعنا ألف دولار للرجل الذي اختفى على الفور بعد أن قبل أيدينا شاكرا .. بخبرتنا رجحنا أنها ياقوتة طبيعية ..ولكن الشك ما زال يراودنا .. وبما أننا اشتريناها في الهند فلا نستطيع فحصها عند تجار تلك البلاد .. ففي ذلك خطر شديد علينا ..لأننا لا نعرف كيف حصل عليها الرجل ؟ .. قد تكون مسروقة والبوليس يبحث عنها فنقع في سين جيم .. فلما عدنا لصقلية كالعادة بعد رحلة استغرقت شهور .. عرضناها على أهل الاختصاص فأكدوا أنها حقيقية وقدروها بعشرين ألف دولار أمريكي .. فدفع لي السيد رفيق العشرة آلاف .. تنقص خمسمائة التي دفعها للهندي الفقير.. وامتلك تلك الجوهرة الهندية .... وانتهى الموضوع حسب علمنا .. ولما ماتت زوجة السيد رفيق الصقلية صفى أعماله في بلادنا ، وباع المراكب التي ورثها بعد أن أهدى بعضها لمحبيه وعاد لموطنه الأول .. وظللنا على اتصال بحكم الصداقة الطويلة ..قبل خمس سنوات من اليوم زارني ثلاثة هنود ومترجم إيطالي ، وأخبروني أنهم يبحثون عن الياقوتة التي باعها لنا أحد الهنود في أحد موانئ الهند ..ووصفوا الياقوتة فتذكرتها وتذكرت ذلك الرجل الهندي الفقير الذي لا تنسى صورته ..وعلمت منهم أن الرجل قد سرقها من عين إله هندي من

الآلهة التي تملأ معابد ودور الأغنياء في الهند .. فهي إذن عين صنم هندي .. وفهمت منهم أنهم تفقدوا إلهاهم ذات يوم فوجدوه بعين واحدة ، وأدركوا أن عين الإله قد سرقت .. وبعد تفكير أدركوا أن أحد خدم المعبد استولى عليها في لحظة غفلة .. وبحثوا عنه حتى وجدوه وأمام التعذيب أقر بجرمه .. وأنه فعل ذلك انتقاما منهم ، وأخذها وباعها في أحد الموانئ لأصحاب السفن الأجنبية .. وبالصبر والسؤال عرفوا أنها بيعت لنا وعرفوا عنواننا في أوروبا لأن رجال أمن الميناء يعرفوننا للتعامل الدائم بيننا .. وجاءوا إليّ وقصوا قصتهم هذه ..ولم يكن أمامي إلا الإنكار بالحصول عليها .. وقلت لهم إنني لا أملكها ، وأمام إصرارهم وبكائهم وتعبهم في البحث .. ذكرت لهم أنها ليست بحوزتي وأنني أخذت نصف ثمنها ، وذكرت لهم عنوان السيد رفيق ..وقلت لهم ادفعوا له ثمنها ..فوعدوا بدفع أضعاف الثمن وجاءوا إلى هذه البلاد قبل خمس سنوات أيها السادة ، والتقوا بالسيد رفيق كما أخبرني هو بنفسه .. وأنه رفض رد الياقوتة الخاصة بصنمهم .. وهددوه بالاغتيال بعد أن دفعوا أضعاف الثمن ، ولعقدة الرجل بحب الجواهر رفض التفاهم معهم ..ولخوفه من سرقتها أرسل موظفا يثق به إلى ألمانيا ولشركة تقليد المجوهرات الحقيقية صنعوا له ياقوته مثلها وأجمل منها ولكنها صناعية .. وطلب سرعة إنجازها ولم يرجع الموظف الثقة إلا بها .. ولم يذهب بنفسه خوفا من غدرهم ولإخفاء نيته كما أخبرني بذلك أيها السادة .. فالرجل قد أدرك عنادهم وأنهم لا يفكون عنه حتى يحصلوا على الياقوتة ، وأنهم لن يغادروا البلد قبل الحصول عليها أحضرت الياقوتة المزيفة ، ووضعها في طريقهم وفعلا سرقوها ، وغادروا البلاد مسرعين واختفوا .. ولكنهم لما عادوا لبلادهم اكتشفوا حيلة السيد رفيق فجن جنونهم .. فجاءوني قبل شهور وعرضوا عليّ ربع مليون دولار للحصول على الياقوتة الحقيقية عين الإله .. وهذا مبلغ يسيل له اللعاب .. ورأيت أن لي فيه حقا وعلى السيد رفيق التخلي عن عقدته نحو تلك الجوهرة .. فأرسلت له ثلاثة رجال يعرفهم رفيق حق المعرفة .. ولكنه للأسف لم يقتنع بوجهة نظري ، وأساء للرجال بل طردهم أشد الطرد .. واتصلوا فقلت لهم حاولوا لابد من الإلحاح ..

فمبلغ الربع مليون يحتاج لصبر .. ثم مرض الرجل .. فأرسلت إليهم المزيد من المال للبقاء .. ولكنه بعد مرضه رفض أيضا استقبالهم ..وأخبرت الهنود بأن الرجل مريض وأن الأمر يحتاج لصبر ..وأمرتهم بالبقاء هنا ، وأنني سألحق بهم .. ثم اتصلوا وأخبروني باختفاء الرجل الغامض ، وأنهم مطلوبون لرجال البوليس وصورهم في بعض الصحف الأجنبية .. ولا يعرف هل هو حي أم ميت ؟.. فتكلمت مع صديق لي في وزارة الخارجية .. فطلب منهم أن يتصلوا بالسفارة الإيطالية هنا ، ويتقدموا لرجال البوليس ويدلوا بأقوالهم .

ـ هل ترى أنت أن لهؤلاء الهنود يدا في الموضوع وأن يضروه ويغتالوه؟

ـ لا أعتقد ، فهم يسعون للجوهرة .. وعندهم صبر ونفس طويل .. فللقصة أكثر من عشرين سنة .. وحسب معلوماتي هم في أوروبا ..



١٥

عندما انتهى المقدم عبد الكريم من رواية قصة ياقوتة المعبد والصنم الهندي للمحاميين فيصل ومجدي ، قال مجدي : لقد سمعت بعض الحديث عن قصة الهنود والياقوتة عين الصنم .. ربما سمعتها من أبي .

فقال فيصل : لمياء هي التي ذهبت لصنع الياقوتة المقلدة ؟

فقال عبد الكريم : هو ذكر موظفا ثقة .. قد تكون هي ، فقبل خمس سنوات كانت تعمل لديه

وعاد فيصل يقول : مسبحتان مقلدتان أيضا لماذا الثانية ؟! هي لم تنكر صنع اثنتين

قال مجدي : لا ، لم تنكر ولا مجال للإنكار ما دام قد وصلنا للصانع .. أبي يؤكد أنه كانت المسبحة بين يديه في غالب الأحوال .. أما أنا فقليل ما كنت أراها لذهابي في العادة لعمل ومراجعة قضية ما ..ولم تكن لقاءاتي بالرجل طويلة .. ربع ساعة .. عشر دقائق ، ثم انصرف .

قال عبد الكريم بتأن ودقة : من لقائي الأخير بالسكرتيرة أدركت أنها امرأة خطيرة وقوية على غير لقائي السابق بها عند اختفاء السيد رفيق .. وتعرف كيف ترد .. كانت حذرة للغاية .. وجوهان ورجاله ليس لهم حاجة بالمسابح .. وهي تزعم أن الرجل هو الذي كلفها بذلك العمل .. وأرسلت فاكسا للشركة للتأكد من صنع الياقوتة وهل هي نفس العميلة التي قامت بطلب صناعتها ؟ ..

فقال فيصل متهما : قد تكون هي السارقة للمسبحة الأصلية طمعا في المال ؛ ولكن الرجل يثق بها ثقة كبيرة .. ما دام يرسلها بياقوتة لتلك البلاد ..

ـ وهي أقرب الناس إليه وتعرف أسراره .. فحلمي يبدو بليدا وقليل الكلام .. لكن زواجهما يثير الريبة أي صفقة مع أنه قد يكون لمصلحتها ويدفع عنهما التآمر إلى حد ما أمام القاضي ومحامي الدفاع .. ولو كان هناك شك فيهما لأخرا الزواج حتى تنجلي القضية .. فزواجهما هذه الأيام قد يفسر لبراءتهما .. وتحرياتنا عن ابن أخت شقيقة رفيق لم تسفر عن شيء .. أما عقل حلمي فلا يستطيع ترتيب جريمة خطف جريئة وذكية ..إلا إذا كان هو قام بأحد الأدوار

وكيف وافق على القيام بهذا الدور؟

ـ وعدته بالزواج !

فكر عبد الكريم قليلا ثم رد : عرض جيد !..وإغراء كبير .. ولكنها جريمة قتل .

فنهض مجدي قائلا : سأتحدث مع أبي حول ياقوتة رفيق قبل أن أنسى .. فأبي من أعز أصدقاء رفيق.

ذهب مجدي ليسمع المعلومات التي يعرفها والده عن ياقوتة المعبد الهندي فقال فيصل : لليوم لم تظهر جثة الرجل !.. أين أخفيت ؟! ..الجثث لها روائح كريهة تشم عن بعد ..هل دفنت في قبر؟!

ـ ستظهر يوما ما .. الجريمة دبرت بعناية وعلم وجراءة وفي الليل .. والبحث جرى بعد أكثر من عشر ساعات .. وعندي فكرة راودتني منذ زمن .

ـ ما هي ؟

ـ عندما أنفذها سأقول لكم .

عاد مجدي مؤكدا لقصة جوهان الصقلي ، وأن رفيقا حدثهم عن المعابد والأصنام في بلاد الهند وما يحلونها به من الجواهر والأحجار الكريمة .. وفكرة تقليد الجوهرة صحيحة ، وتحدث عنها رفيق ، ثم قال : ففكرة تقليد المجوهرات موجودة في فكره وذهنه .. وسرقة ابن أخته يؤكد هذا المعنى .. ولكن لماذا قلد المسبحة مسبحتين لماذا ؟! فالمسبحة المقلدة لم يسمع أبي عنها شيئا مهما .. ولكنه يؤكد أن من أفكار رفيق يخرج مثل ذلك ..فأعتقد أن لمياء قلدت المسبحة على رغبة السيد ولكن مسبحتان لماذا الثانية ؟!

قال فيصل متذكرا شيئا ما : يا أخي لما طلب مساعدتنا في كشف سرقة المسبحة .. وقمت بعمل مسبحة شبيهة لها ليخدع سارقه .. قبلها .. ولم يكشف لنا أنه صنع لها مسابح مقلدة ؟!

قال مجدي : فعلا ، ولكن لا يمكن أن تفعل لمياء مسبحة إلا بإذنه ..

فقال عبد الكريم : أو كانت تخطط لسرقتها ..

ـ ولكن هذا حدث قبل زمن طويل ..قبل أن يصاب بجلطة دماغية ..

فقال عبد الكريم : هذا ما يحير لحتى الآن .. هل خطط للجريمة من زمن ؟!.. نحن تصورنا أن حالة رفيق المرضية واحتمال موته دفعت السارق لسرقة المسبحة الأصلية .. معتقدا أن موت الرجل لن يفتح ذهن الورثة .. وسيعتقدون أن المسبحة المزيفة هي مسبحة رفيق ..وقلنا ظهور رضا شاه جناد .. دفعهم لسرقة المقلدة .. ثم اضطر المجرم للخطف والقتل فيما بعد .

فقال فيصل : والرجل شهوته للمجوهرات شهوة زائدة .. فالوسوسة والخوف لابد أن يتركا أثرهما على الرجل .. فهو رفض ربع مليون ثمن ياقوتة دفع فيها عشرة آلاف.. حتى أن شريكه طمع بإعادة بيع الياقوتة .

ـ ونحن نتحرى عن هؤلاء الهنود.. هل دخلوا البلاد في هذه الفترة ؟ وجوهان يساعدنا بذلك وبين لنا أنهم يمكن أن يدخلوا بجوازات مزورة غير الأسماء التي كانوا بها إيطاليا .. أنا لدي تصور للجريمة .. وأكاد أجزم أن السكرتيرة لمياء لها دور خطير في هذه الأحداث فهي أكثر الناس معرفة برفيق بحكم العمل ومجاورتها للرجل منذ سنوات .. اسمعوا لأفكاري وسددوا .

قال فيصل : تفضل يا حضرة المقدم .

قال الضابط : حسب تحرياتنا عنها ..لم يسجل عليها أي قضية جنائية ..وهي تقوم بعملها المهني على أحسن ما يرام .. أيام الدراسة سجلت عليها علاقات بريئة مع بعض المدرسين .. لكنها لم تصل لقضايا أخلاقية ..أحبها مدرس كاد أن يطلق زوجته للاقتران بها .. ولكنها وجدت معارضة من أسرتها ..وانتقل المحاضر إلى كلية أخرى ..وقبل إنهاء الدراسة الجامعية كانت على صداقة مع أحد مدرسيها الجدد .. ولكنها انتهت بتخرجها .. عملت في شركة من شركات والدها ..ثم تركت العمل معهم بضغط من إخوتها ..لقد استغلها بعض كبار الموظفين وكوّنوا معها صداقات أسأت للشركة والأسرة .. فعملت عند رفيق بطلب من أبيها ثم تزوجت من ابن عم لها ..ولم تطل علاقتها الزوجية .. فقد كانت صداقاتها تغيظه ، ولم

تغير من سلوكها بعد الزواج ..وكانت تدعو أصدقاءها للبيت بدون الترتيب معه .. ولم تحتمل أعصابه ذلك فاتفقا على الطلاق بالحسنى .. فأعطاها أبوها شقة في عمارة من أملاكه .. هذا ملف حياتها الخاصة ..

القصة أيها الأصدقاء .. أن هذه المرأة استغلت ثقة رفيق بها ..أي معرفتها بكثير من أموره وخاصة هوسه بالمجوهرات ومتابعة أخبارها .. وبحكم عملها معه في شقة البيت .. ومع مرضه الأخير ..والجلطات الدماغية والقلبية خطيرة على حياة الإنسان ، ويبقى صاحبها في وضع حرج لأي انفعال حاد ..وقد يذهب الشخص في غيبوبة بسب هذه المرض .. طمعت السيدة بسرقة المسبحة في تلك الفترة الحرجة من حياة رفيق حلمي ..وهي تعرف مسابح الرجل ..وأن الورثة لا يهتمون بضياع شيء .. وربما لا يعرفون بأسرار الرجل وما يملك من مجوهرات على وجه الدقة .. فلو اختفت قطعة لن ينتبهوا ..فهي صنعت مسبحتين مقلدتين .. فالثانية بدون علم الرجل .. لأنه ثبت أن طرد البريد الذي أرسلت به المسابح المقلدة كان باسمها ..

فقال فيصل : معنى هذا أنها كانت تخطط للسرقة قبل حدوث الجلطة ..!

فقال عبد الكريم: يبدو ذلك من تاريخ تقليد المسابح.. وإلا لماذا المسبحة الثانية؟.. على كل حال ..فالأولاد لا اهتمام لديهم بأشياء أبيهم كما دلت تحرياتنا .. وثانيا هناك أموال كثيرة سيرثونها فلن يهتموا بشيء مجهول مختفٍ .. ومبلغ خمسين ألف يغري ضعاف النفوس .. المهم أن السيد رفيقا أدرك أن المسبحة الأصلية فقدت وذلك ربما بعدما تحسنت صحته إلى الأفضل وعلمنا أنه كان يستخدم مسبحة مزيفة أمام الناس .. فلما خرج من المستشفى واستعمل المسبحة المخفية شك بالتبديل .. فاتصل برضا الجوهري .. ومن يستطيع معرفة هذه الاتصالات سوى لمياء القريبة منه؟! ..وكما تعلمون أن أماكن وضع نقاط الهاتف متعددة في الشقة .. فكانت الوحيدة التي تستطيع التسمع على مكالمات رفيق .. وقام الفنيون في البحث الجنائي بفحص شقة رفيق .. فتبين لهم أن أي مكانين يكون فيهما نقطة التلفونات يسمعون

بعضهم البعض .. نقاط (الأباريز) مفتوحة على بعضها البعض .. فبإمكان السكرتيرة سماع مكالمات رفيق من شقة البيت بأي جهاز هاتف في شقة العمل دون أن يشعر رفيق بذلك .. في أول الأمر للسرية اتصل رفيق برضا ليلا .. ولكن تتابع الاتصال بينهم في النهار أتاح للسكرتيرة معرفة الأمر .

فقال فيصل : جميل ! فهذا يدل على أن لمياء استمعت لهم ، وعرفت بالموضوع وأن رضا قادم

ـ أحسنت ! أما كيف سرقت المسبحة بدون فتح الخزانة فهذا لم استطع تصوره بعد؟! .. ولكن افتراضك أنت ومجدي عندما بحثتم مع الرجل طريقة اختفاء المسبحة المقلدة وارد ..فهنا خافت الفتاة السارقة من افتضاح أمرها .. سرقة .. ثقة رفيق .. ثقة أبيها صديق رفيق .. فضيحة هائلة ستكون .. فإما أن تعيد المسبحة الحقيقية قبل مجيء رضا أو اختفاء رفيق .. فهي لم تكن تعلم أن الرجل تشاور معكم في أمرها .. وأن المسبحة لا أحد يدري بسرها .. فسرقت المسبحة المقلدة ربما بالطريقة التي توصلتم إليها وفي ذلك اليوم الذي تكلم الرجل من مكتبها.. فمع مجيء هؤلاء الأجانب تتطورت الأمور في نظر لمياء .. فرأت الخلاص من رفيق أفضل .. معتقدة أن الشبهة ستذهب للأجانب الثلاثة .. وأنهم قتلوه من أجل الياقوتة ..

إذن مجيء رضا خربط أوراق السارقة ..كما أعتقد .. وأعتقد أيضا أن السيد حلميا شريك لها في هذه العملية .. وأن الزواج كان أحد الإغراءات التي قامت بها الفتاة لإقناع حلمي بمساعدتها .. وعندما تورط الشاب استسلم لتخطيطها ..كل الشبهات تحوم حولهما ؛ ولكننا نحتاج لأدلة .. فالفتاة أقدر الناس على معرفة مجيء رضا وخزانة الرجل .. فحلمي عندما يصعد للشقة لمساعدة رفيق في أثناء ركوبه المصعد كان يجلس في صالة بيت رفيق فيشرب الشاي أو العصير ..وتعود الخادمة لمطبخها أو غرفتها حتى يخرجا فتخرج لإدخال كوب الشاي أو كوب العصير .. والسائق كما أكد لنا ولكم لا يصل للمكتبة حيث خزانة الجواهر .. ولكن كثرة التردد على المكان وبقليل من الوصف يستطيع الوصول للخزانة إذا كانت متروكة مفتوحة كما اعترف الرجل بأنه يتركها أحيانا بدون إغلاق ريثما يتكلم في الهاتف ..أو يرى

طارقا ..وأحيانا كثيرة يذهب حلمي للجلوس في شقة الإدارة فيتاح له المجال للحديث مع لمياء ..وهي فرصة للسيطرة عليه ..والفتاة شخصيتها قوية ولعوب.

ـ كيف ستثبت ذلك الاتهام ؟

ـ الاعتراف سيد الأدلة .. سنظل نضيق عليهما الخناق حتى يقر أحدهم بالجرم .. وليس لنا إلا الصبر ..لا أحد ثبت لدينا عنده قدرة على التخطيط سوى لمياء ..ولا يعلم بمجيء رضا إلا هي .. وهي على علم بالرجال الثلاثة طالبي الياقوتة .. السيدة سعيدة بعيدة عن مسرح الأحداث ؛ ولكن لمياء استغلت هذه السفرة لتنفيذ أفكارها الخطيرة .. ولو لم يحدث خطف وقتل ربما اعترف حلمي بأي دور كلف به ..ولكن الاعتراف معناه الموت .. فالشاهد على الخطف موجود .. عامل المقصورات في ذلك القطار .. وعامل محطة عين المها ..

ـ هل عرفوا الخاطف ؟

ـ هم ساعدوه بدون إدراك لجريمة ترتكب ..سنرتب لمقابلة بينهم وبين حلمي بدون علمه

ـ ولغز سرقة المسبحة الأصلية .. كيف استطاعت الاستيلاء عليها ؟.. والأرقام سرية والمفتاح الخاص بالخزنة .

قال عبد الكريم : هذه حلها سهل .. من تحرياتي مع أصحاب رفيق والسكرتيرة وخادمته أن الرجل قد يفتح الخزنة أكثر من مرة في اليوم الواحد ، وربما يمكث أياما لا يفتحها ..فأكدت الخادمة أن الرجل يحب إخراج كنوزه والتمتع بالنظر إليها .. عادة متكررة فيه ..وحادث الياقوتة يؤكد هوس الرجل باقتناء المجوهرات .. يرفض ربع مليون في جوهرة .. فهذا عندي جنون ..ولكن للناس فيما يهوون عجائب وغرائب .. هو في النهاية ليس بحاجة لمال ليطمع بربع المليون .. ومن كانت هذه عادته فتركه للخزنة مفتوحة وارد باستمرار .. فمن يتابعه كلمياء يمكنها تنفيذ خطتها لسرقة المسبحة ..

فقال مجدي : كأنك تؤكد ارتكابها للمؤامرة يا حضرة المقدم .

ـ تكلم مجدي أخيرا ..ظننتك ذهبت في سبات عميق .

ـ صدق أنني معك ، وأكاد أصدق كل ما توقعته ..وأستطيع أن أؤكد لك أن لمياء لها قدرة على السيطرة على من تتعامل معهم .. وحلمي رجل قوي البدن ..ولكن عقله وذكاؤه محدود لكن من الصعب التواطؤ بهذه القسوة على ولي نعمتهما هذا مرعب ومخيف!

ـ هما أو هي في البداية لم يفكروا بالخطف والقتل .. كانت مجرد سرقة .. مسبحة تسرق وستمر هذه السرقة بدون أن يلتفت أحد .. وستكسب خمسين ألف من غير أن يشعر أحد من أولاده وأنا أتخيل أن حلميا لم يكن له دور في السرقة الأولى

ـ لكن السكرتيرة نفت تركها الغرفة أثناء مكالمة رفيق من مكتبها .

ـ هذا في السرقة الثانية ..وأنا أعتقد أن لها دورا في ترتيب تلك المكالمة ، وإن بدت المكالمة بريئة لتتيح لحلمي دخول المكتبة وسرقة المسبحة المقلدة .. فهي التي رتبت لهذا اللقاء حسب رغبة رفيق ..الخزنة مفتوحة حلمي في الصالة يشرب الشاي أو القهوة .. البنت في غرفتها .. الخادمة في غرفتها .. رفيق يستعد للخروج تلفون من مكتب الشركة .. رجل مريض يحتاج لدقائق حتى يعود ويغلق الخزانة .

فقال فيصل : ذكاء شيطاني! ..وأقدر الناس عليه تلك الفتاة .. التي كانت تتحدث معنا بذكاء وحذر .. هذا تصورك للحوادث وعلينا إثبات ذلك .. لكننا نريد أن نعرف سر تقليد رفيق لمسبحتين .. لماذا لم تكن واحدة فقط ؟! ..فالفتاة اعترفت بأن الرجل كلفها بصنع باثنتين والشركة قالت اثنتان .. وأرسلت بالبريد اثنتين ..وليس لدينا دليل ينفي الاثنتين .

قال مجدي : للأسف لم يعرف أبي لماذا فعل ذلك ؟! ولا عدد ما قلد واحدة أو أكثر.. ولكن الرجل قلد الياقوتة الهندية لغاية خداع الهنود .. وهو يعلم عنادهم وتصميمهم على أخذها .. ولماذا قلدت المسابح؟! .. خوفا من السرقة .. من قبل من ؟! ..هل كان يخشى سارقا ليحتاط لذلك ؟!

فقال فيصل مذكرا : ولماذا لما أحضرنا له مسبحة رخيصة مقلدة لم يخبرنا بأن لديه مسابح مقلدة لماذا ؟!

ـ وأصحابه كانوا يرونه يستعمل المسبحة ؛ ولكنهم لا يعلمون المقلدة من الحقيقية .. عندي اقتراح وهو صانعوا هذه المسابح أليس لديهم تواريخ صنعها ؟

فقال فيصل : لماذا ؟!

فقال مجدي :إذا كانت تواريخ صنع المسابح قبل حادث الجلطة الدماغية فيكون هذا دليلا أو قرينة على أن السيد رفيقا هو طالب صناعة هذه المسابح .. أما إذا كانت بعد حادث الجلطة فتكون الفتاة هي فاعلة ذلك ..

قال عبد الكريم : ولكن لماذا تصنع مسبحتين ؟! واحدة تكفي .. عشرة آلاف مبلغ كبير بالنسبة لها .. على كل فكرة التاريخ مهمة .. وسأبعث برقية عاجلة للشركة .. أو أتصل معهم بالهاتف ..فهي شركة عالمية .

ـ ربما هو طلب تقليد واحدة .. وهي أضافت واحدة ثانية ؛ لأنها كانت تخطط لسرقة الأصلية قبل حدوث الجلطة ..

فقال فيصل : لو ثبت أن فعلت ذلك لغاية في نفسها .. عملية الاستبدال الأولى كيف تمت؟! كيف فعلتها ؟ .. الثانية مكر وتعاون بينها وبين حلمي ..



١٦

تفاجأ الضابط عبد الكريم عندما اتصل بالشركة العالمية لصناعة المجوهرات المقلدة ، وطلب منهم معرفة تاريخ صناعة المسابح ، فأخبر أن المسبحتين لم تصنعا في وقت واحد ، وذكروا له تاريخ تسليم كل مسبحة ، فجاء تاريخ إرسال أحد الطرود قبل حادثة الجلطة الدماغية لرفيق بزمن طويل ، والثانية أرسلت أثناء مرض الرجل .. فدل هذا على أن السرقة حدثت كما تصوروا ، وأن المسبحة الأصلية بدلت أثناء مرض السيد رفيق ورقوده في المستشفى لأكثر من أسبوعين .. وأن السكرتيرة خلال هذه الفترة استطاعت استبدال المسبحة الأصلية بالمقلدة.. ولكن كيف فعلت ذلك ؟! هل تملك مفتاحا للخزانة وتعرف أرقامها السرية ؟ .. وكيف استطاعت التمييز بين الحقيقية والمزيفة .. وسرقت الحقيقية ..

فاضطر الضابط لمقابلة لمياء وسؤالها عن سبب اختلاف وقت صناعة المسابح فقالت ببراءة الأطفال : أنت لم تسألني عن وقت تاريخ صناعة المسابح .. أنت سألتني هل قمت بتقليد مسبحتين ؟ .. فلم أنكر فعلي ذلك ، وقلت كان ذلك رغبة للسيد رفيق .. أما لماذا فعل ذلك ؟ فلست أدري !

ـ سؤال آخر.. لماذا عندما أرسلك السيد لصناعة الياقوتة أرسل معك الياقوتة نفسها ؟ أما عند صناعة المسابح أرسلك بالصورة ؟

ـ عند صناعة الياقوتة عين الصنم الهندي لم أذهب أنا يا سيدي !

ـ ألم تكوني أنت التي قمت بالمهمة ؟!

ـ لا ، ولا أعلم من قام بذلك.. وأنا أنفذ المهام حسب رغبة السيد ، وليس حسب رغبتي .. ولكن يمكن أن أبدي ملاحظة حول ذلك .

ـ جيد .. تفضلي يا سيدتي .

قالت : كان السيد يرغب بصناعة ياقوتة متقنة مائة في المائة .. حتى يقتنع الهنود بأنها هي نفسها.. أما المسابح فليس من المهم أن يتقنا الإتقان الكامل ..لأنه كان يقصد التمويه على

الطامعين بأخذها .. ولو سرقت لكان الخطب أسهل .

تبسم عبد الكريم وهو يسمع هذا فقال : تعليل ذكي منك يا سيدتي ! ربما هو الصواب .

ـ شكرا ..ولكن لماذا تبحثون عن المسابح ولا تبحثون عن السيد رفيق ؟!

ـ سؤال جيد .. نحن نعتقد أن الرجل قتل أو خطف ثم قتل من أجل المسبحة اللؤلؤية الحقيقية ..

لزمت لمياء الصمت للحظات وقالت : هكذا إذن ..وكيف سرقت المسبحة ؟

ـ هذا ما نبحث عنه .. هل لديك معلومات تساعدنا في ذلك ؟

لزمت الصمت ثانية قبل أن ترد : لا ، لا أعلم أن المسبحة مسروقة .. فالسيد لم يتحدث أمامي بذلك يا سيدي الضابط .

شكرها عبد الكريم وانصرف من مكتبها ، ونقل معلوماته الأخيرة للزميل فيصل والمحامي مجدي واتفقوا على عقد لقاء جديد في نادي الأمن في سهرة عائلية ، وتناول القوم الطعام في مطعم النادي ، ثم ارتحلوا للجلوس تحت شجرة بجوارها مظلة، وجلست زوجة عبد الكريم وزوجة فيصل في مكان وحدهما ، وجلس الرجال مع بعضهم ليتناقشوا في آخر تطورات القضية فقال فيصل : لماذا جمعتنا في هذا النادي ؟

فضحك وقال : حتى نفكر جيدا ، ونعيد ترتيب المعلومات .. فالقضية طالت والأخ مجدي ينتظر النتيجة ليتزوج ابنة الرجل .

فضحك المحاميان على مداعبة عبد الكريم وتابع الرجل : لم نصل للجناة بعد .. الجريمة الثانية حدثت نتيجة لجريمة السرقة .. هذا هو الدافع وسبب جريمة الخطف ثم القتل .

فقال فيصل : ولم يتحدث أحد عن صناعة المسابح سوى لمياء .

ـ نعم ، لا أحد إلا تلك السكرتيرة وهي ليست سهلة .

فقال مجدي : عجيب هذا الرجل ! .. رغم بساطته .. فكله غموض .. ولكن صناعة مسبحة ثانية في وقت آخر فيها إشارة أن المرة الثانية لم تكن من أمر رفيق .

ـ إنها جريمة قتل يا سيدي .. نحتاج إلى أدلة مادية .. وليست عقلية وظرفية فحسب .

ـ نعم ، إنها جريمة قتل !

ـ على كل حال أنا أرتب للقاء بين الشاهدين والسيد حلمي السائق ..سوف استدعي حلمي للدائرة وأسمح للرجلين برؤيته فجأة داخل المكتب وأنظر ردة الفعل بينهم .

فقال فيصل : فكرة ممتازة يا عبد الكريم ! راودتني ذات حين .. لابد من خطأ قاتل ليقع القاتل وحلمي يخيل لي أنه الأضعف في القضية .



بعد الاطلاع على الملفات الشخصية لكل المحيطين برفيق في منزله وبعض أقربائه ترجح لدى الشرطة أن السيدة لمياء لها اليد الطولى في عملية اختفاء الرجل بالطمع في سرقة مسبحة اللؤلؤ ثم تطور الأمر للخطف والقتل ، وترجح لديهم أن الشريك المناسب لها في هذه الجرائم زوجها حلمي .

وأكدت السيدة سعيدة للشرطة أن الدعوة كانت منها شخصيا دون اتفاق بينها وبين السكرتيرة ، وليست بإيحاء من أحد ، وهي دعوة متكررة كل عام ، ولكن ترتيب الرحلة بالقطار من تنظيم رفيق والسكرتيرة ، وبينت أن ذلك معتاد منهم ، وهي لم تقم بتنظيم أي رحلة لرفيق لمدينة الخد .. فقالت لهم : إن هذا شيء طبيعي ، وليس بجديد ، وهو ترتيب متكرر كلما قبل السيد رفيق الدعوة لزيارتنا.. وإن الموافقة كانت منه رغم صحته العليلة ؛ ولكنه أحب أن يستلم تكريم الجمعية بنفسه .. وأذن له طبيبه كما أعلمني ذلك بنفسه.

وبعد التحليل المنطقي والفرص المتاحة والقرائن المختلفة وبعد التأمل في سير الأحداث واستغلالها ، وأن السيارة السريعة تستطيع الوصول إلى أي محطة قبل وصول القطار .. ولكن

لم يشهد أحد برؤيتهم في المحطات .. إلا ما كان من عامل المقصورة في قطار الحادث ، وأحد موظفي محطة عين مها مشاركتهم في إنزال رفيق المتعب والمضعضع والقيام بتوصيله لسيارة الرجل الغامض .. وذكر أحد حمالين المحطة أن السيارة كانت سيارة مستأجرة ..ولونها كحلي ومن ناحية القامة فقامة الرجل طول قامة حلمي ..ولكن الرجل كان يلبس نظارة خضراء الزجاج وبذلة بنية فضفاضة ، ويضع على رأسه قبعة بنية ، وله شارب ضخم قربه شامة حمراء .. وأسمر البشرة بدأ لهم .. وكان رفيق المتعب مستسلما للرجل ؛ كأنه يعرفه معرفة جيدة .. وخاصة أن الرجل همس كلاما في أذن رفيق عندما صعد للمقصورة .. وهل هذا يدل على تخدير سابق ؟ وإثبات سفر حلمي ولمياء ليس بالأمر السهل ، وهما لم يثبتا إثباتا قاطعا أين أمضيا الساعات التالية لسفر رفيق ، فلم تستطع أن تأتي بشاهد على مكثها في الشركة بعض الوقت إلا شهادة حلمي .. والبواب لا يستطيع الجزم بشيء ..والخادمة تظن أنها لم ترجع ، ولا يمكنها تأكيد عدم عودتها ..وحلمي أوصل الفتاة للشركة أو لمدخل العمارة ، وانصرف لأحد المطاعم ، ولكن لا أحد من أصحاب المطعم يؤكد تناوله العشاء أو الغداء فهم يذكرون ولا ينفون أيضا فهو زبون يتردد عليهم ، أما مساء الرابع والعشرين من نيسان فهم لا يذكرون هذا التاريخ بشيء.. والذهاب للسينما وحده لا يعتبر دليل نفي ..وكذلك ذكره لبعض مشاهد الفيلم فهذه الحيلة غير مجدية .. لأنه يمكن الحضور في يوم سابق والتظاهر بالحضور يوم الحادث .. فالفِلم تبين أنه عرض قبل الحادث بيومين واستمر لصباح السبت من ذلك الزمن . لذلك كان على المقدم عبد الكريم وأعوانه إثبات الجريمة على حلمي ولمياء ، فلذلك رتب الأمور في دائرة التحقيق والأمن لمقابلة بين الشهود وحلمي دون علم حلمي .. الرجل الذي بدا لهم أنه يعمل سائقا عند أحد البيوتات الثرية .

دخل سائلا عن وصول القطار رقم (٢٧) ومتى سيصل ؟ ..وانتظر في سيارته ، ولما وصل القطار نزل باحثا عن الضيف ، وقاده الموظف بهدوء وصمت إلى المقصورات الخاصة ، وتحدث الموظف عن السيد رفيق مع عامل المقصورة الذي قادهم إلى حجرته ..ودخل الشاب

واقترب من الرجل الذي كان يجلس وقد ظهر عليه الإعياء .. همس الرجل في أذنه بضع كلمات ، وعلى أثرها مسك بيده وساعده عامل المقصورة .. وحمل الموظف خليل حقيبة ثياب الرجل .. ومشوا به رويدا رويدا إلى السيارة الواقفة ، وحياهم السائق وغادر المحطة بكل هدوء .. وهو يقول : إنه عمي ؛ ولكنه مريض .

واختفى القطار ، ثم اختفى السائق .

هكذا كان كل من الشهود يتذكر دوره ، وهم في دائرة الأمن يستعدون لروية الرجل المشتبه به

***

استدعي حلمي لدائرة الأمن ـ وهو كان يتوقع هذه الاستدعاء منذ التقى المحقق بزوجه لمياء فقد أصبحوا في دائرة الاشتباه بعد أن كشف أمر المسابح المقلدة والمسروقة ـ وقاده أحد الضباط إلى الغرفة الخاصة ، حيث سيصور ويسجل حواره ولقائه ، ويشاهده الشاهدان ، استقبله المقدم عبد الكريم مرحبا به وطمأنه أن إحضاره ليجيب على بعض الأسئلة ، وهو ـ كما ذكرنا سابقا ـ كان يترقب هذا الاستدعاء منذ التقى الضابط بلمياء مرتين ، وبين له الغاية من هذا اللقاء ، وهو الحديث حول اختفاء السيد رفيق بعد اختفاء المسبحة .

ضغط المقدم على زر خفي ، ثم نظر في ورقة أمامه وقال : أخ حلمي .. المسبحة اللؤلؤية هل حدث ورأيتها بيد السيد رفيق ؟

ـ هو يحمل المسابح باستمرار .. بل ربما كل بذلة يلبسها لها مسبحة بلونها تقريبا يا

سيدي .. وأنا لا أميز اللؤلؤ الحقيقي من المزيف .. إنما أنظر إليها كخرزات فحسب .. أما إذا قصدت هل رأيته يسبح بمسبحة بيضاء كلون اللؤلؤ فقد أكون رأيت مثل هذه المسابح بين يديه .. أما المسبحة الخاصة التي تحدثت بشأنها مع زوجتي .. لا أعرفها .

ـ هل تعرف مدينة الخد ؟

ـ أجل أعرفها ، وهي بعيدة عن هنا العاصمة .. قد تحتاج إلى أربع خمس ساعات في السيارة لتصلها .. وأنا بحكم عملي في السواقة منذ صغري .. دخلت كل مدن البلاد .. وأكثرها دخلتها مرور الكرام .

ـ والدك صديق للسيد رفيق وهو الذي طلب من السيد لتعمل عنده ؟

ـ نعم ، عرفني على الرجل منذ سنوات وقال اعتبره والدك وأحسن العمل معه .

ـ جيدا! .. ألم تسمع والدك يتحدث عن مسبحة اللؤلؤ أمامك ؟

ـ والدي صديق حميم للسيد رفيق .. ولكني لا أجلس كثيرا مع الأسرة .. أكثر وقتي في المقاهي .. عندما أترك العمل .. أذهب للبيت وأصف سيارة الشغل أمام البيت وأذهب للقاء الأصدقاء على مقاهي المدينة .. لي أكثر من مقهى أقابل عليه الزملاء .

ضغط عبد الكريم على الزر الخفي مرة أخرى بدون أن يرى حلمي حركته ، فطرق الباب فقال الضابط : أدخل يا أحمد .

دخل أحمد وبرفقته الشهود وأمرهم بالجلوس ، وقال لحلمي الذي بدأ متوترا في تلك اللحظة : يا أخ حلمي هل رأيت هذين الرجلين في يوم من الأيام ؟ هل صادفتهما في مكان ما ؟ تأملهما جيدا .

هزّ حلمي رأسه مرارا وقال : لا أذكر أنني رأيتهما أو رأيت أحدهما .. هل رأيتني يا أخ ؟!!

لم يرد أحد من الشاهدين ، فقال عبد الكريم فجأة وبقوة : يا أخ حلمي يدع هذان الرجلان أنهما رأياك الساعة الثامنة والربع ليلا في محطة عين المها للقطارات في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر نيسان الماضي .

أغمض حلمي عينيه ثوان وقال : أنا رأياني يوم الأربعاء في محطة عين مها .. أي أربعاء يا سيدي ؟

ـ عفوا يا أخ حلمي الأربعاء يوم ... يوم سفر مخدومك رفيق إلى مدينة الخد .. يوم اختفاء السيد رفيق ..

ـ أنا لي سنوات لم أدخل محطة عين مها .. ولم أرهما في حياتي ..وهذا اتهام خطير يا سيدي الضابط .

ـ هما يقولان ذلك .. ماذا تقول يا سيد خليل ؟

رد خليل موظف محطة عين المها : الصورة صورته .. والصوت تقريبا شبيه بصوته .. ولكن ذلك الرجل كان بشارب ضخم وشامة وبعض الخدوش في وجهه ..

قال عبد الكريم : هات شارب يا أحمد .

وكان الضابط قد أعد الشارب والشامة والقبعة حسب مواصفات الرجلين ، وحاول حلمي الاعتراض والاحتجاج فقال عبد الكريم : إذا كنت بريئا لماذا أنت خائف ؟.. هؤلاء .. هم الذين ساعدوا السائق الخاطف لرفيق في إنزال الرجل من مقصورته وتوصيله للسيارة .

فسكت حلمي ولصق الضابط أحمد الشارب على وجه حلمي بعدما أمره بالنهوض ، ووضع الشامة حسب روية الشاهدين ..ووضع القبعة الموصوفة على رأس الرجل ونظارة خضراء ..

قال عبد الكريم : انظرا جيدا ودققا في وجهه .

فصاح حلمي بغضب : يا سيدي وهل إذا رأوني بهذه الهيئة يدل على أني قتلت السيد رفيقا ؟

ـ هذا لا يكفي طبعا ، ولدينا المزيد من التحريات .. والاعتراف أحيانا لا يكفي .. آ .. ما تقولان الآن ؟ هل هذا الرجل هو الذي قابلتموه في محطة مها ؟

بعد صمت قاتل قال أحدهم : الأمر خطير يا سيدي ! ..وأظن أن الرجل الذي ساعدته في الوصول إلى مقصورة السيد رفيق هو هذا !

ـ وأنت يا ناصر ؟

ـ رغم لبسه بدلة بنية واسعة تلك الليلة فأظن أنه هو أو أحد شبيهه .

ـ أتظن أم متأكد ؟

ـ لا أستطيع أن أجزم ..

ـ حسنا ما تقول يا حلمي ؟

ـ لا شيء .. أنا لم أرهما قط ، ولم أكلمهما ، ولم أر محطة مها في ذلك التاريخ وتلك الساعة .

ـ أنت ذكرت لنا أنك تعشيت أو تغديت بعد سفر رفيق وتوصيلك للمياء إلى

مقر عملها في مطعم (الزيتون الأسود) ثم ذهبت فترة المساء إلى السينما ، ولم يكن أحد من

معارفك معك في السينما تلك الليلة ، ولا يعرفك أحد من عمال السينما .. وذكرت أنه ربما يعرفك بائعو التذاكر لكثرة دخولك تلك السينما .

ـ اسألوهم ربما يتذكرني أحد منهم .

ـ الوقت قد مضى ، ولا ينفع سؤالهم اليوم ..ألا تريد أن تعترف بشيء ؟

ـ أعترف بماذا ؟! أتريدني أن أعترف بجريمة لا يد لي فيها .

ـ هل تعلم يا حلمي أن السيارة التي ركبتها لمحطة مها مستأجرة باسم لمياء .. لكن رجال الشركة المؤجرة لم يروك معها عند الاستئجار .. فهذا يدل على شيء مرتب ومبيت.

ـ سيدي أنا أوصلت السيدة لمياء لمكان عملها .. وقد تمنيت لو التقينا بالبواب ليؤكد لك ذلك

ـ للأسف لم يشهد أحد من سكان العمارة أنه صادفكم تلك الساعة ..ولكن ثبت أن السيدة أجرت مكالمة هاتفية بعد دخولها شقة العمل ذلك المساء ..

ـ أنا علاقتي كانت بالسيدة علاقة عمل .. وكان بيننا كلام بحكم العمل عن الزواج .. ولما اختلف مكان العمل بعد اختفاء رفيق .. ولم يحدث شيء قررنا الزواج

ـ على كل وضعك يا حلمي أنت وزوجتك خطير .. فلم يكن متهيئ لأحد ارتكاب هذه الجريمة سواكما ..والدافع إليها إخفاء سرقة المسبحة اللؤلؤية الحقيقية .. فقد ثبت لدينا براءة كل من هو قريب من مسرح الحوادث سواكما .. ما زال الغموض يلف تحركاتكم ذلك المساء .. ولكن تأكد أننا سنبقى نترصد ونحقق حتى نصل للفاعل أو الفاعلين .. انصرف الآن .. أوصله للخارج ملازم أحمد .

ولما دخل عليه المحاميان قال بكل ثقة وخبرة : أنا متأكد أن له دورا في تلك الجرائم .. فهو يتكلم بحذر .. والتوتر بادٍ عليه رغم تظاهره بتمالك أعصابه .. فالبريء عندما يشتبه فيه بجريمة قتل يضطرب ..لم يتأثر كثيرا من رؤية الشهود ، ورؤيتهم له ليلة الحادث كانت على أضواء المحطة وبضع دقائق .. فهم غلبوا أن يكون هو بالتنكر وبدون التنكر .. ولكنها جريمة قتل .. هو لم ينكر استئجار لمياء لسيارة مستأجرة ؛ ولكنه أنكر ركوبها والذهاب بها لعين مها

وهي كثيرا ما تستأجر سيارات سياحية لرحلاتها ومشواريها البعيدة .. فسيارتها الخاصة قديمة تنقلها في مشاوير داخل العاصمة وهي كما تدعي موديل قديم .. وهي زبون معروف لشركة الإيجار رشا .. جريمة محبوكة جيدا .. ولابد أن نجد ثغرة .. وسيتم فحص ممتلكات رفيق من المجوهرات الموجودة في البنك والخزانة الخاصة .

ـ لماذا ؟!

ـ قد نجد المسبحة المختفية .. فقد قام رجالنا بالبحث الدقيق في البيت والشركة في العمارة عن المسبحة ؛ ربما تكون مختفية في مكان داخل البيت والشركة .. تحت كنبة تحت سجادة ..بين ملفات أو كتب .

١٧

بما أن أدلة القبض على المشتبه بهم غير متوفرة ، ولا يستطيع المحقق الجنائي تقديمهما للمحكمة وإلا أفرج عنهم لعدم كفاية الأدلة ، وكذلك لاختفاء جسم الجريمة حتى يباشر بتوجيه الاتهام ، فهم ما زالوا أمام قضية غياب واختفاء ، فلم يكن أمام رجال الأمن إلا مراقبة المتهمين أو المشتبه بهم حتى يقعوا على أدلة إدانة ، وكان المقدم الشرطي يرى أن زواجهما صفقة بناء على رغبة لمياء .. لأنه لم يجر بينهم أي حديث عن زواج قبل حادثة اختفاء رفيق ، كما تحدثت بذلك بعض صديقات لمياء ، وكذلك رفاق حلمي لم يسمعوه يحدثهم عن زواج إلا في الوقت الأخير للزواج .. بل وجد أن والد الفتاة قد تفاجأ بهذا الزواج ، وطلب من ابنته التفكير بعمق قبل الإقدام على زواج من شاب أمي .. ولكنها أصرت وأكملت المشروع وحصل الزواج .

فلغز تقليد المسابح لم يحل ؛ لاختفاء الرجل صاحب فكرة التقليد .. فكان الرجال يبحثون عن المسابح بكل دقة ومثابرة ..ورغم شهادة الشاهدين .. ووجود السيارة السياحية في المحطة .. فهذا كله لم يقطع القول في الاتهام .. فهم رأوا رجلا متنكرا وسيارة مجهولة الرقم ورجلا بدا طبيعيا غير مرتبك ليثير ريب العاملين .

وبينما الضابط عبد الكريم يعد كتاب تفتيش لبيت السيدة لمياء وبيت حلمي في منزل أبيه ، وينتظر موافقة المدعي العام تفاجأ بدخول والد لمياء عامر صديق رفيق يطلب الإذن بمقابلته ، ولما دخل وضع بين يديه مسبحة .. فتأمله عبد الكريم مستفهما .

فقال الرجل وهو يجلس : لم أسرقها من صديقي رفيق ـ وكان يشير بإصبعه نافيا السرقة ـ ولم أعلم بها إلا من يومين .

ـ يومان لماذا ؟!

ـ القصة يا سيدي أني كما تعلم أرمل من عدة شهور ، وأعيش في عمارة مع أغلب أولادي وبعض بناتي .. فلي شقتي الخاصة وعندي خادم أمينة ترعى شأني .. فكنت قبل يومين أنظر في

خزانة البدلات ..لأرسل بعضها للجمعية الخيرية .. فقد كنا نستمع لمحاضرة قبل أيام ، وطلبوا منا المساهمة بثيابنا القديمة الصالحة للبس والتوزيع .. المهم نشطت متأثرا بما سمعت لإخراج البدلات التي يمكن الاستغناء عنها وإرسالها إلى الجمعية الخيرية .. وكنت أثناء فرز البدلات التي يمكن الاستغناء عنها .. أخرج ما في جيوبها من أشياء ربما نسيتها فيها .. وفي أحدى تلك البدلات أخرجت مسبحة ظننت أنني نسيتها فيها من زمن .. ولكني لما أمعنت النظر إليها وجدتها مسبحة رفيق حلمي .. وكيف وصلت إليها فللساعة لا أدري؟! ..وهذه بذلة مهجورة من زمن ..لأنني كل شهر أو شهرين نخيط بذلة جديدة .. ولولا محاضرة الجمعية ما خطر في بالي إخراجها .. وأنا أستغرب وجود مسبحة رفيق فيها .

ـ ولماذا تأخرت في الإبلاغ عنها ؟!

ـ كنت في حيرة من أمري ..كيف وصلت إلى هذه الجاكيت ؟! .. ولماذا وضعت في هذه الجاكيت ؟! .. فبعد تفكير عميق قررت أن أضعها بين يديك ؛ لأنني لم أستطع فهم وجودها في بيتي .. وضميري لا يسمح لي بالسكوت يا سيدي .

ـ نعم الضمير ضميرك يا سيدي ! .. ولكن وجود المسبحة المفقودة ببيتك أمر خطير .

ـ أعلم !!

ـ من خطر في بالك أنه أخفاها ؟

ـ لا أستطيع الإجابة يا سيدي ولا أحب أن أدري!

ـ أتشك في أحد أبنائك أو بناتك ؟

ـ صدق لا أدري .. فالبيت يدخل فيه الأصدقاء والمعارف والأحباب .

ـ زوج ابنتك حلمي دخل شقتك ؟

ـ مرات كثيرة منذ تزوج لمياء ابنتي .. أتشك به بشأن رفيق ؟

ـ المشتبهون كثر يا سيدي ..هل يعلم أحد أنك وجدت مسبحة رفيق ؟

ـ لم أقل لأحد إلا إذا الخادمة فهمت اهتمامي وتغير ملامحي عند لقياها

ـ أشكرك يا سيد عامر .. ونحن نبحث عن ثلاث مسابح ، فوجدت واحدة وبقي اثنتان .. واكتم الأمر حرصا على حياتك يا سيدي .. لأن هذه المسابح وراء اختفاء السيد رفيق صاحبك .. والذي نرجح قتله يا سيدي !

ـ أكيد مات ما دام لم يظهر لحتى اليوم!



تبين للشرطة أن المسبحة التي وجدها السيد عامر في إحدى الجاكيتات المهجورة من حب اللؤلؤ والماسي التقليدي أو الصناعي ، وتشبه صورة مسبحة رفيق كما رآها المحاميان عندما عرض عليهما السيد رفيق صورتها عندما اختفت من خزانته السرية ، وسافر أحد الضباط لألمانيا الغربية لعرض المسبحة على الشركة التي صنعتها ، وهل هي الأولى أم الثانية ؟

داهم الأمن في ليلة مفاجئة شقة لمياء بعد موافقة النيابة ومكتب الادعاء العام ، وتم تفتيشها بحثا عن المسابح ، وداهم فريق آخر غرفة حلمي في بيت والده ، ولم يسفر التفتيش في كلا البيتين عن وجود المسابح ولم يجدوا ضالتهم المنشودة .

وجاءت معلومات المسبحة من ألمانيا أنها المسبحة المقلدة الثانية التي صنعت بعد مرض رفيق فهذا دل على أنها التي وضعت في خزانة رفيق مكان المسبحة الأصلية ، وشعر أنها بدلت واتصل برضا خبير الجواهر لفحصها وفحص سائر جواهره ؛ ولكن قبل مجيء الرجل اختفت فاستعان بمجدي وفيصل ، فقابل عبد الكريم حلميا وعرض عليه المسبحة قائلا :

هل رأيت هذه المسبحة يوما ما ؟

أغمض حلمي عينيه كعادته وحاول لمسها فأبعدها الضابط وقال :أرأيتها يوما ؟

ـ كنت كأني أرى مثلها مع المرحوم رفيق إذا جاز لنا أن نقول ذلك ربما مفقود أصح .

ـ مرحوم أم مفقود ؟

ـ مرحوم مفقود كله واحد .. ما دامت جثته لم تظهر فهو مفقود حسب معرفتي .

ـ شكرا .

▪▪▪

في نفس الليلة ـ بعد عرض المسبحة على حلمي ـ كانت لمياء تصعد إلى شقة والدها وبصحبتها حلمي ـ وعامر كان متابعا من الشرطة ، باستبدال خادمة الرجل بخادمة أخرى خوفا على حياته كما أخبره الأمن ، ولمعرفة من دس المسبحة في ثيابه العتيقة ـ وكأنهم لما دخلوا الشقة تفاجئوا بالخادمة الجديدة فقالت لمياء : من هذه يا أبي ؟!وأين سالي ؟

ـ سافرت منذ يومين في إجازة ، وأرسلت لي شركة التخديم هذه مؤقتا .. وهي نشيطة ربما أحتفظ بها مع الأولى .

فرحبت بها لمياء وقالت : أجنبية أنت ؟

ـ لا ، عربية أنا يا سيدتي.. وأنا خادمة مؤقتة كما علمت من مكتب الاستخدام .. واسمي نهلة هل أقدم لكم الشاي أم غيره ؟

فقال عامر متظرفا : ارتحنا من استخدام الألفاظ الإنجليزية .. قدمي لابنتي لمياء ولزوجها السيد حلمي الشاي ، وابنتي تسكن في الطابق الأول في نفس هذه العمارة.

ـ تشرفنا يا سيدتي ويا سيدي حلمي .

وغادرت الفتاة إلى المطبخ وقال حلمي : كم يوم سافرت سالي ؟

ـ شهر .. اتصل بعض أهلها يخبرها بمرض أمها .. وما لكم مشغولون بالخادمة .. رجعت أم لم ترجع ليس هذا مهما .. أطلب لكم عشاء .

رد حلمي وهو يشعل سيجارته : لا داعي .. جئنا نسهر مع حضرتك بعض الوقت .. والشاي والقهوة كافيان .

قضيا ساعة مع الوالد يتحدثان ويتفرجان على التلفزيون ، ثم انصرفا .

أخبرت الخادمة الشرطية السرية البوليس أن السيدة لمياء دخلت غرفة الوالد مدعية أنها ذاهبة للحمام .

سعد جدا عبد الكريم بهذا الخبر ، وزاد يقينه أن الفتاة الرأس المدبر لهذه الجرائم ، فقد قامت بهذه الزيارة لتتأكد من وجود المسبحة .. وقعت في الفخ المنصوب ، عندما عرض الأمن على حلمي المسبحة كان من المتوقع نقل المشاهدة لزوجته بأن البوليس وجد المسبحة التي قلدت ، وهم ـ الشرطة ـ أرسلوا الخادمة الشرطية حقيقة لحماية الرجل كما زعموا ، وفي نفس الوقت لمعرفة من دس المسبحة .

من المؤكد لدى رجل التحقيق والشرطي المحقق أن السارق لا يستطيع التخلي عن سرقته بسهولة .. فهي قد فعلت الأفاعيل والخطط والمكر ودفع المال لصنع مسبحة ،وسعت لتحتفظ بسرقتها بكل قوة ، ولا يصل إليها أحد ..فقد بان لهم أن الجريمة الثانية الخطف والقتل كما يرجح كانت نتيجة الجريمة الأولى ..كانت لإخفاء السرقة .. وكانت بنظر المجرم دفاع عن النفس وعدم القدرة على التراجع عن الخطأ الكبير .. والفضيحة الكبيرة .. ما دام قد تورط الشخص فليتابع حتى النهاية .. وعلى الشرطة أن تتابع البحث والتحري حتى النهاية أيضا .

فعبد الكريم وفريق البحث معه قد وضحت الصورة أمامهم .. رفيق صنع مسبحة شبيهة بمسبحته الأصلية حذرا من شيء ما .. ربما راق له نجاحه في تضليل الهنود بصنع الياقوتة المقلدة .. وقد يكون شعر بطمع أحدهم بمسبحة اللؤلؤ .. فصنع المسبحة المقلدة بواسطة لمياء التي كان يثق بها ثقة مطلقة بعد طول العشرة .. فالمسبحة الأولى رفيق طلبها بنفسه.. والثانية كانت من لمياء نفسها لسرقة المسبحة الحقيقية فعلا.. لقد غلبها الطمع خلال فترة مرض رفيق بالجلطة الدماغية ، وقد رجحت موته العاجل بسبب السكتة الدماغية ، ولن يعرف أحد من الورثة اختفاءها.. وسيعتقد الورثة أن المسبحة المقلدة هي التي يملكها والدهم .. وكانت مدركة أن أبناءه غير عابئين بملك أبيهم ومجوهراته ..فطلبت من الشركة صناعة مسبحة ثانية واستطاعت استبدال الحقيقية بالمزيفة ..ثم تبين لها أن الرجل ذكي وفطن ويعرف الحقيقية من المزيفة .. أو ترجح الشك عنده في المسبحة الموجودة في خزانته .. فاتصل برضا وطلب زيارته لفحص مجوهراته ليزيل اليقين الشك .. وعلمت الفتاة بهذا الأمر ..وتعرف من هو رضا لسبق مجيئه من قبل .. فجندت حلميا واستدرجته لسرقة المسبحة من خزانة رفيق ..والأمر كان سهلا بالنسبة لحلمي .. الخزانة مفتوحة .. رفيق على التلفون في شقة العمل .. الخادمة في المطبخ أو غرفتها .. البنت في حجرتها ..ولو قابله أحد فالحجج كثيرة ولن يخطر على بال أحدهم أنه يسعى لسرقة مسبحة رفيق .. فتاة جميلة متعلمة تعرض عليه نفسها مقابل عمل

بسيط .. فغامر وتورط .. وقام بالفعل ونجح .

فقال عبد الكريم بعد تصوره لهذا السيناريو : أين أخفت المسبحة الحقيقية ؟ ولماذا أخفت المقلدة بثياب أبيها ؟ هل كانت ترغب بتوريطه معها ؟ أم توقعت أننا لن نفتش ثياب أبيها ؟ وفعلا لم يكن الرجل على قائمة التفتيش .. لبعده عن مسرح الحوادث ، وقد ثبت ذلك بالدليل القطعي ..وهي كانت تعتقد أننا سنفتش بيتها ما دام لم يبق في دائرة الاشتباه سواها وحلمي . . أين توجد المسبحة الحقيقية أيها الأفاضل ؟

هذا السؤال قاله عبد الكريم لشركائه في التحقيق في ملابسات هذه القضية الغامضة ، فقال فيصل : وأين المسبحة الثانية المزيفة أو التي صنعت أولا ؟!

وقال مجدي : وأين مسبحتنا التي قدمناها لرفيق لتكون طعما للسارق ؟!

ضحك الرجال وأخذوا يشربون ما قدم لهم ، ثم قال مجدي : أيها الأصدقاء الأعزاء ؛ ربما يكون عندي جواب عن سؤالي وسؤال الأخ فيصل .

استدارت العيون إليه تحثه على الجواب فقال : أظن أنها مع رفيق نفسه .. فهو يحب مسبحة اللؤلؤ ويستعملها كثيرا .. كما يقول أبي .. فعندما سافر للخد وضعها في جيوب بدلته

فقال عبد الكريم : أرأيتها وأنت تودعه على المحطة ؟

ـ لا ، ذهبت للمحطة مودعا ، ولم يكن بين يديه شيء ، وهو عندما استعان بنا كان يبحث عن الحقيقية وليس المزيفة في اعتقاده ، فهو كان ينتظر رضا ليحسم الأمر .

قال فيصل : صح .. عندما حشرنا في موضوع المسابح كان يبحث عن المسبحة التي اختفت من الخزنة السرية .. ونحن الآن نؤكد أن الحقيقية سرقت أولا أو استبدلت ثم سرقت المزيفة واحتمال وجود هذه المسابح مع رفيق أثناء السفر احتمال كبير .. المسبحة الحقيقية أين انتهت اليوم ؟!

فقال عبد الكريم : والسارق لا يمكن أن يتخلص من سرقته بسهولة ، لأنه في قضيتنا سرق وخطف وقتل فسيحافظ على سرقته حتى النهاية .. والسيد حلمي ما زال يقاوم رغم أن

الشهود شهدوا عليه رغم تنكره بشارب ضخم وشامة وبذلة وقبعة .. وهذه أدلة ضعيفة أمام الدفاع عن المجرم في المحكمة .. حركوا أدمغتكم بعض الشيء .

قال مجدي : ألها خزانة خاصة في البيت ؟

ـ لا ، فتشنا البيت بكل دقة ..وقام بالتفتيش خبراء تفتيش مهرة ولم يجدوا شيئا .

ـ خزانة في البنك ؟

ـ موجود ؛ ولكن لا يوجد بها شيء .

فقال فيصل: السارق يخفي سرقته ؛ ولكنه حريص على معرفة ومراقبة موضعها أيها السادة .. فأي مكان تتردد عليه أكثر حسب معلومات رجالكم ؟

فقال عبد الكريم : نحن فتشنا شقة رفيق ، ومكان عمل لمياء في عمارة رفيق .. وهي الآن تعمل في مكاتب الشركات الرئيسية .. وحلمي يعمل سائقا عند أحد مدراء شركات رفيق .. وهما بعيدان عن بعض أثناء العمل ؛ ولكنهما يتحدثان مع بعضهما بالتلفون، وكل كلامهما عن الأكل والسهرات .. العشاء سيكون في مطعم كذا أو في صالة كذا ..سهرة مع عائلة كذا .. مسرح كذا .. وهي مشتركة في نادٍ خاص من قبل زواجها بحلمي .. نادي الأحلام .

فقال مجدي : النادي أعرفه ..هل هي عضو أم لها علاقة بالإدارة ؟

فقال عبد الكريم : عضو فاعل في النادي ..وفي كل العطل تقضي بعض الوقت فيه .. وأحيانا تسهر فيه إذا دعيت من أعضائه .. وهي تحت الرقابة .. وقد كانت تعمل مع رفيق حتى السادسة مساء ..

قال فيصل : العجب في هذه القضية المجرم بين أيدينا ، وهو يعرف ذلك ، ولكن الأدلة الحاسمة غير كافية .. وعلى كلامك أنها لا يمكن أن تخفي شيئا في النادي .. ألا يوجد صندوق أمانات ؟

ـ يوجد ؛ ولكنه حفظ آني غير دائم .. حفظ أوراق وثائق أثناء وجود الشخص في النادي .. ثم يأخذها وهو مغادر .

فقال مجدي : وغير النادي والمطاعم ؟

ـ تذهب لزيارة المعارف والأصدقاء .. سهرات في حدائق عامة .. النزهة في مزارع خاصة .. وأحيانا في الشوارع يدوران بالسيارة ساعة ساعتين ثم يعودان للشقة .

****

وخيم الصمت على الرجال الثلاثة ، ولم تعد تسمع سوى صوت رشفات الفناجين وفجأة هتف فيصل؛ كأن فكرة هبطت على دماغه : أيام الزواج الأولى يا عبد الكريم عندما سافرا إلى أوروبا لعلهما أخذا المسبحة في رحلتهما تلك ، وتخلصا منها هناك بالبيع أو الإخفاء .

ضرب عبد الكريم المائدة بقوة تساقطت الأكواب على أثرها وبعضها تكسر وقال بانفعال شديد : أحسنت يا عقيد فيصل !! .. أيامها أيها الأصدقاء لم نكن نهتم بتحركهما اهتمامنا كان فيما بعد ..أرصدتهما هنا معروفة .. أما في الخارج فنحتاج لتعاون الإنتربول البوليس الدولي .

فقال مجدي مشككا : أترون أنها تجرأت وباعت المسبحة اللؤلؤية ؟! ..أليس في ذلك مخاطرة كبرى ؟

ـ عندما تزوجا لم يكونا المشتبه بهم الأول ، كانا في نظرنا بريئين ..وقصة المسابح كانت وما زالت تحت البحث أيها الأصدقاء ، ودافع الحادث كان غامضا .. سنخاطب البوليس الدولي ليساعدنا في كشف أرصدتهم في الخارج ، قد يساعدنا القانون الدولي في تحقيق ذلك .

وجاءت معاونة البوليس الدولي تؤكد أن المسبحة الواردة في الصورة قد بيعت في فينا عاصمة جمهورية النمسا ، وأن للسيد حلمي وزوجته حسابين في بنوك النمسا ومجموع الحسابين يصل لخمسين ألف دولار فقط .. والذي قام ببيع المسبحة امرأة اسمها "ريما هشام" .

ولما قام المقدم عبد الكريم بالتحري عن ريما هشام تبين أنها امرأة قد توفيت منذ سنوات بحادث سير ، وظهر لهم أنها كانت عاملة في إحدى الشركات وهي صديقة للسيدة لمياء عامر ومعرفة من أيام الجامعة ، وأن بطاقتها الشخصية استغلت لعملية البيع فقال مجدي : عجيب!! لا يعقل أنها احتفظت ببطاقتها لسرقة السيد رفيق .. فهي ميتة منذ سنوات ..

فقال عبد الكريم : صحيح ما تقول .. هي ربما احتفظت بها على سبيل الذكرى .. وليس للسرقة ..

فقال فيصل : وقد تكون احتفظت بها لعمليات أخرى قامت بها لا نعلم عنها شيئا.

ـ ممكن هذا أيضا !.. وعلى كل حال فصور الكاميرات في المتجر الذي ابتاع المسبحة .. تدل على أنها امرأة شرقية .. وليس لدى المحل معلومات عندما بيعت لهم أنها مسروقة ، ومعمم عليها دوليا .. ونحن لم نعمم عليها دوليا لاعتبارنا القضية محلية .. رغم وجود بعض الأطراف الأجنبية .. وسيذهب أحد الضباط للاطلاع على شريط الكاميرا ..ويحصل على نسخة منه .. أو على الصور التي تخص الفتاة إذا كانت لمياء الفاعلة حقا .. وسيحصل على صورة لمستند البيع وتوقيعها ..لابد للمجرم من غلطة مهما طال الزمن .

ـ رائع مقدم عبد الكريم! .. فعلى الأستاذ مجدي أن يستعد للدفاع عن أبناء أصدقاء أبيه .

قال مجدي ضاحكا : أبدا .. سأذهب في شهر عسل إذا تم القبض عليهما .. فنحن نؤجل الزواج لمعرفة نهاية قصة اختفاء السيد رفيق حلمي ..والمجرم حلمي .



واجه المقدم لمياء بالحقائق الجديدة ، وأن الخط الذي وقعت به على الوصل كان خطها ، وإن حاولت تغيير صورة توقيعها الذي تستخدمه في البلد ، وأضيف إليها تهمة انتحال شخصية إنسانة ميتة والإساءة إليها ، وإنها سوف ترحل لفينا لمقابلة المشتري منها المسبحة .

فلما سمعت هذه الحقائق الجديدة انهارت بسرعة غير متوقعة ، وقد تساقطت الدموع وقالت بحقد وضيق : تعبت منكم.. ومن مراقبتكم .. أنا أقر بكل ما ستوجهونه إليّ من تهم .. أنا اللصة .. أنا المجرمة .. ولكن اعلموا أن في بطني جنينا بريئا .

ـ هل تحتاجين لمحامي قبل أن نسجل الاعترافات يا سيدتي ؟

سقطت المرأة مغمى عليها ، ونقلت للمستشفى للعلاج من الصدمة ، وألقي القبض على حلمي ، ونقل من الشركة مكبلا إلى دائرة التحقيق ، ووقف بين يدي المقدم عبد الكريم ووكيل النيابة يوسف محمد متهما بمساعدة زوجته بسرقة السيد رفيق حلمي وخطفه ثم قتله .

انتقلت الشرطة إلى مكان إخفاء الجثة .. حيث ألقيت في حفرة امتصاصية كانت في محجر مهجور منذ سنين قريبا من مدينة الخد .. كان قد عمل سائقا فيه أول العمر .. وأخرجت الجثة بحالة سيئة للغاية ، وأكثرها متحلل ، وكانت مضروبة برصاصة في الرأس والجمجمة .. ووجدت المسابح في ثياب الرجل الميت .

١٩

لقد كنت أحسد السيد رفيقا ، وأتمنى لو أن أمواله لي أنا.. رغم تعاملي معه عدة سنوات وثقته الكبيرة بقدراتي العملية .. كان يحتقرني أو أحس أنه يحتقرني مع أنني ابنة أحد أصدقائه المقربين ..لكنه كان يحس أنني مفروضة عليه ويحسسني بذلك .. ويراني مجرد موظفة تشتغل لتأخذ آخر الشهر راتبا تنفقه على زينتها وثيابها ومكياجها .. يرفع صوته أحيانا كثيرة عليّ وعلى حلمي ، ويحدثنا بحدة كأننا عبيد عنده.. ننظر في عيون بعضنا ونصمت .. رجل كبير في السن وصاحب المصلحة .. يسب ويغضب ، ورغم ذلك كان يقدر جهودي في القيام بالأعمال الموكولة إليّ .. يكافأني ببعض المال في مناسبات تمر علينا .

كنت أرى المسبحة اللؤلؤية باستمرار معه ، وكان متعلقا بها أكثر من غيرها من المسابح التي تملأ خزانته السرية ..وسمعته يردد أمام بعض الأصدقاء أن ثمنها يزيد عن الخمسين ألف دولار.. ثروة لرجل فقير .. يغنى منها للأبد ..سرقت مرة فانزعج الرجل جدا من ابن أخته ، ثم ردها الرجل بعد انفضاح أمره ..فكلفني بالسفر إلى ألمانيا لشركة يعرفها لصنع مسبحة شبيهة بها .. وسافرت كما وصف لي ، وأخذت عدة صور ملونة لها ، وتم التعاقد مع الشركة على صنعتها وأعطيتهم عنواني وعدت .. وبعد حين جاءت المسبحة المقلدة كأنها طبق الأصل فصانعوا هذه الجواهر المزيفة محترفون للغاية ..وهو يملك الكثير من المجوهرات كما أعلم وكما كنت أسمع من أمي وأبي ..فالرجل يهيم بهذه الجواهر هياما يعلمه كل من حوله .. وأعرف أن بعضها كانت في خزنة البيت السابق ، ثم رحلت لعمارته الجديدة ، وبعضها الآخر في صندوق البنك .. ولما عرف أن الناس المحيطون به عرفوا ثمنها ، وربما شعر أنهم طمعوا فيها ، وراوده الخوف من سرقتها ثانية ..قلد المسبحة ليسبح بها أمام الناس كعادته .. بدون أن يشعروا أن المسبحة الحقيقية في الخزنة ..وعرفت أيضا بعادته فتح الخزنة والنظر إلى جواهره المستمر .. من خلال المعاملة والتردد عليه وثرثرته عرفت أشياء كثيرة في هذا البيت .. أكثر من عشر سنوات وأنا اشتغل معه .. ذهبت إلى تركيا في مهمة .. وهي أنني قابلت صديقا له

كان يعمل معه في البحر ..وأعطيته الياقوتة عين الصنم الهندي فقد رغب بتقليدها ليمكر بالهنود .. وبعد زمن أقبل الرجل بالياقوتة الحقيقية والمقلدة .. هذا بالنسبة للياقوتة الخضراء وقام الهنود فعلا بالسطو على شقة رفيق ، واستولوا على الياقوتة المزيفة وهم يظنون أنهم ملكوا ياقوتتهم عين صنمهم .. وسر رفيق بالتخلص منهم بهذه الخدعة .. وقال : هؤلاء لا يمكن الخلاص منهم ما لم يستولوا على ياقوتتهم ..وإلا سيبقون هنا .. وكلفني كما قلت بصنع المسبحة ، وجاءت بعد حين بطرد بريدي .. ولما مرض الرجل قبل أكثر من سنة ، وكان وضعه خطيرا طمعت نفسي بأخذ المسبحة الحقيقية ..فمبلغ الخمسين الألف يستحق المغامرة ولما استسلمت لفكرة سرق المسبحة .. راسلت الشركة وتحدثت معهم فصمموا واحدة أخرى وأرسلوها بطرد بريدي بعد أن حولت لهم الثمن من حسابي الخاص .. وذلك أيضا بعد فشلي من الزواج بابن عمي ..وقد علمت أنه لم يكن مخلصا لي ..بل أحب صديقة لي ، ورفضت مشورة أبي بالصبر ، وكان الانفصال السريع .. فقلت إذا مات رفيق بمرضه الخطير .. سيكون معي رأس مال أبدأ به حياة رجال المال .. وأختار الزوج الذي أشاء .

أنا لم أفتح خزانة الرجل .. كان من عملنا أن أراجع الملفات والقرارات معه ، فقد كان السيد يتابع الأعمال بنفسه ..ويدخل بالتفاصيل .. فكان يأتي شقة العمل لمراجعة الأوراق .. فيأتي عندي كالعادة فيخلع الجاكيت ويعلقها على كرسي العمل .. وأنا بطريقة ما كنت ألمس الجاكيت باستمرار لأتأكد من وجود المسبحة فيها .. وهو يسبح عادة بالمسبحة الحقيقية عندما يكون في البيت .. ولم يكن يستقبل زوارا ..ففي يوم استطاعت القيام بعملية البدل بدون أن يحس بما فعلت .. ومر الأمر بسلام ، واعتقدت أن الرجل لو مات ، وقد عادت له الجلطة ثانية لن يدرك أحد ضياع مسبحة اللؤلؤ الحقيقية ..ومريض الجلطة الدماغية حسب ثقافتي قد تتكرر معه الحالة مرة وأخرى حتى يموت .. ولكن قبل أن تحدث هذه الجلطة .. تلقينا اتصالا خارجيا مزعجا .. وكنت أسمح لنفسي بالتنصت على مكالمات رفيق ..لأن جميع نقاط الهاتف على شبكة واحدة .. والشقتان صممتا على هاتف واحد فأينما تضع سلك الهاتف يشتغل..

ولكن فيما بعد لما حولت الشقة لمكان عمل مد خط تلفون خاص بها ، وليس له علاقة بنقاط التلفون الأولى .. والتلفون الأول المفروض أنه خاص برفيق والبيت ؛ ولكن بالإمكان التنصت على المكالمات بجهاز داخل شقة العمل .. أما تلفون العمل شقة الإدارة لا يوجد مجال استخدام له إلا من الشقة نفسها.. سمعت حوار السيد رضا مع رفيق .. وأدركت أن الحاج رفيقا استدعى رضا ـ المعروف لي من زيارات سابقة ـ لفحص مجوهراته، وأنه شاك باستبدال المسبحة الأصلية .. كيف شك لا أدري ؟! فقد مضت شهور على عملية الاستبدال.. وهذا شكل بالنسبة لي كابوسا مرعبا ..جريمة ..وفضيحة .. المهم ضقت ذرعا .. ووقعت في ورطة ولكني قوية الأعصاب ، ومررت بمشاكل ونجوت منها .. كيف استرد المسبحة المزورة قبل مجيء رضا ؟ .. فكرت بإعادة المسبحة الحقيقية .. ولكني دفعت مبلغ خمسة آلاف دولار .. ثمن التقليد .. المهم عولت على سرقة المسبحة المقلدة قبل مجيء السيد رضا ، فقد علمت أنه مشغول ووعد بالمجيء ..وطمعي بموته بجلطة جديدة قبل مجيء رضا جعلني أصر على إبقاء المسبحة معي ، ولو أعدتها سأحتاج لمغامرة جديدة لعملية الاستبدال .. فاخترت حلميا شريكا لي .. هو بحكم المجاورة أصبح يتحدث معي ويحدثني عن همومه ومشاكله مع أبيه .. ولحظت ميله لي وطمعه بالاقتران بي .. وتعشينا معا أكثر من مرة .. المهم أصبح ألعوبة بيدي ..وأعتقد أنني أصبحت حبيبة له .. وأني مستعدة للزواج منه ..وأن الشهادات التي أحملها لا أهمية لها .. ولن تكون حاجزا بيننا.. وسمحت له بتقبيلي ومعانقتي فلما كمل الفيلم صارحته بورطتي ..اضطرب أول الأمر ، وربما صدم من فعلتي للسيد رفيق وتردد كطبعه وفكره المحدود ..ولما اقتنع بوجهة نظري بسرقة المسبحة .. وأنني تورطت وخشية أن أضيع منه .. وأني مستعدة للزواج منه إذا نجونا من تلك المشكلة .. فوافق على مساعدتي ومشاركتي سرقة المسبحة المقلدة ..ورتبت له الأمر والمحاولة .. وكان يوم قد رتب للخروج بالسيد في مهمات ..وأنا أعرف عادات رفيق .. جلس حلمي يشرب الشاي في الشقة وافتعلت المكالمة من شقة العمل ..وجاء الرجل من غرفة المكتبة ليتكلم من عندي .. خلع

حلمي حذاءه وتسلل إلى المكتبة ، وأخبرته إن تفاجأ بأحد يدعي أنه سكب على ثيابه بعض الشاي ، وهو يبحث عن المطبخ أو الحوض لغسل الشاي المسكوب .. ولو رآه أحد في المكتبة لن يخطر على باله أنه داخل ليسرق ..نجح في الوصول للخزانة وبواسطة منديل استولى على مسبحة اللؤلؤ، وعاد لكرسيه عند باب الشقة بدون أن يحس أحد بهذه الحركة .. وأكمل شرب كوب الشاي .. والخادمة من النادر أن تخرج من حجرتها أو مطبخها إلا بإذن سيدها رفيق ..ولما يغادر الرجلان البيت فتخرج وتأخذ الكوب وكأس الماء .. وتغلق الباب الخارجي للشقة بالمفتاح .. وأصبح حلمي شريكي ولا يستطيع التخلي عني .. ثم حضر الطليان في موضوع الياقوتة الهندية وحدث بينهم نزاع كبير .. تطور فجأة لمرض السيد ، ففرحت بذلك ، وفرحت بأني لم أعد المسبحة الحقيقية ، فدفعي للخمسة آلاف دولار أحسستني كأنها ملكي ..وتوقعت موت الرجل.. ولكنه شفي لم يمت .. ولقد ربطت مصيري بحياة هذا الرجل.. ولما جاء أمر الحفلة بمدينة الخد .. وسفر السيد إليها بالقطار سيكون ذلك فرصة للخلاص منه ، فرسمت أنا وحلميا خطة للتخلص منه ما دام موته سيغنيننا ..واتفقنا على موته ليكون زواجنا ..ولما تحدثنا عن إخفاء الجثة أين سيكون ؟.. فتش في ذاكرته حتى وجد ذلك المحجر المهجور ..وزاره وأكد لي أنه المكان المناسب لإخفاء الجثة .. ففيه آبار كانت تستعمل كحفر امتصاص أيام ما كان المحجر عامرا بالعمال .. وخططت للجريمة بأعصاب باردة ، لماذا الانتظار حتى يموت بالمرض ؟! فليمت الآن .. فرصة السفر لمدينة الخد .. فرصة لا تعوض .. وافق الرجل على السفر ..لأن الدكتورة سعيدة تكن له الاحترام ..وكانت تسعى لتزويجه بعد ترمله ..ولكن تردده وضعف قواه كان يؤجل عروضها ودعناه على المحطة وكان المحامي مجدي في وداعه معنا .. وكنا نخشى سفر المحامي معه بالقطار .. لو فعل لأجلنا العملية .. ولكن مجديا كان يحب السفر بالسيارة ..وأجل سفره لليوم التالي .. فاتفقنا على إكمال الخطة .. كنت قد استأجرت سيارة سياحية ولي عادة باستئجار السيارات .. استأجرتها قبل يوم السفر بيوم .. وعدت للشركة وقضيت وقت قصير

وكان حلمي قد شاهد فيلما في السينما مرتين ليتظاهر أنه حضره يوم الحادث .. وذهب للسينما واشترى تذكرة لسهرة المساء ، ولكنه لم يدخل السينما انتظرني عند مطعم آكل فيه ..وبعد أن التقينا أعطيته السيارة البويك وبعض الثياب للتنكر ..وسافر إلى محطة عين المها .. وأنا أخذت سيارة رفيق التي مع حلمي ، ووضعتها في شارع قريب من دار السينما التي سيزعم حلمي أنه قضى ليلته في مشاهدة عرضها .

وكنت قبل مغادرتنا شقة السيد رفيق لمحطة القطار قد أعددت أنا والخادمة حقيبة سفره وصندوق الأدوية التي يتعاطها ، فقد أفرغت عبوة الدواء المميع للدم من الدواء ووضعت فيها حبة منوم ، فهو سوف يتناول الدواء هذا في القطار ، وسيظن أن العلبة لم يبق فيها سوى هذه الحبة ، فسيتناولها وسيفكر أنه عندما يصل الخد سيشتري غيرها ، وأنا أتلفت الحبات التي كانت في العلبة .

وقام حلمي بدوره في محطة عين مها كما رسمته له ..وساق رفيق المضعضع من حبة المنوم والمفتر.. وذهب به إلى المحجر ؛ ولكنه قبل أن يصل اتصل بي.. وأنا اتصلت بالفندق لتأجيل الحجز .. وقد غيرت صوتي ليبدو صوت رجل ..وهناك أطلق حلمي عليه الرصاص حتى لا يتعذب كثيرا في تلك الحفرة .. وألقى المسدس في الحفرة ، وعاد للمدينة ، ولم يتصل بي إلا في الصباح .. والباقي تعرفونه وأنا مذنبة .

تمت بحمد الله

جمال شاهين



مسبحة اللؤلؤ

اختفت مسبحة نادرة وثمينة من خزانة سرية .

كيف اختفت ؟ لا أحد يدري الحيلة

لم يقف الأمر ها هنا ؛ بل صاحب المسبحة اختفى أيضا

الشرطة في حيرة ، والأسرة والأصدقاء في حيرة !

كان الرجل في رحلة قطار متكررة بين سنة وأخرى

لم يصل الرجل إلى الفندق كما هو مرسوم

أين المسبحة ؟ أين الرجل ؟!

أجوبة كل هذه الاستفهامات ستجدها حين تقرأ هذه القصة

عالم الجريمة المدبرة عالم غامض!

ولكن النهاية حتمية بالنسبة للجاني !!

جمال شاهين



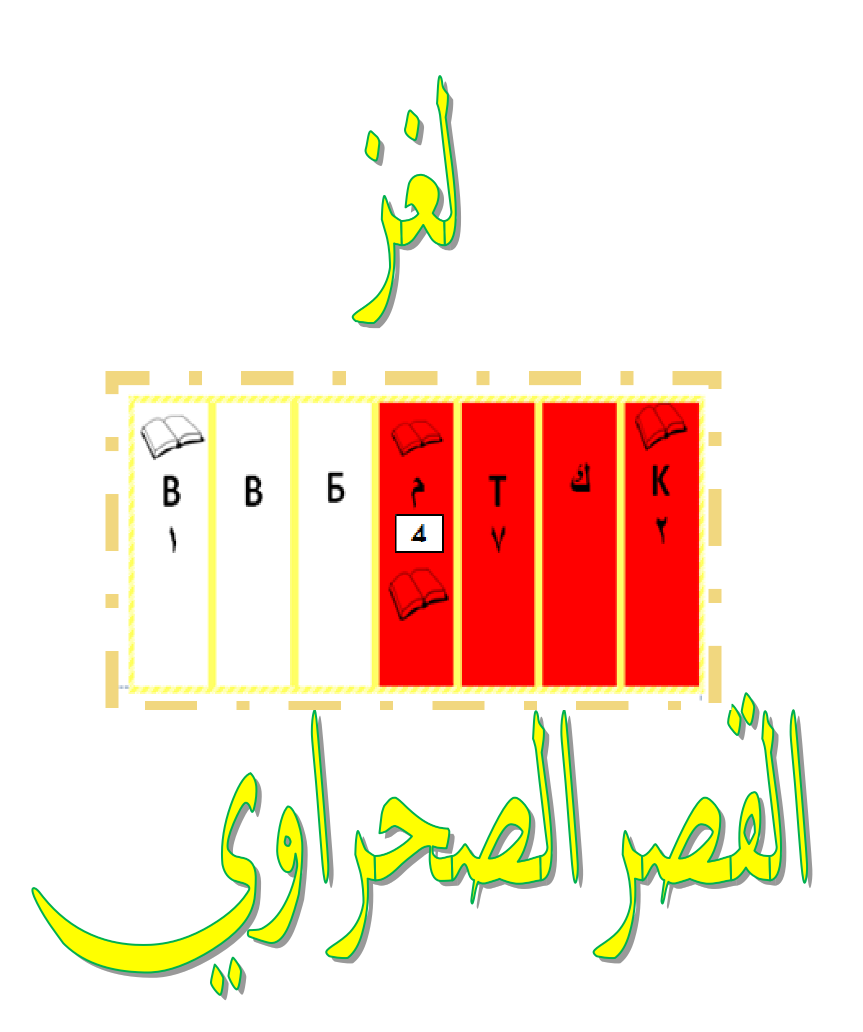
المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم





١١
التحقيق الجنائي والجريمة


لغز
B
١
B
Б
م
٤
T
٧
ك
K
٢
القصر الصحراوي

الحوادث خطب يومي ، بل كل ثانية تحدث عشرات مئات الأحداث ، سرقة نشل احتيال قتل عمد وغير عمد اغتصاب اختلاس رشوة ، وذلك على مستوى العالم كل العالم .

وكثير من هذه الحوادث تدون وتسجل في دواوين الشرطة والأمن ، والأكثر ربما لا يسجل ولا يعرف ، وهناك حوادث وجرائم تشيع في المجتمع المحلي المجتمع الإقليمي ، والقليل في المجتمع العالمي ، فتنتشر في الصحف والكتب والمحطات الأرضية والفضائية .

وأصبحت قصتنا هذه قصة ؛ لأنها وجدت من يهتم بها ويثيرها في الإعلام والصحافة بعد انتهاء فصول أحداثها .

سعاد عيسى فتاة تزوجت حديثا من زميل لها في شركة اتصالات وتكنولوجيا الاتصالات ، هذه المرأة من سكان شوماز بلدة تقع على أطراف العاصمة ، وهي من العاصمة حسب علمي المحدود في نظام البلدات والمدن ، هذه المرأة المهندسة قد سمعت زوجها المهندس أديب يحيى بسيم الجدية يتحدث عن جده بسيم المقتول بغموض ، وهو الذي شيد قصرا عظيما في الصحراء صحراء قاحلة لا يوجد حولها عمران ، أقرب مدينة تبعد عن قصره مائة كيلو متر شيد هذا الرجل الخطير الذي ستتعرف عليه خلال سطور وكلمات هذه القصة قصره ليحميه من أعدائه الكثر ، ولكنه قتل واغتيل فيه برصاصة واحدة فقط .. ، ومع وجود القتلة أو القاتل في القصر لم يعرفه الشرطة ، ولم يتهم أي شخص من سكان القصر بتلك الجناية .

تحقيق استمر عدة أشهر دون نهاية ، وأخبر محامي العائلة المحامي الكبير داود محمد المهندس أديبا أن التحقيق أغلق وقيد ضد مجهول أو أوقف التحقيق ، مع عدم إنهاء خدمات العاملين في القصر .

وليس هذا وحده المثير في قضية الجد بسيم الجدية ، بل المثير أن الرجل ترك كنزا من المال والوثائق الخطيرة لحفيده ، ولن يصل هذا الفتى الوارث لهذا الكنز ومذكرات جده إلا إذا حل سلسلة من المخفيات والألغاز والشيفرات .

والكنز كما حدث الجد مليء بالجواهر من الألماس والياقوت والزمرد وغير ذلك من الأسماء للأحجار الكريمة .. وحاول هذا الشاب على أثر مقتل جده الوصول للكنز ، ولم يصل إليه مع أنه استعان برجال مهمين ومختصين في ذلك .



وكان السيد أديب يحيى قد تزوج بعد وفاة جدة بستة شهور تنقص أياما ، رفض الزواج في حياة جده ، دون أن تظهر لنا الغاية من التأخير ، قد يكون الخوف السبب أثر مقتل أفراد أسرته بحادث التفجير الذي سنتحدث عنه ، فلما سمعت سعاد عيسى حكاية القصر الصحراوي والكنز تحدثت عنه أمام أخواتها في بيت الأسرة العريقة ، وقدر الله تعالى أن تتحدث الأخوات بهذا الأمر أمام خالهنّ محمد محسن ، وشقيقهن بشر العاملين في الصحافة ، محمد محسن صحفي عجوز قد أفنى سني حياته في الصحافة والحبر والمطابع ، فهو صحفي كبير في بلده وعلى مستوى العالم أيضا ، وابن أخته في الطريق إلى ذلك ، فلما سمع ملخص قصة الكنز وغموض موت الرجل قال لابن أخته بشر : بما أن المهندس أديبا نسيبك اهتم بالموضوع .. فأنت صحافي ومحامي .

رد الشاب : الموضوع مثير حقا ! ولكن ليس لي اهتمام كبير بالتحقيقات البوليسية والجنائية وحتى مسألة الكنوز والدفائن والآثار .

ـ أعرف المعاناة التي يجدها الصحفي في مجال الجريمة .. هذا مسموح نشره ، وهذا غير مسموح .. المحكمة قد تتأثر بأقوال وتعليقات الصحفيين .. وأحيانا كثيرة المحققون لا يحبون إخراج ما في جعبتهم قبل تقديم المتهم للمحكمة .. لكن هذا كنز نسيبك ، وفي الغد كنز أولاد شقيقتك .. فقد علمت أن سعاد حامل .. فأنا لولا كبر سني لاهتممت بالموضوع موضوع نسيبنا أديب الجدية .

استسلم الشاب وقال : حسنا يا خال ! سأسعى لمقابلته وأسمع منه .. وأعرف لماذا قتل جده ؟ وهل للكنز دخل في مصرعه ؟ بل وأعرف لماذا قتلت أسرته من قبل ؟! .. فقد تعرض بيتهم لتفجير رهيب يا خال قتل كل العائلة الكريمة ، ولم ينج منه إلا هو وجده ؛ لأنهما لم يكونا في البيت ساعة الانفجار .

ـ سمعت به ونشرناه في صحفيتنا أذكر يومذاك .

ـ الحادث حدث سنة ٨٢ قبل خمسة عشر عاما .

ـ محرر صفحة الحوادث قد يفيدك في معلومات تلك الجريمة .. فمن العادة أن يتابع محرر الحوادث مألات الحادث .. والرجل الجدية رجل أعرفه حقيقة ؛ ولكنها معرفية سطحية .. فهو رجل سلاح تاجر سلاح مخضرم .. وتابعت حادث قتله الغامض .. وكان غريبا أن لا تعرف الشرطة القاتل.. ولكن الجريمة لفها الغموض المحيط بها ، ولم تكن جريمة سياسية لتعجز الشرطة عنها .. ربما لو شجعته أعاد الكرة للبحث عن الكنز الذي تركه له جده .. كنت قديما أول دخولي معترك الصحافة تستهويني يا ابن أختي مواضيع الكنوز والاغتيالات السياسية .. ولكن السن له دوره .. فعلى الصحفي عدم الانغلاق بلون واحد من التحرير ..

ـ سأهتم يا خالي بالقضية .. قضية الكنز ، وقد نتابع قضية الجريمة .



٢

ولد المهندس أديب عام ١٩٦٧ ، وهو العام الذي سماه العرب في العالم العربي بعام النكسة ، في هذا العام هاجمت دولة إسرائيل وليدة الاستعمار وبقاياه ثلاث دول عربية محيطة بها ، واحتلت مساحات شاسعة منها ، وقد تفوقت جيوشها على جيوش تلك الدول ، في هذا العام كانت بدايته على هذه الأرض .

وعندما بدأنا سرد فصول هذه القصة عام ١٩٩٧ كان الشاب قد دخل في أول العقد الرابع ، فقد أنهى ثلاثين سنة من عمره . وقد تخرج الشاب من الجامعة كمهندس اتصالات وتكنولوجيا حديثة ، والتحق مهندسا في شركة عالمية تعمل داخل بلده .

وهو حفيد لرجل معروف على مستوى البلد والعالم ، تاجر سلاح كبير اسمه بسيم الجدية ، وهذا الرجل ترك لحفيده الوحيد ملايين الدنانير والدولارات ، سوى الثروة التي ورثها عن أبيه وأمه ؛ ولكنها لم تكن شيئا مع ثروة الجد بسيم .

ورغم رغبة الجد القوية رؤية حفيده زوجا لم يحقق الشاب هذه الرغبة لجده في حياته ، فتزوج بعد وفاته بشهور في خريف ١٩٩٦ ، وكانت زوجته فتاة خريجة كلية الهندسة اسمها سعاد عيسى ، ومنذ شهور التحقت للعمل في شركة الاتصالات العالمية.

تعرف عليها الشاب بحكم المخالطة في العمل ، ثم حديث عن زواج وبناء أسرة جديدة ، وسهل الله الأمر ؛ فكان الزواج بفضل الله تعالى .

ومهندسنا أديب كاسمه ، قليل الكلام ، كثير التبسم ، عندما تعاشره وتخالطه لا تحس أن الشاب مهندس ، ولا تحس أنه يملك الملايين من المال والكثير من العقارات ، ويقطن قصرا ، وتتعجب إذا عرفت ذلك لماذا لا يدير الشاب شركة خاصة به ؟!

ولما استقرت سعاد في بيت زوجها قل قصره في ضاحية شوماز ـ فقد أنشأ وشيد له جده قصرا بدلا من البيت الذي دمر في حادثة تفجير مقتل ابنه يحيى والد أديب ـ فسمعت حينئذ هذه الفتاة تفاصيل مقتل والده التي تعرفت على بعضها قبل الزواج ، ثم عرفت تفاصيل عملية

قتل جده بسيم في القصر الصحراوي في آخر عام ١٩٩٥ .

وسمعته يتحدث عن الكنز والمجوهرات التي أخفاها جده في القصر ، وتركه خارطة ومفاتيح للوصول إلى الكنز ووثائق جده السرية ، ولما مات الجد فكر المهندس بالوصول لهذه الكنوز ، واستعان برجال مهتمين بمثل هذه الأمور ، ولم يفلحوا في الوصول إليه .

ولولا انشغاله بزواجه ، وعدم اهتمامه الكبير بالكنز لأخذها لزيارة القصر الذي يسميه بالقصر الصحراوي لوقوعه في قلب الصحراء الجرداء .

تكلمت سعاد أمام شقيقاتها بقصة القصر الصحراوي والكنز الخفي كما يتكلم الناس عن الكنوز بإثارة وتهييج ، والشقيقات تطرقن لهذا الكلام أمام شقيقهنّ الصحفي بشر عيسى وخالهم محمد محسن . وأثار الكلام أشجانا وذكريات لدى الرجل الشيخ محمد محسن عليان ، فتحمس للكنز ، ورغب ابن أخته المحامي الصحفي للاهتمام بموضوع هذا الكنز .

تقبل بشر عيسى اقتراح خاله ، ووافق على الاجتماع بأديب وسماع حكاية الكنز الخفي والجد المقتول .. وهل الكنز السبب في مقتله ومصرعه ؟



فبعد أيام يسيرة زار بشر المهندس في مكتبه في الشركة ، والتقى به وبسعاد وفاتحه بالموضوع وسبب هذه الزيارة ، وكانت سعاد حدثت زوجها باهتمام خالها بشأن الكنز وجريمة قتل جده فرحب أديب بالحديث المفصل عما يعرفه عن أسرار جده ليسعى بشر للكشف عن أسرار الكنز الخفي في قصر جده الصحراوي .

واحتفلت سعاد بمقدم أخيها وهيئت له عشاء مناسبا ، ولما قضوا شهوتهم من الطعام دخلوا إلى مكتبة الجد بسيم وحفيده أديب ، ليكشف لنا بعض أسرار جده وعائلته ، وكانت سعاد

قد كلفت الخادمة نور بإدخال المشروبات والفواكه إلى غرفة المكتبة والمكتب ، فجزء منها مكتب لأديب . وهذه ليست أول مرة يزور بشر بيت شقيقته سعاد ، فقد زارها عددا من المرات خلال الأشهر الماضية ، إنما هذه الزيارة لها نكهة خاصة كما يقال ، لها هدف خطير ومهم وهو البحث عن الكنز الخفي ، جاء ليسمع قصة بسيم الجدية الذي اشتهر بتهريب السلاح في أكثر أقطار العالم الرجل الذي عمل في تهريب الأسلحة في الدول العربية أثناء فترة الاستعمار في الجزائر وسوريا وفلسطين العربية . هو من عائلة هاجرت قديما للتجارة في ساحل فلسطين ، واستقر المقام بجده في العمل على سواحل شرق البحر المتوسط .



قال أديب لنسيبه شقيق سعاد : هل أبدأ منذ وجد جدي على ظهر الأرض أم عندما أصبح تحت الأرض أي عند مصرعه الغامض ؟

فقال بشر : هو قتل كما علمت منك سابقا في أواخر ١٩٩٥ .

ـ نعم ، قتل في تشرين الثاني [نوفمبر] من ذلك العام عن عمر ناهز خمس وثمانين سنة .. قتل غيلة في القصر الذي جعله قلعة وحصنا حصينا .. لقد كان جدي يتوقع قتله والغدر به ؛ وإنما خارج الملجأ والمخبأ .. هو نجا يوم مصرع أفراد أسرتي .. هو نجا وأنا ؛ لأننا ليلتها لم نكن في البيت .. لجدي أعداء كثر بحكم عمله في وسط تجارة السلاح ..الذي تمده بالسلاح يحبك.. والذي لا تبيعه السلاح يبغضك ، ويحرض عليك .

قال بشر : عليك يا أديب العزيز أن تبدأ الحكاية من البداية .. فالأفضل أن اسمعها هكذا حتى إذا كتبتها للنشر تكون شبه كاملة .. أنا أعرف أن الكثير من التفاصيل ليس لك بها علم .. وهذا عمر مديد أعطي لجدك ـ رحمه الله ـ وعند النشر نستخلص المناسب والمفيد للقارئ يا أديب ..

مسح أديب فمه بعدما قضم حبة فاكهة ، وقدم لبشر واحدة وقال : كل أيها الصديق .. جدي بسيم الجدية من مواليد ساحل فلسطين التي اغتصبها اليهود ، وجعلوها أرض المعياد .. فلسطين كان يهاجر الناس إليها من بلدان العالم الإسلامي ، ١٩١٠ ولد بسيم الجدية من أم مغربية تزوجها والده ، فكان والده متزوجا من أكثر من امرأة طمعا ورغبة في الأولاد الذكور فوالده يعمل بالتجارة والتصدير لشواطئ أوروبا حمضيات وفواكه فلسطين ، وعمه كان صيادا وصاحب مراكب صيد ، وكان الذكر الوحيد من نساء والده .. وكانت في تلك الفترة من الزمن الدولة العثمانية التركية باسطة نفوذها على بلاد الشام والحجاز والعراق .. ولكن قبل أن يشب الفتى بسيم حدثت الحرب العالمية الأولى التي استمرت كما تعلم حوالي أربع سنوات كان من نتائجها القاتلة احتلال بريطانيا وفرنسا بلاد الشام والعراق .. وظهر علنا المشروع الصهيوني المراد إقامته على أرض فلسطين ، وتكشفت وثائق سايكس بيكو المشهورة ووعد بلفور لإنشاء الوطن القومي اليهودي على فلسطين العربية .. وانحسر النفوذ التركي العثماني عن بلاد الشام وغيرها من بلدان العرب ..

أعلن الانتداب البريطاني والوصاية على فلسطين .. وبدأت عملية التهويد .. وكان العرب في غاية الضعف في تلك الفترة ..واستسلم العرب الفلسطينيون للانتداب وحكم بريطانيا العظمى التي كانت تحكم مصر قبل ثلاثين عاما من دخولها فلسطين والأردن والعراق .. وقصة الاستعمار معروفة ومدونة في الكتب والملفات .. تعلم جدي في بعض مدارس الساحل كغيره من الأطفال ، وكانت قد ظهرت المدارس النظامية منذ عهد قريب ، وبدأت تنتشر في العالم وبلاد العرب .. وبدأ يشاهد احتكاك العرب باليهود والإنجليز .. وبدأت الثورات تظهر في العراق والشام على الإنجليز والفرنسيس ..وتظهر المظاهرات والاحتجاجات ضد الاستعمار والانتداب والتمييز بين العرب واليهود ، وبعد أحداث حادثة البراق أخذ الشعب الفلسطيني إلى التسلح السري وتشكيل الخلايا المسلحة .

أمام هذا الواقع أخذ الجد بسيم الشاب يعمل في تهريب السلاح من لبنان وسوريا من ليبيا من

العراق من صحراء مصر .

لقد شارك الشاب في نقل السلاح ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت له معرفة وباع في كيفية إدخال السلاح للمناطق الملتهبة بالحروب ، وكيفية التعامل مع رجال بيع السلاح سواء سرا أو علنا . وكانت الثورات في فلسطين والبلاد العربية تزداد لهيبا من أجل الحرية والاستقلال عن الدول المستعمرة ، ومع شدة لهيب الثورات تزداد الحاجة للسلاح ذخيرة وسلاحا ، وتزداد بالتالي تجارته وتهريبه . وقام جدي وكغيره من الشباب بالثورة ضد التهويد والانتداب ، وشارك فيها ، ولما قتل القسام الشيخ السوري ـ رحمه الله ـ قامت ثورة ٣٦ المشهورة التي امتدت إلى الكثير من بلاد فلسطين .

فكان الرجل نشيطا بتهريب وتوريد السلاح للثورة ورجالها .. ومع بداية الحرب الثانية خفت الثورة وحدتها نتيجة الوعود السياسية التي تلقتها القيادات العربية والفلسطينية لحل مشكلة فلسطين والاستعمار .

وخلال سنوات الحرب ظل الجد بسيم يعمل في تجارة السلاح شراء وبيعا وتهريبا حسب الحال فتعلم كما اخبرني أسرار التهريب ، وأسرار الشراء ، وترتيب الصفقات السرية والعلنية مع الجيوش والملوك والرؤساء والعصابات الثائرة والمتمردة .

وشارك مرة أخرى في أحداث الثورة في عام ٤٨ ، ولكن حلت النكبة المؤلمة في الشعب الفلسطيني ، وخسرت الجيوش العربية المعركة ، وأعلنت دولة إسرائيلية على أرض فلسطين المسلمة والعربية .

وعلى أثر الهزيمة العربية هاجرت العوائل العربية عن أغلب الساحل الفلسطيني نحو الشام ولبنان وشرق الأردن وغزة ونابلس وما يسمى اليوم بالضفة الغربية.

وكانت أسرة جدي والده وعمه قد غادروا البلاد مع المغادرين ، فذهب عم الجد إلى مصر ؛ لأن زوجته كانت من أسرة مصرية ، وغادر والد جدي إلى منطقة رام الله والبيرة .

ولما هلك والده محمود الجدية سافر إلى البرازيل ككثير من الشباب طمعا بحياة أفضل من

الوضع الصعب الذي حصل للناس عقب التشرد والنكبة . وترك زوجته التي ولدت له أبي يحيى ، وأمه وبعض زوجات جده محمود في دار اشتراها والده في الضفة الغربية التي أصبحت جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية ، كما أمست غزة جزءا من مملكة الملك فاروق ملك مصر .
ولما حل الجد في البرازيل التي تقع في العالم الجديد الجنوبي وجد الحروب مستعرة في تلك القارة منها حروب داخلية ، ومنها حروب دول بينها وبين بعض ، فكان المد الماركسي الروسي أو السوفيتي متغلغلا في تلك البلاد .
فلما رأى ذلك الحال عاد لتجارة السلاح والتهريب للمنشقين للمتمردين للثائرين للعصابات وكانت هذه العصابات المسلحة تمول الكثير من الصفقات من تهريب وتجارة المخدرات ، فاضطر للاحتكاك بتلك العصابات للحصول على أموال تجارة السلاح ، فتعرف على الكثير من الزعماء للعصابات للدول للثوار .
وكان من نتيجة ذلك وجود أصدقاء منهم ، ووجود الكثير من الأعداء والخصوم ، وكان لا يشعر بالأمان حتى يعود إلى شوماز فيجد بعض الراحة من مطاردة أعدائه وخصومه ، مع الحذر الشديد أيضا .
وانتشر نشاطه أيضا في أفريقيا لاشتعال حروب الاستقلال والثورات ، وامتد لآسيا حيث الحرب الهندية والفيتنامية وكمبوديا ، فالحروب هي المكان المناسب والملائم لبيع وترتيب صفقات السلاح الخفيف والثقيل .
فأصبح معروفا على مستوى تجارة الأسلحة في العالم ، وله شركات وشركاء في عدد من القارات ، وكانت تقام بعض الشركات لتغطية أعمال تجارة السلاح . وأصبح السيد بسيم الجدية مالكا لثروة كبيرة ، ولكن العمر يمضي ، وكبر الجد فأخذ يفتش على الراحة والتقاعد .
فقد كانت حياة جدي مليئة بالحركة والسفر ، تارة في الشرق ، تارة في الغرب في الشمال في الجنوب .. كان كثير التنقل ، وكان يلتقي برجال الحكم والمال ورجال العصابات والثوار .. برجال المخابرات والأمن وتعرض مرات ومرات للغدر والاغتيال والخطف أيكفي هذا الليلة ؟

قال بشر : لا أنام مبكرا يا أديب ؛ ربما أبقى في الصحيفة للفجر .. تابع .



دخلت الخادمة ببعض الفواكه والشاي والمكسرات ، وأخذت توزعها على الموائد الصغيرة ، ولما غادرت قال أديب : أخبرتك أن والد جدي كان مزواجا طامعا بعدد كبير من الذكور ، فلم يرزق بسوى جدي بسيم ، أما البنات فكن تسع أخوات ، وبعضهن ما زلن على قيد الحياة ، وهن في غاية السعادة والرفاهية ، ولهن أحفاد ، وكان جدي سخيا معهن ، ومات على ذلك ، والمحامي داود محمد ما زال يتابع مخصصات جدي نحوهنّ .. مع أنهن لسن بحاجة لمال ؛ ولكن وصية محمود لبسيم .. أما نساء والد والد جدي فكلهن رحلن عن هذه الدنيا .. وكان والدي يتفقدهن ويرعاهن حتى متن جميعهن .. تزوج جدي بسيم بعدما بلغ العشرين من ابنة أحد أعيان مدينة القدس من أصدقاء والده .. وبعد سنوات من الزواج ولدت جدتي أبي وثلاثة بنات ، ماتت اثنتان منهم قبل نكبة الشعب الفلسطيني ، وبقيت واحدة ، وتزوجت وكانت قد تزوجت ابن عم جدي وما زالت هي وذريتها هناك ، وكان جدي يتفقدها باستمرار ؛ بل كثير من أبنائها وأحفادها تعلموا في الجامعات على نفقته .. وما زلنا نلتقي ونتقابل كلما خرجوا من البلد .. وماتت منذ سنوات قليلة ـ رحمها الله ـ وأبي تزوج بعدما استقر في مدينة بلبل العاصمة هذه التي نعيش فيها الآن .. واشترى جدي ووالدي هذه الأرض التي قام عليها هذا القصر الذي نجلس فيه الآن .. ولما رأى السيد بسيم قلة فرص العمل .. ترك أبي وأمه وهاجر جهة البرازيل ككثير من شبان العرب الطامح بالثروات .. لم تكن بلاد الخليج ظاهرة ثروتها للعيان آنذاك .. فيمم نحو أمريكا .. هو وبعض أبناء عمومته وأخواله .. ووجد سوق السلاح رائجا فعاد إليه بقوة ، وحقق ثروة هائلة ننعم ونرتع فيها

اليوم بفضل الله تعالى .. وكان يرسل المال لابنه يحيى من هناك ولابنته الأخرى في فلسطين .. وتزوج هناك أكثر من مرة ، وأكد لي أنه لم تلد له إلا واحدة برازيلية من أصول هندية شقيقة أحد أصدقائه وشركائه في تجارة السلاح .. عندما يتخلص من واحدة يتزوج غيرها .. وكان سعيدا بذرية أبي .. لقد ولدت أمي ثلاث بنات وولدين ، وأنا ترتيبي الخامس ، ولدت عام ١٩٦٧ في شهر آذار مارس ، وبعد الحرب أنجبت طفلة وولد ثالث .. وترك والدي بلبلا وبنى بيتا في شوماز .. وهو هذا القصر ، ولكن لم يكن قصرا كان بناء عاديا من عدة طوابق ، الأول محلات تجارية ، ونحن نعيش في الطابق الثاني ومعنا الجدة .. لم يكن والدي يعرف أن والده تاجر سلاح في الغربة .. نعرف أنه صاحب تجارة وشركاء .. ماذا يعمل لا يدري أبي ؟ وكان مجيئه للبلد قليلا جدا ، ولما يأت يأتي مسلحا ومعه حرس .. هكذا أخبرتني خالتي التي تعيش معي الآن .. وكان يتحرك بسيارة خاصة ضد الرصاص ، وصلت للبلد بسفينة وبقيت هنا في موقف خاص مجهول لأبي .. علمنا أنها ضد الرصاص .. وكان يملك عدة شقق في العاصمة بلبل وغيرها من المدن .. وكان لا يمكث كثيرا في بيتنا .. يأكل مع الأسرة ، ويطمئن على زوجته وأحوالنا ويختفي ، ثم يظهر مودعا فجأة .. وكانت جدتي كثيرة الأمراض ، وقد ماتت قبل حادث الانفجار الذي أودى بحياة ولدها يحيى .



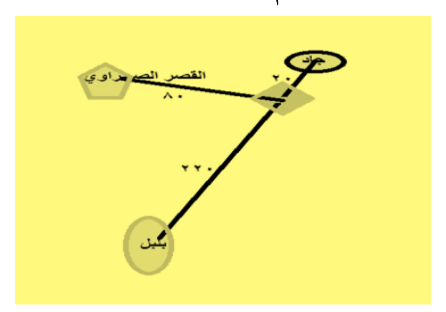
٣

عاد بشر بعد أيام لسماع المزيد من قصة بسيم الجدية تاجر السلاح الدولي، فلما جلسوا في المكتبة المكتبة التي أنشاها الجد لحفيده ولنفسه ، قال أديب : انتهيت في الحديث عن موت جدتي ـ رحمها الله ـ كانت كثيرة الأمراض .. اشرب شايك يا أبا ناصر.. وكان جدي أثناء موتها متنقلا بين البلاد لعقد الصفقات وتهريب الصفقات .

كانت زياراته للبلد قصيرة لظروف عمله وتجارته ، وقبل حادثة مقتل أسرتي قد بدأ في إنشاء قصر في قلب الصحراء صحراء" لغد "، وبدأ يفكر بالاستقرار في ربوع البلد ، فكان قد حفر مجموعة من الآبار في تلك الأرض الواسعة التي اشتراها وتملكها ، ووجد الماء في إحداها ، كنت صبيا وأسمعه يحدث أبي في ذلك ، وأنه سيختبأ في الصحراء في ذلك القصر عندما يجهز وكانت المسافة من مدينة بلبل إلى ذلك القصر تصل إلى ثلاثمائة كيلو متر بالسيارة .. فبين القصر والشارع الموصل بين مدينة بلبل ومدينة جاد حوالي ثمانين كيلو متر تقريبا .. ومدينة جاد تبعد عن القصر حوالي مائة كيلو متر .. صحراء جرداء لا حياة فيها ، شجيرات صحراوية متفرقة هنا وهناك .. فالقصر اليوم جنة في تلك الصحراء وهو فعلا قلعة حصينة .. ولسوف تراه ـ إن شاء الله ـ وطريق القصر من الشارع الدولي إلى القصر الصحراوي ترابية فقط .

قبل موت أبي كان القصر في بداياته ، ولم يكن مهما لنا مشاهدته يا سيد بشر ، قامت بالحفر والبناء في الجزء الأول منه شركات أجنبية وذلك بعد استخراج الماء من جوف الصحراء ، فيما بعد علمت أن آبار حفرت ، ووضع فيها خزانات ماء ضخمة لتخزين الماء كالخزانات التي تستخدم في محطات الوقود .. ثم شيد تحت الأرض طابق ليستخدم كغرف تخزين مواد وأدوات ، وأنشئ فوقه قاعة استقبال كبرى ، وفيها صممت قاعة رخامية بأعمدة رخامية لاستقبال الضيوف عند وصولهم للقصر .. ستراها ـ إن شاء الله ـ ولها هنا صور .. هنا قاعة فيها صور للعائلة .. وأنشئ فوق هذا الطابق الأرضي الطابق الأول ، وفيه حوالي ثلاثين غرفة

وهو على شكل نون مقلوبة .. هذا القسم من القصر كان جاهزا للحياة قبل حادث ٨٢ .



وأصبح هذا القصر مقر الجد في كل عودة وزيارة إلينا .. فيقضي أياما بيننا ، ثم يختفي في الصحراء أو غيرها من الشقق التي يملكها في بلبل وغيرها من مدن البلاد ، وله عمارة كبيرة في مدينة جاد القريبة من القصر الصحراوي .. أذكر أنه سمح لأبي بأخذنا لذلك القصر للفرجة كان يخشى علينا التعرض لهجوم من قبل العدو عدو جدي المجهول لنا وله .

عاد الجد للبلد في صيف ١٩٨٢ ، وكان الشرق يغرق بالحروب ، والتوترات ملتهبة في أكثر من بلد ، فكان الجد يجعل من بعض وقته في بلبل ليقضيه معنا مع الوالد معنا نحن الشباب الصغار ، وكان الجد في كل مجيء يتحفنا بالهدايا والأشياء الجميلة ذكورا وإناثا.. ثم ينصرف للقصر الصحراوي ، ومرات عندما يريد السفر يطلب مشاهدتنا في مكان خاص فنذهب إليه لتوديعه أو يأتي بغتة دون اتصال فيقضي معنا بعض الوقت وينصرف .

جاء صيف ٨٢ لقضاء إجازة في البلد ، وقضى في بيت الأسرة في شوماز حيث نجلس الآن يومين على غير العادة ، لا يمكث في البيت يومين متواصلين ، ساعات يبات ليلة ، ويغادر بوقت غير منتظم في الليل في النهار حسب خطته الأمنية .

ولما غادر البيت سمعناه يخبر أبي بأنه يحس بأن ناسا يطاردونه ويسعون للفتك به ، وانصرف بعد صلاة الفجر ، فقد جاءت سيارته المصفحة وأخذته .

وفي اليوم الرابع من وصول جدي إلينا أي بعد مغادرته بيومين لبيت العائلة جاءت خالتي أم سالم وتغدت معنا ، ولما صلت العصر وأرادت الانصراف طلبت من أمي أن أرافقها وأقضي الليل معها في بيتها ؛ لأن ابنها سالم في رحلة جامعية ، وسينام في الخارج مع زملائه الطلاب ..

وخالتي ليس لها إلا سالم طالب في الجامعة ، وبنت أكبر من سالم ومتزوجة من ابن عم لها أو قريب لأبيها .. اتصلت أمي بابي في المتجر في أسفل العمارة ، فوالدي كان يملك ما يسمى اليوم " سوبر ماركت " الكائن في الطابق الأول للعمارة الصغيرة ، فقال لي : يا أديب أمك اتصلت تريدك أن تذهب للمبيت مع خالتك هذه الليلة فسالم غير موجود .. وغدا يرجع سالم فتعود .

وكانت خالتي أرملة ، ووضع لي بعض المأكولات والمشروبات في كيس وقال : خذها وتسلى بها أنت وخالتك .

فحييته وصعدت للبيت في الطابق الأعلى ، كنت تلك الأيام ابن خمس عشرة في ذلك العام الذي لا ينسى يا أبا ناصر .. دخلت وغيرت ثيابي ، وكان الوقت عصرا .. ثم ودعت أمي ، ومن كان في البيت من الأخوة والأخوات ..وأوقفت سيارة أجرة تكسي ؛ لتنقلنا لشارع سليمان في حي النصر العربي .. وفي الصباح جاء الخبر المرعب بأن عمارتنا وقع فيها انفجار رهيب قتل فيه كل أفراد الأسرة ، ودمرت البناية تدميرا كبيرا.. لم ينجُ من الأسرة إلا أنا لمغادرتي البيت مع خالتي التي سافر ولدها مع طلاب الجامعة ، وجدي بسيم الذي لم يكن موجودا ساعة الانفجار الغادر.

وكان الانفجار في الثامن من تموز ، ذلك العام ١٩٨٢ يوم الخميس في أول ساعات ذلك اليوم لما عدت للبيت في الصباح كان المشهد مروعا ، سيارات الإسعاف ورجال المطافئ والشرطة ورجال المتفجرات والبحث الجنائي والأقارب والأصدقاء والجيران .

وبعد مشاهدتي للدمار الذي لحق بيتنا صرت أصرخ وأبكي ، فأخذني رجال إلى بيت خالتي التي أحضرت لي الطبيب ، وتقرر بقائي في بيت خالتي أم سالم .

وبعد هذه الحادثة الكبيرة ترك جدي السفر الكثير ، وكان يسافر لقضاء حاجة ، ثم يعود سريعا ، وقرر البقاء حولي لرعايتي أنا الباقي من سلالته ، هو له أحفاد من ابنته التي ماتت في فلسطين حيث تزوجت .

فاشترى سيارة مصفحة خاصة بي ، وكلف سائق هندي يعمل معه في القصر الصحراوي ليعمل تحت أمري .

وبعدما انتهى رجال الشرطة من التحقيق في مكان الحادث ، رفعت الأنقاض ، وقام جدي ببناء هذا القصر ، وأيضا أضاف طابقين في قصره الصحراوي ، ووضع له وسائل حماية معقدة .

وعين كادرا من بلدان شتى في ذلك القصر ، وأقام حولي هنا بعض الحرس والخدم الخاصين ، وله قسم في الطابق الأرضي فيه مكاتب خاصة به وبنشاطه ، له باب إلى القصر ، ولكنه لا يفتح إلا من داخل القصر ، وهو باب مصفح يفتح على الطاقة الكهربائية .. والحافظ هو الله وعشت في بيت خالتي تحت حماية خاصة حتى كمل هذا القصر ، وجئت للحياة فيه ، وبصحبة خالتي التي تزوج ابنها ونحن نبني هذا القصر الحصن .

وكان جدي يقول لي: يا أديب كنت أنا المقصود بالانفجار القاتل .. ولكن قدر الله لنا وأنت الحياة .. واعلم أننا ما زلنا في خطر .. خاصة حياتي أنا ، لقد تكوّن خلال سنوات هذا العمر أعداء كثر لي .. أجهل أكثرهم ؛ ولكني أحس بوجودهم .. لم يبق لي من دنياي إلا أنت .. ولولا مشيئة الله تعالى ، وذهبت تلك الليلة للمبيت عند أم سالم لحل بك ما حل بأهلك .. ولولا أنك بحاجة للدراسة لسقتك للبقاء معي في القصر القلعة .. هناك في الصحراء حيث أعيش .

فقال بشر : تحقيقات الشرطة في الحادث ماذا كانت النتيجة ؟

ـ الشرطة زعمت أن هناك عصابة وضعت المتفجرات في محل الوالد .. وأمام باب شقتنا .. وتم التفجير عن بعد .. فقد وقفت يا سيدي سيارة أمام الدكان قبل صلاة الفجر بساعتين أو آذان الفجر .. موهمون من يراهم أن سيارتهم فيها عطل فني ..لأن بعض الناس أخبروا البوليس برؤيتها تقف أمام المحل .. ففتحوا المحل وادخلوا المتفجرات والمواد المتفجرة .. وبقيت السيارة أمام المحل عند الانفجار .. لم يأخذوها معهم لماذا ؟ لا جواب .. لأن أجزاء

بقيت منها ، ولم توجد فيها أي جثة إنما استخدمت لنقل القنابل كما تبين من تحليل الشرطة . واعتقد القتلة أن جدي هلك في الانفجار وأنه من ضحاياه ، ولم يصل الشرطة للقتلة ، وبعدها لحتى مقتله لم يحدث علينا اعتداء .

خلال سنوات الجامعة رغب جدي بتزويجي ليرى أحفاد ولده يحيى ، ولكني رفضت الزواج أو حتى التفكير بالزواج ، وكان خلال سنوات الجامعة يقضي بعض الأسابيع بكمالها معي ومع خالتي ، وجل وقته في هذه المكتبة أو في مقابلة بعض الأصدقاء ، أو متابعة نشاطه مع شركائه من المكاتب التي في أسفل القصر .

جدي رجل واسع المعرفة ، ويتكلم بعدد من اللغات حسب الحاجة طبعا ، وهو يعرف الإسبانية لغة أغلب سكان أمريكا اللاتينية .. ويعرف الكثير من مفردات اللغة الهندية .. والإنجليزية يحسنها لدرجة كبيرة لكثرة ما احتاج إليها وهو يتنقل في مدن وفنادق العالم .

فكان يغيب في قصره الصحراوي عندما يحتاج للعزلة التامة ، وربما استقبل بعض الرفاق الأجانب والشركاء فيه .

وكان جدي يعطف عليّ للغاية ، ولا يبخل عليّ بشيء أنا خاصة وحتى مع كل أقاربنا .. فهو سخي بطبعه .. وطوال السنوات التي قضيناها معا كان خائفا عليّ ومن اغتيالي بيد غادرة رغم الاحترازات التي أحاطني بها .. فلما يرني عائدا للقصر .. فأحس بسعادته واطمأننه .. ولما يقض زمنا في صحرائه يتصل بي يوميا ليطمئن على عودتي للبيت ، وهو أحاطني علما بالأخطار التي تتهدده .. وربما يصيبني شيء منها .. ثم نسلم أمرنا لله .

فقال بشر : سأنصرف الآن يا سادة .. المهم أن التحقيقات لم تسفر عن شيء ..

ـ بعضهم اعتبرها جريمة سياسية .. المهم أن التحقيق فيها توقف .

٤

بعد أيام أخرى زار بشر عيسى صهره أديب يحيى لسماع قصة مقتل الجد بسيم ، فرحب الزوجان بضيفهما ، وتعشوا جميعا ، ثم انتقلوا للمكتبة حيث كان السيد بسيم يحلو له المكث عندما يلقي ترحاله في قصر أديب يحيى .

عرفنا السيد بسيما تاجر سلاح كبير في هذا العالم ، ورجلا كثير السفر والترحال ، ولما قتلت أسرة ولده الوحيد يحيى استقر في البلد بلبل ، وخف تجواله العالمي ، وجلست خالة أديب في صالة التلفزيون تقلب القنوات والمحطات التي تتزايد يوما بعد يوم ، وهذه أول مرة يصادف بشر خالة أديب منذ أقبل لسماع بعض تفاصيل حياة بسيم الجدية ..فقد كانت عند ابنتها التي ولدت في تلك الفترة ، فجاملها الرجل ودعا لها ودعت له .

وبيت أديب فيه عدد لا بأس به من الخدم والخادمات ، وأغلبهم من الهنود بدولهم المختلفة .. فالهند عند تحررها من قبضة الاستعمار انقسمت لمجموعة دول كالهند نفسها ، والباكستان قبل سنة الاستقلال ، ثم بنغلاديش بعد عشرين سنة انقسمت عن الباكستان .. ثم البنغال وسيرلانكا وربما كشمير في المستقبل .

جلسوا كالعادة في المكتبة التي تحتوي على مكتب للسيد أديب ، أحضرت القهوة المرة التي يطيب للصحفي بشر شربها ويفضلها على غيرها من القهوة " وتسمى في بلاد العرب القهوة السادة " ربما لخلوها من السكر أو على طبيعتها البكر .

ووضعت بين أيديهم وأفواههم أطباق الفاكهة والمكسرات ، وكانت سعاد قد اعتذرت من خالة أديب للجلوس مع شقيقها وسماع حكاية السيد بسيم ، وكانت الخادمة قد وضعت أمام الخالة بعض أطباق الفاكهة التي تحبها .

ولما جلست سعاد قال بشر : قلت إنك ستروي لي قصة مقتل جدك ـ رحمه الله ـ الذي قتل قبل سنتين ..

قال أديب وهو يمسح فمه بمنديل ورقي : مات أو قتل جدي يا أبا ناصر يوم الأربعاء أو فجر

الأربعاء ..لا .. مساء يوم الثلاثاء في أول الليل كان الشهر تشرين الثاني نوفمبر ١٤ / ١١/ ١٩٩٥

ـ منتصف شهر أحد عشر من عام ١٩٩٥.

ـ كان المرحوم جدي يحدثني تكررا ومررا عن الأخطار المحدقة به نتيجة عمله في تجارة السلاح .. فهناك صفقات مشروعة كالتي تباع لدول معترف بها من الأمم المتحدة ، وهناك صفقات تهرب لثوار ، وحركات تحرر فتصور أنها ممنوعة ومعادية .. وكان العالم غارق بالحروب الأهلية والدولية .. وتجارتهم لا يتعامل فيها بالمبادئ والأخلاق الحسنة .. أو بالعواطف .. فالحرب مصدر رزقهم .. فيقول لي : إذا بعت سلاحا وذخيرة لباكستان ، فالمتعاطفون معهم يرونك بطلا ومناضلا ومحاربا مع أننا تجار .. والذين يقفون مع الهند في حربها يرونك مجرما قاتلا مطلوبا قتلك .. وقس على ذلك في كل الحروب .. مع أننا أحيانا كثيرة نبيع ونهرب للفريقين المتصارعين.. يأتيك تاجر يطلب منك توصيل كمية من الذخائر والصواريخ الصغيرة لمكان ما مقابل عمولة ما .. فأنت لا تدري لمن ستصل الصفقة ؟..لأنها عادة تجري في ظروف سرية بالغة التعقيد .. مهمتك نقل البضاعة .. لمن ستصل ربما لا تدري بالضبط .. ستسلمها لشخص أو أشخاص .. فنتيجة هذه التجارة تكوّن لجدي أعداء وأصدقاء .. فكان يقول يا أديب تجارة السلاح لا عواطف فيها .. أنت بياع .. هناك صفقات بيضاء وصفقات سوداء .. ونتيجة أخرى أنه يطلع على أسرار مهمة لتلك الصراعات الدولية وقال : لا أشعر بالأمان والهدوء إلا عندما آتي إلى هذه البلد المسالم الوديع إلى مدينة بلبل فأحس بالراحة والحياة الهادئة .. وأخبرني أنه نتيجة هذا العمل يخوض حروبا مع عصابات أخرى لتهريب السلاح أو تجارة المخدرات لتمويل صفقات السلاح .. فالسلاح يحتاج لأموال كثيرة ولا تنضب .. فالمخدرات تستخدم لتمويل تلك الصفقات .. لأن غالب الدول النامية فقيرة أو متحررة من قيود الاستعمار حديثا .. فميزانياتها مهلهلة وضعيفة .. والعصابات تخوض حربا ضروسا لتفرض سيطرتها على مناطق ما .. وتلك العصابات خاصة في أمريكا

اللاتينية قوية وعنيفة ، ولها علاقات مع رجال الحكم والسياسة كعصابات المافيا المشهورة في إيطاليا والعالم الغربي .. فكان يقول : علينا أن نتعامل مع الجميع .. فالكل يشتري السلاح .

شرب فنجان قهوة سادة قدمته له سعاد ثم عاد يقول : وأخبرني جدي الغالي أن كل أملاكه ستؤول إليّ بعد موته .. فأنا الوارث الوحيد له ؛ ولكنه أوصاني بمساعدة أفراد العائلة وأحفاد ابنته في فلسطين .. والمحامي داود محمد يعرف كل التفاصيل ..وهو ابن صديق منذ عهد الشباب .. وأن المحامي على اطلاع بكل الأشياء الهامة في الحسابات الخاصة لجدي هنا أو في أوروبا أو أمريكا .. وحتى الشركات الشريك فيها في البرازيل وغيرها .. يتابعها مكتب داود مع المحامين في الخارج أو الداخل .

ومن الأسرار التي كشفها لي الجد هو زواجه أكثر من مرة في العالم .. وكان يتزوج ولما يرحل يطلق .. لأنه لا يحل الزنا مهما كانت الظروف ، ولما نزل البرازيل في أول الشباب عند هجرته الأولى إليها تزوج امرأة برازيلية من سكان البلاد الأصليين الذين يسمون الهنود الحمر .. وأنجبت له بنتا واحدة فقط ثم طلقها .. وسماها مها اسم عربي .. وسبب تطليقها قال كثرة تنقله بين البلاد اللاتينية .. وكان يحمل جواز سفر برازيلي .. فكان كلما دخل البرازيل يمر على المرأة ، ويتفقد المرأة ويعطيها المال ويرى ابنته .. ولما جاء المرأة بعد بلوغ ابنته عشر سنوات أخبرته المرأة أن ابنته اختفت ، فتكلم مع البوليس في تلك المنطقة .. فاخبروه أن هذا أمر شائع بين الفتيات والفتيان .. ربما رافقت عصابة أولاد ..أو لحقت للعمل في ملهى أو مقهى أو حانة وقالوا له سوف تعود للبيت فجاءة كما اختفت فجأة .. وعلمت قال إن بعض العصابات تأخذهم لنقل كميات من المخدرات أو نقل رسائل .. أو خادمات في دور الدعارة ..

وقال لي إنه بعد سنوات زار تلك المرأة فوجدها قد تزوجت وولدت من جديد ، وذكرت له أن ابنتهم قد زارتها ، وقضت عندها أياما ، ثم اختفت من جديد ، وعلمت منها أن الفتاة متعلقة بشاب من شباب العصابات .. وترك لها عنوان للمراسلة عند والدتها .. فجدي كما أخبرني وذكرت لك سابقا كان كثير الحركة ، ولا يحب البقاء في بلد أو مدينة مدة طويلة حتى

لا يتعرض لخطف أو اغتيال .

فهو له معرفة برجال مال وتجار وملوك ورؤساء وأسر وعائلات وقادة وثوار وقادة عصابات ولما قتلت الأسرة استقر في البلد هنا .. وأصبحت حركته في الخارج قليلة وعند الضرورة القصوى كما قال لي .. وقد أقام القصر الصحراوي ووفر فيه وسائل الحماية ولسوف تطلع عليها إذا زرنا القصر .. ولابد من ذلك لمعرفة مخبأ الكنز .. وقبل مقتله بزمن أحسبه شهور قال لي : يا أديب احترس .. لقد علمت من بعض أصدقائنا أن أعداء لنا دخلوا البلاد .. وأنا في القصر هذا تقريبا في أمان .. لأن الأسوار عالية ، وعليها أجهزة إنذار ، ولها اتصال بشركات حماية .. والقصر بعيد عن الأسوار .. ولكن ليس هناك شيء كامل كما يقول جدي وكل نظام أمني لابد أن يكون فيه ثغرات قد يصل إليها الخصم والعدو .. ولديّ حارس هندي محترف كما يقول جدي قد خدم في بلاده في حراسة الشخصيات ومعه مساعد .. ومعهم زوجاتهم .. وهناك سائق السيارة المصفحة وهو هندي أيضا .. وحتى سكرتير جدي في قصره الصحراوي هندي ، وله زمن طويل مع الجد .. وما قتل الجد إلا في غيابه وإجازته الضرورية رغم الحس الأمني الشديد عند جدي فقد اغتيل في قصره الصحراوي .. وأولئك المجرمون لا يهتمون بالخطأ الذي يقعون فيه كما حصل لمقتل الأسرة كلها .. والشرطة كما أخبرتكم لم تصل لشيء في تلك الجريمة جريمة قتل والدي إلا أن قالوا أناس فعلوها وغادروا البلاد ولم نعرف كيف غادروها ؟ أو علم جدي ولم يحدثني عن ذلك لأني أيامها كنت دون الثامنة عشرة وجدي يحمل عددا من جوازات السفر لعدد من الدول كاحتياطات أمنية .. تحصل عليها من خلال خدمته لبعض الدول ..

أخذت احتياطاتي كما طلب جدي ، وأخذت التحذير على محمل الجد .. واعلم أنه كان يتلقى الكثير من رسائل التهديد والوعيد .. واتصالات كذلك من الخارج والداخل .. فهو معتاد على ذلك .. وبعد هذا التحذير بشهور ثلاثة تحدث ليلا معي طبيب يزور القصر من مدينة جاد بمقتل جدي ومصرعه في حجرة من حجرات القصر برصاصة واحدة .. فصعقت للوهلة

الأولى .. وتساألت كيف قتل في القصر في الحصن ؟ ومن تجرأ على هذا ؟ كانت مفاجأة لي !
قبل موته اتصل بالطبيب جادر ، وهو طبيب متقاعد من مستشفى جاد ، وطلب منه المجيء إليه فورا ؛ لأنه يتحسس ألما في صدره ..ولجدي سوابق في طلبه عند الضرورة ، وهو يرسل المرضى العاملين في القصر إليه ابتداء ، ومن ثم يحولهم إلى أطباء الاختصاص أو المستشفى .. وقلت لك إن مدينة جاد تبعد عن القصر حوالي مائة كيلو متر ، والطريق من الشارع العام إلى القصر ترابية ، وأصبحت شارعا من كثرة مرور السيارات عليها .. وجدي له فريق من الأطباء يتفقدونه من حين لحين .. وله علاقة خاصة بمستشفى جاد .. فالطبيب جادر طبيب طوارئ لجدي بسيم وأهل القصر..

اتصل الجد بالطبيب بعد صلاة المغرب مخبرا له بألم شديد يعتصره .. فالطبيب عندما يذهب للقصر في الليل يأخذ معه شرطيا من مركز شرطة جاد .. ويصحبه عادة طبيب مساعد وممرضة ..أما في النهار فيذهبون بدون سيارة شرطة أو شرطي ..ولما وصل للقصر تفاجأ الحرس بهم .. وجاءت سكرتيرة جدي الهندية وهي زوجة للسكرتير الهندي مايا ..فجدي لم يخبرها باتصاله بالطبيب .. أدخلتهم مايا القصر فهي تعرف الطبيب جادرا حق المعرفة ، فلها تعمل مع الجد منذ خمس سنوات .. ولما وصلوا لغرفة يستريح فيها الجد وجدوه مقتولا برصاصة واحدة ، وأنه فارق الحياة ..وجدوا رائحة مخدر في تلك الحجرة ، ويرجح الأطباء أنه استنشقه استنشاقا ، لم يثبت أن المخدر وضع في عشاءه .. المهم أنه لم يقاوم قاتله .. وأكد جادر وهو يسترجع الاتصال الهاتفي القصير بينهما أن الرجل عندما تحدث معه كان يعاني من حشرجة وصوته ضعيف .. وشرب جدي شرابا قبل موته ، ولم يثبت أن به مادة مخدرة .. وتساءل الشرطة والمحققون هل قتل للاتصال أم أن القاتل أو القاتلة قتلوه بعدما فشلوا بقتله بالذي أطعموه إياه أو أسقوه إياه ، ولما سمعوه يتحدث بالتلفون أسرعوا بقتله ؟؟ .. التشريح الطبي بين أن طعامه وشرابه لا مخدر فيهما ولا العصير الذي شربه .. فالراجح أن غازا مخدرا استعمل لإضعافه وتخديره .. وقتل من غير سم .

وجرى التحقيق في الجريمة الغامضة ، وحقق مع الخدم والحرس وكل الموجودين في القصر وهم حوالي ثلاثين فردا وعن تحركاتهم في وقت حدوث الجريمة كما حددها الأطباء الشرعيين من وقت الاتصال بالطبيب جادر حتى اكتشاف الجريمة .. ولم يستطع البوليس توجيه الاتهام لأحد .. لم يعرف الخائن بينهم لليوم ..ومن زوده بأداة القتل .. وبالمخدر إذا كان هناك مخدر .. ومن المستحيل دخول شخص من الخارج إلا إذا توطأ مع جميع الحرس .

وأنا بعد الحادث ودفن الجد حيث أراد في آخر البستان في ذلك القصر حيث وضع قبره طلبت من المحامي داود صديقنا العزيز بيع القصر إذا وجد من يشتريه ، فأخبرني الرجل أن جدي لا يحبذ بيع القصر .. وأنه لا يمكن بيعه وصرف العمال قبل إغلاق ملف التحقيق وتحديد الفاعل لأن كل العاملين في القصر من رعايا دول أخرى .. ثم أخبرني أن جدي ترك لي مجموعة من الرسائل تركها لديهم على فترات لا تسلم لي إلا عند موته .. وأن جدي ترك لي كنزا في مكان ما من القصر ووثائق خطيرة عليّ الاحتفاظ بها ..

قال بشر : كنز من المجوهرات والوثائق .

ـ نعم ، لا يمكنني بيع القصر حتى أمتلك الكنز ومذكرات وأوراق جدي المخفية .. فترك لي جدي رسائل كان يكتبها على فترات .. وفيها أنه يعلم أنني أبغض القصر ، وسيكون باكورة أعمالي بيع القصر رغم وجود قبري { أقصد قبره} في أرضه .. هكذا ذكر في أحد الرسائل .. ولكنه رخص لي بالخلاص منه إذا وصلت لذلك الكنز .. وأخبر أن لغز الوصول إليه ليس بالصعوبة التي تبدو للوهلة الأولى .. ويدعونني رغم أنني لست بحاجة للمزيد من المال إلى الاهتمام والنشاط للوصول للكنز الخفي .. حقيقة لما قرأت الرسائل تفاجأت .. وقد تعهد له المحامي بعدم دفع الرسائل لي إلا بعد موته .. رحلت للقصر مع بعض الأصدقاء المختصين في البحث عن الكنوز والدفائن وحل الشيفرات ، ومكثنا شهرا في القصر .. ولم نوفق بمعرفة موضع إخفاء الكنز .. ثم عزفت عن البحث .. وانشغلت بموضوع زواجي من سعاد .

بعدما أخبر أديب بشرا شقيق زوجه سعاد فشله في العثور على كنز جده في القصر الصحراوي نهض وفتح خزانة معدنية داخل المكتبة ، وأخرج ظرفا كبيرا أصفر اللون ، وأخرج منه عددا من الرسائل ، ورتبها أمامه على طاولة صغيرة وقال : هذه صور عن رسائل جدي .. كتبها على فترات ، وأودعها مكتب شركة المحامي داود محمد ؛ ليسلمها لي على أثر وفاة الجد كما اتفق مع السيد بسيم .. فلما طلبت منه السعي في بيع القصر ، وإنهاء خدمات موظفين القصرين .. ضحك كثيرا وقال : سبحان الله ! جدك توقع ذلك منك .. فلذلك جعل فيه كنزا حتى لا تبيعه قبل إخراج الكنز .. والأهم أوراق ومذكرات جدك بسيم محمود الجدية .. أصول هذه الرسائل محفوظة في البنك يا سيدي في خزانة خاصة .. هذه صور عنها .. خشية سرقتها من أعداء الجد كما قال المحامي .

فقال بشر باسما : فلذلك جعل الجد كنزا ثمينا حتى لا تبيع قصره الصحراوي قبل استخراج ذاك الكنز المادي والورقي .

ـ والغريب أنه جعل لذريتي حقا فيه ..فإذا عجزت عن معرفة المخبأ .. فعليّ أن أورث الأبناء والأحفاد لهذا الكنز ..لا بيع البتة قبل ذلك يا أبا ناصر .. وإذا بعت قبل معرفة الكنز ؛ فإنه لن يسامحني قائلا في إحدى رسائله " إن لديك مالا كثيرا ؛ فإذا لم تستطع الوصول لمذكراتي وأسراري التي أخفيتها مع الكنز فدعه للأحفاد يا ولدي العزيز "..

خذ هذه الرسالة واقرأها ، وقد تناول أديب رسالة من الظرف الذي كان أمامه وقدمها للدكتور بشر عيسى .

فأمسك بها بشر ، وسمع أديب يقول : سأدعك تقرأ الرسائل على الترتيب الزمني .. هذه كتبت بعد مقتل والديّ بحوالي عشرين شهرا ..

فالتفت بشر لشقيقته وقال : أتحبين أن تسمعي يا سعاد .. أم قرأتيها سابقا ؟

قالت : تكرم عليّ أديب بقراءتها .. فهو يعتبرني شريكته في هذه الحياة ، وفي هذا الكنز ..

فسمح لي بقراءتها وقراءة غيرها .. ولو قرأت بصوت مسموع لا حرج يا أخي فتفضل .



بسم الله الرحمن الرحيم

حفيدي الوحيد من الابن الوحيد أديب

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

اعلم أن كل شيء بقدر من الله وحده .. والأعمار والموت بيده تعالى .. فموت أسرتك بقدر ، ونجاتي بقدر ، ونجاتك تلك الليلة بقدر .. وأنت ولدت وتعيش في بلد أغلب إن لم يكن كل أهلها مسلمين .. فالاستسلام للقضاء والقدر يهون من المصاب على النفس .. وإننا خلقنا للحياة الأخرى ..

وأنا كنت أتوقع فشل البوليس والأمن في معرفة الجناة ، وحتى لو قبضوا عليهم .. فما هم إلا مجرد أدوات نفذت الجريمة مقابل بعض المال .. فمخطط الجريمة بعيد جدا عن مسرح الحادث ، يقبع الآن في البرازيل أو كولومبيا أو البيرو ..فأعدائي كثر نتيجة عملي في تجارة السلاح وتهريب السلاح .. فهذا عالم ملتهب ، وبؤر الصراع كثيرة .. وهذا سوق على امتداد العالم .. مصانع تصنع ، وحروب تشتعل .. فمن حروب الشرق الأوسط .. حتى باكستان والهند .. وفيتنام وكمبوديا والكوريتين .. وسيلان وبورما ..حروب أفريقيا الوسطى والغربية إلى أمريكا اللاتينية .. الكل يطلب سلاح .. عن طريق شرعي أو غير شرعي .. المرء يحتار لمن يبيع وممن يشتري .. لأن الوسطاء كثر .. كنت أعمل على عقد الصفقات في البرازيل ، ويكون البيع في زائير .. أو جنوب إفريقيا .. أو الهند .. قدر لي أن أعمل في هذا العمل المؤلم ..

فالسلاح يدافع عن الحق ، والسلاح يقتل فيه الأبرياء والضعفاء .. ولكنها الحرب التي لا ترحم .. شعوب تريد أن تستقل عن الاستعمار والاستعباد .. أحيانا تعقد الصفقة لتكون في فيتنام الشمالية تجدها حطت رحلها في سيلان .. تجارة فيها الصديق ينقلب عدوا والعدو صديقا .. تجد الصفقة عندما تصل لمكان الحرب تقسم بين الخصمين المتقاتلين .. إنها تجارة صعبة فيها الرحمة والقسوة .. عملت في هذا العمل الصعب والمرعب ..تعرضت للاغتيال وللخطف مرات ومرات .. أحيانا كثيرة تجدنا في معركة مع غيرنا من مهربي السلاح .. مع عصابات المخدرات .. لديهم أموال ودولارات .. ويريدون رشاشات لأنفسهم أو لدول يدعمونها .. فكنت يا ولدي كثير التنقل والترحال .. وفقدت الكثير من الأعزاء والأصدقاء خلال تلك السنوات بالقتل والأسر .. كنا في حرب ضروس دامية .. وقد هويت هذه المغامرات منذ شبابي منذ أيام الاستعمار الإنجليزي لبلادنا .. ننام في الصحراء في الجبال في الغابات والكهوف .. ومن الوسائل المفيدة بالنسبة لي التنقل في بلدان العالم وعدم المكث طويلا في بلد حتى لا يفسح المرء لأعدائه الفرصة في اغتياله.. وبلدان أمريكا تجد المدن في كل بلد تتباعد كثيرا عن غيرها .. فيمكن للمرء أن يقضي أشهرا في دولة واحدة لكن في عدة مدن وطبيعة عملي كثرة السفر أيضا ..

أكتب لك هذه الرسالة وأنت لم تبلغ العشرين يا ولدي ..لأنني قد أموت قبل أن تكبر ؛ لتتحمل المسؤولية ، وتدير الثروة الكبيرة التي ستكون لك .. فلنا شركات في بلدان أمريكا مع شركاء ، وكذلك في الهند .. وبعض بلدان آسيا ..وفي إفريقيا ..ولنا عقارات هنا خاصة بنا لا يشاركنا فيها أحد .. وكل هذه الأمور والنشاطات يدير بعضها ويشرف عليها المكتب مكتب المحامي داود محمد .. وكان والده من قبل صديقنا ومحامينا ..وتوفاه الله من عهد قريب .. فكل شيء من أرصدة وحسابات ووكالات هي عندهم معلومة ..

اليوم أخبرك بأني أنشأت القصر الصحراوي لحاجة في نفسي ، أولا لحماية نفسي بدون إرهاق غيري ، وأنت تعرف القصر جيدا ، وأنت لا تحب زيارته .. وأنا أخذت بتصميمه بعد أن

استقر الفكر عندي بالبقاء في البلد والإقلال من السفر .. وأنشأت الجزء الأول منه كما تعلم في حياة والدك .. وها نحن أكملنا الجزء الثاني والأخير .. وكان من أهداف بنائه الحياة بعيدا عنكم حتى لا أسبب لكم المعاناة من أعدائي .. ولكن قضى الوالد وأسرته نحبهم قبل استقراري النهائي في هذه البلاد .. ولحمايتكم كنت لا أمكث بينكم إلا أياما أو ساعات .. وأتنقل في عدد من الشقق الخاصة المجهولة .. أو تسمى البيوت الآمنة ..ولكنهم وصلوا إليّ في بيتكم .. وقدر الله لي ولك النجاة تلك الليلة المشؤومة .. فهم اعتقدوا أن أبات بينكم .. وهؤلاء لا رحمة عندهم .. واعلم أن لأبيك كما تعلم شقيقة ماتت من سنوات .. وأنا ما زلت أهتم وأنفق على أولادها أو بناتها .. لها ثلاث بنات من زوجها يا أديب .. لا تقصر معهم ، فأمهم قد ماتت ، وتزوج زوجها .. وأنا أوصيت المحامي على مراعاة شؤونهم .. فتعاون مع داود محمد ..

وأنا لي بنت من امرأة برازيلية هندية كما أخبرت في عدة مناسبات .. وهذه المرأة عمتك .. ولكنها اختفت وهي بنت عشر سنوات .. وكانت تظهر كما أخبرتني مطلقتي الهندية ..ولكن منذ اختفائها لم أرها .. رغم كل جهد بذلته كلما تطأ أقدامي .. ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل القديمة .. فلي مزرعة هناك ..عليها وكلاء من قبلي .. أقول ربما تظهر هذه المرأة أو العمة في يوم ما وتطالبك بمال والدها .. ربما أزعم أنها خطفت لابتزازي .. ولكنهم لما رأوا عدم وجودي الدائم في البرازيل ..تزوج أحدهم منها .. لأن أمها أخبرتني مرة أنها تزوجت شابا منهم .. وأمها لا تعرف هذا الزوج .. وما زال وكلاء المزرعة يقدمون المساعدة للأم وزوجها .. وربما يظهر لك أولاد عمتك الهندية .. فعليك أن لا تصدق شيئا بدون وثائق رسمية غير مزورة .. وأنا وقع في قلبي أن لخاطفي عمتك يد في محاولة قتلي للاستيلاء على ثروتنا في تلك البلاد .. وأنهم حاولوا قتلنا جميعا من أجل ذلك .. ولكن الأيام لم تثبت ذلك .. ولم يتقدم أحد لمحامينا هناك بطلب مال وميراث ..

أنا وأثناء البحث عنها في تلك البلاد وقع في نفسي ومن معارفي في الشرطة أنها ربما تكون

عملية خطف للابتزاز .. ولم يطلب أحد فدية .. قال البوليس ربما ذهبت برغبتها .. ثم تركوها .. ولكنها لم تعد للحياة مع أمها .. كانت تطل عليها ساعات ثم تعود للاختفاء عليك الانتباه لهذا الخطر .

المشكلة يا أديب أن لنا أعداء لا نعرفهم أحس بهم وأشعر .. فالصديق قد يصير عدوا .. فالخطر عليّ وعليك .. والحافظ هو الله وحده .. لكنني أخذت بالأسباب المادية لحمايتك وحماية نفسي .. فأنا تهمني حياتك أكثر من حياتي .. لقد أخذت حظي من هذه الدنيا .. فإني أتمنى لك حياة سعيدة ، وأن ترزق بالذرية الصالحة يا ولدي العزيز ..

والقصر اليوم قد أصبح القلعة الحصينة أمام أي غادر .. أمام أي عصابة .. لا يقدر عليه الجيش المسلح .. وهذا بلد آمن وأهله طيبون .

وكل معلومة مهمة تحتاجها تجدها عند وكيلنا داود محمد .. فنحن أصدقاء منذ حياة أبيه ـ رحمه الله ـ وسأكتب لك بين الفينة والأخرى رسالة ..وعند موتي سيدفعها لك المحامي والسلام عليكم

جدك بسيم محمود الجدية

الأربعاء ١٢ / ١٢ / ١٩٨٤

وضع بشر الرسالة ، وقال بعد صمت عميق : جدك مجهول وغامض يا أديب .. ألم يحدثك شفويا بشيء عن تلك الأيام ؟!

قال أديب وهو يترك كوب الشاي فارغا على منضدة صغيرة : كان يتحدث معي عن بعض حياته ، ولكن لم أكن أركز كثيرا على ما أسمعه من معلومات .. كان مقتل أسرتي ما زال مسيطرا على أفكاري .. وهو فعلا أقام هذا القصر لحمايتي قبل حماية نفسه .. وخف سفره للخارج بعد مصرع ولده يحيى .. فصار يعتمد كثيرا على شركائه ومساعديه .. ويستخدم وسائل الاتصال الرسائل والهاتف والفاكس والبرق .. فلذلك كان في أسفل هذا البناء جزء لمتابعة نشاطات الجد .. ولتوفر شبكة اتصال جيدة وعالمية في هذه العاصمة .. وكان يستقبل

زواره وضيوفه في الفندق أولا ، ثم يلتقيهم في القصر الصحراوي .. الذي جعله قلعة حصينة وزوده بحماية قوية منيعة .. إذا زرنا القصر ستتعرف على تلك الحماية .. حثني كثيرا على الزواج بعد مقتل أبي ..ولكني رفضت فكرة الزواج المبكر .. وقبل رفضي على مضض .. ولما نجحت في الثانوية العامة ، ولحقت بكلية الهندسة فرح بذلك .. وتمنى أن يطول به العمر ليراني مهندسا كبيرا .. وأنا في الجامعة كتب لي رسالة خاصة أخرى أودعها عند للمحامي ، وتسلم لي بعد وفاته .. وأمسك أديب برسالة أخرى وقال : هذه الرسالة يتبين من تاريخها يا بشر أنها كتبت في عام ٨٧ ١٩.



٦

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي وولدي أديب

امتد بي العمر حتى أراك في الجامعة في كلية الهندسة .. أنا قد خصصتك برسالة قبل سنوات .. كنت أرى أنها الوداع .. وإنما الأعمار بيد الله .. وأنا سعيد بأنك كبرت وأنا حي .. رغبت كثيرا أن أراك زوجا صغيرا لعل الباري يهبك ذرية تقر به العين .. طمعت برؤية الأحفاد ينسلون على الأرض .. ليمتد نسلنا في هذا الكون العظيم .. وله وحده الأمر من قبل ومن بعد .

أنا أعلم أن القصر الذي تسكنه والذي كتبته باسمك كما تعلم لا يمنع المقدور ، وأن المال لا ينقصك ، وأن الاحتياطات لازمة والتي أضفناها للحماية بعد حماية الله تعلم بها ، وتلتزم بها فالحافظ يا ولدي يقينا هو الله تعالى " فالله خيرا حافظا وهو أرحم الراحمين " وهو القائل في كتابه العظيم " خذوا حذركم "

سبق أن حدثتك شفويا عن الابنة التي اختفت في البرازيل أو خطفت ؛ لتكون ورقة مساومة وضغط لتلك العصابات الرهيبة ، ومنذ اختفت لم أرها ، وسعيت سرا وعلنا للالتقاء بها وفشلت ..وأخبرتك أنني نكحت أكثر من امرأة خشية الزنا ، ولم تنجب إلا تلك الهندية .. وعلمت منها أن ابنتنا حية ترزق ؛ ولكنها تعيش مع رجال العصابات .. وأنا أكتب هذه الرسالة ..اعلم أنها ما زالت على قيد الحياة .. وقد نكحت أحد رجال العصابات ..لم أتلق خطابا بموتها .. وهدفهم منها استلاب أموالنا في أمريكا اللاتينية.. لأني تلقيت بعض الخطابات القصيرة في هذا الهدف ..ولكن لكثرة الحركة .. لم تجر لقاءات خاصة في هذا الموضوع .. وأنا خمنت ؛ ولست متأكدا أن محاولة قتلنا التي جرت حيث تسكن يا أديب ربما كانت من أجل أن تعلن وفاتي ، وتظهر هذا الأنثى مطالبة بحقها في مالنا .. فاستأجروا قتلة .. وليظهر الحادث ؛ كأن أعدائي وخصومي في تجارة السلاح هم الفاعلون .

وأنا كتبت الكثير من الأفكار ووضعتها في حجرة الكنز ..ولا أطلب منك نشرها .. المهم حافظ عليها ، ودع نشرها وكشفها للأجيال الآتية بإذن الله تعالى

واعلم يا ولدي أن أجمل لحظات شيخوختي وحياتي عندما أجالسك في القصر .. وأنظر في عينيك وشبابك .. فهذه الدقائق والأيام أحسن أيام عمري بعدما كبرت سني ورق عظمي .. فكل الأمور المالية منظمة عند شركة محامينا داود ، وهو رجل فاضل وابن صديق فاضل .. فابق صديقا له ولعائلته الكبيرة في البلد .. وعمارة مدينة جاد يشرف على إدارتها محام متعاون مع صديقنا داود .. وأنا استثمرتها هناك .. لتوفير المال لموظفي القصر الصحراوي الذين يزيدون عن الثلاثين فردا بقليل ..وبعد موتي .. يمكنك إخلاءهم وإعادتهم بلادهم مع كامل حقوقهم ..واحتفظ بسكرتيري مايا الهندي فهو صديق قديم ومخلص ، ويعرف الكثير من أسرار العمل والصفقات .. والتي خفت وقلت حقيقة في السنوات الأخيرة .. فالدول لا تتوقف عن شراء السلاح وتجديده والتخلص من قديمه .. وهذا قدرنا ورزقنا أن نعمل بهذه التجارة .. وكثير من شركاتنا المنتشرة في بلدان العالم هي تغطية لتحقيق مثل هذه التجارة .. فلن تجد يا ولدي مشاكل تشغلك عن حياتك العملية والخاصة .. فالمحامي داود يطلع على شؤونها بشكل ممتاز .. ويساعده مايا على خير وجه .. ولديّ عدد من الشقق المنتشرة في العاصمة .. كانت تتخذ لحاجات أمنية لي ولضيوفي وشركائي .. وتجارة السلاح ليست خارج القانون .. ولكننا نحتاج مرات لمخالفة القوانين .. لصداقة دولة مع دولة .. نبدو أننا خارج القانون لهذه الدولة .. ونفقات قصرك مرتب أمورها ..لا تكترث لشيء عند وفاتي ..

أشرت لك سابقا في رسالة تركتها عند داود عن كنز .. وتركت بين يديه بطاقة كمفتاح لهذا الكنز .. فالكنز موجود في داخل القصر يا أديب ، وهو عبارة عن أوراق مهمة ومذكرات خطيرة خاصة بي وبعلاقاتي المتشعبة في العالم ..وهناك مجوهرات وأحجار كريمة تيسرت في رحلة الحياة ، وضعتها مع تلك الوثائق في المكان السري في قصرنا العامر في جوف الصحراء ووضعت مراحل وألغازا توصل إليه .. فهي ليست معقدة ؛ لتقول إن جدك يريد أن يحرمك

من بيع القصر الذي ستدفن عظامه وبدنه فيه .. في مكان حددته لداود .. وهو في الجزء الثاني من القصر .. في البستان .. وأيضا ليست تلك الأحاجي سهلة .. فقد قرأت عددا من الكتب المهمة في إخفاء الدفائن والمجوهرات والرموز والإشارات .. فبذلت جهدا متواضعا لفعل ذلك في قصرنا ..وأنا لا أريد حرمانك من هذه الثروة .. فلقد تركت لك كل المال ..فأنت الوارث الوحيد .. قد تظهر تلك العمة الهندية .. وأنا لم أنس ذريتك يا أديب .. فكثير منها سيكون لهؤلاء الأحفاد الذين أراهم بعين الغيب .

سأخفي الكنز الصحراوي في أسرار وخارطة سرية تعلمتها من تلك الكتب ..فلا تيأس .. فكر حاول ..

فقد طلبت من المحامي ألا يباع القصر قبل إخراج الكنز .. وأنا أمنعك أدبيا من بيعه قبل الوصول لذاك الكنز .. أنا أعلم أنك ستملك القصر بحكم الميراث الشرعي .. لكن ابحث ستصل .. وعندما تصل يحق لك أن تتخلص منه وأنني أسامحك ..

وإذا وصلت بجهدك أو بجهد غيرك .. ووصلت للوثائق لا تحاول نشرها فهي تشكل خطرا كبيرا على حياتك .. لكن عليك بالمحافظة عليها إلى زمن يصلح فيه نشرها للتاريخ .. وذلك دعه لأبنائك الذين أراهم بعين الغيب

أعود لموضوع العمة المجهولة التي لم أعرف بموتها رغم ما بذلت من جهد لرؤيتها وإنقاذها .. وقد يظهر لها أولاد يطالبون بمالهم .. فلا تغتر بما يقدم إليك من أوراق وشهادات عليك أن تتأكد من صدقها وصحتها .. فالاحتيال اليوم يتم على مستويات دولية عالية .. وعند المحامي من الأوراق والمعلومات الكافية لدحض أي افتراء يا أديب .. ولكن الشياطين حيلهم لا تنتهي ويبغون ويطمعون ويفسدون في الأرض .. فيجدون امرأة تزعم أنها ابنتي .. ليأخذوا ثروتي . ابحث عن الكنز يا أديب قبل بيع القصر .

جدك بسيم محمود الجدية

الجمعة ١٢/ ٦/ ١٩٨٧

كان هنالك رسالة أخرى مطولة كتبها جد أديب لحفيده ومما جاء فيها : أنت أديب فعلا يا أديب ، أنا سعدت جدا بتخرجك من الجامعة .. وكنت على استعداد لفتح شركة خاصة لك ولكنك رفضت كما تناقشنا في ذلك .. ولليوم لا أعرف سبب رفضك لذلك .. وكذلك رفضك الزواج .. أنا كنت أتخيل أنك ستلتقي بأنثى خلال دراستك ويحدث الزواج .. أنا حرت في أمرك يا أديب رغم هدوءك وصفاء ذهنك تتهرب من مسؤولية إدارة أملاكنا .. ما الذي في دماغك يا مهندس أديب ؟ الصمت شعار لك ..

أعلمت حضرة المحامي وأكدت له رغبتي بعدم بيع قصر جدك بسيم .. وجعلت فيه كنزا عظيما ليكون حاجزا للعجلة في الخلاص منه ..

أنا لا أخشى عليك القتل بعد وفاتي ، ولا أرى أنك ستحتاج للقصر ؛ ليكون مكانا لك ..وأنا أظن أن أعدائي بسماعهم خبر موتي سيفرحون .. وأنتهي من حياتهم .. مع أنني خففت نشاطي في تجارة الأسلحة ، وتحركاتي قلّت ..لكنهم يترصدون بي شرا ..

فقد التقيت أثناء تجوالي في بقاع الدنيا عصابات وعصابات وأوقعنا بكثير منها في شباك الحكومات الوطنية .. فكثر أعدائي بينهم .. فمنهم من أسر ، ومنهم من قتل .. فعليّ ثارات لهم لا يمكن التساهل فيها ونسيانها .. أعمالنا في الأرجنتين والبرازيل وبوليفيا وأفريقيا على خير ما يرام كما أطلع على التقارير التي تأتي من شركائي ومن محامينا في بلاد العالم .. فقد صاحبنا رجال العصابات لحاجتنا لتمرير الكثير من الصفقات .. فهناك بين هذه العصابات والمنظمات السرية تصاحبنا وترافقنا .. ثم تعادينا وتخاصمنا ، ولليوم لم أعرف الطرف الذي فجرنا ببيت والدك .. رغم الشكوك التي راودتني نحو بعض الأطراف والعصابات ..

وكذلك ابنتي الهندية لم أعرف مصيرها لليوم ..رغم اختفاؤها من عشرات السنين .. ربما قتلت ولم تسجل الحكومة شهادة موتها .. ربما زالت حية ونسيت أباها وأمها .. لا تفرط يا أديب في كنزنا .. إذا لم تصل إليه فليبق لذريتك .. لعل أحدهم يصبح مثل جده بسيم الجدية

تاجرا جوالا في أنحاء العالم .. المال قوة ..

أتمنى أن تقضي حياتك بسلام وصفاء واستقرار .. وأن توهب الزوجة الطيبة التي تنجب لك الذرية الصالحة .. أنت وديع وهادي يا ولدي .. وذكي ولكنك لست بالذكاء الحاد العبقري ذكاؤك طبيعي ككثير من خلق الله .. ولكن عليك أن تحاول حل الرموز والشيفرات التي وضعتها لتصل .. سوف تصل ..

أنا سمعت رغبتك بالخلاص من القصر الصحراوي ، وتتعجب ممن يعيش بعيدا عن الناس .. فأنا أصحابي الكتب بما فيها من الشعراء والصحفيين والرجال .. هؤلاء أحياء عندي وأستمتع وأنا أقرأ ما كتبوا وعمن كتبوا ..

ووضعت أمانة في عنق المحامي ألا يباع القصر قبل كشف سري وامتلاكك للمجوهرات والوثائق .. ربما يكون من حظ أبنائك يا أديب ..

حاول يا ولدي ولا تظن أنني أسخر منك ، ولم أضع أسرارا وأفكارا لهذا الكنز .. ربما تصل لمرحلة وتقول جدي : يسخر مني .. لا حيلة ولا وسيلة للكنز .. أنا لا أمزح .. الكنز حقيقي يا أديب .. واحذر الدجالين والمحتالين .. ربما تكون هذه آخر رسالة اكتبها في شأن الكنز الخفي سأضع في طريقك مفتاحا مهما .. أشرت إليه في رسائل سابقة .. واعلم أن الكنز في القصر .. في غرفة من غرفه .. والقصر فيه ما يقارب مائة غرفة ما بين حجرة وحمام ومكتبة ومطبخ ومخزن ..وبئر .. وقاعة .. وخدمي كما تعلم لا يعلمون في أي غرفة أقضي ليلي .. في أي طابق في أي غرفة نوم .. حتى حرس القصر لا يعرفون مكان نومي كل ليلة .. إذا رن الهاتف رن في عدد كثير من غرف نومي فأرد من حيث أكون ..

جدك بسيم الجدية

الأربعاء ٢٩ / ٩/ ١٩٩٣

٨

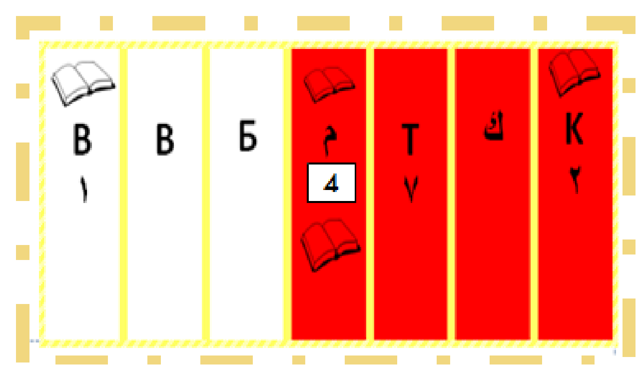
لما قرأ بشر الرسالة الثالثة ووضعها على المائدة الصغيرة قال: أين خريطة الكنز ؟

قال أديب : لا خرائط مع هذه الرسائل .. هناك ثلاث رسائل أخرى لا أهمية لها في البحث عن الكنز وهي في داخل هذا المغلف إذا رغبت بقراءتها فافعل وخذها معك واقرأها في بيتك .. فأنا وسعاد لم نر فيها امرأ يهم قضيتنا .. هي تكرار لما قرأت الآن .

ـ إذن كيف سنبحث عن الكنز ؟ كأنني فهمت أنه ترك شيئا نبدأ منه

ـ هناك بطاقة ..مثل كروت التعريف فيها رموز وحروف وأرقام .. ها هي يا سيدي !

وأظهر بين يديه بطاقة دفعها لبشر .



أمسك بشر بالبطاقة ، ونظر إليها بدقة وفكر ، هي بطاقة كالتي يستخدمها الناس للتعريف على عملهم وعناوينهم ونشاطهم وهواتفهم ، لا شيء على ظهر البطاقة بيضاء مصقولة وعلى وجهها إطار مقطع .. حروف أرقام رمز لكتاب أو كتب .. مقطعة إلى سبعة مستطيلات طولية .. برواز أصفر .. قسم منها باللون الأحمر أربعة مستطيلات ، وثلاثة باللون الأبيض ثلاثة مستطيلات

تأمل المحامي الصحفي الكرت بضع دقائق ثم قال : أنا بالطبع لم أفهم شيئا .. هل فهمتم منها شيئا ؟!

ضحك أديب وسعاد وقال : طبعا لما أعطاني المحامي داود هذه البطاقة ، ولما قرأت الرسائل أخبرته أنني لم أفقه شيئا منها .. فزارني وقرأ رسائل الجد كلها ، ونظر إلى هذه البطاقة بعض

الوقت مثلك الآن وقال : هل هذا عنوان ؟ لا يوجد رقم تلفون صندوق بريد.

قال بشر : ولكن كما علمت ذهبت للقصر لفك شيفرة هذه البطاقة .

قال أديب : بعد عجزنا أنا والمحامي عن فهم شيء منها ذهبت بصحبة فريق عرفني عليهم المحامي لفك شيفرة الكرت .. أحدهم ضابط مخابرات متقاعد ، وقد قضى عمرا في صنع الشيفرات وفكها وحلها .. ورجل آخر أستاذ متقاعد ، وله اهتمام بالكنوز والشيفرات وقراءة كتب الأسرار ، ورجل ثالث متقاعد من الشرطة قسم البحث الجنائي ، وله اهتمام ونشاط في مثل هذه الأمور.. جمعهم داود وعرض عليهم المهمة .. وبعد ترتيب سافرنا للقصر الصحراوي ، ومكث بعضهم أسبوعا ، وبعضهم الشهر ، ولم نصل لشيء مهم ؛ ولكنهم فهموا هذا الكرت بعد تفكير عميق .. فالكرت يعني المكتبة .. انظر إلى هذه الجهة من المكتبة وأشار إلى جهة معينة ..من المكتبة التي يجلسون فيها .

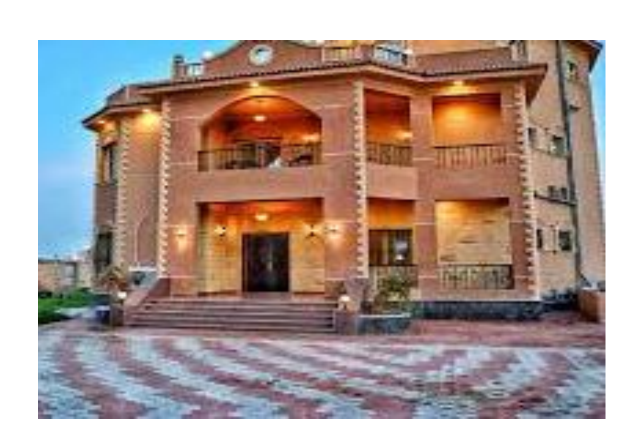
فقال بشر منفعلا : فعلا إن الكرت يشبه هذه الجهة من المكتبة !

ـ في القصر ثلاث مكتبات ، في كل مكتبة واجهة كهذه الواجهة .. كل طابق جعل جدي فيه مكتبة .. فيقول الضابط الكبير إن مكتبات الثاني والثالث صممت من أجل اللغز ، لم تصمم ابتداء .. في الواجهة المقصودة سبع خزائن، أربع باللون الأحمر وثلاث بالأبيض ، وبرواز أصفر أو ذهب أصفر ، وكل خزانة سبعة رفوف ، وكلها مليئة بالكتب ..وتبين لهم أن الحروف الظاهرة على البطاقة هي أول حرف من كلمة مكتبة بسبع لغات منها العربية والإنجليزية والروسية والتركية والفارسية ؛ لكن لماذا هذه اللغات السبع ؟ فالعربية مكتبة فالإنجليزية بوك شوب وهكذا .. عرفنا في هذه الرحلة الكرت ماذا يعني عندما رأينا المكتبة والرموز الحرفية ؟ علمنا ماذا تعني ؟ أما الكتاب في الخانة الأولى والرابعة مرتين والسابعة مرة والأرقام الأربعة ماذا تعني ؟ هل رمز الكتاب هو رسم مساعد أن هذه الحروف تعني كتب ؟ لم نعرف .. بعد فشلنا عدنا ، وبعد حين عاد الرجل الخبير بالأسرار وطلب الذهاب إلى القصر ثانية ، وبعد أسبوع عدنا بخفي حنين كما يقال ، لم نفقه شيئا زيادة على المرة الأولى .

فقال ونحن نفترق : عليك بقراءة كل هذه الكتب أو تبحث فيها لعلك تجد ورقة رسالة أخرى .. وأنا ليس لي همة يا أبا ناصر .. ولا أحب ذلك القصر ، وصرفت النظر عن بيع القصر احتراما لجدي ووصيته .. وترك الأمر كما هو .. حتى تحل الشرطة قضية مقتل الجد .. فأبقى المحامي القصر على ما كان ، ولم يصرف أي موظف قبل إغلاق الملف ، وله ربما سنتان ولم نعرف القاتل ولا الكنز ..فهذه قصة الجد بسيم وكنزه .

فقرر بشر قائلا : لدينا لغزان يا أديب .. لغز جريمة القتل الغريب .. ولغز الكنز المالي والوثائق المهمة والخطيرة

ـ أجل أيها الصديق .



عاد بشر للالتقاء بأديب وزوجته سعاد ، ولما قضوا عشاءهم انتقلوا للجلوس كعادتهم في مكتبة القصر ـ مكتبة الجد بسيم التي كان يجلس فيها كلما حن للحياة مع حفيده الذكر الوحيد الباقي من سلالة بسيم الجدية ـ واستقرت خالة أديب في غرفة الاستقبال حيث التلفزيون والمدفأة التي تستأنس بها رغم أن التدفئة المركزية تشع الدفء في جميع أنحاء القصر

قال بشر بعدما استقر قعودهم على المقاعد الأثيرة والمريحة في جوف المكتبة ، ووضع الرسائل التي أخذها وقرأها في البيت على منضدة صغيرة وعلق : لم تضف شيئا جديدا كما قلت لي .. بعض مشاهد حياته ، والمهم فيها التركيز والتحفيز على البحث عن الكنز قبل بيع القصر .. فهي تكرار لما جاء في الرسائل الثلاث الأول .. والكرت هو مفتاح اللغز الأول للكنز .

ـ هل وجدت شيئا جديدا ؟

ضحك بشر وقال : لست بالمحترف ، ولا حتى الهاوي في مثل ذلك ، فحتى الكلمات المتقاطعة التي يهواها الكثير من قراء الصحف .. لست فهيما في حلها .. ولا حتى السودكو الياباني .. لدي ثقافة فقط يا أديب .. وقتي دائما مشغول .. اسأل سعاد عن ذلك ..

ضحك أديب وقال : لا داعي لسؤال سعاد فأنا أصدقك .. وأنا مثلك لا تستهويني هذه التسليات إلا في الحدود الدنيا .

فقالت سعاد التي لزمت الصمت منذ بدأ شقيقها في الاستماع والاهتمام بموضوع الكنز : بشر لا هواية له إلا الكتابة والقراءة .. قليل من اللعب كان يمارسه في البيت أو في النادي الذي كان يشترك فيه والدنا قبل موته .

دعوا لعيسى الذي أتوا على ذكره بالرحمة ولجميع أموات المسلمين .

وقال بشر : قلت إن الرجال الثلاثة الذين استعنت بهم أنت والمحامي الكبير الدكتور داود محمد فسروا هذا الكرت بأنه واجهة إحدى المكتبات .. ولكنهم وجدوا في القصر ثلاث مكتبات ، كل مكتبة فيها واجهة تشبه البطاقة .. وقضيتم شهرا دون الكشف عن مفتاح وشيء

آخر يبدد الظلام والغموض .

ـ نعم ، الضابط الكبير أحد رجال فك الشيفرات ، هو الذي كشف فكرة الكرت وواجهة المكتبة لما لاحظ واجهات المكتبات الثلاث ربط بين الكرت والواجهات .. ليس كل جدران المكتبة .. جهة واحدة فقط . فقال " الكرت يدلنا على الواجهة التي علينا الاهتمام بها " ووجدنا كل واجهة سبع خزائن ، وكل خزانة سبعة أرفف .. وكلها مليئة بالكتب ، وقسم أحمر وقسم أبيض . فقال الرجل: صممت هذه الخزائن من أجل لغز جدك بسيم يا أديب " وكان واضحا أن مكتبة الطابق الثاني والثالث أضفن من أجل لغز الكنز .. لأن المكتبة في الطابق الأول مصممة مكتبة ابتداء ..لأن خزائنها صممت في الجدران أثناء البناء .. إنما وضع لها الخشب والديكور وإطارات للزينة والديكور .. وحولت جهة منها فيما بعد ؛ لتكون سبع خزائن ، وكل خزانة بسبعة أرفف ..كان واضحا أن التعديل كان من أجل البطاقة واللغز .

وعرفنا أيضا أن الحروف السبعة تعني الحرف الأول من كلمة مكتبة بلغات سبع .. بماذا نفسر ذلك؟ ربما كما قال أحدهم للتأكيد أن بحثنا يجب أن ينصب في المكتبات فقط .. وبحثوا أيضا عن مكان يصلح لإخفاء الكنز ، فلم يجدوا مكانا لإخفاء المجوهرات .

ـ عدد الكتب كثير في مكتبات القصر .

ـ حوالي مائة ألف كتاب ومجلة .. وجدي له قدرة على التعامل بثلاث لغات يا بشر سوى العربية .. تعلم نصف الإنجليزية أيام انتداب بريطانيا على بلاد الشام وبعض الفرنسية .. وتعلم البرتغالية في أثناء وجوده في أول هجرته للبرازيل .. وبعض الإسبانية .. ثم الهندية لما نقل بعض نشاطه إلى الهند .. فلذلك تجد في مكتبته ، وحتى هذه التي نجلس فيها كتبا ومجلات من تلك البلاد ، وبتلك اللغات .. ومرات لا يحتاج من العاملين معه للترجمة .. المهم فسروا الحروف بأول حرف من كلمة مكتبة بتلك اللغات من قارات مختلفة .. فهلا وجدت شيئا تفسيرا آخر ؟

ضحك بشر وقال : يا صديقي يا أديب .. أنا لم أفكر بحل آخر ..ولن أستطيع أن أفكر به ..

لست من هواة فك الشيفرات والرموز والكنوز .. فخالي محمد محسن لما سمع بعض الكلام من شقيقاتي حول الكنز ورسائل جدك .. طلب مني الاهتمام بالموضوع والاستماع إليك .. لنعمل على معرفة مكان إخفاء الكنز .. الأرقام لم يعرف أولئك الخبراء عنها شيئا ..

ـ لأ ، لم نفهم منها شيئا رغم مكثنا الوقت الكافي والممل هناك ، وإن قال أحدهم ربما تعني كتابا في رف .. الرفوف كثيرة وممتلئة بالكتب .. أي رف في أي خزانة ؟ هناك إحدى وعشرون خزانة .. كل خزانة فيها سبعة رفوف .. قاموا في البحث في بعض الرفوف بدون جدوى .. لأنه غير واضح لنا عن ماذا نبحث ؟.. رسالة .. شيفرة .. كتاب بأي لغة .. يصاب المرء وهو يطلع في الكتب بالإحباط واليأس .. فقال أحدهم : لابد من التنقل في المراحل تلو البعض.. مرحلة تتبع مرحلة .. فنحن لم نعرف المرحلة التي بعد الكرت .. وهل الكرت صمم لمرحلة واحدة أو لأكثر ؟.. وبعد عودتنا طلب أحدهم الزيارة مرة أخرى فذهبنا ولم نجد شيئا جديدا إلا مزيدا من الإحباط يا بشر .. فقال لي " أسرار جدك في المكتبة ؛ ولذلك صمم في كل طابق مكتبة ، ومكتبة الطابق الأول أعظمهن وأكبرهن ".. هل لدى خالك الفاضل خطة معينة نعمل عليها ؟

قال بشر وهو يرشف ما تبقى من شاي في كوبه : قال خالي لابد من زيارة القصر ومعرفة أسراره لحل هذا اللغز .. والقصر كما أخبرتنا بني على مرحلتين مرحلة في حياة والدك ومرحلة بعد الغدر به .

ـ أجل يا سيدي كنت طفلا عندما بدأ الإنشاء الأول .. وكمل بعد الحادث بسنتين .. انتهى في عام ٨٤ كنت في الصف النهائي من الدراسة الثانوية.

ـ آيا سعاد هل عندك شيء ؟

تبسمت سعاد وقالت : سمعت كل كلامكم من اليوم الأول ، وقرأت رسائل الجد قبلك ومعك وبحماس وشوق ؛ ولكن أديبا يقول لا تتعبي فكرك حتى تضعي مولودك ، فجدي لا يريد بيع القصر ؛ فلذلك وضع هذا اللغز ، ولن يكون حله سهلا .

فضحك بشر وقال : المهم أن هناك حلا .

فقال أديب باسما : أكيد ما دام قد وضع هذا الكرت ، وهذه الرسائل بين يدي .

بعد صمت قصير عاد بشر يقول : أريد أن تعطيني عناوين الرجال الثلاثة ؛ لأقابلهم وأستمع إلى وجهات نظرهم في لغز الكنز الخفي لغز جدك بسيم

ـ حالا .. وعليك بلقاء المحامي داود محمد .

ـ شكرا ، وسأفعل بعد لقاء أولئك الرجال .. وقبل مغادرتي اسمح لي بسؤالك سؤالا خاصا ـ فأشار له برأسه أن نعم ـ لماذا لم تتزوج في حياة جدك بسيم رغم لهفته الشديدة لذلك كما يبدو في هذه الرسائل ؟!

ـ بصراحة كنت مرعوبا من ذلك الحادث المرعب يا بشر .. كنت غير راغب بربط امرأة في حياتي ذلك الوقت ..وكنت متوقعا لانفجار آخر .. كنت قلقا وما زلت قلقا .. وكان لقائي بشقيقتك الفاضلة على غير ميعاد محفزا لي على الزواج ..القصر حقيقة محصن .. والسيارة الخاصة بي محصنة .. والأعمار بيد الله عزّ وجل .. التوترات .. كان الجو يزعجني يا بشر .. ولكن بموت جدي ـ رحمه الله ـ خفت حدة هذه التوترات .. ولم يحدث شيء مثير بعد مقتله وعدم معرفة القاتل ما زال يؤرقني .. ولكن لابد للحياة أن تمضي .. وكما قلت قبل لحظات التقائي بالسيدة العزيزة سعاد شجعني على الإقدام على الزواج فأرسلت خالتي إليكم .. وكانت الفاضلة قد مهدت لها الطريق .. وكان قدر الله قدرا مقدورا .

نهض بشر مصافحا لسعاد وقال : حفظك الله يا أديب .. أنت إنسان فعلا كما يقال اسم على مسمى .. هادئ ووديع .. أو كما يقول جدك حمل وديع ولا تحب المشاكل ولكن العبء الذي حملك إياه جدك كبير ؛ بل يريد تحميل أبنائك جزءا منه وحادثة مقتل جدك ما آخر أخبارها ؟

ـ التحقيق أغلق حتى تظهر أدلة جديدة .. كيف ستظهر ؟! لست أدري .. هناك جريمة .. هناك اتصال الضحية بالطبيب .. الذي وصل إليه فوجده مضروبا بالرصاص .. جريمة وقاتل ورصاصة من رصاص القصر .. ولم توجد طلقة مفقودة لدى الحراس الخمسة .

قال بشر : أنت اليوم مطمئن على حياتك من الغدر والعدو الغامض !

ـ أنا ما زلت أعيش كما كنت أعيش أيام جدي لكن بحذر أقل .. لليوم لم أعرف قتلة أسرتي قديما .. وكذلك جدي .. لماذا صرع هؤلاء وهذا ؟! هل القتل للانتقام فقط ؟ لم يحصل سطو لم يطلب أحد مالا .. لم تظهر عمتي البرازيلية ولا نعرف بحياتها وموتها .. هل لها أولاد كما يعتقد الجد ؟ .. رغم ما أعرفه عن جدي .. فحياته مليئة بالغموض والأسرار .. والحق لا يهمني معرفة هذا الغموض وهذه الأسرار .. لأن الرجل قضى جل شبابه متنقلا بين مناطق الحروب والقتال .. ولكن لو علمت لم قتل فذاك مقبول ومريح للنفس .

أعاد بشر مصافحة سعاد وأديبا وهما يقفون أمام البيت يودعونه فقال : رحمه الله .. رتب لي لقاء مع المحامي يا أديب .

ـ سأفعل .

قالت سعاد بعد قفلهم الباب : لن يهدأ لبشر بال حتى يحل لغز الكنز .

ابتسم أديب : أتظنين ذلك يا سيدتي الكريمة ؟! إنك متفائلة جدا .

ـ هو الآن يعتبرها قضية صحفية .. وهذا طبع أخي إذا اهتم بقضية ما .. ولا تنسى أن خالي في الموضوع .

ـ لعل الله يوفقنا هذه المرة .

ولما انطلق بشر بسيارته قال : بعون الله سنحل لغز الكنز ، ولغز جريمة القتل ما دام القاتل محبوسا في القصر لليوم !



أخذ بشر أرقام هواتف الرجال الثلاثة الذين استعان بهم أديب للمساعدة في كشف مكان الكنز الصحراوي ، فلما اتصل بهم معرفا بنفسه ، فوجد أنهم يعرفونه ويقرأون الكثير من مقالاته في الصحف والمجلات المحلية ، ويعرفون خاله محمد محسن ، وقد شاهدوه في بعض محطات التلفزة معلقا مناظرا ، فالدكتور بشر رجل معروف في الوسط الإعلامي ، وهو قد درس القانون ، ثم الصحافة ، وحصل على شهادة دكتوراه في الإعلام .

فزار أول الثلاثة اللواء المتقاعد من الأجهزة الأمنية منسي عودة ، فاستقبله الضابط الكهل ، ورحب به بكل محبة ، وقال وهما يجلسان في غرفة الضيوف في بيته الواسع : أنا سعيد باللقاء بك يا دكتور بشر .. وعجبت من حديثك حول الكنز الصحراوي واهتمامك بالموضوع ؟!

ـ أنا لي اهتمام به منذ عهد قريب يا سيدي .. فالسيد أديب منذ شهور تزوج شقيقتي الصغرى المهندسة سعاد .. وتزوجها بعد وفاة جده .. ووصل الكلام حول الكنز لي ولخالي محمد محسن ، فطلب مني خالي الاهتمام بقضية مقتل السيد بسيم الجدية وكنزه الصحراوي .. وقابلت المهندس أديبا ، وقرأت الرسائل الخاصة بموضوع الكنز ، ورأيت الكرت المفتاح ، وسمعت منه عن جهودكم الجبارة ..

دخل الشاي إلى الغرفة فسكب الضابط الأكواب وقال : يا أهلا بك يا ولدي العزيز !

فشكره بشر ، ورشف رشفات متتابعات من كوبه ، ثم عاد يقول : وصلت لي أخبار الكنز كما قلت ، وتحدثت مع أديب .. فالرجل الميت تعلم من خلال قراءة رسائله لحفيده أديب مليء بالغموض والأسرار ..والسيد أديب تأثر جدا بحادث مقتل أبيه وأمه في ذلك الانفجار المرعب ، وصدم ونأ بنفسه عن مغامرات جده .. فلما لمس الجد من الحفيد الذكر الباقي له من صلبه تهربه من الزواج ، وتحمل المسؤوليات الكبيرة لإدارة الثروة التي يملكها ذكر له القليل من المعلومات حتى يحافظ على نفسه ويحذر .

ـ كلامك في محله يا أستاذ بشر .. فالمهندس من الواضح أنه قليل الاهتمام بحياة جده كما تقول

والجد أنا أعرفه أثناء عملي في المخابرات .. فهو رجل قوي وشجاع ومغامر ، وله أصدقاء على مستوى رؤساء دول .. فهو تاجر أسلحة كبير .. وتنقل في مشارق الأرض ومغاربها .. وهو قد استقر هنا رغم صغر بلادنا سكانا وأرضا ؛ لأنه وجد الأمان هنا أكثر من تلك البلاد .. هنا العصابات الدولية المنظمة ضعيفة ..رغم أجهزة الأمن القوية عندهم ؛ لكن البلاد والسكان أكثر فيسهل الإجرام المنظم .. وله هنا عدد كثير من الأقارب من أبناء العم والخال ..وهو مغامر جيد .. وهو رجل يراعي القانون، ويعمل في حدود القوانين المحلية والدولية .. لكن لا تخلو مغامراتهم وتجاراتهم من صفقات مريبة ؛ لكنها تقولب بشكل قانوني مثلا يمنع تصدير السلاح والذخيرة لبلد معين .. هم يلتزمون بهذا القانون ظاهرا .. فعن طريق طرف ثالث يبيعون السلاح .. وهذا الطرف الثالث يظهر أنه محايد .. فيأخذ السلاح ، ثم يهربه للممنوع بيعه له .. وربما في مثل هذه الصفقات تتضاعف أموالهم .. إنها تجارة كما يقولون ولو أنك التزمت الحظر فغيرك سيظهر ويبرز ليسد الفراغ .. تجارة ذكية ومعقدة .. والحروب لا تعرف القانون إلا شكلا .. فكيف إذا كانت الحرب أهلية ؟ .. فلا قانون دولي يحكمها .. وهذه الحروب توفر لهم سوقا كبيرة .. فيجد التاجر منهم أنه يبيع للفريقين بعلم أو لا يعلم ..ومجال الصفقات السرية متاح .. وهؤلاء التجار إذا علمت أسماؤهم أصبحوا في خطر شديد .. فهم أعداء للطرفين .. مع أن همهم هو المال فقط ..لا يهمهم من انتصر ومن انهزم ..وهذا يا أستاذ بشر لا ينكره السيد بسيم ..وهو كان خائفا على أديب خوفا واضحا للعيان في رسائله ..وأن الخطر محيط بهم .. وحماه بماله بإنشاء القصر المحصن وأجهزة الحماية .. والسيارة المصفحة ، وبعض الحرس ..لأنه لا يستطيع حبسه .. بل كانت الدولة تحمي الرجلين بنوع من الحماية الخفية ..لا تكاد ليلة تمضي إلا وتقف سيارات النجدة قرب القصر بدون أن يشعر أديب وغيره بذلك ، وربما ما زالت المنطقة من وظائف رجال البوليس .. فالسيد بسيم قدم لها الكثير من الخدمات السرية والخفية من أهمها صفقات سلاح جيدة بأثمان بخسة ..فحمايتنا سرية للغاية وأنا نفسي التقيت به عدة مرات بحكم الوظيفة .. أما هو لم يطلب منا لشخصه أي حماية

حسب معلوماتي ؛ لأنه ذكي الفكر وكثير التنقل ..وعندما تطلع على حماية القصر الصحراوي سوف تقر بفطنته وذكائه .. ومع ذلك صرع في قصره ، ولليوم لم يحدد شخص القاتل ممن يرقدون في ذلك القصر .

ـ فعلا ، رجل كان يتوقع أن يصرع في شارع عام في سيارة في تفجير .. قتل برصاصة واحدة فقط !

قال منسي : فعلا غريب هذا ؛ لكنه الأجل !..أنا لما تعرفت على المهندس أديب بواسطة المحامي داود محمد .. وقرأت الرسائل التي كتبها السيد بسيم لحفيده للكشف عن الكنز ، وتلك المذكرات التي أثارت شهية رجال الأمن عندنا أكثر من الذهب اطلعت على محاضر التحقيق والطب الشرعي وملف التحقيق الجنائي .. وجدت أن مقتله غامض .. ورغم مرور أكثر من سنة على معرفتي بالسيد المهندس ، وعلى تدخلي في تلك القصة ؛ فإنها ما زالت تؤرقني وتشغل فكري كثيرا ؛ ولكني لم أصل لشيء يا سيدي الصحفي .. والرجل الميت كما تعلم له شركات في أمريكا اللاتينية .. وهو شريك مهم طبعا .

ـ أعلم بالعموم عنها .. وهي ما زالت تدر على حفيده المال .. وأعلم أن أرصدته هنا أسهم في شركات كبرى وأرصدة حسابية ، ومجموعة من العقارات في العاصمة ومدن أخرى كجاد أقرب مدينة على القصر الصحراوي .. لم ينشئ السيد أي شركة تجارية هنا .. مع أني سمعت أختي سعاد زوج المهندس تتحدث أن السيد بسيما كان يهم ببناء فندق سياحي ..

قال منسي : ربما رأى وجود شركة خاصة أنه يعرضه للخطر ..أو لأنه ليس له ذرية تهتم بهذه المشاريع .. وله أرصدة في ألمانيا والنمسا ..هو رجل مليونير إن لم يكن ملياردير .. الذي فهمته من المحامي لصهرك أنهم لا يعرفون كل ما يملك .. لم يحصر بعد ..

قال بشر : إذن في قضية مقتله لم تصل الشرطة لشيء يوصل للجاني ..

ـ المنفذ أحد الناس في القصر ..هذا يؤكده التحقيق لكن من هو ؟ لم تتوفر أدلة واعترافات من جميع ساكني القصر .. والعقل المدبر خارج القصر .. فحسب التقارير والتحقيقات لم تصل

الشرطة لشيء .. فكيف قتل ؟!..أسوار القصر عالية للغاية ومكهربة من أعلى وعليها أجهزة إنذار .. وغرف النوم المخصصة للرجل كثيرة في القصر.. وحتى خادم الغرفة لا يعرف أين ينام السيد تلك الليلة ؟ .. فعندما يحتاجه السيد للمجيء إلى غرفته يستخدم جهاز خاص بينهما .. فيهرع الرجل إليه .. هو في الغالب ينام في الطابق الثاني والثالث .. لأن أكثر عمال القصر يسكنون في الطابق الأول .. وفي ساعة من الليل تنعزل الطوابق عن بعضها يصبح الجميع ؛كأنهم في سجن أو أقفاص مغلقة .. أنا اطلعت على نظام الحماية المعقد هناك .. فكيف وصل الجناة إلى غرفة النوم تلك الليلة ؟.. لن يعرف حتى يعترف الجاني .. فكل غرف نوم السيد في ذاك القصر لها هاتف واحد ..فيستطيع أن يرد دون أن تعرف الغرفة التي تكلم منها إذا رن الجرس يرن في كل الحجرات .. رغم دقة التحصين وصل إليه الجناة ونالوا منه .. القصر فيه يا أستاذ بشر ما يقارب الثلاثين نفرا .. يقومون بأعمال مختلفة .. وهم من جنسيات مختلفة .. فتآمرهم ليس سهلا .. فهم من أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا .. ولا يتكلمون العربية ، لا يتكلمها بطلاقة سوى سكرتيره الخاص مايا .. وليلة الجريمة كان في الهند ، وجاء بعد مقتل السيد على تلفون من زوجته رامان الهندية ..وكان كما قال لي أحد الضباط غاضبا ومعتبرا أن غيابه سبب مقتل السيد ..وأن القاتل استغل فرصة إجازته وسفره العاجل والضروري .. فالشرطة بذلت جهدها ، وإن توقفوا عن التحقيق فما زالت القضية تحت الاهتمام .. وانتظار تطور ما يحرك القضية .

ـ والكنز ؟!

ـ والكنز ـ يا دكتور بشر كما تعلم من الرسائل ـ وضع كحجر عثرة في طريق بيع القصر فور موته .. وكان لدى الجد بسيم أمل أن يولد لحفيده ذرية تهتم بآثار السيد بسيم .. فهو قد مات وقد ترك حفيده الذكر أعزب ..فالرجل يطمع أن يولد من سلالته ابن شجاعا مغامرا كجده بسيم .. وهذا في علم الغيب .. وأن يتوارث كثير من الأبناء مهنة الآباء .. أو قل بعضهم .

قال بشر مؤكدا المعنى : هذا لمسته فعلا في رسائله ، ومن همساته للمحامي كما نقل لي بعضها

أديب ، وقد التقيت بالمحامي داود محمد ، ولكن لقاؤنا لم يمتد بسبب ضغط العمل لديهم ، وقررت أن أخصه بزيارة كهذه في بيته لأسمع منه .

عاد منسي يقول : الكنز!.. قرأت مثلك رسائل السيد بسيم التي كتبها على فترات متباعدة .. وفي الرسالة الثالثة الأمر كان واضحا بأن الكنز خبئ من زمن طويل .. أو بدئ بإخفاء الجواهر والوثائق مع إنشاء القسم الأول من القصر والبناء .. قبل أن تسيطر فكرة اللغز على فكر السيد .. وربما أضيف إليه أشياء أخرى فيما بعد .. لا نعرف ، وحاولنا الحديث مع الخدم في القصر ؛ لكنهم أجانب لا يفهمون اللغة العربية ، ومجموعاتهم أقارب لبعض .. زوج وزوجته .. وزوج وزوجته .. فهم لا علم لهم بوجود كنز ، ولجهلنا بلغتهم لا نثق بكلامهم وصدقهم .. فبعضهم له سنوات طويلة في القصر منذ أسس ..وكلهم متزوجون .. ما عدا ابنة عامل الغسيل والكوي فهي حديثة العمل معهم .. كانت متورطة في تعاطي المخدرات رغم تخرجها من الجامعة .. ووافق السيد على إلحاقها بالعمل أمام دموع والديها .. بل ادخلها مركز معالجة الإدمان حين أتت من أمريكا اللاتينية ..وحتى سكرتيره الهندي تعجب من حديثنا عن الكنز .. فلم يجر بينهما حديث حوله .. فلم نعرف منهم شيئا يساعد في الوصول للكنز .. والشرطة لم تعرف منهم شيئا يساعد في فهم الجريمة .. الكل كان متفاجأ من الجريمة ..ومعنى ذلك أن خدمتهم انتهت في القصر ..أطباء القصر فقط من العرب .. وبعضهم يأتي من العاصمة ، وبعضهم من المستشفى الصحراوي في جاد .. أو ممن عملوا فيه ، وفتحوا عيادات بعد تركهم للمستشفى .. والطريق بين القصر ومدينة جاد مائة كيلو متر تقريبا تحتاج لساعة وبعض الساعة .. لأنها طريق ترابية .. ومن هنا المسافة تزيد على مائتي كيلو متر .. فالقصر يشكل واحة في قلب تلك الصحراء .. ولولا الفلوس الكثيرة ما استطاع الرجل بناءه .. فكان بين اتصال بسيم المختنق كما بدا للطبيب وفهمه بعد مصرعه ، والوصول للقصر يحتاج لزمن يزيد عن الساعة والنصف .. والطبيب يعرف المكان والطريق .. فالسيد بسيم له عمارة ؛ كأنها سبع طوابق في مركز مدينة جاد ، يؤجرها له محامي متعاقد معه ، وهو رجل قانون

متقاعد من القضاء يبلغ الستين سنة .. لما تقاعد من عمله في المدينة هذه كقاضي عاد لبلدته جاد ، وفتح مكتبا مع شريك له .. وصل الطبيب للقصر ومعه شرطي وشخص آخر ؛ كأنه طبيب ..استقبلهم حارس البوابة بدهشة ، فهم لم يبلغوا عن قدوم زائرين كالعادة والنظام المتبع ..اتصل الحارس بالداخل ففتحوا البوابة الإلكترونية من غرفة السيطرة .. ودخلت سيارة الطبيب المعروفة للحراس ، وأصبحت بين السورين الخارجي والداخلي .. لابد من زيارة للقصر لتتعرف عليه يا سيد بشر .. لتعرف حل لغز الكنز ومقتل الرجل .

ـ سأفعل إن شاء الله .

ـ تحدث الطبيب مع خادم غرفة السيد بسيم .. فأخبر الخادم الطبيب أن الرجل صلى المغرب ، وتناول طعامه في المكتبة في الطابق الأول ، ثم وجد ميتا في الطابق الثالث .. وأما المكتبة فهي مكتبة عظيمة بالنسبة لقصر وبيت خاص ؛ كأنها مكتبة عدة جامعات .. وكثرة الكتب فيها ؛ لأنها بأكثر من لغة .. وله في كل طابق مكتبة كما في قصر أديب واحدة أيضا .. تزيد الكتب عن مائة ألف كتاب كما فهمت من السكرتير الهندي مايا .. وفيها كتب بعدة لغات كما قلت قبل لحظات .. فالرجل يقرأ ويكتب بلغات مختلفة .. والرجل قارئ كبير .. ولكني لا أعتقد أنه قرأ كل ما ملك من كتب .. المكتبة الرئيسية في الطابق الذي تناول فيه عشاءه الأخير ـ رحمه الله ـ فالمكتبات في الثاني والثالث أضيفت من أجل لغز الكنز يا بشر .. لم تصمم مكتبات أثناء الإنشاء والبناء .. ففي الطابق مخازن تابعة للمكتبة .. وصممت في كل مكتبة واجهة بسبع خزائن وسبعة رفوف .. لتكون على شكل واجهة الكرت المفتاح الأول في لغز الكنز .. فلما شاهدت تلك الواجهات أدركت أن الكرت أو البطاقة هو إشارة لهذه الخزائن .. ثم فسرنا أنا والزميلان الآخران الحروف بأول حرف من كلمة مكتبة بسبع لغات .. منها العربية كحرف الميم .. بوك شوب الباء الحرف الأول من مكتبة باللغة الإنجليزية .. وكذلك سائر الحروف منها الروسية التركية الفارسية .. لكن لم نفقه ماذا يريد من إدخال هذه اللغات ؟! إلا إذا أراد التأكيد على أن الحل في المكتبة .. أي أن البحث في المكتبة أو المكتبات.. أو التشويش

على الذي يفكر في حل اللغز .. لأننا كما عملت في قسم الشفرة .. نستخدم مرات حروفا وأرقاما للتضليل .. لا يهتم بها الذي يريد حل الشفرة .. إنها لتضليل العدو إذا لقط هذه الشفرة ..فربما استخدم بسيم هذه الفكرة للتشويش والإعاقة فقط .. تأملت المكتبات بشكل جيد ودقيق لعلي اكتشف إشارة منهنّ .. المكتبة في الطابق الأول هي الكبرى .. ومصممة مكتبة ؛ لأن الخزائن من نفس جدران البناء والتصميم .. ثم وضعت الإطارات الخشبية والرفوف الجميلة لها .. ثم حولت جهة منها لتناسب البطاقة عند وضع اللغز فأزيلت بعض الخزائن لتبقى سبع منها فقط أربع حمراء الإطارات وثلاث بيضاء .. والأطراف فارغة إلا من بعض الموائد وأجهزة الحاسوب والطابعات .. وفي الطابق الثاني حولت حجرة لمكتبة صغيرة بواجهتين ، وضعت لهما خزائن خشبية ثمينة من أجود أنواع الخشب والألمنيوم ..إحداهما تشبه البطاقة بسبع خزائن وسبعة رفوف.. والمقابلة ست خزائن وبينهما موائد للقراءة والغرفة مفتوحة من الجهتين بأبواب زجاجية .. وخالية تلك الجهات من رفوف الكتب .. في الحجرة لوحات فنية معلقة فوق الخزائن وهي مناظر طبيعية .. أشجار وبحار .. وغابات .. ومكتبة الطابق الثالث مثل مكتبة الطابق الثاني شكلا وديكورا وهندسة .. وأنا اعتقد أنهما صممتا هاتين المكتبتين من أجل اللغز والكنز .. وهذا ما أكده مايا الهندي .. فهو يعمل في القصر منذ بداية إنشائه ..أو بالضبط كما قال لي عندما انتهى القسم الأول منه .. وهو قد شيد على مراحل المرحلة الأولى كانت الحفر عن الماء .. وتم اكتشاف الآبار ثم وضع خزانات ضخمة للماء والبدء بالبستان .. الذي خلف القصر .. ثم عملت المخازن الأرضية .. والقاعة الجميلة قاعة الطيور .. أو النسور .. وصمم الطابق الأول وبني .. وبعد وفاة ابنه يحيى أضيف سور آخر بعلو طابق ونصف .. والطابق الثاني والثالث .. والرسائل تدل على أنه وضع الكنز قديما منذ عام ٨٤ .. فكرت في الألوان الحمراء والبيضاء ، فلم ألهم شيئا نحوها .. ولكن لما شاهدنا الكرت والخزائن في الطوابق أدركنا أن الكنز له علاقة بالمكتبات .. ولما فهمنا الحروف تأكد لنا هذا المعنى .. ولكن بعد ذلك عجزنا عن فهم شيء إضافي .. أما الأرقام الموجودة على الكرت

فلم أفهمها .. ربما تكون رقم رف ؛ ولكن في أي خزانة .. حاولنا تنفيذ ذلك الفهم فلم نعرف عن ماذا نبحث ؟ وبعد مكث أسابيع اعتذرنا للسيد المهندس وعبرنا عن فشلنا .. أعدت قراءة الرسالة الثالثة فلم يضف فيها شيئا جديدا ، ولم يضف شيئا بعد ٨٧ و ٨٩ وربما أضاف مجوهرات ووثائق أخرى ؛ ولكن العجيب في الأمر أن السكرتير وأهل القصر لم يلحظوا شيئا مما نتحدث به وعنه .. وهذا يدل على حرص وذكاء الرجل

فقال بشر : أشكرك يا سيدي اللواء على تعاونك معي ، وعلى هذه المعلومات القيمة ، وعلى الوقت الذي منحته لي .. وعندما اجتمع بزملائك في البحث عن كنز الجد بسيم ؛ ربما نشكل فريق عمل جديد لنحاول مرة أخرى .. ونناقش الأفكار المناسبة لحل هذه الألغاز .

ـ على الرحب والسعة يا ولدي الغالي! .. المتقاعد من الخدمة يسر ويسعد عندما يجد شيئا يشتغل به كهذا اللغز .



١١

استقبل شاهر المدرس المتقاعد الصحفي بشر عيسى بصدر رحب ، ولما عرف أسباب اهتمامه بكنز القصر الصحراوي قال باسما : يا مرحبا بك يا دكتور بشر .. فالمهندس أديب هو أديب حقا ، ونعم الصهر لكم .. حياك الله وبياك في بيت أخيك الأكبر .

ـ أشكرك يا سيدي .. أنت تعرفت على أديب عن طريق المحامي داود محمد ؟

ـ نعم ، استعان بي الرجل مرة في قضية من قضايا مكتبه ..وعرف هوايتي في قراءة الشيفرات والألغاز ، وأنني أملك أرشيفا جيدا في البحث عن الدفائن والكنوز والقبور والسفن الغارقة فطلب مني المشاركة في كشف أسرار هذا الكنز .. ولكن القراءة والبحث الحقيقي لا يستويان ولكن القراءة قد تساعد إلى حد ما

ـ أكيد ؛ لأن السيد بسيما جاءته هذه الأفكار من قراءة مثل هذه الكتب التي اطلعت عليها وقرأتها .

ـ أحسنت ! ولكننا لم نفك أسرار الخريطة التي رسمها للوصول للكنز حتى أنني شككت أنها لعبة أو حيلة ؛ ليمنع نهائيا بأسلوب ناعم بيع القصر.. ويظل الرجل يفكر في الكنز والوثائق وبعد نظر وتأمل رفضت هذه الفكرة ، فرجل خبير عاقل كبسيم لا يعقل أن يلبس ويسخر من حفيده ..

ـ ربما يطمع الرجل بولادة أحد من أحفاده يهتم بتراثه وأسراره والسير على دربه في المدى البعيد .

ـ فكرة ! وهذا للتاريخ

ـ حسن يا سيدي !.. هل فكرت أو كونت فكرة عن مصرع الرجل في قصره ؟!

فقال شاهر : تحدثنا مع اللواء منسي ، وحدثنا عن استنجاده بطبيب البلدة القريبة من القصر بعد صلاة المغرب .. والحقيقة رغم حبي لقراءة قصص الجريمة والحوادث العالمية والمحلية .. لم أفكر كثيرا بالجريمة ، وقد عجزت الشرطة عن تحديد شخص الجاني رغم إقرارهم أن الجاني

أحد الموجودين في القصر لاستحالة دخول غريب القصر كما يقولون .. فأنا يا سيدي اشتغل ذهني في الوصول إلى الكنز أكثر من الجريمة .. فتشت في الغرف والحمامات والمطابخ والبستان وخارج الأسوار ، بحثت عن نفق سرداب فلم أصل لمكان إخفاء الكنز .. سررنا بكشف اللواء لواجهة من واجهات المكتبة المطابقة للبطاقة .. ولكن لم نتجاوز تحديد مكان اللغز أنه المكتبة .. الحروف السبعة أكدت لنا أن العمل في المكتبة ؛ لكن أين بالضبط وكيف ؟!.. هل للخزائن السبع دلائل ما ؟.. هل للخزانة الواحدة المكونة من سبعة أرفف دلائل معينة؟ .. هل للون الأحمر والأبيض دلالة ما ؟ .. عجزنا عن فهم شيء آخر يا صديقنا الفاضل .. جمعنا الحروف لنخرج منها بكلمة بإشارة .. فكرنا شهرا .. فلم نجد إلا أن تلك الحروف الحرف الأول من كلمة مكتبة بعدة لغات .. لماذا هذه اللغات ؟! لم نرسُ على بر .. الأرقام لم نفقه منها شيئا إلا إنها لمرحلة أخرى .. لم نصل لتلك المرحلة ..

قال بشر : ولكن الكرت دل على الواجهة التي يجب أن يهتم بها ، فتشابهه مع واجهات المكتبات الثلاث يؤكد أن له دلالة عليها ، وتجزئته لسبعة مستطيلات إشارة على الخزائن السبع والألوان للكرت ؛ ربما لها دلالات أخرى والله اعلم

ـ صحيح ولكن الأرقام ماذا تعني ؟! فسرها بالرفوف أي رفوف .. فتنشنا عن شيء في تلك الرفوف عن ماذا نبحث فيها ؟ هناك حلقة مفقودة لم نعرفها .. نبحث عن كتاب .. ما اسم الكتاب ؟ عن بطاقة أخرى ؟

قال بشر : يرى اللواء أنه يجب البحث عن المراحل مرحلة مرحلة ..عندما ننتهي من مرحلة نبحث عن التي تليها ..فالترتيب خطوة خطوة هو الأفضل

قال شاهر : أكيد هذا، لابد من التسلسل في الانتقال .. فمرحلة البطاقة التي تركها الرجل بين أيدينا دلتنا لحتى ذلك الوقت على أن نشاطنا يجب أن يحصر في المكتبة .. في واجهة معينة .. هذه آلاف الكتب في الواجهات الثلاثة .. فاستعراضها صعب وقراءتها أصعب وأعقد ، وفيها كتب بلغات أجنبية كالبرتغالية والإسبانية .. فلم نفهم ماذا يريد منا فهمه في المكتبة ؟ الحروف

دلت على لفظ مكتبة بلغات سبع .. لماذا اللغات السبع ؟

ـ يا سيدي الكريم بعد أن أسمع أقوال حسن عبد الرحمن سنعمل على اجتماع مائدة مستديرة وسيكون معنا خالي محمد محسن الصحفي المعروف .. ونفكر بحل هذا اللغز .

ـ أنا تحت أمرك يا أخ بشر ، ويسرني المشاركة في هذا اللقاء ، والمساعدة في حل لغز قصر السيد بسيم الجدية .. فأنا بعدما قضيت شهرا في ضيافة صهرك أديب المحترم عدت للقصر مرة أخرى بعدما راجعت عددا من كتب تهتم في مثل هذه المواضيع .. وعجزت أيضا عن فهم شيء .

وتحدثا في أحوال عامة ، ثم استأذن بشر عيسى بالانصراف على أمل اللقاء .



تابع بشر تحركاته حول قضية الكنز الخفي التي تعهد لخاله بمتابعتها وحلها أو يصلون لطريق مسدود .

استقبله حسن عبد الرحمن المشارك الثالث في محاولة الوصول لمقر الكنز النهائي ، وبعدما تم التعارف بينهما ، وقد ذكر بشر أسباب اهتمامه في الموضوع ، فسر حسن لمعرفته ببشر ، والمصاهرة التي بينه وبين أديب المهندس ، فعقب قائلا : هو شاب أديب كاسمه .. وأعطاني انطباعا أنه مهتم بالأمر لرغبته على إظهار حبه لجده بسيم الذي يسر له كل هذه الأموال والحماية .

وحسن شرطي ضابط صف خدم في الشرطة في جهاز المختبر الجنائي ، وكان بارزا في عمله ، ولما أنهى خدمته من فريق الشرطة عمل في أمن خاص أهلي أو مدني ، وكان من ضمن عمال الأمن في المجمع الذي توجد فيه شركة محاماة داود ، فتعرف على المحامي وموظفي المكتب ، وأصبح بينهم ود وعلاقة خاصة فترة من الزمن ، ولما تغير مكان عمل حسن ظل على اتصال

بين الحين والآخر بالسيد داود .

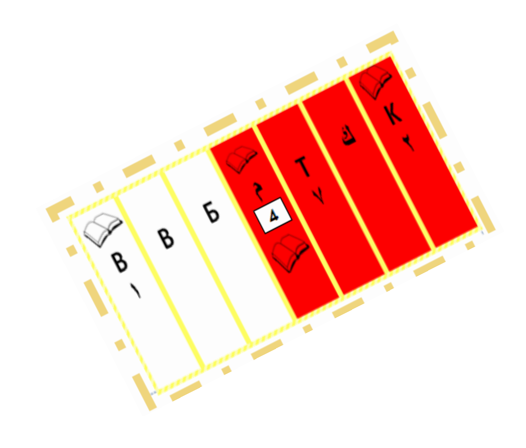
قال بشر : أنت ذهبت معهم للقصر بصفتك هاو في البحث عن الدفائن ؟

ـ عرفت هذه الهواية أيام خدمتي في الشرطة ، واطلعت على الكثير من وثائق ودفاتر يهتم بها الباحثون عن الكنوز .. فعرفت رموز حيات دواب طيور .. استخدمها أصحاب الدفائن للدلالة على أماكن دفن الكنوز .. وقد كنت حدثت المحامي عن بعض هذه المغامرات .. فلما تعرض لقصة الكنز الصحراوي تذكرني وتحدث معي .

ـ طيب .. ماذا تقول في كنز القصر الصحراوي ؟

ـ ضمني المحامي للفريق .. وأخذت معنا جهاز الكشف عن الذهب والمعادن .. ولكن لم نوفق .. لم نجد رسومات معينة على الجدران.. القضية لم تكن سهلة .. نحن بحاجة لمفاتيح أكثر للوصول إلى الكنز .. رغم فهمنا أن الكنز مربوط بالمكتبة .. بحثنا في المكتبة بين الرفوف يوجد آلاف الكتب والمجلات ، وجدنا بعض الكتب تهتم بالشيفرات السرية ، ولم نجد فيها شيئا مهما يساعدنا على الوصول للكنز .

ـ على كل حال سنعيد الكرة مرة أخرى .. وخالي محمد محسن مهتم في الأمر .. ولسوف ندعوك لاجتماع لمناقشة خطوات العمل ؛ لعلنا أن نصل لشيء هذه المرة .



عقد الاجتماع المنتظر في قصر أديب على مائدة العشاء ، فبعد أن تناول الضيوف الطعام المقدم لهم جلسوا في غرفة استقبال واسعة ، ووضع أمامهم خدم البيت الفاكهة الطازجة والمكسرات والقهوة المرة وأنواعا مختلفة من علب العصير والكولا .. والخالة أم سالم عادت تجلس في غرفة التلفزيون ، وأمامها هي الأخرى سلة الفواكه والمشروبات الساخنة ، وقدامها أو قريب منها مدفأة خاصة .. وجلست النساء في قاعة خاصة قريبة من قاعة الرجال .

رحب السيد أديب بضيوفه من جديد أحر ترحيب ، وشكرهم على الاهتمام بقضيته وتعاطفهم معه ، ولما انتهت المجاملات والدعوات لخص لهم بشر القضية التي يلتقون من أجلها ، وشكر لهم تعاونهم وجهدهم للمساعدة في حل لغز الكنز الصحراوي ثم قال : كلنا اطلع على رسائل السيد بسيم ـ رحمه الله ـ خاصة الرسائل الثلاثة المهمة .. ونحن نجتمع هذا المساء للبحث عن الكنز الذي أراد الرجل أن يصل إليه حفيده قبل أن يتمكن من الخلاص من القصر الصحراوي بالبيع أو غيره .. واتفقنا أن الجد الجدية وضع هذا الكنز عقبة أمام حفيده ليمنعه من بيعه سريعا .. وترك لنا الجد كرتا أو بطاقة صغيرة كمفتاح لحل موضع الكنز الخفي .. وكلنا على ما اعتقد نقر أن الرجل امتاز بالذكاء والشجاعة ومقارعة أماكن الخطر والعصابات في أمريكا اللاتينية وآسيا ..وقد توصلتم أن الكرت رمز وإشارة لواجهة أو واجهات المكتبات في القصر الصحراوي ..والأحرف السبعة تؤكد هذا المعنى ، وأن المكتبة فيها خريطة الكنز السؤال لكن أين ؟ لم تصلوا للكتاب أو الرسالة للخطوة التالية .. هذا ملخص القضية الأولى التي اجتمعنا من أجلها أيها الرجال .. فماذا عندكم من اقتراحات من ملاحظات بارك الله فيكم ؟

خيم عليهم الصمت للحظات ثم قال اللواء منسي : أنا أقترح أن نذهب جميعا إلى القصر الصحراوي لقضاء نهار فيه .. نخرج مبكرين في يوم عطلة ، ونتناقش هناك ؛ لعل شيئا يحدث من جلوسنا جميعا هناك ؛ لأن الرجل أكد لنا أن كنزه في القصر ؛ بل داخل القصر في إحدى

الغرف الكثيرة التي قد تصل إلى مائة ما بين حمام وغرفة .. ما رأيكم بهذا الاقتراح ؟

قال المحامي : أيها السادة الكرام ..حادث مقتل صاحب الكنز السيد بسيم الجدية خلال بضعة أشهر سيكمل موته السنتين .. ولليوم لم نعرف الجاني الغادر الأثيم من بين سكان القصر .. ولليوم لم يتصل أحد يطلب شيئا .. سوى أنني تلقيت بعض الرسائل من المحامين في البرازيل ومدن أمريكية جنوبية يعرضون بيع حصص بسيم في تلك الشركات .. وصديقنا المهندس يرى أن تباع وتحول الأموال للاستثمار هنا ؛ لأنه لا يحلم يوما بالسفر لتلك البلاد ..أو تحول إلى بنوك أوروبا والبلاد العربية .. وأنا أخذت الكلام على شكل جدي ، وأسعى على تنفيذه .. ولا أعتقد أن هذا الطلب له دخل في الجريمة .. لأننا إذا بعنا سنضطر لصرف سكان القصر الصحراوي ، وبعض من يعمل هنا .. وسنلجأ لعمالة محلية .. فعلينا إغلاق ملف جريمة القتل مع ملف الكنز .

قال محمد محسن الصحفي الكبير : أنا تحدثت مع بعض الأصدقاء الذين لهم باع في التحقيقات الجنائية والبوليسية ..ووقع الاختيار على العقيد المتقاعد حاتم بُس ، فهو كما أخبرت من أفاضل وأكفاء ضباط التحقيقات في الجرائم خاصة القتل .. وربما أخونا الفاضل اللواء منسي يعرفه .

ـ نعم أعرفه معرفة جيدة ، وهو كما ذكرت ، وهو من أكفأ الضباط الذين عملوا في قسم الجنايات الكبرى على مستوى البلد والمنطقة العربية

عاد محمد يقول : والسيد أديب بعد حديث معه وافق على تكليفه بكشف الجاني لإغلاق ملف القضية بالتزامن مع ملف الكنز والقصر .. وسيساعده في التحقيق كما أخبرني العقيد حاتم زميل له اسمه مالح رشيد .. فهم يحققون في الجريمة ، ونحن نحقق في الكنز .

ودار نقاش وحوار بينهم حول القضيتين ، وحول اقتراح منسي بزيارة القصر الصحراوي على صورة نزهة صحراوية ، وختم الصحفي بشر اللقاء قائلا : جميل كل ما قلناه ـ أيها الكرام ـ الليلة !.. وتغمرنا السعادة بالتعرف على حضراتكم واللقاء بكم.. وعليّ أن أرتب معكم في

أي جمعة سنرحل إلى القصر العتيد .

قال منسي : رتب الأمر يا دكتور بشر .. فهذا الأمر سيسلينا خاصة نحن المتقاعدين ، فنجد شيئا منشطا لأدمغتنا .

ثم أخذ الضيوف بالانسحاب رويدا رويدا ، والمهندس أديب يشكرهم ويصافحهم ومعتذرا لإزعاجهم في قضاياه الخاصة ، ولما انصرف الجميع وأغلق باب الطابق التفت إلى زوجته سعاد التي كانت تقف خلفه مودعة لشقيقها وزوجته وخالها وزوجته وقال باسما : كيف حالك بعد هذا الاجتماع الحاسم ؟ ومتى ننتهي يا سعاد ؟!

تبسمت لزوجها وقالت : قل هل بدأنا يا عزيزي ؟

ـ أعتقد هذا .



رتب بشر الرحلة وحدد الجمعة المناسبة ، ووافق الجميع عليها ، وكان التجمع في السادسة صباحا أمام بوابة قصر أديب الجدية ، ولأن الرحلة جماعية ستكون في باص حافلة سياحية صغيرة ، وسيقودها سائق أديب الهندي نور ، وهو من رجال وأعوان السيد بسيم ، فهو سائق وحارس في نفس الحين ، ومعه زوجته وأطفاله الثلاثة ، ويسكنون في الطابق الأول من القصر وكان داود قد اتصل بزميله المحامي في مدينة جاد ـ المدينة القريبة من قصر بسيم الصحراوي ـ اتصل به ليلة الجمعة ليرتب لهم وليمة من أحد مطاعم تلك البلدة ، فعرض الرجل ضيافتهم ؛ ولكن المحامي شكره واعتذر له ، ودعاه لمشاركتهم الطعام في القصر ، وبين له رغبة الضيوف بأكل طعام خاص دون طعام القصر المتوفر فيه طهاة وخدم ، وابتاع أديب وبشر مجموعات من صناديق العصير والمثلجات والماء وكميات من الفواكه الطازجة ، وحضرت ترموسات الشاي والقهوة ، واشتريت المكسرات والموالح ، فقد جعلها القوم نزهة ورحلة إلى الصحراء

وزيارة للقصر العتيد .

ولما تجمع القوم في ذلك الصباح الربيعي الجميل ، وصعدوا للحافلة السياحية التي استأجرها لهم المحامي ، وقد ركنوا سياراتهم الخاصة بجوار القصر ، ولما كمل ركوبهم ، وصعد معهم أحد الخدم ليقدم لهم المشروبات أثناء الرحلة التي قد تستغرق أكثر من ساعتين إلى ثلاث ساعات .. أمر السائق بالانطلاق إلى الصحراء صحراء لغد ، فهو يعرف طريقه جيدا لفعله ذلك من قبل ، ونظر بشر لساعته وقال: السابعة والنصف أيها الأصدقاء نتمنى لكم رحلة طيبة ونزهة ممتعة إلى قلب الصحراء ..

وبعد ما يقارب ساعات ثلاث كانوا يقفون أمام القصر الصحراوي ، وكانت سيارة مطعم تقف قبلهم أمام القصر تحمل لهم فطورهم ، فتح حارس القصر الباب الرئيسي لهم ، وهو يفتح أوتوماتيكيا بواسطة محرك كهرباء ، وكان السكرتير الهندي مايا ، وزوجته رامان في استقبالهم ، وجاء بعض الخدم يدخلون الطعام إلى داخل القصر ، وادخلوا صناديق الماء المعلب والعصائر والفواكه وترموسات القهوة والشاي ، ولما انصرفت سيارة المطعم دخل الرجال التسعة القصر ، ثم تبعهم السائق نور ، والخادم اللذان اندمجا مع السكرتير الهندي وزوجته بالحديث عن أخبارهم وبلادهم .

وبعد أن دخلوا السور الأول .. كان البوابة الثانية في السور الثاني مفتوحة لهم ، وكان الرجال الجدد يتأملون عمارة القصر بفضول وتعجب .

فهو قصر كالقلعة أو الحصن في قلب هذه الصحراء القاحلة ، فهو كذلك جنة فيها أو واحة ، فكان بشر يقول في نفسه " هذا يحتاج لجيش لاجتياحه !" وعقب قائلا " ورغم هذا التعملق لقد نال أعداؤه منه .. رحم الله السيد بسيما " .. " نالوا منه في عقر داره وحصنه !.. من هو المجرم الذي استطاع اقتحام هذا العرين واغتياله برصاصة واحدة بعد تخديره ؟ !"

وقبل أن نسير مع الضيوف القادمين لحل لغز القتل ، ولغز الكنز فلندع صديقنا بشرا يصف لنا القصر كما شاهده ورآه .

قصر شاهق في جوف الصحراء ، يذكرك بقصور الصيد القديمة ، مبنيٌ بالحجارة البيضاء الملساء ، نفس الحجارة التي يبنى بها في المدن المعاصرة ، يرتفع عن الأرض بطوابق ثلاثة وأسفله طابق أرضي وتحته طابق كمخازن طعام وماء وبذور وكوي وغسيل ثياب .

سوره الخارجي يرتفع لمحاذاة الطابق الأول ، وهو يحيط بالقصر والبستان الكبير الخلفي للقصر .. وعلمت أن تحت الأرض خزانات ماء ضخمة كالخزانات التي تستخدم في محطات الوقود .. وأن في بستانه بئر الماء الرئيسية التي ينقل منها الماء لتلك الخزانات الضخمة في أرض البستان ، وكذلك الخزانات الواقعة بين السورين .. السور المحيط بالعمران مركب عليه أضواء كهربائية قوية كالتي تستخدم في إضاءة ملاعب الرياضة ، وهي كما قيل لي تجعل الصحراء في الليل كالنهار وتكشف كل قادم للقصر حتى مسافة بعيدة ، وتضاء من شبكة داخلية ومولدات كهرباء ضخمة ومتطورة تقبع في غرفة كبيرة خلف القصر .. ولها غرفة تحكم خلف حجرة الحارس على يمين الداخل من البوابة الأولى.. ومعها غرفة السيطرة على التدفئة المركزية والمكيفات .. ويوجد على السور أو أعلاه أجهزة إنذار ، وعليه من أعلى أيضا أجهزة صعق تمنع اجتيازه عند تفعليها.

هذا بالنسبة للسور الأول وله بوابة واحدة فولاذية ضخمة تفتح أوتوماتيكيا من غرفة سيطرة وتحكم في الطابق الأول مشرفة على البوابات وفضاء القصر الخارجي ، والذي يجلس فيها يرى البوابة ، وتفتح بأمر من حارس البوابة الذي يجلس في غرفة صغيرة تتسع لسرير واحد .. وفي قلب البوابة نافذة صغيرة يستخدمها الحارس لمخاطبة من في الخارج .

منذ زمن يسير وصلت شبكة كهرباء الدولة للقصر ، فكانت هناك أعمدة كهربائية في طريق القصر كأنها آتية من مدينة جاد ، ومثلها شبكة أعمدة هاتف كلها أقيمت على نفقة السيد بسيم ، وبالنسبة لشبكة الهاتف وصلت منذ شيد المكان ، ولكن أكثر اعتماد القصر على الشبكة الداخلية في الإنارة للقصر نفسه .

أما الصرف الصحي فقد صممت عده حفر امتصاصية خارج القصر ؛ ولكنها ضمن أرض

السيد بسيم ، ولها أنابيب لا يمكن لأحد التسلل منها لداخل القصر

عندما ندخل القصر من البوابة الضخمة والمرتفعة إلى حوالي ثلاثة أمتار ثم فوقها قوس وبناء حتى يتصل بارتفاع السور العالي ، نجد غرفة الحارس على يمين الداخل للبوابة.. وفي نفس الجهة غرفة تستخدم كغرفة نوم وفيها حمام ومطبخ .. وعلى نفس الامتداد غرفة التحكم الكهربائي والتدفئة المركزية ، وتجد أحواض من الأزهار منتشرة بين هذه الغرف .. وعلى يسار البوابة للداخل .. أرض مزروعة كأحواض ومواقف سيارات .. وتوصلك حيث فتحات الخزانات المائية الضخمة المحيطة بالقصر .

السور الثاني أقل ارتفاعا من الأول .. وله بوابة حديدية عليها رسومات نحاسية جميلة لحيوانات الغابة ، وأيضا تفتح أوتوماتيكيا من غرفة التحكم في الطابق الأول حيث يكون أحد الحرس يديرها ، والمسافة بين البوابتين حوالي تسعة أمتار .

ويوجد على ظهر أو سطح القصر عدة أبراج صغيرة للحراس ؛ ولكن لم يكن فيها حراس ، ولم تستخدم منذ إنشاء القصر لهذا الغرض ، لكنها واضحة للعيان موهمة للناظر أن فيها حراسا .

للسور الداخلي المحيط ببناء القصر بوابة خلفية ينفذ منها الشخص إلى البساتين الخلفية حيث الشجر والثمار الممتدة على أرض واسعة بين السورين ، ولون السورين على صفار كلون رمال الصحراء رغم أنه مشيد من حجارة ملساء بيضاء ، قد طليت باللون الصحراوي في كثير من الأماكن .

تستطيع السيارة الدخول من الباب الرئيسي إلى الداخل ، فهناك أكثر من سيارة تقف كل منها في موقف خاص بها ، سيارات خاصة بالقصر ، وسيارات مصفحة للسيد بسيم .

بعد اجتياز البوابة الثانية يقابلك مدخل القصر نفسه حيث يواجهك مدخل الطابق الأرضي بعد صعود لسبع درجات من الرخام ، ويوجد على يمينك ممر يؤدي إلى المسير نحو البستان من جهة اليمين ويصعد بك إلى مدخل الدرج حتى الطابق الثالث أو الطابق الأرضي والقبو

الذي تحته ..وممر اليسار أيضا يدور بك من جهة اليسار إلى البستان أو الصعود للطوابق من جهة اليسار كنظام بعض المستشفيات والفنادق لها أكثر من مدخل .

وبوابة السور الثاني الداخلي فيها باب صغير لدخول الأفراد بدون فتح الباب الكامل ، وهو يفتح أوتوماتيكيا كسائر أبواب القصر ، بل وجدنا أن طوابق القصر تعزل كل طابق لحدة في الليل .. يغلق الطابق بأبواب متحركة ، لا يستطيع أحد الانتقال من طابق إلى آخر خاصة الطوابق الثلاثة في ساعة معينة من الليل.

دخلنا من الباب المؤدي للطابق الأرضي حيث وجدنا صالة واسعة ، بعد صعودنا الدرجات السبع.. ولما تصبح فيها ترى قاعة رخامية في الجهة المقابلة للداخل وتلمس الهواء البارد .

همس لي أديب : هناك بوابة سرية للقصر من سرداب متصل بالصحراء ؛ ولكني لم أرها ، ولا أظن أن أحدا يعرفها .. ربما من البستان أو داخل القصر .. ربما من طابق المخازن .. ولكننا لما قدمنا قبل سنوات للبحث عن كنز جدي .. لم نجدها ولم نعرف مكانها .

ـ ولا السكرتير الهندي مايا !

ـ ولا مايا .. سمعت جدي يتحدث لي عنها مرة .. عندما قلت لو حصرت يا جداه من جيش أو عصابة قوية .. فقال هناك منفذ سري لقلب الصحراء .

فهززت رأسي طبعا متعجبا من ذكاء هذا الرجل في إنشاء هذا البناء الشاهق هنا في هذه الصحراء .

دخلنا الطابق الصالة الكبرى ، وعلمنا أن تحتها طابق يعتبر كمخازن للقصر ، فيه مواد الطعام وفيه حجرة كبئر ماء يأتي إليها الماء من الآبار الضخمة ، ومنها تصعد لخزانات مياه على ظهر القصر وتوزع على حمامات ومطابخ القصر .. وهذا الطابق أنشئ في أول البناء أثناء الحفر للآبار ، ثم أقيم الطابق الذي دخلناه ، وهو على مستوى الأرض ، ثم أقيم الطابق الأول .. وبعد حين يسير بعد حادث موت والد أديب زاد بسيم فيه الطابق الثاني والثالث فصار بناء من خمسة أدوار .

والطابق الأول بعد أن تصعد الدرج وتدخله من الباب الأيمن أو الأيسر تجد مجموعة من الغرف والأجنحة تمتد على شكل حرف نون معكوسة .. حتى تصل الدرج من الجهة اليسرى إذا دخلته من اليمين.. ومكان النقطة النونية مجموعة من الحجرات ، منها غرفة التحكم والمراقبة الأمامية .. وضمنها المكتبة الضخمة.. وبعض الحجرات كمكاتب للإدارة .. والمطبخ الرئيسي وقاعة الطعام ، وهناك صالتان كناديين .. وسكان القصر موزعون في أغلب غرف الطابق الأول .. والقليل منهم في الطابق الثاني .. فهم قريب من ثلاثين موظفا وعاملا وصالة الطعام العامة في الطابق الأول .. وعلمت أن الغرف كثيرة ؛ ويقع في كل طابق حوالي ثلاثين غرفة بين مطبخ وحمام وحجرة نوم .. وأكثر بقاء السيد كان في الطابق الثالث حيث يعيش بمفرده .. وله غرف نوم قليلة في الأول .. لا أحد يعرف أين ينام في كل ليلة ؟ .. مع بعضهم أجهزة إلكترونية خاصة يتصل بهم ويذكر لهم مكان نومه عند حاجته لخادمه أو سكرتيره .. وفي هذه الغرف المخصصة لنوم السيد الكبير تلفون متصل بمقسم داخلي .. فعندما يحتاجونه يرن في جميع الغرف الخاصة به .. فيتكلم معهم دون أن يعرفوا مكانه بالضبط وهناك خط تلفون لا يمر عبر المقسم متوفر في بعض الأماكن كمكتبه الخاص في الطابق الثالث والمكتبة في الثالث والثاني والأول .

قال بشر : باب هذه القاعة ـ قاعة الطيور في الطابق الأرضي حيث يستقبل الزائر بعد قطعه مسافة الصحراء ـ يعد الباب تحفة فنية من أجود أنواع الخشب كالأبنوس أو الماهوجني ، وملصق عليه صور لبعض الطيور الصغيرة من الأمام والخلف ، وهي داخل إطار من النحاس الطبيعي ، وهذا الباب تحت مظلة من القرميد الأحمر حتى الدرج الذي صعدناه ، وعرضه ثلاثة أمتار ، وارتفاعه متران ونصف تقريبا .. الباب لوحة فنية كبيرة وجميلة .

وتابع الرجل قائلا : لما أصبحنا في القاعة الكبرى رأينا في الصدر مجموعة من الأعمدة الرخامية الضخمة تذكرك بالأعمدة الرومانية والإيطالية ترتفع لأكثر من خمسة أمتار تشكل قاعة داخل القاعة ، وفيها مقاعد وثيرة من الأرائك والكنبات الراقية ومساندها على شكل

طيور ، وهذه الأعمدة الرخامية عددها تسعة ، أي كل ثلاثة تشكل خط مستقيم ، بين كل عمود والأخر ثلاث أمتار ، والعمود بسمك متر.. فتصبح القاعة تسعة في تسعة ، وعلى أعلى رأس كل عمود ثلاثة طيور جارحة ، عمود مجسم عليه نسور ، وآخر صقور ، وآخر عقبان ، وآخر غربان ، وآخر طواويس ، وآخر طير البوم ، وآخر باز أبيض ونسر الكوندور وصقر الشاهين .. بعضها ينشر أجنحته ، وبعضها يضمها ، وبعضها فاتح فمه ، وبعضها مغلقه .. وسقف القاعة سماء مليئة بالطيور ، والأعمدة الرخامية على جدرانها أشجار عليها صور عصافير وسناجب وبومات ..

وقال بشر : وعلى يمين المدخل للطابق الأرضي ممر يتجه لدرج الطابق الأول ، ، وهناك مدخل يقودك للدرج الذي على اليسار حيث البستان أو الصعود للطوابق العليا .. وتجد حجرات سوى قاعة الطيور إحداها لتغيير الملابس أو خلعها ، وغرفة كمطبخ صغير ، وحمام ومرحاض وأحواض للغسل مغاسل .. وفي جدار قاعة الطيور أو الأعمدة التسعة باب لا يستخدم إلا نادرا كقطعة من جدار تلك القاعة الرخامية وخلفه مصعد يصل للطابق الثالث ، وقد أضيف من سنوات قريبة كما قال السيد المحامي ، ويوصل إليه أيضا من أبواب جانبية ، وفي داخل القاعة ممر خاص يوصل إليه ، وغالبا يستخدم من الطوابق العليا ؛ لأنه يغلق في الليل مع إغلاق أبواب الطوابق حتى لا يستخدمه أحد للصعود للطوابق العليا .

القاعة الرخامية مثيرة للدهشة والإعجاب ، وأنت جالس فيها تشعر كأنك في غابة مليئة بالطيور المتنوعة .. وهي خاصة لاستراحة الضيوف والزوار .

قال بشر معجبا : عندما تجلس فيها تشعر براحة وسعادة بعد رحلة الصحراء ، فيذهب عن نفسك الإرهاق والتعب والكآبة التي أحاطت بك وأنت تجتاز الثمانين كيلو مترا في الصحراء الجرداء الحارة .. هذا كان شعور كل من رافقنا في تلك الرحلة ، فجلسنا على المقاعد الوثيرة المستوردة ، ومكيفات التبريد تملأ الصالة هواء باردا منعشا .. وكانت الأعمدة تسعة ووسطها في نصف القاعة عمود بالرخام الإيطالي الأسود فتسألت ونحن نشرب المثلجات لماذا تسعة ؟

ولماذا هذا أسود ؟ وفي أعلاه ثلاثة نسور تكاد تطير .

قال الصحفي بشر : حقيقة الجلوس في تلك القاعة بين الأعمدة الرخامية التسعة المزخرفة بالأشجار والطيور وتلك الطيور الكبيرة في أعلى الأعمدة .. يشعرك بالسعادة ، وكأنك بغابة وبين الأشجار العملاقة الممتدة إلى السماء ، قدمت لنا الفواكه والفطور والشاي في تلك القاعة.. وشرق القوم وغربوا بالمديح والإعجاب بالسيد بسيم .. وتعجبنا نحن الجدد الزوار الجدد من العمود الأسود في وسط تلك الحجرة ، والأغلب تسأل عن سبب توسطه فيها ولونه الأسود .. حتى أنك عندما تحدق في عين بعض الطيور تحس أنه سينقض عليك ليؤذيك أو يداعبك .. وتتعجب من صنع مجسمها .. بعد الفطور قمت بتصوير تلك القاعة من جوانب متعددة .. ووعدني أديب بإعطائي المزيد من الصور التي صورت للقصر ومقتنياته .. وأخبرني أديب أيضا أن هناك قاعة مليئة بالصور والرسومات في الطابق الثاني .

وقال أديب ممازحا : يبدو أن سعاد لم تخبرك جيدا عن قصر الجد بسيم !

ـ لم تفصل لي شيئا .. هل رأته هي ؟

ـ قضينا فيه بضعة أيام بعد زواجنا .

ـ سأعمل جولة ـ أنا ومن رغب من الأخوة الأفاضل ـ في القصر وبستانه .. المرء لا تتكرر زيارته لمثل هذه الأشياء العظيمة .. جدك سواح عالمي .. فهذا العمران يدل على خبرة كبيرة له في أنحاء العالم .

ما زلنا نحن وإياكم في القصر ، وكان الصحفي بشر متعجبا جدا من قاعة الأعمدة الرخامية في الطابق الأرضي للقصر وعلم من السكرتير الهندي أن الصور والتماثيل من تصميم فنانين إيطاليين ويونانيين

فقال لنفسه : فقد وفق السيد في وضع هذه القاعة في استقبال الضيوف بعد مسير طويل في طريق مترب إلى هذه القصر .. جميل أن يجد الإنسان نفسه في غابة بين الطيور والأشجار !

وقد أثارت القاعة بجمالها وحسنها وبردها متعة الزوار الجدد ، وقد بهرتهم هذه الغابة ، فجرى بينهم تلقائيا حديث عن كيفية بناء وتشييد القصر ، ومن وضع الرسوم الهندسية له ؟ وعن شركات الإعمار والبناء التي بنته . وأجاب المهندس أديب : حسب معلوماتي البسيطة .. أن القصر بني على مراحل .. تم الحفر عن الماء ، ولما أخرجت المياه من أعماق الأرض ، وضعت لها خزانات تخزين ضخمة .. بعضها على الجهة اليسرى بين السورين .. ثم بدئ ببناء السور الخارجي وإنشاء البستان الخلفي للقصر ، وفي نفس الوقت بناء الطابق الذي تحتنا .. ثم الطابق هذا حيث هذه القاعة .. والطابق الأول .. وعلمت أن شركات أجنبية التي اشتغلت في هذا البناء .. ثم الطابق الثاني والثالث .. قامت ببنائه شركة هندية عالمية .. وشاركت شركات حماية وأمنية بوضع الأبواب الخاصة وحماية الأسوار .

فقال محمد محسن مادحا : جدك ذكي جدا يا أديب ! ولم أكن أتصوره بهذا الذكاء والخبرة .. لابد أنه الذي كان يتخيل القصر ، ثم يطلب من المهندسين بوضع رسوماتهم .. فهذه القاعة لابد أنه أخذ فكرتها من إحدى القصص والكتب .

ـ تقريبا كما قلت يا دكتور .. كان جدي مستغلا لوقته في المطالعة والثقافة .. ويتأثر بما يقرأ فصنعت المياه المستخرجة هذه الواحة في هذه الصحراء الصفراء.. وكمل بناؤه في الأربع والثمانين أي قبل عشر سنوات تزيد قليلا .

كانت أجهزة الهاتف موزعة في الصالة وبكثرة ، وبعضها له أشكال وصور طيور وحيوان ،

بعضها معلق على حامل ذي شكل معين ، وبعضها على رف بارز وبعضها داخل كوة صغيرة وعلل أديب كثرة الهواتف في هذه الصالة حتى يرد الشخص أو يتصل حيثما يقف أو يجلس ، وأن جده لم يحدثه بسر كثرة هذه الأجهزة المنتشرة في هذه القاعة .

تطرق الحديث بينهم حول صلاة الجمعة ، أين سيؤدونها ؟ وقد اقترب وقتها فقال أحدهم : هل سنصليها هنا أم نسير إلى مدينة جاد إلى أحد مساجدها ؟

مدينة جاد تبعد عن القصر الصحراوي حوالي مائة كيلو متر ، فقال اللواء منسي : يا قوم نحن في حالة سفر .. والمسافر حسب ثقافتي البسيطة يحق له ترك الجمعة ويصليها ظهرا ويجوز لنا قصر صلاة الظهر الرباعية إلى ركعتين .

وقال المحامي داود : ويحق لكم جمع صلاة العصر معها .

فقال منسي : صدقت ، فعندما يحين وقت الصلاة .. نؤذن لأنفسنا ، ونصلي إن شاء الله .. فالأستاذ حسن كان شيخنا في الزيارة السابقة يا أستاذ بشر .

فاستحسن الضيوف إفتاء واختيار اللواء.. فأغلب الضيوف كبار السن ما عدا بشر وأديب والمحامي .

قال بشر : بعدما رتبنا أمر الصلاة صعدنا للطابق الأول حيث المكتبة .. وكان الرخام يغطي جدران البناء من الداخل .. والحجرات والغرف حيث يسكن عمال القصر مبنية على شكل حرف نون مقلوبة ..والنقطة تشكل المكتبة وغرفة التحكم ومكاتب القصر .. وهناك صالة طعام واستراحة ومطبخ رئيسي .. وغرفة واسعة تشكل قاعة جلوس ونادي .. مشينا نحو قاعة المكتبة الكبيرة في القصر .. حيث كانت قاعة جميلة وفيها ديكورات مثيرة .. وسقفها مشيد بالجبص والصور ذات الألوان الممتعة .. وهي من صنع مهرة في الجبص والتصوير من الأجانب .. ووجدنا الواجهة التي تشكل الخزائن السبع التي يرمز لها الكرت حقيقة .. قسم أحمر وقسم أبيض ، وكل خزانة بسبعة رفوف ، ومصنوعة من أثمن الخشب والدهان .. وفيها طاولات جميلة للمطالعة وآلات تصوير ، وعدد من الحواسيب وبجوارها غرفة نوم للسيد

بسيم كان يجلس فيها ليستريح ، وقال الهندي مايا من النادر أن ينام فيها ليلا ، كان يستخدمها للنوم في النهار ، وهي مغلقة كغيرها من غرف نوم السيد ، وللمكتبة مدخلان متقابلان وبجوارها مخزن خاص بالمكتبة وهو غرفة كبيرة ، وفيه مشغل صغير لتجليد الكتب .

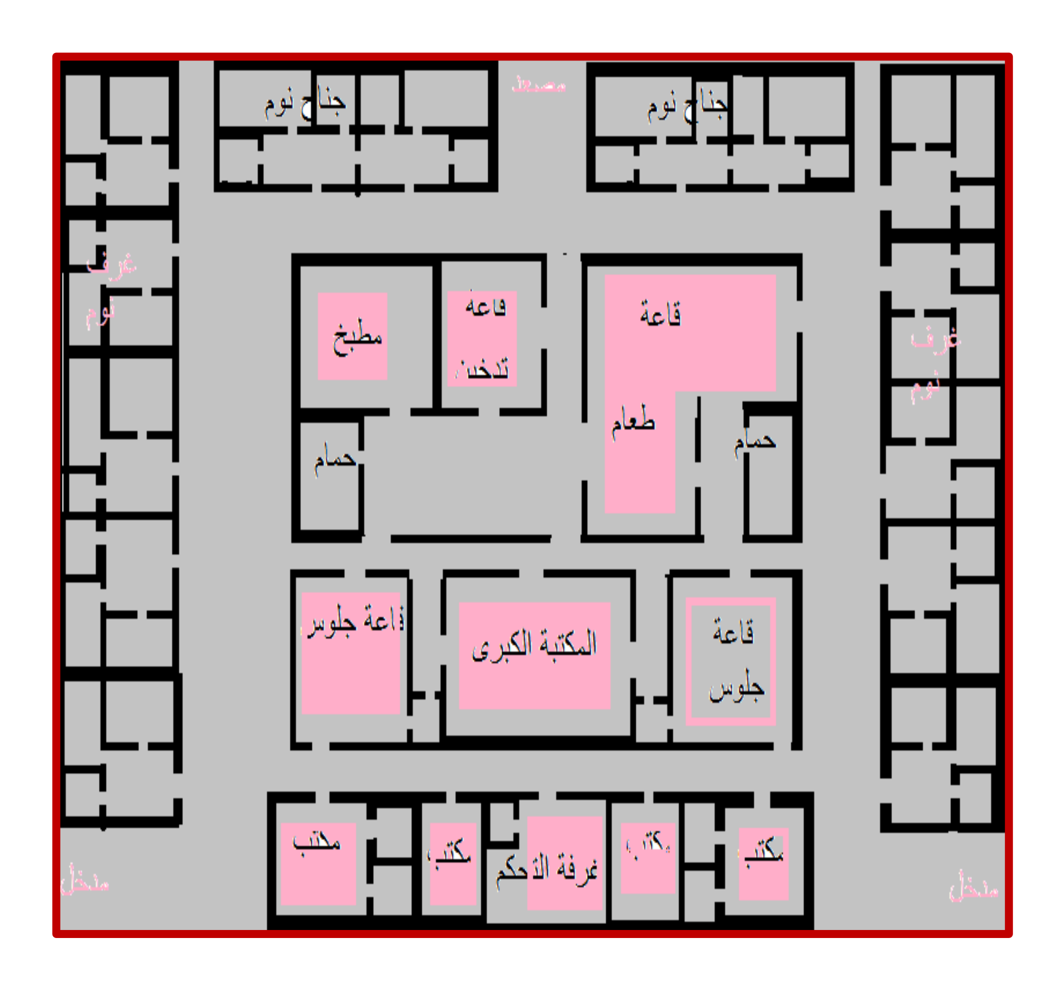
جلسنا في المكتبة وبعضنا أخذ ينظر في رفوف وأسماء الكتب وقال أديب : معظم غرف هذا الطابق مشغولة ومسكونة برجال القصر وموظفيه .. كل رجل وزوجته يسكنان جناح أو شقة والأكل جماعي .. ثلاث وجبات يوميا .. ومع ذلك كل شقة فيها مطبخ صغير للشاي والقهوة وبراد { ثلاجة صغيرة}.. وتلفزيون .. شقة مفروشة .

قصر متوفر فيه أفضل الأشياء المادية ووسائل الراحة ، حتى أن فيه مسابح ماء حيث البستان والأرض المزروعة .. وعرائش من القماش وعرائش الشجر خاصة شجر العنب .. فلم يبخل السيد بسيم بماله وثروته على هذا البناء بالجمال وبوسائل اللهو والمرح ، وبكثرة الغرف ، وكافة وسائل الحماية التي قرأ عنها أو علمها والتي ذكرنا بعضها ، وسنطلع على الباقي خلال سردنا لحل لغز مقتله في جوف قصره هذا ، وكشف سر كنزه .

لقد وافاه الأجل في قصره المشيد في حجرة في الطابق الثالث بعد تناوله العشاء وصلاته لصلاة المغرب .

لقد وصل إليه العدو رغم الأمن والحذر فكيف كان ذلك ؟! فهذا ما ستعرفه بإذن الله تعالى في الورقات القادمة .

لقد وصلوا إليه في النهاية ونالوا منه ، وكيف سيصل التحقيق إليهم ؟ فريق سيصل للقاتل الرهيب في جوف القصر ، وفريق سيصل للكنز والمذكرات الخطيرة .. مذكرات تاجر السلاح المخضرم !


جناح نوم
جناح نوم
غرف نوم
غرف نوم
مطبخ
قاعة
طعام
حمام
حمام
قاعة جلوس
المكتبة الكبرى
قاعة
جلوس
مكتب
غرفة التحكم
مكتب
مدخل
مدخل

١٤

قمنا نحن الزائرين الجدد بجولة في طوابق القصر ، وصعدنا إلى سطح القصر ونظرنا الصحراء المهيبة ورأينا البستان الخلفي للقصر أو قل الغابة الجميلة ورأينا بعض سكان القصر ينتشرون فيها ولمحنا بعضهم عند مسابح الماء يلهون ويسبحون .

ولما هبطنا للطابق الثالث قادنا اللواء منسي إلى الحجرة التي اغتيل فيها جد أديب الجدية .. كانت غرفة يستريح فيها الرجل إذا ترك المكتبة وهي مجاورة لمكتبة الطابق الثالث .

وواضح للعيان أن مكتبة الطابق الثاني والثالث أضيفتا من أجل لغز الكنز .. فهما عبارة عن حجرات نوم حولتا لمكتبتين بمهارة وفن أيضا .

والغرفة المجاورة للمكتبة غرفة نوم بحمام ، فكان فيها السرير الذي هلك عليه الرجل ، ولها نافذة تطل على البستان الكبير ، ولها نافذة أخرى تطل على مساحة فارغة ..أو ردهة صغيرة بين غرف أخرى وللردهة تلك نافذة تطل على البستان أيضا .

قال منسي لنا ونحن نقف في الغرفة : هنا قتل الرجل !

وشرح لنا منسي كيف وجدت الجثة بناء على أقوال وتحقيقات الشرطة والطبيب المعالج .. فقال : بعد تناوله العشاء وانصراف الخدم ..استلقى السيد على هذا السرير أو جلس عليه .. انتشرت في الغرفة مادة مخدرة فاتصل بالهاتف بالطبيب جادور ..هو لم يقل له إنه يتعرض لخطر داهم .. إنما طلب من الدكتور المجيء فورا .. والدكتور زعم أن في صوته حشرجة .. ووجدت الشرطة آثار قرص ينبعث منه مادة غازية ؛ ولكن الجاني الذي خدر الرجل بواسطة هذا القرص فتح نوافذ الغرفة بعد ارتكاب جريمته .. فلما وصل الطبيب ومعاونوه استنشق القليل من بقايا الغاز المستخدم .. وهو غاز مخدر ..لأنه لم يبق له أثر عند التشريح وسبب الموت الرصاص لا الغاز .. والرجل وجد نائما على ظهره والرصاصة في جبينه .. واخترقت الجمجمة واستقرت في أرض الغرفة أسفل السرير .. ولم يكن هناك مقاومة فدل هذا على أنه كان مخدرا .

فقال العقيد حاتم : لم يقل للدكتور عما ألم به ؟

ـ ربما لم يدرك السيد أنه يتعرض لتخدير ، أو لم يكن يظن أنه يتعرض لمؤامرة داخلية .. فشك في شيء عارض ، ويبدو أنه يحفظ رقم الطبيب ، فضرب رقم الطبيب .. ولكن التخدير أفقده الصواب .. أو أن القاتل منعه من إكمال الاتصال

ـ ولكن تقرير الطب الشرعي يفيد أنه قتل بعدما خدر .. فقولك أنه فقد الوعي أصح والله اعلم .. أيمكن أن يخدر بواسطة طعام العشاء ؟

ـ ممكن ؛ ولكن كما أشرت لتقرير الطب الشرعي لم يكن التخدير عن طريق المعدة والجوف .. كان التخدير عن طريق الرئة والهواء .. غاز خاص دخل الغرفة أفقده الوعي .. لذلك فتح الجاني النوافذ وأزاح الستائر لتبادل الهواء .

قال العقيد : لكن الطبيب غير متأكد من وجود غاز في الحجرة عندما اقتحمها .

ـ لا تنسى أنه وصل بعد الاتصال بساعتين تقريبا يا سيدي .. والغرفة معروفة للحارس الذي يتفقد الأبراج قبل إغلاق الطوابق ..عندما شاهده أمامها لم يكن قد نام بعد ولم يصل العشاء فالجريمة وقعت بعد صلاة المغرب ، وبعد تناول طعام العشاء ..

قال حاتم : علمت أنه كان يجلس في المكتبة يتحدث بالتلفون ، وكانت المكالمة مع الأرجنتين ، واستمرت نصف ساعة ، وبعدها طلب العشاء ، وأكله في غرفة الطعام ، وليس التي وجد فيها ميتا برصاصة واحدة .. وكان التلفزيون مفتوحا وبغير صوت كان مكتوما .. خادمه الخاص قدم لها الطعام والشاي ، ثم انصرف حسب العادة .. ومن العادة إذا احتاجه ليلا أن يستخدم جهاز الاتصال الذي بينهما ، ويذكر له المكان المتواجد فيه .. فالتصور الشرطي أن الرجل كان يتفرج على التلفزيون ..فأحس بألم أو بالرائحة .. وتضايقت نفسه ، فاتصل بالطبيب مباشرة دون سنترال القصر ..وأثناء المكالمة فقد الوعي كاملا .. ولم توجد بصمات هنا إلا للخادم وخادمات تنظيف الغرف وللرجل بسيم ..

قال منسي : عليك بلقاء الطبيب والشرطي الذي صحبه عند اكتشاف الجريمة ..

ـ سأفعل يا سيدي .. وسنقرأ ملفات التحقيق التي جرت هنا في شرطة المدينة جاد .. وسيكون لنا مكتبا في عمارة السيد في المدينة .

تحدث منسي عن معلوماته التي اطلع عليها من ملفات التحقيق وتمنى التوفيق للعقيد حاتم ورفيقه مالح .

ولما نزلنا إلى مكتبة الطابق الأول المكتبة الرئيسية خاطب العقيد حاتم المحامي : لم يغادر أحد الموظفين البلاد ؟

رد المحامي : لحتى الآن لا رغم موت الرجل من سنتين ، ولكن إذا تم تصفية شركاته الخارجية أي أخذ نصيبه منها سنضطر إلى إنهاء خدمات كل العاملين هنا وسنقدم لهم حقوقهم المالية المناسبة .. فسيد القصر لم يعد بحاجة إليهم .. والشرطة لم تسمح لهم بمغادرة البلاد قبل القبض على الفاعلين .. والسكرتير الهندي أو الباكستاني عند مقتل السيد كان في إجازة ولما بلغ بالجريمة حضر بأسرع وقت ، وأدلى بشهادته ، وأخبر أن حياة السيد كانت في خطر ، وقد تلقى تهديدات بالتلفون وبالبريد ؛ ولكن السيد لم يعرها الاهتمام الكافي ، وكان يقابلها بعدم الاكتراث ويقول :"سيد مايا لم يبق من العمر الكثير" ويبتسم

فقال حاتم :إذن كل الخدم والعمال ما زالوا يعملون هنا .

ـ أجل

ـ وحضرة السكرتير الذي استقبلنا هو نفسه مايا .

ـ نعم ، هو لم يكن هنا ليلة الحادث ، كانت زوجته هنا لم تسافر معه .

ـ أيوجد أطفال هنا ؟

ـ نعم ، يوجد أطفال وإذا حان وقت دخول المدراس يرسلون لبلادهم ، ويتعلمون على حساب السيد في مدارس داخلية في بلادهم ، ويأتون في الإجازات الصيفية لوالديهم ، ويرتب سفرهم وإجازاتهم مايا الهندي أو يسافر الوالدان لقضاء الإجازة عندهم .. السيد يراعي العواطف والحاجة الإنسانية ..أما الصغار دون سن المدرسة يبقون مع ذويهم هنا .. والرجل

كان يستقبل ويستضيف في هذا القصر ضيوفه الأجانب وشركائه .

ـ هو من غير زوجة كما فهمنا ؟

ـ زوجته الأولى أم يحيى جدة المهندس ماتت قديما قبل موت ابنها يحيى ..ولما هاجر البرازيل أول مرة تزوج امرأة من هناك ، ولدت له بنتا ثم طلقها ؛ ولكنه كان يتردد عليها من أجل البنت .. والبنت لما بلغت عشر سنوات اختفت أو خطفت ..ولما رجع بعد حين يسأل عنها أخبرته أمها أنها عادت لبعض الوقت .. ولكن لظروف عمله وسفره المتكرر لم يتمكن من رؤيتها ، ولم يلتقيا بعد اختفائها ..وكان يترك لها بعض المال عند أمها ويغادر .. وهو لا يعرف هل هي حية أم ميتة ليوم وفاته ؟ وهل لها ذرية أم لا ؟ كله مجهول

عاد حاتم يقول للمحامي الذي تابع تحقيقات الشرطة سابقا : الشرطة لم تشتبه في أي فرد من هؤلاء ؟

ـ هؤلاء كلهم رعايا أجانب ، ولم تجد الشرطة لدى أحدهم دافعا وسببا لارتكاب الجريمة إلا إذا كان الدافع الانتقام ..

بعد لحظات صمت خيمت على السامعين قال حاتم : كم عدد الموظفين في القصر إذا كان عندك علم بذلك ؟

قال داود : نعم عندي علم يا سيدي ..لأن مكتبنا القانوني هو المكتب الرئيس لمعاملات السيد بسيم منذ أيام والدي ـ رحمه الله ـ فحسب معلوماتي هنا حوالي ثلاثين فردا ربما يزيدون واحدا أو اثنين ..وتوثيق عقودهم لدينا في المكتب .. ونحن نصرف لهم رواتبهم الشهرية أو السنوية أو نصف السنوية حسب رغبة المتعاقد .. وهناك مصاريف أخرى كالتعليم العلاج السفر كان السيد سخيا .. والحقيقة أن رواتبهم تحول من مصارف في البرازيل والأرجنتين من استثمارات الرجل هناك .

ـ سنأخذ كشفا بأسمائهم وتوصيف عملهم ، ونطلع على جوازات سفرهم لنعرف بلدانهم وحياتهم الاجتماعية .. قد نحتاج يا أبا محمد فريقا من المترجمين .

قال داود : استعان البوليس بمترجمين ، ولم يستفيدوا شيئا من أقوالهم .

قال حاتم : حسب معلومات اللواء منسي أن القاتل منهم من داخل القصر ، ولا يمكن أن يأتي من الخارج ولم يكشف .

ـ هذا قول الشرطة هنا ، وفي العاصمة بلبل ولكن من هو ؟ وهل ينفذ أوامر من الخارج ؟ وكيف حدث الاختراق ؟ فاغلبهم يعمل من سنوات طويلة ..وهذا ما حير البوليس يا سيدي الكريم من من هؤلاء الناس ؟! لم يطلب أحد منهم منذ الجريمة ترك العمل ..مع أن الكل يدرك أن عملهم هنا انتهى .. حتى أننا أوقفنا الإجازات حتى يغلق الملف ويظهر الجاني الغادر .. ولما أغلقت الشرطة التحقيق بدون تحديد شخص المجرمين سمحنا لبعضهم بالسفر والإجازات بحكم الاضطرار .

دهش حاتم وقال: وكم سافر منهم بعد موت بسيم ؟

ـ عدد قليل .. ويشرف على سفرهم وإجازاتهم فعليا السكرتير مايا وزوجته مساعدته ..فنحن لم نفصل أحدا بل نشيع أنهم قد يستمرون في العمل حتى يقرر السيد الجديد أديب إنهاء خدماتهم ، ولدينا كشوفات تبين ترتيب سفرهم ورحلاتهم الخارجية قبل موت السيد .. والسكرتير الهندي هو منسق رحلاتهم وتذاكرهم ومصروفاتهم ، فهو يحسن الإنجليزية ، وكذلك زوجته ، فهما يحسنان الاتصال بهم .. واعلم يا أخي الكريم أن أغلبهم له زوجة هنا عائلات.

قال العقيد : لابد لنا من جلسة مطولة معك يا دكتور داود .. وذلك بعد قراءتي لملف القضية لدى دوائر شرطة جاد وبلبل ..وبعد سماعنا لشهادة الطب الشرعي وكذلك الطبيب جادور مكتشف الجريمة وسأتخذ مكتبا في جاد .

ـ لدينا عمارة كبيرة سنوفر لك فيها مكتبا .

ـ في الغالب سأمضى جل الوقت في القصر خاصة النهار ، وليلنا في المدينة لإجراء الاتصالات الخاصة دون سماع أحد لها من هؤلاء المشتبه فيهم .

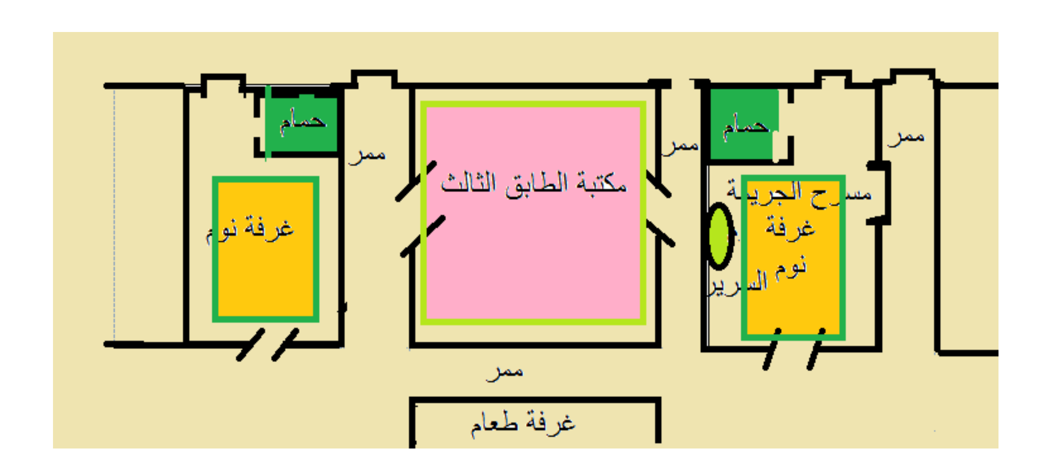
ـ نحن جاهزون لأي خدمة ..وأجرة الفندق وأي تكاليف مهما بلغت نحن مستعدون لتسديدها .

ـ نعم ، سكنى الفندق أفضل من العمارة خدمة الطعام والاتصال .

ـ المهندس أديب قال لي قدم كل المساعدة والتسهيلات للعقيد حاتم وزميله .. سنضع تحت أيديكم غرفة في العمارة كمكتب للتحقيق وإدارة التحقيق .. وسيتم الحجز لكم الليلة في الفندق حجرة لكل واحد منكما .. وأي أموال تلزم فنحن جاهزون لها .. فالسيد ترك الكثير منها فهو يستحق منا أن نبذلها لمعرفة اليد الأثيمة التي اغتالته ..بل يرى المهندس أن القبض على المجرم أكبر وأهم من البحث عن الكنز .. فهو وحيد جده أيها السادة ووارث كل ثروته فأنا أدير ثروته هنا أي أتابع تحركات المال وأتابع إيجار العقارات والسكرتير الهندي مايا يتابع استثماراته في أنحاء العالم .. فالمال والنفقات لا تحسب لها حساب ..اختبارات فحوص رسائل مترجمون خبراء تنقلات .

فقال حاتم : سأفعل أنا والزميل مالح كل ما في وسعنا إن شاء الله ﷻ ..وسنصل لليد الخائنة بتوفيق الله تعالى

ـ أرجو من كل قلبي التوفيق لكما بالقبض على الجاني أو الجناة .



١٥

كان اللواء منسي وزملاؤه المكلفون بالبحث عن الكنز يجلسون في المكتبة في الطابق الأول ـ وهي المكتبة الكبرى في القصر ـ يتحدثون عن كيفية حل لغز الكنز ، وكان الشاي يقدم لهم ، ويتذكرون ما أنجزوه في المرة السابقة ، وكان البعض يتأمل في المكتبة والرفوف والكتب ؛ لعلها توحي إليه بمفتاح جديد بفكرة جديدة .. يفكرون بالطريقة التي رسم بها السيد إخفاء الكنز .. وكان الصحفي محمد محسن يفكر في المكان المناسب لإخفاء الكنز في هذا القصر الواسع الكثير الحجرات ؛ كأنه فندق ضخم وقال لبشر : كثير من الأماكن تصلح لإخفاء الكنز .. كل باب من أبواب القصر يمكن إخفاء الجواهر فيه خاصة الأبواب السميكة الجدران تصلح لذلك .. خلف بلاطة رخامية ..لابد من خريطة تسهل الوصول إليه .

فقال بشر : نعم ، لابد من خريطة يا خال .. فهذه المكتبة وحدها تحتاج لوقت كبير قبل تفتيش هذه الكتب ..وهذه المكتبة بالذات الخزائن في الحائط فيمكن أن يكون وراء كل خزانة مكان سري ، لا يرى فيها من الخشب إلا الرفوف والإطارات المزخرفة .. وكل خزانة عشرة رفوف حتى السقف المزخرف كأنه سماء فوق بحر أزرق .. فهذه الكتب العليا تحتاج لهذا السلم لتناولها ـ وأشار لسلم معدني على شكل رقم ثمانية مركون في الحجرة المكتبة ـ الرجل لديه نظرة جمالية أو ربما شاهد مثلها في إحدى بلدان العالم التي تنقل بينها .

القاعة كلها خزائن مليئة بالكتب ، وفي وسطها موائد أنيقة للمطالعة والجلوس إليها على مقاعد مريحة ، وللقاعة ثلاثة أبواب للدخول والخروج ، وفي إحدى الجهات تلفزيون ، وفي الزاوية الأخرى أجهزة طباعة وتصوير ، وعلى إحدى موائد القراءة جهاز حاسوب شخصي وفي زاوية ثالثة جهاز حاسوب آخر.

تأمل الزائرون الرفوف والجهة التي تشبه الكرت المفتاح ، واتفقوا على إعادة قراءة رسائل السيد ودراستها ؛ لعلهم يكتشفون من خلال سطورها إيحاء معينا معنى جديدا .

فقال محسن : فكرة طيبة ! فلننزل إلى قاعة الطيور نصلي الظهر أو الجمعة إذا أحب أحدنا أن

يخطب فينا .. ثم يقرأ البعض علينا رسائل السيد .

قال منسي : نعم الاقتراح ؛ لأننا لو مكثنا هنا سنة لن نجد شيئا حتى نجد الخطوة أو المرحلة التالية .. فكلنا أتصور يقر للرجل بالخبرة العملية والذكاء والحيلة .

فعاد محسن يقول : وتحت نضع التصورات والاقتراحات لإتمام هذه المهمة .. لا شيء غريب في نظري في هذه المكتبة .. رفوف عليها الكتب كسائر المكتبات .. صح .. سقف القاعة جميل ولوحة فنية .. سماء صافية وغيوم صيفية ، ولا أعتقد أن في رسومها حل اللغز ، ولا أظن أن لها علاقة بكنز السيد الجدية .

فعلق منسي متبسما: هذا فكرنا فيه ، لم نستطع أن نخرج من النظر في السقف برسالة ما .. بشيء ما .. واقتراح السيد محسن اقتراح جميل ..لقد عددنا الرفوف وعددنا الخزائن فلم تكشف لنا أسرارها ..تأملنا مواضيع الكتب والمجموعات فهي كأي مكتبة عامة وخاصة .. لا يوجد فيها شيء مثير وملفت للنظر والفكر .. مكثنا شهرا ها هنا مع الأخوة الكرام فلم نجد شيئا مهما .. حتى وقع في خلدي أنه لا كنز نبحث عنه ؛ لكن لا يعقل أن الجدية ساخر من حفيده وليمنعه من بيعه والاستفادة من بيعه بقصة الكنز ؛ لأنه يعلم أن الحفيد غير مهتم بالحياة في الصحراء .. لا أعتقد أنه يكذب .

فأيد الرجال قول منسي بوجود الكنز حقيقة ، وقال أحدهم : العجيب أن السكرتير التاريخي السيد مايا لم يسمع بالكنز والوثائق السرية الخاصة.

قال أديب معقبا : استغرب الرجل هذه الحكاية ؛ ولكنه اعترف بقدرة الجد على كتم الكثير من الأشياء والأسرار ، فالرجل كما قال يحب الغموض والرموز في أعماله ، وكل الصفقات تعطى رموزا سرية ..كودا معينا .. فهذا من ضمن الصفقات للأسلحة .. وحتى أثناء الاتصالات تستخدم الشيفرات والكلمات السرية للدلالة على الأشخاص أو البضاعة .

هبط الضيوف إلى قاعة الرخام الواسعة وتوضؤا ثم صلوا الظهر والعصر جمعا وقصرا .. وعند الثانية ظهرا كانت سيارة المطعم تقف أمام القصر.. وقام عمال المطعم بإعداد السفرة .. ولما

أكل الضيوف الخروف المشوي والمحشي بالأرز واللحم الناعم والمكسرات ..قدمت لهم المثلجات والقهوة السادة ، ولملم العمال بقايا الطعام وغادروا المكان ، وقام خادم أديب بتنظيف المكان ، ولما عاد الهدوء تابعوا التخطيط والتفكير ، واتفقوا أن يبقوا على تواصل إلى أن يفتح على أحدهم فكرة جديدة ، ثم استعدوا للعودة ومغادرة المكان .. ولكنهم رافقوا المحامي والعقيد حاتم والمقدم مالح إلى مدينة جاد ، والتقوا بمحامي السيد القاضي المتقاعد الذي رحب بهم ، ودعاهم لقضاء الليل في ضيافته .. لكن الزميل داود بين له الهدف من اللقاء به وأبدى الرجل استعداده لخدمة المحققين في القضية من جديد .

ووعدهم بإعداد غرفة في العمارة كمكتب لهما ، ووضع هاتف تحت خدمتهم ، وعامل خدمة ، وإذا احتاجوا لكاتبة فوعدهم بتوفير ذلك .. وأنه سيبذل أقصى طاقة للتعاون للوصول للجاني وسيرتب لهم لقاء مع الطبيب جادور ..وكان العقيد قد طلب تأجيل اللقاء به ريثما يعودان للمكث في الفندق.

ورجعوا للعاصمة في الليل بعد قضاء نزهة في الصحراء ومشاهدة مكان إخفاء الكنز ومسرح جريمة اغتيال السيد بسيم الجدية الرجل الغامض الواضح .



راجع العقيد حاتم وزارة الداخلية والأمن الداخلي ، وقابل السيد الوزير وشرح له مهمته والهدف من الزيارة بكل إيجاز ووضوح ، فرحب به الوزير وأبدى تعاونه الكامل معه ، واتصل أمامه بمدير الأمن العام وقال له وهو يودعه : نحن يهمنا معرفة كل مجرم يا سيدي العقيد .. والمدير محمد راشد هو نفس المدير في نفس فترة الجريمة ، وستجد عنده ما يفيد ، وأتمنى لك النجاح .

وغادره إلى دائرة الأمن الرئيسية ، ورحب به المدير ترحيبا طيبا ـ وهم زملاء ويعرفان بعضهما بحكم عمل العقيد حاتم في الشرطة ـ وحدثه حاتم عن المهمة التي كلف بها .

فرحب محمد راشد به مرة أخرى وهما يشربان القهوة وقال : أنا اطلعت على تقارير القضية ، ورغم اكتشاف الجريمة فور حدوثها .. فهي يكتنفها الغموض ، ومع أن الضباط المحققين اكدوا أن المجرم من داخل القصر لم يعرفوا من هو الخائن بالضبط ؟ ملابسات تمنع اتهام شخص ما ..وإرسال شخص للمحكمة الجنائية بدون أدلة قوية كلام فارغ سيخرج براءة من أول جلسة ..وسكان القصر كلهم رعايا دول أجنبية ، فهم من جنسيات متنوعة الأمريكي الإفريقي الآسيوي .. ولم نجد شاهدا واحدا رأى القتل ..أنا أذكر تلك الجريمة بشكل جيد لأهمية الرجل المقتول ، وأذكر أنني كنت على اتصال دائم بمدير شرطة منطقة جاد .. لأنهم المكلفون بحكم الاختصاص في التحقيق في الجريمة .. ستجد عندنا الملفات والتقارير التي ترسل لنا نسخ منها ..وعليك زيارة الدائرة هنالك والالتقاء بفريق التحقيق والطبيب الشرعي والطبيب جادور .. وأنا أعرف حق المعرفة قدراتك الشرطية والتحقيقية في الجنايات الكبرى وإذا وفقت في كشف الغموض أكون أنا وسعادة الوزير من أسعد الناس بمعرفة الجاني الأثيم.. وكما طلب السيد الوزير سنقدم لك كل المعونة والمساعدة لخدمة العدالة .. وكلنا في خدمة العدالة يا حاتم .. والأخ مالح رجل كفء أيضا .

مشى العقيد حاتم إلى أرشيف الدائرة ، واطلع على ملف القضية والتقارير المرسلة حول

القضية ، وبعد قراءتها وجد أن نشاطه سيكون في القصر الصحراوي ومدينة جاد .. زار المحامي داود واطلع على جوازات سفر سكان القصر ..ووجد كشفا معدا عن أسماء كل من يعمل في القصر ورقم جوازه وجنسيته وطبيعة عمله داخل القصر ، وحالته الاجتماعية متزوج أو اعزب هل أطفاله معه أو ببلده ؟.. رحلاته للخارج عددها وتاريخ سفره في كل رحلة وتاريخ العودة .. كشف فيه الكثير من المعلومات المتوفرة عن كل فرد .

وكان في الكشوفات أيضا وقت التحاق الشخص بالقصر والعمل ، فكان الحرس خمسة أفراد فقط ، أحدهم إفريقي ، واثنان من أمريكيا اللاتينية أحدهما بوليفي والآخر تشيلي ، واثنان من آسيا أحدهما فيتنامي والآخر هندي باكستاني .. فتعجب العقيد من هذه التشكيلة فسأل المحامي عن صفة اختيارهم .

فرد المحامي قائلا : قد تجد عند صاحبنا الهندي مايا الجواب أو بعضه .. ومعظمهم معه زوجته ..كعاملة أو خادمة تنظيف .

وجد أن السكرتير مايا من قدماء العاملين مع السيد ..وأن زوجته الهندية تعمل منذ خمس سنوات فقط ، وكانت أولى سنوات عمله في القصر بدون زوجة رغم أن عمره يقارب الخمسين عاما .

وهناك ثلاثة رجال يعملون كخدم للقصر ومعهم زوجاتهم وهم من جنسيات فليبينية .. وطاهيان ذكران ومعهما زوجاتهم يعملون في مطابخ القصر أحدهما لاتيني أمريكي، والآخر آسيوي .. وفهم من المحامي سبب تنوعهما لأن أكثر ضيوف الرجل من أمريكيا اللاتينية ومن آسيا .. ووجد في الكشف خادم خاص بالسيد آسيوي وزوجته لخدمة السيد شخصيا بتقديم الطعام الشراب تنظيف مكان نومه وجلوسه .. وهناك مسؤول عن المخازن وتوفير المواد بتقديم المطلوب للسكرتير الهندي .. من أطعمة وزيوت ومواد تنظيف وغسيل .. فهو يطلب ما ينقص ويتفقد المخازن وتعمل معه زوجته .. وهناك غرفة غسيل يديرها رجل هندي أحمر وزوجته وابنته الشابة ، وهم من أمريكا الجنوبية ..يغسلون ملابس سكان القصر ثم يكّونها

ويسلمونها لأصحابها ..أما بالنسبة لثياب السيد بسيم فهو متعاقد مع شركة في مدينة جاد لغسل ملابسه وكويها .. وهناك موظف البستان .. وإذا احتاج لمزيد من العمال يذهب لمدينة جاد ويستأجر المناسب للعمل .. وستتعرف على المزيد من عمال القصر في الصفحات التالية .

يوجد في القصر سيارتان مصفحتان قديمة وحديثة يستخدمهما السيد بسيم ، ولدى السكرتير سيارة خاصة ، وهناك سيارة يستخدمها أهل القصر عند الحاجة ، وتوفر الأشياء للقصر عن طريق موردين ومتعاقدين .

ولما سأل حاتم المحامي عن صفة اكتشاف الجريمة رد المحامي : ألم تزر دائرة الأمن يا سيدي وتطلع على الملفات ؟

ـ فعلت يا سيدي المحامي ..ولكن هنا تقارير مختصرة .. التفاصيل كما تعلم تبقى في دائرة التحقيق والمنطقة التي تتبع لها الجريمة .. وسأسافر خلال أيام .. ولما نستقر في الفندق سأتصل بك لتأكد لهم الحجز لي وللزميل مالح .. وهل جهز مكتب العمارة ؟

قال داود : نعم ، المكتب جاهز .. وضع فيه جهازا حاسوب .. وطابعة وآلة تصوير وخزانة ملفات .. وأوراق وهاتف وفاكس .. وعامل خدمة .

ـ أحسنت يا دكتور داود ..أنا كلفت مكتب ترجمة بتزويدي بعدد من المترجمين .. وسأطلب مساعدتك لنقلهم لجاد عند الاحتياج لسفرهم .

ـ نحن تحت الأمر ؛ لأنه من التقدير والواجب علينا للرجل الميت أن نعرف قاتله ونقدمه للعدالة والقانون .. وأنت تعلم أكثر منا أن البوليس يضيق به الحال لكثرة الحوادث وضيق الوقت فتعلق القضايا إلى حين

ـ شكرا ، كيف عرفتم أنتم بالجريمة ؟

ـ نحن كان الرجل يحدثنا عن الخطر أو الأخطار المحدقة به من العصابات والمنظمات السرية وحتى الدول .. أعداء الرجل كثر وأصدقاؤه أكثر .. فمهنة تجارة السلاح مهنة تصنع الأصدقاء والأعداء في آن واحد فالذي تبيعه السلاح صديق والذي لا تبيعه عدو ؛ ولكنها

تدر أموالا كثيرة .. فكان القصر الصحراوي مستقر الرجل .. وهو شرع في بنائه حقيقة قبل محاولة اغتياله بتفجير بيت ابنه يحيى والد أديب المهندس حيث قصره .

ـ نعم ، اذكر ذلك الحادث الرهيب لقد قتلت فيه أسرة كاملة ، ولم ينج إلا شاب صغير فهو صاحبنا أديب

ـ نعم ، نجا بقدر من الله ؛ لأنه لم يبت تلك الليلة في البيت .. وكان المقصود بالانفجار السيد بسيم الجدية .

ـ كنت على رأس عملي أيام ذلك الانفجار ؛ كأنه كان سنة ١٩٨٢ .

ـ يوم خميس في الثامن من شهر تموز .. المهم أن الرجل عمل الاحتياطات اللازمة التي اطلعت عليها بزيارتنا السابقة للقصر تلك الجمعة .. فعل كل ذلك لينام هادئا .. والمال متوفر بين يديه ..وهو من مواليد ١٩١٠م ..فقد أخذ عمرا كافيا كما كان يردد أمامي ، ولا أدري هل يصح هذا التعبير ؟ فقد تجاوز السيد الثمانين سنة ، وكانت صحته جيدة إلا من بعض عيوب وسقم الكبر في العمر.. وكان يتعامل مع فريق أطباء هنا في بلبل وفي جاد ، وعلى رأسهم الأخصائي جادور .. وقد عمل الدكتور جراحا في المستشفى الصحراوي ـ وهو جراح معروف ـ وكان الدكتور متعاقدا مع السيد ..ويذهب للقصر كل شهر مرة ليطمئن على الرجل صحيا ويصحبه طبيب آخر وممرضة ..وإذا اتصل السيد أو السكرتير لبى النداء بأسرع وقت ممكن .. فهو جاهز للخدمة والطوارئ في أي وقت من ليل ونهار .. ويوم عيادته الشهرية يذهب مع مساعده وممرضة عيادته ، ويتناولون الغداء على مائدة السيد ، ويقضون نهارهم بصحبته حتى صلاة العصر .. بل ينزلون البستان أيام الثمار ويأكلون ، وربما يحملون لأهليهم ..وقال لي الدكتور عندما التقيه لدفع أجرته إنه يسر بذهابه ذلك النهار إلى القصر .. وهو يعمل معنا منذ أكثر من عشر سنوات .. أما مساعدوه فهم يتبدلون سواء الدكتور العام أو طبيب الأسنان أو الممرضة فهم لهم عيادة كبيرة في مدينة جاد .

ـ ومرضى القصر الآخرون ؟

ـ يوجد في القصر صيدلية عامة يا عقيد حاتم ..فبعض العاملين لديهم خبرة طبية بسيطة فيقدمون الإسعافات الأولية عند الحاجة ، وإذا احتاجوا لمستشفى فيبعث السكرتير الهندي سائقا ومرافقا للمريض إلى المستشفى ، ويكون قد اتصل بالمستشفى ونسق لاستقبال الحالة أو الحالات ويرسل المريض إما بسيارة الهندي مايا أو سيارة القصر .. وإذا احتاجوا لطبيب ليلي فالدكتور جادور يؤمنه أو يسير بنفسه لمعاينة الحالة .. وإذا كان الطلب ليلا يصحبه شرطي لحمايته ومرافقته.. وهذا بتعاون بين السيد والشرطة؛ لأن السيد يقدم المال والتبرعات لتلك المدينة .. ويذهب الشرطي لحماية الطبيب من الوحوش واللصوص فقد يظهر اللصوص في تلك المناطق بين الفينة والأخرى ..وفي فترة من الفترات داوم طبيب في القصر كطبيب مقيم ؛ ولكن لقلة العمل طلب الإقالة فأقاله السيد أو السيد مايا

فقال العقيد : أيفهم الرجل على هؤلاء الناس ؟

ـ يفهم على البرازيليين بشكل جيد ، وأما الآخرون فيتعامل معهم بالإنجليزية .. فقد تعلم الإنجليزية منذ صغره أيام الاستعمار أو الانتداب ..فالحاجة أم الاختراع .. عندما بدأ التجارة في السلاح أخذ يتعلمها

قال المحقق حاتم: نعود يا سيدي لليلة الجريمة كيف علمتم بها ؟

ـ نعم ، علمنا يا سيدي من الدكتور جادور نفسه اتصل بي مخبرا باغتيال الرجل في قصره ، قال إن السيد اتصل به بعد آذان المغرب مساء يوم الثلاثاء من شهر تشرين الثاني نوفمبر عام ١٩٩٥م قبل أكثر من عام .. وأذكر كان التاريخ ١٤ من ذلك الشهر اتصل السيد به على الخط الخاص وطلب مساعدته وأنه متعب ، وقال الطبيب إن الرجل كان بدون صوت كأنه يختنق يتحشرج فكان متعبا للغاية كما بدا للطبيب ، فاتصل جادور بمساعده الدكتور حازم صنو هو يعمل مع الدكتور في مجمعه الطبي في جاد ، واتصل بمركز الأمن طالبا مرافقا .. ولما تجهزوا انطلقوا إلى القصر في ذلك الليل البارد ، وكانت أمطار خفيفة تتساقط ذلك الليل .. والمغرب في ذلك الفصل يهبط مبكرا لقصر ساعات النهار عن الليل .. فربما كانت الساعة

الخامسة والنصف عندما انطلقوا المهم وصلوا قبل الثامنة بقليل ، ولما اطمئن الحارس تلك الليلة لهم أدخلهم ، وتحدث مع السكرتيرة رامان زوجة مايا ؛ لأن السيد مايا كان مسافرا لبلده في إجازة طارئة وعاجلة ، فاستقبلتهم الزوجة التي لم تصحب زوجها في رحلته مستغربة ، فهي لم تعلم بمرض الرجل ، ولم يتحدث معها ، وتبين أنه تحدث من الهاتف المباشر بدون المرور على مقسم القصر ، اتصلوا بالغرفة التي يمكن أن يكون فيها .. فالسيد عندما يقصد النوم لا أحد يعرف في أي حجرة يرقد تلك الليلة ، فله عدد من غرف النوم ، وكلها لها شبكة هاتف مشترك ، فعندما يرن الهاتف يرن فيها جميعها ، وكلها تفتح على مفتاح واحد أو اثنين كما فهمت من الهندي .. وهناك مفاتيح لها مع السكرتير تستخدم لتنظيف الغرف .. يفتحها السكرتير لهم لتنظيفها وترتيبها .. فعندما يرن التلفون فيها فيتكلم السيد إذا كان مستيقظا ويرد على الاتصال ..وكل من يريد الاتصال من عمال وخدم القصر يكون عن طريق سنترال داخلي موجود في مكتب السكرتير وزوجته .. والمكالمات تسجل وتحفظ لحين من الزمن ربما ستة أشهر ؛ وربما تتلف أشرطة التخزين أو تحفظ في المخزن ، وربما يعاد التسجيل عليها .. فالسكرتير مايا وزوجته هما مديرا القصر .. لم ترد أي حجرة ليحددوا مكان وجود السيد .. فسألت السيدة الخدم والعاملين في قاعة السهر وقاعة الطعام فذكروا أنه تناول طعامه في الطابق الثالث في قاعة الطعام وشرب شايه فيها ، فالرجل مغرم في الشاي رغم كبر سنه ؛ بل يأخذ ترمس شاي لحجرة نومه ، ويفضله السيد على سائر المشروبات من المثلجات وغيرها .. وأثناء الاستفهام أخبر أحد الحرس أنه شاهده يخرج من المكتبة إلى غرفة بجوارها ، وألقى عليه تحية المساء ، وقال : ربما دخلها للصلاة .. فهي غرفة يقيل فيها عادة في النهار عندما يتعب من الجلوس في المكتبة ، ويصلي فيها الصلوات ؛ لأن فيها حماما ومغسلة للوضوء ..وهي لا تستخدم للنوم في العادة إلا للاسترخاء في النهار مع أنها غرفة نوم كما بينت رامان عائلة السكرتير .. فصعد القوم إليها تصحبهم السكرتيرة رامان ..كان الطابق الثالث مطفي الإنارة إلا من أضواء خفيفة في بعض الزوايا والأطراف ..أضاءت السكرتيرة الأنوار وعند الغرفة

المشار إليها من قبل الحارس وشاهده يدخلها ، وجدوها مقفلة وطرقت السكرتيرة الباب ثم فتحتها .

وأضاءت النور ، وكان الرجل مقتولا برصاصة في رأسه ودمه على السرير والوسادة وثيابه والسجاد .

وبعد لحظات صمت وحزن قال العقيد : وهذا المبلغ الحارس ألم يشتبه فيه رجال الشرطة ؟ وماذا كان يفعل في الطابق الثالث ؟

ـ تبين لنا أنه كان يتفقد السطح في مهمة روتينية ، وذلك مهمة من مهمات الحرس قبل إغلاق أبواب الطوابق على ساكنيها ..لأنه إذا أغلقت الأبواب سينعزل كل أهل طابق في طابقهم ويتواصلون ليلا بالهاتف الداخلي .. فيقوم أحد الحرس بجولة مراقبة سريعة من على ظهر القصر وإنزال من يكون يسهر على السطح .. وهذه الجولة حسب ما أذكر تكون بين الصلاتين المغرب والعشاء .. وأثناء نزوله لمح السيد خارجا من المكتبة نحو الغرفة المجاورة .. فحياه وتابع نزوله للطابق الأول حيث غرفة السيطرة .

ـ أتكلم مع السيد بسيم ؟

ـ قال بالإشارة حياه .. وفحص الشرطة ثيابه بحثا عن نقطة دم فلم يثبت ذلك .. والسلاح المستخدم في الجريمة يمتلك الحرس مثله .. وفحصت الأسلحة الموجودة لدى الحرس ورصاصاتهم وأعدادها فوجدت كما هي مثبتة عند السكرتير.. لم تستخدم المسدسات منذ زمن .. وقامت الشرطة والمختبر الجنائي بكل ما يلزم .. وستجد ذلك في ملفات شرطة جاد

ـ ما اسم هذا الحارس ؟

ـ هو الحارس الإفريقي (سينكالا كامارا)

ـ رأيته يوم زيارتنا للقصر .. فهو الذي فتح لنا البوابة الرئيسية

ـ صدقت أيها العقيد

عقد حاتم ومالح اجتماعا ناقشوا فيه الجريمة قبل الرحيل لمدينة جاد وقال حاتم : الرجل كان يشعر بتهديد مستمر لطبيعة عمله في تجارة السلاح ، فتعرض لعصابات تعمل ضد بعضها خاصة في دول أمريكا اللاتينية .. وكذلك من أجهزة مخابرات الدول التي كان يورد لخصومها الأسلحة والمتفجرات .. وتعرض منذ زمن بيت ابنه يحيى والد المهندس أديب لانفجار كبير ونجيا منه لعدم وجودها تلك الليلة في المنزل .

فقال مالح : ومن مقتله إلى محاولة القتل السابقة زمن طويل من ٨٢ إلى ٩٥

قال حاتم : لم يحدث بعدها أي محاولة هنا حسب المعلومات المتوفرة ؛ ولكنه ظل يلازم الحذر والحيطة ، ويستخدم السيارة المصفحة في تنقلاته داخل البلاد ، وقلّ حضوره في اللقاءات العامة .. والقصر الصحراوي اتخذت فيه الوسائل والأدوات الأمنية اللازمة حتى وصلوا إليه في نهاية الأمر ، ووقع ما كان يحذره .

قال مالح : إذن ترى أن الخائن في القصر كما ترى الشرطة .

قال حاتم : لأنه يا سيدي لم يثبت وجود أحد دخل القصر ذلك اليوم ، وشاهد اكتشاف الجثة أربعة أشخاص أحدهم شرطي .. والقصر مسرح الجريمة ، والحارس الإفريقي "سينكالا" كان آخر من رآه قبل الجريمة حسب التحقيقات التي أخبرني بها المحامي .. والدكتور جادور هو سبب اكتشاف الجريمة ، وهو ذهب للقصر استجابة لاستغاثة الرجل به .

قال مالح : نعم ، قرأت ذلك .. اتصل به بعد غروب الشمس حين صلاة المغرب قائلا "يا دكتور إنني أموت أنا بسيم " وكان صوته مخنوقا ومحشرجا وانتهت المكالمة ، وجمع الدكتور أعوانه وذهب وبعد ساعتين كان هناك ، وارتبك أهل القصر لمجيء الدكتور دون علمهم بهاتف النجدة ، وصعدوا برفقة السكرتيرة رامان بعد أن لم يرد على الهاتف ، فوجدوه مضروبا برصاصة واحدة من نفس أسلحة الحرس الشخصية ، والغرفة مغلقة ولا تفتح من الخارج إلا

بمفتاحها الأصلي ..ولما فتحتها السكرتيرة بعد إحضار المفتاح الخاص بالسكرتير كانت الجثة والتشريح الطبي لم يثبت وجود مخدر مع الطعام ؛ وربما استنشق غازا مخدرا كما رجح الشهود

قال حاتم : فهذا يدل على أن القاتل الفاعل من داخل القصر أو نقول المنفذ للجريمة من الداخل ، وهو يعرف نظام القصر الأمني ، ويعرف الثغرات فيه .. فتحقيقات الشرطة كما فهمت من المحامي لم تثبت دخول شخص من الخارج ذلك اليوم ..ولم يشاهد شخص يختفي داخل القصر ، ويخرج منه بعد اكتشاف الحادثة .. ولكن الرجل قتل في إجازة السكرتير المدير مايا الهندي لماذا؟! هل لغيابه دلالة معينة ؟ دلالة لتنفيذ الجريمة .. هل استغل غيابة لتنفيذ القتل ؟ أم هو له دور في القضاء على سيد القصر ؟ هل جرى بينهم سوء تفاهم دفعه ليشارك في هذه الجناية ؟ وهل غيابه مبرر ؟ أسئلة سوف نحاول الإجابة عليها

قال مالح: علينا يا سيدي أن نحدد وقت ارتكاب الجريمة بالضبط لنعرف أين كان كل شخص وقت الجريمة في تلك الدقائق الحاسمة .. وكل من يتوفر له الشهود في الوقت المحدد يبعد من قائمة الاشتباه .. فوقت الاتصال على الدكتور جادور علينا تحديده لنقصر المدة التي ارتكبت فيها الحادثة ؛ لأن الجريمة بدأت قبل الاتصال عندما استنشق الغاز المخدر .

ـ عندما نلتقي حضرة الطبيب نستطيع تعيين ساعة الاتصال ، ونستعين بسجلات الاتصالات إذا ما زالت محفوظة لدى الشركة .. هم يحفظونها لزمن معين ؛ ربما خزنوها على أقراص صلبة ..وسيرافقنا فريق من المترجمين أثناء الاستجواب لسكان القصر تعاقدت معهم أنا والمحامي ، وسيكون رحلينا غدا ظهرا يا أخ مالح وسنقضي أول ليلة بالفندق مع ضيوفنا المترجمين والكاتب .. وسنقابل ضباط التحقيق في القضية الموجودين هناك ، وسنطلع على تحقيقات شرطة جاد .. وسنجتمع بالطبيب الشرعي للمنطقة ، ورجال المختبر الجنائي ، وصور مسرح الجريمة سنطلع عليها .. وبعدها سنقابل جادور الطبيب ومساعده والشرطي المرافق لهم تلك الليلة .. جهز نفسك يا صديقي .. وسيكون لقاؤنا عند مكتب المحامي داود محمد .

قال المقدم مالح : أنا جهزت حقيبتي، وأنتظر ساعة الصفر ، ونسأل الله تعالى أن نوفق في

الوصول للجاني والجناة في هذه الجريمة الغادرة التي لم يعرف دافعها بعد

قال حاتم : الدافع لحتى الآن مجهول إلا إذا كان الانتقام فقط ، هل هناك لحتى الساعة أشخاص أعداء يحقدون على الرجل وسعوا للانتقام ؟ .. ينتقمون لأشخاص كان له دور في موتهم أو تسليمهم للشرطة .. وإما خسروا معه صفقات فحقدوا عليه نسأل الله تعالى أن نوفق في كشف غموض هذه الجناية الكبرى يا أخ مالح .



وصل العقيد حاتم وفريقه عصرا لمدينة جاد ، ونزلوا الفندق (أبيض جاد) ، وكان المحامي عبد الحي محمد في استقبالهم ومرحبا بهم ، وتم تجديد التعارف بينهم ، ونزلوا غرفهم ، وبعد أن وضعوا حقائبهم في غرفهم رافقهم المحامي إلى المطعم حيث أعد لهم مائدة من أطايب الطعام حسب ترتيبات المحامي داود ، وأقسم المحامي على غدائهم في اليوم التالي في نفس المكان .. وبعد الغداء عادوا للفندق الذي لا يبعد عن المطعم سوى عشرات الأمتار ، وعند الغروب تمشى حاتم ورفيقه إلى عمارة السيد بسيم .. والعمارة أيضا تقع في نفس منطقة الفندق وهي عمارة من عدة أدوار ، وكان المحامي المتعاون مع مكتب داود في انتظارهم حسب الاتفاق وقادهم إلى المكتب الذي أعد لهم لإدارة عملية التحقيق ، وسلم عليهم بواب العمارة ، ومشى أمامهم إلى المكتب الذي كان مفتوحا حسب اتصال المحامي به ، وهم التقوا به في المرة السابقة فوجدوا المكتب معدا بشكل مناسب من طاولات مكاتب حاسوب الآت طباعة وتصوير خزانة ملفات .. خزانة معدنية صلبة .. ومكثوا ساعة من الزمن استلموا خلالها مفتاح الخزانة المعدنية ومفاتيح الأبواب ، والمحامي يقول : سيفتح لكم الأقفال السيد ماهر عواد (البواب) وستكون غدا صباحا سكرتيرة طابعة وعامل خدمة في هذا المكتب.

قدم الرجلان الشكر الجزيل لحضرة المحامي على جهده الكبير معهم ، واتفقوا على أن يبقوا

على اتصال بينهم وقال لهما : أنا تحت أمركم أيها السادة ولا تنسوا موعدنا على الغداء غدا إن شاء الله .. وأتمنى لكم التوفيق .. فنحن يهمنا معرفة الجاني والانتهاء من هذه القضية التي ذهب ضحيتها السيد الكريم ..كان نعم الأخ والصديق .

ـ شكرا لكم يا سيدي القاضي .. أنا أعرفك جيدا .. ورأيتك أكثر من مرة في المدينة العاصمة أثناء عملك في سلك القضاء قبل تقاعدك .. وأنا في المرة الماضية عندما التقينا أقول لنفسي إنني رأيت هذا الوجه .. حتى وضح لي داود أنك عملت فعلا في القضاء ، ولما تقاعدت تشاركت مع قريب أو صديق لك في مكتب محاماة .. يا أهلا ومرحبا بك يا سيدي وأخي عبد الحي .. وكلنا يعمل لتحقيق العدالة في الأرض قدر الإمكان .

ـ أنا يا سيادة العقيد حاتم من أهالي هذه المدينة جاد ، فلما تقاعدت من سلك الدولة قلت بدلا من الجلوس على المقاهي أو في النوادي أشغل الوقت بالمحاماة خاصة لما التقيت بالصديق والشريك المناسب عامر ياسين .

ـ بوركت والآن اسمح لنا بالانصراف للفندق ، وتصبح على خير، وجزاك الله خيرا

ـ رافقتكم السلامة ..

ولما دخلوا الفندق مشوا إلى صالة الطعام الخاصة في الفندق وتناولوا عشاء خفيفا .. وكان زملاء الرحلة قد تعشوا وهم يجلسون في صالة الفندق يتسلون ويسمرون وطلبوا شايا ثم قهوة .. وكان التلفزيون ينقل مباراة كرة قدم على الهواء ، فكان رواد الصالة يتابعون بصمت وترقب وشغف ، ولا تسمع سوى رشفات الشاربين .. والذي لا يهتم بالرياضة صامت احتراما للآخرين .. وكان التهامس يسمع بين الفينة والتي تليها .. وكان التهامس حول الرياضة وتعلق الشباب في هذه الأيام في كرة القدم تعلقا كبيرا حتى الهوس .. ثم صعدوا بعد حين للمبيت على أمل الاجتماع في الصباح عند الساعة العاشرة .

ولما كان الاجتماع قال حاتم للمترجمين الثلاثة: سأذهب والمقدم مالح إلى مديرية الأمن ، وأقابل الضباط الذين شاركوا في التحقيق وتلك القضية ، ونسعى لسماع الطبيب الشرعي

القائم على تلك الجثة هو ورفاقه .. وأنتم خذوا حريتكم في الحركة ، ونلتقي على مائدة القاضي عبد الحي محمد حمدان ، وفي المساء نعقد اجتماعا لترتيب زيارة القصر ، ونبدأ بمقابلة العاملين داخل القصر .. وأنت يا محمد { الكاتب} اذهب للمكتب حتى موعد الغداء فتأتينا إلى المطعم فالرجل يحب إكرامنا من أجل خاطر السيد بسيم والمحامي داود .. هيا أيها الزميل مالح .

كان الفندق قد أمن لهم سيارة بسائق فاعتذروا عن السائق وقبلوا السيارة ؛لأنه سوف يسوق بنفسه هذا اليوم ، وتناول المفاتيح من مدير الفندق شاكرا ، وتسلم السيارة المخصصة لهم ، فكانت سيارة حديثة وحالتها ممتازة وجاهزة للانطلاق ، فانطلقت نحو دائرة أمن جاد الرئيسية حيث طلب لقاء مدير الدائرة وأعلمه بسبب الزيارة ، ورحب المدير بحضرتهم وأعلمه أن الوزير حدثه بذلك ، وكذلك رئيس الشرطة وأنه كان في انتظار اللقاء بهم ، فشكره الضابطان المتقاعدان ، وعاد المدير يكرر رغبة الوزير بالتعاون معهم وتسهيل المهمة أمامهم ، وأثنى المدير على العقيد حاتم وذكر أنه كان كنزا في الشرطة ، وأنه كان فارس الميدان في التحقيقات الجنائية أثناء خدمته .

فقال العقيد : أشكرك يا سيدي .. وهذه سنة الحياة والخدمة الوظيفية ؛ ولنترك الفرصة للأجيال الجديدة .

ورحب المدير كذلك بالزميل مالح وقال : الأخ مالح لا يقل فطنة عنك يا عقيد حاتم .

وحضرت القهوة وقدمت للضيوف ، وطلب المدير الضباط الموجودين أثناء التحقيق في قضية مقتل السيد بسيم الجدية ، وقال المدير : السيد بسيم كانت علاقته جيدة معنا ، وكان تحت الحماية غير المباشرة من جهاز الأمن .. وذلك عن رغبة المسؤولين في توفير الحماية الخفية له خاصة عندما يخرج من القصور والمباني .. فهو صديق لعدد كبير من رجال البلد والدولة .. فكنا على تعاون تام معه ؛ ولكنه في ذلك القصر كان تحت حماية نفسه بعد حماية الله ﷻ فحماية القصر تحتاج لكادر ضخم كما تعلم ؛ وقد كنا نسير بعض دوريات الشرطة لتلك الصحراء بين الحين والآخر ..والحقيقة لم نسجل أي محاولة للتسلل للقصر أو حتى الاقتراب منه ..

وأحيانا يتحدث أفراد الدورية مع عناصر القصر ، ويشربون معهم الشاي والمثلجات سواء في دوريات الليل أو النهار .. وهذا الجهد البسيط يثير الفزع في المتربصين .. وسبحان الله تعالى كان موته داخل الحصن .. فبيننا صداقة ومعرفة وكان يزورنا ويشرب الشاي معنا ونزوره ونتغدى على مائدته هنا وهناك .. وكان يأتي بزواره الأجانب لجاد ويتغدى معهم أو يتعشى .. وكان الرجل معروفا على مستوى المنطقة ويتبرع للجمعيات والمؤسسات الخيرية النشطة في جاد وقراها .. وما زال المحامي داود يقدم لها العون والمساعدة .. فحفيده أديب الذي لابد أنكم التقيت به كما قال لي المحامي القاضي حمدان إنه طلب منهم الاستمرار في تقديم المساعدات التي يقدمها جده سواء للأفراد أو الجمعيات أو النوادي الرياضية .. لذلك الكل في هذه المدينة يرغب برؤية الغادر في قفص العدالة .. والرجل ـ رحمه الله ـ له عمارة ضخمة هنا يستثمرها .. وهو أنشأها كما قال لي شخصيا للاحتكاك بأهل هذه المدينة القريبة من قصره والمجيء إليها .. واعلموا أني كنت ألحظ انزعاجه عند وجود أجانب في مدينة جاد .. وكان يتحسس عن جنسياتهم في بعض الأحيان .. وكان قلقا أكثر من اللازم من وجود أجانب من أمريكا الجنوبية

ولما انتهوا من شرب الضيافة دخل بعض ضباط فريق التحقيق وجرى التعارف التقليدي بينهم ، وبعضهم وجد نفسه قد خدم مع العقيد حاتم والمقدم مالح وجرت أحاديث الذكريات والمواقف الإيجابية والسلبية ، وبين لهم المدير الهدف من هذه اللقاء ، وشرحوا للمحققين ملابسات تلك الجريمة ، ولم تزد عما وضحه له المحامي داود محمد ، ولكن العقيد بعد سردهم وسماع ملاحظاتهم طلب الاطلاع على محاضر التحقيق والتقارير الجنائية والطبية . فتركوا مكتب المدير حيث الأرشيف ، واطلع الضابطان المحققان على محاضر الاستجواب التي قامت بها الشرطة في القصر ، ثم قابلوا مدير المختبر الجنائي في أمن جاد ، ورأوا أشرطة فيديو تصوير الجريمة أو مسرح الجريمة ، ورأوا الصور الفوتوغرافية لمسرح الجريمة ؛ لأن القانون الجنائي اليوم يسمح بتصوير مسرح الجريمة ثابت وحركي ، ولما انتهى الاطلاع

وسماع رأي الضباط في الجريمة عقد اجتماع خاص لتبادل المعلومات فقال حاتم : أيها السادة ماذا كانت انطباعاتكم عن الحادث ؟

قال المحقق مرزوق : ذهبنا لمكان الحادث كأي حادث ، وكانت سيارات النجدة والشرطة قد سبقتنا لتحريز المكان ، وكان ذلك ليلا فعند نصف الليل بقليل ، وصلنا هناك للكشف على مسرح الجريمة .. عاينا المكان ، وكان المجني عليه مستلقيا على ظهره فوق سريره ، وقد نزف من الدماء الكثير ، ورصاصة واضحة اطلقت على جبهته ، وكان المسدس قد وضع على جبينه وضغط على الجبين واطلقت الرصاصة الوحيدة ، والحرق واضح على حواف الفتحة .. ويبدو كما أثبت التشريح فيما بعد أنه كان في حالة تخدير بغاز استنشقه لم نحدده ، وهو ظن أنه في حالة مرض فاستغاث بالطبيب الخاص مباشرة .. تلفون متصل بالشبكة دون المقسم الداخلي للقصر .. كانت ملابسه العليا غارقة بالدم والسرير والمخدة والأرض حيث تساقط قبل أن يتخثر .. وقد اخترقت الرصاصة جمجمته والسرير .. وقد مات على الفور كما بين التشريح الطبي والرصاصة سبب الوفاة وتهتك الدماغ .. وكان الرجل مقتولا بملابسه الرسمية لم يكن يلبس ملابس النوم .. ثم علمنا أنه تعشى عشاءه الخفيف في قاعة الطعام وشرب الشاي ومشى لتلك الحجرة للصلاة .. والرجل يحب السهر يقضي وقتا طويلا وراء التلفزيون أو القراءة والكتابة ، ثم ينام في مكان مجهول تماما للموظفين كلهم داخل حجرات النوم الخاصة به .. وكانت الجاكيت معلقة على حمالة في نفس الغرفة التي وجد بها مقتولا .. لم يلحظ أي مقاومة بينه وبين القاتل ، ولم يوجد في بطنه مادة مخدرة ..ويرجح الطبيب أنه استنشق غازا مخدرا وفحصنا الغرفة فحصا دقيقا فلم نكتشف آثار للغاز المستخدم سوى علامة على مدخل الغرفة قد تكون علامة قرص تخدير ..وجدت نافذة الغرفة مفتوحة فهذا يدل ويشير أن أحدهم فتح الشباك ليذهب أثر الغاز.. فهذه قرينة دلت على استخدام غاز تخدير .. ونحن وصلنا بعد أكثر من خمس ساعات على موته واغتياله .. والتحاليل أفادت وجود شيء في رئته لكنهم لم يعينوا ماهيته وما الغاز الذي خدره ؟ فتح القاتل النافذة وغادر ..

وثبت أن الرجل فتح لقاتله ولكن كيف ؟ لم نجد تفسيرا ؛ لأن الباب لا يفتح من الخارج إلا بمفتاح .. ولم يثبت أن أحدهم استخدم مفتاحا إلا إذا فتح هو للقاتل وخدره القاتل .. لكن ليس هناك مقاومة .. لأن الرجل طلب النجدة من الطبيب جادور ثم سكت الاتصال .. حققنا مع الجميع وشددنا مع الحارس الذي عرف الحجرة التي كان فيها السيد بسيم .. والاعتراف فيه إدانة وفيه براءة ؛ ولكن لم تنقص عهدة الرصاص التي لديه ، ولم يستخدم سلاحه منذ عهد بعيد .. في القصر نظام حراسة معقد وجيد هل اطلعتم عليه ؟

رد حاتم : سمعنا عنه ولم نختبره ؛لأننا لم نزر القصر إلا مرة واحدة .

ـ في الطابق الأول هناك غرفة الحراسة والمراقبة الرئيسية حيث يرى الجالس فيها مدخل القصر وحارس البوابة وتشاهد الفضاء من الجهة الأمامية .. وفيها مقربات تلسكوبات .. ومنها تشغل أجهزة الإنذار المنتشرة على السور ، ولديهم آلات صعق تعمل حسب الطلب ففي لحظات يتحول السلك في أعلى السور إلى أداة صعق بالكهرباء القوية .. ويقوم على الحراسة خمسة أفراد من جنسيات خمس .. يتبادل الحراسة على البوابة الرئيسة يوميا ثلاثة أفراد من السابعة صباحا وحتى السابعة مساء .. وترتيب عملهم مع السكرتير الهندي ويقضي الاثنان الباقيان اليوم بدون عمل رسمي داخل القصر .. فيجلس أحد الثلاثة في غرفة التحكم بالبوابة الرئيسية في الطابق الأول فإذا أشار له البواب بفتح البوابة فتح البوابة الأولى فقط ، وهناك زر يضغط عليه البواب مع إشارة بيده .. فيرتفع صوت منبه في الغرفة .. فيفتح للداخل أو الخارج .. وهؤلاء يتبادلون العمل بين البوابة والمراقب .. وفي الساعة التاسعة ليلا في فصل الشتاء والعاشرة صيفا يعزل كل طابق عن الأخر هيدرولكيا ميكانيكيا ، ولا يسمح لعامل أو موظف أن ينتقل لطابق أعلى بدون علم السكرتير أو يكون مكلفا بمهمة صيانة تنظيف خدمة للسيد .. فتنقل الأفراد في الطابق الأول في الأماكن المخصصة لهم وأماكن العمل ويسمح لهم بالذهاب للبستان واللعب في مؤخرة القصر .. وإذا احتاج السيد شخصا بعد إغلاق الطوابق على ساكنيها فيكون عن طريق المصعد وبعلم السكرتير والحرس ، فيشغل المصعد عن طريق

غرفة السيطرة فيصعد الخادم الخاص .. فالجريمة محبوكة ومخطط لها من زمن ورغم تحقيقنا مع كل أفراد القصر وسؤالهم لم نستطع اتهام أي شخص منهم ولا حتى الاشتباه بشخص معين لعدم وجود أدلة مادية .. فالكل مشتبه به والكل غير مشتبه به ، والحارس الإفريقي لو كان قاتلا لما دلنا على مكان رؤيته الرجل ..لم يتردد بتقديم شهادته وكان من الطبيعي أن يصعد لسطح القصر فذلك من ضمن أعمالهم الروتينية القيام بجولة سريعة من على ظهر القصر قبل إغلاق الأبواب على سكان القصر ليلا ، وحارس البوابة الرئيسية بعد السابعة يصعد لغرفة المراقبة ويقتسمون ساعات الليل ، ولديهم تلفزيون فيها كسائر الغرف الموزعة على العمال وزوجاتهم .. بل في كل غرفة تلفزيون وفيديو وأشرطة فيديو حسب بلدانهم .. المهم رغم بحثنا ونظرنا في الوجوه والناس عجزنا عن تحديد شخصية القاتل من بينهم ، لم يدل أي أحد بشهادة تتهم أحدا .. ومن اليقين في نظرنا أن الجريمة أو قل منفذها من داخل المكان .. واحد أو أكثر لسنا ندري ، وكلهم يسكن في الطابق الأول ما عدا السكرتير وزوجته يسكنون في الطابق الثاني .

اثنى الضابطان على زميليهم خير الثناء وطلبوا لقاء الطبيب الشرعي .

وقال حاتم : وسنقابل الطبيب جادور الذي وصل لمسرح الجريمة أولا

فقال مرزوق شارحا : هو تحدث عن اتصال من الرجل المقتول قبل مقتله .. وثبت لدينا صحة هذا الاتصال وأن مصدره القصر وأن الرجل يطلب المساعدة .. وفهم الدكتور أنها مساعدة طبية ، ولم يتحدث عن نجدة وجريمة .

رحب الدكتور جادور بالعقيد حاتم والمقدم مالح وكان لقاؤهم بعد تلبية دعوة الغداء التي دعاهم إليها المحامي عبد الحي حمدان ، فقال الطبيب بحماس بين : لقد سررت جدا لما علمت بأن التحقيق سيتجدد في قضية موت السيد بسيم الجدية ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الجريمة الغامضة وكيف حصل الاختراق القاتل ؟ .. فلما حدثني مدير أمن جاد بأنك راغب باللقاء بي أصابني الحبور .. فهذا الرجل الباسل لا يجب أن يفلت قاتله من العدالة الدنيوية .. فمرحبا

بكم .. فالرجل عزيز عليّ ..

وقدمت لهم القهوة الترحيبية والماء البارد ، ولما ابتعد خادم الدكتور في عيادته في مجمعه الطبي في جاد قال الطبيب : ما المطلوب مني ؟

قال حاتم : نحن قرأنا أقوالك في محضر البوليس ، وأن السيد بسيما اتصل بك طالبا مساعدتك لألم ألم به ، وأن صوته بدا لك مخنوقا ضعيفا .. أتذكر اليوم شيئا يا سيدي عن تلك اللحظة الدقيقة ؟

بعد صمت وتفكير قال جادور : مكالمة لا تنسى ، اتصل الرجل بي على رقم البيت وهو المستخدم نادرا بيننا .. وهذا يدل على أن الرجل كان واعيا ؛ ولكن بدا لي صوته مخنوقا مبحوحا وضعيفا " يا دكتور جادور إني متعب أسرع إليّ ، إنني أموت أنا بسيم " " بهذا المعنى وانقطع الاتصال ، ولم أسمع صوت رصاص تلك اللحظة .

وضعت السماعة وأدركت أن الرجل مريض جدا ، وكانت هذه أقصر مكالمة بيننا .. عادة نتحدث ، ويذكر لي متاعبه حتى آخذ معي بعض الأدوية التي قد تنفعه .. لم يخطر في بالي القتل والاغتيال رغم أنه كان يتحدث عن ذلك في بعض الأحيان أما أن يحدث ذلك في القصر لم أكن أتصوره أيها السادة الكرام !!

وبعد صمت تابع فقال : اتصلت بالدكتور (حازم صنو) طبيب يعمل معي في هذا المجمع .. والممرضة اعتذرت لانشغالها بمرض والدتها أو والدها .. وذهبت لنقطة الشرطة ، ولما وافق شرطي على مصاحبتنا انطلقنا بسيارتي .. وكان بين الاتصال وبين وصولنا القصر حوالي ساعتين ، ولما علمت السكرتيرة الهندية غرضنا تعجبت أولا ، وأخبرتنا أن السيد لم يتحدث معها معلما لهم بطلب الطبيب ؛ ليستعدوا لاستقباله لفتح البوابة ومراقبة الطريق من قبل الحراس ، فحدث ارتباك واضطراب ، واتصلت الفتاة من مكتبها في الطابق الأول ، والرجل لا يعرف أحد أين يقضي ليلته ؟وذلك على مدار الأيام .. فالتلفون يرن في كل حجرات النوم المخصصة له في جميع الطوابق .. وهواتف غرف الموظفين تستقبل وترسل عن طريق السنترال

الموجود في غرفة أو مكتب السكرتير والسكرتيرة .. لم يرد بالطبع السيد بسيم لوفاته، ولا يوجد كاميرات في الغرف أضيفت بعض الكاميرات منذ عهد قريب من موته لمراقبة الممرات والبوابة الخارجية وتصوير الداخل والخارج ، والمسؤول عن متابعة الكاميرات وكل نظام الحماية السكرتير مايا وزوجته رامان ، فهم أعرف الناس بذلك النظام المعقد داخل القصر وخارجه ، وبينما نحن نبحث عن طريقة لمعرفة مكان السيد بعدما علمنا أنه تعشى في الطابق الثالث وشرب شايه فيه .. تحدث الحارس الإفريقي أنه رآه يدخل حجرة قرب مكتبة الطابق الثالث ، وذلك أثناء عودته من تفقد السطح وإلقاء نظرة على الصحراء المحيطة بالقصر كان يهبط عن السطح متجها للمصعد فرأى السيد يدخل الغرفة المجاورة للمكتبة ، وهو عادة يصلي فيها عندما يكون في الطابق الثالث قرب المكتبة فحياه بابتسامة وركب المصعد ، ولم ير أحدا في ذلك الطابق سوى السيد .. فأخذت السكرتيرة المفاتيح وصعدنا مسرعين للطابق الثالث ، ووجدنا الغرفة مغلقة ففتحتها السكرتيرة المدربة ودخلت وأضاءت النور .. وكلنا متوجس خيفة يا سادة من تلفونه المختصر بي ، ومن عدم اتصاله بالسكرتيرة لتخبر الحرس بمجيئ وأنه طلب الطبيب ، وأيضا عدم رده على تلفون القصر زاد القلق في نفسي ..وقع في نفسي أنه في غيبوبة وربما الموت الطبيعي .. ولم يخطر في بالي الاغتيال والقتل أضيئت الحجرة .. ولما نظرت للسرير ظننته للوهلة الأولى نائما .. ثم لمحت الدماء فصرخت صرخة مكتومة وقالت : دماء وهي تشير لوجهه !.. كان يضع على منضدة كتاب عن تاريخ المسلمين في الأندلس نسيت عنوان الكتاب .. وكان بجوار الكتاب كوب عصير فارغ أو ربما ماء .. ونافذة الغرفة مفتوحة وألقيت أنا وزميلي نظرة سريعة عليه ، فكان ميتا فاتصلنا بدائرة الشرطة في جاد ، وجلسنا أمام الغرفة ننتظر قدوم شرطة التحقيق ، وطلبت لنا السكرتيرة شايا ، وأمرت بعدم إغلاق أبواب الطوابق ؛ لأن وقت الإغلاق لم يحن بعد ، ففي فصل الشتاء تنعزل الطوابق في التاسعة ليلا ويصبح السيد وحيدا ، وكان مقتله في فصل الشتاء عام ٩٥ أو قل في الخريف تشرين الثاني / نوفمبر .. حقيقة كنت حزينا للغاية ، وربما ذرفت بعض الدموع ألما

وتنفيسا ؛ ولكني أقول إن الخائن لابد أن يكون من سكان القصر ، وله معرفة في تفاصيل ونظام الحماية في القصر ، وله معرفة بالثغرات الأمنية .. وحسب الطب الشرعي وفحص المكان والجثة أن الرجل استنشق غازا مخدرا .. فلما أحس وشعر بالضيق اتصل بي ظانا أنه مريض ، ولم يخطر بباله أنه يخدر لاستبعاد ذلك من فكره وعقله ، وخاصة في قصره المحصن وأن يغدر به أحد العاملين معه لطول العشرة بهؤلاء العمال والخدم ، وكذلك أخبرت السكرتيرة قلة اختلاط الرجل بالكثير منهم رجالا ونساء ، وربما لا يعرف الكثير منهم شخصيا ، إنهم يتعاملون مع السكرتاريا ، وكما قيل لا ينفع حذر من قدر .. فدس عليه خائن أو أكثر وصبروا حتى وثق بهم السكرتير وزوجته فغدروا به .. وبالنسبة للنافذة المفتوحة في حجرة الموت في فصل الخريف وفي الصحراء فبعد التشريح فُهم لي ولغيري سبب فتحها هي ونافذة أخرى في ردهة مجاورة للغرفة التي اغتيل فيها .. فُهم أنها فتحت ليزول أثر المخدر الغازي من الغرفة بهواء طارد أو ربما استخدمت لإدخال الغاز المخدر .. والراجح أنه فتحت بعد الجريمة لطرد رائحة الغاز ، ولم يستطع الطبيب الشرعي والمختبر تحديد نوع الغاز المستعمل بدقة ، وجدت بقايا منه في الرئة أدت إلى إضعاف الرجل وشله .. استطاع القاتل قتله بدون مقاومة كان مخدرا .. ولكن من فتح له الباب؟ لا ندري .

فقال مالح : هل مع القاتل مفتاح ؟ !وكيف عرف أنه في هذه الغرفة بالذات ؟!

قال جادور : تابعت التحقيق مع رجال الشرطة .. فهناك أشياء محيرة .. فالسكرتيرة الهندية كانت مثلنا في دهشة وحيرة وذهول وخوف.. والتحقيقات لم تثبت شبهة على أحد من أهل القصر ، ومع ذلك يجب أن يكون القاتل من الداخل لصعوبة دخول غريب القصر ، ويعرف ترتيبات الأمن والحماية ، ويصل للرجل ويفتح الغرفة ويغتاله .. أسيادي في الداخل قاتل ذكي من هو ؟ من هو ؟ كم أنا محب ومتشوق لأن أعرفه ؟! .. أرجو أرجو من الله تعالى أن توفقوا في معرفته وتقديمه للعدالة والقانون .. فصاحبنا بسيم يستحق منا ذلك رحمك الله أيها السيد بسيم .

١٩

رتب العقيد حاتم والمقدم مالح مع مدير أمن جاد أن يقدم لهما مجموعة من أفراد الشرطة لمرافقتهم إلى القصر الصحراوي ؛ لإحداث الرعب في نفس أو نفوس الجناة ، فاستجاب المدير لذلك ، وكلف سيارة نجدة لمرافقتهم ومجموعة مسلحة من دوريات الأمن ، ولما وصلوا للقصر بعد حين فتح لهم الحارس البوابة ، واستقبلهم السكرتير مايا ورامان زوجته ـ وقد كانا على علم بمجيئهم ـ وانتشر الشرطة على باب قاعة الطيور ومداخل الطابق الأول بأسلحتهم ، ووقفت سيارة عند بوابة القصر ، وكان العقيد ليلة أمس طلب من السكرتير إخبار الموظفين بفتح التحقيق من جديد لإغلاق ملف القضية ، وأن الشرطة مصرة وعازمة على اكتشاف الجاني ، وفي غرفة في الطابق الأول أعدت للتحقيق وقف أمامها شرطيان بلباسهما الرسمي ، وأسلحتهم الألية ، وجلس فيها العقيد حاتم ومساعده مالح والكاتب محمد والمترجمون الثلاثة وفنيو التسجيل ، وقائد فصيل الشرطة المرافقة والسكرتير مايا فقال العقيد : سنبدأ بالحديث معك يا سيد مايا . فجلس مايا على مقعد مقابل لحاتم وقال : تفضل يا سيدي إني أحسن العربية .. وكان موته صاعقة بالنسبة لي ، وتمنيت لو لم أسافر تلك الأيام .

قال العقيد : كيف التقيت بالسيد بسيم الجدية ؟

سكت لحظات وتردد في الإجابة أو كان يفكر ، ثم قال له حاتم : أنت من القارة الهندية .. العمر ٥٣ .. هكذا يقول جواز سفرك الموجود لدى المحامي داود .. ولك أكثر من عشرين سنة تعمل مع السيد بسيم !

وكان العقيد يقرأ من كشف أعده له المحامي داود محمد قبل أن يغادره لجاد ، وقد أشرنا إليه سابقا .

ترك مايا السيجارة على منفضة السجائر وقال بحزن ظاهر للرائي : اعلم سيدي الضابط أن المجرم حقق جريمته وأنا في إجازة ، وندمت أشد الندم ؛ لأننا كنا على علم بخطر محدق بالسيد ؛ لكن موت أبي في الهند دفعني للسفر لترتيب أمر الأسرة ، فاستغل المتآمرون غيابي

ونفذوا مأربهم ..وأنا متأكد أن بيننا قاتل.. ولكن ظهور حكاية الكنز المخفي في هذا القصر وعدم بيع القصر حتى يظهر الكنز هي التي أثبتت أن القاتل موجود بيننا .. كانوا يظنون أنه بعد مقتل الرجل سيمكث القاتل الخفي شهرا شهورا ، ثم يقوم الوارث بالتخلص من القصر والتخلص من موظفي القصر ، فلم يعد لنا فائدة بعد الفشل في حماية السيد الكبير .. وأنا حاولت منذ عدت بالوصول للقاتل فلم أصل لشيء ..ولكن القاتل المنفذ للجريمة له أسياد في الخارج ، وأرى أنهم يسكنون في جاد أو يترددون عليها ، وأعتقد أن الآمر للجريمة من خارج البلاد .. دعني أشرح لكم نظام الحراسة والأمن في هذا القصر قبل أن أتحدث عن معرفتي وصلتي بالسيد الكبير لتعلموا أن الاختراق أمر ليس بالهين .

ـ تفضل يا مايا نحن مهمتنا الاستماع فكلامك جميل ومهم .

قال مايا بعد تنفسه العميق : السور الخارجي المحيط بجميع القصر بناء وبستانا مرتفع كما شاهدتم في الزيارة الأولى ، والأضواء الكاشفة المنتشرة والقائمة عليه قوية تكاد تضيء الصحراء بالليل ، ولا تعتمد على مصدر طاقة واحد إذا تعطل أحدها لا تتعطل كلها ، فحتى البستان يبدو نهارا في الليل ، فلا يمكن لشخص أن يتسلق الأسوار ويدخل دون أن يكشف والسور عليه أجهزة إنذار سرية من أفضل الأجهزة في العالم ، وحُدث الكثير منها من سنوات قليلة قد مضت ، والسور الداخلي مرتفع وإن كان أقل ارتفاعا من الخارجي ، وهو الآخر عليه نقاط إضاءة حادة ونقاط إنذار ، فلو وقف عليهما طائر تضيء الأجهزة في غرفة التحكم والسيطرة المتطورة باستمرار.. ولقد ألقيتم نظرة عليها سابقا .

ـ نعم يا مايا

ـ خط الدفاع الأول البوابة وهي ضد الرصاص ، وبعض القنابل اليدوية ، وتفتح من غرفة السيطرة أوتوماتيكيا بالتيار الكهربائي .. لا يمكن لحارس البوابة فتحها باليد .. والأسوار عند الحاجة مكهربة تصعق كل كائن حي ، وكذلك البوابات تصبح مكهربة عند الاضطرار والحاجة الخطيرة .. ولدينا حراس خمسة من جنسيات خمس يتناوبون على البوابة الرئيسية ولا

منفذ للقصر إلا منها .. وفي الليل يتناوبون على غرفة السيطرة ، وإذا احتجنا لفتح البوابة لطارق يوقظ أحدهم حسب النظام لفتح البوابة .. لا تترك غرفة السيطرة بدون حارس منهم حتى ولو أراد الذهاب للمرحاض أو الطعام يجب أن يبقى واحد فيها .. ويسمح له فيها بمشاهدة التلفزيون والدخان إن كان من المدخنين .. ومنذ أنشئ هذا القصر حقيقة لم تختبر فعليا هذه الإجراءات .. لأن وصول الأجانب إلى هذه الصحراء أمر صعب ؛ ولكنه غير معجز ..ونحن كل ستة أشهر نجري تمرينا وتدريبا لهذه الأجهزة والأدوات .. ويعمل في اليوم الواحد ثلاثة حراس واثنان لهما استراحة كاملة داخل القصر أو خارجه ، والذي يحرس عند البوابة له النوم داخل كوخه أو غرفة البوابة ولديه جهاز تلفزيون للتسلية ، أما في غرفة السيطرة فممنوع للمكلف بالحراسة والمراقبة النوم ؛ لأنه هو الأصل فإذا رأى شيئا يقترب من القصر ضغط زرا لتنبيه الحارس للبوابة فيتلقى إشارة أنه مستيقظ ، وإذا كان نائما استخدم لتنبيهه جرسا صوتيا مزعجا ..فيستيقظ ويعطي الإشارة ويستعد لفتح البوابة .. فيراعى في النظام الحاجات الإنسانية البدنية .. وتراعى مصلحة السيد في الحماية والحراسة .

ـ تابع أيها السيد .

ـ عندنا أبراج على سطح البنيان لا تستخدم ولا يوجد فيها حراسة ؛ لأننا بصراحة لم نحتاج إليها يوما .. ويصعد أحد الحرس يوميا يتفقد السطح وحول القصر من الأعلى .. ويخلي السطح من أفراد القصر إذا كان أحدهم في الأعلى ، ويتفقد الأبراج وخلوها ممن يختفي فيها .. ومعه جهاز متصل بغرفة السيطرة إذا واجه شيئا عليه أن يستخدمه لإرسال إشارة سريعة أن هناك خطرا .. ولما ينته التفتيش يغلق باب السطح بمفتاح خاص يكون مع الحارس ، وهو يغلق آليا عند الاضطرار .. لأن السيد يسمح لسكان القصر بالصعود لظهر المكان خلال ساعات النهار .. وعلى السطح خزانات مياه تحتاج لتفقد وصيانة وكذلك شبكات التلفزيون والأطباق الفضائية في الفترة الأخيرة .. وعلى ظهر القصر مقراب لمراقبة الصحراء عند الضرورة .. واعلم أن كل طابق في وقت محدد كل ليلة يغلق ويعزل عن الطوابق العليا

الأخرى ، وقاعة الطيور والطابق الأرضي لا يسمح لأحد بدخولهما إلا لضيوف القصر .. وهما مغلقان باستمرار إلا عند التنظيف والحاجة .. وأبواب الطوابق مصفحة ضد الرصاص والمصعد عند إغلاق أبواب الطوابق يتوقف عن العمل البتة ، وتفصل عنه الطاقة الكهربائية من حجرة السيطرة والتحكم .. فكل ساكن يبقى في طابقه حتى أنا وزوجتي ننعزل في الطابق الثاني ، لأننا الوحيدون من نعيش فيه ، وأيضا ممنوع عليهم الصعود للطوابق العليا بدون عمل معين ؛ ولكن ضبط ذلك فيه مشقة بسبب أنه يصعد البعض للنظافة لخدمة السيد لتوصيل شيء لغرفة لطلب شيء من السيد مباشرة ..وهذه أضعف نقاط الحماية في القصر ؛ لأن المهام تختلط لحاجة القصر إلى نظافة متكررة ، فنرسل عددا من العمال فربما يلحق بهم آخرون لمساعدة من يحتاجهم ، وعادة مثل هذه الأعمال تكون في الصباح حتى فترة الظهر لكن عند إغلاق الأبواب لا يمكن لأحد التسلل للأعلى ، من أجل هذا أقول أن القاتل من سكان القصر وعاش بيننا للقتل ، وقتل بدم بارد ؛ لأنه عاشر الشيخ ، وأكل من طعامه ، وأخذ مالا من خزنته ، ويعرف نظام القصر الأمني أو يعرف بعضه ، وارتكب جريمته قبل إغلاق الأبواب .. يا سيدي المحقق عند انتهاء الدوام اليومي لهم النزول للبساتين والمسابح والألعاب .. ولكل أسرة شقة خاصة بها ، والأكل جماعي يقدم لهم في صالة الطعام في أوقات محددة ، وهنا صالة السهر واللهو ، وفي كل شقة أو جناح حمام ومطبخ صغير ، ويمكن للعامل أن يدخل المطبخ العام للمزيد من الطعام والشاي والقهوة والمثلجات فهو غير مغلق .. الخمر ممنوعة داخل القصر من أراد الشراب فليذهب في إجازته الأسبوعية لمدينة جاد أو غيرها ليشرب الخمر .. وممنوع إدخالها للقصر ولو سرا .

وإذا مرض شخص عليه أن يتصل بي أو بزوجتي رامان ، وأنا أقدر الحاجة إلى طبيب خارجي وربما يعطى بعض المسكنات لتخفيف الألم ، فلدينا صيدلية إسعاف أولي في الطابق الذي نجلس فيه ، يشرف عليها صيدلي من مدينة جاد يمر علينا كل نهاية شهر ليتفقدها وهو جاهز عند الطلب ، وفرنا قديما طبيبا للقصر ، ثم رأينا عدم الحاجة إليه .. لأننا عند الضرورة نطلب

سيارة الإسعاف من المستشفى في جاد أو المستشفى الخاص الصغير في آخر جاد .. ولدينا مجمع الدكتور جادور فيه قسم طوارئ صغير .

أشعل الرجل سيجارة وقال : مقتل السيد الكبير حدث في فترة غيابي أولا وثانيا في فترة لم تغلق فيها الأبواب للطوابق فيمكن للمتربص الاستفادة من ذلك .. واعلموا أن توظيف هؤلاء الأفراد ليس بالهين والسهل .. والكثير له زمن طويل معنا ..لكن النفوس تتغير وتشترى .. الآن سأتكلم عن نفسي وعلاقتي بالسيد بسيم الجدية .. السيد الكبير كما تعلمون من كبار تجار السلاح في العالم ، وهو ضمن شركات خاصة بهذه التجارة أي لا يعمل بمفرده والحروب هي مصدر ثروتهم وتجارتهم ؛ ربما يبيعون للطرفين المتقاتلين ؛ لأن العواطف والانحياز لا يجب أن يدخل في عملهم .. فهم لهم علاقات تجارية مع كبرى شركات إنتاج الأسلحة والرصاص والقنابل والألغام والصواريخ وحتى الطائرات الحربية تجارة كغيرها من التجارة ، وإن تديرها دول وتشرف عليها لكن هناك شركات ومصانع ليس لها ارتباط بدول ، فالرجل له علاقات بعصابات دولية تتجر بالذخيرة والرشاشات وغيرها من قطع الغيار ، وحتى عصابات المخدرات تتقاطع مصالحها مع تجار السلاح ؛ لأن بعض الدول والمتمردين يدفعون ثمن السلاح من أموال المخدرات ؛لأنهم ليسوا دولا عندهم ضرائب وميزانيات ، تجارة السلاح إجمالا معقدة .. وفيها سماسرة كثر .. وله شركاء في الهند مسقط رأسي أنا ، والهند بعد الحرب العالمية الثانية كانت بؤرة حرب وقتال خاصة بعد خروج الإنجليز المستعمرين وتقسيم البلاد إلى دويلات مثل الباكستان .. فكانت بلادنا بؤرة صراع دولي ، ثم ظهرت دولة بنغلاديش للعيان ونيبال وسيرلانكا وكشمير .. فهي مرتع خصب لتجار وسماسرة الأسلحة .. قرأت مرة إعلانا في جريدة هندية عن طلب رجل أعمال لسكرتير وكنت أعمل سكرتيرا في شركة هندية خاصة ، فقابلت الرجل بسيم الجدية وهو يجيد الحديث والحوار باللغة الإنجليزية رغم أنه لم يدرس في جامعة ؛ لكن الحياة علمته ذلك ، ووقع عليّ الاختيار ، وفهمت ووعيت طبيعة العمل والأخطار المحدقة بي وبعملي ، وبعد تردد وافقت

على العمل وقدمت استقالتي من شركة بلدي.. فالأجر كان كبيرا في شركة السيد بسيم وشركائه ، وعلمت أن عملي سيكون عمل سكرتير خاص بالرجل ، وإن كان راتبي سآخذه من الشركة القابعة في الهند ، وعلمت منه أن حركته دائمة ، فصرت أتنقل معه عبر قارات العالم يوما في البرازيل حيث لهم مجموعة من الشركات والأسماء التجارية ؛ ربما تكون الشركة مسجلة لتجارة الدقيق أو الحليب وهي تتاجر بالأسلحة، فيكون الحليب أسلحة والدقيق أسلحة .. ويوما آخر في فرنسا خاصة أيام حرب فيتنام الفرنسية .. ويوما في دولة عربية .. ولما كان يأتي لهذا البلد كان يسمح لي بزيارة أهلي وزوجتي ، لقد كان لي زوجة قبل هذه التي معي هنا ؛ ولكنها ماتت في فيضان أصاب منطقتنا في بلادنا الكبيرة كما تعلمون .. وأما زوجتي رامان فقد تزوجتها منذ سنوات قليلة ، فهي فتاة متعلمة في الجامعة وجيدة .. فهذه بداياتي مع الشيح الكبير بسيم الجدية رحمه الله الرحمة الكبيرة .. أما عن استقراري في هذه المدينة والبلاد فخيرني الرجل بين البقاء والاستقالة فآثرت مرافقته إلى الأبد ، فقد كان الرجل كريما معي ، وأعرف الخطر المحدق به من الأصدقاء والأعداء خاصة بعدما نجا من حادث تفجير رهيب قبل سنوات من موته .

فقال العقيد : أتشك في أحد معين يا مايا ؟

ـ حقيقة أشك في كل موظف يعمل معنا من أمريكا اللاتينية .. فهم الأكثر عداء للرجل أقصد عصابات تلك البلاد ، ولديهم غريزة الحقد والانتقام والثأر ، وله أعداء أشداء من عصابات المخدرات والتهريب .. فأمريكا بجبروتها العالمي عاجزة على القضاء على عصابات المخدرات والمهربين الزاحفين من المكسيك وكولومبيا ، وقد خطفوا ابنة له قديما في البرازيل ، وعمرها عشر سنوات للمساومة ولم يفلحوا في ذلك ، وقيل إن أحدهم تزوجها أحد أفراد العصابات أما أحد معين لا أستطيع ذلك أيها السادة صدقوا أنني بعد عودتي حاولت أن أجعل من نفسي مخبرا سريا فلم أنجح ، وأنا على استعداد للتعاون الكامل .

ـ وباقي الموظفين كيف تختارونهم ؟

ـ كلهم أجانب بالنسبة لهذا البلد ، وهم من عدة جنسيات .. التنوع من وسائل الحماية وعدم الاختراق للقصر ، وثانيا ليبق هؤلاء في القصر على طول أو أغلب أيام السنة .. فالمواطن المحلي سيصعب عليه البقاء هنا باستمرار .. له أهل وأقارب وزيارات .. قضية أمنية حسب علمي .. فهؤلاء ستبقى حركتهم قليلة .. هذه وجهة نظره يا سيدي .. وتنوعهم يصعب عملية التواطؤ عليه .. فالحراس الخمسة من بلاد خمس ، أحدهم برازيلي والثاني بوليفي والثالث من فيتنام والرابع من الباكستان والخامس من أفريقيا .. لغاتهم مختلفة لا يفهمون على بعض إلا بلغة وسيطة كالإنجليزية مثلا .. فهذا في رأيه يضعف تآمرهم وخيانتهم .. وهكذا سائر الموظفين في القصر .

فقال العقيد مبتسما : وهذا خط دفاع آخر !

فقال الهندي مايا بحزن وأسف : ومع ذلك أيها السادة وصلوا إليه .. وأنا مثلكم متلهف لمعرفة اليد الآثمة الجبانة الغادرة مع يقيني أن العقل المدبر لهذه الجريمة من خارج القصر ؛ وربما يجلس الآن مع عشيقته في بلاده يحدث الناس عن انتصاره واغتياله لخصم له .. وهم أغروا القاتل بفعلته ونجاته ، وأن القصر سيغلق بعد الجريمة بأيام ، وربما أشهر ..وسينتهي بسيم الجدية من التاريخ .. ومع ظهور الكنز وبقاء القصر انحشر الجاني ، واضطر للصمت حتى لا يكتشف .. ولا أحد طلب طلب إخلاء حتى لا يشتبه به.

٢٠

استطاع العقيد حاتم إثارة الرعب والقلق في نفوس العاملين في قصر السيد بسيم بإظهار الشرطة المسلحة والإيحاء بأن الشرطة عازمة ومصممة على معرفة الجاني الخائن الغادر رغم مرور ما يقارب السنتين على الجريمة .

استدعيت رامان زوج مايا بعد مغادرة مايا للاستجواب ، وبعد الترحيب وقرأ العقيد المعلومات الموجودة في الكشف المعد بأسماء ووظائف سكان القصر ، ذكرت أنها التحقت بالعمل في القصر بعد اقترانها بمايا في أثناء إحدى إجازاته ، التقيا في مناسبة زواج عن طريق قريبة له ، ثم تزوجا ، وجاء بها إلى القصر بعد موافقة السيد الكبير ، وهي متعلمة ومتخرجة من قسم إدارة الأعمال ، وذكرت أنها لم تأخذ إجازة خارج القطر منذ التحقت بالعمل ، ولها طفل واحد ، وذكرت نشاطها ليلة الحادث فقالت : كانت الأمور تسير كالمعتاد ، لم ألحظ شيئا متغيرا خلال النهار عما ألفناه .. كل شخص في موقعه ، وتحدث معي السيد في فترة الصباح على الهاتف ، وسألني عن وضع القصر ، فقلت له كل شيء على ما يرام .. لم يشكُ مرضا ، ولا ألما .. وتابعت نشاطي المكتبي كسائر الأيام ، ومررت على المطبخ وتحدثت مع الطهاة ، ودخلت غرفة التحكم المجاورة لمكتبي أنا وزوجي ، وتحدثت مع الحرس .. وتابعت شغل الخدم في تنظيف الطابق الأول والثاني الغرف المفتوحة طبعا كقاعة الاجتماعات والمحاضرات والمكتبة .. فالمكتبات لا تغلق أبوابها حتى مكتبة الطابق الأول الرئيسية ، ويسمح لمن يرغب بالقراءة الجلوس فيها ، وبعد العصر زرت البستان ورأيت عددا لا بأس به من الموظفين هناك وعدت لمكتبي ، وكنت أقرأ في كتاب عن إندونيسيا أكثر دولة فيها مسلمون ، وصدمت عندما تحدث معي الحرس عن قدوم الطبيب ، وكنا قرب الساعة الثامنة إلا ربع مساء ، فالسيد لم يتحدث معي عن طلبه الطبيب ؛ ولكنه في العادة عندما لم يكن مايا في القصر يستخدم الهاتف المباشر {دايركت} يستغني عن المقسم في اتصالاته الطبية ، فتركت المكتب ونزلت حيث البوابة ـ وكان الحارس يفتح لهم الباب بعد موافقتي على فتحها قبل الهبوط

للبوابة ـ فلم يخبرني السيد باستدعاء الطبيب ، وأنا لم أعلم بمرض أحد ذلك النهار وأول ذلك الليل .. فنحن لم نطلب طبيبا وعادة استدعاء الطبيب من ضمن عملي أنا ومايا ..قمنا باللازم اتصلت بغرف النوم الخاصة بالسيد لنعرف في أي غرفة هو موجود ، فلم نتلقَ ردا ، فزاد رعبي ووقع في قلبي موت الرجل بسبب الشيخوخة والهرم ، فتكلمت مع الحرس عن رؤيتهم للسيد مساء اليوم فأخبرني أحدهم عن رؤيته له وهو يغادر السطح ، وكنت سأطلب منهم جلب خادمه الخاص لي ـ والخادم بعد أن يتعشى السيد لا يعرف أين يبات السيد ؟ عندما يحتاجه يضغط على جهاز خاص بينهما ، فيذكر له أين هو ؟ لكن الحارس الإفريقي سينكالا كامارا اختصر الخطوة ، وذكر أنا رآه عندما كان يفتش السطح ويغلق بابه .. رآه في غرفة بجوار مكتبة الطابق الثالث ، فأخذت مفاتيح غرف الطابق الثالث كلها ، وركبنا المصعد والخوف والقلق على حياة السيد ينتابني .. وصلنا الغرفة حركت أكرة الباب فكان مغلقا ، فتحت الباب بالمفاتيح التي حملتها معي ، أضاءت النور والتفت نحو السرير ، وكانت الصاعقة .. الرجل كأنه نائم ؛ ولكنّ الدم يملأ وجه وسريره ، وقام الدكتور جادور بالواجب الطبي ، ثم تحدث مع البوليس المحلي ، وبعد ساعات كان المكان يمتلأ برجال الأمن والبوليس ، وانتشر خبر مقتل السيد في القصر ، وبدأ التصوير والتحقيق الأولي .. وقمت أنا بالاتصال بمايا ناقلا له الخبر ومعزيا ، وأعطيت الشرطة هاتف المحاميين داود وحمدان وهاتف السيد أديب حفيد الرجل ، وكنا قد أغلقنا الطابق الأول والثاني فور اكتشاف الجريمة .

فقال العقيد : إذن اتصال السيد بسيم بجادور لم يتم عبر مقسم القصر .

ردت رامان: لدى السيد خط هاتف لا يمر عبر المقسم ؛ لذلك تجدون في بعض الغرف أكثر من هاتف متجاورين ..فالسيد يحب أن يتصل أحيانا دون المقسم الداخلي زيادة في الأمان والسرية .. ومكالمات سكان القصر كلهم ما عدا السيد تمر عبر مقسم القصر الموجود في مكتب السكرتاريا بجوار غرفة السيطرة ، ونستقبل الاتصالات الخارجية عن طريق المقسم خاصة لموظفي القصر ، وتسجل المكالمات كلها ما عدا مكالمات خط السيد الخاص .. وهناك

ـ أتشكين يا سيدة رامان بشخص معين ؟

ـ أغلب سكان القصر من قدامى العاملين .. فبعضهم منذ أنشئ القصر ، وبعضهم له أكثر من عشر سنوات ، وأقلهم ثلاث سنوات قبل ليلة الجريمة ، فالحارس الإفريقي عند الحادث كان له في الخدمة تقريبا ثلاث سنوات ؛ ولكنه عمل حارسا للسيد الكبير في أحد بلدان أفريقيا ، وكان يعمل هنا قبله حارس أفريقي ، فلما مات أثناء إجازة في بلده ، أحضر سينكالا كامارا للعمل مكانه أو نقل للعمل هنا ، وأذكر أيضا أن ابنة رجل الكوي والغسيل (ماريانا توماس برينو) التحقت بنا هنا منذ ثلاث سنوات ، الشابة الصغيرة عندما انتهت من جامعتها ، ووافق السيد على عملها مع أمها وأبيها في القصر قل حالة إنسانية خاصة ، وهناك السائق الهندي {بكار} له ثلاث سنوات أيضا عند وقت الحادث .. فهؤلاء أقل الناس خدمة وعملا هنا .. فالكوى {توماس} وزوجته يعملان في القصر منذ بني القصر ، وقبل سنوات تعلقت ابنته المتخرجة من الجامعة بالمخدرات ، ولما كانوا في زيارة لبلدهم ورأوا حالها ترجوا السيد أن يسمح لها بالبقاء معهم ، فجاءت وأرسلها لمركز علاج الإدمان بضعة شهور ثم ألحقها بالعمل مع والديها في غرفة الغسيل والكوي ، وهي دائما كئيبة وحزينة ، وتدخن بشراهة وكثرة ، وتصرف كل دخلها على الشراب والدخان ، وحاولت إدخال الخمر على القصر ، فرفض السيد ذلك ؛ فلذلك تخرج كل أسبوع للعاصمة أو جاد لشرب الخمر ؛ وربما تعاطي المخدرات ولا أدري كيف تحصل عليها ؟! وعندنا نظام رحلات ونزهات للموظفين والعاملين معنا ، والذي يراه السيد كثير السكر فيصرفه من العمل وينهي عقده ، وكان السيد ينتظر إنهاء خدمات الكوى وزوجته بانتهاء عقدهم مع شركة الضمان الاجتماعي ليصرف الفتاة معهم .. وقد حاولت مرة إدخال المخدرات للقصر لتتعاطها .

ـ من أين تحصل عليها ؟

ـ لا أعرف بالضبط يا سيدي .. فالتفتيش عند العودة لابد منه ، كل من يخرج في رحلة في

إجازة في مشوار في علاج يفتش بكل دقة عند عودته .. ممنوع إدخال مواد مسكرة ومخدرة وأسلحة وذخيرة بأنواعها المختلفة .. ومرات نطلب رجال مكافحة المخدرات ونستعين بهم لعمل جولة في القصر .

فقال حاتم : هذه الفتاة لابد من رؤيتها لنعرف من أين تحصل على المخدرات ؟ .. فهل يسمح بخروجهم يوميا أسبوعيا ؟

قالت : إن لم يكن أحدهم مريضا يرتب لهم المحامي داود زيارات ورحلات قد تأخذ يوما أو أكثر إلى أماكن سياحية أو إلى حدائق عامة ومتنزهات .. ونسمح لهم يوم الأحد بزيارة المدينة بضع ساعات مدينة جاد طبعا .. يذهبون لمن يرغب بحافلة صغيرة تأتي من المدينة منذ الصباح وعلى التاسعة ينطلقون ،وقبل المغرب يقفلون إلا من استأذن للنزول للعاصمة على رغبته ونفقته .. ولا يذهب الجميع طبعا في نفس الوقت .. والكل هنا عائلات يا سيدي .

ـ هل يمكن تجنيد شخص أثناء رحلات العاملين ؟

قالت : عندما ينزلون المدينة يتفرقون ويخبرهم السائق بأن وقت العودة الساعة كذا ، ويذكر لهم مكان التجمع ، ومن يتأخر عن موعد الحافلة يعود وحده أو من معه أو ينام في المدينة على نفقته الخاصة ، ويقبل في الصباح بسيارة أجرة ، وعليه أن يتصل بالقصر مخبرا لنا بتأخره ورغبته بقضاء الليل في مكان كذا .. السيد يوم الإجازة يترك لهم الحرية في السهر واللهو .. القصر ليس سجنا.. فإمكانية تجنيد شخص واردة ؛ ولكن إدخال شيء مما سبق وذكرته لكم من الممنوعات لا يمكن إدخاله ، وإلا الحرس كلهم يتحملون المسؤولية على وجود شيء لا يسمح في وجوده .. والاتصالات كما أخبرتم تحت المراقبة وتسجل ، ورغم طول العهد كنا نتابع المهام

ـ شكرا سيدة رامان .. وعلينا أيضا مقابلة الحارس الإفريقي أيها السادة .. فهو آخر من رأى السيد حيا عدا قاتله .. لو أرسلتيه لنا من فضلك .

وجاء الحارس سينكالا كامارا وبعد جلوسه والترحيب به قال المحقق : كان دورك تلك الليلة

المؤلمة على قلبك أن تتفقد السطح وتغلق الباب أليس كذلك؟

تبسم الرجل وبانت الأسنان البيضاء اللامعة وقال : نعم ، حزنت جدا لمقتل الرجل الطيب لقد عاشرته سنوات وسنوات قبل أن أسكن معه في هذا القصر ، لقد بكيت عليه أكثر مما بكيت على أبي عندما مات ..عندما نزلت الدرج متجها للمصعد كان السيد يترك المكتبة ويدخل الغرفة المقابلة لها .. هي غرفة استراحة وقيلولة للرجل ومعدة للنوم ، فأحس بي فالتفت إليّ فأشرت بيدي للأعلى ففهم أني كنت أتفقد السطح وحول القصر من الأعلى ، وأغلقت الباب للسطح فحييته ، ورد التحية ودخل الغرفة ، وتابعت مشيي إلى المصعد ونزلت لغرفة السيطرة ووقعت على دفتر إغلاق السطح ، وجلست قليلا مع (السيدة رامان) ثم ذهبت لقاعة الطعام وطلبت عشائي .

ـ إذن تكلمت معه بالسلام.

ـ نعم يا سيدي ، ودخل الغرفة أمامي وكان طبيعيا ، لا يبدو عليه القلق والانزعاج ، وأنا أعرفه جيدا يا سيدي .. ولما جاء الطبيب جادور أصبح عندنا طوارئ كما يقال أخبرنا رامان ونزلت لاستقبال الطبيب ومعرفة سبب حضوره ، وكان أحد الزملاء نزل لفتح البوابة عندما رأينا السيارة تدخل طريق القصر أو بوابة القصر الرئيسية ، ولما علمت أنهم فشلوا بالاتصال بالسيد أخبرتهم أني رأيته في الطابق الثالث يدخل غرفة استراحة المكتبة ، وذهبوا لهناك ، وكانت المفاجأة المؤلمة كما قلتم يا سيدي .. وهذا قلته بدون تردد لرجال البوليس في التحقيق القديم .

ـ ذكرت أن الرجل كان طبيعيا كما تعودت عليه ؟

ـ أجل يا سيدي كما كنت أراه دائما.

ـ شكرا سيد كامارا

ـ عفوا سيدي .

التقى فريق التحقيق بباقي أفراد الحرس ، ولم يضف أحدهم شيئا مهما للتحقيق ، ودخل الطهاة وخدم القصر وزوجات الحرس ، كان العقيد ينظر للشخص ويقرأ المعلومات المكتوبة بالكشف عنه ، ومسماه العملي أي مهنته في القصر ، ووجد أن أغلبهم قريب من الخمسين سنة عمرا ، وطال الحديث مع الخادم الخاص الأسيوي عزيز الباكستاني الذي قال إنه ترك السيد في قاعة الطعام بعد أن قدم له العشاء الخفيف والشاي ، وبعدما انهى السيد طعامه أخذ صينية الطعام ، وترك له وعاء الشاي الساخن " ترموس " ونزل للعشاء في قاعة الطعام ، وبين أن السيد عندما يحتاجه شخصيا يتصل به بواسطة جهاز خاص بينهم ، وجلس في صالة الطعام يتعشى مع زوجته التي كانت تنتظره فيها ، وذكر أنه وجد في الصالة الطهاة الأربعة الرجلين وزوجاتهم ، وكان المسؤول عن الغسيل والكوي السيد توماس البرازيلي يتناول طعامه هو وزوجته أيضا دون ابنتهما فقالا إنها أكلت لقيمات وذهبت لتدخن ، وأخبر الرجل أن السيد بعد تقديم وجبة العشاء له لم يتصل به ؛ لأنه ترك الشاي عنده ، وصعق الرجل لما سمع الخبر وصدم وذرف بعض الدمع تأثرا على اغتيال الرجل ، وكان ينتظر إنهاء خدماتهم بعد انتهاء التحقيق ، لأنه لم يعد له عمل مخصص بعد موته السيد .

فقال العقيد لمن معه بعد سماع أقوال الخادم وأين كان وقت حدوث الجريمة كما بينه لهم الدكتور جادور ؟ فبعض الموظفين كانوا في قاعة الطعام يأكلون ، وبعضهم يجلس في صالة السهر يشرب القهوة والمشروبات ،وبعض آخر يجلس في غرفة التدخين يدخن : سبحان الله رغم كل الاحتياطات الأمنية والتكنولوجيا المتيسرة وصلوا للسيد بسيم !

كان العقيد حاتم يركز في السماع على تحديد مكان وجود الشخص ساعة مقتل السيد التي حصرها العقيد في وقت الاتصال بجادور بعد آذان المغرب بقليل وانقطاع المكالمة الخطيرة .

كان يتصور المحققان أن انشغال أهل القصر بوجبة العشاء عند موعد صلاة المغرب ساعد على ارتكاب الحادث ، فلما ترك الخادم الآسيوي عزيز السيد تسلل القاتل إلى أعلى ولم يلتقِ

بالحارس الإفريقي أو كان مختبئا في الطابق الثالث .. استطاع الوصول لغرفة السيد حيث دخل السيد يصلي .. استطاع إدخال الغاز للغرفة ، فتعب السيد من الرائحة فاتصل بجادور ، ودخل القاتل وتابع جريمته هكذا كان تصور المحققين للجريمة .

جاء الكوا توماس وزوجته وابنته الذي بين لهم أنه يعمل مع السيد منذ بدأ السيد توظيف الموظفين والعاملين لخدمة القصر ، وكان يبلغ الخمسين عاما عند حدوث الجريمة ، وهو من مدينة ريو البرازيلية ، وأنه عمل في شركة من شركاته في البرازيل ، وكانت الشركة تعمل في استيراد الثياب وتصديرها لدول أمريكيا اللاتينية الأخرى ، وكانت وظيفته فيها الكي والغسيل ، ثم تعرف على زوجته من خلال الشركة ، وهي مواطنة قدمت من ريف العاصمة وبعد حين تزوجا حسب تقاليد البلاد ، وهما من أصول هندية حمراء ، وذكر أنه قبل العمل في شركة السيد بسيم عمل في أحد فنادق العاصمة سان باولو ، وذات يوم أخبره رئيسه في العمل عن حاجة الشركة لعمال غسيل وكوي الثياب ، فانتقل إليها ، ثم جاء للعمل مع السيد في قصره النائي ، وكانوا يستوردون ملابس من أوروبا مستعملة وغير مستعملة وقال : وعلمت ـ فيما بعد ـ أن هذه التجارة واجهة لترتيب صفقات السلاح لا أدري كيف ؟ فإنما كان عملي الغسيل والكوي ، ولا أدري كيف كانوا يبيعون السلاح من خلال الشركة ؟ لكن كان من المعروف لي ولزوجتي أن السيد تاجر سلاح.

تابع قائلا : جئت لهنا لفترة قصيرة للتجربة ، ثم طاب لي المكث فظللت مع السيد الجدية حتى مات ، وأنتظر إنهاء خدماتي والعودة للبرازيل ، وقبل مجيء إلى هنا كان لديّ ثلاثة مواليد أكبرهم عندما جئنا كان عمره عشرين سنة ، فشل في المدرسة وترك الأسرة ، وتعلق في المخدرات تعاطيا وترويجا ، وعجزت عن معالجته فتركته لمصيره ، والبنت التي تصغره لما بلغت سن المراهقة تركت البيت للحياة مع أصدقائها في المدينة ، وكانوا أصدقاء سوء ، وأما التي أحضرتها إلى هنا للعمل مع السيد فتكفلت بها شقيقة لي ، فعاشت معها في قرية قريبة من المدينة ، وكنت أرسل لها المال حتى تخرجت من الجامعة ، ومع ذلك تعلقت هي الأخرى أثناء

الجامعة بالخمر والسمر والحفلات ، وقد ولدت ولادة غير شرعية من عشيق أو صديق ، وتخلى عنها الرجل فازدادت إدمانا ودخانا ، ووافق السيد على مجيئها شفقة منه علينا ، وقدم لها العلاج في هذا البلاد ؛ ولكنها للأسف ما زالت تبحث عن المخدرات وتتعاطها ، فقد تبعها بعض رفاقها إلى هنا ، وقد حاول السيد منعها من الالتقاء بهم ؛ ولكنها تستغل فترة خروجها للاجتماع بهم ، وكان السيد قبل موته يريد أن ينهي خدمتي حسب قانون الضمان المحلي ويصرفها ويصرفنا جميعا ، وحتى مرات فكر بطردها قبل إنهاء خدمتي لديه ، وعندما يتحدث معنا ومعها يشفق عليها وعلينا ، ويتجاهل الأمر إلى حين ظانا أنها ربما تتحسن حالتها ، وغلب على ظننا بعد وفاة الرجل أن يغلق القصر وتنتهي الأعمال ؛ ولكن بظهور الكنز المخفي وعدم معرفة الجاني تأجل الخروج والسفر .

وذكر أنه ترك غرفة الكوي في الساعة الخامسة مساء وذهب إلى مطعم القصر ، وطلب كأسا من الماء والقهوة ، ثم أخذ يستعد لتناول العشاء عندما قرع جرس حلول موعد العشاء ، فمشيت لقاعة الأكل وتناولت ما أعده لنا الطاهي (الكسندر) وأكلنا القليل من الطعام ، وتركتنا البنت ، وذهبنا لصالة السهر نادي القصر ، وشربنا بعض الشاي ، وتحدثنا مع بعض الموجودين ، ثم عدت وزوجتي لشقتنا في نفس الطابق ، فكل العاملين يسكنون في الطابق الأول ما عدا السكرتير وزوجته شقتهما في الطابق الثاني ، وقبل أن ننام ـ فأنا لا أحب السهر كثيرا ـ انتشر خبر مجيء الطبيب جادور إلى القصر ، ولم أكن سمعت أن أحدنا مريض ذاك النهار أو أثناء العشاء .. وعلمنا أن السيد هو الذي استدعاه فقلقنا إلى حد ما ، ثم جاء الخبر الصاعق بوجود السيد مقتولا في حجرة من حجر الطابق الثالث ، فقد قتل رميا بالرصاص .

ورددت الزوجة بحزن وضيق واضحين ما قاله الزوج عن مأساتهما في ذريتهما ، وما جرى ليلة مقتل السيد بسيم ، وتحدثت عن سعيهما بإنقاذ ابنتهما المتعلمة من براثن المخدرات ، وقبول السيد عملها معهما هنا ، وسعيه لمعالجتها في المركز الوطني لعلاج الإدمان في العاصمة بلبل خاصة بعد ولادتها سفاحا ، وذكرت لحوق رفاق السوء بها إلى هنا .

أمر العقيد حاتم بإدخال البنت (ماريانا) بعد صرف الأم بعد الأب ، فلما تأملها العقيد ظن أن عمرها قريب من الأربعين عاما سمراء هندية ، كان التعب ظاهرا عليها ، وعلامات الإدمان بادية بشكل جيد رغم علاجها الذي استمر أكثر من تسعين يوما كما يظهر ذلك في ملفها ، وكانت تلبس ملابس شبه عارية ، وكانت تتظاهر بأنها غير مبالية بالاستجواب ، وقد قبلت للعمل شفقة وعطف من السيد عليها وعلى والديها ، وكانت مأساتها واضحة على بدنها وشكلها فجلست حيث أشار لها العقيد ، وقرأ عليها اسمها وتاريخ ميلادها ومكان ولادتها ، وأنها منذ جاءت البلد لم تسافر للبرازيل ، فوافقت على كل ما قرئ عليها ، واستأذنت بتدخين سيجارة فسمح لها بذلك ، فسألها الضابط بواسطة المترجمين عن دراستها ولماذا لم تعمل في خدمة وطنها ؟ فبينت أنها عملت في مستشفى خاص ؛ ولكن بسب تعلقها بالمخدرات طردت من عملها إلا إذا تعالجت منها فيمكنها العودة لعملها ، وتحسنت صحتها إلى حد ما ، ثم اضطرت للاستسلام لعصابات المخدرات كعشيقة وكمروجة ، وسبب وقوعها في المخدرات رفاقها ذكورا وإناثا أثناء فترة الجامعة ، وأنها ولدت سفاحا قبل تخرجها من الجامعة ، وترك المولود على باب كنيسة لتخلي أبيه عنه وعنها وعدم الاعتراف به ، وأنها تكره الحياة وتحقد على الناس ، وتلعن والديها لإنجابهم لها ؛ ولكنها أمام دموع والديها في آخر زيارة لهما للبرازيل تركت الانتحار ، وأحبت أن تأخذ فرصة جديدة للحياة ، ورحبت بفكرة السفر لهذه المدينة والعلاج الذي وعدت به ، وسافرت إليهما فعلا ، وأدخلت مركز العلاج من الإدمان وتحسن وضعها بعض الشيء ؛ ولكنها التقت ببعض الزملاء الذين لحقوا بها ، وعادت تتعاطى وتتردد على أماكن بيعها الخفية في جاد أو مدن هذه البلاد ، وكذلك التقت ببعض الشباب الذي تعرفت عليهم أثناء فترة العلاج ، والتقوا بعد خروجهم ، فكانت كلما تأخذ إجازة تلتقي بهم في العاصمة أو جاد فيمدونها بالهيروين والحشيش .. كانت تتكلم بصراحة عن حياتها ؛ ولكنها لم تذكر اسما واحدا ممن يشاركونها التعاطي سواء من أبناء البلد أو رفاقها الأمريكيين ، وكانت تتخلف عدة أيام خارج القصر من أجل التعاطي والسكر ، ومرات تعود عن طريق

الشرطة ، واعترفت أنها لم تستطع التخلص من تعاطي المخدرات ، واعترفت بقضايا جنسية مع عدد من المنحرفين ممن تعرفت عليهم خلال فترة العلاج ، وفعلا كانت تقارير اطلع عليها المحققان عن سلوكها الشائن ، وهذه أيضا من الأسباب التي كانت تدفع السيد بإرجاعها لبلدها ، وكان يؤجل الأمر حتى تغادر الأسرة كلها عندما تنقضي مدة اشتراكهم في الضمان الاجتماعي المحلي ، وقد حاول المحققان معرفة أسماء رفاقها ، ورفضت ذكر أسماء. فقال بعد رفضها : نحن سنساعدك في التخلص من المخدرات إلى الأبد

فقالت بحدة وضيق : لا أريد التخلص منها إني أريد أن أموت .

فتبسم الموجودون من أمنيتها فتابعت بسخط : فشلت في العلاج ، وأنا أنتظر ساعة عتقنا من هذا السجن لا أدري لماذا أبقونا هنا وقد شبع الرجل موتا ؟!

ـ بقيت لأن التحقيق لم يغلق يا آنسة ، وستخرجون من هنا وتعودون لبلادكم ؛ لأننا نسعى إلى إقفال ملف الجريمة بعد هذا التحقيق ، فلو ساعدتم الشرطة في معرفة الجاني لأغلق القصر

فضحكت قهقهة وقالت : وهل ستعرفون القاتل بعد مضي هذه الشهور على الجريمة ؟!

قال العقيد بكل ثقة : أكيد الشرطة لا تمل .. قد يتوقف التحقيق فترة حتى تظهر أدلة جديدة فيفتح التحقيق ثانية ..فالجرائم تبقى مفتوحة حتى يعرف المجرم وتغلق القضية .. فقدموا لنا المعلومات التي لاحظتموها تلك الأيام فستساعدنا في إنهاء القضية .. هل تعرفين شيئا قد نسيت ذكره في التحقيق القديم ؟

لزمت الصمت فقال العقيد : ليلة الحادث بين الخامسة والثامنة كيف قضيت تلك الساعات ؟

ـ تلك ليلة لا تنسى ؛ لأن الجريمة اكتشفت بعد الحادث بساعة أو أكثر كما سمعت .. صعدنا لشقتنا بعد ساعات العمل في الفرن الأرضي قصدي مكان الغسيل والكوي .. ثم ذهبنا للعشاء عندما قرع الجرس ، وأخذنا حظنا من الطعام ، وتركت أسرتي بعد أكل لقيمات إلى صالة السهر ، وقد تبعاني بعد قليل وشربت كولا لا خمر هنا ، وتركتهما لغرفة التدخين .. فالتدخين ممنوع في قاعة الطعام وقاعة السهر واللهو ، وأخذت علبة كولا ثانية ، ووجدت

عددا من المدخنين ، فجلست أدخن بينهم وأشرب الكولا .

ـ هل كان الكثير معك في غرفة التدخين ؟

ـ ليس الكثير عندما دخلت رأيت أحد السواقين يغادر الغرفة فجلست مكانه .. أذكر أن ثلاثة كانوا حينئذ يدخنون ويشربون البيبسي .. أحد الطهاة منهم .. ثم بقيت وحدي بعد خروج الثلاثة ، وظللت أدخن حتى سمعت بخبر موت السيد ، وانقلب القصر رأسا على عقب .. هناك من يبكي ويولول .. وهناك من يرتجف كأن البرد يغمره .. وهناك الصامت الجامد .. هذا في الصالة بعدما تركت الغرفة على أثر سماع الضجة ..وبعدها مشيت لشقتنا في القصر ، فوجدت والديّ يبكيان للخبر وعلى السيد . فقال لي : مات المحسن إليك أرأيت لقد قتلوه ؟ فمسحت دمعة سقطت ربما رغم أنفي .. لم أحب السيد مطلقا ..وكنت أراه سجانا لنا .. كان يمنعنا من إدخال الخمر والمخدرات للقصر.. أليست هي حياتنا ؟ لم أحبه ، وكان يكثر كلما يراني بتهديدي بطردي من القصر ورمي في الشارع ؛ كأنني عبدة عنده .. لولا دموع والديّ فيشفق عليهما ويصبر ، وكذلك رغبة السيد ببقائهما حتى يحق لهما التقاعد ويضمنان راتب الضمان الاجتماعي .. وذكرت ذلك في التحقيق القديم .. وكل العمال هنا كبار في السن سوى بعض الأطفال الذين ولدو متأخرين

ـ ألم تصعدي إلى الطابق الثالث تلك الليلة ؟

فردت بسرعة ضاحكة : لا يسمح لنا بالتواجد في الطابق الثالث ، لا يسمح إلا لخدم الطابق الثالث .. فالطابق الثالث للسيد وضيوفه .. والطوابق في الليل تغلق فنصبح في سجن فعلي يا سيدي المحقق ..ألا تريد منا أن نكرهه ؟

ـ ولكنك أتيت عن طيب خاطر ، لم يجبرك أحد بالعمل هنا حسب أقوالك ابتداء أم نسيت ؟

ـ كان والديّ قد ضغطا عليّ وعلى السيد ليقبل بعملي معهم، فرضخت ولكني ضجرت بسرعة وندمت .

ـ ألا ترغبين بذكر أسماء رفاقك هنا ؟

ـ ومن أين ستأتي المخدرات ؟

ـ سنعالجك كما وعدتك .

ـ لست بحاجة لعلاجكم ، ولا أستطيع إفشاء الأسماء ذلك يعني قتلي .

فقال مالح متدخلا : وأنت تقتلين نفسك وغيرك بالمخدرات .

فلزمت الصمت ، فأشار لها الضابط بالانصراف ، فلما انصرفت قال حاتم : لابد من السماح بالخروج كالمعتاد لن نمنع ذلك مع الرقابة عليها لمعرفة مع من تلتقي في الخارج ، فقد ذكر الحرس والسكرتيرة والسكرتير تعاطيها للمخدرات ومحاولة إدخالها للقصر في كل مرة تتأخر فيها عن المجيء للقصر .. علينا أن نعرف يا مالح أثناء فترة علاجها في مركز العلاج مع من كانت تجلس وتتعالج .. فأسماؤهم معروفة في مركز العلاج ، وعلينا مراقبة اتصالاتها بالخارج فهي وإن كانت مدمنة فهي خطيرة وتعي بماذا تتكلم ؟ رغم أنهم اشتبهوا بها في التحقيق الأول ولكنهم لم يتابعوها بشكل جيد ، فرغم بساطتها فهي تشكل خطرا حقيقيا في نظري أيها السادة .. طبعا يبدو أن لا مصلحة لها في قتل الرجل حتى الآن ؛ لأننا لم نحدد هدف وغاية الجريمة .. الدافع لهذا الاغتيال .. ومن السهل تجنيدها من أجل الحصول على المخدرات والزنا أو التجسس على أهل القصر فهي متعلمة في الجامعة .. ولابد أن لها معرفة بالإنجليزية اللغة السائدة بين أغلب الأفراد الموجودين هنا .

قال مالح : كلامك معقول يا سيدي العقيد ! سنوليها اهتماما أكثر فالذي يتعاطى المخدرات يسهل السيطرة عليه واستغلاله .. وهو مستعد لكل شيء من أجلها .. فهي في نظري فتاة خطرة رغم ما يبدو عليها من تعب وهم ويأس وبؤس .

فقال ضابط الدائرة المرافق لهم : سأهتم بمتابعتها ، وأتحدث مع مدير المكافحة في المنطقة ، سنجد لديهم معلومات عنها ما دام قد قبض عليها في دور دعارة وملاهي

٢٢

مكث العقيد حاتم وفريق التحقيق يترددون على القصر ثلاثة أيام ، يصلون الساعة العاشرة صباحا وينصرفون بعد العصر ، وكان يلتقي بالسكرتير بعد أن كلفه ببعض المهام ، فسأله حسب الاتفاق بينهم عمن اتصل بالخارج بعد مغادراتهم للقصر فقال مايا: جاءنا اتصال من إفريقيا تحدث أحدهم مع السيد سينكالا وسجلت الاتصال .

ـ أحسنت وسأكلف المترجمين بترجمة التسجيل !

ـ الفتاة البرازيلية فتاة المخدرات ـ كما نسميها بيننا ـ تحدثت مع شخص مكالمة قصيرة ، وكانت عن طريق سنترال .. وبعد منتصف الليل جاءها اتصال؛ ربما من نفس الشخص الذي كلمته ـ أنا لا أحسن اللغة البرتغالية أو لغة الهنود الحمر ـ وتخلل المكالمة بعض الكلمات الإنجليزية ، وهي مسجلة أيضا ، وفهمت أن المكالمة تعبر عن حاجتها إلى كمية من المخدرات هذه المكالمات التي سجلت بعد انصرافكم في اليوم الأول .. وأمور القصر والعمال تمضي كالمعتاد ، والكل متلهف لمعرفة نهاية وجوده في القصر ، فكلهم يعلم برغبة السيد الصغير ببيع القصر .

قال العقيد : أحسنت يا أستاذ مايا!

ـ العفو يا سيدي كان السيد يعتبرني ابنا له .. وقد قمت بمحاولة الترجمة ، وسأقول لك ما فهمته قبل أن تعرض التسجيلات على رجالك .. مكالمة السيد كامارا فيها خبر عن حادث سير تعرض له ابن للسيد ..يخبرونه أنه في المستشفى ووضعه حرج ، لأنه بعد وقت يسير جاء يطلب مالا ، فاتصلت في البنك وطلبت تحويل مبلغ من المال على مصرفه هناك ، وهو يفكر بتسفير زوجته إذا سمحت الشرطة بذلك ، فهذا راجع لكم حتى أبلغه .. وفهمت من مكالمة الفتاة حديثها عن حاجتها لبعض المخدرات ، ثم رغبتها بمقابلة شخص ما في العاصمة بلبل.. لم أفهم هل هو الذي اتصلت به أو شخص من قبله ؟ ولما سألها لماذا ؟ أخبرته بعودة البوليس للتحقيق في الجريمة ، وأنهم سيبقون أسرى حتى يعترف المجرم بجريمته .. ووعدها

المتصل بتأمين كمية مخدرات لها ، وعليها أن تصبر حتى يصرف العمال عن مهماتهم وتعود لبلادها، وفي الصباح بعد الإفطار طلبت مني النزول لجاد ، فأخبرتها أن الخروج متوقف حتى تأذن الشرطة .. وصرخت فيّ ووصفتني بالظلم والجلاد وصرفتها بهدوء .. وفي الليلة التالية حاولت الحديث مع أحدهم فلم يرد عليها أحد .

بعد سماع تقرير مايا عن ردة أفعال سكان القصر على فتح التحقيق من جديد ، جمع العقيد حاتم جميع الموجودين في القصر في قاعة السهر أو نادي القصر ، وتحدث معهم عن الجريمة ، وحذرهم من إخفاء المعلومات عن العدالة ، ونقل المترجمون تحذير العقيد لهم ، ولم يعترف أحد أنه شاهد شخصا يغادر قاعة الطعام وصالة السهر إلى الطابق الثالث ، لم يقر أحد بشيء ، وسمح لهم بالخروج إلى مدينة جاد أو العاصمة كالمعتاد حتى ينتهي التحقيق ليسمح لهم بمغادرة البلاد ، ووعدهم المحقق أن يكون ذلك قريبا ، وبعد انصرافهم همس للسكرتير : استمر في تسجيل المكالمات وإخباري بها لقد اقترب الحل يا سيدي .

كان الاشتباه في نظر المحقق الحارس الإفريقي والفتاة البرازيلية فتاة المخدرات ، وكانت مكافحة المخدرات قد استعدت لمتابعتها عندما تخرج من القصر ، فكان العقيد يرى أن أحدهم استغل فترة انشغال القوم بالطعام ، وتسلل للطابق الثالث عن طريق المصعد وغدر بالرجل ..وأن سلاح الجريمة مخفي داخل القصر بعد أن هرب بطريقة ماكرة استغفل فيها الحرس إن لم يكن الحارس الإفريقي اللاعب الأساسي في الجريمة .

وفي المساء أعلم السكرتير العاملين في القصر بأنه سيسير رحلة للمدينة لتغيير الجو بعد هذه التحقيقات وستستمر للمساء ، وجاءت حافلة سياحية في الصباح لتقل الراغبين بالنزول للمدينة للتسوق ، وطلب الخروج عشر نسوة وثلاثة رجال ، منهم الإفريقي الذي أخذ المزيد من المال ليحوله لبلده .

وفي التاسعة صباحا تحركت السيارة واستقرت بعد ساعتين بالقرب من السوق الكبير في المدينة جاد كالعادة المتبعة ، ونبه عليهم السائق على بداية موعد العودة الخامسة مساء .

وكانت الحافلة تحت مراقبة البحث الجنائي حسب التنسيق بينهم وبين مايا الهندي ، فذهب الإفريقي تصحبه زوجته إلى بنك مدينة جاد ، وحول رصيد الشيك الذي أعطاه إياه مايا إلى بلده ، ثم مشيا إلى نقطة البريد واتصلت الزوجة ، وأرسل سينكالا برقية لعنوان ما ، ثم مشوا إلى السوق العام للمدينة وإلى أحد المطعام أكلا معا ، ثم مشيا إلى إحدى دور سينما جاد وشاهدا فِلما أمريكيا قديما ، وبعد السينما اشتروا بعض الحلوى والمكسرات والفواكه ورجعوا لموقف الحافلة ، وجلسوا في أحد المقاهي المطلة على مكان الحافلة يشربون القهوة ، ويرقبون باقي الركاب ، وكل ذلك تحت مراقبة البحث الجنائي لمدينة جاد .

وأما الفتاة المشتبه بأن لها دورا في القضية ـ وإن لم يتضح بعد ـ فذهبت لأحد المصارف بعدما تركت الحافلة ، وصرفت شيكا حصلت عليه من مايا حسب طلبها ، ثم مشت لحانوت بيع خمور وزلفت إليه ، وشربت كأسا ، وبينما هي تشرب في الخمارة جلس بقربها شاب مدة خمس دقائق ، ثم غاب عنها زمنا ، وعاد ومعه فتاة أخرى أجنبية ، ثم خرجت الفتاتان من الحانة وتجولتا في بعض أسواق المدينة لمدة من الزمن ، ثم دخلتا مطعما سياحيا ، وجلستا بعض الوقت في صالة عامة ، ثم بعد جلوس استمر عشر دقائق انتقلتا لصالة خلفية ، وقضتا ساعة فيها ، ثم عادتا للصالة الرئيسية ، وطلبتا طعاما وخمرا ، وبعد ذلك غادرتا المطعم ، فمشت ماريانا لموقف الحافلة ، والثانية ذهبت حيث الخمارة ، ولما وجدت الحافلة مكانها مشت للمقهى القريب ، وأخذت بالتدخين ، وهذا رصدته الشرطة ، وبعد عودة الحافلة للقصر قبضت الشرطة على شاب وفتاة الحانة وصاحبي الخمارة والمطعم ، وبعد تحقيق قصير أفرج عنهم جميعا ، ولما تكلم العقيد مع السكرتير مايا أخبره أن الفتاة عادت، وقد أخذت حقنة مخدر ، وكانت تلوك قطعة في فمها .

الشرطة تسعى لمعرفة الرجل الذي تحدثت معه الفتاة عن طريق السنترال ليلة أول جلسة استجواب ، فتسأل العقيد : هل لهذا علاقة بالجريمة أم أن القضية تدور حول المخدرات ؟ فهناك من يزود الفتاة بالمخدرات كما ظهر لنا في جاد ؟ والمتعاطي لا يحاكم ؛ ولكن من يزودها

بالمال ؟ فدخلها لا يكفي كما وضح لنا السكرتير .

كانت الأوامر أعطيت للسكرتير بالتساهل مع الفتاة وعدم منعها من التعاطي داخل القصر مبديا أن الرحيل قد اقترب وهذا سبب التساهل ، فهم يريدون الوصول لمصدر تزويدها بالمخدرات والمال لشراء المخدرات كما فعلت في جاد .

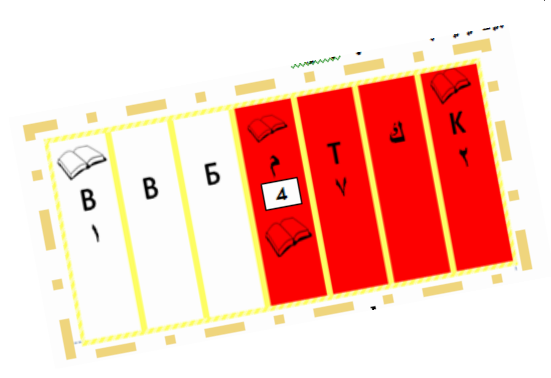


وهناك تطور آخر حدث تطور في قضية الكشف عن لغز الكنز الصحراوي ، وجرى ذلك على يد السيدة سعاد عيسى ، كانت تخبر زوجها بأنها قد تكون اكتشفت شيئا مهما في حل لغز الكنز ، فلما سألها عن ذلك الكشف المهم قالت: أعدت قراءة رسالة جدك مرات ومرات حتى أدركت أنه يتحدث عن المكتبة هذه .. مكتبة القصر هذا ؟

وكانت قد ساقت زوجها لمكتبة القصر ـ المكتبة التي كان الجد يحب المكث فيها عندما يمكث مع حفيده بعض الليالي ـ فقال مندهشا: اللغز هنا!!

ـ تأمل هذه الواجهة ، فهي مثل واجهات مكتبات القصر .. هل فعل جدك ذلك عبثا؟!

قال متحيرا : نعم ، إن هذه الواجهة مثلهنّ تماما يا سعاد .. وهي تشبه ما في الكرت .. نعم ، نفس الترتيب هذه الواجهة .. قسم أحمر وقسم أبيض .. وسبعة رفوف في كل قسم من الأقسام السبعة وماذا بعد ؟!



قالت شارحة: الحرف قلتم تعني الحرف الأول من كلمة مكتبة من سبع لغات ، وفي الكرت

صورة كتاب أربع مرات فهي تعني أربع مكتبات .. ولا تكون أربع مكتبات إلا بهذه المكتبة يا أديب .. فثلاث صور لكتاب يقصد بها مكتبات القصر ، حرف الميم صورة كتاب أعلاه وكتاب أسفله

ـ ورقم ٤ ؟

ـ إنها رقم رفوف يا سيدي .. فلك رسائل داخل رفوف هذه الكتب أو الخزائن

هز رأسه مقتنعا وقال : جيد يا سعاد ما هي هذه الرسائل ؟!

ـ أنا فهمت من رسائل جدك أنه ترك رسالة في إحدى المكتبات ، ومع كثرة قراءاتي لهنّ أعني رسائل جدك أحسست أنها هنا في مكتبة القصر .. وأنا وضعت خطوطا تحت العبارات المعينة على ذلك ، ثم أخذت بالبحث عنها في جناح المكتبة الذي أمامنا كما ترى .. فتحت كثيرا من الكتب لعلي أجد في وسطها رسالة ولم أجد لحتى اليوم أي رسالة .. والكتب كثيرة فهل لك أن تساعدني ؟

ـ رقم أربعة التي تحت حرف الميم هل تعني اسم كتاب أم تعني الرف؟

قالت سعاد : فكرت بأنها كتاب أولا واستعرضت كتب الرف الرابع من الوسط فلم أرى أي رسالة .. والرفوف في كل خزانة سبعة فيكون عندنا سبعة رفوف تحمل الرقم أربعة ، واستعنت ببعض الخادمات في تفتيش كل الرفوف السبعة الوسطى دون جدوى سواء بدأت العد من أعلى أو أسفل فالرفوف تحمل الرقم أربعة ، لم نجد ورقة ولا رسالة ؛ ولكني متيقنة أن للرقم أربعة دلالة ما يا أديب .. وفكرت أن أتابع كل المكتبة خاصة الخزائن السبعة التي تمثل واجهة البطاقة .

ـ لكن لابد للرقم ٤ من مغزى كما أنت متيقنة

ـ هذا أكيد ، علينا المزيد من التأمل والنظر ، وهذه المكتبة منها سينطلق الحل .. ما رأيك بدعوة بشر وخالي والرجال وتتناقشون في فكرتي ؟

ـ حالا

اتصل أديب ببشر ، وتحدث معه في اقتراح سعاد ورأيها ، فاستحسن الصحفي الفكرة وقال : فكرة جديرة بالاهتمام غدا ـ إن شاء ربك ـ سأتصل بالفريق ونرتب زيارة للبيت .

أطلعهم أديب عندما التقوا في بيته عن تحليلات سعاد ، وأطلعهم على العبارات التي تركها جده في رسائله ، وتركز العبارات أن لمكتبة البيت علاقة بحل لغز الكنز ، وعلق اللواء منسي خبير الشيفرات العسكرية والأمنية قائلا : تقدم جيد وممتاز يا مهندسة سعاد ! فعبارة (من هنا نبدأ) إشارة صريحة أن لهذه المكتبة دورا .. يبدو أننا أهملنا قراءة الرسائل بشكل جيد ، ولم نعطها حقها في الدراسة والبحث أيها الأصدقاء !

وقال محمد محسن : وهذه العبارة التي تضع سعاد تحتها خطا أيضا مهمة (مكتبتكم ومكتبتي) فهي تعني مكتبة أديب ومكتبة القصر الصحراوي .

فقال بشر : وهل رقم أربعة يعني الرف الرابع ، وأن رسالة تعني رسالة في الصف الرابع .. وقد قمت يا أخت سعاد أنت والخادمات بالبحث في كل كتب الرف الرابع من هذه الخزائن السبعة ولم تجدي فيها رسالة بطاقة ورقة إشارة .

ردت سعاد بصوت هادئ : نعم يا أخي فتشت كل الرفوف ، فلم أجد شيئا إلا بعض البطاقات التي تستخدم كفواصل أو علامات للقراءة وأين توقفت القراءة ؟ ولم يكتب عليها شيء .. وقد وجدت حوالي عشرين بطاقة ، وللحرص ذكرت كل بطاقة في أي كتاب وجدت ورقم الصفحة ، فكتبت على البطاقة اسم الكتاب ورقم الصفحة بقلم رصاص قد تكون لهذه البطاقات أهمية في خطوة ما .

وتناولت البطاقات من مغلف رسائل كبير ودفعتها لبشر الذي تأملها بعض الوقت ودفعها للآخرين.

فعلق أحدهم : لعل عليها رسالة سرية بالحبر السري الذي نسمع عنه.

اهتم منسي بالموضوع وزاد تعمقه بتلك البطاقات وبعد تدقيق قال: بطاقات لا أهمية لها ، ولا رسالة سرية فيهنّ أو عليهنّ .. هي فواصل يستعين بها الرجل للمكان الذي وصل إليه في

القراءة أو الصفحة التي يبحث فيها ويلزمه أن يعود إليها ، وسبب كثرتها أنه ينساها وينشغل بكتاب آخر ، ومع الوقت تجمع هذا العدد ، وقد نجد الكثير منها لو تصفحنا عددا آخر من الكتب .

ولكنه طلب منهم أن يأخذ كل واحد منهم اسم كتاب عن البطاقة وينظر في الصفحتين التي وجد بينهما الفاصل للمزيد من التأكد من أهمية هذه الفواصل وعدم أهميتها .

وبعد عمل مرهق للنفس قال منسي : إن هذه الفواصل من غير فائدة لحتى الآن في حل لغزنا وكنزنا .

ثم أعلن لهم أن الغداء جاهز فانتقلوا إلى قاعة الطعام المعروفة لهم في قصر السيد أديب يحيى ، وكان جل حديثهم على المائدة حول اكتشاف سعاد الباهر ، وقال اللواء منسي: لابد أن هذه المكتبة لها دور فالبدء منها فقد أغفلناها في تحرياتنا السابقة ، وأعترف أن هذا تقصير .. وجاءتني فكرة بعد الطعام سأعرضها عليكم

ولما انتهوا من الطعام انتقلوا إلى قاعة استقبال ذكرتهم بقاعة الطيور في قصر الصحراء ، وقدمت لهم الفواكه الطازجة والشاي بالنعناع ، وبدأ القضم والرشف والحمد لله ، ثم الثناء على المهندس وزوجته .

فقال حسن : يا حضرة اللواء كنت ذكرت لنا أثناء الأكل عن فكرة ستعرضها علينا بعد الغداء فكرة حول كنز المهندس أديب .. والعجيب أن المهندس من نعم الله عليه أنه ليس بحاجة للكنز ؛ ولكنها رغبة الجد أن لا يباع قصره بعد موته بسرعة !

قال منسي : شكرا أخي حسن .. أنا تحدثت مع قريب لي يعمل مهندسا مدنيا ببلدية العاصمة فاقترح عليّ أن ينشأ المهندس مدينة سكنية قرب القصر سواء ظهر الكنز أم لم يظهر .. وبعد حين من الزمن سيعمر المكان .. وهو سيدعم المشروع ماديا ومعنويا لتصل الخدمات والعمران لذلك المكان أو القصر الرهيب .

فظهر الابتسام على وجه المحامي داود وقال : لقد فكر السيد بسيم قبل موته بسنوات بمثل

هذا المشروع بإنشاء مساكن يوزعها على الفقراء ، ولكن المكان كما كان يقول بعيد عن العمران المدارس بأنواعها والمواصلات والبنية التحتية تحتاج لسنوات وسنوات فالمنطقة بحاجة لشوارع معبدة وكهرباء وماء وصرف صحي حتى تصبح قرية ، ثم مدينة ؛ وربما بعد الوصول للكنز يقرر مصير القصر .. فهناك تطورات جيدة أيضا حول مقتل السيد .. ليس لديّ تفصيل من العقيد حاتم أيها السادة ؛ ولكنه أكد أن القتلة بدأوا يتحركون ، ويبدو أن الجريمة لها علاقات بعصابات المخدرات

قال شاهر : نعود لفكرة اللواء حول البحث عن الكنز

بلع اللواء لقمة من تفاحة كان يمضغها وقال : بما أننا وصلنا أن المكتبة والبطاقة يصلان لهذه المكتبة ، وأن الرف الرابع في الخزانة الوسطى قد يكون المقصود حسب إشارات البطاقة .. فعلينا تصفح كتب ذاك الرف كتابا كتابا نبحث عن ورقة مطبوعة ملصقة كصفحة من الكتاب وليست رسالة عبارة عن ورقة منفصلة أو بطاقة أخرى أو نبحث عن كتاب موضوعه حول الكنوز والشيفرات .

تعاطف الجميع مع فكرة اللواء وانتقلوا لمكتبة القصر من جديد ، وهم سبعة رجال ، فعلى البعض تصفح أسماء الكتب ، والبعض يبحث في ثنايا الكتب ، وتناول بعضهم الكتب من الرف الرابع وجلس على مقعد من مقاعد المكتبة يتصفحه ورقة ورقة ، وكان الرف يحوي عددا من الكتب السميكة ، وهي مجلدة تجليدا فاخرا ، ولها عدد من العنوانين ليست كتابا واحدا ذا مجلدات متعددة ، وبعد ساعة من الصمت المطبق سمع الجميع صرخة أدهشت الجميع صاح أحدهم وهو يرفع الكتاب عاليا : هنا الرسالة! هنا الرسالة!

ترك الجميع ما في أيديهم وأخذوا يتطلعون لبشر بدهشة حتى أن سعاد فزعت والخدم على صيحة الرجل التي خرجت منه بدون وعي بالتأكيد .

فلما هدأت النفوس قال وهو يفتح الكتاب على صفحة معينة : هذا كتاب اسمه " أعمال مهمة للعالم "

فعلق حسن عبد الرحمن : وهل هناك أعمال غير مهمة ؟ .. فالأعمال تكمل بعضها البعض كما أعرف .. من هو مؤلف الكتاب ؟

تبسم بشر وقال : الكتاب باللغة البرازيلية أو الأصح البرتغالية لغة المستعمر لتلك البلاد .. ترك لغته ورحل أو ذاب في تلك الملايين ؛ ولكن الرسالة بالعربية أيها الأسياد ومطبوعة ؛ كأنها صفحة من الكتاب ، وأضيفت على الكتاب عند التجليد وهي تستغرق صفحتان .. جد أديب ذكي جدا أيها الناس .. فالذي يبحث سيصعب عليه البحث في مثل هذا المجلد السميك وبلغة البرازيل .. سيبحث في الكتب العربية .

فعلق اللواء : ألم نر وسائل الحماية التي اتخذها الرجل في القصر يا بشر الرجل مثقف وفهمان ؟!



تناول المنسي الكتاب وحيث الصفحات العربية قرأ بصوت جهوري معروف به :" رسالة خاصة" ..آه ! وصلنا للرسالة أيها الرجال فنهنئك يا سيد أديب على زوجك أولا وعلى صهرك ثانيا .. فسأقرأ الرسالة على حضراتكم فإذا وجدناها واضحة فبها ونعمت فننتقل للخطوة التالية أو المرحلة التي تليها ، وإذا لم نفقه منها شيئا سنصورها ونوزعها عليكم لتدرسوها في بيوتكم ، ونجتمع غدا مساء .. سنكون على اتصال لنحدد خطوة العمل الآتية فأنا أتوقع الرحيل للقصر الصحراوي .. فمن هنا نبدأ وهناك ستنتهي الحكاية كما يقول السيد رحمه الله تعالى .. فالوقت دهمنا فنحن قرب منتصف الليل .. فسأدع القراءة للصحفي الكبير محمد محسن المحترم فصوته رغم جهورية صوتي أراه أفضل مني تفضل يا سيدي ودفع له الكتاب ليقرأ رسالة السيد بسيم الموجودة كصفحات في كتاب برازيلي تحت عنوان :

رسالة خاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي العزيز أديب

عندما تقرأ هذه الرسالة ستعرف أين المرحلة القادمة ؟ لتصل إلى الكنز الذي خبأته لك ولذريتك التي أدعو الله صباح مساء أن يهبك إياها

أنا أعلم أنك لست بحاجة للمال وأنك وديع كالحمل ، وأنا وضعت هذه الأشياء الثمينة حتى تحافظ على قصر جدك .. وأما إذا وصلت لمعرفة الكنز وأسراري الخطيرة فلك أن تبيع ما ورثت عني .. تبيع قصر جدك بسيم الجدية الذي شيده ليختفي فيه من أعدائه وخصومه الكثر ، ويحمي نفسه من الأشرار والشر .. والموت حق يا ولدي لا أهرب منه أبدا .. والموت والموت لا مفر منه ؛ ولكن الحذر مطلوب ومشروع يقول القرآن " خذوا حذركم "

أنا لا أحب أن تعجز من الوصول إليه ؛ ولكن إذا عجزت يا ولدي فسلم الأمانة لذريتك جيلا بعد جيل .

عندما تقرأ هذه الرسالة عليك بالرحيل إلى القصر الصحراوي كما تحب أن تسميه أنت..
اذهب إلى قصر جدك بسيم الجدية
فهنالك ستجد ثلاث مكتبات في كل مكتبة رسالة ترشدك للخطوة التالية .. لا تيأس سوف تصل لكنزك كنز جدك وأسرار جدك بسيم .. لن أقول لك من أين تبدأ ؟ من المكتبة الأولى أو الثانية أو الثالثة في هذه الرسلة ستجد بين سطورها من أي طابق تبدأ وعن الكتاب الذي ينقلك إلى مرحلة جديدة .. ستصل في النهاية ستصل ..

جدك بسيم الجدية

فلما قرئت الرسالة تنفس القوم الصعداء ، وعرفوا أنهم تقدموا خطوة صحيحة للأمام ، وانهالت التهاني والثناء على المهندسة سعاد ، وحلت عليهم البهجة بعد يأس ، واعتبروا ما وصلوا إليه تقدما عظيما ، ثم تصدر الكلام المنسي من جديد وعاد يقول : في الرسالة رسائل لكم جميعا ، ففيها أشياء واضحة ، منها أنها تطلب منا الرحيل للقصر الصحراوي ، ومنها انتهاء عملنا هنا .. هذا في نظري واضح
وأكد الجميع فهم هذه المطالب ، وعاد منسي يقول : ويؤكد الرجل السبب في وضع هذا الكنز وأسرار حياته حتى لا يباع القصر ، ويطمع أن يبقى لذريته من حفيده أديب ؛ ولكنه في نفس الآن ترك الأمر مربوطا بكشف الكنز ؛ فإذا وصلنا للكنز فيحق لأديب بيعه والتخلص منه .. وبنى الرجل المكان أصلا لحماية نفسه من أعدائه الكثر على مر السنين ، وهو مقر أن الموت لا مفر منه ؛ وإنما تكلف ذلك البناء للأخذ بالأسباب والحذر والأمان ، ومنها أيضا فهمت حل الألغاز كما تحدثنا سابقا في مكتبات القصر ، وفي هذه الرسالة من أي طابق سنبدأ البحث عن الكتاب الذي سنجد فيه إشارة للانتقال إلى مرحلة أخرى .. كم عدد المراحل ؟ لست أدري ؛ لكن كما يبدو لي من بعض الإشارات إنها سبع مراحل .. ألديك آلة تصوير الأوراق هنا سيد أديب ؟
ـ نعم

قال منسي متحمسا : نحن سبعة فعليك بتصوير نسخة لكل واحد منا ليقرأ الرسالة على مهل وفي بيته ، وغدا نجتمع من جديد أو تحددون الوقت المناسب على الهاتف ؛ ربما تعبتم الليلة وتحتاجون لتعويض سهر الليلة .. المهم يكتب أو يحفظ كل شخص الملاحظات الاستنباطات التي يراها من قراءة هذه الرسالة .

ذهب أديب وسعاد لتصوير رسالة الجد بسيم من الكتاب" أعمال مهمة للعالم " ، وبعد زمن يسير تم تصوير نسخ من الرسالة ، وزعها أديب على الحاضرين ، وشكرهم على تعبهم وسهرهم معه ، فأبدوا سرورهم بالتعرف عليه وعلى أصهاره وعلى مشاركتهم له في هذه المهمة المعقدة ، والمسرة للنفوس في نفس الحين .

وقال منسي : متى تحبون أن يكون الاجتماع القادم وساعته؟

قال محسن : أنا قد أغيب غدا أيها الكرام ؛ ولكن إذا قدح في ذهني شيء سأبوح به للسيد بشر عيسى وهو ينقله لكم .

رد منسي عليه قائلا: لا بأس ، بعد صلاة العشاء الساعة (التاسعة) سيكون لقاؤنا في بيت صديقنا المهندس يحيى .

وافق الجميع على هذا اللقاء ليلة الغد .

قال منسي: إذا وفقنا في تحديد الطابق الذي سنبدأ منه ، والكتاب الذي سنبحث عنه من خلال رسالة الجد بسيم فعليك يا أخ داود ومع المهندس بترتيب رحلة لنا كالرحلة السابقة والذي لا يسمح له وقته كالأخ داود والمهندس أديب وبشر والسيد محسن فلا داعي لرحيله معنا .. فنستطيع نحن الثلاثة بعون الله بمتابعة المهمة أنا وشاهر وحسن .

فقال المحامي متفهما : هذا جيد ! وسأرتب لكم رحلة للقصر الصحراوي قصر بسيم الجدية بالتعاون والتنسيق مع أديب والسكرتير مايا وزوجته .

قال أديب : إذا تمكنت من أخذ إجازة سأرافق القوم أو ألتحق بهم .

قال منسي: غدا نلتقي ونتحاور ، ولن نستطيع الانتقال قبل فهم لغز ورسالة هذه الرسالة.

وأخذ القوم بالانصراف بعدما توصلوا لمعرفة مرحلة أخرى من لغز السيد بسيم الجدية ، وكان السيد أديب وهو يودعهم يكرر لهم الشكر والاعتذار عما سببه لهم من قلق وإزعاج وسهر وإبعادهم عن أهلهم ، وهم بدورهم أبدوا ثناءهم عليه ؛ بل أوجد لهم شيئا يستمتعون به ، ويتحدثون به لإحفادهم وأصدقائهم ، وأنهم يعتبرون الأمر تسلية وتنشيط لخلايا المخ الخاملة كما يقال .

ثم غادر بعدهم بقليل بشر وخاله محمد محسن ، واعتبروا ما فعلته سعاد إنجازا كبيرا ومهما في حل لغز الكنز وفألا حسنا ، فشكرت الفتاة خالها وشقيقها ، وأقروا من جديد بذكاء السيد بسيم بوضعه الرسالة مطبوعة ضمن صفحات كتاب بلغة غير عربية حتى لو صدف ومسك أحدهم الكتاب سيعيده لمكانه فورا إلا إذا كان يعرف اللغة البرتغالية ، وهذا في بلد عربي من النادر إن لم يكن من المعدوم .

واعترفوا أيضا بأنها لو كانت ورقة منفصلة لربما سقطت من الكتاب أثناء هذه السنوات ، ولم يعرها أحد أي اهتمام إذا وقعت من بين صفحات الكتاب وبين يدي خدم القصر الأجانب الذين لا يفقهون لغة الضاد .

فعلق محسن بعد ذكر هذه الملاحظات : جدك يا بسيم ذو عقل نشط ومنظم

ـ شكرا لكم أيها الأفاضل سلموا لي على زوجاتكم الغاليات على قلوبنا وليسامحننا على أخذ الكثير من حصتهم .. وسلم لي على الوالدة يا بشر أمي الغالية

فقال محسن : الحاجة أم سعيد سعيدة بك يا أديب ، وهي تقدرك وتجلك .

قال بشر : كانت ترغب بالمجيء معي للسهر مع خالتك ومع بنتها ؛ ولكني بينت لها أننا في عمل وقد يستغرق منا ساعات من الليل وهذا ما حدث يا سعاد

فقال يحيى ممتنا : إنني أسعد دائما برؤيتها والجلوس معها .. فهي أم فاضلة .. أهلا وسهلا بكم جميعا .. فنحن أهل وأخوة ، وهي أمي العزيزة

ـ بارك الله فيك يا أديب ، وكما ذكر جدك في رسالته أنت أديب وحمل وديع اسم

على مسمى ..وضحك القوم ، وتابع بشر : وأنت يا أخية خذي بالك من حبيبنا أديب

فردت سعاد بسعادة : نحن كأننا نعرف بعضا من سنوات هو قرة العين .. وقريبا سيكون أبا بسيم .

ـ بسيم ؟!

ـ سيسمي أول ذكر له على اسم جده الذي كان يحلم بأن يرى حفيده زوجا وله أبناء ..



عندما دخل منسي بيته وجد أهل الدار نياما ، وهو يحمل عادة مفتاح البيت مع مفاتيح سيارة الصالون التي يملكها ، فلم يحتاج لقرع الجرس وإزعاج زوجته النائمة ، ولما استقر في حجرة النوم وأخذ يخلع ملابسه التي خرج بها حتى بدون إشعال الضوء مكتفيا بنور اللمبة الصغيرة الضعيفة الإضاءة ورغم ذلك استيقظت الزوجة قائلة : الحمد لله على السلامة !

ـ أنت مستيقظة يا أم ضياء ؟!

جلست قائلة : قبل قليل تركت صالون البيت ، كانت ابنتك هنا ، جاءت تسلم وتسهر مع أبيها.

ـ أي بنت؟

ـ سعاد

تبسم وقال: جئناكم أيضا من بيت السيدة سعاد .

ـ كيف ؟! جاء معها زوجها ، وانصرفت الأسرة بعد نصف الليل .

ضحك وأدرك أنها لم تفقه قصده ومداعبته وقال مفسرا : سعاد أخرى أخت الصحفي الشاب

ـ بشر !

ـ نعم ، بشر عيسى ، ونحن ما زلنا نسعى في حل ألغاز الكنز الصحراوي ، وأمس بدأت

بشائر النصر والحل تهل علينا .. الليلة وبعد صبر طويل حللنا لغزا آخر

نهضت المرأة التي كانت على علم بموضوع الكنز معتدلة ـ وكانت تعلم وتتابع رحلات الزوج إلى الصحراء لفك معميات اللغز ، وكانوا يعودون خائبين بغير جدوى ـ فلما رأى اهتمامها قص عليها التطورات الأخيرة والتقدم الذي حصلوا عليه ، فلما انتهى القص قالت بفضول وهي تضيء الحجرة : أمعك الرسالة ؟

فقال باسما : ألديك وقت للرسائل اقترب الفجر ؟

تركت السرير قائمة وهي تقول : طار النوم من عيني دعني أنظر رسالة السيد بسيم لعلي أساعدكم بخطوة للإمام كما فعلت السيدة سعاد

رجع للجاكيت المعلقة على شماعة حجرة النوم ، وتناول الرسالة منها أو صورة الرسالة وناولها لزوجته وقال باسما : حاولي فأنا أعرفك من أذكى النساء في حل ألغاز الكلمات المتقاطعة التي تنشرها الجرائد والمجلات .

فكأنها لمست همسة تهكم منه فقالت : أتسخر مني يا منسي ؟!

ـ أبدا .. معاذ الله .. هل في البلد أبرع منك وأسرع منك في حل تلك الشبكات ؟

قالت مبررة شغفها ذلك : لديّ وقت فراغ كثير بعدما تقاعدت من العمل في التدريس يا منسي ، وأحسن أن أقضي وقتي في الثرثرة ومع الجارات ، وأسمع من هذه ، وأسمع من تلك ، وأنقل من هنا إلى هناك .

فتمتم منسي ضاحكا ومعلقا: ربما هي الحسنة الوحيدة من وراء مثل هذه الشبكات .

أخذت تقرأ الرسالة مرة وثانية بعد جلوسها على كرسي حجرة النوم ، وقالت لمنسي الذي استلقى على السرير منتظرا تعليقها : الرسالة فيها تعيين الطابق الذي سيكون منه البدء إلى مخبأ الكنز مكتبة الطابق طبعا أقصد ؟

ـ إني فهمان عليك .. ففي إحدى مكتبات الطوابق رسالة ضمن كتاب .

ـ الرجل ترك في هذه الرسالة إشارات ترشد للطابق الذي ستبدؤون منه !

ـ نعم ، ونحن نستطيع أن نبحث في كل المكتبات ؛ لكن الكتاب الذي سنبحث عنه في أي طابق سنجده ؟ والمكتبات مليئة بالكتب.. فالرف الواحد يحوي أكثر من عشرين كتاب .. والجهة الحمراء والبيضاء سبع خزائن وكل خزانة سبعة رفوف سيكون عدد الكتب كثيرا.. وعندما نلقى الكتاب المقصود سنجد فيه رسالة ما ، ما هي لا ندري ؟

فقالت : الكثير من الكلمات تصلح كعنوان لكتاب ..وهل هذا العنوان مكون من كلمة أو كلمتين أو أكثر ؟ هو عمل مرهق وشاق ؛ ولكنه سهل في نظري بعدما اجتزتم مرحلة البطاقة

ـ أنا أرى أن البطاقة ما زال لها دور في الوصول للكنز ، فقد كان لها دور في المرحلة الثانية ، فدلتنا على مكتبة قصر أديب ، وحرف الميم تأكيد للبحث في المكتبة ، وحددت الرف الرابع من الخزانة الوسطى الجزء الأحمر ، فهو الرابع يمينا والرابع شمالا والرابع للأعلى ، وكذلك الأسفل وكذلك قطريا .. فالحظ ساعدنا بعض الشيء ولا أعتقد يا أم ضياء أن الرجل جعلها سبعا سبعا إلا للإيحاء بشيء سيظهر لنا فيها بعد .. وأنا قد استويت فاسمحي لي بالنوم بعض الوقت وعند صلاة الفجر أستمع اقتراحاتك لأسماء الكتب المستنبطة من الرسالة كما قلت كتاب من اسم واحد اثنين ثلاثة أربعة.

تركت الغرفة وقالت : أتمنى لك نوما هنيئا تصبح على خير ، وأطفأت النور .

وخرجت لقاعة الفيلا ، وقالت لنفسها: قبل اختيار أسماء الكتب المحتملة عليّ بشرب كوب قهوة كبير ليستيقظ تفكيري وذهني .

دخلت مطبخها وصنعت المطلوب ، وعادت للصالون ترشف القهوة وتقرأ الرسالة مرة ثالثة وقد وضعت بجوارها ورقة وقلم لتكتب ما ألهمته من الرسالة البسيمية ، وبينما هي تجلس دخل عليها منسي فقالت باسمة : لم تنم .

قال مبررا عجزه عن النوم : شممت رائحة القهوة ، فاستيقظت الحواس .. وكيف أنام وذهني مشغول وعاجز عن فك أسرار هذا اللغز ؟

٢٤

وفي بيت السيد شاهر كان النقاش والحوار قد اشتعل بين الرجل وزوجه ، فهي كذلك قد تابعت جهود الرجل في التحقيق في قضية كنز الصحراء ، فلما قرأت الرسالة بشغف وقد استمعت للشرح من زوجها قالت : هذا جد عجيب ! رغم حبه وهواه بعدم بيع القصر وحتى لا يوصف بالأناني ولا بالظلم لهذه الحفيد وضع هذا اللغز وترك المجال لحله .. وها أنتم في أقل من سنتين حللتم مرحلتين مرحلة البطاقة أقصد الحروف السبعة الأولى من لفظ مكتبة بسبع لغات ، والليلة الرسالة الأولى .. وهذه السعاد فتاة مدهشة وذكية التي أوصلتكم لاكتشاف الرسالة الأولى من رسائل الجد بسيم التي قرأناها سطرا سطرا كلمة كلمة .. استطاعت أن تضعكم على الخط الصحيح من جديد .. مكتبة القصر كما هي واضحة الآن في البطاقة اللعينة يا شاهر .. كانت المكتبة أمامكم وشددتم الرحال لقصر الصحراء .

ـ نحن ذهبنا في المرة الأخيرة كنزهة وشم هواء .. فنحن من المرة الأولى فشلنا في الوصول لمرحلة ثانية .. اليوم الأمور تغيرت فقد نشطنا ودبت فينا الحياة .. وإن شاء الله سيحل اللغز بأسرع مما تتصورين يا أم نصر .



وكان بيت السيد حسن تلك الليلة بعد منتصف الليل مشغولا بما حصل في بيت أديب يحيى في موضوع الكنز ، وعبرت المرأة عن سعادتها باكتشاف سعاد بنت جنسها ، وقالت بسرور : أرأيت النساء ؟! دائما تسخرون من عقولنا وفهومنا .. ها هي الأخت سعاد فتحت لكم الدرب أيها الرجال !

وكانت سعادتها واضحة للعيان ؛ كأنها هي التي حلت الخطوة الثانية من اللغز واكتشفت الرسالة في الكتاب البرازيلي ، وكانت تقول بحماس : أنت خذ راحتك في النوم ، وأنا في

الصباح سأكون قد عرفت طابق الابتداء في البحث الذي أراه غير مهم .. فالطوابق ثلاثة محصورة .. أما الأصعب فهو اسم الكتاب .

ـ أحسنت يا زوجتي ! لو عرفنا اسم الكتاب نستطيع عن طريق الفهارس الخاصة بالمكتبة معرفة في أي مكتبة يستقر الكتاب ؛ ولكني من تصوري لعقلية هذا الرجل لا أرى أن الأمر سيكون بسيطا .. فكتب المكتبة كثيرة ؛ كأنها تزيد عن خمسين ألف عنوان ..لا ؛ كأنها مائة ألف ؛ كأنني فهمت الهندي مايا يقول ذلك .. فمكتبة الرجل فيها كتب ومجلات وصحف من لغات شتى ، فهو رغم أنه لم يدرس في جامعة استطاع تعلم عدد من اللغات بحكم حاجته للعمل مع جنسيات مختلفة .. فهو كما فهمت يقرأ بالإنجليزية والإسبانية والبرتغالية .. والقليل من الفرنسية والأوردية الهندية .. ويفهم التركية .. لكني أحس أنا أن الأمر بدأ يتحلحل .. كل بداية صعبة كما هو معروف ، ثم تتضح التصورات في مخيلة الناس .

فقالت: ألا يوجد مجال لذهابنا معكم ؟

ـ القصر واسع يسع أهل البلد ، والأمر هذا يحتاج لترتيب مع المحامي والمهندس أديب وزوجته الفاضلة .

ـ حاول ، أنا متلهفة لمشاهدة هذا القصر الذي شغلكم سنتين ، ورؤية المكتبات للمساعدة في حل ألغاز السيد بسيم .

ـ فكرة جميلة ! سأعرضها على الزملاء الآخرين الراغبين بالسفر معنا .



كان أديب في استقبال فريق البحث بعد صلاة العشاء وجلسوا في قاعة واسعة مزينة جدرانها بلوحات ممتعة للناظرين أشجار وأزهار وعصافير ، وبعد حين اكتمل الفريق ، ولم يتخلف عن الجلسة إلا السيد محمد محسن لانشغاله بصحيفته ، وأما بشر فقد أحضر معه زوجته

وبعض أولاده لزيارة عمتهم وزوجها ، وقدمت لهم المشروبات والفواكه والمكسرات وتحدثوا عن أحوالهم وصحتهم وأخبار البلد ، ثم تصدر الحديث كالعادة اللواء المتقاعد منسي الذي قال باسما ومشجعا : أرجو أنكم وصلتم لاستنباطات ذكية ومهمة من رسالة المرحوم بإذنه تعالى السيد بسيم الجدية . بعد سماعه همهمات تابع قائلا : سنبدأ من جهة اليمين ، ثم الذي يليه حتى يصل الكلام والدور لي .. تفضل سيد شاهر

تنحنح السيد شاهر وقال وهو يخرج ورقة من ثيابه ويضعها أمامه : قرأت الرسالة مرات ومرات ، وهي رسالة بسيطة في نظري لا يوجد فيها تعقيدات لغوية أو تركيبات غامضة .. المرحوم بإذن الله يتمنى أن يرى حفيده زوجا ، وبين لنا أننا إذا عرفنا هذه الرسالة فستنقلنا لمرحلة أخرى في الولوج إلى الكنز ومكانه .. ففيها الإشارة لكتاب علينا أن نبحث عن اسمه ومن خلالها سنعرف الطابق الذي سيكون الكتاب فيه ، وتحديد الطابق يسهل علينا عملية البحث حتى لا نبحث في جميع المكتبات المتصلة بكنز السيد بسيم .. وبين لنا أن الكنز وضع لحاجة في نفسه هو ، وثانيا لعدم التسرع في بيعه والخلاص منه من قبل حفيده ، لقد كان يدرك أنه غير محب لذلك المكان ومبغض له ، وأنه سيتخلص منه بمجرد انتقال ملكيته له حسب الميراث الشرعي .. وهو بهذا اللغز لا يحرم حفيده من المجوهرات .. وفي رأيي الأهم تملك الوثائق والمذكرات .. وهو يرى الخطورة على حياة حفيده من تلك الوثائق ، فيأمل أن تصل لإحفاده وورثتهم ..وفي الرسالة أيها السادة سبب بناء القصر وهو الحماية والحفظ مع إقراره بأن الموت حق ، وأن ما يفعله أخذٌ بالأسباب والحذر .. والمال متوفر بين يديه وكثير جدا .. ويطلب منا الرحيل للقصر عند قراءة الرسالة .. فهل نستطيع كشف اسم الكتاب ؟ .. فكل كلمة مفردة تصلح عنوانا لكتاب .. وكل كلمتين تصلحان لعنوان كتاب .. وكل مجموعة من الكلمات تستطيعون تكوين اسم كتاب منها.. فنحن بحاجة لكل عنوان من الكتب الموجودة في مكتبات القصر .. فكلمة الكنز تصلح عنوانا .. وديع كالحمل تصلح اسم كتاب .. كلمة القصر تصلح عنوانا .. بسيم الجدية تصلح اسما لكتاب .. الحذر مطلوب يمكن أن نعتبرها

اسم كتاب .. أما أنا فقد عجزت حقيقة عن تحديد كلمة أو جملة ؛ لتكون عنوانا نبحث عنه أو تحديد طابق معين لنبدأ منه شكرا لإصغائكم .

قال منسي : أحسنت يا سيد شاهر ! وقدمت لنا معلومات مفيدة .. وأعتقد أن أسماء الكتب الموجودة في مكتبات السيد لابد أن لها فهارس ؛ ولكن المشكلة تعدد اللغات فيها .. فنحن وجدنا رسالة السيد في كتاب برازيلي .. فعندما ننتقل للقصر سنجد أسماء الكتب في فهارس ولكن علينا أن نحدد بعض العنوانين .. وأنت يا أخ حسن ماذا عندك ؟

فقال حسن : شكرا ، بسم الله ..حاولت استخدام الأرقام والإحصاء والتكرار ؛ لكني بعد جهد جهيد لم أجد شيئا مفيدا يلفت النظر والفكر في لغزنا هذا.. السبب أن كلمة متكررة أكثر من مرة هل تدل على طابق ما ؟ ليس بالضرورة لأن أمامنا ثلاث مكتبات فقط .. المهم معرفة اسم الكتاب الذي سنجد فيه رسالة أخرى أو من هذا القبيل .. وهل إذا عرفنا رقما من مضاعفات الاثنين أو الثلاثة هل يعني هذا الطابق الثاني أو الثالث ؟ إن هذا تكلف غير مناسب أراه من قبل السيد بسيم .. وكما قال أخونا الفاضل طلب معرفة الطابق والكتاب لتسهيل المهمة والوقت على الباحث بدل أن نبحث في آلاف الكتب نبحث في مكتبة واحدة وخطر في بالي والسيد شاهر يتحدث عن العناوين المتوفرة في المكتبة هل يمكن حصر العنوانين التي تملكها بسيم قبل كتابة هذه الرسالة ؟

قال منسي : أرى عبارة عندما تقرأ هذه الرسالة" ارحل إلى القصر الصحراوي " أنها مهمة ..

ثم رد على حسن فقال : نحتاج لجهد لنعرف متى تواريخ وصول الكتب للمكتبة ؟

فعاد حسن يقول: كل كلمة يخيل لي في هذه الرسالة مهمة .. متى بدأ الحديث عن الكنز يا أستاذ داود ؟

رد المحامي مجيبا فقال: كان الحديث عن الكنز متأخرا من حياة الرجل ، الرسائل التي أرسلها لحفيده وطلب مني تسليمها له عندما يفكر ببيع القصر بدأت من عام ١٩٨٤، والمكتبة كانت مليئة بالكتب ، فكانت له شقة كبيرة ومستأجرة كلها مكتبات قبل أن يستقر نهائيا في البلاد ..

فعلينا السعي والتركيز على الرسالة لمعرفة الطابق أي المكتبة التي ستبدؤون منها ، وكذلك اسم الكتاب .. وهل يكرر الرجل الرسالة في كتاب أم يستخدم لغة الرمز والرموز ؟

فقال منسي : أجزم يا أستاذ داود أن الرجل يريد من حفيده أن يصل للكنز سواء بسرعة أم ببطء.. وأنه يريد كتابا ما من رسالته كتابا لا رموزا في كلمة .. قد تستخدم كلمة كتاب بمعنى رسالة أو خطاب ؛ ولكن كما يقول أهل اللغة أل التعريف تدخل على شيء معروف عند السامع أو المخاطب أو معروف للذهن .. فعندما نسمع كلمة الجنة فيدرك الذهن والمخاطب أنها جنة الخلد في السماء أو جنة يوم القيامة .. ليست جنة في الأرض.. عندما نطلع على أسماء عنوانين كتب المكتبة إذا كان هناك فهارس سنعرف منها تواريخ إدخال الكتب أو من خلال تاريخ الطباعة

قال شاهر: أليست محوسبة؟

قال داود: فيها حواسيب ؛ ولكنها أدخلت مؤخرا قبل وفاة الرجل بزمن يسير .. وحسب معلوماتي لم نعين موظفا لفهرستها على الحاسب الشخصي إلا إذا قام السكرتير وزوجته بفعل ذلك .. وأنا لا أعتقد حصول ذلك ..أما فهارس عادية فستجدون فهارس ربما من عمل السيد نفسه .. فالسيد يعشق الكتب من صغره ، وقد اشترى عدة مكتبات خاصة من الورثة أو باعها أصحابها لملمات لمت بهم .. وهو يقرأ بعدد من اللغات ، وفي مختلف العلوم ..كانت المكتبة والكتب جليسه وأنيسه الوحيد .. فهو قضى كثيرا من أيام حياته دون امرأة .. فهو لم يكن مهتما كثيرا بالنساء لطبيعة مهنته ، وهي التنقل والرحيل .. فقد تزوج جدة أديب وهي ابنة عمه ، ولما سافر البرازيل للعمل ككثير من المغتربين العرب تزوج امرأة برازيلية حتى لا يقع في الزنا والفاحشة ، ولما اشتغل في عالم السلاح بيعا وشراء وتهريبا بسبب الحروب الناشبة هناك طلقها ، وكان يتردد عليها من أجل ابنة له منها ، ومرة فكر بالزواج من ممرضة تعرف عليها أثناء إقامته في المستشفى ، ثم اعتذر لها في اللحظة الأخيرة قائلا : أنا رجل مسن أخشى ظلمها معي ! لا أصلح للنساء .. فالرجل كان متزوجا الكتب .. فكل وقت لا يكون في

ترتيب صفقة أو سفر تجده مع الكتاب ؛ فلذلك جعل ألغازه مرتبطة بالكتب والمكتبات .

فقال منسي: هذا كان واضحا لنا من البداية ، واستخدامه الكتاب البرازيلي لإخفاء الرسالة يؤكد ما تفوهت به سيدي المحامي .. فهل استنتجت لنا شيئا من الرسالة يا سيد داود ؟

تبسم السيد داود وقال: لم يتح لي الوقت أن أفكر فيها ، فبعد مغادرتنا بيت أديب متأخرين كما تعلمون ، فنمت بعد وصولي البيت بقليل ، ثم عملي الصباحي لم يسمح لي بالنظر فيها ؛ ولكن في المساء قبل مجيء إليكم نظرت فيها مرتين فخطر في بالي ما أشار إليه الأخ شاهر أن يكون عنوان الكتاب { الكنز }.. واعتقدت أن السيد ربما ظن أننا سنغفل عنه عن هذه الكلمة ونجعلها عنوانا لكتاب ..أنا آسف أيها السادة .

فضحك القوم وقال منسي : لا تأسف يا أخ داود ..أخ بشر !

قال بشر : أنتم لاحظتم من البداية أنني لست من هواة حل الشيفرات والألغاز .. قرأتها وقرأتها ولم يخطر شيء محدد في ذهني ؛ فإنما هي رسالة عادية ، وعجزت أن أستنبط أي مكتبة يبدأ منها بحثنا .. وكذلك تحديد اسم كتاب معين.

التفت منسي لأديب قائلا: وأنت يا سيد أديب .. وهل وصلت لشيء أنت وزوجتك الذكية ؟

قال متبسما : أنا مثل الدكتور بشر فرغم قراءتي للرسالة كلمة كلمة وسطرا سطرا ورغم دراستي للهندسة فمن أصعب الأشياء عليّ حل الألغاز والأسرار ؛ ولكن زوجتنا العزيزة تقول إنها قرأت قصة اسمها أوديب للعقاد أو الحكيم كاتبان مصريان .

فقال منسي : عباس العقاد وتوفيق الحكيم وقصة أوديب لتوفيق الحكيم قصة عن أسطورة يونانية .

ـ نعم توفيق الحكيم ، قالت ربما يشير الجد إليها بذكر اسم أديب في الرسالة ضع ضمة على الألف فيمكن أن تقرا أُديب فيقصد أن نبحث عن تلك القصة .

هتف منسي : جميل !!

فقال حسن : احتمال .. أديب أُديب .. يمكن كتابتها بنفس الصورة الأولى مفتوحة الهمزة

والثانية مضمومة الهمزة ..وهناك من يكتبها أوديب بواو ظاهرة رسما ..وعلينا أن نعود للمعاجم إذا رجح لدينا اسم الكتاب هذا .

وقال منسي : وكلمة الكنز اسم شائع لعدد من الكتب والقصص والروايات

قال حسن متعقبا: ولكنه في العادة يضاف إلى كلمة أخرى كالقصة المشهورة جزيرة الكنز .. وسلاسل المغامرات مليئة بلفظة الكنز .. كنز السلطان كنز الغول ، وكذلك كتب اسمها الكنز بدون إضافة .. يا سادة لابد من الرحيل لمعاينة المكتبات ، عليك يا أستاذ أديب ويا أستاذ داود ترتيب رحلة أخرى للقصر .

فقال منسي : والأخ حسن يفضل أن ترافقنا زوجاتنا هذه المرة لينظرن القصر الذي كثر حديثنا حوله وغزلنا به .

فضحك داود وبشر وأديب وقال داود : والله ذلك من دواعي سرورنا أنا وأديب .

فقال أديب : على الرحب والسعة أيها السادة .. وكان جدي ـ رحمه الله ـ يستقبل فيه الكثير من الأفاضل وحجرات النوم كثيرة .. وخاصة الطابق الثالث فهو مهجور منذ موت الجد بسيم

أثنى الفريق على أديب الثناء الحسن على الأريحية التي تقبل بها الطلب ، وعاد منسي يقول : شكرا سيد أديب والشكر لحضرة المحامي ، وأنا بالنسبة للرسالة لم تخرج استنباطاتي عما تفوهتم به .. كل ما في الرسالة يصلح أن يكوّن عنوانا أو أكثر .. ووصلت أنه لابد لنا من رحلة جديدة للقصر حسب طلب الرجل منا ..عندما تقرأ الرسالة عليك بالرحيل لهناك .

قال داود : نحن حقيقة نشكر لكم جهودكم وتعاونكم وقبولكم هذه المهمة .. وسأرسل إلى هناك ملاءات أسرة وأغطية جديدة لكم ولزوجاتكم الفضليات .. وسأكلف مايا بأن يخصكم ببعض الخادمات .. والأطعمة والمشروبات ستصلكم يوميا ـ إن شاء الله تعالى ـ من مدينة جاد .

٢٥

لقد رأى الفريق أنه لابد من جولة جديدة للقصر الصحراوي بحثا عن مكان كنز السيد بسيم الجدية .. اتخذ المحامي داود المنسق والمشرف على إدارة أموال السيد بسيم في العاصمة بلبل الإجراءات اللازمة والمناسبة لسفر الرجال الثلاثة وزوجاتهم اللواتي سيرافقنهم هذه المرة ، وتلقى السكرتير مايا علما بمجيء فريق البحث عن الكنز لقضاء عدة أيام في القصر ، ووعدهم المهندس أديب باللحاق بهم في نهاية الأسبوع لقضاء ليلة الجمعة والجمعة معهم ، وقد تصحبه زوجته إذا رأت أن صحتها تساعدها على الرحلة فهي في حالة حمل .

وجاءت الحافلة السياحية الصغيرة من نفس الشركة التي اعتاد المحامي الاستئجار منها الحافلات للقصر وغيره من المناسبات ، ونقلت الرجال الثلاثة وزوجاتهم للصحراء ، وبعد ساعات ثلاث كانوا يجلسون في قاعة الطيور ، وكان السيد مايا وقرينته رامان يرحبون بهم خير ترحيب ، وكان وصولهم عند العصر ، وأعلمهم مايا أن طعام الغداء قد وصل من مدينة جاد ، وسيكون الغداء في قاعة الطعام في الطابق الثالث حيث سينامون ويأكلون ، وقد جهزت لهم ثلاث غرف للنوم .. وستكون المكتبة مكتبا لإدارة عملية البحث.. وجهزت لهم داخل غرف المنامات مواقد لعمل الشاي والقهوة وشغل البراد الثلاجة ، فشكروا مايا وزوجته على حسن الاهتمام والرعاية .

ولما خرجا أبدت النساء ذهولها من قاعة الأعمدة الرخامية الضخمة ، والحيوانات المعلقة في أعلى الأعمدة ، ومن صور السماء أي سقف القاعة ..حتى أن إحداهن من شدة إعجابها قالت : حرام مائة حرام أن يباع هذا القصر وهو بهذا الجمال .. ليبقى مزارا للعائلة أو يحول لمتحف للدولة .. فهناك قصور قديمة أصبحت مزارات سياحية لدى الدول اليوم .

وقالت الثانية : يكفي أن فيه هذه القاعة الرائعة التي تنقل الإنسان من الصحراء الحارة إلى الجنة الأرضية .. الجمال والهواء البارد .

فرد منسي وهو يشاهد انبهار النساء : الجد وضع اللغز ليعيق عملية البيع أو التسرع في البيع ،

أو حتى لا يباع أصلاحتى أن بعضهم تشجع لإنشاء مدينة حوله
وأخذ شاهر يقص عرض صديق له أو قريب بإنشاء المدينة أو بداية مدينة في المكان ، وقال منسي بعدما ثرثر الجميع بأفكاره وإعجابه : سأقترح على المهندس أديب أن ينفق أموال الكنز عندما نجدها على إنشاء هذه المدينة ، ولسوف أتحرك مع الجهات المسئولة ومع قريبي رجل البلدية المهندس لإنشاء وإكمال البنية التحتية للمدينة من فتح شوارع معبدة تتصل بطريق مدينة جاد وزيادة شبكة الكهرباء والهاتف والأشياء الأخرى المهمة للمدن .. فهذا القصر نفسه كنز .. فعلينا بالضغط على صديقنا أديب بعدم بيعه من أجل روح جده العزيز .
فقال حسن مداعبا: وماذا يستفيد الرجل من عدم بيعه ؟! أليس لديه قصره في المدينة حيث عمله ؟.. وهذا قصر كما ترون يحتاج لجيش من الخدم والموظفين للمحافظة عليه .
فقال شاهر : هذا مربط الفرس .. الجد بناه للاحتماء بين جدرانه من أعدائه الكثر .. والمهندس أديب ليس له أعداء إلا إذا كانت العداوة تورث كما في معتقدات بعض الشعوب .. والرجل كانت أسرته ضحية مغامرات الجد .. وهو أخبرني أنه لم يخرج من البلد منذ ولد فيها .
قدم لهما الخدم بعض الأنواع من الفواكه والشراب البارد ، فأكلوا القليل منها ، وأكد لهم السكرتير الهندي أن الطابق جاهز لاستقبالهم ، وبينما هم يمشون نحو المصعد للصعود إلى الأعلى قال منسي لمايا : ما أخبار العقيد حاتم سيد مايا ؟
رد مايا باسما : ضابط ممتاز ! أخبرني أن تقدما جرى في التحقيق والقاتل على وشك السقوط .. لقد قضوا ثلاثة أيام في التحقيق هنا .. ونحن على اتصال مباشر .
ـ موفقون سيد مايا .. نحن مهمتنا الوصول للكنز الذي لا تعرف عنه شيئا .
ضحك السيد مايا وقال : الرجل الكبير كله أسرار ، وهو خير من يكتم الأسرار .. فكثير من صفقات السلاح تحتاج لسرية كاملة .. وهذه مهنة السيد فليس من العجيب إخفاء حكاية الكنز عني أو عن حفيده كما فهمت .. وأنا كلي شوق وفضول لمعرفة حقيقة هذا الكنز .. وأتمنى لكم كل التوفيق والنجاح .

ـ أتشك بوجود الكنز يا مايا ؟

ـ لي عشرون سنة أعمل مع السيد .. في بداية الأمر استغربت أكثر من الشك .. ولكن بما أن الرجل تكلم وكتب عنه فلابد أن لديه كنزا أيها السادة .. ولكن في القصر أين ؟!

ـ اقتربنا من الحل يا سيد مايا العزيز علينا .

ـ شكرا سيدي اللواء نحن نحترم العسكر جدا في بلادنا وتقاليدنا .. والسيد لا يكذب أبدا ، وهو نفسه كنز مليء بالأسرار .



غادرا المكتب الكائن في عمارة بسيم الجدية بمدينة جاد متجهين إلى الفندق ، وتناولا عشاءهما في قاعة الطعام ، وصعدا لجناح نومهما ـ فقد كان لكل واحد منهما حجرة ـ فبعد أن لبسا ملابس النوم غادر حاتم الحجرة وطرق على زميله مالح وقال : القهوة في الطريق أحسب أنك مغرم بها .

ـ تعودت على شربها يا صديقي .

فقال حاتم: إذن ليس لنا سفارة في بلد هذا الأفريقي سينكالا حاولت الاتصال على الرقم الذي استخدمه فلم يرد أحد حتى السماعة لا ترفع .. هذا مثير للحيرة .. هل حقا له ابن مصاب يتصل به وهو يتحدث معه من القصر وأحيانا من تلفونات عامة ؟!

فقال مالح : قد يتصل برقم وهمي .

ـ لكنه يرن في الطرف الآخر ، يسمع صوت الجرس ويسجل الحوار

ـ رغم ذلك أنا أرى أن البنت أقرب للجريمة .. رغم أنها مهزوزة ومتوترة ومتأثرة من تعاطي المخدرات والانقطاع عنها فهي خطرة .

فقال حاتم مفكرا : وأنا مثلك أكاد أجزم مائة بالمائة أنها منفذة للجريمة ؛ لكن من ساعدها

بإدخال السلاح ؟ كيف أدخلت السلاح دون أن يكشفها الحرس ؟ أين أخفته للجريمة وبعد الجريمة ؟ فحص البحث الجنائي كل الأسلحة الموجودة في القصر ، وكتبوا تقريرا لم يستخدم أي سلاح تم فحصه .. إذن هناك سلاح لم يفحص ، كيف اختفى وأين ؟ الرصاصات الموجودة في القصر لم تنقص تلك الطلقة .. لم يسمع صوت الرصاصة ، كيف فتحت الباب على السيد كيف ؟! كيف تغلبت عليه ؟ أم خدر بغاز وكيف خدر بهذا الغاز دون أن يدرك أنه غاز ؟! فلما شعر بضيق في نفسه تكلم مباشرة مع الطبيب جادور .. لم يشهد أحد على صعودها للطابق الثالث .. كيف اختارت تلك اللحظة للجريمة ؟ شاهدها الناس تتعشى معهم .. دخلت غرفة التدخين على مرمى عدد منهم ، ثم تركت الغرفة لغرفة والديها فنحن نتهمها بدون أدلة إنما إحساس وشعور .. وهذه أدلة لا يعول عليها أمام محكمة الجنايات .

ـ تلفونها بعد انصرافنا!

تنهد حاتم وقال : هذا هو الدليل على أن لها يدا في الجريمة ، اتصلت واتصلوا ثم اختفوا عندما عرفنا الشقة المتصل بها ، أخبرنا وكيل المؤجر أنهم ثلاثة أحدهم عربي .. في الصباح أعطوه المفتاح زاعمين مغادرتهم للبلد ، فهم من رعايا أمريكا الجنوبية ، فهم مستأجرون باسم أنهم طلاب مبتعثون ، ولديه أوراق تدعم قوله ، وأصحاب الشقق المفروشة يهمهم الفلوس أكثر من التدقيق في صحة المعلومات المقدمة لهم ، وأولئك الذين يعملون في المخدرات والتهريب التزوير للوثائق لديهم من الأمور السهلة ، فلم يأخذ أرقام جوازاتهم .. هو رأى الجوازات وصورهم عليها ثم أعادها لهم ؛ لأنهم زعموا أنهم قد لا يمكثون وقتا طويلا ؛ ربما ينتقلون لبلد عربي آخر ، وقضوا سنين وهو يعتقد أنهم وافقتهم الدراسة في البلد لتحصيل الماجستير والدكتوراه ..وكيف نثبت أنها القاتل وهي لم تعترف بشيء ؟ ووالداها لا يعرفون شيئا كما رأيت .. الحمد لله نحن تقدمنا شيئا ولو يسيرا وقريبين من القاتل .

ـ المعضلة كيف دخل مسدس الجريمة ؟ فالرصاصة القاتلة رصاصة مسدس وهي من نفس رصاص الحرس نفس العيار .. وكيف دخلت على غرفة السيد أم كانت الغرفة مفتوحة؟

ـ هذا الراجح أنها وجدت الغرفة مفتوحة الصدفة خدمتها ؛ ولكن كيف لم يلمحها أحد تصعد إلى أعلى ؟ هل لها شركاء داخل القصر ؟ وهناك سؤال مهم وهو لماذا قتل الرجل أثناء غياب السكرتير ؟

قال مالح : ربما استغل غيابه لارتكاب الجريمة ، وقل كيف اطمئن بسيم لعملها في القصر ؟ هل الشفقة وحدها هي التي أملت عليه إحضارها وعلاجها ؟ وهو الحذر الفطن .

قال حاتم : علينا أن نقبض على رفاقها ، على الشرطة مطاردتهم ومتابعتهم خفية ، ربما لا تعدو العملية سوى تهريب مخدرات بثياب طلبة .. لغز كبير هذه القضية .. وكيف التقت بهم ؟

ـ أعتقد يا أخ حاتم أن القضية أكبر من علاقة مخدرات ؛ لأنها سارعت بالاتصال بهم من القصر ، لم تنتظر حتى تنزل المدينة ..

قال حاتم : يا مقدم مالح أرأيت كيف حصلت على المخدرات في مدينة جاد ؟.. كأس خمر من خمارة انتقال لمطعم سياحي حقنة في غرفة خلفية .. هؤلاء المدمنون لهم حيل ووسائل يصلون بها للمخدرات ..والدول من الصعب عليها السيطرة على تجارة المخدرات ، فأحيانا تتساهل الدول مع هؤلاء الأجانب لتنشيط الحركة السياحية وعجلة الاقتصاد .. هكذا أجاب صاحب المطعم ، فهم يسمحون لهم ببيع الخمر والقليل من المخدرات ؛ لأن عددا كبيرا من السياح يتعاطون الخمر والمخدرات في بلادهم ، وحتى يمنعوهم من تهريبها يوفرونها لهم بطرق شبه سرية .. فتغض السلطات الطرف أحيانا من أجل الاقتصاد .. هذا يسمى القانون السري .

عقب مالح قائلا : كثير من المحظورات ترتكب باسم السياحة والاقتصاد في الكثير من دول العالم .. فهم بزعمهم يشجعون هذا القطاع وحتى يشعر السياح بالمتعة ويحسون بالحرية ؛ لذلك توفر لهم أماكن للدعارة والقمار ؛ وإن كانت هذه المواقع بأسماء بريئة ملاهي .. نوادي ليلية .. مراقص.. وهم بالتساهل هذا يدفعونهم إلى عدم التهريب وإدخال هذه المواد سرا ومع ذلك التساهل ترى السياح يدخلون كميات من المخدرات للتعاطي والبيع .. لقد عملت أثناء خدمتي في جهاز الشرطة مع قسم مكافحة المخدرات في عدد من قضايا المخدرات

فقال حاتم متفهما : أفهم ما قررت .. كما يسمح لبعض المحلات والمتاجر ببيع الكحول .. وكما يسمح للفنادق المصنفة دوليا ببيع الخمور والرقص والمجون باسم السياحة والترفيه .

ـ وهذه الفتاة أسرعت بعد وصولها لجاد بأخذ حقنة بالطريقة التي تابعناها فيها .. فهي عالمة بهذه الأوكار بكل سهولة .. وهم يزعمون بأنهم لا يسمحون للزبون بأخذ أي كمية خارج الملهى أو الحانة .. فتكون الحقنة في الغرفة الخلفية ، وتؤخذ اللقمة أمامهم في الحانة أو المطعم

ـ هذا أيضا باتفاق مع الأمن حتى لا تروج البضاعة خارج الأماكن غير المسموح لهم ببيعها .. أخبرني المحامي أن زملاءنا الذين يبحثون عن الكنز قد اكتشفوا شيئا جديدا ، وقد رحل الفريق للمكث في القصر ومعهم نساؤهم .. فلسوف نزورهم ونطمئن عليهم ونحذرهم من غدر الخائن أو الخونة .. والسكرتير الهندي يتابع الاتصالات ويسجلها ويترجمها قدر الإمكان ورجال الشرطة السرية يتابعون معنا ، فهم يسعون للقبض على الجاني مثلنا ، فالأفريقي تحت المتابعة ، والفتاة كذلك .. فالحارس يقوم بعمله بشكل طبيعي وكذلك زوجته ، والفتاة تقوم بعملها مع والديها أيضا كالمعتاد ، ثم تنتقل لقاعة الطعام صباحا ظهرا ليلا ثم تدخل غرفة التدخين حتى انقضاء فترة الاستراحة في الصباح والظهر ، ثم تعود لعملها ، وفي الليل بعد العشاء والتدخين تجلس في النادي لبعض الوقت ، وأحيانا قبل العشاء تذهب حيث البستان والحدائق الخلفية للقصر ،وتجلس عند حوض السباحة الصغير ، وهي لها غرفة في جناح والديها ، وتم تفتيشها خفية ولم نجد فيها شيئا مهما ، وكررت الاتصال بتلك الشقة في العاصمة ، ولا يرد عليها أحد ؛ لأننا طلبنا من الوكيل عدم إشغال الشقة لوقت يسير ، فتقبل ذلك على مضض .

٢٦

انشغل الرجال بدراسة الرسالة التي تركها لهم بسيم في كتاب (أعمال مهمة للعالم) ، وأخذوا بالتنقل بين المكتبات الثلاث ، واهتمت النساء الثلاثة بمساعدة أزواجهنّ في أول الأمر ، ثم أصابهن الملل فأخذن بالتجوال في طوابق القصر ، وصعدن إلى سطحه يرقبن الصحراء الممتدة من جميع الجهات ، فكان القصر فيها ؛ كأنه قارب في بحر أو محيط ، ثم نزلن البستان والحدائق فرحب بهن البستاني ، وقدم لهن الفاكهة الطازجة الناضجة في ذلك الوقت من السنة .. وفي الليل أقبل إليهم العقيد حاتم والمقدم مالح زائرين ، وفرحوا بزيارتهم ، ورتب السكرتير جناحا في الطابق الثالث لنومهم ، وعقد الرجال الخمسة بعد تناول طعام العشاء وإغلاق أبواب الطوابق الثلاثة اجتماعا استعرضوا فيه نشاطهم في حل اللغزين .

فقال منسي ملخصا ما فهم : إذن عندكم مشتبه به الآن ، وأنه اتصل بعد التحقيق بأفريقيا أو تلقى اتصالا أولا ، ثم اتصل هو بعد علمه بتعرض ابنه لحادث سيارة برقم ، وأرسل مالا لجهة ما في بلده الإفريقي أو لأخيه لينفقه على ولده المصاب ، وهو الذي اعترف بأنه رأى السيد قبل موته يدخل في غرفة مجاورة لمكتبة هذا الطابق ، ولكن الهندي مايا يستبعد ضلوعه في الجريمة ، وليست لديه عقلية تنفيذ جريمة كهذه .. تسلل تخدير قتل ، ويشك الضباط في الفتاة المدمنة وأنها الوحيدة التي لها صداقات خاصة خارج القصر ، وإنما المعضلة صفة الوصول للسيد وقتله ما زالت غامضة ، ولكنها استثيرت فورا عند تجدد التحقيق ، وأن إنهاء العقود لن ينتهي قبل إغلاق ملف القضية كاملا ومعرفة الجاني ، ورغم المخاطر اتصلت في شخص في مدينة بلبل كما ثبت من متابعة الاتصال ، ورد عليها في نفس الليلة بعد منتصف الليل بساعة أو اكثر ، ثم اختفى الثلاثة من العمارة زاعمين أنهم أنهوا دراستهم ، وسيعودون لبلدهم البرازيل ، وهي تحت المراقبة من قبل مايا وزوجته داخل القصر ، وهي تحت مراقبة البحث الجنائي والمخدرات عندما تغادر القصر ، وهي ما زالت تحاول الاتصال بذاك الرقم دون جدوى .

قال حاتم : فكرنا أن نرد عليها ؛ ولكننا لا نحسن الكلام بلغتها البرتغالية بإحدى لهجات بلادها الكبيرة .. وهي بالتأكيد ستعرف أن أحدا غير أصحابها يتكلم .. ولو وضعنا متكلما بلغة أهل البرازيل فاللهجة ستفضح المتكلم .. وهم كأنهم أدركوا بتطورات حدثت فهربوا وأدركوا أن جديدا حدث في القصر ، وأن ملف القضية لم يغلق كما أشيع منذ شهور .

وتحدث منسي عن الرسالة التي اكتشفوها في حل لغزهم ، وقدمها لهم ليطلعوا على فحواها ، فلما قرأها الضابطان لم يزيدوا علما على ما يعرفه الرجال الثلاثة ، وفي الصباح كانت في انتظارهم مفاجأة كبيرة هزت القصر هزا .

قبل السابعة صباحا سمع صراخا في شقة الكوى والغسال (توماس برينو) ، فأسرع بعض المستيقظين نحو الجناح ، وطرقوا الباب بقوة ونادوا ، وقد وجدوه مغلقا ، وسمعوا الفتاة ماريانا تصيح بهستيريا تطلب منهم الابتعاد وعدم التدخل في شؤون الآخرين ، فأخبروا السكرتير ، فجاء مسرعا ومعه أحد الحراس مسلحا ، ودخلوا الغرفة عنوة ، فوجدوا الفتاة في حالة هياج والدماء تملأ أرض الشقة ، وأن الفتاة قد قتلت والديها بسكينة حادة قد سرقتها من المطبخ ـ سكينة فقدت منذ أيام ، وظنوا أنها وقعت خلف إحدى الخزائن الموجودة في المطبخ ، ولم يفطنوا أنها مسروقة لعدم حدوث مثل ذلك في القصر سابقا ؛ لتوفر السكاكين الصغيرة الحجم في الشقق لتقطيع الفواكه وغيرها ـ أمسك الحارس بالفتاة بشدة بعدما استولوا على السكين تحت تهديد السلاح ،وكان مايا يقول لها بحدة وغضب : لماذا صرعت والديك ؟!

وكانت المرأة أمها لم تمت بعد وما زالت على قيد الحياة ، فلما اكتشف مايا ذلك أسرع بالاتصال بطلب سيارة إسعاف من مستشفى جاد ، ثم اتصل بالعقيد حاتم مخبرا لهم بالحادث الرهيب ، وجاء حاتم ومالح واللواء منسي بعد دقائق ، فقاموا بحبس الفتاة بغرفة ، ووضعها تحت الحراسة حتى تصل الشرطة الرسمية للتحقيق في الجريمة ، وحاولوا إسعاف المرأة المصابة بعدة طعنات في جسمها ؛ ولكنها فارقت الحياة قبل وصول سيارة الإسعاف والشرطة ، ولكنها وهي تحتضر تكلمت بكلمات خطيرة فهمها مايا ، وهي تعترف بأن هذه الفتاة ليست

ابنتها ، فابنتها مخطوفة في البرازيل لدى إحدى العصابات ، وأن الفتاة هي التي قامت باغتيال السيد المحترم ، وفارقت الروح الجسد .

وفهم حاتم ومالح ومنسي الحكاية فورا ، فقال حاتم : إذن خطفوا الابنة الحقيقية ، ودسوا الابنة المزيفة على السيد بسيم لينالوا منه وقد أفلح الملاعين .

فقال منسي : خطفوا ابنتهما وارغموهما أن يزعما أنهما والدا هذه الفتاة ، وزوروا جواز سفر للفتاة باسم ابنة الغسال يا لها من حيلة جهنمية !.. فكيف سيكتشف الرجل أو حتى مايا أنها ليست ابنتهم ؟ وهم لم يروا البنت الحقيقية .. والكوى لا يستطيع الكلام حتى لا يخسر حياة ابنته أو ربما كل عائلته ..وحتى هو وزوجته .

فقال حاتم : نعم ، وأجبروهم على التعاون والصمت إذا كانوا راغبين ببقاء ابنتهم حية .. وكانت بين الحين والآخر تتحدث معهم ليطمئنوا أنها ما زالت على قيد الحياة وليبقوا صامتين هكذا قالت الفتاة في أول استجواب ، وفي أول سفر لمايا خارج البلاد أمروها بالتنفيذ .. تخطيط وتدبير محكم ومعقد .

فقال منسي : نعم ، هؤلاء الأشقياء لديهم صبر ، ولولا ظهور الكنز لهربت واختفت .. فجواز سفرها لدى داود بحكم الوظيفة ولكن لما قتلتهما ؟!

ـ منذ ذاك الاتصال واختفاء رفاقها ، وهي تعيش في حالة نفسية متوترة ، ويوميا يسمع الخدم والعمال صراخهم وشجارهم .. فكلهم ضاقوا من بعض ، وركبهم الخوف ، وعلموا أن القضية لن تغلق حتى يعترف الجاني بجريمته ، وظنوا أن النهاية اقتربت ، فكان الرجل وزوجته يحثانها على الاعتراف ، ويهددونها بالاعتراف ، وكثر الشجار بينهم ، فاخفت السكين الكبيرة عن الطهاة ، والطهاة ظنوا أنها سقطت خلف الخزائن .. لم يخطر لهم أنها مسروقة .

٢٧

وبعد ساعات معدودات أتى رجال الشرطة والتحقيقات الجنائية والإسعاف السريع ومدعي الحق العام والطبيب الشرطي ، وامتلأ القصر بهؤلاء وغيرهم من رجال المختبر الجنائي والمصورين الجنائيين ، ولما نظر الطبيب وعاين الجثتين أكد أن السكين هي أداه القتل والتي أدت إلى النزيف وكسر عظام جمجمة الرجل ، وبين أن الرجل تفاجأ بالضربة ، فلم يحاول الدفاع عن رأسه ، وكرر الضرب بعنف ، وأما المرأة فقد تعرضت لضربات في الصدر والوجه والرأس ، وقام ضابط التحقيق بسماع أقوال الشهود في أحد الغرف التي جعلت مكتبا للشرطة ، ولما انتهى تصوير الجثث ومكان الجريمة والتحريز على السكين الكبيرة أمر المدعي العام بنقل الجثث للمستشفى لإجراء التشريح الكامل ، ومن ثم الاتصال بالوزارة ثم السفارة وإخبارهم عن مقتل رعاياهم لنقلها لبلادهم إذا أحبوا ذلك .

ولما نظر المحقق إلى الفتاة قالت بتحدٍ : أنا قتلتهما ولو كان لديّ وقت لصرعت نفسي ؛ولكن حال ذلك الحارس بيني وبين ذلك .

ـ هما ليسا أبويك ؟

ـ لا أمت لهما بصلة قرابة ، طُلب مني أن أقوم بانتحال شخصية ابنتهما لقتل السيد بسيم ، وقد فعلت .

ـ حسنا حسنا ! بما أنك أقررت سنأخذك للمدينة ، وإذا أحببت أن تكلفي محاميا فأهلا وسهلا وأمر ضابط التحقيق بنقلها بسيارة إلى دائرة أمن المنطقة ، وفتشت شقة الكوى الغسال ، فلم يوجد فيها شيء مهم ، إنما وجدت مليئة بعدد كبير من صناديق الدخان ، فحملوهما معهم للفتاة ، ومع غروب شمس نهار ذلك اليوم كانوا يغادرون القصر وبصحبتهم العقيد حاتم والمقدم مالح الذي قال لضابط التحقيق : ما زال أمامكم القبض على رفاقها .. وشرطة العاصمة تتحرى وتبحث ، وعلى أن تسمحوا لنا بمعرفة كيف ارتكبت جريمة قتل السيد بسيم ؟ لنقدم تقريرا نهائيا للمحامي داود وحفيد السيد بسيم المهندس أديب .

كانت قصة الفتاة كما جاء في اعترافاتها المسجلة والمترجمة ، أنها تعلمت في الجامعة ، وخلالها التقت بابنة الكوا الحقيقية (ماريانا) وتصاحبتا ، ومن صحبتها عرفت اسم السيد بسيم الجدية تاجر السلاح الدولي ، وكان لها صديق يكبرها بسنوات وكان يمدها بمادة المخدرات ، وأصبحت بدورها تدعم بها ابنة الكوا ، واستمرت الصداقة من سنوات الجامعة الأولى ، وكان صديقها وعشيقها يعمل ضمن عصابة في المنطقة ، ولها زعيم من زعماء المخدرات في المدينة ، وكانت الفتاتان تروجان المخدرات بين الطلاب والطالبات في الجامعة كغيرهن من الفتيات والفتيان ، فسوق التناول والتعاطي رائج في الجامعات بالإضافة للانحلال الخلقي والجنسي .. وأخبرت أن عشيقها أخبرها أن الزعيم يرغب بلقائها ورؤيتها ، فهو يبحث عن عشيقة جديدة ، فسافرت إليه طمعا بالمزيد من المال ، وإنها قد ملت صاحبها الطالب ، رحلت إلى منطقة يتحصن بها ، فأعجبه جمالها فور رؤيتها واتخذها زوجة أي عشيقة له وحده ، وهذه أمور مقبولة لدى رجال العصابات التخلي عن الصديقة والعشيقة لرجل لسيد آخر ، واتخذت منزلا في العاصمة ، وصار الرجل يتردد عليها وهي تتابع دراستها ، وقالت في الاعتراف : علمت أن صاحبي الجديد كان ابن رجل عصابات كبير ، وكان والده يمتد نشاطه إلى أغلب مدن القارة الأمريكية شمالا وجنوبا ، فكان والده له عصابة كبيرة بعكس صاحبي الابن ، ثم علمت منه أن والده الزعيم اغتيل على يد مهربي السلاح في كولومبيا وبوليفيا ، وكان المهرب الشرس اسمه سوباريو الذي قاد عملية قتل والد مانيو زوجي ، وقبل أن أتعرف عليه بسنوات التقى مانيو بسوباريو في إحدى عمليات التهريب ؛ لأن مهربي الأسلحة أحيانا يتم تمويل صفقاتهم بأموال المخدرات أو يعطون مخدرات مقابل الأسلحة المهربة ، خاصة في الحروب الأهلية ، وأقسم الرجل لمانيو أن قاتل أبيه رجل عربي اسمه بسيم الجدية ، وأن رجال الشرطة يعرفون ذلك ، فاتصل مانيو ببعض معارفه من رجال البوليس ، وعرف منهم أن السيد بسيم الجدية شارك في الكمين الذي نصب لعصابة والده ، وأنه من الشرق الأوسط فأخذ مانيو يجمع المعلومات عن هذا الرجل ؛ لأنه في عرف العصابات لابد للأبناء من الثأر

والانتقام لإبائهم ولو بعد حين .. لأنه سيبقى صغيرا في نظرهم حتى ينتقم .. ثم سافر الرجل للشرق الأوسط سائحا ، وزار مصر وتركيا وبلبل عاصمة هذه البلاد .. واستطاع أن يجمع الكثير من المعلومات عن الرجل ، أخذ يتردد بين الحين والحين إلى هنا لينال من الرجل ، ونشط عمله في المنطقة العربية لترويج المخدرات ، وعرف أن الرجل كثير السفر وكثير الحذر لأنه حاول النيل منه في البرازيل والأرجنتين ولم يوفق .. وأصبح له عملاء هنا لبيع ونقل المخدرات لمصر والخليج ولبنان خاصة ، ثم علم الرجل باستقرار السيد في القصر الصحراوي وقضى مانيو وقتا في مدينة جاد يدرس حيلة مكيدة يصل بها للقصر والنيل منه ، فكر بالترصد له في الطريق ؛ ولكن طبيعة الأرض الصحراوية لم تساعده ، وكذلك عمله في التهريب والقيادة يدفعانه للعودة للبلاد ، والرجل يملك عددا من الجنسيات أو الأصح الجوازات .. هذا كله قام به قبل أن يتخذني خليلة وقبل أن أجتمع به ، ولما ذكر الاسم أمامي أكثر من مرة تذكرت أن والديّ صديقتي في الجامعة يعملان في قصره .. فتفاجأ صاحبي بما أعلمته به ، ثم فكر بإرسالي للحياة في القصر على أني ابنة الكوا ، وكانت صاحبتي ماريانا توماس قد سقطت في وحل المخدرات والجنس مثلي ، واستطعت معرفة الكثير من المعلومات عنها وعن وأسرتها وعن حياتها .. فرتب بواسطة معارفه في السلطات بعمل جواز سفر لي باسم ابنة الكوا .. وأقنع الفتاة عن طريق أحد عشاقها أن تتصل بوالديها ليساعداها في العلاج والخلاص من المخدرات، وكانت قد تخرجت من الجامعة واشتغلت في مستشفى ، فلبى الوالدان النداء ورأوا وضع ابنتهم المرزي خاصة أنها ولدت سفاحا ، وأنا كنت قد زرت البلاد سائحة وقضيت عدة أسابيع هنا قبل دعوة والديّ (ماريانا) .. وأنا لا أستطيع أن أرفض المشاركة بعملية الانتقام مع زوجي فمصيري القتل وإلقاء جثتي في الأمازون مع كمية من المخدرات .. العمل مع العصابات لا يوجد فيه لا ..لكن يسمح بطلب وسائل النجاة .. فلما جاء الكوا وزوجته ورأوا حال ابنتهم اتصلوا بمايا والسيد بسيم لطلب موافقتهم بسفرها معهم للعلاج من الإدمان والعمل في القصر ، ولم يطل تفكير السيد بسيم بموافقته لما قرأ رسالة الاستعطاف

بمجيئها معهم وعلاجها على حسابه ، وهو على علم سابق بمصير أبناء الوالدين الآخرين .. وقبل السفر خطفت الفتاة وقابل الزعيم الكوا وأخبره عن نفسه .. فبكى الرجل وتوسل دون فائدة ، ثم وافق على سفري على أنني ابنته ، والتحقت بالعمل في القصر بعد رحلة علاج قصيرة وفاشلة ، ونجحت بالوجود في قصر بسيم على أنني ابنة الكوا توماس ، وكانت الفتاة بين الحين والآخر تتصل بأبيها وتطمئنه على حياتها وأنها ما زالت حية مخطوفة ، ولم يسمح لها بذكر اسمها على الهاتف ، كان الاتصال معنا ليطمئن الرجل على أنها قيد الحياة ، ولم تكن اتصالاتهم كثيرة .. وأنا كنت أعلم المعاناة التي يعانيها الرجل وزوجته ، وفكرت مرات ومرات بالتخلي عن المهمة ؛ لكن يغلبني الخوف على حياتي وحياة أسرتي بالفناء فأبقى مستسلمة .. وزارني مانيو وكنا نلتقي في بلبل في شقق يستأجرها له أعوانه .. واطلعته على وسائل الأمن والحماية العامة والخاصة للرجل .. وصعوبة إدخال السلاح والرصاص وأدوات القتل الأخرى دون كشف أمري .. فطلب مني تزويدي بنوع الرصاص المتوفر لدى الحراس وهذا ليس صعبا معرفته .. واستمر الانتظار ثلاث سنوات لتنفيذ الجريمة ..الزعيم لابد له من قتل السيد بسيم ، ولابد لي من تنفيذ العملية .. لأن حياتي وحياة صاحبتي وأسرتي وأسرتها بموت السيد بسيم ، فلا يمكن التردد .. وعرفني بالشابين في المدينة الذين ظاهرهما طلابا وباطنهما مهربي مخدرات ، وهما في الحقيقة لمتابعتي في الجريمة وتنفيذها .

وأثناء علاجي في أحد مراكز العلاج من المخدرات تعرفت على بعض هؤلاء المدمنين ، وكونت صداقات معهم ، وأخذت أرقام هواتف للاتصال بهم عند الحاجة وبعد الخروج ، وكانت الخطة أن اعمل في القصر كابنة للكوا وزوجته ، وأنني مدمنة ، وأتعاطى المخدرات ، كلما أخرج من القصر أسعى للخمر والمخدرات لأظهر أن العلاج لم يجد بي نفعا ، وأحاول إدخال المخدرات للقصر لإظهار أنني ما زلت مدمنة لأجد حيلة لإدخال مسدس كالذي يملكه الحرس ، أكون مشاغبة مع الحرس ، وفي نفس الوقت أوحي لهم أنني مسكينة ؛ ولكنها تعشق المخدرات والدعارة وأمارس هذه الأعمال عند قضاء إجازتي سواء في جاد أو غيرها من

المدن ، واطمئن لي سكان القصر ما أنا إلا مدمنة مريضة تعاني .. وزارني زوجي عدة مرات ، وأعطاني مسدسا حسب المعلومات التي نقلتها له وفككه إلى قطع ، وطلب مني تهريبه للقصر على فترات وهو يقول : صبرنا سنينا يا ماريانا ـ حتى أصبحت أنادى بهذا الاسم ـ وفي أول فرصة يغادر مايا عين بسيم القصر عليك أن تقتلي السيد ، ووفر لي قرص تخدير استعمله لتخدير السيد قبل قتله ، وهذا القرص إذا فتحت علبته ينتشر غازه خلال ثوان ويؤثر سريعا على مستنشقه ، وكنت عندما أخرج من القصر في بعض المرات أتغيب في المدينة يوما يومين ، وكانوا يغضون الطرف عني من أجل والديّ الذين خدما السيد منذ إنشاء القصر ، وكنت اشتري صناديق الحلوى ومن خلالها أدخلت المسدس وبعض الرصاصات وقرص التخدير وأخفيتها داخل القصر للوقت المناسب ، وأنا أحسن العمل بالمسدس ، فقد تعلمت ذلك منذ صاحبت عشيقي الأول ؛ لأننا كنا أثناء نقل المخدرات لأماكن خطرة نكون مسلحين للدفاع عن النفس ، طبعا كان من الصعوبة قتل الرجل في غرفه نومه ؛ لأنني من الصعب عليّ معرفة أي الغرف قد نام فيها ، فكان لابد من قتله قبل النوم وقبل فصل الطوابق وعزلها .. فبعد سفر مايا المفاجئ ، وعلمت أنه سيقضى شهرا في بلاده أخبرت مرافقيّ بذلك فجاء الطلب من الزعيم بالإسراع بتنفيذ الجريمة كما رتب وكما رأيت ، وجاء زوجي عاجلا وشد من أزري وقال لي: عندما ينتهي التحقيق سيتم إخلاء القصر من الموظفين ، وسأعود للبلاد وسأعيش معه للأبد ، وسيحاول الإنجاب مني ليكون ابنه بطلا مثل أمه .. وبعد تشجيعه لي غادر البلاد وأوصى الرجلين بمتابعة المهمة معي ، ولما وصل البلاد اتصل بي مشجعا .. وعدت للقصر ببعض الحلوى كالعادة التي اتبعتها لإدخال المسدس والرصاصات وقرص التخدير .. وليلة الجريمة تركت العمل كالعادة ، انتهينا من الطعام وذهبت لغرفة التدخين ودخنت سيجارة أو اكثر كالعادة زعمت أنني سأدخل الحمام ، وذهبت باتجاهه ثم غادرته إلى جهة المصعد وصعدت للطابق الثالث ، ورأيت الحارس يمر محييا للسيد ، ودخل السيد الغرفة التي قتل فيها ، وطرقت الباب عليه ، ففتح متفاجأ ، واعتذرت له عن الإزعاج الذي أسببه له ولأبي

وأمي ، وطلبت منه أن يسهل سفري للعودة للبلاد .. فسامحني وقال : إنه سيدرس الأمر وإنما يؤخره من أجل والديّ الذين اقترب إنهاء خدماتها حسب شركة الضمان الاجتماعي .. ووعدته مجددا بمحاولة التخلص من المخدرات ، وأثناء الحديث فتحت القرص من علبته ، وعندما تفتح العلبة تبدأ الرائحة بعد وقت بالانتشار فغادرته فقال لي اغلقي الباب ورائك ففعلت ، وقد تركت القرص تحت السرير ، واختبأت في إحدى الزوايا خشية أن يصدفني أحد مع أنه من النادر خروج أحد الموظفين إلى أعلى سوى مايا وخادمه الخاص الذي انهى خدمته بعد عشاء السيد كما عرفت ذلك خلال متابعتنا للسيد ومحرم علينا الصعود للطابق الثاني والثالث ..وكان معي مجموعة من المفاتيح التي تفتح أغلب الأقفال هربتها أيضا بصناديق الحلوى .. فهؤلاء الحرس عندما يأخذوا مني قطع المخدرات التي عودتهم على الاهتمام بها ، ويعرفون أنني لابد لي من إدخال جرعة من بودرة المخدرات .. ويفتحون صندوق الحلوى وينظرون فيه نظرة سريعة ، وربما تناول أحدهم قطعة ويأكلها وهو يأسف عن مصادرة المخدرات ، وأتظاهر طبعا بالسخط والغضب ، وربما أسب ثم أغلق صندوقي ، وأدخل وأنا مستمرة بالغضب على أخذ الحشيشة ، ولما طلب مني السيد إغلاق الباب ورائي وكنت أسقطت قرص المخدر بعدما فتحته أثناء الحديث معه ، فتركته قريبا من السرير بعد أن نزل من جيب سروالي المثقوب، وقبل أن أنصرف دفعته بطرف حذائي إلى أسفل التخت ، وغادرت ولم أغلق الباب إغلاقا كاملا ، تظاهرت بأنني لم أسمع الأمر ، واختبأت مدة خمس دقائق، ثم تقدمت من الباب فسمعت الرجل يتكلم بالتلفون ، ثم قطعت المكالمة ، ففتحت الباب ودخلت فأغلقت سماعة الهاتف ، وقد جهزت المسدس المزود بكاتم صوت ، وكانت السيد نائما مخدرا فألصقت المسدس قرب جبهته وأطلقت الرصاصة ، وفتحت شباك الحجرة وأخذت بقايا قرص التخدير وهي كمية ضئيلة ، وفعلت ذلك وأنا ألبس قفازات طبية ، وخرجت بهدوء وأغلقت الباب ورائي ، وأخفيت المسدس وكاتم الصوت وعلبة قرص التخدير.. أما القرص فقد ذاب كليا ، وتسللت لحجرة الكوا ، وأعلمتها بتنفيذ الجريمة

فجزعا وبكيا ، وبعد هدوءهما طلبت منهما القول بأنني كنت معهما في الشقة بعد مجيئ من غرفة التدخين ، وتناولت شيئا من المخدرات أدخلته بوسائلي الخاصة ، وأنا ابنة عصابات ونفذت عددا من عمليات البيع والنقل فالخوف غير معروف لديّ وأستطيع بلع كمية وتبرزها . وبينت أنها أخفت المسدس في أحد الأجهزة الموجودة في المكتبة ، وأنها كانت تسير بالجوارب عندما دخلت على السيد لتقتله ، والرصاصات أخفتها في مزهرية في أحد الممرات ، ثم نقلتها فيما بعد إلى البستان ، ثم ألقتها في الصحراء أثناء مغادرتها القصر ، فهم عند المغادرة للقصر لا يتعرضون للتفتيش ، وكاتم الصوت في سيفون حمام ، ورأت أنها تحتاج لوقت لتكتشف ، وغسلت القفازات والجوارب في الشقة ، وقالت : تظاهرنا بأننا بعد العشاء وشرب الشاي وغيره أننا في شقتنا جميعا خاصة أنا ، ولم أهتم بمقتل الرجل ، ولم أكن له أي عاطفة ؛ لأنني جئت إلى القصر في مهمة ، وهو قليل الاختلاط بمن يعملون في القصر ..وكنت أظن أن تكتشف الجريمة صباحا أو عند صلاة الفجر عندما يأتي ميعاد الصلاة ويطلب الخادم ؛ ولكنه لما شعر بالاختناق اتصل بطبيبه جادور صديق القصر ، ولما جاء اكتشفت الجريمة ، وتظاهرنا بالدهشة والمفاجأة كسائر سكان القصر ..قلقت إلى حد كبير من ضعف الرجل وزوجته ؛ ولكني ذكرتهما أن حياتي وحياة ابنتهم وأسرتي وأسرتهم بخطر إذا لم نكتم الأمر ونبقى أم وأب وابنتهما ، فلزموا الصمت مكرهين ومضطرين ، ورأوا كما قلت لهم إن الكلام لم يعد ينفع بعد قتل السيد ، وقلت لهما : أيام شهر اثنان ثم سيغلق القصر ، ويصرف الموظفون إلى بلادهم وسيكرمهم الزعيم بالمال والثروة والعفو عن ابنتهم الحقيقية ، فلزموا الصمت ، فقالوا أمام التحقيق ما فعلوه هم بأنفسهم ، وفقط شهدوا بأنني بعد ترك غرفة التدخين جئت للشقة وتحدثنا قليلا ، ثم انصرفت لحجرتي لمشاهدة فيديو .

ولما انتهى التحقيق وخرجنا كالعادة لجاد ولبلبل ، ظللت على نفس العادات ، فجاء مانيو وقابلني في العاصمة ، وأثنى عليّ ووعدني بإشهار زواجنا ، وحثني على الصبر حتى ينتهي صرفنا من القصر ، وأوصى رجليه عليّ ، وعاد للبرازيل عن طريق الهند .. ومنعنا من السفر

حتى يغلق ملف القضية نهائيا ، وطال الوقت وسمعنا عن حكاية الكنز وتجدد التحقيق الجنائي ، فاضطررت للاتصال العاجل بصاحبيّ زوجي مانيو مخبرا بالأمر بعدما أعادوا الاتصال بي .. والوضع اليوم يختلف عن وقت الجريمة ، لقد ماتت ابنة الكوا من جرعة زائدة من المخدرات ، وهما يعلمان بموت ابنتهما من اتصال بهم من أخت الزوجة حتى أن مايا فكر بالسماح لهم بالسفر لحضور الدفن ، ومايا ورامان لم يفطنوا أنني ابنة مزيفة ، فهم اعتقدوا أن للرجل عدة بنات ، وساورني القلق فالتهديد والتوسل الذي كانت تقدمه صاحبتي بين أيديهما للصبر من أجل حياتها اختفى ، وأخذت أتظاهر بطلبي للمخدرات والاتصال بالأوكار التي أعرفها بحكم علاقتي مع شباب المخدرات ، ومايا والحراس وغيرهم من أهل القصر يعرف ذلك عني وأنني مدمنة ..فكل خروج عليّ بالتعاطي والعودة سكرانة .. وكنت أدرك أن الشرطة تطاردني وتشك بي هذه المرة أكثر من الأول .. وقد عجزت عن الاتصال بصاحبيّ هنا ، ثم تلقيت اتصالا وعلمت أنهما سيختفيان لحين من الزمن ، وكانت المشاكل تثور بيني وبين من زعمت أنهما أبواي .. أدركت أن وضعهما النفسي على وشك الانهيار والإقرار للشرطة .. وأنا نفست تعبت وزاد توتري من تخلي الجميع عني ، ولم يعد يرد أحد على تلفوناتي هنا أو هناك حتى كنا ذات ليلة فقال الرجل : أنا تعبت يا (ماريانا المزيفة) من الصمت ، وماتت البنت التي كنت أصمت من أجل حياتها وبكائها حتى آيست عن حياة الرجل الذي أعمل معه .. عليك أن تعترفي للبوليس ، فهم لن يتركونا نسافر ما لم يقبضوا عليك .

ومع تكرر هذه الأسطوانة المشروخة فقدت السيطرة على أعصابي وقررت قتلهما والتظاهر بالجنون ، وأن المخدرات دفعتني لقتلهما ، وليس الخوف من اكتشاف قتلي للسيد .

قال حاتم بعدما اطلع على اعترافات الفتاة: أتذكر يوم قلت لك يا مالح إنني عندما سألت مركز الإدمان عن هذه الفتاة ؟ قالوا لي إنها لم تكن مدمنة بمعنى مدمنة ، فهي تعرف المخدرات وتتعاطها ؛ ولكنها لم تكن وصلت لمرحلة الإدمان فاستغربت ذلك.. فاليوم فهمت ذلك فهي تاجرة مخدرات أكثر منها مدمنة .

بعد مغادرة الشرطة القصر بعد الأحداث المرعبة عقد منسي اجتماعا لفريق البحث فقال لهم : أيها السادة الطيبون مع هذا الحدث المرعب والمؤلم للقلوب أتذكر رسالة السيد جاءني الهام أن أقرأ الرسالة الخاصة ، فوضعت الصفحتين أمامي وقرأتها مرة جديدة ، فلاحظت أن الرجل ذكر نفسه صراحة ثلاث مرات باسم جدك بسيم الجدية وفي النهاية جدك بسيم الجدية لعل هذا التكرار لاسمه في نفس الرسالة يشير إلى طابق البداية الطابق الثالث حيث نجتمع الآن .. ومقتل هذين البرازيليين ومقتل بسيم قبلهما ذكرني باسمه المكرر في الرسالة ، وذكر في رسالته الموت حق .. لعل هذا اسم لكتاب في مكتبته ؛ فليكن عملنا في مكتبة الطابق الثالث عن كتاب اسمه الموت .. الموت حق .. اسم له علاقة بالموت .

فقال شاهر : هل نشرك النساء معنا لإشغالهن بشيء ؛ لنسيان الحادث العاصف ؟

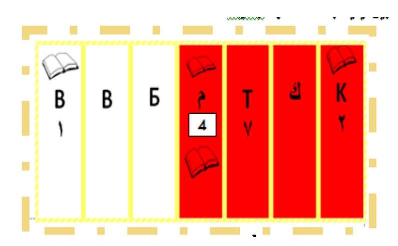
فقال حسن : جئن كما زعمن لمساعدتنا ودعمنا ، فانشغلن بالتنزه واللهو والثرثرة ، وقد غرقن بين أشجار البستان .. فلنتركهنّ على حريتهنّ ..ولا أعتقد أن موت هذه الأسرة الأجنبية أثّر فيهنّ .. لم يعد أي موت يؤثر في الناس اليوم .

فقال منسي عائدا للغز : تذكرون الكرت حرف بي **B** العمود الأيسر من البطاقة ، ولاحظوا أن **B** فوقها كتاب صورة كتاب أي مكتبة الطابق الثالث في نظري ، وتحتها ١ فلنبحث في الرف الأعلى من الخزائن السبع على أنه واحد ، ثم في الرف الأسفل على أنه واحد .

وانتقل القوم إلى مكتبة الطابق الثالث ، فلما أصبحوا أمام الواجهة التي تشبه الكرت مفتاح كل اللغز ، فقال منسي لهم :سنبدأ من الرف الأعلى من كل الخزائن السبع سنعتبره رقم واحد سأبدأ أنا من اليمين ، وشاهر من اليسار ، وأنت يا حسن من الخزانة الوسطى الرابعة سواء عددنا من اليمين أم اليسار .

ولم يطل البحث في الرف السابع من الخزانة الوسطى ، فقد وجد حسن كتابين في الرف يحملان اسم الموت ، ووجد منسي كتابا يحمل اسم الموت حق ، ومثلهم شاهر ، فقال منسي :

فقبل أن نقلب في صفحات هذه الكتب علينا المتابعة لإخراج الكتب المعنونة بالموت في هذه الرفوف السبعة .



ووجدوا في باقي الرفوف العليا كتبا تحمل عنوان الموت ، ولما انتهى التفتيش ، قال منسي : أصبح لدينا عشرة كتب فيها لفظة الموت .. كتاب الموت .. قصة الموت .. حقيقة الموت .. الموت لا مفر منه.. الموت حق .. أحياكم وأماتكم ..ملك الموت .. لا فرار من الموت .. حياتنا بعد الموت .. جاءكم الموت .. هذه عشرة كتب بعناوينها ، فبعضها كما رأيتم جاء صريحا في رسالة السيد لحفيده .. مثل كتاب" الموت "وكتاب" الموت حق" على كل واحد منا تصفح كتابا بحثا عن رسالة خاصة فيه كما فعلنا في مكتبة قصر أديب .. وإذا لم نجد شيئا نتصفح غيره .. ثم ننتقل للرف الأسفل ونعتبره رقم واحد .

أخذ كل واحد كتابا وبدأ التقليب والتحري ، ودخلت عليهم النساء وهم مستغرقون في البحث والصمت يخيم على المكان ، فشرح لهنّ منسي الأمر واشركهنّ في عملية البحث والتنقيب ، فتناولت كل واحدة مجلدا وذهبت إلى الجلوس على أحد مقاعد المكتبة يبحثن عن رسالة جديدة ، وكان من نصيب زوجة السيد حسن أن تجد في إحدى صفحات كتاب" الموت حق " شبكة مربعات ، ورأسها سهم للأسفل ، فقالت مضطربة : يا منسي يا أبا ضياء لعل هنا رسالة من السيد بسيم !

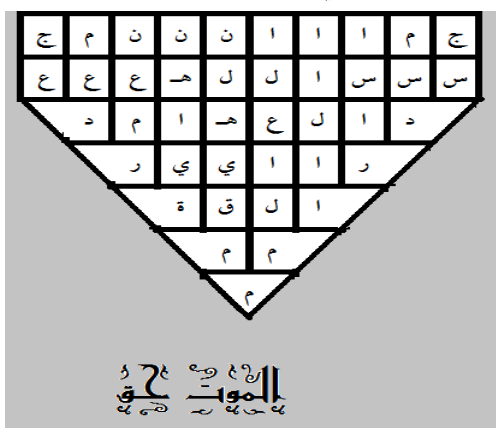
اقترب منها زوجها بعدما ترك الكتاب الذي كان يقلب صفحاته ، ونظر الشكل والحروف . فقال حسن رافعا يده لأعلى : أجل ! توقفوا أيها السادة ، وجدت الرسالة في هذا الكتاب الذي كان يجب أن نبدأ به ؛ لأنه موجود اسمه صراحة في الرسالة "الموت حق ".

أخذ المنسي الكتاب من يد حسن ، ونظر الشكل ثم رسمه على ورقة بشكل مكبر عما هو في

الكتاب ، ثم تتابع القوم برسم ونقل الشكل إلى ملفاتهم وأوراقهم ، وقال منسي : أعتقد كما قال الأخ حسن الرسالة في هذا المربع أو هذه الشبكة .. ونظر لزوجته نظرة خاصة ، ولما ابتسمت لنظرته إليها قال : أم ضياء العزيزة تقضي جل وقتها تحل شبكات الكلمات المتقاطعة في كل الصحف والمجلات التي تدخل البيت ..

فقالت ضاحكة ومتحدية : سوف أحل هذه الشبكة . وكانت قد انتهت من رسم نسختها .

فلما نظرت زوجة منسي الشكل والحروف بعض دقائق قالت : أعتقد أني فهمتها ، ثم تابعت بانفعال واضح : هذه طبعا كما قال المنسي شبيهة بالكلمات المتقاطعة



شكلا .. أو شبكات إخراج الكلمات لتبقى لدينا كلمة أو جملة مركبة من كلمتين أو حكمة أو مثل .. صور شتى لهذا النموذج من الشبكات .. فالعمود الرابع من اليسار في هذه الشبكة الهرم المقلوب لدينا كلمة لها معنى كلمة" نهاية " وفي العمود السادس من اليسار الخامس من اليمين كلمة "العالم " ولها معنى ، والسهم من الشكل الهرم المقلوب انزل الطابق الثاني وابحث عن كتاب اسمه" نهاية العالم ".

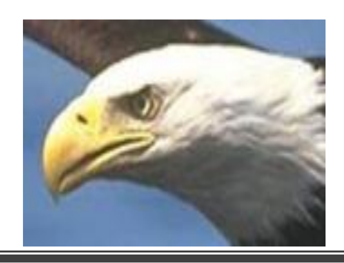
صفق الجميع للسيدة ، وكان الأمر بسيطا لدرجة مدهشة ، واحتفلوا بنجاحها بطلب إبريق من الشاي وإبريق من القهوة وبعض الفاكهة ، وانتقلوا لقاعة الطعام ، وعلق منسي وهم ينتقلون في انتظار وصول طلباتهم بصوت علني : ها قد نفعتنا تسليتك ولهوك بالشبكات يا أم ضياء .. والطابق الثاني سيغلق حسب نظام القصر بعد قليل .. وبعد شرب الشاي والقهوة

سنطلب العشاء .. فبعد هذا التقدم علينا أن نريح أبداننا بعض الوقت .. وصباحا بعونه تعالى نتابع التنقيب ؛ فإذا وجدنا كتاب "نهاية العالم" في مكتبة الطابق الثاني كان شغلنا صحيحا فنتابع العمل ؛ لأنه قد يكون هناك شبكات أخرى ، فنحن لم نبحث في كل الكتب التي فيها الموت .. وحتى كتاب "الموت حق" عندما اكتشفت الأخت (أم جمال) الشبكة ، لم نبحث عن غيرها ؛ فربما وضع لنا شبكات خداعية .. وربما كانت ضربة حظ .

قال شاهر : هذا ممكن من الرجل الذكي رحمه الله .

فهزّ الجميع رؤوسهم مؤيدين لوجهة نظر السيد منسي ، ووافق الجميع على التعمق في قراءة الورقة التي رسمها للشبكة وإبداء أي استدراك أو ملاحظة ، وأحضر الخدم المطلوب ، وقدم لهم منسي قائمة بالمناسب للعشاء والشراب .. وبعد كل ذلك من الطعام والفواكه وصلت الساعة لمنتصف الليل فانصرفوا لمناماتهم ، وطلب منسي منهم في الصباح قبل النزول لمكتبة الطابق الثاني التفتيش في الكتب الأخرى التي تحمل لفظة الموت .

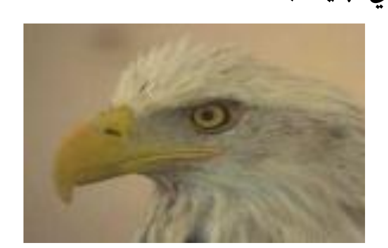
وبينما هم مشغولون ببحثهم جاءت الشرطة تبحث عن مسدس الجريمة المسدس الذي قتل به السيد ، فكان مخفيا في داخل إحدى الطابعات القديمة ، ثم أخرجوا كاتم الصوت من مكان آخر ، دلتهم عليهما الفتاة أثناء اعترافها .



٢٩

اتصل المحامي داود بأديب مخبرا إياه أنه حصل تقدم آخر في الوصول لكنز بسيم الجدية كما تقدموا في الوصول للخائنة القاتلة .

فعبر المهندس عن شكره لمحاميه ، وأثنى مجددا على مساعيه وجهوده التي يبذلها ، واعلمه أنه سيلتحق بالقصر مع نسيبه بشر وخاله محسن ، وطلب من المحامي بعد انتهاء التحقيق الجنائي أن يبدأ بصرف العمال ودفع المستحقات المالية لهم مع المكافآت المناسبة ، وتذاكر الطيران إلى بلدانهم ، فقال المحامي بعد سماعه طلبات المهندس وشكره : سألحق بكم أيضا آخر الأسبوع وهناك سنتحدث مع السيد السكرتير مايا لنبدأ في تصفية العمال والموظفين ، لأن الشرطة أنهت تقريبا تحقيقاتها وأعلمتني أن بإمكاننا إنهاء خدماتهم والسماح لهم بالعودة لبلدانهم إذا استغنينا عن عملهم.. وتابعت قضية نقل جثتي توماس وزوجته لموطنه وقريته الهندية ..وسترسل لعائلته الحقوق المالية وجميع أموال الاقتطاع من شركة التقاعد .. ولكن تبقى قضية حراسة القصر وبعض الأعمال التي لا غنى عنها مثل البستان والطعام للحرس ومايا حتى يباع القصر نهائيا .. وكذلك بعض الخدم لتنظيف القصر .. القصر يحتاج إلى هيكلة وترتيب إداري جديد يا أديب سنتكلم حول ذلك في نهاية الجمعة .



كان المنسي قد أجل البحث عندما جاءت الشرطة تبحث عن سلاح الجريمة ، وأدوات الجريمة الكاتم والعلبة ، فقضوا يومهم في البساتين ، ثم مشاهدة محطات البث الفضائي التي بدأت تشيع في ذلك الوقت من التاريخ وتزداد .

في الصباح التالي بعد تناول الجميع وجبة الإفطار قال لهم منسي : أخبرني المحامي عند اتصالي به ليلة أمس كالعادة المتبعة بيننا بتقديم فكرة له عن نشاطنا أن السادة أديب وأصهاره

سيلتحقون بنا وهو سيكون بيننا نهار الجمعة .. وسيدفع للقصر طاهيين عربين تعاقد معهم محامي جاد حتى إنهاء مهمتنا في هذا المكان ، وسيزيد عدد الخدم من اثنين إلى أربعة غير الطهاة وهم سيبدأون بتقليص سكان القصر الذين لم يعد القصر بحاجة لعملهم ، ووجبة الغداء سيستمر مطعم جاد بتوفيرها حسب مشيئتنا ورغبتنا ، وسيرسل لنا وكيله في جاد الماء المعلب والفواكه يوميا كما وعد سابقا .

فقال شاهر : فعلا الكثير من الموظفين لم يعد القصر بحاجة لهم بعد موت سيد القصر .. على الجميع أن يرحل .

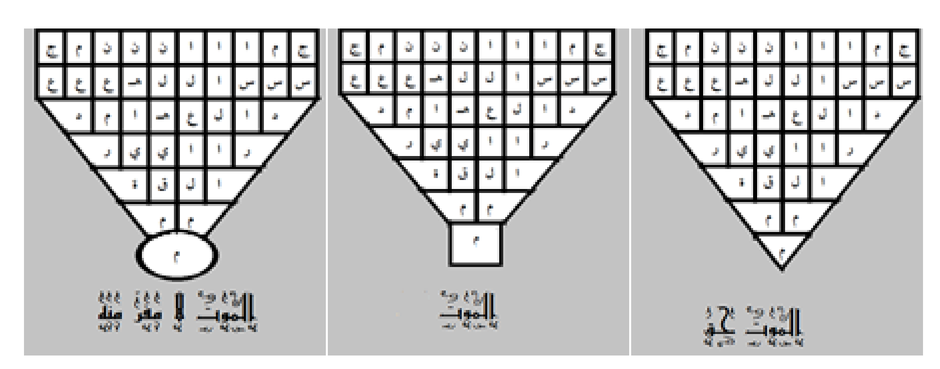
وأضاف حسن فقال : الغاية من وجودهم انتهت ، والسيد أديب كما علمتم يسعى للخلاص من هذا الكنز الكبير وحتى من شركات جده في الخارج ، وعلمت أن المحامي يسعى لتصفية شركاته أو بيع حصصه فيها .. والأمور تسير حول ذلك .. لا يريد أن يتمدد للخارج كجده بسيم .

فقال منسي : والآن بعدما أخذنا حظنا من الزاد بحمد الله وشربنا الشاي سنذهب للمكتبة هنا ونعاود النظر والبحث في الكتب العشرة التي أخرجناها من رفوفها ، ونبحث عن المزيد من الشبكات والرسائل حتى نطمئن أن الرجل يقصد فعلا كتاب "الموت حق" ، وأن الشبكة التي وجدتها أم جمال هي الشبكة الوحيدة التي اطلعنا عليها أول أمس .

فقال حسن : علينا فعلا أن نفتش تلك الكتب بدقة وجلد .

مشوا نحو قاعة المكتبة في الطابق الثالث ، وهناك طلب المنسي منهم إخراج الكتب التي تحمل اسم الموت من الرفوف السفلى ، فقامت النساء بهذه المهمة ، وتابع الرجال التصفح في الكتب العشرة التي أخرجت سابقا من الرفوف العليا ، ووجد القوم في أحد الكتب شبكة ثانية وتشبه الشبكة التي وجدوها ، والعجيب أنهم وجدوا نفس الشكل والحروف ، ثم وجدوا في كتاب آخر شبكة ثالثة .. وكان السيد قد جعل هذه الشبكات كصفحة ضمن كتاب مجلد كما حصل لهم عندما وجدوا رسالته المطبوعة في كتاب بلغة برازيلية .

ووجدت النسوة كتابا في الرف الأول الأسفل كتابا عن الموت ، ولكنهم لم يجدوا فيه شبكة، فقال حسن : بين أيدينا ثلاث شبكات فاعتقد أن شبكة "الموت حق " هي الشبكة المقصودة " نهاية العالم " هو الكتاب المطلوب البحث عنه في الطابق الأسفل



طلب منسي منهم النظر والتفكر في الشبكات من جديد ، فلماذا ترك الرجل ثلاث شبكات .. أللخداع أم أن الشبكات تكمل بعضها البعض ؟ فلم يجدوا اختلافا بينها إلا في رأس السهم أو الهرم المقلوب .

فتسأل شاهر : هل في ذلك رسالة يا ترى ؟!

قال منسي : أعتقد أنه فعل ذلك للتشويش ، وأيضا تسهيل الانتقال للخطوة التالية ما دامت الأشكال متشابهة رسما ومساحة وأحرفا ، وكلها تشير لكتاب اسمه نهاية العالم ؛ لأنه في العادة عندما يجد الباحث عن الكنز إحدى هذه الشبكات سيتوقف عن البحث ليحللها ؛ فإذا عرف ما عرفنا من اسم الكتاب سينزل للأسفل فورا وبلهفة .. فهي عملية للتسهيل إلى مرحلة أخرى ، والتشويش في نفس الحين .. وعموما إذا لم نجد كتاب "نهاية العالم" في الأسفل نعاود التفكير في هذه الشبكات من جديد .

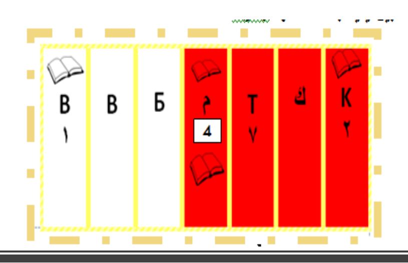
فقال حسن : كلامك معقول يا حضرة اللواء ؛ وقد يكون في وجود ثلاث شبكات إشارة لوجود ثلاثة كتب تحمل اسم الكتاب "نهاية العالم" .

فقال منسي وهو يهز رأسه مقتنعا : ممكن ، فهنا وجدنا في الرفوف العليا كما شاهدتم عشرة كتب فيها الموت والكتاب الذي وجدنا فيه الشبكة " الموت حق " أحدها .. وسنحتفظ بهذه

الكتب الثلاثة التي وجدنا فيها الشبكات قد نعود إليها في وقت لاحق .. فلتبق كل الكتب التي فتشناها على طاولات القراءة .. ولننزل للأسفل أيها الكرام .. ولاحظوا أننا في قصر أديب في العاصمة بلبل كان الكرت حرف م الرف ٤ وصورة الكتاب مرتين .. وهنا **B** الرف الأول من جميع الخزائن ..ويبقى عندنا حرف **K** رقم ٢ و **T** رقم ٧ ، فهذه الأرقام لها دلالاتها أيها السادة لم تكن عبثا أو تشويشا لابد أنكم لاحظتم هذا ؟!

فقال شاهر : صدقت وأحسنت إنها عوامل مساعدة للباحث .. فالرجل يريد منا أن نصل للكنز ببذل بعض الجهد .

أضاء منسي الذي كان يتقدم الفريق مكتبة الطابق الثاني ، وكان مايا قد أمر بعض الخادمات بتنظيفها للفريق بعدما علم أن العمل سينتقل إليها .



وقف منسي مخاطبا لهم : المهمة واضحة بالنسبة لكم البطاقة ترشدنا للبحث في الرف الثاني أو السابع ، وليكن البحث من الأعلى كما حصل لنا في مكتبة الطابق الثالث ، كل واحد يأخذ الرف الثاني من أعلى السادس من أسفل ، ويبقى رف الذي ينهي رفه قبل غيره ينتقل إليه .. وإذا لم نجد "نهاية العالم" ننزل للرف الثاني من الأسفل إلى الأعلى .. فإذا لم يوجد في كل هذه الرفوف ننتقل للرف السابع من كل هذه الخزائن سواء من أعلى أو من أسفل .. هيا أبدأوا .

ولم يستغرق البحث طويلا فقد وجدوا ثلاث نسخ تحمل كتاب اسمه "نهاية العالم" ، وجدوها في الرفوف رقم اثنين من الأعلى ؛ ولكن منسي طلب منهم البحث في رقم اثنين من أسفل ، فلم يجدوا كتابا بذلك الاسم ، فطلب منهم البحث في رقم سبعة أو واحد على أنه سبعة من العد نزولا ، وكذلك لم يجدوا كتابا يحمل اسم " نهاية العالم" فيها .

فعلق شاهر : البطاقة الأساس لها دور كبير ومهم في عملنا .

فقال منسي : كل رجل منا وأهله يبحثون في نسخة عن رسالة السيد في هذه المرحلة .

بعد حين يسير قال حسن : الكتاب واحد هل لاحظتم ذلك ؟! إنما هي ثلاث نسخ لمصنف واحد .

قال منسي : جيد سيد حسن هو كما قلت ! كتاب منه نسخ .. فكما قلنا في شبكة الموت أعلى ؛ ربما هي للتشويش أو التسهيل علينا .. لحتى الآن لم نر فائدة لتكرار الشبكات في الأعلى .

قال شاهر : وجدنا في نسختنا مجموعة من الأرقام فوق بعضها البعض على شكل ملفت للنظر إنها ١٢ رقما .

تطلع إليها منسي وحسن فقال منسي : أي صفحة ؟

شاهر : ٢٩٩

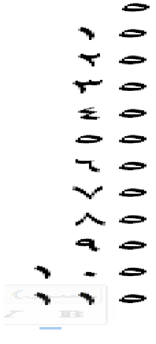
فتح منسي نسخته صفحة ٢٩٩ فقال بعد نظر : الصفحة عندي لا يوجد فيها أرقامك.. وأنت يا حسن ؟

ـ لا يوجد بها أرقام شاهر

ـ فلنتابع البحث جميعا استعرض ما تبقى من صفحات الكتاب يا شاهر

لقد كانت الأرقام التي وجدها شاهر في صفحة ٢٩٩ من كتاب "نهاية العالم" مرتبة على شكل صفوف ، وعلى هامش الكتاب وبقلم حبر جاف ، ليست مطبوعة ، ومضافة لهامش الصفحة الأيمن ، فبعد حين وجدت أسرة حسن الهامش في صفحة ٢٤٩ ، وفيه ١٢ رقما ، ووجد منسي وزوجته الهامش الثالث في صفحة ٣٠٩ ، فقال منسي حاسما : هذه هي رسالة السيد في هذه المرحلة ، لينقل كل واحد منا أرقامه على ورقة ، واعتقد أن كل هامش يشكل كلمة ، ومن مجموعها اسم كتاب في مكتبة الطابق الأول ، وهي طريقة شيفرة سهلة ، ويستخدمها الهواة أكثر من المحترفين.

وبعد صمت للحظات شرح قائلا : رقم يعني رقم صفحة في هذه الكتاب ، ورقم آخر يعني سطر في تلك الصفحة ، والرقم الثالث يعني حرف في ذلك السطر ، فمن مجموع الحروف ينتج لدينا اسم كتاب إذا كان الخطوة التالية كتاب ..



فأرقام السيد حسن انظروا إليها الموجودة في صفحة ٢٤٩

أعتقد أنها تعني رقم الصفحة من هذا الكتاب ؛ لأنه في الكتب من القليل والنادر أن يبلغ ويكون في الصفحة ٥٥ سطرا أو مائة سطر إلا إذا كان كتابا خاصا أو جريدة ، ربما تجد فيها مائة وخمسة عشر سطرا أو تجد في السطر مائة حرف ، ولو كانت كل كلمة فيه عشرة أحرف لبلغت مائة ، وهذا قليل خاصة في مثل هذا الكتاب "نهاية العالم" ، ورقم صفحة نسخة

حسن ٢٤٩ أعتقد أن هذه الأرقام إشارة لرقم الصفحة إذن نسخة حسن تعني رقم الصفحات وهو أدنى الأرقام .. ونسختي ونسخة شاهر تحتمل رقم السطر ورقم الحرف في السطر .. لذلك سنجرب مجموعة شاهر ؛ لأنها تحمل رقم ٢٩٩ كرقم للسطر ، ونسختي تعني الحرف .. ثم نستعمل نسختي السطر ونسخة شاهر الحرف ، ونرى ماذا سيكون بين أيدينا من الكلمات ؟

هذه أرقام شاهر الموجودة صفحة ٢٩٩



سنعتبرها رقم السطر أولا ، وهذه أرقام مجموعتي



سنعتبرها الحرف ، ثم نعكس واضح هذا لكم .. فاسم كتابنا يتكون من اثني عشر حرفا .

فقال شاهر : أغلب سطور الكتاب ٢٧ أو ٢٦ وبعضها ٢٤ لوجود عنوان في رأس الصفحة

قال منسي : جيد ! وهذه الأرقام التي عندك وعندي أكبرها ٢٠

فقال حسن: لنسرع العملية .. صفحتي قلنا رقم الصفحة .. ونعمل نسخة نقدم فيها أرقام شاهر ونسخة نقدم أرقامك سيادة اللواء .. ونعمل نحن الرجال مجموعة والنساء مجموعة .

ابتسم الجميع وقال منسي : فكرة طيبة .

دونت مجموعتان من الأرقام ، وأعطيت النساء نسخة من الكتاب بعد أن تأكد منسي أن النسخ أرقامها متطابقة .. ثلاث نسخ من كتاب "نهاية العالم" ، وأقر القوم للمنسي بخبرته في معرفة الشيفرات فضحك وقال : شيفرات المؤسسات الأمنية شيفرات معقدة .. ولكنها بين الفريقين سهلة ؛ لأن كل طرف يعرف المفتاح لاستخدامه في فك الشيفرة .. إنما يقصد من الرسائل المشفرة تمرير معلومات سرية وخطيرة ، لا يجب للموظفين الاطلاع عليها ، وإذا وقعت لدى الأعداء يصعب عليهم فهمها وتحليلها أو يتأخرون في فكها ؛ لتنفيذ ما يراد قبل معرفة العدو ..وتركيب الشيفرات معقد بالنسبة للخصم ، ومعروف بالنسبة للمرسلة إليهم الرسالة المشفرة ؛ لذلك يكون لدي الأجهزة الأمنية قاعدة بيانات لفك الشيفرات وتحليلها .. ويستخدم الجواسيس والتجسس لمعرفة المفتاح المتعامل به بين الأطراف لفهم ما يدبر ويخطط فتكون خطط الخصم مكشوفة للخصم إذا استطاع معرفة وفك الشيفرة.

وبعد ساعة من الزمن تم استخراج كتابين أحدهما اسمه "أسرار في أرقام" ، والكتاب الثاني "اللعبة في بيتي "

قال المنسي : علينا الآن أن ننزل إلى الطابق الأول .. فنحن نتقدم بشكل جيد وسريع سبحان الله .. وسيكون البحث أيها الأفاضل في الرف رقم ٧ كما تخبرنا البطاقة.

فقال حسن بحماس وهو يفرك يديه ببعضهما جذلا : نعم ، ها نحن نقترب من كنزك يا عم بسيم الجدية ـ رحمك الله ـ إلى الطابق الأول أيها الأبطال .. كان مجيء النساء فال حسن يا سيد منسي .

٥	٥	٥	ا
١٥	١٥	١٠	س
٢٥	١٥	٨	ر
٣٥	٤	١٥	ا
٤٥	٩	١٨	ر
٥٥	١٧	٢٠	ف
٦٥	٢٠	٢٠	ي
٧٥	١	٣	ا
٨٥	٧	١	ر
٩٥	١٩	٢٠	ق
١٠٥	١٧	١٧	ا
١١٥	٣	١٩	م

٥	٥	٥	ا
١٥	١٠	١٥	ل
٢٥	٨	١٥	ل
٣٥	١٥	٤	ع
٤٥	١٨	٩	ب
٥٥	٢٠	١٧	ة
٦٥	٢٠	٢٠	ف
٧٥	٣	١	ي
٨٥	١	٧	ب
٩٥	٢٠	١٩	ي
١٠٥	١٧	١٧	ت
١١٥	١٩	٣	ي

وقبل أن يرد المنسي قالت إحدى النساء : سنصعد للغداء ، فقد رأيت سيارة الطعام تقف أمام القصر

فاقترب بعضهم من نافذة تطل على مدخل القصر ينظر لبوابة القصر وقال : أجل أيها الناس

وتحدث السكرتير مع اللواء منسي على جهاز اتصال خاص بينهم زوده به السكرتير للحديث معه مباشرة ، ومن أي مكان ، ولما اغلق الجهاز قال : نعم ، وصلت سيارة الطعام فلنصعد لمطعمنا ونرفه عن أنفسنا بالمشروبات الطيبة ، والفواكه الطازجة.. واعلموا أن ضيوفنا سيكونون معنا هذا المساء ؛ لذلك سنؤخر الغداء أيتها النساء حتى يشاركونا فيه .

قال شاهر : لا بأس يا أبا ضياء .

صعدوا بالمصعد للطابق الثالث ، وقدم لهم خادم الغرف الشراب المثلج ، ثم القهوة الحلوة .. والخادمة وضعت أمامهم أوعية الفواكه .

وبعد ساعة وصل أديب وزوجته سعاد وبشر وخاله ، ومعهم الطاهيان والخادمان الإضافيان .



غمر الفرح أفراد فريق البحث بمجيء السيد أديب وأصهاره ، ولما انتهى تناول الطعام وانتقلوا لقاعة خصصت كصالة جلوس لهم ، قال محمد محسن بعد سماعهم ملخصا لما بذل من جهد للوصول إلى مكتبة الطابق الأول : رائع رائع جدا أيها الفرسان !! نحن نسمع ونقرأ عن الكنوز وفك طلاسمها .. فها هنا نحن نشاهد فك أسرار كنز عظيم .. بوركت جهودكم لقد تقدم الفرسان تقدما كبيرا .. استعد يا مهندس أديب لرؤية ذخائر جدك العزيز.

فقدم أديب شكره الجزيل لهم ، وأثنى عليهم وعلى نسائهم الثناء الحسن ، ثم قال بشر معبرا هو الآخر عن امتنانه : حقيقة أثبتم أيها السادة أنكم أهل لحل الألغاز ، والليلة ـ إن شاء الله ـ سنبحث معكم في مكتبة الطابق الأول ليكون لنا سهم في مشاركتكم الجهد الجبار الذي

بذلتموه ..والعجيب أن مقتل الكوا الهندي وزوجته فتح على سيادة اللواء .. فقد ذكركم مقتلهم بالسيد بسيم وتكرار اسمه في الرسالة البرازيلية .

فقال منسي معترفا : فعلا إنها أعجوبة في نظري .. أهلا بكم جميعا .. وإن شاء المولى بعد صلاة العشاء نهبط لمكتبة الطابق الأول .

نزلوا جميعهم بعدما صلوا العشاء إلى الطابق الأول حيث المكتبة الكبرى ، وحيث نزلاء القصر ، وحسب طريقة البحث التي اتبعت في المكتبات العليا ، وقف كل شخص عند الرف رقم ٧ من الأعلى ، ووجدوا الكتابين سريعا دون عناء "اللعبة في بيتي" و"اسرار في أرقام " واستمروا في البحث عن نسخ أخرى ، فلم يكن لهنّ تكرار ، وتبين لهم أن كتاب اللعبة هو عبارة عن مجموعة ألعاب من مختلف بلدان العالم ، من كل بلد لعبة أو أكثر ، وهي من الألعاب الشعبية المشهورة في البلاد أو المدن الكبيرة حول العالم ، والكتاب مترجم للعربية عن الإنجليزية .. باحث تنقل في كثير من بلدان العالم ، ودون تلك الألعاب لنشرها على مستوى الكرة الأرضية .

فقال المنسي مازحا : للأسف لم التقِ بمؤلف هذا الكتاب ؛ لأعرفه على ألعاب بلدنا .. يبدو أنه أراد أن يسيح في البلدان ، فاتخذ الفكرة الأساسية للكتاب للتجوال في العالم على حساب مؤسسة أو جمعية .

ضحك الجميع وقال بشر : ربما ما تفوهت به صحيح مائة بالمائة .. وأنا أول مرة أقف على هذا الكتاب ، وعلى هذا الاسم .. فما زال السيد بسيم يتحفنا بثقافته الواسعة .

وأما كتاب" أسرار في أرقام" فأرقام مجموعة إلى بعضها تكون نتائجها تساوي ضرب أرقام بأخرى ، أسرار الرقم ٩ الرقم ٨ حتى الرقم ١ ، ولفت نظرهم وهم يقلبون صفحات الكتاب أن هناك شبكات ٤×٤ ، ٥×٥ ، ٤×٥ ، ٥×٦ ، ٧×٧ شبكات كثيرة ، ومساحات مختلفة ، بدأ لهم الكتاب من تجميع أو تأليف السيد بسيم ؛ لأنه لم يكن عليه اسم مؤلف ، ولا دار نشر ، ولا سنة طباعة ، رغم أنه كتاب مجلد ، وهو يزيد عن مائتي صفحة .. طلب منسي منهم أن

يقوم كل فرد بتقليبه ، ولما لم يفقهوا الرسالة المقصودة من رؤية هذا الكتاب طلب منهم منسي بالصعود للنوم ، فمن يرغب بالنوم فلينم ، ومن يرغب بالسهر على الكتاب فليبق في قاعة الجلوس ، ولقى هذا الاقتراح الاستحسان خاصة النساء اللواتي يرغبن بالحديث والثرثرة مع السيدة سعاد عيسى ، وكذلك السيد محسن الرجل الشيخ ارتاح للاقتراح ، ورغم أن حياته السهر لعمله كصحفي ورئيس تحرير جريدة قديما ومجلة اليوم ؛ ولكن يبدو أن مشوار الطريق أتعبه ، وللعمر دوره ، وعرض عليهم الطهاة عشاء خفيفا ، فمن رغب انتقل لغرفة الطعام ومن لم يرغب ظل يقضم من الفواكه ويشرب الشاي أو القهوة أو المرطبات أو يقزز البزر والفستق الحلبي المالح .

وبعضهم ذهب للنوم ، وبقي بعضهم يقلبون في الكتاب ، ويتأملون صفحاته ومعلوماته ويفكرون باللغز المخفي في ثناياه ، واستمر التخرص والتخمين والفكر حتى كاد يقترب الفجر .

فقال لهم منسي وهو يترك الكتاب من بين يديه : جاءتني الآن فكرة قد تكون هي الحل .. لقد رأيتم في الكتاب صورا للمفاتيح صغيرة وكبيرة ؛ لعل لها دورا مهما يا إخوان .

قال بشر الذي ظل ساهرا معهم : فسر يا سيادة اللواء !

فقال منسي مفكرا ومفسرا : على بعضنا رسم هذه المفاتيح أو بعضها ، ثم نضعها على الأشكال المربعات الشبكات ، فربما تخرج لنا المفاتيح كلمات تدلنا على السر .. فعلى كل واحد منا أن يأخذ شكل مفتاح ويجربه على عدة مربعات ؛ ربما نصل لشيء ، فلابد أن لهذه المفاتيح دورا ، ثم نغير المفاتيح بمفاتيح أخرى حتى نيأس أو نلهم بشيء جديد .

فقال حسن مادحا : صدق أنها فكرة رهيبة يا أستاذ منسي.. نعم الخبير أنت في فك الشيفرات

فقال شاهر مقترحا: نكوّن هذه المفاتيح من ورق بلاستيك شفاف .

فقال بشر : جميل هذا أيضا يا أخ شاهر !..فالحروف التي يغطيها المفتاح نكوّن منها الكلمة المناسبة ثم على ماذا تدل الكلمة يا سيادة اللواء ؟

فقال منسي : على المكان الذي سنذهب إليه إلى مكان الكنز ، لم يبق كتب نبحث عنها وفيها .

مشى شاهر وحسن إلى المكتبة يبحثون عن أوراق بلاستكية شفافة التي تستخدم للكتابة أو التجليد .

وقال منسي وهو ينهض قائما: أما أنا فسأذهب للنوم أيها السادة تصبحون على خير .. و يكفي ما فعلناه اليوم ، فالساعة الثانية فجرا .

وانصرف الرجال والنساء ، وبعد حين يسير خرج شاهر وحسن من المكتبة ، وانصرف حسن للنوم ، وبقي شاهر وحده وهو يقول لحسن : لا رغبة لديّ في النوم .



صنع الشباب قصاصات من البلاستيك الشفاف الذي يستخدم للكتابة بأقلام الفولماستر ، قصوه على شكل المفاتيح الموجودة في كتاب" أسرار في أرقام" ، وأخذوا يضعونها على الشبكات ، فتشكلت لديهم كلمات منها غرفة ، غرف ، قصر ، قصور ، سطح ، سطوح ، شجرة ، أشجار ، نسر ، نسور ، صقر ، صقور .

لم توحِ لهم هذه الكلمات رغم توفر معانيها في القصر بشيء ، وفجاءة هتف المنسي قائلا : جاءتني فكرة أيها الأخوة .

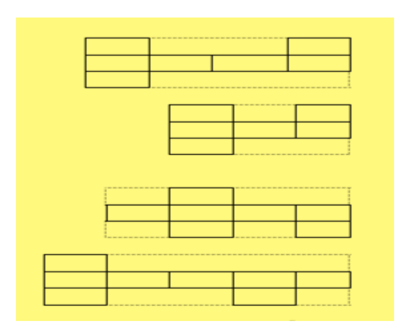
التفت إليه الجميع فقال موضحا الفكرة : علينا أن نضع على المربعات ٣×٣ مفتاحا ذا ثلاث مربعات ، شبكة ٤×٤ مفتاح رباعي المربعات .. وهكذا .. فعلينا تصوير هذه الشبكات .. مجموعة تبحث في الثلاثي ، مجموعة في الرباعي ، مجموعة في الخماسي ، ومجموعة في السداسي كم صفحة هذه الشبكات يا شاهر ؟

ـ حوالي ثلاثين صفحة .

استدعى أديب مايا ، وكلفه بتصوير الصفحات المرسوم عليها الشبكات ، فكل صفحة خمس صور .

وأخذ المنسي يصنع رسومات المفاتيح المصورة والمرسومة في الكتاب كما رسمها على ملفه .

ولما عاد مايا بالصور شكروه ، وأخذها منسي ووزعها على الجميع ، ثم وزع المفاتيح البلاستكية ، بعضهم أعطاه الثلاثي ، وبعضهم الرباعي والخماسي . وقال : من معه مفتاح ثلاثي يبحث في الشبكات الثلاثية ، والرباعي في الرباعية ، وعلى كل مجموعة أو فرد استخراج كلمات تصلح ؛ لأن تكون مكان إخفاء الكنز



وبدأ الرجال والنساء يبحثون ويضعون المفاتيح على الأشكال ، ويكتبون على الورق ما يتولد لديهم من كلمات ، وبعد حين قالت سعاد بتردد لشقيقها ومن بقربهم : إني ألمح في هذه الأشكال حلا .

قال بشر وهو يتطلع في عيني شقيقته : كيف ؟

قالت : اقترب ـ ولما اقترب منها ـ لاحظ هذا المفتاح الخماسي على هذا الشكل .. فتشكلت كلمة النسر فقط

-	ا	-	س	-
ا	ل	ن	س	ر
-	ن	ص	ن	-
ن	س	ن	ر	س
-	ر	-	ر	ر

-	ا	-	س	-
ا	ل	ن	س	ر
-	ن	ص	ن	-
ن	س	ن	ر	س
-	ر	-	ر	ر

فكلمة النسر في العمود الثاني من اليسار ، وكلمة النسر في الصف الثاني من الأعلى وهي معكوسة

فقال أديب : النسر مكرر مرتين ماذا يعني ذلك ؟

تبسمت سعاد قائلة : نعم ، يعني الذهاب للأسفل إلى قاعة النسر .

همس بشر : قاعة الطيور النسور فعلا هناك نسران في أعلى العمود الأوسط ذي الرخام الأسود؛ لكن هناك ثلاثة طيور على كل عمود ثلاثة طيور دعيني أحادث المنسي

ذهب بشر إلى حيث يجلس المنسي وزوجته فقال بشر : أستاذ منسي .. سعاد عندها فكرة لو سمحت بسماعها .

شرحت سعاد فكرتها للواء ، وأخذ المفتاح منها ووضعه على الرسم المختار الصف الثاني أفقيا والصف الثاني عموديا الكلمة مكررة في نفس الشكل ومطابقة لصورة المفتاح .

فقال منسي : النسور في قاعة النسور في الوسط، العمود الثاني من جميع الجهات النسور ثلاثة أليس على كل عمود ثلاثة طيور ؟

قال بشر : هي ثلاثة طيور حقا ؛ ولكن النسور اثنان فقط والثالث ليس بنسر

فاستدار المنسي لكل الموجودين وقال : السيدة الفاضلة سعاد اكتشفت شيئا مهما أيها الكرام وقد يكون هو الحل ، سأنزل أنا والمهندس أديب وبشر ونساؤنا لقاعة الطيور أسفل منا ؛ فإذا صح ما استنتجته الأخت سأتصل بكم للنزول وإيقاف البحث هنا .

نزل جزء منهم لقاعة الطيور أو غابة الطيور ، وقفوا عند العمود الأوسط الأسود الرخام في القاعة الرخامية ينظرون إلى الطيور المجسمة في أعلى العمود ، ووجدوا أن على العمود ثلاثة أطيار كسائر الأعمدة في القاعة ، منها مجسم نسران ، والثالث عقاب كبير ، فقال منسي : هما نسران حقا !

طلب منسي سلما من مايا لقاعة الطيور ، وكان السلم على شكل ٨ ، فصعد منسي عليه ، والقوم قلقون عليه لكبر سنه، فلما وصل الطير فتأمله بنظرة سريعة ، فهي تفرد أجنحتها ؛ كأنها تطير ، ثم نزل وأزاح السلم حيث النسر الثاني ، ثم صعد من جديد لينظر التمثال الثاني وبعد نظر نزل ، وحرك السلم للطير الثالث ، ثم صعد ينظره ،كانت الطيور بالحجم الطبيعي

أو تقاربه .

صعد أديب بعدما أعاد السلم لأحد النسرين ، ودقق النظر في أحدها ، وقال وهو ينزل : ممكن أن يفتح فم النسر ، فأسفل العينين ممكن إدخال مفتاح خاص ، فالفكان يمكن فصلهما عن بعض ؛ وربما نحتاج لمفتاحين معا ، فكل عين أسفلها فتحة لمفتاح .

أزاح الشباب السلم أسفل النسر الثاني ، فصعد أديب عليه حيث تمثال النسر ، وحدق فيه وبعدما نزل قال : له فتحتا مفتاح أيضا .

فقال المنسي : أين سنجد مفاتيح هذه الأفواه ؟

استدعى أديب مايا وسأله: هل شاهد جده يصعد يوما على سلم في هذه القاعة ويفتح فم النسر .

دهش مايا للسؤال وقال : لم أشاهده يفعل ذلك ، رغم طول عشرتنا ، ولكن لا تنسوا أنني أغادر القصر في مهمات خاصة للرجل تستغرق أياما ، أو في زيارات لبلدي كإجازة ، وإذا أخفى الرجل شيئا عني فهو يفعله في غيابي ، وهذه القاعة من أحب الأماكن إليه في القصر بعد مكتبة الطابق الأول ، وإذا كان هناك كنز فهو سوف يستخدم شيئا سهلا ، ليس مثل هذا السلم .. وهذه القاعة لا يسمح للخدم والموظفين في القصر الجلوس فيها ، فهي استراحة لضيوفه فور وصولهم القصر .. قاعة الاستقبال الأولى ، وإذا أحببتم أن أسأل الحرس وأهل القصر عن إدخال سلم إليها للسيد أفعل .

قال منسي : إذا احتاج السيد لسلم كهذا ، لابد أن يأتيه به الخدم .. فهو ثقيل وطويل ؛ ولكنه موجود في القصر .. لماذا يستخدم هذا السلم ؟

رد مايا : هو لا يستخدم داخل القصر ، فلدينا سلالم قصيرة ومن مادة الألمنيوم ، ولكن هذا يستخدم للصيانة الكهربائية خارج القصر كتبديل لمبات الإضاءة ، صيانة سلك كهرباء ، ويستخدم في البستان لتقليم الأشجار العالية بالجملة لإعمال الصيانة ، وإذا استخدم هنا لهذه الطيور فيكون هذا قديما أثناء إنشاء هذه القاعة ؛ لأن هذه القاعة شيدت قبل استقرار السيد

نهائيا في بلده هذا .

قال أديب : سيد مايا مفاتيح السيد أين هي ؟

ـ إذا كان هناك مفتاح أو مفاتيح خاصة أتصور أنكم ستجدونها في مكتبه الرئيسي في الطابق الثالث .. أو في مكتبة الطابق الأول هناك خزانة فيها أوراق ووثائق مهمة ؟

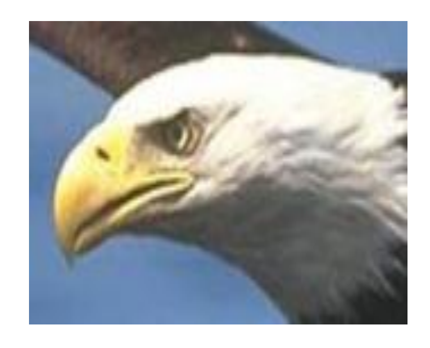
فقال منسي لمايا : أحضر مفاتيح المكتب ، وخذ معك السيد أديب ، وانظروا مجموعة المفاتيح .

واتصل منسي في فريق البحث في الطابق الثالث ، وطلب منهم التوقف عن البحث والنزول لقاعة الطيور.

فتح المكتب المهجور منذ موت صاحبه ، ووجدت فيه مجموعات من المفاتيح فقال أديب: كثيرة كيف سنبحث فيها ونجربها ؟

فقالت سعاد: لا داعي لتجربتها كلها ، فسيعزل السيد مايا مفاتيح الغرف الخاصة بمنامات السيد ، فتبقى مفاتيح الخزائن الخاصة .

تبسم مايا لما سمعه ، وأدرك ذكاء وفطنة هذه المرأة التي تزوجها أديب .. وقال لنفسه : لو كان الجد بسيم حيا لأعجب بها .. فهو يحب الأذكياء وأهل الشجاعة .



٣١

جربوا المفاتيح التي فرزوها ، فوجدوها كلها مستعملة لغير هذه النسور ، فانتقلوا للطابق الأول حيث المكتبة الكبرى ، فوجدوا مفاتيح الغرف التي يستخدمها الحرس وبعض الموظفين ونظروا المفاتيح التي يملكها مايا للقصر فكلها مستعملة .

فقال أديب : سلسلة مفاتيح جدي أين استقرت ؟

قال مايا : لا أدري كنت أظنها معك أو مع المحامي .. لا أعتقد أن الشرطة حرزت عليها .. فالمحامي جاء واطلع على مكاتب السيد في جميع الطوابق ، واستعرض الملفات المهمة ، ونقل بعضها لمكتبه .. يوجد خزانة معدنية سرية في مكتبه الذي كنا فيه ، وأخرى في المكتبة ، وأحسب أنهما فتحتا بعد الحادث ، واطلع على فحواهما السيد داود المحامي ، ولم يوجد فيهما شيء يدل على القاتل أو أوراق خاصة وخطيرة .. إنما هي صور عقود محليه وشراء عقارات وشقق في هذا البلد ، وأغلقت هذه الخزائن ، وأعطيت مفاتيحها وشيفراتها للسيد داود ليدفعها لك .

قال أديب وهو يتذكر : أذكر ذلك ، وهذه المفاتيح والشيفرات وصلتني فعلا ؛ ولكنها اللحظة هذه في المدينة .. فلابد من العودة للمدينة يا سعاد وجمع تلك المفاتيح ؛ وربما نجد بينها سلسلة مفاتيح جدي بسيم .. أذكر الآن أنني رأيت ميدالية عليها صورة نسر يطير ، وفيها ثلاثة مفاتيح منقوش عليها النسر .. ربما تكون هي المطلوبة إنني أتذكرها جيدا الآن .. نقلت إليّ مفاتيح كثيرة كان يستخدمها الجد بسيم .

أخبر أديب المنسي عن عدم وجود أي مفتاح يخص النسر ، وذكر له ميدالية جده ؛ ولكنها موجودة في بلبل وقال : لابد من العودة للمدينة لإحضارها .

فكر منسي قليلا وقال : ألا يستطيع السائق إحضارها ؟

قال أديب : سأتحدث مع خالتي أم سالم ، ومع داود أيضا ، أذكر أنني وضعتها في درج مكتبي يا سعاد .

اتصل أديب بخالته ، ووجد عندها حفيدتها التي جاءت للبقاء معها حتى يعودان ففرح ، وتحدث مع الحفيدة التي فهمت عليه سريعا ، فذهبت الصبية إلى حيث أرشدها ، ووجدت الكثير من المفاتيح .

فقال لها : يا بيان ضعيها في كيس أو حقيبة صغيرة ودعي السائق الهندي يتكلم معي .

وتكلم أديب مع داود وحدثه بما حدث باختصار ، وطلب منه أن يذهب لبيته ، ويرى المفاتيح خاصة ميدالية النسر ومفاتيحها الثلاثة ، ويرسلها الليلة مع السائق الهندي.

انتقل المنسي وفريقه للغداء في الطابق الثالث حتى يصل السائق الهندي .

وفي الليل وصل السائق الهندي للقصر الصحراوي ، وسلم الحقيبة للمهندس ، وأخذه مايا ـ حيث هو قريب له ـ لقاعة الطعام ، وقدم له طعاما هنديا ، وأعلمه أنه سيقضي الليلة معهم فأرشده إلى حجرة ينام فيها .

وفي صالة السهر قال منسي وهو يقلب الميدالية التي نقش على وجهيها نسران : يبدو أنها فعلا مفاتيح لتلك النسور ؛ ولكنها ثلاث مفاتيح ..

فقال حسن : سيظهر مكان للمفتاح الثالث يا سيادة اللواء .

ضحك اللواء وقال : بالتأكيد يا أخ حسن .. تحول اللغز إلى مفاتيح في مرحلته الأخيرة .

فقال شاهر : هل ترى أنها الأخيرة ؟

التفت إليه منسي وقال : أعتقد أنها الأخيرة .. يا سيد محسن ما رأيك ؟

قال محسن : أصبح لدينا قصة كبيرة عن الكنوز.. أليس كذلك يا دكتور بشر ؟

ـ قصة كبيرة جدا يا خالي ..

فقال منسي : وفي الحقيبة دفتر صغير ؛ كأنه دفتر الشيفرات .

قال أديب : أنا طلبته ربما نحتاجه ، والسيد داود ربما يكون بيننا غدا ليشهد نهاية قصة كنز الجد بسيم .

هلل الجميع معبرين عن فرحهم بقدوم المحامي ، فهو الذي اختارهم وجمعهم لحل لغز الصحراء

فمن الرائع أن يكون بينهم ، ويحضر حفل الختام .

بعدما تناول فريق البحث عن الكنز الإفطار نزلوا إلى قاعة الطيور حيث النسور ، وطلب المنسي عدسة مكبرة من السيد مايا ، فجاءت العدسة المكبرة ، وصعد شاهر السلم إلى رأس النسر وحيث أسفل العين اليمنى قال : نعم ، إنه مكان يصلح لإدخال مفتاح . أدخل المفتاح وحركه يمينا يسارا ؛ ولكن النسر لم يفتح فمه ، استعملوا المفاتيح الأخرى ولم يفتح فم النسر .

فقال شاهر : يبدو أن لها مفاتيح أخرى أيها السادة .

انتقل للنسر الثاني ولم يفتح فمه هو الآخر ، فأمرهم السيد منسي المحاولة مع باقي الطيور في الأعمدة الأخرى ، وبعد حين قالوا : لا يوجد مكان فيها لإدخال مفتاح

فقال منسي : أين المفتاح لهذه النسور يا ترى ؟!

ولما لم يتكلم أحد تابع قائلا: هذه المرحلة سجلت للسيدة سعاد مرة أخرى ؛ ولكن أين المفاتيح يا سيد أديب ؟ أيحتفظ بها السيد في القصر هذا ؟ أم تراها في خزانة خاصة في أحد البنوك ؟ أم في مكان آخر ؟

فقال محسن : عليك بالحديث مع داود قبل أن يغادر المدينة .. تحدث معه يا أديب قد يكون عنده علم بهذه المفاتيح .

فقال منسي : نحن نسينا داود في هذه المعمعة ، وعلمنا أنه سياتي مساء هذا اليوم بأم أولاده وأحد أبنائه .

طلب أديب داود في المكتب فلم يجده ، فقالوا : إنه ذهب في مهمة وسيعود منها للبيت ، تحدث أديب مع بيت داود ، فردت زوجته أم محمد فطلب منها أن يتحدث معه قبل مجيئه للقصر الصحراوي .

في العاشرة ليلا اتصل المحامي بأديب ، فحدثه أديب عن فشل المفاتيح عن فتح فم أفواه الطيور ، وبحثوا في كل مفاتيح القصر، ولم يجدوا المفتاح المناسب ، فقال داود : تحتاجون لمفتاح خاص لديّ مجموعة من ثلاثة مفاتيح تركها جدك لدى المكتب ، وقال لي عندما أعطاني

إياها : لا تعطيها لأديب إلا إذا طلبها بلسانه.. وها أنت تطلبها اليوم ، يبدو أنكم وصلتم لنهاية اللغز فاحتجتم إليها .

أظهر أديب فرحه وانفعاله ، ووضع يده على السماعة وقال لضيوفه : ابشروا الجد ترك لدى المكتب ثلاثة مفاتيح لا تسلم لي إلا إذا طلبتها بنفسي

صفق الجميع فرحا ، وعاد أديب يقول لداود : آ .. يا داود بشرت الشباب أين ذهبت ؟

ـ أدركت ذلك قلت إنكم وصلتم لنهاية اللغز غدا بمشيئة الله سبحانه سأكون بينكم وسأحضر معي كمية كبيرة من الحلويات لجميع الموجودين في القصر تهانينا للجميع .

ولما عاد لمجلسه قال بحياء : الحقيقة أشكركم فردا فردا أخا أخا ..لقد ترك الجد ـ رحمه الله ـ ثلاثة مفاتيح لدى داود لا تسلم لي إلا عند الوصول لنهاية اللعبة أو الكنز .. شكرا سيادة اللواء .. شكرا أخ حسن .. شكرا أخ شاهر .. الشكر للنساء جميعا .. أنا سعيد بالتعرف عليكم ، ولن أنسى معروفكم ووقوفكم معي في حل معميات هذا الكنز .. وأنا لم يخطر ببالي أمس طلب مفاتيح من داود ، ولم أكن أعلم أن الجد ترك لي مفاتيح عند السيد المحامي أصلا وأن تسلم حين أطلبها .

غمر الفرح أعضاء الفريق ، وأخذوا يهنئون بعضهم بعضا ، ويتذكرون المراحل ، وأقام لهم أديب حفلة صغيرة ، وكلهم شوق ولهفة لمجيء النهار التالي ليفتحوا كنز السيد بسيم والسؤال المهم " أين أخفى السيد الكنز؟ .. فبطن هذه الطيور هل هو المخزن للجواهر والوثائق ؟"

وعند ظهيرة اليوم التالي كان السيد داود وحرمه وابن له يقفون أمام القصر بسيارتهم الحديثة ، وكانت تقف خلفهم سيارة كبيرة مليئة بالحلويات التي تشتهر بها البلاد ، فأدخلها الخدم والحرس بإدارة مايا ، ووزعت على جميع موظفي القصر ، وأخذوا حصة فريق البحث إلى الطابق الثالث ، وتم الاحتفال بأكلها وشرب المثلجات والعصائر ، وبعدما كمل الاحتفال هبط الفريق رجالا ونساء إلى قاعة الطيور لينظروا الكنز الذي اشتاقوا لرؤيته ، فأخذ أديب

المفاتيح التي تسلمها من المحامي ، وصعد السلم حسب رغبة الجميع ؛ ليكون هو أول من ينظر ويلمس كنز جده ، فادخل مفتاحا في العين اليمنى أو أسفلها ففتح جزء من فم النسر، ثم نقل المفتاح للعين الأخرى ، فلم تفتح ، فوضع مفتاحا آخر ففتح النسر جوفه كاملا ، فذكر اسم الله بسم الله ، وأدخل يده في جوف النسر وتحسس المكان وأخرج جوهرة بحجم بيضة الحمامة ، وأعاد البحث فخرجت فارغة ، فنزل وهو يحمل جوهرة جميلة تلمع في العيون ، وسلمها للواء منسي الذي نظر إليها وأعطاها لغيره ، وكان أديب ينقل السلم للنسر الثاني وكان داود يقول مازحا : إنها جوهرة حقيقية ليست مزيفة !

استخدم أديب مفتاحي النسر الذين فتحا النسر الأول ، ففتحا جوف النسر ، فوجد فيه رسالة ملفوفة ومربوطة بخيط ذهبي وهي مرتبة كرسائل القدماء ، ووجد معها جوهرة أخرى ، ونزل ، فقال منسي : لا تفتح الرسالة أيها الصديق حتى نرى ما في جوف العقاب .

نقل السلم حيث جهة العقاب ، واستخدم المفتاح الأخير ؛ لأن العقاب له قفل واحد ، فوجد فيه جوهرة ثالثة لا غير . فقال منسي : فهذه الرسالة إذن خريطة الكنز .

فك أديب خيط الرسالة وفتحها وقال : اسمحوا لي بقراءتها بصوت مرتفع

قال منسي : بارك الله فيك

قرأ أديب : بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم يا ولدي

لقد وصلت للنهاية بفضل الله ، فأنت تستحق ما ادخرت لك من درر ومجوهرات ، ولقد تركت لك الكثير من المال مما يغنيك عنها .. فلقد راودتني فكرة بناء جزء من مدينة بجوار هذا القصر اسكنها للفقراء والضعفاء ؛ ولكن لي أعداء وخصوم أشداء فخشيت أن يتخذوهم طريقا لتصفيتي ، وهذا منعني من تنفيذ الفكرة في حياتي.

فلعلك بأموال هذا الكنز تستطيع إنشاءها عن روح جدك المفارق لهذا الدنيا .. وإن لم ترق لك هذه الفكرة فابن مستشفى عن روح الجد بسيم وبجواره مسجد .. وأما الوثائق فدعها للزمن

والتاريخ فأنت لست بحاجة لإعداء.. وأنا تركت رسالة يا ولدي لدى المحامي ، وقلت له بعد القسم أن يسلمها لك أو لورثتك بعد تملكك للكنز والهبة الربانية ..خذ الأموال من المخبأ ودع الوثائق ، ففيها خطر كبير عليك وعلى كل من يطلع عليها دعها للتاريخ والزمن .

ستجد الكنز في الطابق الأرضي تحت غابة الجوارح ، هناك خزان ماء كغرفة صغيرة ، ففي قاعه غطاء معدني لا يصدأ ولا يسرب الماء لأسفل ؛ فإذا فرغ الخزان من الماء سيظهر الغطاء وإذا رفع الغطاء ستجد بداخله سلما في جدران النفق كسلالم آبار الماء ، ومنه ستنزل إلى سرداب أقيم عند حفر الآبار ، ووضع الخزانات الكبيرة لتخزين المياه المستخرجة من الآبار الجوفية .. وسيقودك السرداب بين تلك الخزنات الكبيرة إلى غرفة محصنة بالرصاص والألمنيوم أنشئت عندما بدأت أحفر الآبار ومواضع خزانات الماء ، فهي غرفة كملجأ أخير في حالة اقتحام القصر من قبل عصابات كبيرة ، وفيها خزائن معدنية مصفحة فيها المجوهرات ومذكرات جدك بسيم ووثائق أخرى ، كنت في أول عهدي بالقصر أهبط إليها كل سنة مرة ، ولم يكن يستخدم الماء في ذلك الخزان كان فارغا من الماء ، وفيما بعد سمحت بملئه بالماء ، وكنت أجتهد عندما أدخله أن لا يراني أحد ، فأزعم أنني أريد أن أنام في غابة الطيور فأتسلل إليه واضع الجواهر التي تتيسر لي والوثائق الهامة للعمل ، وما أضفت من مذكرات .. وتوقفت عن ذلك النزول بعدما سمحت لهم بملئه بالماء عام ١٩٩٠ م .

هذه الرسالة كانت تغير وتبدل في آخر كل سنة ، وكذلك الرسالة التي ستجدها عند داود .. طريقة حل الكنز كملت في سنة ١٩٨٤ م بعد انتهاء بناء جميع القصر .. لكن هذه الرسالة كنت إذا قدرت لي الحياة أغيرها برسالة جديدة هي والرسالة التي عند داود ، وهو سيؤكد لك أنني كنت أطلبها في آخر شهر من السنة ، ثم أعيدها إليه بعد أيام حتى إذا مت تكون الرسالات جاهزة .. ستقول كيف كان يفعل جدي لتبديل الرسالة في جوف النسر ؟ والأمر يحتاج لسلم طويل وكبير الأمر سهل يا أديب ويا أبناء أديب .. في مكتبة الطابق الأول تحت احدى الطاولات الثقيلة المعدة للقراءة هناك بلاطة متحركة فإذا نزعتها ظهر لك ظهر النسر

وفي ظهره ثقب تستطيع إدخال يدك فيه وتدخل وتخرج ما تشاء .. استهوت جدك الأسرار والأنفاق التي يقرأ عنها في القصص والروايات والتاريخ .. فهكذا تخيلت هذا القصر ولكن الواقع يا ولدي ليس كالحقيقة .. ربما القدماء كانوا أقدر منا على صنع الأسرار والسراديب الغامضة .. وإذا أحببت أن تعرف المزيد عن جدك بسيم الجدية تصفح مذكراته وبعض يومياته .. شكرا لك ، قد تكون هذه الرسالة الأخيرة هذه السنة .. وقبل الوداع فاعلم أن مفاتيح الخزائن المعدنية في غرفة السرداب في نفس السرداب والتفاصيل في الرسالة التي بين يدي السيد المحامي داود .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



قال منسي بعد قراءة الرسالة ، وكان قد خيم الصمت المطبق عليهم : هنيئا لك الكنز يا أديب وها نحن قد وصلنا للنهاية أيها الأصدقاء !

كرر أديب لهم الشكر على الجهد المبذول لحل لغز السيد بسيم ، ثم قدم لهم الشكر المحامي ، واعتذر لهم عن الأوقات التي حرمهم منها مع زوجاتهم وأحفادهم ، ثم قال : هل نصل للغرفة السرية يا أديب أم نتوقف؟ والرسالة التي أشار إليها السيد بسيم موجودة لدينا ، وفعلا كان في آخر كل سنة يطلبها لمراجعتها ، ثم يعيدها بمغلف جديد حتى توفاه الله ﷻ ، فهي محفوظة في خزائن المكتب السرية .. والوثائق يطلب منك عدم نشرها حرصا على حياتك

قال منسي مؤكدا هذا المقصد : نعم ، الرجل خائف عليك ، وتذكر كيف صنعوا وصبروا ليصلوا إليه ؟ قد زوروا وانتحلوا وجندوا وصبروا حتى نالوا منه ـ رحمه الله ـ أفضل أن يبقى الكنز حيث هو لحين من الزمن .. فأنت حسب علمي لست بحاجة لأموال ، وترك لك الجد عقارات تستطيع أن تنفق منها على جميع الأملاك من ضريبة وصيانة وخدم القصر وغير ذلك .

فبعد صمت قال أديب : إنني بعد هذا الجهد الكبير ليحزنني أن أتخلص من هذا القصر ؛ فربما

تشاورت مع أخي داود أبي محمد في الابتداء والشروع بتأسيس مدينة في هذا المكان ، وتقديم بعض بيوتها أو كلها للفقراء عن روح جدي كما كان يحلم .. وأعتقد لو تيسر تأسيس لمدينة هنا سيكون في قلبها مستشفى ومسجد ، وإن عجزت عن فعل ذلك سيكون مبنى المستشفى متبرعا فيه في المدينة وكذلك الجامع.. فصاحب هذه الثروة العظيمة يستحق من حفيده كل شيء.

شكر الجميع همة الشاب وبره وحسن وفائه ، وقدم أديب الجواهر الثلاث لمنسي وشاهر وحسن قائلا : هذه لكم جزاء إشغالكم في قضيتي هذه .. وسأقدم للأخ بشر والسيد محسن مثلها وكذلك صديقنا داود .. ليس ذلك أجرا ؛ بل للذكرى والصداقة التي جمعتنا خلال هاتين السنتين .

فرفض الرجال الهدية ، فأقسم أديب يمينا على عدم رد هدية جده قائلا : لولا جهودكم الجبارة لظلت كل الأموال تحت الأرض أيها السادة .. من لم يشكر الناس لا يشكر مولاه ﷻ .

فعاد الرجال لشكره والثناء على كرمه من جديد ، وقال منسي : غمرتنا بكرمك يا ابن الأكارم الطعام والشراب والفاكهة والمنام والتسلية .. ونحن لما طلب منا الأستاذ فهم أحاجي الجد لم ننتظر أجرا يا أخ أديب ؛ إنما كانت المحبة والأخوة

قال أديب بحياء ظاهر : أعرف ؛ ولكن هذه للذكرى والصداقة التي نشبت بيننا .

فقال منسي: إننا سعداء بالتعرف عليك وعلى حرمك المصون التي سهلت لنا متابعة المشوار ، وأحسنت في ختم المشوار ، وأكرمنا بالالتقاء بالصحفي الشهير محمد محسن وابن شقيقته الدكتور بشر عيسى ، وسنبقى أصدقاء ورفاقا حتى يفرق بيننا ما يفرق بين الناس الموت .

وقدم الشكر السيد شاهر لأديب وزوجه ، وللمحامي الذي اختاره للمساعدة في حل أحاجي هذه المهمة الممتعة للذهن والعقل ، ثم قدم حسن أيضا شكره وامتنانه للجميع للمهندس وقرينته سعاد ، وصعدوا للغداء أو العشاء ، ثم جلسوا في صالة الطابق الثالث يتذكرون ما صنعوا ، ويشربون الشاي والقهوة والكولا ويأكلون المكسرات والفواكه حتى قالت إحدى

النساء : لا أدري كيف نعود لبلبل ولم ندخل غرفة الكنز ؟! ألا تخشوا من افتضاح أمرها ؟ أهؤلاء الخدم ألا يفشون سرها ؟ ويطمعون في الاستيلاء عليها .

تطلع بعضهم ببعض ، وقال منسي : أيفعلونها ؟ ماذا تقول يا داود ؟

ـ لست أدري يا سيدي .. أتحبون أن نخرج الكنز ؟ والوثائق ماذا سنفعل بها ؟! فهي هنا في تصوري أكثر أمنا من أي مكان آخر .

فقال المنسي بحيرة : المكان أظنه عرف .

قال داود : إفراغ الخزان يحتاج لوقت ، ونحن عن قريب سنبدأ بصرف العاملين في القصر ، ولن يبقى إلا القليل كالحرس وبعض الطهاة والسكرتير وزوجاتهم ، وعندما ينهي البوليس القضية يقلص عدد الحرس إلى واحد وزوجته ، لم نعد نحتاج لحماية أحد ، وقريبا ستقدم الفتاة لمحكمة الجنايات العظمى ، وهم كما أخبرني حاتم يبحثون عن أصحاب الفتاة الذين اختفوا ليلة بدء التحقيق الثاني ، وأكد لي حاتم أنهم لم يغادروا الحدود بشكل طبيعي إلا إذا تنكروا وخرجوا بجوازات أخرى ، ويمكننا وضع حرس جديد محلي ؛ فأنا أقترح على الأخ أديب الانتظار في إخراج الكنز ماذا يقول أديب ؟

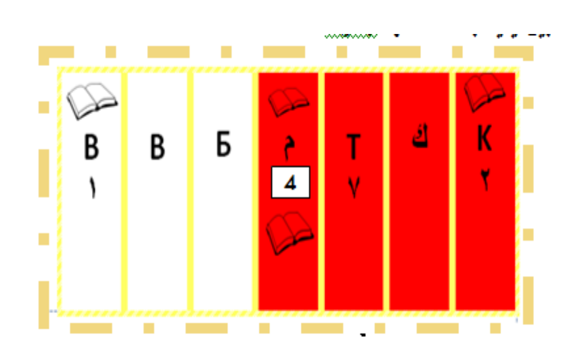
قال أديب : حقيقة أنا من رأيك، وفكرة الاستعانة بحرس محلي جيدة أو حتى بواب بعائلته فقط ؛ لكن من يقبل أن يعيش في هذه الصحراء من أهل البلاد ؟

ـ إذا توفر لهم الإمداد بالطعام سنجد من يقبل العمل هنا .. وهذا عمل مؤقت حتى نصرف كل العمالة ونعطيهم مكافآتهم المالية المستحقة لهم .

فتدخل منسي فقال :وأنا بعد تفكير من رأيك يا دكتور داود .. فمكان الكنز الآن معروف وهو مكان آمن .. وعملية استخراجه هذه الأيام غير مهمة في نظري .. معذرة للجميع .. ونحن علينا أن نكتم الأمر ونحصره بيننا خاصة النساء .. أرجوكنّ أن تكتمن الأمر ولا تثرثرن عن مكانه حتى نرتب لعملية إخراجه .. والخطر يكمن على حياة المهندس من شيوع خبر الوثائق والمذكرات فتسعى إليها الدول والعصابات وأجهزة المخابرات العالمية ،

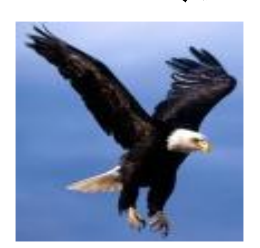
فالأفضل أن يكتم أمرها إلى حين من الدهر .. وعلى الأخ أديب الاستمرار في اتخاذ جانب الحذر واستخدام السيارة المصفحة في تحركاته حتى يختفي ذكر الجد بعد عدد من السنين .. والكنز معروف ما هو ؟ فقد قال جدك في رسائله إنه عبارة عن مجوهرات تحصل عليها من خلال رحلاته في أنحاء دول العالم شرقا وغربا شمالا وجنوبا .. عبارة عن ماس وعقيق وياقوت وعقود لؤلؤ وغير ذلك مما يسمى بالأحجار الكريمة .. ويبدو أن لهذه الغرفة بابا سريا ربما يتصل بالصحراء ، صمم كل ذلك أثناء مرحلة حفر الآبار ؛ ربما أوهم العاملون في الموقع بأنه نفق لمرور الماء كمجرى نهر صناعي صغير .. فمكان الكنز أمان أكثر أيها الأصدقاء .. ومعذرة للنساء اللواتي ربما بهذا الكلام حرمتهن من متعة النظر لتلك الجواهر التي لن تختلف عن الهدايا التي تكرم بها علينا المهندس أديب .

شكر المحامي السيد منسي ، وأكد أن هذا لهو الخيار الأفضل حتى يفكر المهندس ماذا يفعل بهذه الثروة التي ورثها عن جده حلالا زلالا ؟



أعلم مايا سكان القصر أنهم سيسرحون من العمل والعودة لبلادهم وإنهاء خدماتهم ، وسيقدم لهم أجرهم كاملا وزيادة رواتب ثلاثة أشهر ، وسيمنحون مكافآتهم ، وثمن رحلة الطائرة لبلادهم .

وقال : صاحب القصر ـ كما تعلمون ـ بناه ؛ ليكون حصنا له ؛ ولكن يد الغدر والخيانة نالت منه فيه ، والوارث لهذه الأملاك ليس بحاجة لنا ، وأنه قد يبيعه أو يمنحه للدولة ؛ لتسفيد منه في قلب هذه الصحراء القاحلة . وأعلمهم أن إنهاء خدماتهم سيكون رويدا رويدا ، وأعلمهم أن التحقيق الجنائي على وشك الانتهاء منه بعد اعتراف القاتلة بقتل السيد ، وقتل من زعمت أنهم والداها ، واستقبل العاملون الأخبار بوجوم وبعضهم بفرح يسير؛ لأن ترك الإنسان لما اعتاده ليس بالأمر الهين والطيب .

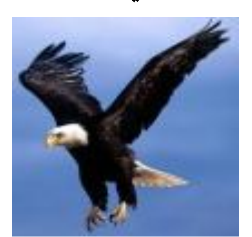


ونشط داود بعد العودة لبلبل بالاتصال بشركاء بسيم ومحاميه في خارج البلاد لتصفية وبيع حصص السيد ، وخلال شهور كانت الأمور تسير كما يحب داود والمهندس ، والنتائج النهائية ستتحقق بعد سنة أو أكثر ، هناك حسابات معقدة لبعض الشركات وفروعها في العالم .

أنجبت سعاد مولودها الأول ، وغمر الفرح القصر والأهل ، وسماه أديب على اسم جده بسيم امتنانا لما قدمه له جده من مال وثروة ، جعلته في مصاف السادة الكبار ورجال المال على مستوى العالم ، وكانت تنازعه نفسه بترك العمل موظفا مهندسا في شركة .

ووفد الأهل والأقارب والأصدقاء يباركون لها الطفل ، ثم صنع لهم في يوم محدد وليمة كبيرة التقى فيها جميع أعضاء فريق البحث عن الكنز والتحقيق في مقتل السيد كالعقيد حاتم ومساعده المقدم مالح ، والتقت نساؤهم بسعاد ، وأظهروا عواطفهم الرقيقة والنبيلة نحوهم ،

وقد فرحوا لميلاد السيد بسيم الصغير ، وتأكد لهم أكثر وفاء المهندس لجده ، وأنه محب له رغم المرار الذي تركه مقتل أسرته والديه وإخوانه في نفسه بسبب مخاطرات السيد الكبير .



اطلع المحامي داود من قبل العقيد حاتم أن الشرطة قد ألقت القبض على الشخص العربي الذي كان مرافقا لأصحاب الفتاة البرازيلية القاتلة ، وهو مروج للمخدرات بين فتيان وفتيات المعاهد والكليات ، وهو من رواد مراكز العلاج ، وتعرف على الفتاة من خلال مركز العلاج من الإدمان أو هي تعرفت عليه ، وظلا على تواصل بعد خروجها ، وتبين للشرطة أنه لا يعرف عنها وعنهم سوى القليل من المعلومات بسبب اللغة ، وهو الذي عرفها على عدد من رفاقه في التعاطي والإدمان ، واستطاعت السيطرة عليهم وسلمتهم لزملائها البرازيليين ، فكانوا يقومون ببيع ونقل المخدرات بين المدن والحدود ، وبعضهم سقط في أيدي شرطة المكافحة ، وهم يقبعون في السجن ، وبعضهم أخذ فترة علاج كما هو متبع باعتبار متعاطي المخدر مريض بحاجة لعلاج أكثر من الحبس ، وكان هذا الرجل العربي يحلم بمغادرة البلد والعمل مع العصابات الدولية عن طريق الفتاة ورفاقها ، وهو لا يعلم الغاية الحقيقية لوجودهم في البلاد سوى تجارة المخدرات ، وسمع عن القتل والجريمة ؛ لكنه ظنها في نطاق تجارة المخدرات ، وأخبر الرجل أنه افترق عن زميليه بعدما اتصلت الفتاة مخبرة عن تجدد التحقيق في جريمة مقتل السيد بسيم ، واعتقدوا أن لدى البوليس شيئا جديدا للقيام بالتحقيق من جديد . فقال : لما تلقينا ذلك التلفون المرعب انزعج الشابان واجروا اتصالا دوليا من خارج الشقة ، ثم عاودوا الاتصال بالفتاة ، ثم في الصباح تم تسكير حساب الشقة ، وزعموا أنهم وجدوا سكنا جديدا ، وأخلت الشرطة سبيله .

قال حاتم للمحامي : وهو ما زال تحت المتابعة الخفية أملا بالوصول للشابين شركاء الفتاة في

الجريمة ، وأما الرأس الكبير مانيو فعاجزة الشرطة عن المطالبة به ؛ لأسباب كثيرة في نظر الشرطة ، فالرجل الزعيم مانيو هو معروف للبوليس الدولي وعلى قائمته أصلا ؛ ولكنهم متحصنون في أماكن سرية من الصعب الوصول إليها .. فهؤلاء المجرمون يملكون سفنا ويخوتا وغواصات كما يشاع غير الأوكار في مدن وقرى أمريكا الجنوبية .

وتابع حاتم : حتى أن الشاب لا يعرف أسماءهم الحقيقية.. فهؤلاء أسماؤهم مركبة وأجنبية ليس من السهل ترجمتها وفهمها على شاب ذي ثقافة محدودة .. المهم أن العملية كلها انتقام في انتقام من السيد بسيم الذي ساعد أو شارك في قتل أبيه المجرم الكبير في إحدى عمليات بيع السلاح أو تهريبه .. فهؤلاء الانتقام عندهم دين ، وله أهمية كما فهمنا منها للسيطرة على عدد من العصابات والمناطق كما تفعل الوحوش البرية الضارية .

قال داود : الشرطة لا تريد تقديم الفتاة للمحكمة حتى يتم القبض على صاحبيها الأجنبيين بالذات ، ونحن بدأنا بإخلاء القصر من هؤلاء الأجانب ، فقد أصبحوا عبئا على موازنة القصر .. وطلب أديب التخلص منهم ، وإكرامهم غاية الكرم لعملهم الطويل مع جده .. واليوم لم تعد لهم فائدة بعد وصول التحقيق إلى نهايته تقريبا .

قال العقيد حاتم : لا بأس يا سيدي ، فليست الشرطة بحاجة لشهاداتهم ، فلو أبقيتم على السكرتير مايا .

ـ سيبقى هو وزوجته وحارس واحد وطاهي واثنان من الخدم وعمال البساتين ، وستقام حملة صيانة للطابق الأول خاصة وباقي القصر عموما .. والحارس الإفريقي قد أنهيت خدماته ، وإذا احتجناه عند المحكمة وافق على المجيء وتقديم شهادته في أي وقت إذا كان على قيد الحياة ، وكذلك تعهد كل من صرف بالعودة للشهادة إذا احتيج إليهم .. حاول قاضي التحقيق تأخير سفرهم فذكرت له العبء المالي الذي ترتب علينا لبقائهم منذ مقتل السيد بسيم .. ندفع لهم مرتبات وأجورا دون فائدة تعود علينا بعد مقتل واغتيال السيد .

فقال حاتم : سأحاول الاتصال بهذا العربي ؛ لعلي استطيع الحصول على معلومات منه عن

الرجلين الهاربين لنعجل في تقديم القضية للمحكمة للنظر فيها .

ـ هذه خدمة كبيرة تقدمها لنا عقيد حاتم ، ونشكر جهودك في تقدمنا في معرفة اليد الأثيمة التي نالت من السيد .

ـ أرجو أن لا يكونا قد هربا .

ـ لو ثبت خروجهما من البلد لعجل هذا في المحاكمة ، فيحاكمان غيابيا وينتهي الموضوع ، فيطلبان من البوليس الدولي .

ـ فعلا يا حضرة المحامي .. على كل حال سأبذل جهدي وخبرتي في الوصول إلى نتيجة ـ إن شاء الله ـ سيد داود .

ـ لك كل الحب والتحية يا سيدي العقيد .. والأخ أديب لا ينسى جهودك معنا

ـ بلغه سلامي وشوقي وتحياتي .

ـ حضرت وليمة ولادة ابنه بسيم .

ـ نعم ، ولم يتسنَ الجلوس معه كثيرا كنت على موعد .

من المعلوم أن الشاب الملقب بسحام ليس له يد في مقتل السيد بسيم ، ولم يعرف بالحادث إلا عندما حدثت الجريمة ، وبالتأكيد أنه لم يكن يعلم بارتكاب الفتاة الوديعة التي تعرف عليها في مركز العلاج من الإدمان أنها هي تلك المجرمة ؛ ربما عرف دورها الخطير ليلة اتصلت برفاقها ، وأسرعوا بالهرب والاختفاء .

هو كغيره كان يظن أن الفتاة تعمل في القصر الصحراوي مع والديها ، وأنها جاءت من بلادها للعمل والعلاج شفقة وعطفا من السيد بسيم ، ثم لحق بها زوجها وأصحابها ، فقد كانت تخرج معهم في سهرات خاصة ؛ ولكن هل كانوا يجرؤن على معاشرتها وهي عشيقة وزوجة سيدهم ؟ لم يكن عنده جواب .

خلال فترة العلاج التقت بالشاب سحام وغيره ممن جاءوا راغبين بالعلاج من سموم المخدرات ، واستطاعت تجنيده للعمل بتجارة المخدرات ، خاصة صغار التجار والمروجين بين الطلاب في الجامعات وحتى المدارس الثانوية ، وكان يراوده الحلم بالسفر للبرازيل والعمل في تجارة المخدرات مع العصابات الكبيرة وعلى مستوى العالم ، ولما غادرت مركز العلاج أخذت تتصل به ويتواعدان على اللقاء ، فأصبح صديقا لها في البلد ، وجاء مدينة جاد عددا من المرات ليلتقي بها ، وعرفها على بعض الزملاء عندما تنزل بلبلا ، والفتاة متعلمة كما نعرف ؛ورأت العمل في المخدرات أفضل من العمل بوظيفة حكومية أو شركة خاصة ، وهي جاءت بلبل لعمل خاص كلفت به ، جاءت على أنها ابنة الكوا توماس المتورطة في تعاطي المخدرات والتي هي بحاجة لعلاج وعطف وشفقة من الآخرين ، ورغم تعاطيها للمخدرات فهي لم تصل لمرحلة الإدمان ؛ إنما كانت تتظاهر بذلك لغاية في نفسها ، وإنما هي تتعاطها للمرح والكيف ؛ولكنها أحبت تجارتها والعمل مع العصابات ، فأحبت المال والثروة عن طريق التجارة بها ، فكانت تعمل على زرع فكرة أنها مدمنة ومتورطة في التعاطي بين أهل القصر وبين أصحابها العرب ، وتشاركهم حفلاتهم الماجنة بين الحين والآخر ، وكان مايا لا

يرى أنها تشكل خطرا في القصر لزعمها أنها ابنة الكوا وزوجته ، وهما لم يشككا في ذلك ، والأوراق تؤكد ذلك ، وجواز سفرها عليه اسم السيد الكوا واسم زوجته ، والسلاح غير مسموح بدخوله دون علم ومعرفة له وللحرس ، وكان من الصعب الوصول إلى غرفة السلاح ، ولا يصلون إليها إلا عن طريق غرفة السكرتير ، و الحقيقة أنها نجحت بخداع السكرتير والسيد بسيم وغيرهم ، وكانت تشارك الكوا وزوجته الشقة ؛ كأنها ابنة جاءت للعمل والعلاج من الإدمان فعلا ؛ ولكنها فشلت في العلاج ، وظلت تتعاطى وتحاول كل مرة إدخال مخدرات للقصر ولو بشيء بسيط ؛ فصار الاعتقاد السائد أنها مريضة ، وما زالت تتعاطى ، فيشفق عليها الحرس وسكان القصر .

وعرفت أصحابها بسحام واستخدموه في نقل المخدرات بين المدن ونقاط الحدود لتهريبها للدول المجاورة أو الاستلام للبضاعة ، وظلت على ذلك الأمر حتى اغتالت الرجل كما ذكرت لنا في اعترافها بعد قتلها للكوا وزوجته ، وكان في حساب مانيو أن القاتل مجهول وسيغلق الملف ، وبعد حين سيغلق القصر ، ولن يكتشفها أحد ، ولكن ظهور حكاية الكنز والبحث عنه أخرت إغلاق القصر ، فطلب منها زوجها الصبر والبقاء في القصر حتى لا يصبحا طريدة العدالة الدولية ، ثم تجدد التحقيق في الجريمة من قبل محقق خاص ، ومعنى ذلك أن التحقيق سيعاد فتحه حتى يعرف الجاني ، وهي اتصلت بهم لتأمين جواز سفر آخر لها للهرب حسب خطة الطوارئ ، فطلب منها الاستمرار في القصر مع الاستمرار في أخذ المخدرات ، ثم اختفى الرجلان ، وانقطع عنها الاتصال .

التقى العقيد حاتم بالسيد سحام في مقهى عمومي اختاره الأخير بنفسه ، فقال سحام : إنني أعرفك قبل أن تتقاعد ، أنت تعمل مع جهاز الشرطة والسرقة والقتل ، أما أنا فكانت علاقتي مع شرطة المخدرات .. وأنا لا دخل لي في جريمة قتل السيد بسيم ، ولا جريمة قتل الكوا وقرينته .. بل أنا لم أعرف بدورها في الجريمة الأولى إلا عندما تجدد التحقيق ، وقتلها للرجل وزوجته ،فاستوعبت دورها الكبير في الجريمة الأولى .. علاقتي معهم علاقة مخدرات .

قال حاتم مشجعا : هذا معروف لي وللشرطة ، ومن أجل ذلك تخلت عنك شرطة الجرائم ، ولم تحبس وتقدم للقضاة .. أنا رغبت بلقائك صراحة أقولها لتساعدنا في إلقاء القبض على الرجلين أو تساعدنا في إثبات خروجهما من البلد .

ـ عندما اتصلت الفتاة بالشقة تلك الليلة رد عليها من اسمه الكسندر ، وكان حديثهما بالبرتغالية كما أفهم من حديثهما لبعض ، وهي بالطبع لم تتحدث معه عن الجريمة صراحة ، فهي تعلم أن السكرتير يسجل الاتصالات .. فقال الكسندر كما فهمت أن التحقيق عاد من جديد .. فخرج من الشقة بعد أن رطن لصاحبه بكلمات ، وخرج وعاد بعد ساعة أو أكثر وفهمت أنه اتصل بالبرازيل ، وبعد حين اتصل بالقصر بالفتاة ، واعلم أنهم يتكلمون بالرموز من خلال كلامهم ، وأنا كنت ليلتها معهم في الشقة ، وكان معنا بعض بنات الهوى ، ولما جاء الاتصال طلب مني صرف الفتيات ، فتسللن خارجات ، وقد أخذن أجورهن وانصرفن ، واعلم أن دخول الفتيات ممنوع ؛ لكن بشيء من التنكر ؛ ودفع بعض المال للحرس يغضون الطرف ، ثم خرج كما قلت وأجرى محادثة من خارج الشقة ، ولما عاد هاتف القصر في آخر الليل ، وفي الصباح دفع للوكيل باقي حسابه وغادرنا الشقة. وقال لي فريدي : الشرطة يا سحام في قصر الجدية ويحققون في الجريمة من جديد ووضع صاحبتنا صعب هذه المرة .. وكان الكسندر غاضبا عليها ؛لأنها تكلمت معه من القصر ، فالأصل أن تتحدث معنا من بريد جاد ،وكان الكسندر يتحدث معها بلغة مفهومة بينهم ، مشينا مائة متر عن المجمع السكني للشقق المفروشة ، وركبنا سيارة أجرة إلى وسط المدينة ، ونزلنا في فندق صغير وشعبي ، لنا معرفة بمديره ، يأمُه سياح أجانب الذين يحبون قضاء أيامهم في الأماكن الشعبية وتوفير بعض المال .. وتركنا الكسندر وطلب مني البقاء مع فريدي ، وسافر إلى جاد ، والتقى بالفتاة كما علمت بذلك بعد رجوعه ، وفهمت من كلامهم بأن الأمر جد خطير .

ـ أين التقى بها ؟

ـ في مطعم سياحي معروف لنا ، وكان ذلك أثناء أخذها للحقنة ، فهو كما فهمت رتب لها هذا

اللقاء للخروج وأخذ المخدرات والاستمرار في لعبة التعاطي ومحاولة إدخال كمية منها للقصر .

ـ لم يقل صاحب المطعم ذلك .

ـ نحن نزود صاحب ذاك المطعم بالمخدرات في بعض الأحيان .. فلما رجع من جاد طلب مني الاختفاء سبعة أيام ، ثم العودة إلى الفندق فندق الوزة البيضاء .. ولما عدت حسب الأوامر ، لم أجدهما .. أخبرني صاحب الفندق أنهما غادرا بعدي بيومين ، وعدت ثانية وثالثة ، ثم استوعبت أنهما تخلصا مني ، وهم خائفون من صحبتي لهم في هذه الفترة الحرجة ، ثم علمت من الصحف بالقبض على الفتاة بجريمة قتل والديها في قصر الجدية .. لم أكن أعلم أنهما ليسا بوالدين لها ..وأعتقد يا سيدي العقيد أنها فعلت ذلك من نفسها ، ضاقت ذرعا من وضعها بعد تخلي الجميع عنها ، فتصرفت تصرفا فرديا ، ومن الصحف علمت أنهم لم يكونوا أهلها .. هذه قصتي معهم ..وأنا قلت للشرطة عندما مسكوا بي وأنا في زيارة لبيت أمي المطلقة ، وتعيش وحدها بجوار أحد إخوتي المتزوجين ، قلت لهم ما تفوهت به أمامك الآن .. فليس لي دور في جرائم القتل سواء الأولى أم الثانية .

ـ ألا يمكن الوصول إليهم ؟ ألا يمكنك مساعدتنا ؟

صمت سحام لثوان ثم قال : حقيقة يا سيدي أن ذلك صعب ، فالكسندر رجل ماكر وحذر حتى من رفيقه فريدي .. فهو ابن عصابة قوية .

ـ كيف كنت تفهم عليهم ؟

ـ من المعاشرة وهم يحسنون العربية إلى حد ما ، وإن لم يتكلموا بها ، فهم يفهمون عني ويكلمونني بها ؛ لأفهم المهمات التي كنت أكلف بها .. طبعا ليس كما نتحدث نحن بها ..وهم يخلطونها بلغتهم .. وكنا نتوقف أحيانا لفهم المطلوب بالضبط ويوضحونه لي بصبر .. فكان الكسندر يتحرك باسمه هذا ، وكذلك فريدي ، أما أسماؤهم في الجوازات فلا أعرفها ، ولم أرى جوازاتهم نهائيا .. وهم يتنكرون بشخصيات أخرى عند الحاجة .. اعلم يا سيدي أنني

كنت بريدا لهم .. أنقل المال أنقل مكان تسليم البضاعة إحضار النساء المومسات لهم .. وكله بثمنه يا سيدي العقيد ..وهذه حياتنا القذرة ..وكنت أحلم بالرحيل لبلادهم .

ـ هل رأيت زوجها مانيو وقابلته ؟

ـ حصل أن قابلته ، وكلفني بمهمات خفيفة ، وهو زوجها بالتأكيد ، وكان يأتي للقاء بها ، واليوم أفهم أنه كان يأتي لمتابعة قضيته وانتقامه .. وها أنا أرى اليوم أنهم تخلوا عنها وتركوها لنفسها حتى لم يكلفوا محاميا بالدفاع عنها .. زرتها في السجن ، وقالت لي أرغب بالموت يا سحام ، الكل تخلى عني ، وتركوني تحت رحمة الكوا وزوجته .. وهي زوجته ؛ لأنها لم تكن تسمح لأحد أن يعاشرها .. كانت تخرج مع الكسندر في مشاوير خاصة ، ولا أدري ما يكون بينهما ، فقد شاركتها في جلسات تحشيش ورقص ، ولم تمكني من مضاجعتها ، فأدركت أن مانيو شيء مهم في العصابة .

ـ اعترفت بأن مانيو سيدها وعشيقها ، وأنه وعدها بالزواج الشرعي إذا حققت له انتقامه .. ويسرني خدمتك يا سيد سحام ، وأشكر شجاعتك وصراحتك .. وإذا احتجت لخدمة مقدورة فأنا في خدمتك .. وإذا وجدت جديدا أو جد شيء مهم فاتصل برقم الشرطة أو النجدة .. ولن ينسى لك البوليس أي خدمة تقدمها لهم وأي تعاون معهم .. وإذا تحتاج جديا لإدخال لمركز العلاج ؛ فأنا مستعد أن أقدم لك هذه الخدمة وتوصية لهم .

تنهد سحام بعمق: وقال : إنني أفكر بذلك جادا

ـ أنصحك بذلك ، وليس خطأ أن تصحح حياتك كأغلب البشر ، وتخلص من هذه السموم التي أنهكت بدنك .



ذكر حاتم للضابط المحقق في جريمة القصر عن أسماء الرجلين الهاربين ، وأنهما يتقنان التنكر

وربما يحيون بجوازات سفر غير المعروفة للسلطات والمطار والموانئ

وقال حاتم : أنا أرجح أنهم هربوا بعد مفارقة سحام لهم .. وأقدمت الفتاة على القتل بعد يأسها منهم ، ولم يعودوا يتحدثون معها ويقابلونها سرا وعلنا ، فأدركت أنها أمست ورقة محروقة ، فوجدت في الجريمة تنفيسا لغضبها وتوريطا لهم لتهتم الشرطة بمطاردتهم .

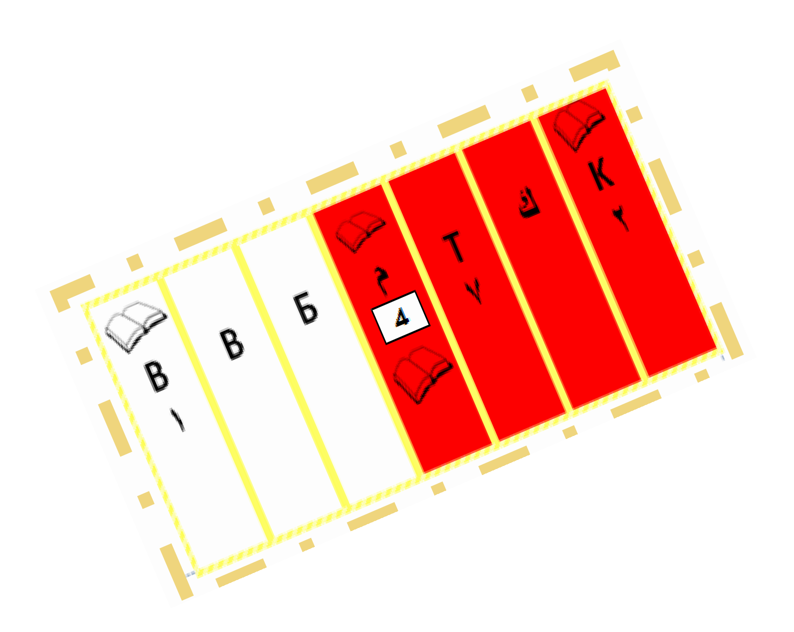
ـ لقد حاولت الانتحار أكثر من مرة في السجن ، وأتصور أنها ستفعل ذلك عندما تتهيأ الفرصة لها .. فهي أجرت كذا اتصال من السجن في البرازيل ؛ ولكن بلا فائدة ، لا يرد عليها أحد .. وتحدثت مرة مع أمها الحقيقية تطلب منها العفو عنها .. يبدو أنها أسأت لها في يوم من الأيام .

ـ عليها أن تتحمل ما جنت يدها .. وما أهلكت من الشباب ببيع المخدرات والسموم .. فهل يستحق هؤلاء الناس العطف والشفقة ؟!

ـ الجريمة والعقاب .

٩/ ١٠/ ٢٠١١

جمال شاهين



B
١
B
Б
م
4
T
٧
ك
K
٢

كانت حياته في خطر كبير لكثرة الخصوم

فشيد قصرا في قلب الصحراء

ووفر فيه كل وسائل الحماية المعروفة

وأخفى فيه كنزا ومذكراته

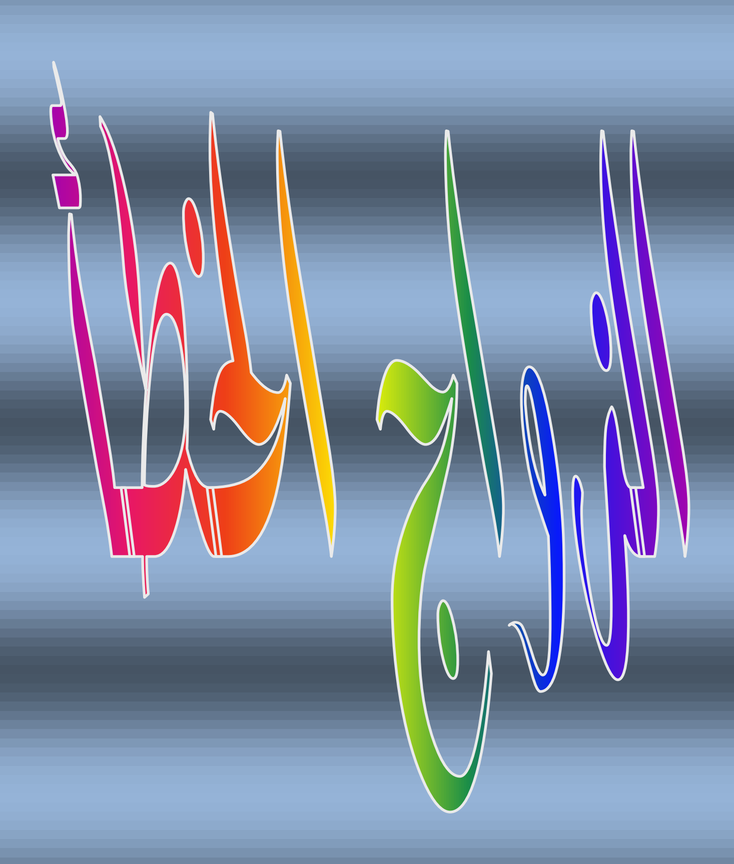
وطلب من ورثته ألا يتخلص منه إلا بعد حوزته للكنز والمذكرات

وقتل في النهاية داخل القصر

فكان هناك لغز الكنز ولغز القتل



بقلم جمال شاهين



المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم






١٢


التحقيق الجنائي والجريمة

أصر بقوة على الزواج بعد ترمله

عارض الابناء بقوة

كانت الزوجة الجديدة سيئة الخلق

فكان الطلاق وكان القتل

واسفر التحري عن نهاية عجيبة ومؤامرة لئيمة

راح ضحيتها قاتل القطط بدون سبب


الزواج الخطأ



الأرمل

الإنسان خلق محبا للحياة ، وكلما كبر سنه زاد تعلقه بها ، ومتمنيا لو يعمر عمر النبي نوح عليه الصلاة السلام ، وكلما كبر ضعف ، ووهن بدنه وعقله ، وكلما وهن احتاج لدعم ومساندة ، وأكبر الدعم يقدم له من الزوجة حتى لو كانت ضعيفة عليلة .

فلما بلغ السيد نوفل بكر السبعين ترمل ، أصبح بلا زوجة ، فازداد غمه وحزنه من موتها ، ومن وحدته .. أمسى وحيد قصره ، وحيد حجرة نومه .. هو تاجر كبير ، ومستورد أخشاب معروف ، ومن عشرات السنين .. وكان يلقب بملك الخشب في البلاد كلها .. فيملك المال والثروة ، ووفر لأبنائه الستة المال والتعليم والسكن والرفاهية والحياة السعيدة .

ابنته الكبرى اسمها عالية أم لعدة أطفال ، وتسكن في حي قريب من سكن والدها ، وزوجها قريب لها ، وتخرجت من الجامعة ، وعملت موظفة في الدولة حتى تقاعدت من سنوات خلت وابنته التالية اسمها فاطمة ، وتعلمت كأختها ، واليوم هي مثل شقيقتها متقاعدة من العمل الصحي ، حيث عملت في أكبر مستشفى في المدينة ، وتسكن المدينة مع زوجها الطبيب الذي ما زال يمارس العمل ، لم يتقاعد بعد .

والابن الذكر الكبير اسمه مفتاح ابن خمس وأربعين سنة عند وفاة أمه سميحة خضر ، وبيته عمارة بجوار قصر والده ، يسكن في شقة منها قام على إنشائها بعد أن منحه والده تلك القطعة من الأرض ..وبنى ابنه عمارة ضخمة من سبعة طوابق ، اتخذ طابقا منها لسكنه ، والشقق الأخرى مؤجرة ، وقد درس الرجل في كلية التجارة ، وتخرج محاسبا ، وعمل مع والده في تجارة الأخشاب ، ثم استقل عن الوالد ، ويملك عدة شركات هو وأولاده وبناته .

والوالد له فيلا وقصر من طابقين وسط حديقة من الأشجار أنشاها عندما استقر في حي الأنباء في ضواحي المدينة العاصمة للبلاد .

وابنه الرابع يحمل اسم عادل نوفل بكر ، تخرج من الجامعة مطلع شبابه كمحاسب كشقيقه ، وعمل في شركات مطلع تخرجه ، ثم سافر للعمل في أمريكا الجنوبية ، وتعرض لحادث إطلاق

نار ، فعاد للبلد ، وأنشأ شركة خاصة به ، ثم فلست ، وصفيت ، وتزوج الثانية عند الأربعين ، وعاشت معه الزوجة حتى فلست الشركة ، وطلبت الطلاق ، وانسحبت من الشركة حيث كانت شريكة ، واستثمر الرجل في سيارات الأجرة ، ابتاع مكتب سيارات أجرة ، وله بيت على قطعة أرض، وهبها له والده .. بيت من طابق واحد ، وهو متعلق بالحشيشة والشراب المسكر ، ولا تخلو حياته من بنات الهوى .

والابن الخامس المهندس محمود ، وهو يصغر عادل بسنة واحدة فقط ، وله عدة مصانع في البلاد ، ويعيش بعيدا عن والده كشقيقه عادل .

والبنت الأخيرة والسادسة فدوى نوفل ، تعمل في قطاع الطيران خريجة إدارة أعمال ، وتعيش مع زوجها بمدينة أخرى ، وعمرها عند موت أمها حوالي خمس وثلاثين سنة .

ماتت سميحة خضر ، وبقي نوفل وحيدا أرملا عجوزا ، وقد ترك مباشرة العمل الذي اعتاد عليه منذ سنوات ، فله أكثر من عشر سنوات متقاعدا ، يتابع العمل عن بعد من مكتبه داخل قصره الجديد الذي انتقل إليه قبل التقاعد بشهور ..للبيت عدة خدم .. بعضهم دوامه يومي ، وبعضهم ساعات ، لديه خادم فليبيني من سنوات ، وخادمة سريلانكية هندية ، وهناك بستاني ومساعده يعملان في النهار حتى العصر، ولا ينامان في القصر ..وكانت هناك امرأة عربية تتردد على القصر لمساعدة زوجته ، ثم تنصرف قبل الظهر ، وبعد موتها ما زالت تتردد على القصر بضع ساعات تساعد في تنظيف المطبخ ، والغرف وتنصرف .. والأهم أن لدى السيد نوفل طاهيا في الأربعين من عمره ، عربي الجنسية ؛ ولكنه بارع في الطهو .. هو يعمل ليلا في أحد الفنادق ، وتعاقد معه نوفل على خدمته نهارا من الثامنة صباحا حتى العصر أي بعد انتهاء وجبة الغداء.. أعجب بطعامه أثناء مكثه في الفنادق لاستضافة موردين أجانب .. وقبل الشاب العمل في قصره مقابل مبلغ مغر من المال .. فأعطاه ضعف ما يتعاطاه من الفندق .. وله خمس سنوات يعمل في القصر .. وكان الطابق الأرضي يسكن فيه الخدم ، والطاهي له حجرة يستريح فيها خلال ساعات النهار .. وفيه قاعة للولائم والطعام ..والسيد مكتبه

وحجرة نومه في الطابق الثاني .

لم يرث السيد الغنى عن والديه ؛ إنما أصبح غنيا بساعده وفطنته ، وبتوفيق من الله أولا ، فبنى نفسه وعلم أولاده أحس تعليم ـ كما يقول ـ سواء كانوا ذكورا أم إناثا وساعدهم بالبناء لبيوتهم وبزواجهم ..كلهم نجحوا في الحياة العملية إلى حد كبير إلا عادلا ، فأنه ما زال يتخبط بمشاريعه وحياته.

وترمل هذا الرجل الشيخ ، وهو في هذا العمر ..فبعد حين يسير أحسن بالوحدة والوحشة رغم وجود الخدم والطاهي عويس الذي يبدأ عمله قبل التاسعة وحتى الثالثة عصرا ، ويقوم بإعداد الطعام للسيد ، ولأهل القصر .. ويشرف على غداء السيد ، ويحضر الطعام للعشاء ، وأحيانا يشرف على وجبة الفطور إذا تأخر السيد بالنوم.

أخذ السيد بعد أسابيع من الترمل يفكر بالزواج ، إنه بحاجة لأنثى تشاركه الفراش والغرفة كيف ينام وحيدا وبين يديه الأموال ؟!

ويقول مفتاح الابن الأكبر ، والمجاور له في السكن : لم تنته الأربعون على وفاتها يا أبي .. اصبر عاما ..ماذا سيقول عنك الأصدقاء والمعارف ؟!

فيصيح محتجا : أصبر عاما ..أنتظر سنة .. ولماذا سنة ؟! أنام في الغرفة وحدي! هذا ظلم.. أنا أريد زوجة تنام جنبي يا مفتاح !

ـ لديك الخدم والطباخ.

ـ هؤلاء ينامون معي!

ـ قصدي في القصر .. عيب يا أبي أن تتزوج وتربة أمنا لم تبرد .

قال نوفل بضيق وسخط : أنت تقدر أن تعيش بدون امرأة ..وهل تقدر أنت تعيش بدون أم نوفل؟!

ـ أنا أقول اصبر سنة زمان .. ونبحث لك عن امرأة مناسبة لسنك .

ـ مناسبة لسني! أنا يا حبيبي أريد أن أتزوج بنت عشرين .. أريد المزيد من الذرية

ـ معقول يا أبي تريد أن تعود لتربية الأطفال !

صاح غضبا : معقول يا مفتاح ! بالعكس أنا اليوم متفرغ للتربية أكثر من أيام زمان .. أريد ذرية لأشعر أنني ما زلت شابا في عنفوانه.

صاح مفتاح : اصبر وبعد عام تزوج طفلة رضيعة .

ـ لن أصبر شهرا ، ولا يوما ، سأبدأ بالبحث من هذه اللحظة .. أنا في غنى عن بحثكم ومساعدتي .. أنت تضمن حياتي لسنة .. أنا كنت أريد الزواج قبل موت أمك .. ولما احتججتم وزعمتم أن مرضها سيزيد ، صمت وها أنا أعيش بعدها بدون رفيق أو أنيس أهذه عيشة ؟!



كل مشاورات ومحاورات الأب نوفل مع أبنائه وبناته باءت بالفشل ، وكلهم رفض الزواج قبل انقضاء سنة على الأقل من تاريخ وفاة أمهم ، واعتبروا فعل ذلك عيب في حقها وحقهم وحقه ؛ سيبدو أمام الناس ؛ كأنه ما صدق أن تموت ، فكان رده على اعتراضهم بأنه صبر أكثر من اللازم ، فأمهم لم تكن منذ سنوات صالحة للمعاشرة الزوجية ، ولولا بغضه للتعدد لتزوج في حياتها ، ولولا أنها أم العيال لطلقها وتزوج عليها ؛ لكنه تحمل من أجل خاطرهم ومشاعرهم ، ولسقمها .

لذلك كان يقول للطاهي عويس عند وجبة الغداء : كلهم لا يحبون سعادتي وزواجي ! يريدون دفني بالحياة يا عويس .. يا خسارة التربية !

استمع الطباخ لشكوى السيد نوفل ، وإن استمع إليها أكثر من مرة منذ ماتت السيدة سميحة خضر .. ولما رأى أن الرجل لم يعد يصبر على الوحدة والنوم على السرير وحده ، ويكاد ينفجر من الغيظ ، قال مشجعا : تزوج .. أنت ما زلت شابا يا عّم نوفل .. والمال يعوض العمر !

ثم قال ليكسب ود السيد نوفل : أنا مستعد للسعي لك في زوجة طيبة بنت ناس

ـ أتستطيع ذلك يا معلم عويس ؟!

ـ طبعا أستطيع يا سيدي ..البنات أكثر من الرجال اليوم .. والمطلقات كثيرات .. والأرامل متوفرات .. أنت اذكر لي المواصفات صغيرة كبيرة ، متعلمة غير متعلمة ، تحبل لا تحبل ، ذكية غبية ، نحيفة سمينة ، طويلة قصيرة ، جميلة مقبولة .. أنا مستعد لخدمتكم يا عّم نوفل بصدق وإخلاص .

ـ شهم يا ولدي! شهم يا عويس !.. عمرك كم قلت لي ؟

ـ قريب من الأربعين قدْ أولادك .

ـ مفتاح أكبر منك بخمس سنوات .. أنت من جيل محمود .. أعندك الخبرة في مثل هكذا مواضيع ؟

ضحك عويس ، وقال مادحا خبرته : يا رجل أنا زوجت كل أخواتي وإخوتي .. وعدد كبير من أبناء، وبنات الجيران .. أرامل مطلقون .. أنت اذكر الصفات ، وارم الحمل عليّ .. وسترى .

قال : ليس خطأ أن نختبرك يا معلم عويس يا أفضل الطباخين في العالم ! أنا طمعان بزوجة محترمة وممتازة ..أريد امرأة فوق الأربعين ، حملت أم لا تحمل .. هذا أمره لله ..وأن تكون أقل من الخمسين مقبولة من ناحية الحسن .. لا أريد ملكة جمال .. مطلقة أو أرملة مقبولة دون أطفال أفضل لي .. أنا عمري سبعون سنة لست صغيرا .

ـ أنا فاهم عليك يا عّم نوفل .. لا تريدها للحبل والخلفة.

ـ الأفضل لا .. عندي ستة .. والحمد لله .. المطلوب أن تخدمني وتنام جنبي.

ـ أنا فاهم عليك .. لو عندها أولاد كبار .

ـ هذا المطلوب حتى لا تطالبني بالحمل والعلاجات والأدوية .. أولاد كبار أحسن .. نحن اليوم كبرنا عن الأطفال .

قال عويس بثقة : عروسك عندي يا عّم نوفل!

ـ كيف ؟!

ـ أمهلني أسبوع عشرة أيام فقط .. سوف أقابل بعض النسوة من القريبات والبعيدات .

ـ ما هو اليوم يا عّم عويس ؟

ـ السبت .

ـ السبت من شهر نيسان .. بعد عشرة أيام نتحدث حول الموضوع .

ـ حاضر يا عّم نوفل ! سأجتهد باللقاء بهن .. الأولاد ما يغضبون من العم عويس

صاح نوفل : الأولاد لا يحبون سعادتي وحياتي ! لولا الحياء لتمنوا موتي علنا قبل موت أمهم

ـ صحيح ! هم لا يحبون أن يقاسمهم أحد التركة .

ـ جنوا لما علموا أن أمهم لا تملك الكثير من المال باسمها ، ووجدوا لها بيتا وضيعا مؤجرا ، وتتصدق بإيجاره .. واتهمني بعضهم بظلمها .. مع أننا لما تزوجنا كنّا أفقر من جمل أجرب .. والله وفقنا وفتح عليّ من خيراته ونعمه ، وصرنا بفضل الله .. اهتم يا عويس بأمر زواجي ، ما دمت أنت خبير نساء وزيجات .. وستأخذ نصيبك من الكعكة إذا تم الأمر على يديك ، ووجدت بنت الحلال التي تستر عليّ تالي العمر .

قال عويس بحماس وطمع : أبشر ..سأكون عند حسن ظنك يا أبا مفتاح يا سيد الرجال يا أكرم الناس ! نحن أصدقاء من سنوات ، وأنت ما قصرت معي .. وأنا في خدمتك بعيوني .

ـ أنت طاهٍ ماهر يا عويس ! وأحببت طَعَامك منذ تذوقته في الفندق أول مرة فأصررت أن أعرف من طهى ذلك الأكل .. وتعرفت عليك .. أنا أحب الطعام الزاكي والطيب .. وأنت تستحق كل خير .. أنت كم ولد عندك يا عويس ؟

تنهد أسفا وقال : ولا واحد ..المرأة بعافية حتى فكرت كذا مرة أن أتزوج عليها ..ولكن الرحم والقرابة .

بعد هذا الحديث الطويل بين السيد والطباخ الخاص بأسبوع أخبره بأنه وجد امرأة من معارفه يستطيع مقابلتها والتفاهم معها .. وأعلمه أنها أرملة من عشر سنوات وعمرها خمس وأربعون سنة .. ولها ولد وبنت .. شاب اسمه نافز ، عمره ثمانية وعشرون عاما ، لا يحترف

أي مهنة .. عاطل عن العمل .. ولها بنت عمرها ست وعشرون سنة ، ومتزوجة اسمها نعمة وأن السيدة هادية الأرملة ترغب بالزواج ولو من شيخ كبير .. وأخذ الشيخ عنوانها من عويس .. وقام بعد يومين بزيارتها في بيتها المتواضع الذي دله عليه عويس.. وكان في استقباله ابنها وهي ، وتحدثوا عن الزواج ، وحاجته لامرأة تشاركه الفراش ، وتحدث عن مساوئ الترمل والوحدة .. وبعد أيام يسيرة التقوا عند باب المحكمة الشرعية ، وتم عقد زواجها .. وتحدد موعد الزفاف بسرية تامة عن الأولاد والأحفاد .. وكان ذلك في قاعة خاصة ، وكان العرس ؛ كأنه عرس شابين صغيرين .. وتكفلت إدارة القاعة بترتيب الحفلة والسهرة ..وعلم الشيخ أن الأولاد علموا بأمر الزواج ؛ ولكنهم قاطعوه كلهم ، ووصف بعضهم والده بالخرف .. فأستاء منهم جميعهم ، وهدد بحرمانهم من الميراث ، وتحويل أمواله إلى الجمعيات والنوادي التي كان يدعمها وما زال ، واعتبرهم عاقين ولؤماء .. ولما وصلهم هذا الخبر بدأت إجراءات الصلح ؛ ولكنه رفض أي صلح ، ويرفض استقبالهم في قصره ، وإذا دخلوا يرفض النزول والجلوس معهم .. وتكرر ذلك منهم دون فائدة .. واعتبر تصرفهم بمقاطعة العرس ، وقد علموا به تصرفا أحمق وقلة أدب ، وعليهم أن يتحملوا نتيجة تخليهم عنه أمام الناس .. هم وأولادهم .. وسعت خالة الأولاد وأخوالهم ؛ لترقيع الرقع والزعم أن أمهم لو كانت حية لباركت زواجه ، وشهدت بشخصها عرس زوجها ، ولكنه أصر على الرفض ، وطردهم شر طردة ، واعتبرهم يستخفون به وبعقله ، وأنهم حرضوا الأولاد على معاداته ، فلعنته الخالة واتهمته بالمراهقة والطيش ، وعدم احترامها ، وحاول شقيقه الأصغر منه معه، ولم ينجح بالشفاعة بينهم، فقال لهم: الأيام دواء الجراح .

وكان السيد يستقبل أصهاره وأقاربهم ، ويقدم لهم عويس الطعام اللذيذ والفطائر والحلوى والعصائر ، وظنوا أن هادية تعيش في الجنة بعدما هلكت من قلة الطعام الجيد ، واللحم الأحمر ، حتى أن نافزا الأعزب كانت جل أيامه في قصر السيد ، وتجرأ بعض الأيام بالمبيت في القصر ، وحتى البنت نعمة كانت تكثر من التردد على قصر السيد ليلا للعشاء والسهر بحجة

حبها لأمها .. وكان السيد لا يبخل عليهم بشيء ، فهو يعيش في شهر العسل ، حتى أنه فكر بالسفر من أجله ، لولا توتر العلاقات بينه وبين أولاده ، وأقارب امرأته الميتة بعد طرد الخالة والخال.



ذات نهار قال السيد لزوجته هادية ، وهما يتناولان طعام الفطور وحدهما : هذا ابنك نافز لا يعمل ، ولا يشتغل .. دائما هنا .. هذا أمر مزعج ! .. من شهرين وأنا أقول الآن يخف يستحي؛ لكن دون فائدة .. شهر العسل انتهى يا هادية عبدو .. أنا تزوجتك أنت وحدك .

قالت بقلق : هو كما قلت لك سابقا لا يعمل عملا ثابتا .

ـ من يوم ما تزوجنا وهو يتغدى ويتعشى ، وأحيانا كثيرة ينام هنا .. ويفطر معنا .. أنا لست متزوجا نافزا ولا نعيمة!

ـ هو تعرض لحادث صدم قبل سنوات أثر على دماغه وكبده .. وخطبت له بنية ، ثم تركته يا معلم نوفل يا كبير ! .. وطول عمري أعيش معه .. نحتاج لوقت لنتخلص منه .

ـ إنه يسكر ..حدث أكثر من مرة أن فتحت له بوابة القصر ، وله ريح السكارى ومشيهم .. وهذا لا ينفع في بيتي .. أنا حجت بيت الله الحرام .. وأفكر أن أرافقك إلى هناك .

ـ يا معلم نوفل يا كبير ! تحملنا بعض الوقت ، وسأدبر أمر زواجه .

ـ أنا مستعد لمساعدته في ذلك ، عليه أن يقلل من الظهور في البيت .. بعض الأقارب يقولون : الحاج نوفل طرد أولاده ، وأحضر أولاد زوجته الجديدة أولاد الأرملة بدلا منهم!

ـ أنا أسمع هذا الكلام .. تحدثت معه قبل أن أسمع هذا منك يا حاج نوفل .. عشنا مع بعضنا عمرا طويلا .. وأنا تكلمت معه في هذا الأمر ؛ بل سمعته يقول : إنك تحدثت معه بذلك!

قال : لمحت له أكثر من مرة ، لا حياة لمن تنادي ؛ كأني أتكلم مع الكنبة أو التربيزة .. يتظاهر بالبلادة والغباء ، حتى كنت أضطر إلى سحبك لغرفة النوم لعله يشم أو يشعر وينصرف ؛ ولكنه بدل أن يعود لبيته أو مشربه يذهب للخدم طالبا المزيد من الطعام والفواكه .

قالت بهدوء : سأفعل ما تريد يا حاج نوفل يا كبير! وأتكلم معه أمامك اليوم إذا حضر .

قال السيد بحدة بينة : سيحضر ..ما هو يعتبر القصر تكية ، ودار الدراويش .. نحن تزوجنا لنعيد شبابنا يا هادية .

تبسمت وقالت : أي شباب يا حاج نوفل ! أنت تستخدم كل أنواع الأدوية لقضاء الشهوة ودون فائدة .

حدق فيها بحدة وسخط ، وبعد صمت قال بصوت بدا مبحوحا : آنت بنت أربع عشرة سنة ؟! يا مكر النساء ! أنت تفكرينني ابن عشرين .. رهق صغير.

ـ لا ، أنا أريد أن أذكرك بأنك لست صغيرا يا حاج نوفل .

صرخ فقال : أنا لا أحب تعييري بضعفي الجنسي!

ـ أنا أريد أن أذكرك بأنك لست فحلا من فحول الرجال بعد هذه السن .

ـ المهم أنا أرحب بابنتك وابنك في المنزل في الشهر مرة أو زيارة قصيرة .. الوقت عشر دقائق ربع ساعة .. ولما تشتاقي لهم اذهبي وأقضي نهارك كله معهم .

وحدث شجار بينهم بعد هذا الحوار الساخن ، حتى هددت المرأة بطلب الطلاق ، مما زاد من غضب الرجل عليها وسخطه.

ولما حضر ابنها كالعادة أدرك أن الجو متوتر وثائر ، وهاجت أمه عليه أن يغادر القصر ، وأن الرجل قد ملّ منه ، ولم يعد يطيقه ويحتمل وجوده .. فصرخ فيها وفيه لبعض الوقت .. ولما حضر عويس ، وعلم بالمشكلة، ترجاه أن يغادر قبل طلاق أمه ، وطلب منها مالا ، فأعطته ، وانصرف حانقا على زوج أمه.

وبعد هذه المشاجرة الصاخبة أخذ الرجل يتصالح مع أولاده ،ويسمح لهم بزيارته ورويدا

رويدا عادت الأمور معهم إلى ما كانت عليه قبل زواجه لهادية .. فخلال ستة أشهر من زواجه صلحت العلاقات بينهم .. وازدادت توترا وسوءا بينه وبين زوجته وأولادها ..وأصبحت حياتهما معا على كف عفريت ، وكان يجد تشجيعا على طلاقها من الأبناء ، وخاصة البنات ، والبحث عن امرأة ذات أخلاق عالية .

كان في القصر شيء مزعج له ، ومستفز .. هو مجيء نافز المتكرر .. وهو غير مبال به ، ولا بأمه فظل يأتي ويأكل الطعام ويشرب الشاي ؛ كأنه سيد القصر ، وقبل المغادرة يأخذ المال من أمه وينصرف .. وحذرها تكرارا ومرارا من استقباله في بيته وقصره .. وهي غير مكترثة ، ولم تلتزم بذلك .. ولما أدرك السيد أن التهديد لا يعبأ به ، ولا تعيره اهتماما طردها من البيت ، ووعدها بورقة الطلاق عن طريق المحامي الخاص به .. وتدخل عويس الذي حضر هذا المشهد ، وقال لها : اذهبي لبيتك .. وأنا سأهدي الأمور مع السيد .. ولن يحصل الطلاق .

وبعد مغادرتها ، سعى عويس لدى الحاج بتهدئة الموضوع ، فقال : يا رجل سكير يسكر على حسابي .. أنا أدفع ثمن المشروبات لهذا اللعين! أنا ابني عادل لما علمت أنه يسكر ويخمر طردته من بيتي ، فقلت له : أسكر في بيتك ..تعال صاحي لتراني .. وكانت أمه على قيد الحياة .

همس الطباخ عويس : هدأ نفسك يا عمّ نوفل! صحتك أهم من زعلك ..الولد هامل .. وتعود على نهب أمه ، واستغلال ضعف الأم قبل الزواج .. وإذا أنت راغب بالطلاق ، سنرتب الأمر بكل هدوء ، كما دخلنا بهدوء نخرج بهدوء ، دون شوشرة وفضائح يا عمّ نوفل!

ـ يا رجل أنا كما تعلم تزوجتها ؛ لتؤنس وحدتي .. المرأة زينة الدار ..أم مفتاح كانت عجوز مثلي ؛ لكن كانت تبعد الوحشة والوحدة ، فلما ماتت أحسست بالضيق من الحياة .. وارتفع صوته : صار القصر ملعبا لها ولأقاربها وأولادها .. ويا رجل تعيرني برجولتي ؛ كأنها متزوجة فتى مراهق .. وهي لما رأتني عرفت أنني ابن سبعين .. وهي تظن نفسها بنت صغيرة ولولا أنها امرأة كبيرة ؛ لقلت إنها كانت تعيش في حانة دعارة .. لولا أنها لا تلد ؛ لطلبت مني

العلاج للحبل !

ـ حاضر يا سيد نوفل ! سنرتب الأمور .. أنت راغب بالطلاق أنا حاضر .. حاضر .. أليس هناك باب للصلح ؟

ـ أنا لست راغبا بالطلاق ؛ إنما أريد طلاق ابنها، أنا لم أتزوجه يا رجل ؛ كأنه طفل ملزق بها .. إذا تحب أن تبقى امرأة صالحة لا مانع من عودتها يا عويس .. أولادها لا يزورونها إلا مرة في الشهر .. هي تذهب إليهم كل نهار .

ـ إذا قبلت بذلك تعود وينتهي الطلاق !

ـ نعم ، إذا قبلت أن تعود وحدها أهلا وسهلا .. أنا أنفقت على زواجنا أكثر من عشرة آلاف دينار يا عويس .

ـ نعم ، أعرف .. أنا أشرفت على الزواج .. الليلة سأتفاهم معها ، ومع ابنها وإخوتها .

اكتشف السيد في الصباح التالي أن سطوا حدث في القصر ، فقد تعرض مكتبه للسرقة ، المكتب الكائن في الطابق الأرضي ، وجدت نافذة من نوافذه مكسورة الزجاج ، وأن شخصا استولى على بعض الحلي ، ومبلغ خمسمائة دينار ، وإتلاف بعض الأوراق والملفات التي يتابع بها عمل الشركات التي هو شريك فيها أو مستثمر .

طلب الشرطة والتحقيق الجنائي فورا ، ولبوا النداء ، وجرى التحقيق ، ورفعت البصمات ، ولما لم يتهم الحاج أحدا غادرت الشرطة الجنائية المكان ، متأملين إلقاء القبض على سارق الفيلا ، وترجح لديهم أن السارق يملك مفاتيح الفيلا .

بعد هذا الحادث بأيام استطاع عويس إصلاح المرأة هادية على زوجها نوفل ، وعادت تعتذر للحاج ، وأنها منعت ابنها من المجيء إلى القصر .

ورغم الصلح والوعود التي قدمها عويس وهادية ظل نافز يجيء ؛ لتناول طعام الفطور معهم ولكن بأيام متقطعة ، يومان يغيب ، ويومان يحضر ، ووطن نفسه على تحمل كلام كلام نوفل وتحقيره ، ويتدخل عويس لتلطيف الأجواء ، وينصرف الشاب الفاسد مهددا ومتوعدا ،

وأمام هذا الإزعاج المتكرر والإيذاء اتفق الرجل مع زوجته وعويس وابنه مفتاح أن يحصل الطلاق ، وإنهاء هذا الزواج الذي لم يكمل العام الأول ، واتصل مفتاح بمحامي السيد الوالد ؛ لترتيب أمر الطلاق دون شوشرة ، وتحدد أن يكون اليوم السادس عشر من الشهر نوفمبر يوم الطلاق في المحكمة بين يدي القاضي .. وكانت السيدة قد غادرت لبيتها بصحبة ولدها ؛ ليكون اللقاء في التاسعة صباحا أمام المحكمة لإجراءات الطلاق الرسمية .. فقد حصل يمين الطلاق منذ ذلك اليوم الذي اتفقوا فيه ، وتسلمت المرأة مؤخر صداقها .

ولما جاء مفتاح نوفل صباحا ؛ لأخذ الوالد إلى دار المحكمة ، قال للخادم : هل استيقظ الوالد ؟

ـ طرقت الباب ، فلم يفتح .. يظهر أنه ما زال نائما .. لقد سهر طويلا ليلة أمس .. لقد جاء عادل شقيقك ، وبقي معه إلى منتصف الليل .. يبدو أن السيد يعاني من ضائقة مالية ، ويريد مبلغا من المال .. ولما غادر السيد عادل ، وأغلقت البوابة ، طلب الوالد كأسا من الحليب ، فذهبت بها السيدة ،وطلب منها إيقاظه في الثامنة صباحا ، طرقنا الباب ، فلم يفتح .

صاح مفتاح : حسنا ! اصنع فنجان قهوة .. واتبعوني إلى غرفة الوالد.

صعد الدرج ، وطرق الباب ، فكان مغلقا من داخل الغرفة.. فكر .. هل حدث له شيء ؟!

جلطة فجأة !.. ضرب الباب بقوة ، ورفع صوته : أبي أبي افتح.. موعد المحكمة اقترب .

صاح في الخادم : هات المفتاح من المكتب.. يبدو أن شيئا أصاب الوالد !



حضرت الشرطة الجنائية ، والمختبر الجنائي ، وضابط التحقيق ، والمصور الجنائي والبصمات ، والطبيب الشرعي ،ووكيل المدعي العام للمنطقة التابع لها القصر ، وفريق من أفراد الشرطة ، وشاهد الجميع الجثة ، وتأكد الطبيب الشرعي من موتها رميا بالرصاص ، وقام المصور بالتصوير الفوتوغرافي والفيديو لمسرح الحادث ، ولما رأى مفتاح المسدس في يد الضابط الجنائي وقد سمعه يقول : هذا سلاح الجريمة ! هتف فقال : هذا يا سيدي مسدس أبي ومن مقتنياته ! وأعتقد أنه كان يحتفظ به في هذه الحجرة .

ورفعت البصمات ، والعينات ، ومظاريف الرصاص ، وسمح بنقل الجثة إلى سيارة الإسعاف ومن ثم إلى مستشفى التشريح والطب الشرعي ؛ لتشريحها وكتابة التقرير الطبي بتبين سبب الوفاة ، ووقتها ، وكيف كانت الوفاة ؟ وبناء على حديث مفتاح للمحقق أن الوفاة حدثت بعد الواحدة ليلا ؛ وذلك على حسب كلام الخادم والخادمة لمفتاح .. وكلف وكيل التحقيق الضابط المحقق حمزة شبلي بمتابعة التحقيقات في هذا الحادث.

واستمع الضابط المحقق لمفتاح ، الذي شرح سبب مجيئه المبكر لبيت الوالد ، وأنه أتى لأخذ والده إلى المحكمة المختصة بقضايا الطلاق ، لإنهاء إجراء الطلاق رسميا بعد أن تمت تسوية الأمر مع المرأة هادية عبدو .. واختصر قصة زواج والده بعد وفاة أمه قبل أكثر من سنة .. وما واجهه الوالد من وقاحة وسوء تربية ابن المدعوة هادية عبدو أدت إلى الطلاق .

وحضر المحامي أثناء الاستجواب ، وأخبره مفتاح بمقتل والده الليلة الماضية ببضع رصاصات ، وأنهم نقلوا الجثة إلى مستشفى الطب الشرعي .

وجاء الخادم الآسيوي ، وذكر القصة التي ذكرها لمفتاح من مجيء عادل نوفل ليلا ، وتنازعه مع الأب ، وظل الشجار بينهم لنصف الليل ، وخرج الرجل غاضبا ..وكان الأب غاضبا من اللقاء ، ورافق السيد عادل حتى غادر القصر ، وعاد حيث طلب السيد نوفل كوبا من الحليب قبل نومه ، وحملته له الخادمة لانكا .. وكان قد وصى أن يوقظ عند الثامنة ، وذهب لإيقاظه ،

فلم يرد ، وذهبت الخادمة دون فائدة ، وظل القلق يساورهما حتى حضر مفتاح .. ثم فتح الباب من الخارج واكتشفت الجريمة .. وبين الخادم أن الرجل كان مطروحا على أرض الغرفة والدماء متجمدة على السجاد ، ورأى المسدس على السرير .. وكان مفتاح لما رأى الجثة قال برعب ووهن : آ! قتل أبي ! وأخرج هاتفه بعد أن وقف أمام الغرفة واتصل بالشرطة على الفور .

قال المحقق : يعني كلامك أن السيد نوفلا حوالي الثانية عشرة ونصف ليلا كان على قيد الحياة ورأينا أن كوب الحليب ما زالت في الغرفة ..وتدل على ذلك.

وهزّ الخادم الفلبيني رأْسه" بنعم"

ـ أسمعت صوت الرصاص يا سيد دانييل ؟

ـ كنت مستغرقا في النوم.. أنا عندما أضع رأسي على الوسادة أنام في أقل من خمس دقائق .

ـ هو يغلق الباب على نفسه عندما يكون نائما .

ـ نعم ، خاصة عندما تزوج السيدة هادية .. لما ماتت السيدة سميحة كنّا نجد الباب مفتوحا في أي وقت.. نطرق الباب ، ويؤذن لنا فندخل .. وأحيانا بعد الصلاة فجرا يتركه مفتوحا يا سيدي لندخل بما يطلب .

ـ عندما لم يكن متزوجا الباب يبقى مفتوحا .

ـ نعم ، لا يغلق بالمفتاح .

التفت الضابط لمفتاح : إذن كنتم على موعد لطلاق الوالد صباح هذا اليوم .

قال مفتاح : أجل أجل يا سيدي ها هو حضرة المحامي توفيق ..كان يجب أن نلتقي أمام المحكمة ، وندخل على القاضي ؛ لتعلن السيدة أنها استلمت كل حقوقها الشرعية ..ونأخذ وثيقة الطلاق الشرعية والرسمية .. وتقرر أن أرافق أبي إلى المحكمة .. أبي يحسّن القيادة ؛ لكني تبرعت بتوصيله وبيتي ـ وأشار بيده ـ قريب من بيت الوالد .. نحن جيران بيني وبينه بضع عمارات.. أبي تزوج بعد موت أمي بشهرين ، وعن طريق طاهي الوالد الخاص سيد

عويس .. سيحضر بعد قليل لا أدري لماذا تأخر ؟! هو عليه أن يكون هنا قبل التاسعة .. هذا الطباخ هو الذي رتب له الزواج من هذه المرأة الغامضة .. إنها أرملة من عشر سنوات كما فهمت من أبي .. نحن أبناؤه الستة رفضنا زواجه قبل سنة على موت أمنا ؛ لكنه لم يصبر وتزوج دون علمنا ، ورغم أنوفنا .. وتصالحنا من عهد قريب بسبب هذا الزواج .. وسبب الفشل ليس نحن؛ إنها ابن فاسد للمرأة .. شاب لا يعمل ولا يشتغل عواطلي .. يأتي للقصر يأكل ويشرب ويشرب المسكر دون حياء من والدي الحاج .. فكان سبب النزاع بينهم حتى أدى ذلك للطلاق .. وأحيانا كثيرة ينام في القصر ، مما أزعج أبي للغاية ، فاضطر للانفصال .

وأخبر المحقق حمزة بحادث السرقة الذي تعرض له القصر من أسبوعين من الوقت ، وأن لدى الشرطة محضرا بذلك ، فوعد الضابط بمراجعته ؛ ولكنه اتصل بالضابط الذي أجرى التحقيق . فقال ضابط النقطة : اتصل بنا السيد نوفل معلنا عن تعرض مكتبه المنزلي لسرقة واقتحام .. فقد أخبر أن بعض قطع الحلي اختفت وخمسمائة دينار .. وتبين من المعاينة أن السارق دخل من نافذة غير محمية بكسر الزجاج بعد قصه أو قص جزءا منه بأداة قص الزجاج، ثم كسره ودخل .. ولم نجد بصمة لغريب .. فكل البصمات لمن يترددون على الشيخ نوفل .. والرجل لم يتهم أحدا.. وإن علمنا أن له ابنا سيء الأخلاق ..وكثيرا ما يتنازعان .. اسمه عادل .. ومعروف لدوائر الأمن ؛ ولكن السيد لم يتهمه .. فتوقف التحقيق حتى نجد لصا يعترف بفعلته هذه ، كما هي العادة .. ليس لدينا مشتبه به .. والبصمات بصمات أهل الدار ولليوم لم نصل للص .

حدد الطب الشرعي أن الجريمة حدثت بعد الواحدة والنصف ليلا وبين الثانية والنصف صباحا .. وأكد التشريح شرب الحليب وهو خالي من أي مادة تنويم أو تخدير ..وهذا يعرف من إفراغ المعدة والأمعاء.. وتحليل الدم .

طلب المحقق عادلا وتحدث معه عن الجريمة والمشاجرة تلك الليلة .فقال : صحيح أنني تشاجرت مع أبي .. وهذه ليست أول مرة ..كلما أحتاج منه لمال أسمع الكثير من التوبيخ

واللوم والتجريح .. وإنما أطالب ببعض ميراثي كسلفة .. فيغضب ، ويشتد غضبه .. تنازعنا وفارقته غاضبا ساخطا عليّ .. وهو مثلي لم يترك دعوة إلا دعاها عليّ .. رجل يعبد المال؛ لكني لم أرجع لقتله ..وصحيح أنني غارق في الديون .. وبحاجة لمال ؛ ولكني لست بحاجة للقتل .

ـ على كل حال لن تحل مشاكلك المالية إلا بعد انتهاء التحقيق والمحكمة .. وإذا عرف الجاني .

قال عادل : لست بعجلة يا سيدي ! القاتل في النهاية قدم لي خدمة لم أكن أحلم بها بهذه السرعة .. نعم ، إنه قريب من الأسرة ؛ لذلك استغل الشجار ، وفعل جريمته .

ـ من غير الخدم يعلم بهذه المشاجرة ؟

ـ ربما تحدث أبي مع مفتاح أو محمود .. وتحدثت عن الشجار في مكتب الأجرة حيث أملك مكتب نقل ركاب .. فخرجت من هنا إلى المكتب .. وجرى حديث عن فشلي في الاقتراض من أبي وشجارنا ..وقضيت ساعة أو أكثر ، ثم عدت للبيت .. وزوجة أبي أو مطلقته تحدثت معها عن الشجار .. ظننت أنها تستطيع أن تساعدني .. فأخبرتني أنها طلقت من أيام .. طلاق لا رجعة فيه .



كان الضابط حمزة يتحدث في المكتب لفريق التحقيق بعد التحقيق الأولي وأمام المدعي العام المسؤول عن القضية نجيب محمود . فقال : كان الرجل المقتول على موعد في الصباح لطلاق زوجته هادية عبدو أمام القاضي ، وذلك بعد أن رتب المحامي الخاص به إجراءات الطلاق كانوا سيلتقون أمام المحكمة .. وهذا الموعد عجل باكتشاف الجثة من قبل السيد مفتاح أكبر أبناء السيد الذكور.. وفي الليل أمس جاء ابنه عادل القصر ، وتشاجر مع والده لحاجته لمال كما يزعم .. وغادر القصر بعد منتصف الليل غاضبا .. وأغلق الخادم البوابة خلفه ، وعاد إلى الداخل ؛ ليقدم للسيد كوبا من الحليب .. وتبين لنا أن السيد عادلا أفشل أبناء الحاج من الناحية المالية .. فكلهم في الكشف الأولي مرتاحون ماديا ..وعلاقتهم طبيعية معا الوالد ، رغم الغضب عليهم بسبب عدم قيامهم معه أثناء زواجه الأخير ، بسبب حزنهم على وفاة أمهم منذ أشهر .. فهم ناجحون في حياتهم العملية ، ولا يعتمدون كثيرا على الوالد .. وعادل قام بمشاريع مثلهم ، وفشلت ..وسافر أمريكا اللاتينية ، وعاد خاسرا على أثر حادث ..ويمتلك اليوم عشر سيارات أجرة لنقل الركاب ضمن مكتب سيارات تملكه من سنتين .. وأموره المالية سيئة ؛ بل عرض المكتب وسياراته للبيع .. ولم ينفذ .. وزعم لي أنه تشاجر مع أبيه من أجل قرض ؛ ولكنه كما قال مفتاح أخذ الكثير من القروض ، ولم يسددها ؛ ربما من أجل ذلك رفض السيد إعطاءه قرضا جديدا .. وهو يريد خمسة آلاف دينار زاعما رغبته بشراء سيارة صغيرة لابنه الذي في الجامعة ، يريدها من والده ؛ كأنها هدية كما يقول مفتاح .. وسيعتبرها هدية من الجد لحفيده ..والوالد مشغول بقضية الطلاق والأموال التي دفعت للمطلقة .. المهم أنه رفض .. وهذا أخبر به عادل ..ويؤكد الخادمان مغادرته القصر أمام ناظريهما ، وسماعهما صوت سيارته وهي تبتعد .. ولما أغلقت الأبواب ، صنعا كوب حليب للسيد ، وأدخلته الخادمة .. ورجع كل واحد منهما لحجرته الخاصة به ..فهما من جنسيتين مختلفتين أحدهما فليبيني .. والأخرى من سيرلانكا .. كانت المرأة خادمة للزوجة الأولى .. ولما ماتت أبقاها

السيد في القصر .. ولم يضغط الرجل الجرس عليهم لما دخل القاتل عليه .. فهذا يدل على نومه أو فتح للقاتل بنفسه كما تدل القرائن .. كيف اجتاز القاتل بوابة القصر الرئيسية ؟ لم يستخدم أي عنف في فتحها ؛ بل فتحها الخادم لمفتاح عندما حضر صباحا .. وكذلك باب القصر نفسه لم يستخدم أي عنف في فتحه .. هل هو الذي نزل وفتح الأبواب لقاتله ؟ وهذا المرجح .. وهناك احتمال وجود مفاتيح مع آخرين إذا ثبت أن هناك تخطيطا للجريمة .. فالخادم أخبر أن الرجل منذ جدد زواجه كان يغلق الباب بالمفتاح عند النوم .. وإذا احتاج لشيء استخدم الجرس الخاص أو التلفون الداخلي بينه وبين الخدم .. والجرس يرن في غرف الخادمين فيطلبان الطعام أو الشراب ، وعند صعودهما يفتح لهما الباب الزوج أو الزوج .. وتلك الليلة لم يستخدم الجرس ولا الإنتركم .. وأكد رجال المختبر أن الأبواب لم يستخدم العنف في فتحها وهذا يشير إلى أن القاتل يملك المفاتيح ، وتسلل لحجرة الرجل واغتالته ، أو أن السيد بناء على اتصال نزل بنفسه لفتح الأبواب إذا ثبت أن المفاتيح لم تزور ..ودخل القاتل حجرة النوم وتحدث مع السيد وغدر .. لأن الراجح أن أداة القتل سلاح خاص بالسيد .. فيرى مفتاح الابن أن المسدس يعود لوالده ..وكل من عاش معه يعرف أن لديه مسدسا بل أكثر من مسدس .. وهذه المعلومة سيؤكدها فحص السلاح .. السؤال لماذا فتح الباب ؟ ولماذا كان اللقاء في غرفة النوم ؟.. ولماذا لم يوقظ الخدم لفتح البوابة ؟

قال أحد المساعدين : أرى أن يعاد استجواب السيد عادل ؛ لعله عاد مرة أخرى زاعما لأبيه الاعتذار والأسف .. أنا شخصيا لم أرتاح له.

قال حمزة : سنفعل ذلك ، ذاك كان استجوابا سريعا لمعرفة سبب المشاجرة المعلنة .. وجهاز الخلوي الخاص بالسيد لم تفقد منه إلا الشرائح الخاصة بشركات تزويد الخدمة لماذا الشريحة اختفت ؟ فنحن نستطيع معرفة الاتصالات التي جرت من الهاتف ، ولو بدون شريحة ، نحتاج لبعض الوقت فرقمه معروف .. ولم نجد بصمات على الجهاز .. ومفتاح أكد أن ذلك الجهاز أحد الأجهزة المستعملة من قبل أبيه .. والخدم لم يسمعوا صوت الرصاصات الثلاثة ،

يزعمون أنهم مستغرقون في النوم بسبب تأخرهم تلك الليلة بالنوم .. أو تعرضوا لتهديد ما.
قال وكيل النيابة : يعني أن القاتل دخل القصر بدون أن يشعر به أحدهم .. دخل القصر ، وصعد للطابق العلوي وقتل ، وأغلق الباب ، وأخذ المفتاح ، ونزل وخرج من القصر، وأغلق الباب ، وخرج من بوابة القصر ، وأغلقها دون أن يحس به الخدم !
قال حمزة : هذا ما حصل مع الأبواب في التصور .. وهنا كما ترون احتمالين ، القاتل فتحها بنفسه ، أو السيد فتحها له .
وقال أحد المساعدين : أو أحد الخدم أو كليهما فتح له .
ـ هذا احتمال صحيح ؛ ولكن ما الفائدة التي تعود على الخدم من التواطؤ ؟ بل بعد إغلاق التحقيق سيصرفان عن عملهما ، أو التعرض للإعدام إذا ثبت تورطهما .
ـ يمكن أن يفتحا بدون تواطؤ استدراج واحتيال ، ولما حدث القتل اضطرا للصمت .
ـ هذا جائز ! صمتهما لن يطول ..والقاتل المدبر لجريمة كهذه يضع نفسه تحت رحمة خادمين .. فالاحتمالان اللذان ركزت عليهما أقوى وأرجح .
قال وكيل النيابة : هذا يدل في رأيكم أن الجريمة مدبرة ومخطط لها مسبقا رائد حمزة وليست بنت ساعتها ، أو انتظار مشاجرة بين أب وابنه .. وهل السيد عادل الفاشل في مشاريعه بهذا الذكاء ؟! وصنع المشاجرة ؛ ليكون مشتبها به ، ثم تثبت براءته .. وهل شهد سواقون المكتب أو أحدهم أنه جاء المكتب بعد نصف الليل ، وكان في المكتب أثناء وقت الجريمة ؟
قال حمزة : شهد سائقان مناوبان تلك الليلة أنه كان في المكتب بعد منتصف الليل .. ونحن ندرس صدق شهادتهما وقوتها .. أخبرا أنه عاد للمكتب واشتكى أمامهما من أبيه وبخله ، وكره الأب له .. وأخبر قبل منتصف الليل أنه سينصرف ، وأن عليهما انتظار السيد موسى ، وهو في الطريق للجلوس في المكتب .. فقد ذهب لزيارة أهله ووالده وطلب بعض المال منه من أجل ابنه.
ـ صرح عادل لهم بذلك قبل نصف الليل قال ذلك لأحد السواقين !

ـ نعم ، قال ذلك ، وعاد خائبا غاضبا يشتم أباه بأقبح الألفاظ، وطلب منها قهوة ودخن بشراهة ، ولما حضر عامل المكتب موسى العامل الليلي متأخرا وبخه وشتمه .. وكادا يتشاجران لولا تدخلها ، وغادر المكتب زاعما أنه ذاهب لبيته .. وقال عادل :إنه دخل البيت ساخطا على الحياة ، ومتعصبا على أبيه ، وعلى بخله .. ولم يلتفت إلى الساعة عندما وصل البيت .. وليس من عادته الإكثار النظر في الساعة ؛ إنما يلبسها من ضمن الديكور والتقليد والعادة ، ولا ينظر إليها إلا عند الحاجة إلا أن الوقت كان بعد الواحدة ليلا .

عاد الوكيل يقول : لا أعتقد يا حمزة أنها جريمة بنت الساعة ! سيماها جريمة مدبرة .. وراءها تخطيط .

ـ إذا كان هو الفاعل فقد ذهب لأبيه مرة ثانية بعد مغادرة المكتب ، وقبل العودة للبيت الذي لم يتأكد لنا .. ولكن المسدس للسيد نوفل ..كيف استولى عليه ؟! وقد ذكر الخادم أن المسدس دائما في غرفة نومه ..قد يعرف مكانه مع طول الوقت .. هل يملك مفاتيح البيت كلها وبأي عذر ؟ نحتاج لمزيد من التحريات والتحقيقات .

ـ هل لدينا مشتبهون غيره ؟

ـ الخادم ، والخادمة ، زوجته هادية المطلقة شرعا ، وغير مطلقة قانونا ..ابنها نافز الذي كان سبب طلاقها الشرعي .. عامل التصليح .

ـ عامل التصليح!

ـ كان يجري في القصر عملية صيانة متقطعة ، يجرون تصليحات كهربائية في التمديدات والأسلاك ، يأتي في السابعة صباحا ، ويغادر في الثانية ظهرا ، وعندنا الطباخ عويس طباخ خاص للسيد من سنوات ، يعمل من التاسعة صباحا حتى الثالثة عصرا كل يوم فهؤلاء يمكنهم اختلاس المفاتيح والمسدس في حين غفلة .. والطباخ هو الذي ساعد الرجل في الزواج من وراء أولاده ، وهو كان يسعى بينهم في الصلح عند كل مشاجرة .. فهو يعرفها ، ويعرف ابنها وابنتها ، وربما قريب لها إلى حد ما كما فهمت من تعرفي به .. وجاء متأخرا صباح

الجريمة .. الدافع غير واضح لها إلا في حق عادل .. قد تكون هناك لعبة أو مغامرة شيطانية ؛ لكننا سنتعامل الآن على أن القاتل شخص واحد .. وسنقوم بالتحريات الخاصة عن الجميع ، عن الأبناء الخدم الطاهي الزوجة وابنها .. والمشتبه به الأقوى السيد عادل بلا منازع .. والتحريات جارية عليه منذ ظهر اسمه على مسرح الحادث .. ومشكلته مع أبيه ، وسننظر هل هذه المشاجرة بريئة أم مفتعلة ؟



جلس خادم قصر نوفل في غرفة التحقيق في دائرة الشرطة ؛ لإجراء التحقيق الرسمي ، وكانوا في انتظار الضابط حمزة الذي كان مشغولا باتصال هاتفي ، ولما أنهاه دخل غرفة التحقيق . وقال للخادم : شايا أم قهوة .

ـ لا شيء يا سيدي!

ـ حسنا ! جاهز يا موسى .(كاتب التحقيق)

ـ نعم ، أنا جاهز يا سيدي !

ذكر الخادم اسمه الكامل ، وجنسيته ، وعنوانه ، وعمره ، وعمله ، وكم له في البلاد ؟ وكم سنة له في قصر نوفل ؟

قال حمزة بعد أخذ إجابات تلك الأسئلة التقليدية: أنت ذكرت لنا في بيت السيد نوفل أنك شاهدت وسمعت مشاجرة بين الأب وابنه .. وكان شجارا حادا تخلله السب والشتم والتلويح بالأيدي .. وكان الحديث أو الشجار قبل نصف الليل.

ـ نعم ، حوالي الحادية عشر ليلا فتحت للسيد عادل البوابة ، ودخل وهو يقول : أين أبي؟ فقلت : يجلس في صالة الطابق الأرضي ـ هي صالة استقبال ـ وسبقني مسرعا للداخل ، وتبعته بعد أن أغلقت البوابة بالمزلاج .. فسلم على أبيه ، وجلس وأشعل سيجارة ، ودار

حديث بينهما عن طلاق الزوجة ، ثم طلب من أبيه مالا ليشتري سيارة لابنه ـ وأنا أجلس قريبا منتظرا أي أمر من السيد ـ ورفض الأب .

ـ هل حاول عادل ضرب أبيه بيده بشيء أثناء حدة الحوار ؟

ـ كان يشير بيديه غاضبا من رفض أبيه إعطاءه المبلغ كهدية كقرض .. ولم أسمعه يهدده بضرب أو قتل أو موت .. كان يعيب على أبيه البخل ، وكنز المال .. والسيد يذكره بخيبته وفشله دون سائر إخوانه .. وأنه أكثرهم أخذا منه ، وأنه يعيش على الصدقات والإحسان .. وعاجز عن شراء سيارة لابنه .. وذكره أن له عشرات الأحفاد ما أحد منهم أخذ سيارة أو طيارة .. وذكر له نجاح إخوته في مشاريعهم وحياتهم المستقرة مع زوجاتهم .. يشير إلى فشله أكثر من مرة في الزواج .. ثم طلب منه المغادرة فورا .. فعندئذ عيره عادل بعجزه وضعفه أمام زوجته الأخيرة وابنها ..وأخذهم منه المال الكثير ، والعيش في القصر دون أن ينبس معهم بكلمة فهاج الحاج .. وخشيت عليه الجلطة من شدة الغضب . وقال: وغد أنت .. وغدا سأخلص من هادية وابنها الهامل الفاشل مثلك ..وسيذهب كل منا في حال سبيله .. فرد عادل : خلال شهور أنفقت عليها ما يقارب الخمسين الف ، واليوم تبخل على حفيدك طالب الجامعة بخمسة آلاف ثمن سيارة يا بخيل !

ـ يا ملعون أخذت أنت ونساؤك وأولادك أكثر من مائة الف .. هذه السيارات في شركتك الفاشلة من اشتراها لك يا خايب .. زعمت أنك ستسد كل شهر .. ولم أستلم منك شيئا من سنوات يا فاشل ! يا حقير يا ملعون ! انصرف انصرف سأحرمك من الميراث ..سأوزع الأموال قبل أن أموت !

قال حمزة : أهو قال هذا الكلام تلك الليلة ؟

ـ كلما تحدث مشكلة بينه وبين عادل يهدده بذلك ..ولما يهدأ يقول :لولا مخافة الله لفعلت يا دانييل ! الرجل يتعامل معي باحترام يا سيدي .. لي عندهم عشر سنوات منذ ترك العمل المباشر .. فهذا تهديد ردد كثيرا .. والسيد الشاب يعلم أن والده لا يفعل ذلك ديانة .. ولا

يريد كما قال أن يزرع العداوة بين أبناءه بعد موته بسبب المال .. وللأسف هو أحوجهم للمال وعادل يا سيدي سافر الأرجنتين أو تشيلي للعمل في مشاريع ، وفشل وعاد خائبا كما أسمع .. وكان الأب قد نهض وأخذ يدفع ابنه طاردا له مع اللعن .. وأذكر للأسف أنه اضطر لسبب زوجته الأولى من الغضب؛ لأنها خلفت له مثل هذا الابن العاق الشيطان .. وظل يدفع به حتى خرج من باب القصر .. وهذه ليست أول مشاجرة بينهما ..فكلما يحتاج الرجل لمال يلجأ لأبيه بسب ديون وقروض بنكية أو دائنين .. وتحدث بينهما مشاجرة .. وأحيانا يتدخل الأبناء بالمساعدة حتى لا يحبس عادل ؛ ولكنها كانت آخر مشاجرة لموت السيد الكبير .. وظل السيد يدفع به للخارج حتى خرج من بوابة القصر الرئيسية ..وأنا خلفهم .. هو يسب وذا يسب دون حياء ومراعاة لكبر والده .. حتى أغلقنا البوابة بالمفتاح والمزلاج أيضا ؛ لذلك أنا أقول أن القاتل قفز عن سُور القصر .. والله أعلم.

ـ ملاحظة جيدة يا دانييل سنهتم بها .

ـ وعدنا والسيد يقول : ولد عاق ، قليل الحياء .. كنت أتمنى أن آراه ميتا قبلي من سوء أفعاله هات سيجارة ـ هو لا يدخن إلا إذا توتر وعصب ـ فأعطيته سيجارة وأشعلتها له .. ودخلنا القصر ، وأغلقت الباب بالمفتاح كالعادة يا سيدي ..وقبل أن يصعد لينام طلب كوبا من الحليب الدافئ .. فهو أحيانا يشرب الحليب المبستر البارد كالعصير ..ولما جهز صعدت به الخادمة التي سمعت كل شيء من وقوفها بباب غرفتها .. هم يتشاجرون أمامنا لا يعيروننا أي انتباه ..وقالت لي: إن السيد يتفرج على التلفزيون في غرفة النوم ، فأغلقه بدخولها ، وتناول الحليب منها وسمعت إغلاق الباب بالمفتاح كما يفعل منذ تزوج ثانية .. هو كان يترك الباب مفتوحا ؛ لندخل بما يطلب ، وهو على السرير ، ولا يحتاج لفتح الباب لنا .. وعندما عادت الخادمة كانت ساعتي تقترب من الثانية عشرة والنصف .. وهذا آخر الوقت الذي علمت بأنه حي .. وقالت السيدة : لقد أغلق الباب متوترا وغاضبا على ابنه .. ودخلت حجرتي بعد أن دخلت السيدة حجرتها .

ـ هل نمت مباشرة أم سهرت ؟

ـ لم أنم فورا يا سيدي! بعد دقائق من عودة لانكا فتحت الحجرة ، وتفقدت أبواب القصر الباب الرئيسي حيث يدخل الضيوف ، وهناك باب يؤدي إلى الحديقة الخلفية ونادرا ما يستخدم .. وهناك باب بجانب المطبخ يستخدمه السيد عندما يريد الخروج للتمشي خاصة في الليل ، ونستخدمه نحن الخدم لإحضار بعض المزروعات التي يحب السيد إضافتها للطعام والشاي كالنعناع والبقدونس والبصل الأخضر .. تأكدت سيدي من إغلاقها .. حقيقة أصابني قلق من مشاجرة الليلة ، وخشيت على السيد من أعراض الجلطة القلبية أو الدماغية ؛ لكنه ربما اعتاد على طلبات ابنه فيتظاهر بالغضب ، والله أعلم ..ثم دخلت المطبخ وصنعت كوبا من الشاي ، وعدت به لحجرتي ، وسمعت صوتا حسبته صوت السيدة ، وظننت أنها قلقة مثلي .. وفعلا كانت قد أحست بي ، وقامت إلى المطبخ وأخذت كوبا من الشاي ..كانت ليلة صعبة .. نحن نحب استغلال أي ساعة للنوم ؛ لأننا يجب أن نصحى على أي جرس يصدر عن السيد خشية أن يتوعك صحيا .. والدقيقة يا سيدي لها قيمتها .. بدت لي هذه المشاجرة مثيرة وغريبة عن غيرها من المشاجرات .. وهذا تأكد بعد حدوث الجريمة .. بعد الشاي غفوت ومن خلال النوم سمعت صوتا .. ولم يقع في نفسي أنه صوت غريب .. المهم تقلبت وتابعت نومي .

ـ ما وجه الغرابة في المشاجرة ؟!

ـ لا أدري بالضبط ! لقد حضرت مشاجرات كثيرة خلال هذه السنوات ؛ ولكن كان في هذه المشاجرة غموضا !

ـ أكانت مفتعلة من طرف عادل ؟

ـ لا أدري ! لكنها أول مشاجرة تحدث بينهم بعد موت السيدة سميحة .. أكثر المشاجرات كانت تحدث مع السيد نافز ابن الزوجة الثانية .

ـ ألم تسمع صوت الرصاص ؟

ـ إذا كانت غرفة السيد مغلقة فمن الصعب سماع الصوت خارجها خاصة أنها بعيدة عن مناماتنا نحن الخدم .

ـ الرصاص صوته مرتفع وحاد ومميز !

ـ أنا لم أسمع كنت مستغرقا في النوم ؛ وربما استخدم القاتل مانع للصوت كما نرى في الأفلام

ـ قصدك كاتم الصوت .

ـ آ ، يا سيدي كما نرى في الأفلام والمسلسلات!

ـ وجدنا المسدس ، ولم نجد كاتم الصوت .

ـ لا أدري يا سيدي ! أنا لم أسمع صوت الرصاص ..والسيدة لم تسمع شيئا أو أنها خائفة .

ـ أنتما لم تستيقظا على صوت الرصاص ..هل ظللت نائما للصبح ؟

ـ لا ، السيد يستيقظ لصلاة الفجر ، ويطلبني أحيانا لشاي لقهوة بالحليب عند الصلاة أو بعد الصلاة ..وهو بعد الصلاة يعود للنوم .. وفي أحيان هو نفسه يصحو متأخرا عن آذان الصلاة ، فيصلي متأخرا ، ثم ينام بعد الفطور المبكر .. فلذلك لم يخطر في بالي أنه مقتول ، وصبرت ؛ لأننا على موعد التاسعة والاستعداد لجلسة المحكمة .

ـ استيقظت ،وظللت أنتظر الجرس، ولما لم يرن الجرس عدت للنوم .

ـ ولكن الخادمة تقول إنك فتحت باب حجرتك!

ـ نعم ، فتحت الباب ونظرت حجرة السيدة ؛ ربما رن السيد عليها .. في الأصل أنا خادم للسيد ، وهي للسيدة سميحة ، وكل له اختصاصه ، وبموت السيدة ظلت السيدة تعمل في للقصر .. ولما تزوج عادت تخدم السيدة هادية .. مشيت إلى باب حجرتها ووجدتها معتمة ، فعدت لحجرتي ، وأغلقت بابي ، وعدت للنوم .. يبدو أنها كانت مستيقظة وخائفة .

ـ هل تعلم أن لدى السيد أسلحة مسدسات ؟

ـ نعم أعلم ، وكان أحيانا يستخدمها داخل القصر .

ـ يستخدم المسدس ..كيف ؟!

ـ هو كان يحب الصيد من أيام الشباب .. وكان يرتب كما يخبر لرحلات صيد .. وكان يملك بنادق للصيد .. وهي موجودة في القصر الريفي .

ـ أله قصر ريفي ؟!

ـ له كثير من العمارات يا سيدي.. فهذا القصر أحدثها .. بناه عندما قاعد نفسه

ـ كيف كان يستخدمه في القصر ؟

ـ كان يستخدم السلاح في قتل القطط ، كان مبغضا لها ، ولا يحب رؤيتها في القصر .. ينزعج منها عندما يراها .. حدث أن كرهها منذ الصغر لأذى أصابه منها.

ـ فكان يطلق عليها النار ..أقتل منها شيئا ؟!

ـ الكثير .. هو عدو كبير لها .

ـ إذن الكل يعرف أنه يملك المسدسات .

ـ أجل يا سيدي ! وهذا أمر معروف .. ولما كان يدير العمل بنفسه ،كان يحمله معه .. وكان في السيارة مسدس آخر .. وكان أثناء الغداء يضعه على المائدة لصيد القطط خاصة إذا تناول الطعام في الحديقة أو العريش .

ـ ألم يحتج أحد على ذلك التصرف ؟

ـ ربما تعودوا عليه ..فأصبحت عاداته معروفة .

ـ أكان يسيء إليكم بالكلام وردود الأفعال ؟

ـ لا ، أبدا كان نعم السيد .. هو هادئ إلا إذا استفز من غمز أو لمز أو كلام لم يرتح له .. وحزن جدا على وفاة زوجته أم مفتاح حتى وقع في قلبي أنه سيموت حزنا وكمدا عليها ؛ لذلك عجبت لما رأيته يستعجل بالزواج بعدها مما بدا لي من الحزن عليها.

عامل التصليح

جلس عامل التصليح حسن في قصر السيد نوفل في غرفة التحقيق لسماع شهادته حيث عمل في ذلك النهار في القصر .. عرف بنفسه وعمره وعمله ومكان إقامته .. وبين أنه يعمل صيانة في القصر للتمديدات الكهربائية بعد احتراق عدد منها .. وبين للضابط أنه يعرف السيد منذ عشرين سنة ..لقد قام بتركيب الأسلاك الكهربائية له في عدة مشاريع ..وغالبا ما يطلبه للتصليح والصيانة .. فبعدما بين للمحقق علاقته الشخصية بالسيد . قال المحقق : أنت تعمل صيانة كهربائية من عدة أسابيع بسبب احتراق لأسلاك في المطبخ وغرفة "البويلر" التدفئة المركزية .. وكنت النهار السابق على الجريمة تعمل في القصر .

ـ صحيح يا سيدي ..عادة الصيانة نعملها في آخر النهار وأول الليل ، بعد ترك العمل اليومي قبل الحادث بأسبوعين حدثت مشكلة في تمديدات المطبخ ، صلحنا العطل الكهربائي ، وصيانة لمضخة الماء ، ثم تكرر الخطأ والماس الكهربائي في المطبخ والمخزن وغرفة البويلرات المركزية .. فاضطررت لتغيير الشبكة بأسلاك جديدة وأجود من الأولى .

ـ النهار السابق على حدوث الجريمة وقبل الجريمة علمنا أنك كنت في القصر في أول النهار وأول الليل .. هل لاحظت شيئا لم تعتاد عليه أثناء تواجدك في القصر؟

ـ كان مسار العمل كسائر الأيام تناولت الغداء على مائدة السيد .. السيد لا يرى في ذلك حرجا .. فهو كما أعلمني لم يولد يأكل في معلقة من ذهب .. الله فتح عليه وأكرمه .. وسمعت منه ذلك اليوم أنه انتهى من زواجه الثاني ، وغدا سيتم إثبات الطلاق قانونيا .. وأنا أعلم بحدوث الطلاق من أيام .. وعادة يشرف الطباخ عويس على مائدته بالإضافة للخادم الفلبيني فهذا الطباخ تعاقد معه السيد على إعداد طعامه من سنوات .. فهو يحضر صباحا عند التاسعة ولا علاقة له بوجبة الإفطار ..عليه وجبة الغداء للسيد وزوجته والخدم والضيوف .. فبعد أن يتفق على الطعام المطلوب مع السيد أو الزوجة الميتة قبل موتها .. فيذهب بسيارة القصر للتسوق وشراء اللحم والخضار والأغراض التي يحتاجها للطهو .. في القصر سيارتان سيارة

فخمة جدا لمشاوير السيد ..كان لديه سائق فليبيني منذ تقاعد عمليا في قصره هذا ؛ ولكنه ذهب في إجازة لبلده ولم يرجع .. قيل إنه مات.. والله أعلم .. والسيد يقود بنفسه منذ شب كما يقول .. وبينما نحن نأكل حاول عويس دفع الحاج عن التراجع عن الطلاق .. وأنها تحسب طلقة رجعية ما دامت الشهور الثلاثة لم تنقض ـ والمرأة قريبة لعويس ـ وهو الذي وفق ورتب زواجها بغفلة عن الأولاد .. لكن السيد نوفل قال : فات الأوان ، ولم تعد صالحة للزواج ، ما دام ابنها في حضنها .. وقال إن المحامي أتم الإجراءات والجلسة في التاسعة صباح الغد يا عويس .. أنا لم أدر أني تزوجت العائلة كلها .. وأنا لم أخذ حريتي في بيتي .. وسكت عويس وأوقف الشفاعة بعد سماعه رد الحاج الغاضب ..وبعد الغداء حضر المحامي وعمل جلسة مع الحاج .. والحاج عندما نشتغل عنده في بيته أكثر وقته يقضيه معنا يتابع العمل ونتحدث ويتسلى إذا لم يغادر لزيارة أو عمل .. فتركنا وجلس مع المحامي ..كما سمعت الخادم يخبره ونحن نغادر القصر قبل صلاة العصر .. كان الرجل ينصرف من عند السيد ، وعرض عليّ توصيلي في طريقه .. فأنا أعرفه شخصيا واستعان بي لأعمال خاصة به .. فاعتذرت وشكرته .. وقلت سنذهب لإحضار بعض الأشياء ، ونعود ليلا .. وأنا أغادر لمحت السيد يتحدث مع عويس ؛ لأنه هو ينصرف في الثالثة عصرا .. فهو ينتقل للعمل الليلي في فندقه .. وهو بعد وجبة الغداء ينتهي عمله .. وكان الوضع طبيعيا في القصر لم ألحظ توترات وقلقا على وجه السيد .. وبعد صلاة العشاء عدت للقصر ؛ لأني احتجت لإكمال الشغل في غرفة التدفئة .. واحتجت لأداة لأخذها في صيانه في بيت أحد الأصدقاء .. وفتح لي الخادم دانييل الفلبيني .. وذهبت بصحبته لغرفة وضع العدة والأدوات ، وقمت بعمل بسيط في الغرفة .. وأنا أغادر لمحت الحاج ينظر إلينا من إحدى نوافذ القصر فأشارت إليه محييا ، وفعل مثلي .. وكان الوضع طبيعيا أيضا يا سيدي !

ـ لم تكلمه هذه المرة .

ـ هو كان في الداخل وأنا في الخارج .. حييته برفع يدي ، وفعل مثلي .. وأغلق الخادم البوابة

ورائي ؛ ولكني قبل مغادرة المنطقة لاحظت سيارة تتقدم أمام القصر وينزل منها السيد عادل ابن السيد .. وكان متجها لبوابة القصر ولم أسلم عليه .. وهو لم يفعل أو كأنه لم يرني .. وكان الرجل رغم الليل طبيعيا يمشي كما أعرفه .. ولم أحضر المشاجرة التي علمنا بها بعد سماعنا موت الشيخ رحمه الله تعالى .

ـ هل كان أمام القصر سيارات غريبة أو لمحت أحدا يتمشى ويتجول حول القصر وجه غريب شيء قد يكون له دلالة بعد الجريمة .

ـ لم ألمح شيئا غريبا أو ملفتا للنظر .. ولم أر إلا سيارة عادل تقف أمام بوابة القصر .. لكن الرجل بعد سرقة مكتبه حدثني عن تركيب أجهزة إنذار .. فذكرت له أن شركات أمن خاصة تفعل ذلك لمراقبة القصر وربطها بالشرطة كما تفعل الشركات العامة والمتاجر .. فقال : أريد أجهزة داخل القصر فحسب . . فذكرت له أني أستطيع فعل ذلك أجهزة تحذيرية غير مربوطة بشركات حماية وأمن .. وذلك الحديث جرى بعد سرقه الحلي والخمسمائة دينار .. ووعد بتوفير الأجهزة ؛ ولكنه كان مشغولا بقضية الطلاق .

قال المحقق : في هذه الحادثة ألم يشك بأحد ؟ ألم يتهم أحدا ؟

ـ هو بشكل حازم لم يفعل كما أخبرني ، قال: ربما تكون السرقة مستقلة عن كسر الزجاج وفتح الشباك . تسأل : كيف ؟!

ـ يعني أن أحدهم سرقه ، ثم افتعل السرقة . قال: هو شك في أحدهم!

ـ شك قال لي بابن زوجته نافز ، فهو رجل فاسد .. وقال: قد يكون عادل .. فاستغربت ، وذكرت له أنه يعمل ، وله سيارات يؤجرها . فقال : صحيح هو صاحب سيارات ؛ لكنه يبذل المال على الخمر والنساء .. وهذه أول سرقة تحدث بالبيت .

ـ هذه معلومة جديدة يا حسن حديثك ممتع .

ـ لولا الجريمة ما تعرضت لذلك يا سيدي ! فأنا محب للسيد ، ومحب أن يلقى قاتله الجزاء الأوفى .. السيد في التحقيق لم يتهم أحدا ..فالاتهام ليس سهلا.

حقيقة واضحة للشرطة أن كل من يتردد على القصر يعلم أن لدى الرجل أسلحة نارية ـ وهي مرخصة قانونا من دائرة مراقبة الأسلحة ـ بحكم هوايته الصيد منذ أيام الشباب .

أحضرت السيدة هادية وابنها لمكتب التحقيق ، ولما انتهى الكاتب من كتابة اسمها وعمرها وعملها وإقامتها بعد طلاقها ، قال الضابط : كم يوما لك تاركة بيت الزوجية ؟

ـ حوالي عشرة أيام .. إن لم يكن أسبوعان .. لقد فشل السيد عويس في إصلاح ذات البين بيني وبين الحاج نوفل .. وأنا لم أستطع ردع ابني من الذهاب لقصر السيد .. تعود عليّ .. هو لم يتزوج .. فظللنا نعيش معا كل هذه السنوات ..وهو طول عمره يعتمد عليّ في الطعام والشراب واللباس والسكن ؛ فليس من السهل تخليه عن ذلك .. وهو بدون امرأة .. والرجل مصر على رفضه ، وإبعاده عني .. وهو يرفض الحياة بعيدا عني .. فوافقت على الطلاق بعد هذه الشهور من الزواج .. وسيدفع لي حقي كاملا .. وقد استلمت نصفه فعلا .. وعند جلسة المحكمة كنت سآخذ الجزء المتبقي من الحق المالي .. وهذا رتبه المحامي سليم محمود .

ـ أنت موافقة على الطلاق .

ـ حصل الطلاق .. ورمى اليمين عليّ أمام المحامي وعويس ..فماذا أفعل ؟!

ـ ماذا تفعلين ؟! كنت جاهزة للذهاب للمحكمة .

ـ حسب الاتفاق كنت جاهزة .. ورغب ولدي بالتأجيل طمعا بقرشين زيادة .. ورفض المحامي ذلك

ـ هل تعرفين الأسباب لقتل زوجك ؟

ـ كانت مفاجأة لي أن يصل العنف للقتل!

ـ ألم تلاحظي خلال شهور حياتك في بيت الرجل أي خطر يهدد حياة السيد ؟

قالت بحزم : لا ، لم ألحظ أي خطر سوى خشيتي أن يموت بسكتة أو جلطة من شدة غضبه في البداية من أبنائه ، ثم من ابني .. وكنت أنزعج من هوسه بقتل القطط التي تدخل القصر

كان لديه عقدة وكره مثير للدهشة تجاه الهررة !

ـ أتعتقدين أن الجن قتلته ؟

ـ أسمع عن حكايات كهذه .

ـ وهل هذه الحكايات يا ترى صحيحة ؟!

ـ أسمع أنا ، لم أر ..ولكنه قتل في مسدسه الذي كان يصرع به تلك القطط !

ـ كيف سنعرف أن الجن قامت بقتله كما أخبرت عويسا وغيره يا أم نافز ؟

قالت بخوف : لا أدري! كيف يقتل في حجرته وهي مغلقة ؟! ولا أحد يسمع صوت الرصاص من الخدم .. هذا أعتقد فعل الجن أو جني دفع عادلا للاعتداء عليه ويغدر به .

ـ لكنّ عادلا غادر القصر والرجل حيّا .. والرجل قتل عند الواحدة والنصف حسب تقرير الطب الشرعي أي بعد ساعة ونصف من انصرافه .. هل الخادم يحقد على السيد ؟

ترددت في الرد ، وتوقفت لحظات ، وقالت : الخادم هو رجل طيب .

ـ هل أساء له الخادم أو حاول مغازلتك ورآه الحاج أو بهدله الحاج خلال وجودك في القصر ؟

ـ الحاج نوفل طبعه الهدوء ؛ ولكنه إذا ثار وتعكر مزاجه لا يعرف أمه من أبيه .. ولم يكن بيني وبين الخادم شيئا مريبا .. ولم ألحظ أنه حاول التحرش بي أو حتى مع الخادمة التي تسكن بجواره من سنوات .. لم يكن بينهم أمر قبيح .. وأنا لم أنتبه لشيء حتى أني سألت الحاج مرة لماذا لا يتزوجان ؟ فقال : كل له زوجة وأولاد .. وأنا من اهتمام السيد .. وهي كانت تهتم بأم مفتاح .. وهي تهتم بك اليوم ..وكل واحد منهما من بلد .. هو فليبيني ، وهي من سيلان .. ولم أر بينهما أي عداوة أو اهتمام بالعلاقات الفاسدة .. فكان السيد يرى أنهما بعيدان عن الزنا والفاحشة .. وكل له حجرته .. ولكنهما يشتركان في الطعام .. وأنا نفسي خلال فترة إقامتي في القصر لم ألحظ عليهما شيئا سيئا .. وحتى يمكنني أن أقول بصراحة إن ابني حاول مرة الإساءة للمرأة فنهره الحاج بغضب وشدة وبصق عليه.. وقال محتجا : ألا يكفي السكر والعربدة الآن تريد الفحشاء في قصري يا لك من مجرم ؟ ولزمت أنا الصمت .

ـ ما كان رد فعل ابنك ؟

قالت: تمتم بكلمات غير مفهومة فحسب ، ولزم الصمت مثلي .. ولم يرد على الحاج .. فهو يعلم كم بغض الحاج له .. وبعدها لم يحاول نافز الكلام مع الخادم ولا الخادمة .. وإذا احتاج لشيء إما أن أقدمه أنا أو الخادم أما المرأة فلم تعد تقدم له شيئا .

ـ الآن توقف موضوع الطلاق .

ـ لا أدري كيف ستسير القضية !

قال : الآن سترثين ثروة كبيرة .

ـ يقول المحامي إنني اعتبر مطلقة شرعا .. ولو مات موتة طبيعية ؛ ربما ورثت ما دمت في العدة وعلمت منه أنه كتب الكثير من ثروته للجمعيات والنوادي ونادي الصيد العضو فيه ومؤسسات أيتام .. ولا أدري هل عدل الوصية بعد تصالحه مع أبنائه أم لا ؟!

ـ هناك القصور والعمارات والإيجارات والشركات .. الثروة كبيرة .. أنت تعيلين ابنك ..هل سيتزوج ابنك مما حصلت عليه من السيد ؟

ـ أنا لم أستطع التوفيق بين الزوج والابن ..وحاولنا تزويجه .. وعرض السيد المساعدة ؛ لكنه معقد من جهة النساء كما يقول .. وابني تعرض لحادث سير ؛ ربما أثر عليه عقليا .. فقد تأثر دماغه .

ـ ستتحدث معه بعد قليل .. هناك شخص سعى لمنع الطلاق في المحكمة !

ـ لا أدري إن كان ذلك صحيحا!

ـ ألا تشكين في ابنك ؟!

قالت بدهشة مصطنعة : ابني يقتل السيد ! ولماذا ؟!

ـ ظن أن الطلاق ما دام لم يسجل في المحكمة بأنك سترثين ويذهب إليه .

قالت : ابني فاسد ، يسكر ، يتعاطى المخدرات، يزني.. أما أن يقتل فهذا ظن ووهم ..لا أعتقد فهذا يحتاج لقلب مجرم .

ـ هو أحد المشتبه بهم .. فعادل نوفل يستفيد من موت أبيه بحل مشاكله المالية وابنك يستفيد مما ترثين .

ـ قلت أنا لا أرث

ـ سوف ترثين .. مات وأنت في العدة ..والطلاق لم يسجل في محكمة الطلاق .. ابنك مشتبه به ولم نقل أنه القاتل .. هناك فرق يا سيدة هادية!

ولما خرجت من غرفة التحقيق أدخل السيد نافز ، وعرف عن نفسه وعمره واستأذن بتدخين سيجارة فسمح له ، وطلب له فنجان قهوة وكأس ماء .. ولما انتهى من القهوة والتدخين . قال له المحقق : أتعرف شيئا عن الجريمة ؟

وبدون تردد وبصوت حاد أجاب : لا!

ـ أنت كنت تتشاجر مع السيد نوفل كثيرا خلال مدة زواج أمك منه!

ـ باللسان فقط .. لم أرفع يدي عليه ، ولم أهدده .. فهو كنز بالنسبة لي .. فحياته تهمني .. وأنا لا أحقد عليه .. كان يكره كثرة زيارتي لأمي .. كان يكره ذلك ؛ بل يكره زيارة أختي وأقاربنا لها .. وأنا لم أتعود على فراقها.

ـ السيارة هذه لك . يشير إلى السيارة التي حضر بها لمكتب التحقيق .

قال : اشتريتها قبل شهر عندما طرد السيد أمي وأراد تطليقها أول مرة .. عادت للحياة في بيتنا فأعطتني المال واشتريتها .. الرجل لم يكن يبخل عليها بالمال بسبب ضعفه الجنسي ؛ لتبقى معه

ـ أتعرف حجرة نوم السيد ؟

ـ طبعا أعرفها ، ودخلتها أكثر من مرة لأحضر شيئا لأمي أو أخذ من مالها .. وجالست أمي فيها عندما يكون الحاج خارج القصر.

ـ أتعرف مكتب الحاج في القصر ؟

ـ أعرف كل القصر حتى الغرف الأرضية دخلتها .. لي أكثر من سنة أعيش معهم .. أنا لا عمل لي يا سيدي.. تعرضت لحادث سبب لي إعاقة عقلية .. أما أن أقتل الدجاجة التي تبيض

ذهبا فلا يمكن فعل ذلك .. ورغم طلاقه لأمي نحن كسبنا منه الكثير من المال .. فلسنا بحاجة لقتله.

ـ ربما بموته قد ترث أمك مالا .

ـ أنا لم أقتل ..وكيف سترث وهي مطلقة وأخذت حقها ؟! وستأخذ المزيد عند إعلان الطلاق رسميا .. أمي تشتغل وتنفق عليّ منذ الحادث .. وأنا أضطر أن أمكث أياما طريح الفراش بسبب المرض والحادث .

ـ ليلة الحادث لم تقترب من القصر .

تردد لحظات وقال : ولماذا أقرب القصر ؟! كان الأمور مرتبة في الصباح أمام المحكمة .

ـ هل تعلم أن السيد كان يشك بأنك سرقت مالا من مكتبه ؟

قال باستغراب : يشك فيّ! ولماذا يشك فيّ ؟!.. أأفتح مكتبه لسرقة خمسمائة دينار ؟

ـ هكذا تحدث الحاج لأحد الناس .

ـ أنا لم أسرق ..أنا آخذ من أمي المبلغ وأعتمد عليها ..ولم أقتله يا حضرة الشرطي كان وقحا ويكرهني .

ـ لقد لاحظ أنك كنت تغازل الخادمة !

ـ فعلت ذلك مرة وأنا سكران .. وبهدلني ، وتكلم يومها بكلام سيّء لولا أن من طبعي التحمل لأسأت له .. كنت أخشى طلاق أمي .. ولم يكن مضى على زواجها سوى شهرين .. ولم أتكلم مع الخادمة بعدها نهائيا .

قال الضابط وهو يقف : حسنا يا نافز ! أنت مشتبه بك لحتى الآن .. وممنوع من السفر خارج البلاد ..وإذا غيرت سكنك عليك أن تخبرنا حتى نغلق القضية .. وإذا عندك ملاحظة شيء لاحظته رأيته عليك أن تخبر به تحت طائلة المسؤولية .

ـ لا لم ألحظ شيئا ، ولم أسمع شيئا يفيد التحقيق .. وأنا ماكث في المدينة حتى ينتهي التحقيق .

قال عويس للمحقق : أنا كما أخبرتك عند لقائنا في القصر يبدأ عملي حسب الاتفاق مع السيد في التاسعة صباحا ، وينتهي في الثالثة ظهرا ..وأي تأخير يكون بثمن ؛ لأنني ليلا أعمل في الفندق طاهيا .. ومهمتي كما شرحتها سابقا الإشراف على وجبة الغداء بعد إعدادها وتجهيزها .. وأحضر وجبة العشاء ، ويقوم على خدمة السيد الخادمان العاملان في القصر .. فاليوم السابق للجريمة لم ألحظ شيئا غريبا أو مختلفا عن الأيام السابقة .. كان اليوم كسائر الأيام رتيبا .. لم يكن هناك سوى الاهتمام بموعد إشهار الطلاق رسميا .. فالرجل صمم على الطلاق بشكل نهائي ، واستلمت السيدة بعض حقها .. وهي تعرضت لأكثر من طلاق خلال الشهور بسبب ابنها .. فكان المحامي يرى أن هذا طلاق لا رجعة فيه ؛ ولكن لم تسجل أي طلقة سابقة رسميا .. فقال لي بعض المحامين : إنها لا تحسب ، ويمكن عودتها إليه .. وحاولت ؛ ولكنه رفض ، واعتبر نفسه متزوجا العائلة .. وسبب اهتمامي بالأمر يا سيدي المحقق ؛ لأن المرأة تمت لي بطرف قرابة .. وأنا الذي أقنعتها بالزواج من الحاج نوفل .. وقلت لها صراحة : المال سيعوضها عن الحياة الجنسية .. فأنا أعرف الحاج ، لي خمس سنوات أعمل معه .. وقبلت أمام إغراء المال .. وهو منذ ترمل أخذ يتحدث عن الزواج ؛ ولكن أولاده كلهم رفضوا زواجه قبل مرور سنة على وفاة أمهم .. وهو أصر ، ونفذ رغبته .. وخاصموه بضعة أشهر ، ثم رضوا بالأمر الواقع ، وإن بقي بينهم الجفاء ، خاصة البنات أنا أعرف الأم هادية أكثر من ابنها نافز .. كان مزعجا للحاج وثقيل الدم كما يقال وسيئا .. ولم يكن يهتم لطلاق أمه ..إنه يريد ذلك .. يريد المال الذي ستأخذه من الحاج بسبب الطلاق .. وقد يكون سبب ذلك الحادث الذي أثر على رأسه وعقله .. وكان لا يستحي من الجلوس على مائدة الحاج .. ويأكل معهما .. وحاولت أن أجعله أن يأكل معي في المطبخ ، فلم يبال ؛ بل أصر على مشاركة أمه المائدة .. المهم طفح الكيل .. ولما تصالح الحاج مع أبنائه قوي عزمه على التخلص من نافز .. ولما عجز أراد التخلص من الجميع .. سعيت باستمرار للإصلاح بينهم ؛ ولكني لم

أسمعه يهدد السيد بقتل ولا غيره .. مرات يضطر للرد على شتائم الحاج ، وأكثر المرات يسمع ولا يهتم ..والسيد عادل أعرفه كابن للحاج من زمن .. وهو لا يأتي القصر عادة إلا لطلب المال .. ولم أره تلك الليلة ؛ لأني أفارق القصر قبل دخول الليل ؛ ولكني سمعت بمشاجرته مع أبيه .. وهي لم تكن الأولى .

ـ إذن أنت لا تستطيع أن تشتبه بأحد !

قال بقوة : طبعا لا أستطيع يا سيدي ! صحيح أن عادلا كان سيئا مع الوالد ؛ ولكنه كان كما يقول يحتمله من أجل أمه زوجته المرحومة .. وليس بالضرورة أن ينجح كل أبناء الرجل ، لابد من خائب بينهم .. وهو يعتمد على أبيه في تدبير معيشته .. ونافز سيّء ، وأمه ضعيفة أمامه .. أما القتل فلا أعتقد أن يفعله أحدهما قد تكون نظرات نافز للسيد أثناء سبه وشتمه حادة وحاقدة ؛ لكن القتل لا أعتقد .. ربما تمتم بكلمات مبهمة غير واضحة ؛ لكن لا تهديد فيها.

شكره الضابط ، وقال : إذا ذكرت موقفا قديما حديثا يفيد التحقيق لا تبخل به علينا .. هذه جريمة قتل لا مزح فيها.

وبينما الضابط ينهي التحقيق مع عويس رن الهاتف في المكتب فتوقف عن الكلام مع عويس وقال : نعم ، حادث سير ! وما لنا نحن فيه يا ملازم عماد ! آه الضحية امرأة الحاج نوفل السيدة هادية عبدو .. كانت تقطع الشارع وصدمتها سيارة ، ولاذت بالفرار .. هي في المستشفى .. فعلا قد يكون الحادث حادثا متعمدا .. هل تعرف شيئا عن القاتل وأراد التخلص منها ؟ إنها لم تتكلم ضد أحد يا ملازم عماد .. سأبعث إيادا إلى المستشفى، اهتموا بالموضوع والحماية ، سنتابع تحقيق الحادث.. هي ما زالت حية شكرًا لك يا ملازم عماد ، لو كان المحاولة بغير السيارة ؛ ربما كانت موضع شبهة .. لو قتل الرجل سما ؛ لكانت مشتبها به وكانت في بيتها عند تعرض السيد للقتل .. لم تكن في بيتها كانت عند ابنتها .. على كل تابع موضوعها .. فابنها مشتبه به كما ابنه مشتبه به .

وضع السماعة وقال لعويس الذي كان ينتظر الإذن بالانصراف : قريبتك هادية صدمتها سيارة كادت تؤدي بحياتها يا عويس ! وذلك قبل ساعات ، والسيارة لاذت بالفرار ، لم تتوقف لإسعافها .

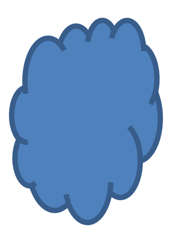
ـ لا إله إلا الله .. مسكينة السيدة هادية!

ـ كانت في إحدى العيادات ..وهي تقطع الشارع صدمتها سيارة دون أن تتوقف .. وهي بين الحياة والموت .

ـ أتظن يا سيدي أن الحادث متعمد ؟!

ـ في مثل هكذا ظرف يوجد مثل هذا الاحتمال .. القاتل ما زال طليقا يا عويس .. وابنها يسوق سيارة اشترتها له من قريب .. وهو الوارث لها يا عويس ، ويمكنه سرقة مفاتيح بيت السيد دون علم أحد .. وبصماته موجودة في القصر ؛ لعل السيدة تعرف شيئا عن المجرم .

ـ أنا حاولت الإصلاح بينهم لآخر دقيقة ؛ ولكنه قال انتهى الأمر ، وستأخذ حقها وزيادة يا عويس .. أنا لا أنسى مساعدتك لي في الزواج .. فلذت بالصمت إلى فرصة أخرى .. وها هو قتل قبل مجيء الفرصة الأخرى .



ظل الملازم عماد يتابع حالة السيدة هادية المصابة بحالة دهس ، وعلم أنها بعد مغادرتها العيادة الخاصة التي تتابع فيها العلاج من سنوات في شارع محمد فهمي .. وبينما هي تقطع الشارع إلى الجهة الأخرى فاجأتها سيارة صغيرة صالون بقوة كما أخبر شهود العيان ، واستمر السائق في الهرب ، لم يتوقف للحظة .. واتصل المارة بسيارة الإسعاف ، ولم يتمكن أحد من التقاط رقم السيارة ، وتمكن أحد الشهود من تحديد لون السيارة والماركة العالمية .. وهذا لا يساعد على إلقاء القبض على السائق الهارب إلا بعد معرفة رقم السيارة .. فالرقم هو يسهل عملية

القبض على السائق أو مالك السيارة ؛ لأنه مميز ، ولا يملكه أحد آخر ، بخلاف النوع واللون وبينما المرأة تعاني وتحتضر أخبرت الطبيب المشرف على حالتها أنها ليلة وفاة السيد نوفل بكر كانت في القصر . وسمع ذلك طاقم التمريض ،ولم يدركوا مغزى هذه الرسالة ، ولفظت المرأة أنفاسها ،وهم يعجبون من كلام المرأة الأخير ، فقد كانت الضربة عنيفة أودت بحياتها بعد انتهاء الأجل المقدر لها من عند الله .

نقل الكلام للضابط المتابع لحالتها ومنه لحمزة الذي استغرب منه ، ولكنه شرح للضابط عماد مختصر جريمة قتل السيد نوفل ، وأن هذه زوجته ؛ لكنها في حالة طلاق ؛ ولذلك قال لعماد : ألم تقل شيئا عن لقائها بالحاج نوفل ؟ ومتى كانت في القصر ؟

قال عماد : أنا نقلت لك كل ما قالته أمام الطبيب والممرضات .. وسأعاود الحديث مع الفريق

ـ لا تفعل .. سأقوم بلقائك ، ونتحدث معهم سوية.. يبدو أنها قتلت عمدا يا ملازم عماد !

ـ ومعها جهاز خلوي تم التحريز عليه .

ـ جيد قد يساعدنا كشف الاتصالات بالتحقيق في الحادثين .. فالرجل قتل منذ عشرة أيام .. وهي سترث عنه المال الكثير لو عاشت أفهنا صار لدينا مشتبه به مهم وهو ابنها .

لما عرف حمزة رقم السيدة من الطباخ عويس طلب من شركة الاتصالات المتعاقدة معها كشف بمكالمتها في الشهر الأخير لحتى وفاتها .

ولما انتهى دفنها والعزاء المعتاد في المدينة أحضر ابنها للتحقيق في ملابسات وفاة أمه هادية ، فسأله : ألم تكن مع أمك يوم الحادث ؟

ـ أنا أوصلتها إلى العيادة ، ووجدت عددا من الناس في العيادة ، فقلت لها : سأجلس في أحد المقاهي ساعة من الزمن .. وإذا أنهت العيادة قبل ذلك تتصل بي وتنتظرني على الشارع المقابل للعيادة حيث اتجاه طريقنا .. ولما أنهت العلاج عند الطبية نوال فتحي لم تتصل بي .. ولما أنهيت اللعب ، غادرت ، ثم علمت لما دخلت العيادة أنها تعرضت لحادث سير وهي تقطع الشارع إلى الجهة المقابلة ، ونقلت للمستشفى ، فاتصلت على رقمها ، فلم يجب ، وتحدثت مع أختي ،

فذكرت أن الشرطة اتصلت بها تبلغها بالحادث ، وأنها تجلس في المستشفى ، والأم في غرفة العمليات، ووضعها حرج وصعب، فمشيت إلى المستشفى الموجودة فيه .. تابعت الوضع ، واستمعت لنعيمة ، ونزلت كافتيريا المستشفى وشربت قهوة ، ودخنت وصعدت ثانية .. فأخبرت أنها تنازع وتحتضر ، ثم توفاها الله تعالى ، فأخذنا بالبكاء والنحيب ..كان موتها صعبا على روحي .

ولما خفت موجة البكاء أمام الضابط ، قال : رحم الله الفقيدة يا نافز ! لكنها قالت أمك وهي تحتضر إنها ليلة مقتل زوجها الحاج نوفل كانت في القصر ماذا تقصد بذلك ؟

حدق الشاب بالضابط للحظات وقال : أمي قالت ذلك !

ـ نعم ، قالت للطبيب والممرضات .. وأنتم أنكرتم ذلك أثناء الاستجواب !

ـ أنا لا أعلم بهذا اللقاء يا سيدي .. نحن قبل وفاته بأيام ونحن نعيش بعيدون عن قصره .. عدنا لبيتنا ، وكنا ننتظر الصباح للذهاب للمحكمة ، وتسجيل الطلاق رسميا ، واستلام باقي المال الذي اتفقنا عليه من أجل إنهاء هذا الزواج .

ـ هذا علمناه .. والكل ينتظر توقيع الأوراق .

ـ نحن اتفقنا مع المحامي على إكمال الطلاق .. ولا أدري كيف كانت أمي تلك الليلة عند الرجل ؟!

ـ هل ذهبت وحدها دونك ؟!

ـ تذكرت .. ليلتها لم تنم معي في البيت ، ذهبت للمبيت عند نعيمة .. أخذتها إلى هناك .. وهبطت إلى المدينة للسهر والشراب .. وعدت للبيت مع الفجر .

ـ ستتطلب نعيمة وزوجها للشهادة على ما تقول .. وسجل الهاتف هاتف أمك طبعا يثبت لنا أنها أجرت مكالمة مع رقم السيد نوفل الساعة الثانية إلا ربع ليلا ليلة الحادث .

قال بثقة : الجواب عند نعيمة ؛ وليس عندي .. ولماذا تذهب له في مثل هذا الوقت ؟ ! وهم متفقون على الطلاق عند التاسعة صباحا.

ـ ربما أرادت الصلح وإلغاء الطلاق .

قال متشككا بهذا المقصد : لا أعتقد ذلك سيدي!

أكدت نعيمة صحة الاتصال ، وأخبرت أن أمها لم تعرف النوم تلك الليلة ، واتصلت بالحاج ، فطلب منها المجيء للقصر تلك الساعة للتفاهم ، وقام زوج نعيمة بتوصيلها للقصر على مضض ، والحاج نفسه فتح لها البوابة ، وبقي زوجها في سيارته ، ولما رجعت بعد ربع ساعة أو أقل قالت لزوجي : قد يلغي الحاج الطلاق . فقال لها : والاتفاق مع المحامي . فقالت : المهم أن يبتعد نافز عن القصر ، وعادوا لبيتي حوالي الثانية والنصف .

فقال الضابط : كان الرجل حيا عند الثانية .

ـ على كلام أمي كان حيّا

ـ على كلام أمك .. لماذا قالت ذلك عند الموت ؟!ولم تخبر بذلك أثناء الاستجواب

ـ لا أدري ؛ ربما الصدمة بالحادث ، وخشية الاتهام بالجريمة .. وأنا قلت ما قاله زوجي .. نحن فوجئنا بالجريمة .

وطلب الضابط زوج نعيمة للتحقيق ، وأمر بتتبع خطوات نافز ليلة الجريمة .



تغيرت الأمور بقضية مقتل نوفل بموت مطلقته دهسا أمام عيادة تتردد عليها قبل زواجها ، وتبين للضابط أنها كتمت أمر الزيارة الليلة خشية تورطها في مقتله ، وتوريط زوج ابنتها، وظهر أن له مصلحة في مقتل نوفل بالإرث الذي سيعود إليها قبل إتمام الطلاق رسميا ولموته قبل انتهاء العدة ، فأصبح أحد المشتبه بهم ، وتغير وقت ارتكاب الجريمة .. والطبيب الشرعي حدد عددا من الساعات ، ولم يحدد الوقت بالضبط .. فانتقل حمزة المحقق لقصر السيد لإعادة الحديث مع الخادمين .

وكان السيد مفتاح قد أنهى خدمات عويس الطاهي ، وأبقى الخادمين ريثما ينتهي التحقيق وتوزع التركات ، وإما أن يصرفهم أو ينقلهم لأماكن أخرى ، فلما قابل المحقق الخادم قال :

ذكرت ليلة الجريمة أن السيد دخل غرفته غاضبا من ابنه عادل .. وكان ذلك بعد إغلاق البوابة وراءه .. وباب القصر الرئيسي .. وطلب كوبا من الحليب الدافئ صح هذا .

ـ أجل يا سيدي! هذا ما حدث ، وكان ذلك بعد منتصف الليل بقليل .. وصعدت بالكوب السيدة .. وقبل أن أنام قمت بجولة على الأبواب الأخرى للقصر والنوافذ ، وشربت الشاي ، ورقدت، ثم استغرقت في النوم .

ـ نعم ، واستيقظت فجأة على صوت ، وظننت أن السيد قرع الجرس .. وتبين لك أنه لم يرن ، وفتحت باب الغرفة ، ومكثت دقيقة أو أكثر تتنصت ، ولم تخرج ، وعدت للنوم .. هل استيقاظك هذا طبيعيا أم بسبب شيء ؟

ـ استيقظت فجأة .. ولم أحدد السبب .. ظننت الجرس ، ثم توهمت ذلك .. وظننت أنني كنت أحلم .

ـ ألا تعتقد أنه جرس البوابة الخارجية ؟ ـ لا .

ـ كم مكثت على الباب ؟

ـ قد تكون دقيقة أو أقل .. كان المكان هادئا يا سيدي .

ـ هل نمت من جديد ؟

ـ نعم ، تقلبت بضع دقائق ، وغرقت في النوم ، ولم أستيقظ إلا بعد آذان الفجر

ـ أنظرت إلى الساعة عندما استيقظت ؟

ـ لم أنظر إليها ..وأنا جاهز للاستيقاظ عند رن الجرس .. فالسيد سنه كبيرة ومعرض لخطر صحي مفاجئ .. ومرات كما أخبرتك أن السيد يترك غرفته ويتمشى خارج القصر من البابين الأخريين صيفا شتاء .. يتدثر بمعطف خاص ويتمشى في المطر حول ممرات القصر والبستان ولكن تلك الليلة لم أشعر به يفعل ذلك .. فهو يتعمد لبس خف خاص حتى لا يزعج النائمين خاصة امرأته أم مفتاح ، فهي تتضايق من خروجه في الليل بعد دخولها غرفة النوم ؛ لكنه تعود على ذلك كما أسمعه يبرر فعلته .

ـ اذهب واستدعي السيدة .

جاءت السيدة ، ولما جلست قالت : نعم سيدي!

ـ عندما استيقظت تلك الليلة ، وفتحت الباب لمحت الخادم خارج الباب .

قالت بتوتر ظاهر :لمحت رأسه يا سيدي !ولا أعلم هل كان داخلا أم يريد الخروج ؟! وسمعت الباب يقفل .. وكنت قد استيقظت فزعة على صوت صرخة مكتومة فظننت أني أحلم لم أكد أنام عندما استيقظت مرعوبة .. وفتحت الباب فلمحت رأس السيد .

ـ نحن علمنا أن السيد نوفلا حوالي الواحدة والنصف قد استقبل زوجته هادية وفتح البوابة الرئيسة وباب القصر ودخلت معه غرفة النوم أو المكتب ، ثم غادرت ألم تشعري بذلك ؟!

ـ لا ، كنت نائمة، وكثيرا ما يخرج السيد يتمشى في الليل في حدائق القصر وممراته الخارجية .. نحن نلبي النداء عند الاستدعاء .. هكذا الأوامر يا سيدي .. استيقظت على الصوت ، وظننته مناما .. ولما اكتشفت الجريمة تيقنت أنها صرخة من السيد كانت صرخة الموت .. ولما أغلق السيد دانييل بابه فعلت مثله ، مع أني استغربت من استيقاظه في نفس استيقاظي .. أغلقت بابي بالمفتاح كما أمرني السيد منذ حادث السيد نافز خشية تسلله إلى غرفتي .. فهو سيد شرير !

ـ هل أساء لك الخادم يوما ؟

ـ لا ؛ ولكنه رجل، وهو متزوج .. هو صديق جيد ملتزم حدوده .

قال الضابط المحقق لزوج نعيمة: ما عندك ؟

ـ يا سيدي الضابط بعد صلاة العشاء عدت للبيت ، فوجدت حماتي عندنا .. وهذا أمر معتادون عليه قبل زواجها ، وبعد زواجها من السيد الكبير .. تعشينا معها ، وكان ابنها الفاسد قد تركها ، وذهب لخماراته وملاهيه كعادته.. سهرنا لنصف الليل ، وتحدثنا عن الطلاق .. وكنت نصحتها منذ زمن بالتمسك بالسيد إذا لم يكن من أجله من أجل ثروته بعد موته .. سترث الكثير .. كنت مغريا لها بالصبر والبقاء ، وأن عليها تزويج ابنها لتخلص من

مضايقته لها .. وبعد نصف الليل اتصلت به وفتح الرجل هاتفه .. ثم طلبت مني أن أذهب بها إلى لقاء السيد ..وأنا كنت أحب لها الصلح وإلغاء الطلاق كما حصل في مرات سابقة .. وقد ناقشت ذلك مع المحامي ومع ابنها اللعين .. وكان المشكل هو نافز إذا ابتعد عنها حلت القضية .. وافق الحاج على الصلح إذا تعهد نافز بالبعد عن أمه والقصر ، فرفض ؛ ولكنه قال : أجرب الزواج .. ولما سمع الحاج موافقة الشاب على الزواج قبل على مقابلة السيدة حماتي فوصلنا إلى بوابة القصر .. وكان الحاج في انتظارها ، فبقيت في السيارة ، ونزلت ودخلت القصر مع السيد ، وغابت ربع ساعة على الأكثر ، ثم غادرت البوابة . وقالت وهي تجلس بجواري : ستسجل طلقة واحدة أمام القاضي ، وسيعطيني فرصة جديدة . وعدنا للبيت ، وفي الصباح جاء الخبر الصاعق بهاتف من المحامي ، وأخذنا نتابع التحقيق ، ومن الذي أجرم بحق السيد الكبير ، وغدر به .. ونحن ابتعدنا عن القصر بعد الثانية ليلا بدقائق .

ـ إذن القتل حدث بعد مغادرتكم ؛ لأن الطب الشرعي حدد الوفاة بين الواحدة والثالثة صباحا .. والرجل كان حيّا بعد الثانية بناء على كلامك .

ـ نعم ، وأقسم على ذلك إنه كان حيّا قبل الثانية بربع ساعة أو ثلثها ..خرجت السيدة ، ولم أشاهده يغلق البوابة خلفها ؛ ربما بعد ابتعادنا فعل ذلك.



عقد الضابط حمزة وفريق التحقيق جلسة في دائرة الشرطة بحضور وكيل الادعاء المكلف بمتابعة القضية والحق العام وقال: ما الدافع لهذه الجريمة ؟

قال حمزة : الدافع الواضح للعيان المال .. عادل يريد المال .. وأكثر الإخوة بحاجة للمال .. ونافز يريد المال .. وهذا بئر نفط لا يجب أن يغلق .. فهذا كنز بالنسبة له إذا ورثه عن أمه التي تعتبر زوجة ، وهي في العدة .. وهناك نعيمة وزوجها يستفيدون من الكنز .. والرجل كان يدفع ليعوض عن ضعفه الجنسي وشيخوخته .. والذهب والمال له بريق عند النساء كما هو معلوم .. والشاب ابنها من أجشع الناس ،وخاصة أنه عطيل لا يحب العمل ..وبموت أمه سيرث الكثير من الثروة .

ـ وهل يقتل أمه ؟

ـ يبدو لي أن أمه تعرف شيئا خطيرا ومهما ، وخشي أن تضعف ؛ وربما اعترف لها بقتل السيد أو التآمر على قتله ، ثم ندم على اعترافه ، وإلا كيف عرفت السيارة الداعسة أن السيدة في العيادة ذلك الوقت ؟! وقد عرف أن أمه تركت الحاج حيّا ؛ لأنهم في التحقيق الابتدائي كانوا يسهرون عند نعيمة أخته ، ثم تبين لنا أنه أوصل أمه وذهب للسهر واللهو .. لكن الذي يحيرني أيها السادة ضعف شخصيته ، بدا لي ضعيفا منهوك القوى ، لا يستطيع القتل والتخطيط لجريمة كهذه .. القتل يحتاج لقوة وشجاعة .. كدخول البيت والتسلل للطابق العلوي وإطلاق النار .. شخصية نافز ضعيفة متوترة قلقة كيف رأيتموه أنتم؟!

قال الملازم : كان مرعوبا أثناء الاستجواب .. يحاول التظاهر بالشجاعة وعدم الخوف واللامبالاة

قال الوكيل: وهكذا رأيته أنا .. يحاول التظاهر بالقوة وتماسك الأعصاب .. فالإقدام على جريمة مدبرة يحتاج لجرأة وقوة قلب لينجح .. هو لم يكن في موقف دفاع عن النفس ليقتل .. وسرقة مسدس تحتاج لشجاعة كذلك.

قال حمزة : أله شريك ؟

ـ لن يضع نفسه تحت رحمة شخص كهذا .

ـ لماذا التزمت الأم الصمت عن تلك الزيارة ؟! واعترفت وهي تموت أنها قابلت أو زارت الحاج تلك الليلة .. وسجلات النقال الذي تملكه تؤكد اتصالها برقم السيد في الليل .. فالقاتل إذا كانت مقتولة ألا يعلم أن لديها خلويا ؟ ولماذا سرقت شريحة خلوي السيد ؟ هل القاتل اتصل بالسيد قبل مقتله ؟ وفتح له الباب بناء على اتصال خاص ؛ لكنه يستطيع الاتصال بشريحة غير موثقة " استعمل وارم " كانت الشرطة تنظر للحادث كحادث سير اعتيادي .. فهي بذلك تقول إنها قتلت عمدا .. ومن القاتل للسيد نوفل ؟

ـ هل لدينا مشتبهون غيرهما ؟

ـ السيد عادل المشتبه الأول أدلة غيابه عن مسرح الحادث قوية ، فأهل البيت يشهدون على عودته قبل الثانية للبيت ، ولم يخرج حتى تلقى خبر الجريمة صباحا من مفتاح .. كان في المنزل فليس أمامنا إلا نافز .. كيف ارتكبت الجريمة ؟ هذا ما زال ضبابيا .. لم يره أحد منذ غادر القصر يعود للقصر أو يحوم حوله .. المرأة شهدت أن الرجل كان حيّا في الثانية صباحا .. رفاق المقهى يذكرون أنهم غادروا المقهى منذ منتصف الليل ، وزاروا الخمارة .. وعند الصبح وصل بيت شقيقته .. وكان في حالة سكر معتادة كما قال زوج أخته .. والخمار شهد أنه شرب خمرا في خماراته كما تعود على ذلك .. والقتل حدث بعد الثانية ليلا بناء على كلام المرأة وزوج ابنتها .. هل ذهب سكرانا ليقتل السيد ؟ هل يملك مفاتيح الأبواب بحكم تواجده في القصر ؟ هل قالت المرأة تلك الرسالة لتدافع عن ابنها ؟ لأنها تشك فيه .. تريد أن تقول أن ابنها بريء .. وأنه مات بعد الثانية .. تحرينا عن كل أولاده .. ولم يتكلم أحدهم بشيء يفيد التحقيق ..وهم يعتمدون ماليا على أنفسهم ما عدا عادل .

ـ ولا دليل ضده لحتى الآن .. ووقت الجريمة كان يغط في النوم كما يزعم الشهود

كلما تعمق تفكير المحقق في الجريمة ووقتها وجد في وجهه السيد نافزا ابن القتيلة إذا كانت

مقتولة عمدا .. وهو أكثر الناس فائدة مادية من الجريمة الأولى والثانية .. ولكنه كان بعيدا عن مسرح الحادث في الجريمة الأولى .. ولم يكن في القصر تلك الليلة إلا إذا كان الشهود كاذبين ومزورين .

قال الضابط لنافر : اسمع أيها الشاب هل ترى أن دعس أمك كان متعمدا ؟

ـ فكرت بذلك كثيرا يا سيدي .. لو كان الدهس متعمدا كيف عرف الجاني العيادة وموعدها وخروجها ، وإنها ستقف على الرصيف المقابل لعمارة العيادة إلا إذا شككتم بي ؟

حدق فيه الضابط المحقق في جريمة نوفل وقال : أنت أكثر الناس شبهة يا سيد ؛ ولكن شهودك ليلة الحادث رفعوا عنك الاشتباه .. فأنت بين الواحدة والثالثة لم تكن على مسرح الحادث .. فقد كنت في الحانة ومع الشلة إلا إذا ثبت تواطؤهم معك .. فنحن نتحرى عنهم ، وعن صاحب الحانة .. هل ترى أن زيارة أمك لزوجها تلك الليلة أنها أوقفت الطلاق ؟

قال : السيد نوفل متردد في الطلاق ، رمى عليها عشرات أيمان الطلاق خلال تلك السنة ؛ لكنها لم توثق في المحكمة .. كان الاتفاق إنهاء الحياة الزوجية بينهما .. وتم الاتفاق على ذلك ، وقبضت أمي مبلغا للموافقة على الانفصال .. والسيد عويس قريبنا طباخ السيد وسبب هذه الزيجة كان يتوسط بيننا دائما ، ويصلح بيننا باستمرار .. وكاد السيد أن يلين في المرة الأخيرة ؛ ولكن كانت عقدته أنا أن أخرج من حياتهم .. وكانت هناك فكرة أن أتزوج لأبتعد عن حياة أمي ؛ ولكن زواجي عير مضمون النجاح .. والبعد عن أمي قد يفشل زواجي ، وقد أستمر في التردد عليهم .. فكان الخلاص هو الطلاق ، وأخذ مبلغ من المال تعويضا غير الحقوق المقررة في عقد الزواج .. أما لماذا اتصلت أمي بالسيد تلك الليلة وذهبت للقصر بصحبة زوج نعيمة ؟ فلا علم لي بذلك الترتيب إلا بعد إعلان وفاة السيد غدرا .. وبعد الحادث بأيام .. وهل اتفقا على الصلح كما أخبر زوج أختي لست أدري ..لا أدري الحقيقة .. لم أشاور في ذلك .. لكن السيد عويس كان يبذل الجهد لعودة المياه لمجاريها لآخر الوقت .. والرجل يعرف طبيعة ونفسية الحاج حتى أنه قال مرة : يا هادية الرجل محترم وجواد وإذا أصر على طلاقة سأتزوجك

على زوجتي

قال الضابط : عويس قال لها ذلك .

ـ عندما يغضب السيد يتدخل للإصلاح ؛لأنه السبب في زواجها منه وتعرفنا على السيد نوفل.. وهو الذي أقنعها به زوجا رغم كبر سنه .. وقد استفاد منه بقرشين مال ؛ لأن أولاد السيد الستة رفضوا زواجه قبل مضي سنة على وفاة أمهم ؛ لكن الحاج لم يطق الوحدة منذ دفن السيدة زوجته ، وهدد وتوعد ، ولم يعره الأبناء أهمية ؛ فكان السيد عويس البطل .. والسيد لا يصلح للنساء فهو ضعيف القوة الجنسية .. فلجأ للأدوية والعقاقير دون فائدة .. فلذلك لجأ للمشاكل معي والتحجج بي للتخلص من زواجه .. وأنا كنت معهم من أول أيام الزواج .. وحاول عويس إبعادي عنها لفترة .. وتدخل عويس المستمر أخرّ الطلاق قانونيا ورسميا.. وكما تعلم طلع الفجر على مقتل السيد ، فلم يكمل الطلاق قانونا ، ولم نقبض باقي المبلغ المتفق عليه بيننا ..وبعضهم يقول إننا سنرث في هذه الحالة قصدي أمي ..وأنا وأمي واحد .. ولم يكتمل الطلاق بسبب موته.. وبعضهم يقول حتى لو وقع الطلاق شرعا فهي في العدة ، وسترث حصتها الشرعية .. وهذا امر سيقرره المحامون ..وأنا لا دخل لي في حادث دعس أمي ـ رحمها الله ـ يا سيدي

قال : العجب أن الناس شاهدت الحادث ، ولم يحاول أحدهم أخذ رقم السيارة !

ـ هو كان يسير مثل الصاروخ ، هو لم يتوقف ؛كأنه دعس فرخة!

ـ لكنه سيقع ، نحن عرفنا نوع السيارة ولونها ..وعممنا على جميع محطات الصيانة أوصاف السيارة وماركتها العالمية ؛ لأننا إذا قبضنا عليه سنعاقب كل محطة غطت عليه ، وغسل السيارة عندها ، وعليها أن تتحمل المسؤولية ؛ بل أخبرك أن بعض المحطات أخبرت بذلك ، ولم يكتمل التحقيق بعد .. سيقع السائق ، ويعاقب على هربه وجريمته .

أسفرت تحريات وتعقبات الشرطة إلى الوصول للسيارة التي قضت على حياة السيدة هادية في شارع العيادة التي تتردد عليها من سنوات شارع ديك الجن ؛ وذلك عن طريق إحدى محطات التصليح والصيانة .. واعترف السائق أن سيارته تعرضت للصدم في ذلك الشارع ؛ وإنما الذي صدم سائق آخر ، وأنه يعطي السيارة لبعض المعارف ..وتبين أنه يؤجرها مقابل بعض المال ..والقانون لا يمنع دفع السيارة الخاصة لأحد مقابل مال أو دون مال .. وتبين للشرطة أنه في ذلك التاريخ أجرت السيارة لشخصين ..استأجرها صباحا شاب اسمه مهند صابر وفي الساعة الثالثة بعد الظهر كانت مع شخص اسمه خالد نعمة ..وتكشف للبوليس أن السيد خالدا أجرها لشخص اسمه نضال خوفو .. والسيد نضال من أصحاب السوابق .. واستأجرها من خالد بخمسين دينارا لمدة ثلاث ساعات ، ثم اتصل به عند الخامسة مساء مخبرا له أن السيارة في محطة صيانه ، وعليه استلامها من هناك .. والمحطة أخطرت الشرطة بذلك برقم السيارة ولونها عندما بلغوا بقصة السائق الهارب .. ونضال خوفو صاحب سجل أمني إجرامي ، وليس له عنوان معروف .. فوضع اسمه على نقاط الدخول والخروج .. وإنه مطلوب للشرطة في قضية دهس ، ولما اطلع حمزة على ملفه قال لمعاونه عماد : أترى أن هناك جريمة ؟

ـ الوضع المتصور للحادث يشير إلى ذلك يا سيدي المحقق ! فترتيب وصول السيارة إلى السيد نضال يدل على أمر مبيت .. هو أخذ السيارة المستأجرة من صاحبه خالد ..وهو الذي اتصل بخالد ؛ ليذهب ويتابع تصليح السيارة بعدما صدمت بها المرأة .. من كلّف نضالا وعرفه على الضحية ؟ من دفع له وأقنعه بفعل ذلك ؟ لابد أنه شخص يعرفه .. الحادث يبدو مدبرا .. هل نافز سعى لقتل أمه ؟ ولماذا ؟!.. المال يصل إليه من أمه دون الجريمة ؛ وربما ترث القصر .

ـ القصر أوقفه السيد لأحدى الجمعيات .. وأوقف قصرا آخر لنادي الصيد الذي كان عضوا فيه .. وقد علمت من المحامي تفاصيل الميراث.. الحاج نوفل بعد زواجه الأخير أراد من

الغضب حرمان الورثة من المال أو تقليل حصتهم ، فأوقف وتبرع بكثير من العقارات .. ولكن بين لي المحامي أنه يمكنه التبرع بالثلث فحسب أو يكتب هذه العقارات رسميا لجهات معينة .. ففعل ، واعتبر أن أبناءه ليسوا بحاجة لمزيد من المال .. وهو يملك الكثير من المال والشركات الشريك فيها .. إذن علينا القبض على السيد نضال خوفو .. وهكذا يستخدمون السيارات الخاصة يا عماد .. هذا يؤجر هذا .. وهذا يؤجر ذاك لتضليل الأمن !

ـ هؤلاء يؤجرون بدلا من شركات تأجير السيارات .. يأخذ المستأجر السيارة مقابل عشرين دينارا .. ويؤجرها لآخر بمبلغ أزيد لعمل أمر غير مشروع للتهريب للسرقة .. وصاحبها يزعم أنه أعطاها لصديقه عند انكشاف السرقة أو التهربية وهكذا .

ـ وهذه ليست مخالفة قانونية .. فهو لا يعمل كسيارة الأجرة .. لا وثائق .

ـ من ناحية نظرية ممنوعة ومخالفة ؛ لأنه ممنوع تأجير السيارة الخاصة ؛ لكن ضبط ذلك صعب إلا إذا اعترف المستأجر بذلك ، وثبت ذلك ؛ لكن يجوز إعارة السيارة لأي شخص يملك الرخصة المناسبة للقيادة .. ومالك السيارة هو مسؤول عند جهل السائق الذي كان يقود عند الحادث والمخالفة .. والسائق أثناء الحادث هو الذي يتحمل المسؤولية القانونية .. فأغلب السيارات مملوكة لتجار وملاك ومؤسسات كما تعلم ويسوقها موظفون بإذن من أصحابها مقابل راتب .. ومرتكب الحادث هو الذي يتحمل للعقوبة الفنية والعقابية .. فيحق لكل مالك سيارة دفعها لغيره .

ـ القصور موجود في كل قوانين الدنيا والخدع والحيل لا نهاية لها .. أنت لو طلبت سيارتي لقضاء حاجة لا أمنعها عنك .. وقد تضع فيها بنزينا أو لا تضع ..هل ستحاسبني عليه ؟! الثغرات موجودة ..لا يشترط القانون على السيارة أن لا يسوقها إلا مالكها ؛ ربما مالكها لا يملك رخصة قيادة ، ويملك السيارة وغيرها .

ـ ظروف القضية توحي بالجريمة .. حوادث السيارات لا يخلو منها يوم حسب معلوماتي .. حادث يومي.. أما كجريمة فهو قليل .. وهناك من يهرب عند الحادث لخوف لسبب ما ..

ليس لأنه قتل ودعس ؛ فربما لم يمت المدعوس .. والسبب في قضيتنا ربطها بقضية اغتيال السيد نوفل .

قال حمزة : ليس أول حادث دعس مر علينا ويهرب الفاعل! .. فبعضهم يهرب يظن أنه يتخلص من الشرطة بذلك ، ومن أجل الهرب من الحقوق المترتبة على فعلته ؛ لكن أين الهروب من الله سبحانه ؟!

ـ نعم ، من هرب من عدالة أهل الأرض لن يهرب من عدالة رب الأرض والسماء ـ هل سيستغرق القبض على نضال وقتا ؟

ـ لقد تم التعميم على مداخل ومخارج البلد كلها ومراكز الشرطة في البلد كلها .

كان السيد مفتاح في مكتب المحامي ، فلما استراح قال : ما آخر أخبار الجريمة ؟!

تنحنح المحامي وقال : للأسف لا جديد لدى الشرطة .. المحقق حمزة لم يصل لشيء جديد .. ابن المرحومة هادية زوج أبيك يظهر أنه بعيد جدا عن الجريمة .. لقد كان ساعة الجريمة يخمر في خمارة بعد مغادرته المقهى ..والسيد عادل شقيقك المشتبه الآخر أيضا بريء ..وهذا جيد الأسرة يا أستاذ مفتاح .. يقولون إنه كان في بيته ساعة الجريمة .. وليس لديهم أي مشتبه غيرهم الآن ..وامرأة أبيك كانت آخر من رأى الحاج حيّا تلك الليلة .. وزوج ابنتها رَآه يستقبلها عند بوابة القصر ويفتح لها ـ وهو لم ينزل من سيارته ـ دخلت وقضت مع الحاج عشر أو ربع ساعة ، ثم عادت إليه تقول لصهرها : الأمور ستحسم صباحا ـ إن شاء الله ـ ولكن البوليس يرى أن الاعتداء عليها في شارع ديك الجن بعد خروجها من العيادة جريمة .. وقد استطاعت الشرطة الوصول إلى السائق الهارب أو قل معرفة اسم السائق الهارب .. وهو ذو سوابق جنائية معروف للشرطة .. ولكن هل الحادث قضاء وقدر أم جريمة ؟ لم يحسم الأمر لدى الشرطة .. هذا سيتضح عند القبض على الرجل .

ـ أفهم أن الشرطة قد تربط بين الحادثين .. وهل إذا عرف قاتل هادية يعرف قاتل أبي نوفل ؟!

قال المحامي : لا دليل حاسم على الربط بين الحادثتين ؛ إنما إحساسات ضباط الشرطة ..ولأن

السيدة اعترفت للأطباء أنها قابلت الحاج ليلة مقتله .. واخفت ذلك عن التحقيق خشية إلصاق التهمة بها .. الخوف .. والضابط يعتقد أنها قالت غير ذلك من الكلام .. ولم يفهم عنها الممرضات كل ما قالت .

تنهد مفتاح وقال : هذا يعني أن الأمر سيطول !

وتنهد المحامي مثله وقال بملل واضح : إنهم يعتقدون كما نعتقد نحن أن القاتل من ضمن معارف الحاج .. فأحدهم استغل الظروف ، وارتكب الجريمة .. والشرطة عادة تشك في أقرب الناس للضحية ..فالزوجة والزوج والأصدقاء والأقارب أول المشتبه بهم .. والسؤال البدهي الأول من المستفيد من الجريمة ؟ ! فدافع المال سبب مهم لارتكاب الجرائم العنيفة .. وأكثر الناس يهمهم موت الحاج شقيقكم عادل والسيد نافز ؛ وذلك عن طريق أمه .. وهو كما ذكرت لك ثبت أنه لم يكن على مسرح الجريمة كما يقال .. والخدم لم يعرفوا بزيارة السيدة لأبيك تلك الليلة إلا من الشرطة .. تلفونها أكد أن مكالمة جرت بينها وبين الحاج تلك الليلة ، وأتت للقصر بعد منتصف الليل ، وقابلت الحاج على قول زوج ابنتها ، ورآه قد فتح لها البوابة الرئيسية للقصر .. وغابت ربع ساعة في الداخل ، وغادرت حسب أقوال صهرها .. وفهم منها أنها ستعود للقصر ، وتسجل طلقة واحدة ، وترجع لذمته .

ـ لقد نصحنا الأب أن يؤخر زواجه لمرور سنة على وفاة أمنا ؛ لكنه رفض الإصغاء وظن أنه شاب صغير فليعجل بالزواج .. وكان اختياره سيّئا امرأة شعبية ابنة أحياء فقيرة ، لا ذوق لديها ، ولا حياء .. كانت بذيئة اللسان وقحة يا أستاذ ..أبي ظن أنه ما زال ذلك الفقير وابن الفقير ، وعليه أن يتزوج من الفقراء .. فقبل الزواج من ابنة حي شعبي.. نسي نفسه وأنه من وسط اجتماعي تغير عن طفولته .. كنت أخجل من الجلوس معها .. ألفاظها سوقية ؛ لكن كان علينا الرضى بالأمر الواقع ، والتظاهر بالرضا .. للأسف نسي نفسه وموضعه الاجتماعي ذلنا آخر عمره .. رجل أعمال كبير تزوج امرأة جاهلة لم تتعلم في أي جامعة !

كان محامي نوفل يعلم بغض وحقد أولاد نوفل على زوجة أبيهم ، فقال مخففا من توتر

وغضب مفتاح : هذا قدر الله يا مفتاح ! المرأة حسب معرفتي بها من خلال الوالد وزيارتي للقصر لا بأس بها ؛ لكن ابنها هو سبب المشاكل .. ظن نفسه متزوجا للحاج معها .. غداء عشاء نوم .. يأتي للقصر سكرانا .. لم يعد الوالد يطيق ذلك .. والطباخ عويس لم يستطع إبعاده عن أمه والقصر .. وقد فكروا بتزويجه ليهجر القصر ؛ ولكنهم خشوا فشله في الزواج والمزيد من المشاكل .. وسبب ذلك تعرضه قبل زواج أمه من أبيك لحادث سير .. وسبب له مشاكل عقلية واضطرابات دماغية .

ـ عائلة سيئة جشعة ! لقد نسي أبي من أجل شهوته الميتة نفسه وموقعه الاجتماعي منذ عقود .. ولقد صار سخرية للأصدقاء والأقارب والعائلات .

ـ تعلق بالنساء ، لم يعد يتحمل الوحدة .

ـ قلنا له سنة واحدة ، ثم سنزوجه ابنة عائلة كبيرة ؛ ولكنه كلّف الطباخ بالبحث عن زوجة أرملة .. وبماذا سيأتي له الطباخ إلا بامرأة من طينته وطبقته السيئة ؟ !

لقد رحل إلى رحمة الله .. وانتهينا من حضرة الطاهي .

ـ ولكنه ماهر جدا في الطهو يا مفتاح ، ويعمل في فندق كبير !



تلقت الشرطة إخبارية عن وجود جثة في أحد منازل حي وادي وهدان ، وتوجهت الشرطة والدوريات الأمنية على الطرق الخارجية إلى العنوان المذكور حيث وجدت الجثة في حجرة مهجورة ، وهي في طرف بعيد عن الحي المأهول ، وتبين لرجال الأمن أنها كانت لحارس في أحد المحاجر القديمة .

حضرت الفرق المحققة.. الفريق الجنائي والمختبر الجنائي والطب الشرعي .. وتبين لهم أن الجثة لها عدة أيام ، وعلى الطب الشرعي تحديد وقت الجريمة وتاريخ الجريمة ، وكانت مخنوقة

بسلك معدني ، وظهر في المكان آثار حديثة لعجلات سيارة واحدة .. وكان في الغرفة الوحيدة موقد نار ، وأدوات طعام ، وإبريق شاي وغلاية قهوة ، وفانوس أو سراج يعمل بمادة الكيروسين الكاز .. فهو مكان يصلح للاختفاء وليس للحياة .. ولما انتهى التصوير الجنائي ورفعت البصمات وفتش المكان وما حوله رفعت الجثة لسيارة الإسعاف ؛ لتنقل إلى قسم الطب الشرعي في المستشفى القريب من المنطقة لإجراء التشريح العميق للجثة .. وتبيين سبب الوفاة ووقتها ، وكيف ماتت ؟ وكانت الجثة في حالة سيئة ، وتبين للشرطة أن الاتصال كان من هاتف أرضي عام .. وعرفت الشرطة أن القتيل كان مطلوبا للشرطة ومطاردا من قبلها بسبب حادث سير .. فدخل حمزة المحقق على خط التحقيق ، فذهب مع فريقه لمعاينة مكان الجريمة ، ومعهم الفريق المكلف بالبحث عن الجاني ..وأمام معطيات التحقيق ومعرفة شخصية الضحية سيكون التحقيق والبحث مع أصحاب نضال خوخو واستئجار السيارة من خالد ..وأصبحت التحقيقات والتحريات حول مالك السيارة وسلسلة المستأجرين للسيارة ومن لهم معرفة بين نضال وخالد ، وأن السيد نضالا كان يطلب من خالد استئجار سيارة من مؤجر ..وكان خالد يطلب من معرفة له استئجار سيارة ، ويستأجرها هو منه بدفع أجرة بزيادة بضعة دنانير ، ويقوم نضال بسرقة أو تهريبة أو دعارة بواسطتها .. ولم تستطع الشرطة إثبات أكثر من ذلك ، وشهد أكثر من شخص على مثل هذا الفعل .

الشرطة تبحث عن الذي كلّف نضال بهذه المهمات المعقدة التي أدت إلى قتله واغتياله واعترف أحد رفاق نضال أن المكان الذي قتل فيه يختبئون فيه من مطاردة الشرطة ، ويخفون فيه صفقات مخدرات أو تهريبات أجهزة ممنوعة في البلاد .. والمكان معروف لعدد من العصابات واللصوص .. وأكد هؤلاء الرفاق أن نضالا لا يعمل وحده ؛ إنما يستعين بهم وببعضهم في بعض المهمات الأقل خطورة مقابل المال والدفع الفوري والاختفاء الصوري .. ورجح البوليس أن المتصل هو القاتل ، فلما رتب أموره وعلم أن الشرطة لم تكتشف الجثة اتصل مخبرا عنها بمخبر مجهول .. وقررت الإدارة مراقبة المكان خفية ما دام مستخدما من قبل المهربين

والمجرمين .. فهم رأوا أنهم بحاجة لصيد يتردد على المكان .
وأثمرت الرقابة السرية بالقبض على ثلاثة مهربين حشيش ، وظلت الرقابة على المكان والموقع وتبين أثناء التحقيق أنهم يعرفون السيد نضال خوخو ، ولا يعملون معه .. واعترف أحدهم أنه عرف المكان من نضال ، ودل عليه عصابته وجماعته ، واشتغل معه مرة واحدة في تهريب كمية من الذهب المسروق لأحد التجار ؛ وذلك قبل عشر سنوات .
كان حمزة ومساعده عماد يتحدثان عن مجريات التحقيق في سلسلة الجرائم ويتسألان : من استأجر نضالا لدعس المرأة هادية ؟! وما علاقتها بقتل الحاج نوفل ؟ ..اعترف أحد رفاق نضال أن الرجل كان يدبر لعملية كبيرة ؛ ولكنه لم يفصح له عنها أو عن تفاصيلها ، وظن أنها عملية تهريب كبيرة ؛ وليست عملية دعس أو قتل ، فلم يعملوا معه لقتل أحد ، وهو بعد دعس المرأة اختفى عن الرفاق ، وشاع أنه خارج البلاد أو المدينة حتى ظهرت جثته في ذلك القفر البعيد المحجر المهجور
قال حمزة : قضيتنا معقدة يا حضرة الملازم أو قل تعقدت وكبرت ! كنّا بواحدة أصبحنا بثلاثة لماذا كل هذا التعقيد ؟! هل هي مترابطة يا عماد في نظرك كما نرى ونعتقد اليوم ؟ هل قابلت هادية الحاج نوفل حقيقة يا ملازم عماد ؟
ـ إشارة مهمة !
التقى المحقق في جريمة نوفل بمحقق جريمة نضال الضابط نزار ؛ لتبادل المعلومات والافتراضات . فقال نزار : أنتم تعتقدون أن السيد نضالا دعس المرأة عمدا وتنفيذا لأمر من قبل شخص يتحكم فيه أو لحساب شخص ما .. وأن نضالا اختفى على أثر الجريمة بعد وصلوكم للسيارة التي تم بها الحادث ، واختفى في ذلك البيت المهجور ، والمستخدم من قبل ا لمهربين واللصوص ، وقضى فيه حياته قتلا وخنقا ؛ ولكنكم تقولون إن بين الحادثين أكثر من أسبوعين .
قال حمزة : صحيح ! هو لم يختف مباشرة ؛ ربما لما علم بوصولنا للسيارة المرتكب بها حادث

الدهس .. وكان بين مقتل هادية وزوجها نوفل أكثر من أسبوع .. هادية تبين من اعترافها أثناء الاحتضار لدى الممرضات والأطباء أنها كانت ليلة الحادث في بيت زوجها خفية ، وقابلته ليعدل عن الطلاق .. فحادث الدهس أطلق لسانها بالاعتراف ؛ وربما قالت غير ذلك من الكلام ؛ ولكن الأطباء والممرضين لم يحفظوا كل ما قالت لعدم الاهتمام أول الاعتراف .. لقد قضت معه في القصر أكثر من عشر دقائق حسب أقوال زوج ابنتها الذي أوصلها بنفسه للقصر ومقابلة السيد ، ولم يطلع الفجر على الزوج وهو حيّ .. هل قتلته ؟ الرجل ينفي أنها فعلت ذلك ، وكانت هادئة عندما خرجت ، ولمح أحدهم يفارقها عند الباب ، لكنه لم يعرفه ، وتوهم أنه الحاج كما فعل ذلك عند الاستقبال .. ونحن نرى أن الكلام أمام الأطباء ناقصا ؛ لأننا لم نفهم سبب هذا .. الاعتراف لا يدل على قاتل على شريك .. هل لها دور في الجريمة ؟! أم تعرف المجرم .. وهذا الراجح لدينا .. فهي اعتبرت نفسها مقتولة لتصمت عنه ، ولمعرفتها للجاني .. وتحقيقات الحادث وصلت إلى أن المقتول نضال هو الفاعل .. كان يعرف يوم العيادة أو بوجودها في العيادة ذلك الظهر .. وانتظر حتى قطعت الشارع ثم دهمها .. فهي قطعت منتظرة ابنها في السيارة التي ابتاعتها له بعد زواجها من السيد نوفل وقبل مقتله بأسابيع .. فهو الذي أوصلها للعيادة ، وذهب للهو والقمار على أن تتصل به بعد خروجها من العيادة .. تبين لنا أن ابنتها تعلم بذهابها للعيادة .. وتكلمت معها أثناء وجودها في العيادة في انتظار دورها للدخول على الطبيب .. وابنها يعلم .. تعرضت للدعس وهرب الفاعل الذي تبين لنا أنه نضال خوخو قتيل المحجر المهجور منذ عشرات السنوات .. والسيارة التي ارتكب بها الدهس خضعت لسلسلة من الإيجارات لتضليل الشرطة للعملية هذه أو غيرها من التهريبات .. ثم قتل الرجل الهارب بظروف غامضة كما تعلم في مكان بعيد عن المدينة العاصمة .. في مكان يستخدمه المجرمون الفارون والمهربون ، اختفى حتى بلغنا عن وجود جثته ؛ فإذا كانت قصة هادية جريمة متعمدة فهذه الجرائم بينها رابط أو أن القاتل والمجرم واحد .

قال نزار : وأنتم لم تعرفوا قاتل السيد !

ـ كان الاشتباه في البداية حول ابنه عادل ؛ حيث تشاجرا ليلة الجريمة ، ثم تبين أنه وقت الجريمة لم يكن على مسرح الحادث .. هناك من شهد على وجوده في بيته .. وابن المرأة المدعوسة هادية أحد المشبوهين لم يكن ليلتها في القصر أو قربه ، فقد كان في حانة يسكر مع رفاقه .. وخدم البيت من جنسيات أجنبية لماذا يقتلون ؟ وعامل التصليح لم يكن ليلتها عند الجريمة في القصر .. والطباخ الخاص لا يرقد في القصر ينتهي عمله عصرا ، ولا مصلحة مادية له في قتله .. والمرأة وزوج ابنتها لا مصلحة لهم في قتله .. ونضال لم يشاهد حول القصر ولحساب من سيقتل ؟! دافع القتل البين لمقتل نوفل المال .. وأكثرهم حاجة للمال ابنه عادل ، وليس لدينا دافع آخر لحتى الآن.

ـ والجريمة لابد لها من فاعل .. وباقي أفراد الأسرة وضعهم سليم .

ـ ثبت لنا ما عدا عادلا أن أمورهم المالية طيبة وسليمة ، ليسوا بعجلة لمزيد من المال .. فهم أصحاب ثروات وشهادات جامعية ، فأوضاعهم ممتازة إلا ذاك العادل .. وكان في وقت الجريمة في البيت نائما أو سكرانا إلا إذا كلّف نضالا أو غيره .. وهذا ما نحاول إثباته لليوم .. والجريمة تحتاج لرجل يعرف القصر ونظامه جيدا ، ويملك مفاتيحه أو قل مفتاح غرفة الحاج نوفل .. ويعرف أن للسيد مسدسا في حجرته ..وإن كانت معرفة ذلك ليست صعبة لاشتهار الحاج بالصيد .. ويملك قصورا للصيد في أطراف المدينة ..وإنه صياد قطط في داخل قصره .. فالقاتل قتله بمسدسه ، وفي حجرة نومه .. وقد استخدم كاتم الصوت .. فهو قدم للقتل .. وأخذ شريحة إلكترونية لهاتف الحاج .. فالخدم لم يسمعوا صوت الرصاص كما شهدوا ، وأطلقت ثلاث رصاصات عليه .

ـ إذا عرفنا قاتل نضال ،فقد نعرف قاتل السيد نوفل .

ـ نعم .

قال نزار : حسن هذا ! اسمع يا رائد حمزة .. نحن تلقينا إشارة مهمة أن النضال هذا بدأت

حياته السيئة مع زوج هادية الأول والد نافز .. فهو يعرف المرأة قديما بمعرفته لزوجها .. أحد المعتقلين من أصحاب نضال ذكر أن غريبا زوج هادية عبدو له صداقة مع نضال ، وعملا معا في بيع وتهريب المخدرات .. وكانوا يوفرون المخدر لبعض زبائن الفنادق الكبيرة .. والسيد عويس الطباخ المعروف لكم ، وطباخ السيد نوفل لجزء من النهار هو صديق لغريب زوج هادية الأول.

ـ هل السيد نوفل رجل تهريب ومخدرات ؟

ـ لا ، لا ، ليس هذا قصدي .. هو تاجر أخشاب كبير كما تعلم .. وهو تارك للعمل منذ عشر سنوات .. فهو شريك ومشرف على بعض المتاجر .. وهو تعرف على عويس الطاهي من تردده على فندق عويس للمشاركة في حفلة أو تكريم زائر أجنبي مصدر له .. فأعجب بطهو عويس وأخدمه عنده منذ خمس سنوات .. واهتمامنا به ؛ لأننا عرفنا أنه الذي يهرب المخدرات لزبائن الفنادق بغض طرف من الإدارة .

ـ نحن لم نر للمخدرات دورا في الجريمة ، رأيناها جريمة بسبب المال والميراث ؛ لأن السيد المقتول لا علاقة له بالمخدرات حسب تحرياتنا عنهم .. عويس كان لدينا مجرد طاهي يعمل في وضح النهار ، وفي الليل في الفندق الكبير .. وتعرف على السيد فعلا عن طريق تناول الطعام في الفندق .. ويعمل في القصر بضع ساعات فحسب .

قال الضابط نزار : عويس هذا له معرفة بهادية وزوجها ، وله معرفة بنضال خوخو لتأمين المخدر للزبائن المهمين لدى الفندق .

ـ زوج هادية مروج مخدرات ! ونعرف أن عويسا قريب لهم .

ـ نعم ، بعض رواد الفنادق يطلبون الحشيش والممنوعات ، فيقوم عويس أو غيره بتوفير هذه المواد المحظورة خفية وسرا .. وإدارة الفندق تغض الطرف للمحافظة على الزبائن من الشخصيات المهمة .. وذلك حتى إذا قبض على مروج وبائع صغير تكون الإدارة بعيدة عن التحقيقات والقانون والمشاكل .. وإنها أمور فردية .. فغريب والد نافز كما أخبر المعتقل كان

واسطة نضال بين عويس والفندق أو يتظاهر أنه واسطة ؛ لأن نضالا وغريبا أصدقاء وتجار لها فيقوم عويس ببيعها للأجانب متظاهرا أن الإدارة تجهل ذلك .

ـ عويس إذن واسطة بين المهربين والتجار والفندق .

ـ نعم ، نعم ، هذا ما نعرفه عنه .. لم يسجل عليه قضية كبرى ؛ليحقق معه .. فاهتمامنا بقضية مقتل نضال لاهتمامنا بالمخدرات .. فعويس يتحصل على العمولة من الطرفين ، وهو طاهي ماهر ، وله زوجة ، وابن وحيد يعمل في التدريس ويسكنون في بناية واحدة .. نحن نرى أن علاقته لنوفل علاقة طعام وإعجاب بطهوه ، وسلمه الرجل مطبخه .

ـ وهذا ما علمناه .

ـ ركز على علاقته بهادية ؛ لأنه كما علمنا منك ومن غيرك أنه هو الذي زوجها للسيد نوفل .

قال حمزة : نعم ، وذلك أثناء التحقيق الأولي.. بعد وفاة زوجة نوفل رغب الشيخ بالزواج رغم بلوغه السبعين من العمر .. منذ الشهر الأول رغب بذلك ، فرفض أولاده التسرع في الزواج قبل مضي سنة على وفاة أمهم .. تقاليد مهمة لديهم ؛ ولكنه رفض الاعتراض ، وتدخلهم في حياته ، وغضب منهم جميعا .. وساعده الطباخ في تحقيق ذلك الزواج من تلك الأرملة القريبة له ، وأصبحت السيدة وابنها سادة القصر لبضعة شهور حتى تصالح مع الأولاد ، وعادت الأمور لسابق عهدها ..وكان السيد قد ضاق ذرعا من وجود ابن زوجته معه في القصر ، وصبر على مضض .. والمرأة فوق الأربعين ليست صغيرة ؛ لكنها كسبت مالا وفيما بعد ميراثا ؛ لكنه ينتظر انتهاء التحقيق في مصرعه .. وهذا الابن تعرض لحادث سير قبل زمن من زواج أمه من السيد نوفل ، فأصبح على أثره عطيلا عالة على أمه ، فلم يستطع الابتعاد عنها بعد الزواج ، وأصبح القصر مكانه ، ويذهب في آخر الليل للمبيت في شقتهم قبل الزواج ..وكان السيد في أول عهده بالزواج ومقاطعة أولاده له يصمت ويصبر ويتذمر بضعف .. ولما تصالح مع الأولاد ارتفع اعتراضه على وجوده في القصر ، وكثرة تردده وأقارب زوجته على القصر .. وكان الشاب يأتي للقصر سكرانا مما زاد الطين بلة .. وتعرضت

أمه لعدة طلقات ؛ ولكنها لم توثق رسميا .. وكان عويس الطباخ يصلح بينهم لعدة أيام ، ثم تحدث المشاكل من جديد .. وعجزت الأم من الخلاص من ابنها .. فطردهما الحاج لفترة ، ثم تصالحا، ثم رتبوا الطلاق رسميا .. وتحدد موعد جلسة أمام القاضي ؛ ليكون الطلاق قانونيا وشرعيا.. وفي الصباح أصبح الرجل مقتولا بظروف غامضة ؛ ولكنها قبل لفظ نفسها بحادث السيارة ذكرت أمام الفريق الطبي أنها كانت في بيت الحاج نوفل ليلة موته ، ولم نفهم سبب قولها هذا الاعتراف وهي تحتضر .. هل القول ناقص ولم يكتمل ؟! هل قتلت ؟! هل لها يد في القتل ؟! زوج ابنتها ثبت لدينا بُعده عن الجريمة والتآمر ، وليس له سوابق جنائية وملفه نظيف ، وكذلك زوجته .



اجتماع

عقد الرائد حمزة وفريقه اجتماعا لمناقشة القضية التي كلّف بها ، وهي قضية مقتل السيد نوفل في قصره ، وجلس الفريق حول الطاولة المستديرة في دائرة الشرطة فقال : هناك تطورات في القضية .. قد تغير مسار التحقيق ، فقد ظهرت المخدرات في القضية ، وليس المال والطمع فحسب .. نحن رتبنا أمرنا على أن الدافع المهم للجريمة أموال السيد نوفل.. فالطباخ عويس طباخ القصر نهارا وطباخ الفندق ليلا .. فهو غير عمله كطاه فهو معروف لدى دائرة المخدرات بإدخال المخدرات بأنواعها إلى زبائن الفندق بعلم الإدارة أو بجهلها أو التظاهر بالجهل مقابل عمولة يأخذها من المهربين أو التجار ، ومن زبائن الفندق .. وهذا العويس يوفرها لهم عن طريق رجل اسمه غريب قريب له أو معرفة قوية ؛ ولكنه ميت من عشر سنوات .. وهذا الرجل الميت هو والد نافز وزوج هادية الأول .. وقد ترملت عنه .. وغريب هذا كان زميل ورفيق نضال خوخو المعروف في وسط المهربين بالتهريب وترويج المخدرات في البلد ، وما حولها من البلدان .. ونضال كما تعلمون قتل في محجر بعيد عنا ، وتبين لنا أنه قتل منذ أيام من قبل البلاغ .. ونضال هو المتهم بدهس هادية .. وهادية زوجة نوفل .. وعويس يعرف هادية ونوفلا وغريبا ؛ وربما نضال .. وقد يكون هو مزوده بالمخدرات بعد وفاة غريب .. وهو الذي زوج هادية الأرملة للعجوز نوفل .. وأحد أصدقاء نضال بين للشرطة أن نضالا كان صديقا لهادية رغم ترملها .. وكاد يتخذها بعد ترملها زوجة .. والمرأة معروفة لدى دائرة المخدرات من أيام حياة زوجها ؛ ولكنها لما ترملت لم يعد لها نشاط في التهريب والترويج .. وعويس خلاصة وسيط بين طالبي المخدر في الفندق ومروجي البيع كنضال وغريب وغيرهم ..ويأخذ العمولة من الطرفين .. فنريد التحقيق حوله ، وهل له علاقة بالجريمة ؟ وهل هناك مخدرات في القصر وقصور نوفل ؟ هم يؤكدون أن نوفلا تاجر أخشاب فحسب ، لا علاقة له بالمخدرات ، ولم تستغل تجارته للتهريب .. وهل عرف شيئا عن عويس جعله يغدر به ؟..هل هو هناك أكثر من طاهي في القصر ؟ هل تعاطى نوفل

المخدرات كزبائن الفندق ؟ وألحق عويسا كطباخ لذر العيون وتوفير المخدر له ؟ وأنا سأطلب نافزا مرة أخرى للتحقيق ؛ لأعرف قوة وضعف العلاقة بين أمه وعويس ، وعلاقتهم بنضال ومعرفتهم به .

قال وكيل الادعاء : قضيتنا معقدة يا حمزة !

ـ نعم ، يا سيدي .. هي من البداية غامضة رغم أنها بدت بسيطة عند الوهلة الأولى .. رجل عجوز يقتل في عقر داره سيكون السبب المال والميراث ..كنت أظن أننا سننتهي منها خلال أيام وليس أسابيع وأشهر .. لم يكن عويس ظاهرا بدور معين .. وما زال دوره غامض إذا كان له دور في الجريمة .. ونضال لم يظهر على مسرح جريمة القصر .. وللأسف خدم القصر ليس لديهم معلومات وأعاجم لا يفهمون ما يدور في القصر ..فهم لم يسمعوا شيئا مهما ، ولا عرفوا بمجيء هادية .. ولا ساعة إطلاق الرصاص .. مهمتهم تقديم الخدمة ، وتنظيف القصر .. سأعود لزيارة القصر والحديث معهم .

ـ وماذا يفيد التحقيق إذا كان للرجل يد في المخدر ؟

ـ يكون السيد نوفل قد هدد عويسا بفضحه .

ـ هو معروف يا رائد حمزة لدى المكافحة بأنه وسيط لزبائن الفندق فقط وبغض نظر من الإدارة !

ـ هناك كلام سمعته من نافز عن عويس لم ألق له بالا آنئذ .. وهو أنه وعد أمه بالزواج منها إن طلقها الحاج ، وأصر على ذلك ؛ لترجع وتعود للسيد.. وذلك لما طردها وابنها إحدى المرات ، وعادت بناء على شفاعته المتكررة .. فهناك علاقة قوية بينها وبين عويس ، وقد كان صديقا لزوجها غريب .. وزبونا عندهم .. وله مصلحة تكشفت لنا الآن وصداقته كذلك لنضال خوخو .

قال : أي مال سيكون للزوجة سيستفيد منه نافز ونعيمة وزوج نعيمة .

ـ إذا عرف قاتل نضال سيعرف قاتلنا يا سيدي ! وإذا عرفنا قاتلنا سنعرف قاتل نضال !

ـ والمرأة هل قتلت عمدا ؟

ـ الظواهر تدل على ذلك.. لكن كيف عرف القاتل نضال وقت خروجها من العيادة ؟! ليترصد لها ويدعسها هي ، ولا يخطئها ، ويصيب امرأة أخرى .. جريمة محبوكة .

ـ ولن يعرف أحد أن المقصود هادية نفسها ..إنه حادث دعس متكرر كل يوم في شوارع مدننا

ـ عندما نعرف عويسا أكثر ربما يتحرك الموضوع .. فدوره في القضية غامض .. فهو يعرف القصر والحاج ونافزا والمسدس ونظام الخدم .. إذا اتضح أن له هدفا في القضية والمعمعة سيكتشف الكثير من الغموض .

ـ أنت متفائل !

- لابد من معرفة الجاني والوصول إليه .

لبى نافز غريب دعوة الشرطة ، فهو كسائر أولاد نوفل ينتظر انتهاء التحقيق ؛ ليرث حصة أمه ، ويعرف قاتل السيد ، فلما جلس أمام المحقق حمزة رُحب به ، وقدمت له القهوة ، أشعل سيجارة ، ونفث منها عدة نفثات ، فقال حمزة : هل تتابع أنت قضية دعس والدتك ؟

قال متظاهرا باللامبالاة : علمت من أختي وزوجها أنكم تتهمون رجلا اسمه نضال ..وقد وجدتموه مقتولا في الصحراء .

ـ جيد ! اسمع يا سيد نافز .. أنت تعلم أنك كنت أحد المشتبه بهم في قضية مقتل سيد القصر .. وثبت بعدك عن مسرح الحادث تلك الليلة .. وقد توصلنا بالتحقيق المضني أن قتل أمك كان متعمدا ..وأن السيد نضالا المقتول في الصحراء كما تقول هو المنفذ للدعس .. فكيف معرفتك به ؟ فقد كان صديقا لوالدك قبل موته من عشر سنوات .. وهو يعرف والدتك حق المعرفة.

ـ بل هو صديق للعائلة رغم هلاك أبي .. أنا مات والدي وأنا ابن أربع عشرة سنة .. ونعيمة تكبرني بعامين .. فنحن نعرف السيد حق المعرفة كشخص وصديق للأسرة للوالد والوالدة ..

وهو معروف لدى العائلة بتجارة المخدرات وبيعها وتهريبها .. أبي كان سائقا يعمل على سفريات خارجية بين عواصم الدول العربية وتركيا وأوروبا الشرقية .. وكان أحيانا يعمل على شاحنات سيارات كبيرة هكذا قضى حياته ..ونتيجة هذا العمل تعلم التهريب وتعاطي الحشيش وغيره لزيادة الدخل والكيف .. كان مهربا صغيرا يعمل لغيره .. هذا علمناه من أمنا لما كبرنا ووعينا .. كان والدي ، وكذلك والدتي من أهل السكر والتدخين وبعض المخدرات وتعرف أبي على أمي في مدينة طرابلس في لبنان وتزوجها .. وعاد بها لبلدنا هذا .. وكان السيد نضال يكلف الوالد بنقل المخدرات المزروعة بالدول العربية إلى دول أخرى .. فهو صديق الوالد منذ تعرفا .. وبعد موت أبي بانقلاب سيارته وموته ظل صديقا للعائلة .. وعلمنا أنه فكر بالزواج من أمنا بعد ترملها ولم يحدث النصيب كما يقال ..ولما مات أبي لم يترك لنا الكثير من المال .. فكان ينفقه على شرابه وقماره .. وترك لنا الشقة التي نعيش فيها قبل زواج أمي من نوفل ..والسيارة التي كان بها مقتله بيعت بمبلغ زهيد .. فهذه يا سيدي قصة أبي مع نضال .. وأنا لما تعرضت لحادث بسبب الشراب أيضا فأثّر الحادث على بدني وعقلي .. فأصبحت ضعيفا لا أستطيع العمل المتتابع .. وساعدتنا بعض الجمعيات حتى تخرجت نعيمة وعملت في أحد البنوك .. وتعرفت على زوجها وكانت تساعدنا إلى حد ما .. وعشنا .. وكان نضال يتكرم علينا بين الحين والآخر ببعض المال .. والسيد عويس ظل يدعم الأسرة حتى تعلمت أنا ونعيمة ؛ ولكن الحادث أبعدني عن العمل كليا ..فهو قريب لأبي ولي قرابة بعيدة .. وهو الذي أقنع أمي بالاقتران من السيد نوفل لتستفيد قرشين كمهر وميراث .. وهو استفاد عمولة مثلنا .. والسيد نوفل مطمع كصندوق مال .. فهو كبير في السن غير قادر على الجماع .. فزوجته الميتة منذ عشر سنين لم يقربها لمرضها ولضعف طبيعته ؛ لكنه رغب بالزواج ظانا بأنه سيعود شبابا .. وليقنعها به تعهد بالزواج منها إذا فشل الزواج بسرعة عندما يكتشف السيد أنه لا يصلح للنساء .. وعويس ذو زوجة عليلة من عهد بعيد يرعاها ابنهما الوحيد .. وهو كما تعرفون طباخ فندق وحفلات خاصة .. وصاحب كأس وبعض الميسر .

ـ والمخدرات .

ـ ربما .. أنا لا أعرف عنه ذلك .. هو يساعد ويرشد إلى من يبيع ويشتري مقابل سمسرة فبعض رواد الفنادق التي يعمل فيها يوفرها لهم مقابل المساعدة وبغض نظر من أصحاب الفنادق .. فهذا معروف عنه ، والشرطة كما يقول تعرف ذلك عنه .. وكان أبي يوفرها له عن طريق نضال ، ثم تعرف على نضال وغيره مباشرة ؛ لأن أبي أحيانا كثيرة يكون في رحلة تستغرق أياما وأسابيع فعرفه على نضال ورفاقه ..وأنتم تزعمون أن نضالا قتل أمي ..ونضال قد مات فهل هذه الحقيقة ؟! الله أعلم ..وتباع المخدرات بواسطة خدم الفندق ينقلون الرسالة لعويس ، وهو يفهم الطلب لأني أحيانا كنت أذهب بها له مقابل حصة من المال .. أريد أن أعيش وأشرب .. المال مذلة للرجال !

وقف حمزة وقال : استدعِ يا عماد الطاهي عويس .. شكرًا نافز أفندي .. قد تكون قضيتنا أشرفت على النهاية؛ لتكسب ميراث أمك ، وتصبح ثريا .. السيد نوفل لا يتعاطى المخدرات

ـ نوفل ! أبدا هو رجل نظيف ، يصلي ويصوم ويقرأ القرآن !



لبى عويس نداء المحقق حمزة وجلس في غرفة التحقيق ، وسمح له بشرب القهوة وتدخين سيجارة ؛ ليذهب ما به من توتر ، وسمع الضابط يقول : عويس سبق أن تحدثنا معك حول مقتل سيد القصر نوفل ، وبعد دعس السيدة هادية ، وترجح لدينا القصد الجنائي ، وتبين لنا أن الفاعل يعرفها ويعرفك ..وهو القتيل نضال خوخو .. فعلمنا أن لك علاقة ومصلحة بالسيد نضال الذي قتل في مكان مهجور على الطريق الصحراوي .. وأكد السيد نافز هذه العلاقة!

ـ لقد التقيت بالضابط المحقق في مقتل السيد نضال .. ونضال شخص معروف للبوليس كتاجر مخدرات ومهربات .. وهو سجين سابق ..وأنا تعرفت عليه عن طريق والد نافز وزوجته هادية التي دهسها ، كما أصبح معلوما للناس من شهر مضى .

ـ جيد يا عويس ! علمنا أنك مهدت الطريق لبيع المخدرات لزبائن الفندق الذي تعمل فيه وغيره ، وخاصة للأجانب والغرباء .

ـ هذه قضية أخرى يا سيدي ! وهذا تعلمه الدولة ، وتغض النظر عنه لدعم قطاع السياحة .. وأنا أستفيد بعض المال .. وإن بدا سريا فهو معلوم ..أنا لا أدخل المخدرات للبلد من الموجود

ـ هذا معروف لدينا يا سيد عويس ! ولا يهمنا ذلك .

ـ أنا مهنتي الطبخ خاصة الطعام الشرقي القديم .. عملت في مطاعم سياحية كبيرة والفنادق الكبيرة .. هناك أناس يحبون المطبخ القديم والتقليدي كما أن هناك من يحب الطبخ الغربي .. وأتقن بعضه ، ولست بارعا فيه .. أثناء العمل في هذه الأماكن عرفنا أن بعض الرواد يطلبون المخدرات كالحشيش والمار جوانا كما يسميها الأمريكان والمهلوسات .. ومع الوقت أصبحت أستطيع المساعدة بمعرفتي لقريبي غريب وعلاقته بها ..وقد كان معروفا في العائلة الكبيرة بتعاطيها لعمله وسفره الدائم فساعدني بتوفيرها خفية للزبائن .. والإدارة لا تتدخل في منعها ولكن يكون الطلب عن طريق خدم الغرف والقاعات .. ونتيجة لكثرة سفر قريبي غريب

اضطررت للتعرف على مروجين غيره لتأمينها لهم في أي وقت .. الحاجة أم الاختراع .
قال حمزة ضاحكا : الحاجة أم الاختراع.. جميل هذا منك!
ـ وهي وأنت سيد العارفين تباع ولو سرا في الملاهي والنوادي الليلة وحانات الخمور للزبائن الموثوقين .. وأنا أجمع بين التاجر والزبون .. إما في أماكن عامة أو مقاهي أو موقف سيارات الفندق حسب رغبة الزبون .. وأخذ عمولتي من الفريقين .. أنا لا أبيع ولا أشتري .. مجرد وسيط .. وقلت هذه الخدمة بمعرفة أصحاب المطاعم والفنادق دون قرار رسمي كما يقال .. فهي أماكن الأصل ألا تباع فيها أو تُمارس بحكم القانون العام .. وهذه الأصناف كما أسمع أنها مباحة في بعض الدول .. ولا تحرمها خاصة بعض الأنواع كالحشيش .. والفندق لا يتقاضى عليها أجرة ؛ إنما يسكت عن تعاطيها وإدخالها للزبائن .. الخدم هم يخبرونني بالأمر وأنا أتصرف بخبرتي وبسرية تامة .. ويؤمنها غريب قبل موته أو نضال أو غيرهما ؛ لأنه لا يصح ترك الزبون ينتظر ظهور ووجود هذين الشخصين .. هناك غيري سيدبرها لهم .. ورجال المكافحة يعرفون هذه الواسطة ؛ لأنها تؤمن بكميات ضئيلة للتعاطي فقط .. وأيضاً لنجاح السياحة .. وهؤلاء قادمون للفرح والانبساط والكيف ؛ وليس فقط مشاهدة الآثار القديمة وتصويرها .. والسياحة كما تعلم تحتاج للكيف والدعارة وتوفير الممنوعات .
ـ أفهم ذلك .. فالسائح طائر مهاجر ..فمطلوب أن يترك أكبر كمية من المال لدعم الحركة السياحية والدخل القومي .. صراحة هل للسيدة هادية علاقة بالدعارة على ذكر الدعارة ؟!
سكت عويس دقائق يفكر ثم قال : هي أرملة منذ أكثر من عشر سنوات .. وأنا تعرفت عليها بحكم قرابتي لزوجها الأول .. علمت ولم أتحقق أنها كانت زوجة قبل أن يتزوجها غريب .. هو تعرف عليها في ملهى أو حانة خمارة في طرابلس الشام .. وأتى بها وتزوجها .. والحق أن زوجها كان يكلفها بنقل الممنوعات سواء للخارج أو الداخل .. وولدت له نافزا ونعيمة ، وأنت تعرفهم .. ولما مات زوجها الأول غريب كان وضعها المادي سيئا ومأسويا .. وكان الرجل يبيع ويهرب لقضاء شهواته وملذاته .. حاولت بعد ترملها العمل بالدعارة والنوادي

الليلة والبارات ؛ لكنها كانت كبيرة فوق الثلاثين ، ليست مرغوبة كثيرا للقوادين .. أولئك يحبون الفتيات الصغيرات دون الثلاثين .. لم توفق في بيع جسدها كثيرا .. وأقول بصراحة إنها حملت سفاحا بعد ترملها .. فاضطرت لعمل عملية إجهاض فأصبحت تقدم خدمات جنسية للكبار فحسب .. وكنت حقيقة أوفر لها الزبائن في الفنادق والنوادي الليلة التي أعرف أصحابها ، فتستفيد هي بعض المال وصاحب الملهى والفندق نصيبا منه .. وتنفق على أبنائها حتى تعلموا وتخرجوا من الجامعات ..وساعدت نعيمة قبل زواجها وبعده بمساعدة أمها وأخيها .. وتوقفت المساعدة بزواجها من السيد نوفل الذي كان بحاجة لخدمة جنسية بدون معاشرة مباشرة .. كنت أتصل بها وتحضر لمكان ما ويأخذها الزبون إلى حيث يريد سواء في شقة خاصة أو الفندق أو الملهى .. لم تكن تُمارس الجنس بعد الإجهاض ؛ إنما تقدم خدمات يسمونها جنسية .. الشباب يبحث عن الصغيرات ، والكبار يبحثون عن الكبيرات ؛ وربما لي أكثر من خمس سنوات لم أطلب منها خدمة كهذه يا سيدي ؛ ولكن ربما عن طريق نضال فبينهما علاقات جنسية من أيام زوجها حتى كادت تطلق لما عرف غريب بذلك ؛ ولكن نضالا هدده وخوفه فسكت عنها .. ولما رأيت السيد نوفلا يرغب بالزواج أي زواج .. المهم أن يكون على فراشه امرأة يلهو معها .. تحمست وأقنعتها بالزواج منه والحياة معه .. قد تعجب إذا قالت لي إنه رجل كبير لا يصلح للنساء ، وكانت ابنة خمس وأربعين سنة .. فذكرتها بسنها وستعيش معه كم سنة وتغرق بالمال والأشياء .. وللعلاقة بيننا وافقت وقبلت الزواج والحياة كخادمة للسيد وتغرف من مال السيد مالم تغنمه في حياتها كلها .. ولكن ابنها أساء للحياة في القصر ، وسبب الكثير من المنازعات للسيد ولأمه حتى وصل الأمر لنهايته وهو الطلاق .

ـ لكن نافزا يقول إنك وعدتها بالزواج إذا طلقت وفشل الزواج .

ـ قلت لها ذلك لإقناعها .. وأنا لي نصف زوجة .

ـ سيد عويس هل السيد نوفل يتعاطى المخدرات ؟

ـ لا ، كان الرجل من أهل الصلاة ، ويذهب لصلاة الجمعة في المسجد كالناس .. الرجل من

كبار التجار ، وكان يحكم إدارة عدة شركات أيام قوته .. وكان يعمل حفلات ومناسبات في الفنادق والمطاعم الكبيرة للموظفين ولضيوفه الكبار الذين يستورد من بلادهم للترحيب بهم وكان يطلب مني في بعض الأحيان ـ أراه مضطرا ـ بأن أقدم خدمة من نساء ومشروبات لهؤلاء الأجانب .. وقد تعرفت عليه من خلال الفنادق التي عملت بها .. فأنا كما قلت لكم أتقن الطهو القديم ، وتعرفت عليه من خلال الخدم، فقدموني إليه وتصاحبنا إلى حد كبير .. وطلب مني قبل سنوات العمل لديه في القصر لنصف نهار مقابل أربعمائة دولار شهريا .. والمبلغ مغر لي ، فقبلت ، فأعمل على توفير وجبة الغداء ، وتحضير المطبخ ، وأجهز وجبة العشاء .. وأنصرف .. وأي دعوة يدفع أكثر .. فكان عملي يبدأ من التاسعة صباحا حتى الثالثة شتاء والرابعة صيفا لطول النهار .. وفي الليل أعمل بفندق.

عاود حمزة ونزار الاجتماع لمناقشة القضايا ، فقال حمزة : هل قتل نضال السيدة للعلاقة القائمة بينهم بشأن المخدرات والجنس ؟ولماذا قتل هو الآخر ؟! هؤلاء يقتلون لاحتراق أوراقهم لدى العصابات .. ونحن لا نرى أثر عصابة في جريمة نوفل .. ونضال معروف بعمله وحده في السنوات الأخيرة من حياته .. ويستعين بالآخرين بمهمات معينة ، ثم يصرفهم مقابل عمولة يدفعها لهم .. وقضى نصف عمره بين السجن والتوقيف .. والمرأة قبل زواجها من نوفل كانت تعمل في الدعارة بشكل متقطع ومتباعد .. تعمل شغلا خاصا بها عن طريق عويس ونضال وربما آخرين لم نعرفهم .. وزوّجها عويس للرجل للهفته على الزواج وعودة الحياة إليه بعد ترمله ..وعويس كان يحلم بثروة من ورائها ؛ لكن ابنها سبقه إلى ذلك .

ـ قد يكون صادقا بما اعترف به ؛ لكنها مع نضال كانت تكلف بترويج ونقل بعض الصفقات السريعة ، وكانت له كعشيقة .. هو لا زوجة ولا أولاد .. وابنها يزعم غير ذلك.. وأنها تركت المخدرات من وفاة أبيه ، وأنها شريفة لا تُمارس البغاء ، وهي أشرف أنثى على الأرض كلام ابن فاسق .. كانت تتحصل على المال بعد ترملها من التوزيع والنقل والجنس .. نضال

يستخدمها عند الاضطرار ، فهي مكشوفة ومعروفة لرجال المكافحة .. ونحن نتظاهر أحيانا بالجهل ؛ لنعرف الوجوه الجديدة ، ولا أعتقد أنه وصل لمرحلة أن يقتلها بسبب المخدرات .. فهي كانت غنية في السنة الأخيرة ، وليست بحاجة لنقل بضع غرامات لتأخذ بضعة دولارات أعتقد أنها دعست لإخفاء شيء تعلمه عن مقتل نوفل .. وعويس يتردد عليها في الزمن الأخير لماما ، لم يعد بحاجة لخدماتها لزبائنه .. فلديه معارف غيرها ، وأصغر سنا منها ..فهو ليس الوحيد في الفنادق يقدم نفسه للسياح والخدم ، فغيره كثير .

ـ لو كان لدى عويس هدف في قتل السيد لماذا ؟! سيعود المال لابنها أو للسيدة أولا .. وهي تدفع لابنها ليصمت عن فجورها وخمرها ، وقد ترث القصر كله ؛ولكن السيد لما رأى موقف أولاده من زواجه أوقف كل القصور والمنازل التي يملكها لدائرة الأوقاف الرسمية ، وبعضها للنوادي والجمعيات التي يساعدها بالتبرعات

ـ يخيل لي يا حمزة أن الرجل زوّجها لنوفل ليتزوجها بعد موت الرجل موتا طبيعيا أو جنائيا .. طمع بثروة الحاج لما رأى لهفته على الزواج .

قال حمزة : هل لهذا الطباخ يا سيد نزار هذه العقلية المدبرة والمخططة لمثل هكذا جريمة أو جرائم ؟ هل يصلح أن يكون رأسا ؟ لا يبدو عليه الذكاء أمامي .. إنسان يعيش على الهامش .

ـ ضابط المكافحة يقول إن السيد نضالا يملك عقلا إجراميا كبيرا ، وقدرة على السيطرة والإقناع لصغار المجرمين .. وهم يستغربون من طريقة قتله .. والسيدة هادية فتاة بار وخمارة لا تشكل خطرا .. هي تقدم خدمات مقابل مبالغ بسيطة ؛ لتشرب وتدخن وتأكل طعاما فخما هي لا تتعاطى ؛ ربما جربت ذلك في حياة زوجها الأول .. إنها متعلقة بالخمور بجميع أنواعها لعملها في أول شبابها عاملة خمارة .. وقد علمت من ابنها يا حمزة أنها كانت تستغل فرصة خروجها من القصر لزيارة ابنها أو شقيقها أو ابنتها لتشرب كأسا هل يدري السيد بذلك ؟

ـ لم نهتم بهذا يا نزار ؛ لأننا كنا نرى أنها بعيدة عن تنفيذ الجريمة ، وما زلنا ؛ لكنها ربما لعبت دورا دون قصد منها .. هي تشرب ولم تكن مدمنة كما أخبر عويس عنها .. لا تشرب حتى

تسكر .. تشرب لتعودها على ذلك والسيد .. كان يريد امرأة تشاركه الحجرة ..ولما تغضب كانت تعيره برجولته .

ـ هي بالنسبة له محترمة ، ولم تكن تُمارس البغاء لأنها غير مرغوبة من أهل الزنا ولكن إذا أتيحت لها فرصة تقدم عليها دون تردد بعلم عويس أو بدون علمه .. ولا تمانع بتقديم خدمة جنسية لكبار السن .. والسيد رغم ذكائه ونجاحه في الحياة العملية كان مع النساء تقليديا يثق فيهن أو قل فيها .. وهي ليست جميلة ليحرص عليها أصحاب النوادي وعلب الليل .. باختصار علمنا أنها تقدم خدمات جنسية لمنحرفين بحكم تعودها على ذلك مقابل المال .. تغيرت حياتها في القصر إلى حد ما ؛ ولكنها بقيت على حالها المنحرف .. زواجها كان لزمن وضمن لعبة .. لعويس دور فيها ولنضال أيضا.

ـ هل من خطر على حياة عويس ؟!

ـ لا أدري أصدقاء نضال في السجن يرونه نكرة مجرد مراسل بريد .. عندما يطلب منها خدمة ولا علاقة له بتجارة المخدرات .. حياته المطبخ والشراب والسكر وقليل من الميسر .

قال نزار : يمارسه مع زبائن الفندق وأصحابه في الحي أو المقهى .. يتسلى ليس مدمنا عليه .. وعلى كل حال نحن وضعناه تحت المتابعة والرصد ، ونتتبع أخباره .. طريقة استئجار السيارة مريبة يا حمزة السيارة التي دهست المرأة .. وسجل هاتفها فيه عدد من الاتصالات مع عويس ونضال وحتى ليلة مقتل السيد نوفل سجل أكثر من اتصال معه ، بعضها مجرد اتصال دون كلام ضرب رقم فقط .

ـ هو كما نعلم صديقها ، وهو طباخ نوفل ، وكان يتدخل كثيرا في الإصلاح بينهما ، ويصبرها على الحياة الزوجية .. وابنها هو الذي كان يفسد الأمور والحياة الزوجية .. وهو الذي دفع السيد للتصميم على طلاقها على غير رغبة عويس .. وترتب في النهاية أن يكون الطلاق قانونيا لدى المحكمة ..والفائدة لم تكن كبيرة .. عشرون ألف من الدنانير المحلية .. فهذا مبلغ بسيط أمام الميراث .. هل هناك تدبير بينها وبين عويس ؟ من المنفذ ؟ هل يذهب السيد لفتح

البوابة له بنفسه ؟

ـ يستطيع الاستيلاء على المفاتيح .. فله مدة يعمل في القصر .

ـ لم يثبت أنها كانت تعطي عويسا مالا .. العكس هو الصحيح يا نزار ؛ إنما استفاد من إقناعها بالزواج منه ، وأخذ هديته من السيد .



أصبح البيت المهجور أو الغرفة الوحيدة المهجورة تحت مراقبة دوريات الشرطة ، ورجال مكافحة تهريب المخدرات ، فقد رفعت عند اكتشاف الجريمة جميع البصمات التي وجدت هناك ، وقد تم تصوير المكان والجريمة وآثار عجلات السيارة ، وعرفت الشرطة من المكافحة أن لنضال زوجة تزوجها خارج البلد ، وأحضرها معه ، ولم يوثق عقده عليه في بلده ، وهي تعمل معه في التهريب حسب المعلومات المثبتة عنها ؛ لكنها لم توقف أو تحبس في البلد ، واعترفت المرأة الأخيرة فريدة للشرطة بأن زوجها أودع لديها قبل موته بزمن مبلغ عشرة آلاف دولار أمريكي .. ولما سألته عن مصدرها من أين ؟ قال : صفقة فقط! وبعد أيام قليلة أعطاها خمسة أخرى ، وقال : باقي الصفقة ! واعترفت أنها تساعده في التهريب كلما احتاج إليها ، وبينت للبوليس أنه يعقد صفقاته في البيت أو المقهى ، وهناك أماكن أخرى تجهلها ، وأخبرت أن جل وقته في المقاهي والحانات ، وأنها تزوجته منذ سنة ونصف ، وأخبرت أنها لم تلد منها ، وهما اتفقا على ذلك ، واعترفت أنها لا تعرف الكثير عن حياته وأسراره ، وأنها تعلم أنه رجل شرير ومحتال ، ويعمل في التهريب ، وهي بحاجة لماله أكثر من بدنه .

ورجحت الشرطة أن هذه الصفقة قد تكون بسبب قتله لهادية عشيقته وصديقته لعشرات السنين ، وأنها لم تكن صفقة مخدرات لعدم دخوله وأعوانه في هذه الفترة بمهربات وممنوعات ولضآلة المبلغ ـ وهي فترة مقتل نوفل ثم هادية ـ فهي صفقة لقتل المرأة التي عاونتهم بالقضاء

على نوفل بعد أن صمم على طلاقها ، وأنها تعرف شيئا عن الجريمة ، ظنوا أن هلاكها بحادث سير سينتهي بموتها وتقييد الحادثة ضد مجهول .

وأعادت الشرطة التحقيق مع نعيمة وزوجها أنور في شأن تلك الليلة الغامضة والزيارة الغريبة، وأعادت المرأة أن أمها كانت عندها دون شقيقها ، وكانت تتحدث في الهاتف هنا وهناك ، وتكلمت ليلتها مع السيد ، وطلبت اللقاء به قبل الذهاب للمحكمة لإجراء الطلاق قانونيا ، ولما قبل السيد الزيارة تلك الساعة من الليل اضطر أنور لحملها في سيارته . وقال : أنا لن أدخل سأقف أمام القصر . وأكد الزوج هذه المعلومات ، وأنها رنت عليه من هاتفها عند وصلوهم للبوابة الخارجية ، وفعلا كان في الانتظار ، وفتح الباب وأدخلها ، وحياه بيده بالإشارة ، وكان يلبس كوفية حول رأسه، وأنه يعرف هيئة السيد ، لقد جلس معه عشرات المرات في القصر خلال سنة زواجها ، ودخلت السيدة وغابت ما بين عشر وربع ساعة ، وخرجت وردت الباب وراءها ، لم ير السيد عند إغلاق البوابة .. هي ردت الباب ، ودخلت السيارة ، وأعلنت أن الأمور ستحل في الصباح ، وقبل الذهاب للقاضي .. وفهم من كلامها أنها سترجع زوجة للقصر ، وخلال العودة لم تتكلم كثيرا لزمت الصمت ..ولما سئل عن سبب عدم إفصاحها عن هذا اللقاء أثناء التحقيق الأول ، وتكلمت عند الموت . فقال: أنا لم أدر ماذا قالت في ذاك التحقيق ؟ ولا حتى ابنتها ، ولم نهتم بما قالت لكم .. كنّا نحس بقلق أن يكون لنافز دور في الجريمة للمشاكل القائمة بينه وبين السيد .. وإنه ذهب في ساعة غضب وسكر وقابل السيد وقتله ، وأراد الانتقام لأن السيد عويسا بهدله وحقره .. وفاض به الكيل فلما سمعنا بهذا التصريح في المستشفى أكدنا ذلك اللقاء يا سيدي المحقق ..أنا لم أنزل من السيارة ، ونحن كنّا نسعى للصلح بينهم .. أنا ونعيمة وعويس وبعض أقاربهم .. أوكد فتحت البوابة ، ودخلت ، ورفع الرجل يده محييا ، وأدخلها .. لم أذهب للسلام عليه .. وهو بالطبع لم يفعل .. وانتظرت حتى عادت بعد وقت قصير ، وفهمت من كلامها معي أن أمر الطلاق انتهى ،وأن الصلح قادم ، وباركت لها العودة ، وعدت بها لبيتي ، وجاء الخبر صاعقا

في أول الصباح .

مشى حمزة ونزار للمستشفى الذي ماتت فيه هادية ، واجتمعوا مع بعض الممرضات اللواتي شاهدن اللحظات الأخيرة للسيدة ، وكررن ما قيل للشرطة ، وإنها كررت تلك المعلومة أمامهن " أنا كنت في بيت الحاج تلك الليلة "

فقال نزار : هكذا قالت !

ـ نعم ، فعرفنا أن ذلك شيء تعرفه الشرطة .

فقال حمزة : أتراها لم تر السيد ؟ وأن القاتل هو الذي فتح لها الباب واستقبلها ، وأشار بيده لأنور ليوهمه أنه الحاج نوفل ، وأنه سيد القصر .. لقد أخبر مفتاح أن البوابة كانت مغلقة ، وأن الخادم هو الذي فتح له ، وسمع صوت المفتاح ، وأخبره الخادم فور دخوله أن غرفة السيد مغلقة ، والسيد لا يفتح وأنه كان على وشك الاتصال به .

ـ التقرير الطبي يؤكد أن الجريمة كانت في ذلك الوقت .

ـ التقرير الشرعي يضع ساعتين لحدوث الوفاة الواحدة والثالثة .. المرأة تقول إنها تركت القصر في الثانية فجرا ، وكان بينهما اتصالات .

ـ قد تكون الاتصالات بينها وبين القاتل من تلفون السيد القاتل يا حمزة ..قتله بمعرفة السيدة والسيدة تعرفه ومتآمرة معه ..أتصور ما حدث .. الرجل قتل بعد الواحدة ، ورتبت ساحة الجريمة .. وجاءت السيدة تلك الليلة زاعمة أنها قابلت السيد لبضع دقائق هل هذه الدقائق حلت القضية ؟ إنها قابلت القاتل الذي لبس بعض ثياب السيد ليوهم زوج ابنتها أنه السيد .. فحياه باليد وأدخل المرأة ومكث معها تلك الدقائق ، وغادرت ليوهم المحققين أن الجريمة حدثت بعد الثانية .. ولما اختفت اختفى هو الآخر ؛ ليس بالضرورة أن يترك سيارته قرب القصر .. ولما شعر بالخطر من جهتها كلّف نضالا بدعسها ليبدو لنا أنها ماتت بحادث سيارة طائش ، ثم اضطر لقتل نضال بعد أن عرف أننا عرفنا السائق الهارب .

ـ من يكون ؟ عويس وماذا يستفيد من كل هذه الجرائم ؟!

ـ الدافع للجريمة الأولى غير واضح .. والمرجح أنه المال .. قد يكون الرجل دفعها للزواج منه لترثه ويتزوجها كما تحدث ابنها .. ولما صمم الرجل على الطلاق عجل بالفتك به .. فهي لعبة بين يديه فهي سترث ما دامت زوجة ، لم تطلق قانونيا ، وما زالت في العدة الشرعية كما هو معمول به في بلاد المسلمين .

ـ وهل ترى أن عويسا بهذه القدرة والمكر ؟

ـ هو ليس بهذه القدرة الذهنية والمكر .. الظروف خدمت الرجل .. هو لم يفكر بالجريمة ابتداء ..لحظ لهفة الحاج للزواج ورفض الأبناء ولجوء الرجل إلى طباخ فلم يصدق عويس ما يحدث واستغل الظروف .. وتذكر هادية أنها امرأة تقدم الخدمات الجنسية لكبار السن والشواذ .. ورتب أمر الزواج والصفقة مع السيدة .. ولا تنسى دوره المستمر في الإصلاح بينهم ؛ ولكن ابنها أفسد خطته وحياتها ، وصمم السيد بعد صبر على إنهاء الزواج .. وقد يكون أحد الأبناء والبنات طلب منه ذلك ليقوما بتزويجه بعد مرور العام على وفاة أمهم .. فهي لم تكن مقبولة منهم .. وكانوا يرونها فتاة شوارع وبارات .

قال حمزة : هذا صحيح ..لا أحد يتكلم عليها بالحسنى .

ـ فلما خشي الفشل ..تطورت الجريمة في قلبه وذهنه .. ولو استخدم السم بالقتل لانفضح ؛ لأنه طباخ السيد ، واتُهم بذلك فورا .. وهو بحكم عمله في القصر هذه السنوات يعرف مكان المسدس أو المسدسات التي يصطاد الرجل بها القطط .. ويستطيع تقليد المفاتيح دون أن يعرف أحد بذلك .. وهو الذي أقنعها بالزواج بعد ترملها كل هذه السنين ومن رجل عجوز هو يعلم أنه لا يصلح للزواج .. وكذا مرة كاد يفشل الزواج بسبب ذلك ، وتأكد عجز الرجل التام ..ولكنه يرممه .. فهم كانوا يتوقعون موت الحاج خلال شهور أو سنوات قليلة على الأكثر ليتزوجا ويتمتعوا بثروة نزلت عليهما من السماء .. وهو الذي يستطيع إقناع السيدة بالمجيء تلك الساعة من الليل بزعم مقابلة السيد .. نحن بحاجة لمعلومات دقيقة عنه .

ـ المرأة لم تقابل ذات الزوج ! ـ الخدم لم يشعروا بما جرى .

ـ استيقظوا على صوت غامض لهم .. صوت داخل القصر ، ثم عادوا للنوم ؛ لعلهم سمعوا صرخة الميت ، لم يسمعوا صوت الرصاص .

عاد حمزة يسأل : ولماذا دفع عويس خمسة عشر ألف دولار لقتل السيدة شريكته وهو يريد أن يرثها ؟ فموتها يمنع عنه الزواج والمال .

قال نزار : هو لم يفكر بموتها إلا مضطرا للحفاظ على حياته هو .. فبعد الزواج يقتسمان المال فالمرأة فاسدة قبل أن تعرفه ؛ ولكنه استغل فسادها لصالحه .. يقدمها لزبائنه مقابل المال .. وهي معتادة على ذلك ؛ وربما منذ حياة زوجها ما دام أتى بها من بار لبناني .. وقد عملت إجهاضا بعد ترملها .. وكانت تنقل المخدرات لغريب ولنضال ، وتقدم خدمات جنسية لمن شاء لتسكر وتخمر .. وقل نشاطها في السنوات الأخيرة لكبر سنها ، ولم تقبل الزواج من الشيخ ابتداء كما أخبر ولدها لولا تدخل عويس القوي .. أما لماذا قتلها فقد أصبحت خطرا عليه ؛ ربما خشيت أن تلبس الجريمة ابنها ما دام ابن السيد أبعد عن الاشتباه بعد أن شكت الشرطة بابنها .

ـ هذا الكلام إذا كان الفاعل لقتلها نضال بتكليف من عويس ..إذن علينا معرفة تحركات عويس في الأيام التي قبل الجريمة.. التحقق من حركات عويس في تلك الفترة .. هو لا يملك سيارة ؛ ولكنه يملك رخصة القيادة .. هل هو الذي خطط لنضال لاستئجار تلك السيارة ؟لا أكاد أحتمل أن يكون هذا الرجل بهذا الذكاء والتدبير .. لقد التقيت به عدة مرات .. هل يعرف تلك الطريقة الملتوية في الاستئجار ؟ هو وسيط جيد في مثل هذه الحيل . .لعبها هو ونضال .. أنا لم أقابل ذاك النضال ؛ ولكن من كلامكم يدل على أنه أذكى وأخبث من عويس قبض خمسة عشر ألفا أمع عويس هذا المبلغ ليدفعه لنضال ليدعس ؟ ثم قتل نضالا المجرم العتيد كيف تركب هذه ؟

ـ حبة مخدر يا حمزة يرقد الثور لدقائق لساعات .

ـ مخدر ..ممكن هذا!

"الاشتباه سهل ؛ لكن إثبات التهمة صعب" هكذا قال عماد لما سمع كلام حمزة الذي نقله عن نزار المحقق في جريمة مقتل نضال .

فقال حمزة : هم يشتبهون أن عويسا وراء هذه الجرائم ، وأنه قتل نضالا ..كيف ؟! فهم لا يعرفون .. هم يجعلون علاقته الشخصية بنضال وهادية احتمالا لارتكاب الجريمة ..ومع أن الرجل تحت المتابعة منذ جريمة نضال ما زال واضحا لا غموض في تصرفاته ..إني لا أصدق أنه بهذا المكر والفطنة يا عماد .. وهو لا يفارق العمل كما يقول المخبر أو فريق المراقبة .. هل يعقل أن يكون هذا الرجل بكل هذا الذكاء والمكر ولا يترك وراءه دليلا عليه ؟!

ـ في جريمة القصر يا سيدي لو وجد الدافع والسبب فباستطاعته ارتكاب الجريمة لمعرفته بنظام القصر ، ويستطيع تقليد المفاتيح كلها ، وسرقة المسدس ، ويستطيع سرقة المكتب بأن يأتي ليلا ويكسر الشباك ؛ ولكن القتل مصلحة وغاية .. لمن يقتل لمصلحة هادية؟!

ـ يقتل لمصلحة الثروة المنتظرة .

ـ وأولادها وزوج ابنتها

قال : الزوج يرث .. أليس كالأبناء والابنة بعد الزواج ؟تكتب له نصيبه وحصته ..ونحن نعلم أن الرجل كان له عليها سلطة منذ ترملت ما دام قد كان يقود عليها ويعطيها لتدخن وتشرب .. ويعرف ماضيها وحاضرها

ـ ولماذا جند قاتلا لها ؟ وهي لم تعترف بدخول حجرته ، وكانت هناك تمثيلية على زوج ابنتها ليشهد أن السيد حيّ عندما قابلها كما يعتقد المحقق نزار .

ـ ولماذا اضطر لارتكاب جريمة ثالثة ؟! وقد دفع مبلغا كبيرا لنضال إذا صح ذلك مقابل قتل هادية

ـ الحل لهذه الأسئلة عند القاتل .. سنقوم بتحريات أدق عن تحركات عويس يوم ارتكاب جريمة قتل نضال أين قضى ذلك اليوم؟

قال : كيف سنثبت ذلك؟

ـ عليه هو أن يتحدث عن تلك التحركات .. أين قضى تلك الأيام ؟ اذهب للفندق وحاول معرفة متى فارق العمل ذلك اليوم؟ ..وإننا سنطلبه بعدما يطلبه نزار ، ويعرف تحركاته تلك الأيام الأخيرة من حياة نضال.. المسافة بين المدينة وذلك المكان كم تستغرق من الوقت؟

قال عماد : قد تحتاج أكثر من ساعتين

ـ سنحسبها بالدقة .. ولا تنسى المسافة بين الشارع العام والمحجر ، وأنها طريق ترابية .. والسير عليها ليس كالسير على الطريق المسفلتة ..وكم من الوقت قضى معه قبل أن يغدر به ؟ وهل مشيا لذلك المكان معا ؟ فهو ينكر معرفته لذلك المكان ؛لأنه لا يعمل بالتهريب .. وهو معروف لدى أجهزة المكافحة للمخدرات إذا ثبت الغياب عن العمل سنحتاج لجردة حساب

وبينما هما يتناقشان في الموضوع رن جرس الهاتف ، وكان المتحدث الضابط نزار وبدا لهما منفعلا وهو يخبر أن عويسا كان مريضا تلك الأيام ، ومتغيبا عن الفندق وادخل المستشفى قبل الحادث بيوم ، وغادره بعد ثلاث ساعات إلى بيته .. وأعطي إجازة من الفندق ، وشهد ابنه وزوجته وزوجة عويس أنه خرج من المستشفى للبيت ، وقضى أيام الإجازة طريح الفراش .

ـ تطور خطير يا نزار!

ـ نعم ، علينا أن نبحث عن الحيلة التي التقى بها بنضال .. فالرجل رغم بساطته وتظاهره بالنزاهة فهو ماكر وخبيث كما تبين لي من اللقاء بزملاء العمل

ـ أرجو يا سيدي الضابط أن يثبت ارتكابه للجريمة فورثة نوفل ينتظرون انتهاء التحقيق والمحكمة لتوزيع التركة ، وحتى الجمعيات التي كتب له يتصلون من أجل الأموال ، ولهم محامون يطالبون بذلك .

ـ عسى أن نغلق هذه الملفات الثلاثة يا حمزة ..علينا أن نثبت خروجه من المنزل تلك الأيام أثناء فترة المرض .. وستكون النهاية .

النهاية

جاء عادل نوفل الفندق لمقابلة عويس طاهي قصر والده قبل مقتله ، فاعلم أن السيد موقوف لدى الشرطة مشتبها به في قتل السيد نضال خوخو .. فطلب حجز غرفة وصعد إلى الطابق الثامن ، ودخل الغرفة التي جهزها خادم الفندق ، وطلب مسكرا للغرفة وخدمة الغرف الفندقية .. واغتسل ولما خرج وجد المائدة المطلوبة جاهزة فتناول الطعام وسكر وصرف الخادم ، وكرر الاتصال على عويس دون فائدة .. وبينما هو في هذا الوضع رن الهاتف الخاص بالغرفة .. فرفع السماعة وسمع أحدهم يقول له : عويس على الخط سيد عادل .

ـ أهلا عويس لماذا خطك مغلق؟

ـ أنا لدى البوليس .

ـ سمعت .. لماذا ؟

ـ متهم بقتل نضال المهرب سأعترف .

ـ أنت لست القاتل .. بماذا ستعترف ؟

ـ سأعترف بدوري في هذه الجرائم .

ـ الخط مراقب

ـ الشرطة تسمع المكالمة

ـ حسنا اعترف يا عويس عليّ أن أغلق الخط.. اعترف يا عويس اعترف . واغلق السماعة .

وبعد إنهاء المكالمة سمع صوت طلقة في الغرفة ، فزع أمن الفندق إليها ، فتحت الغرفة التي سمع صوت الرصاصة منها .. كانت غرفة السيد عادل أطلق الرجل رصاصة على رأْسه فأردت بحياته .. انتحر !

حضرت الشرطة ، والطبيب الشرعي الذي أكد وأعلن الوفاة بعد المعاينة .. وكانت ورقة على منضدة مكتوب عليها "أنا القاتل" عادل

استدعي الرائد حمزة ونزار فقال حمزة : إذن هو القاتل ..قاتل والده !!

ـ هذه الحقيقة .. كان يريد نصف مليون من أبيه فرفض .. فهدده بالقتل .. فلم يهتم الرجل .. فقتله بمساعدة عويس وتهديده .. الرجل الذي يقدم الخدمات مقابل المال .

قال عويس : أنا أعرف السيد عادلا منذ سنوات قبل أن أعمل طباخا في قصر والده .. وهو أفسد أبناء السيد نوفل وأفشلهم .. ولكنه كما كان يقول السيد : ابني ، ولابد أن يكون أحدهم خائبا وسيئا في العائلة إنه ابني رغم أنفي .. كان نضال صديقه في تقديم المخدرات له والنساء الماجنات ..كان يهوى المتعة والزنا والشراب والخبث والنصب ..وكان ينزل هذا الفندق الذي أعمل فيه وعرفته من خلاله .. وكان يسافر لقبرص واليونان وتركيا للدعارة والملاهي المشهورة في مدن تلك البلاد .. سافر أمريكا للتجارة والمشاريع ففشل هناك كما فشل هنا .. واستقر كصاحب مكتب سيارات أجرة ، وبمساعدة كبيرة من أبيه نوفل ..ولكن أكثر السيارات رهنت للبنوك أو بيعت .. الوالد كذا مرة أقال عثرته لأنه ابنه ، ومن أجل خاطر أمه التي ترمل السيد عنها .. كان يعرف هادية وأنها فتاة دعارة ولا أعتقد أنه مسها جنسيا قبل زواج أبيه منها أو بعده لم تكن تروق له ..أنا لما أدركت أن السيد يريد امرأة ليجدد شبابه كما كان يزعم .. رأيت أن تلك المرأة ستقدم له تلك الخدمة كما تقدمها لزبائنها ..لم تصمد كزوجة ..كنّا نأمل وفاة الحاج بعد شهور ..ونكسب وإياها بعض المال الكثير الذي لدى الحاج .. لم يعجب ذلك عادل رغم تبريراتي له ودفاعي عن ذلك ..وأن طلاقها سيكون أسهل من زواجه لابنة عائلات ..فسكت على مضض .. طالبه عادل ببعض الميراث .. فقال له بقوة : لما أموت يصير ميراثا يا فهيم .. اصبر لم يعد في العمر بقية .. طلب نصف مليون .. رفض الوالد هذا الكلام .. وكنت أعرف ذلك بحكم قربي من الحاج خاصة عند وجبة الغداء فيتكلم أمامي دون تردد .. لي سنوات أعمل عنده .. وأنا من وقف معه عند حاجته للزواج .. وكان يعتبرني كوالد لهادية أو شقيق أكبر .. قام هو بسرقة مكشوفة للمكتب ؛ ولكنه لم يجد سوى نصف الف دينار .. وبعض قطع الذهب.. سكت الأب وإن شكى الأمر للشرطة ؛ لتخويف الابن من المخاطرة مرة أخرى واقتحام غرفة نومه .. ورفض إقراضه كقرض لأنه لا

يسد .. وقد اقترض الكثير كما قال .. هددني الرجل بالقتل إن لم أتعاون معه على الخلاص من أبيه .. سرق مسدس أبيه ومفاتيح غرفة النوم والقصر ..كنت تلك الأيام أظنه لن يقتل إنما هي مجرد حركات صبيانية .. قلت ربما يقتحم حجرة والده ويهدده ليوقع له على شيك ـ كما فهمت منه ـ تحت تهديد السلاح .. كانت هادية مرعوبة مثلي منه ومن ماضيها .. وكانت هادية على وشك الطلاق كما تقرر مع المحامي والسيد .. كان دوري أن أتصل بهادية التي ستكون في بيت ابنتها كما أخبرني السيد عادل لتحضر إلى القصر في الثانية ليلا بصحبة زوج ابنتها .. نحن لم نكن نرى إلا التهديد وتوقيع الشيك .. كنت أجلس في سيارة في منطقة معتمة قريبة من القصر كما طلب مني .. قتل أباه بعد أن تظاهر ليلا أمام الخدم وعامل التصليح بتشاجره وصراخه مع الوالد .. وخرج مطرودا غاضبا وأن المشاجرة كانت بسبب رفضه شراء سيارة جديدة لابنه في الجامعة .. وبعد نصف الليل تسلل للقصر حيث انتظرته في السيارة .. حسب ما أخبرني أن والده رفض التوقيع على الشيك فاضطر لقتله .. وألقى المسدس على سريره وغادر القصر .. وطلب مني الاتصال بهادية التي أتت تمثل دور مقابلة الزوج لإلغاء الطلاق المقرر صباحا وأخذت كما قال عشرة آلاف دولار .. اتصلت بها وطلبت منها أن تضرب على رقم السيد الذي أصبح بحوزة عادل .. وتظاهرت أمام ابنتها وزوجها أنها تتحدث مع السيد نوفل وصدقوا ذلك .. ثم قام أنور حياء لتوصيلها تلك الساعة .. ولما اقتربت من القصر اتصلت على رقم السيد ، وفتح لها عادل البوابة وقضيا عشر دقائق حول القصر .. ثم انصرفت .. ولما انصرفت السيارة غادر عادل البوابة ومشى إليّ وهو يهددني بالقضاء عليّ إذا تحدثت عن وجوده في القصر أو عن مجيء هادية ليلا ؛ لأنها لا تعرف أنني قريب من القصر .. تورطت فكان عليّ بالصمت .. ومن فعل فعلته لن تهمه حياتي .. وأوصلته للبيت ، وعدت للبيت مرعوبا بعد أن عدت للفندق وشربت بعض الخمر ..كانت ليلة سوداء في حياتي .. وكان ذهابي للفندق بعد أن أعدت السيارة ممن استأجرتها منه حسب ترتيب السيد عادل طبعا .. هادية لم تكن تعرف بقتله إلا لما حضرت للقصر .. وقابلته لتنفيذ

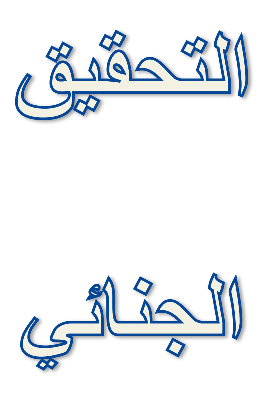
خطة التهديد .. وبعد أن هدأت الأمور أرادات هادية ابتزاز عادل بعد التحقيق الأول وإخفاءها ذهابها للقصر .. فكلف نضال بالقضاء عليها دعسا مقابل مبلغا من المال .. ولم تقتل فورا ، واعترفت للشرطة بذهابها للقصر .. وأعتقد أنها قالت لهم إنها لم تقابل الحاج تلك الليلة ، وعاجلها الموت .. واضطر عادل لقتل نضال لما عرف وكشف أنه القاتل لها ، فاستدرجه لذلك المكان المعروف لهما ، وأسقاه مخدرا ، ثم خنقه بسلك كهرباء .. ولما لفظ أنفاسه أزال آثار الجريمة ، وغادر المكان إلى الحدود ، ثم عاد واتصل بي قائلا : نم مرتاحا يا عويس ، وستقبض المائة ألف عند استلام الميراث .. كنت قلقا على حياتي لقد أصبح وحشا يفترس .. لا أدري لماذا لم ينل مني ؟! ولماذا لم تكشف هادية ذهابها للقصر للشرطة ؟! ربما أراد أن تكون ورقة أخيرة لتضليل الشرطة عن وقت حدوث الجريمة .. أغواني بمائة الف لم قدمته له في جرائمه .. وما كنت أستطيع أن أرفض .. كان يخطط ويدبر .. وأنا أنفذ وأطيع .. أنا اتصلت بها في بيت ابنتها لتتصل على رقم السيد .. ولما أرادات الابتزاز لم تتحدث معي فكان القتل .. وكان دوري معرفة وقت ذهابها للعيادة وإخبار نضال .. نضال مهرب وقواد ليس له على القتل ؛ لكنه صديقه وهو محترف قيادة .. والمبلغ بالنسبة له مغريا هي ساعة أو دقائق ويملك هذا المبلغ .. وعشرات حوادث السيارات تحدث في المدينة .. وأنا أستحق أيها السادة أي عقوبة ؛ لأنني جبان .. واستسلمت لقواد وأجرمت في حق الأصدقاء ، وعلى رأسهم السيد نوفل .. لم أكن أظن أنه سيقتله .. إنما هو مجرد تهديد وتوقيع على شيك ؛ ولكن لما تعرف بجريمة ستخشى على رقبتك ، وستلزم الصمت .

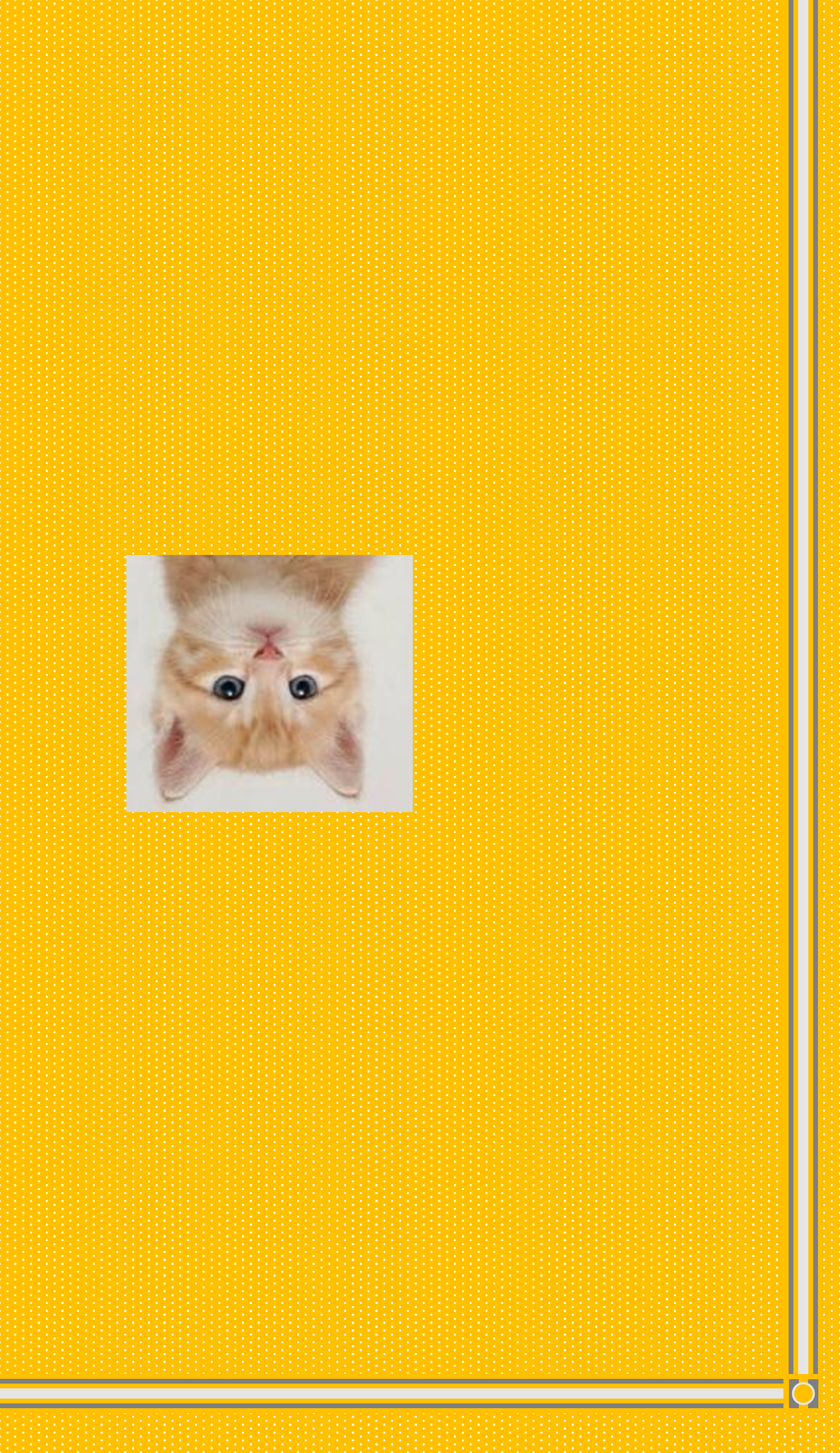
"تمت القصة"

جمال




التحقيق


الجنائي



التحقيق الجنائي والجريمة			
١	وصية جديدة	٢	مغامرة النادي
٣	مصرع المدير	٤	شارع البحيرة الخامسة
٥	ليموت الماضي	٦	صورة أمي
٧	بصمة وراثية	٨	رجل اسمه سنار
٩	جثة في البركة	١٠	مسبحة اللؤلؤ
١١	لغز القصر الصحراوي	١٢	الزواج الخطأ
١٣	نفس الشعب	١٤	لغز مقتل علياء
١٥	العالِم المزيف		